قلائد الجمان
في فرائد شعراء هذا الزمان

المشهور ب

عقود الجمان في شعراء هذا الزمان

لكمال الدين أبي البركات المبارك بن الشعار الموصلي

المتوفى سنة ٦٥٤ هـ

تحقيق

كامل سلمان الجبوري

المجلد الثالث

الجزء الرابع

المحتوى :

عبد العزيز بن إبراهيم بن علي - علي بن مسلم بن كامل

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية بيروت لبنان




قلائد الجمان
في فرائد شعراء هذا الزمان

منشورات محمد علي بيضون



دار الكتب العلمية بيروت لبنان

الطبعة الأولى
٢٠٠٥ م. ١٤٢٦ هـ

منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة: رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ (١ ٩٦١)

فرع عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
هاتف: ١٢/ ١١/ ٨٠٤٨١٠ ٥ ٩٦١ ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١ رياض الصلح - بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun-ilmiyah.com

الكتاب: قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان

المؤلف: ابن الشعّار الموصلي

المحقق: كامل سلمان الجبوري

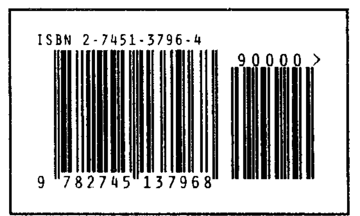
الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

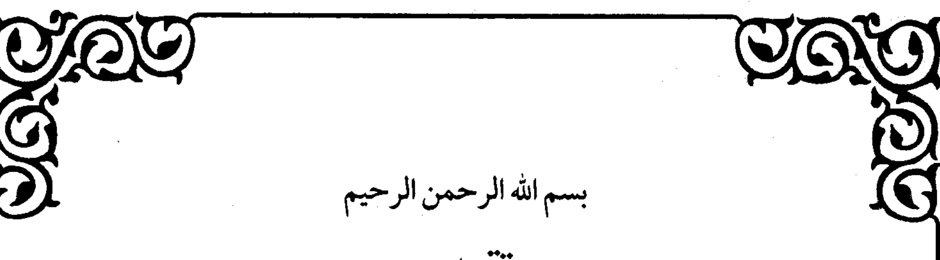
عدد الصفحات: 3440

سنة الطباعة: 2005 م

بلد الطباعة: لبنان

الطبعة: الأولى


ISBN 2-7451-3796-4



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد، وآله الطيبين، وصحبه المنتجبين.

وبعد:

هذا هو الجزء الرابع من كتاب:

قلائد الجُمان
في فرائد شعراء هذا الزمان

حسب تجزئة المؤلف.

ويقع في ٢٧٥ ورقة، وجاءت ورقة الغلاف خالية من العنوان، والأرجح أن الورقة الأصلية قد تلفت وأبدلت بالورقة الخالية من العنوان.

وقد كتب على الورقة الأخيرة عبارة نصها:

«تم الجزء الخامس، ويتلوه في السادس إن شاء الله تعالى من اسمه علي. . .» ثم ينقطع الكلام لانتهاء الورقة، ولعل بقية هذه العبارة موجودة في ورقة سقطت. والجدير بالذكر أن عبارة «من اسمه علي» مكتوبة بحبر مختلف عن حبر الأصل. وفي هذه العبارة خطأ واضح، فالجزء المنتهي هو الجزء الرابع وليس الخامس!!.

وفي هذا الجزء والجزء الخامس الذي يليه، حدث اختلاط بين أوراق الكتاب، ويبدو ذلك بسبب تفرّقها ثم تجليدها كيفما اتفق، وقد أعدنا ما اهتدينا لمعرفة محله، وما استفدناه من قائمة الأستاذ المحقق إبراهيم صالح.

المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

ابو محمد عبد العزيز بن ابراهيم

ابن علي بن علي بن ابي حرب ابو الفضل بن ابي اسحاق
المعري معروف بالموصل ببيت الوالي كان والده يتقلد
الدواوين باربل لسلطانها الملك المعظم مظفر الدين
ابي سعيد كوكبوري بن علي بن بكتكين رضي الله عنه ثم نقص
به وعلا ولده اواخر ذي الحجة سنة ثمان وعشرين وستمائة
وزر ابو الفضل [illegible] عز الدين في الوزارة [illegible] ولايته
وانفذ [illegible] الى الديوان العزيز ببغداد [illegible]
عليها وانعم عليه لما توفي الملك المعظم مظفر الدين رضي الله
عنه اخرج عز الدين واخوته من الاعتقال [illegible]
ثم رحل عن اربل وكان عبد العزيز شابا ابيض اللون [illegible]
بحمرة اشقر [illegible] وسما [illegible]
من [illegible] ما [illegible] لا يفعله احد من الرؤساء

الصفحة الأولى من الجزء الرابع

الصفحة الأخيرة من الجزء الرابع

/ ١ب/ بسم الله الرحمن الرحيم

[تتمة حرف العين]

تتمة ذكر من اسمه عبد العزيز

[٣٢٣]

عبدُ العزيز بنُ إبراهيمَ بن عليٍّ بنِ عليٍّ بنِ أبي حربٍ، أبو الفضلِ بَنُ أبي إسحقَ الموصِليّ[1].

يعرفون بالموصل ببيت الوالي.

كان والده يتقلد الوزارة بإربل، لسلطانها الملك المعظم مُظفر الدين أبي سعيد كوكبوري بن علي بن بكتكين ـ رضي الله عنه ـ، ثم قبض عليه وعلىٰ أولاده، أواخر ذي الحجة سنة ثمان وعشرين وستمائة.

وكان أبو الفضل ينوب عن والده في الوزارة، أيام ولايته، وأنفذه رسولاً غير مرّة إلىٰ الدّيوان العزيز ببغداد . . . . . عظيمًا، وأنعم عليه. ولما توفي الملك المعظم مظفر الدين ـ رضي الله عنه ـ. أفرج عن والده وإخوته من الاعتقال، وكان في جملتهم؛ فرحل عن إربل.

وكان عبد العزيز شابًا أبيض اللون، مُشربًا بحمرة، أشقر عَبْلاً وسيمًا ذا جمال ومنظر، مترفًا متجملاً في زيِّه من المتنعمين؛ يتأنّق في مأكوله وملبوسه، ما لا يفعله أحد من الرؤساء / ٢أ/ في زمانه، يلبس الثياب المرتفعة الثمن، طلبًا للصِّيت والحشمة، وكان فيه كبْر عظيم وتيه؛ مغرمًا معجبًا بنفسه ونعمته، حتىٰ تجاوز في ذلك الحدود، وذلك الذي كان يشينه عند الناس. اجتمعت بعبد العزيز سنة خمس وعشرين وستمائة في إربل بداره، وأخبرني أنه ولد ليلة الأربعاء سابع عشر رمضان سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة بالموصل.

---

(١) ترجمته في: ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٦٩، نقلها عن القلائد. عيون التواريخ ٢٠/ ٣٥٥.

وأنشدني لنفسه: [من البسيط]

لاَ تُولنيْ منْ أَيادٍ طالَمَا حَسُنَتْ ... حَتَّىٰ أُؤَدِّيَ ما أسْلَفتَ من نعَمِ
ذَرْني أقُومُ بحُسْنَاكَ الَّتي سَبَقَتْ ... فَقَدْ عَجَزْتُ عَنِ الآلاءِ وَالكَرَمِ

وأنشدني أيضًا لنفسه[1]: [من الطويل]

إذا أمَّتِ الآمالُ كَعْبَةَ رِفْدكُمْ ... فَلاَ عَجَبٌ أنْ تَنْتَحي بالرَّغائبِ
وَمَنْ عَذُبَتْ مِنْهُ المَوارِدُ أَجْمَعَتْ ... عَليهِ رجالُ الوَفْدِ مِنْ كلِّ جانبِ

[٣٢٤]

عبدُ العزيز بنُ أبي عليٍّ بن أبي غالبِ بنِ أبي عبدِ الله بنِ أبي المجدِ، أبو الخيرِ النحويُّ الإربليُّ.

شاب أحمر اللون أشقر، أخبرني أنه ولد بإربل في صفر سنة / ٢ب/ ثلاث وستمائة؛ وهو من فتيانها الأذكياء في زمانه، برَّز بفضله علىٰ أشكاله وأقرانه، واشتغل مدَّة بفنِّ النحو والعربية، وحقق معرفته، ونظر في مسائله وأصوله، ثم حفظ شعراً كثيراً من أشعار المُحدَثين وغيرهم، وله شعر يسير.

أنشدني لنفسه ما كتبه متشفعًا إلى الوزير الصاحب شرف الدين أبي البركات المستوفي؛ في أقوامٍ ألزموهم الولاية بإرَبل فامتنعوا منها، فنفاهم الملك المعظم؛ مظفر الدين أبو سعيد كوكبُوري بن علي بن بكَتكين - رضي الله عنه - فأقاموا بظاهر البلد: [من الخفيف]

هَلْ لطَعْنِ القَنَا وَوَقْعِ الحَديدِ ... مثْلُ فعْلِ العُيونِ بي والقُدُودِ
أمْ لشُرْبِ الطِّلا وَنَيْلِ الأَمَانَيَ ... مثْلُ رَشْفِ اللَّمَا وَلَثْمِ الخُدُودَ
وعَلَىٰ رَامَةٍ فُتِنْتُ وَقَبْلَي ... (كَمْ قَتيلٍ كَمَا قُتلْتُ شَهيْدِ)
نَقَضَ الغَانيَاتُ عَهْدي وَلكنْ ... عَادَةُ الغَانياتِ نَقْضُ العُهُودِ
حبَّذَا وَصْلُنَا بنجدٍ وَطُوبَىٰ ... لي بعَيْشٍ مَضَىٰ بجَبْلَي زَرُوْدَ
وَمِنَ العَيْشِ أنْ يَزُورُكَ طَيفٌ ... أوْ يَعُودَ الوصَالُ بَعْدَ الصُّدُودَ
/ ٣أ/ أوْ تَرَىٰ طَلْعَةَ المُبَارَكِ تَبْدُو ... يُسْرِعُ النَّاسُ كُلُّهُمْ للسُّجُودِ

(١) البيتان في ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٦٩. عيون التواريخ ٢٠/ ٣٥٥.

لَـــمْ أجِـــدْ مَـــنْ رَأيْـــتُ إلاَّ وَيَخْتَـــا رُ لَــــهُ أنْ يكُــــونَ بَعْــــضَ العَبِيْـــد
جَهِـلَ المَجْـدَ فـي الـوَرَىٰ فهـو لا يـو جَـــــــدُ إلاَّ وَأهْلُـــــــــهُ . . . . .
لَــمْ يَــزَلْ مَنْصَــبُ الـوزارة يَـدْعُـو قَبْلَـــهُ اللهَ مَـــا لَهَـــا مِـــنْ مَـــزِيـــد
حينَمَــا بشَّــرُوهُ بـــالقُـــرْب منْـــهُ وَحَّــــدَ اللهَ غَـــايَـــةَ التَّـــوحيـــد
شَــرَفَ الــدِّيــن يــا كثيــر العَطَــايــا يـــا مَـــلاَذَ المَلْهُـــوف والمَجْهُـــود
خَــاطَــبِ المَلْــكَ فــي مَصَــائـب قَــوْمٍ أهْلَكَتْهُـــمْ مَقَـــالَـــةٌ مِـــنْ حَسُـــود
أخْـرَجُـوهُـمْ مِـنْ دَارِهـم مِثْـلَ قَـومٍ عَقَـــرُوا النَّـــاقَـــةَ الَّتـــي لثَمُـــود
فَــإذا كُنْــتَ ذُخْـرَهـم صَـارَ منْهُـمْ طَيِّــبُ العَيْــش مثْـلَ حَبْـلِ الـوَرِيـد
كُــلَّ هَــذا فَــإنْ صَفَحــتَ عَــن العَبــدِ فقــد حَــلَّ فــي جِنَــانِ الخُلُــود

[٣٢٥]

عبدُ العزيزِ بنُ عمرَ بنِ يحيىٰ السّراجِ الإربلي، أبو العزّ.

كان شابًا سَرِيًا جميلاً، لطيف العشرة مع أصدقائه، محبًّا لأهل الأدب والفضل، وكان ربما كلف خاطره وصنع قطعًا من /٣ب/ الشعر لا بأس بها، أنشدني منها جملةً، ولم تطُل به الأيام حتىٰ اخترمته المنون، أكملَ ما كان شبابًا؛ وذلك يوم الاثنين عاشر رمضان سنة ثلاثين وستمائة بإربل. وكان مولده بها سنة خمسٍ وستمائة ـ يرحمه الله تعالىٰ ـ.

أنشدني لنفسه يهجو إربل: [من السريع]

لاَ بَـــارَكَ الـــرَّحمـــنُ فـــي بَلْـــدَةٍ يُـــدْحَـــضُ فيْهَـــا الحَـــقُّ بـــالبَـــاطِـــلِ
وَلاَ أقـــــامَ اللهُ رَايَـــــاتِهـــــا وَلاَ سَقَـــاهَـــا مِـــنْ حَيـــاً هَـــاطِـــلِ

وأنشدني لنفسه: [من المتقارب]

. . . . . مُـــذْ صَـــدَّ صَـــدَّ الكَـــرىٰ جُفُـــونِـــيْ وَأنْحَلَنِـــيْ بُعْـــدُهُ
عَلَـــى كُـــلِّ حَـــالٍ وَإنْ خَـــانَنِـــي هُـــوَ العَبْـــدُ لـــي وأنَـــا عَبْـــدُهُ

[٣٢٦]

عبدُ العزيز بنُ عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن هبة الله بن عليِّ بنِ المطهَر بن أبي عصرون، أبو الفضائلِ بنِ أبي البركاتِ الموصلّيُّ الحَمَويُّ[1].

كانت ولادته بحماة، عاشر ذي القعدة سنة سبع وتسعين، له الحظ الموفور في إنشاء المنظوم والمنثور، والبديهة / ١٤أ/ الحاضرة، والغريزة النادرة.

ومما أنشدني لنفسه، بلَّغه الله مُناه، وأسعده في آخرته ودنياه، وضاعف في إقباله، بمحمد وآله؛ هذه القصيدة الفريدة في الباري ـ سبحانه وتعالىٰ ـ ورسوله ﷺ وجعلها خالصةً لوجهه الكريم، عملها حين قصد بيت الله الحرام ـ حرسه الله تعالىٰ:

[من الكامل]

مَلِكَ المُلوكِ إليكَ مِنْ دُونِ الورَىٰ ... أرْسَلْتُ في الفَلَواتِ أنضاءَ السُّرىٰ

. . . . . ذا الثَّقَلَينِ منْكَ بنظرَةٍ ... نِعْمَ المَبيعُ ونِعْمَ ذَاكَ المُشْتَرَىٰ

قدمي لأوَّلِ خطوةٍ أَسعىٰ إليكَ بهاً ... .

يَا باعثي بَعْدَ الوَفَاة وَصَاحِبي ... عندَ الهنات وَوَاهِبي طيبَ الكَرَىٰ

إنّي أعَوذُ بنُورِ وَجْهِكَ بَعْدَمَا ... يَمَّمْتُ بَابَكَ أَنْ أعُودَ القَهْقَرىٰ

أَنا جارُكَ اللاَّجي فَهَلْ أنا آمنٌ ... أنا ضيفُكَ الرَّاجي وأنْ . . . . .

أنتَ الذي أغْنَىٰ وأقْنَىٰ والَّذي ... أرْضَىٰ المُقلَّ حجًى وَرَاضَ المُكْثرَا

[فَودَادُكَ الحَبْلُ المَتينُ . . . . غَيْرُكَ مُفْتَرىٰ][2]

جلَّتْ صفَاتُكَ أنْ تُحَدَّ وَقُدِّسَتْ ... تلْكَ المَكارمُ كَثْرَةً أنْ تُحْصَرَا

ظَميَتْ إليكَ حُشاشَةٌ لا تَرْتَوي ... حَتَّىٰ أراكَ وَلَوْ وَرَدْتُ الكَوْثَرَا

---

(١) في هامش الأصل: «فخر الدين».
ترجمته في: مجمع الآداب في مجمع الألقاب ١/ ٢٣٢ وفيه: «. . . ذكره المبارك ابن الشعار في كتاب عقود الجُمان وقال: سمع الحديث على والده وعلى قاضي القضاة أبي المحاسن يوسف بن رافع بن تميم الأسدي، ودرس الفقه بحلب، وسافر إلى دمشق ثم إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب بمصر، ولما توفي المستنصر بالله واستخلف ولده المستعصم بالله بعثه رسولاً إلى بغداد ومدح الخليفة بقصيدة، وشرب منه شربة الفتوة، ولما أدى رسالته عاد إلى بلاده، توفي ببيت المقدس في شوال سنة ثلاث وأربعين وستمائة، وكان مولده بحماة سنة سبع وتسعين وخمسمائة». يقول المحقق: أن هذه الترجمة لم ترد في عقود الجُمان هذا.

(٢) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

وَعَلِمْتُ أَنَّكَ للخَطَايَا غَافِرٌ ... فَخَطَوتُ نَحوكَ خَاضِعاً مُسْتَغْفِرا
/ ٤ب/ أَضَعُ الجَبِينَ عَلَىٰ الثَّرَىٰ مُتَذَلِّلاً ... وأُمِرُّ خَدِّي فِي التُّرابِ مُعَفِّرا
وأُقَبِّلُ العَتَبَاتِ مِنْ شَغَفٍ بِهَا ... وَأَقُومُ فِي أَفْنَائِهَا مُسْتَغْفِرَا[١]
فَلَعَلَّ لَيلَ الهَجْرِ يُقْضَىٰ نَحْبُهُ ... وَصَبَاحَ يَومِ وِصَالِنَا أَنْ يُنْشَرَا
وَيَعُودَ قَلْبِي بِالمَسَرَّةِ آهِلاً ... فَلَطَالَمَا كَانَ اليَبَابَ المُقْفِرَا
يَا سَادَةً هَزَمُوا جُمُوعِي فِي الهَوَىٰ ... وَدَعُوا دُمُوعِي فَاسْتَجَابَتْ نُفَّرَا
بِكُمُ حَلَفْتُ لَيَظْفَرَنَّ مُؤَمِّلٌ ... بِكُمُ عَلَيكُمْ قَدْ أَتَىٰ مُسْتَنْصِرَا
يَا فَاطِرِي كُنْ حَاضِراً فِي خَاطِرِي ... فَمَتَىٰ خَطَرْتَ يَحِقُّ لِي أَنْ أَخْطِرَا
. . . . . القُلُوبِ عَلَىٰ العُيُونِ وَإِنَّهَا ... لَجَدِيرَةٌ بِمَكَانِهَا أَنْ تَفْخَرَا
هَاتِيكَ نَاظِرَةٌ إِلَيكَ وَهَذِهِ ... مَحْجُوبَةٌ مَمْنُوحَةٌ أَنْ تَنْظُرَا
لاَ يَشْمَتِ الأَعْدَا فَمَدْحِي فَائِزٌ ... وَلِسَانُ شُكْرِي عَاجِزٌ أَنْ يَشْكُرَا
بَعْدَ ازْوِرَارِهُمُ زِيَارَةُ أَحْمَدٍ ... وَخَرَجْتُ مِنْ حَلَبَ إِلَى أُمِّ القُرَىٰ
بَلَدٌ أُقَلِّبُ مِنْ حَصَاهُ جَوَاهِراً ... وَأَشَمُّ مِسْكاً مِنْ ثَرَاهُ أَذْفَرَا
فِيهِ النَّهَارُ بَوَاكِرٌ وَأَصَائِلٌ ... وَاللَّيلُ لاَ يَنْفَكُّ فِيهِ مُقْمِرَا
تُمْلِي الرِّيَاحُ رَسَائِلاً عَنْ بَرِّهِ ... فَتَمِيلُ مِنْ أَرَجٍ يَفُوقُ العَنْبَرَا
وَمَتَىٰ جَرَىٰ . . . . . مَرْكَبٌ ... نَاهِيكَ فِي الدَّارَيْنِ ذَلِكَ مَتْجَرَا
/ ٥أ/ مَا أَبْرَدَ الحَرَّ الشَّدِيدَ لِغُلَّةِ الحُرِّ السَّدِيدِ إِذَا تَحَنَّفَ فِي حِرَا
وأَلَذَّ خَوْفَ الخَيْفِ فِي قَلْبِ امْرِىءٍ ... حَسِرِ الأَمَانِي عِنْدَهُ أَنْ يَحْسِرَا
يَا لَيتَ شِعْرِي هَلْ تَعُودُ عَوَارِفٌ ... عَرَّفَتْنِي عَرَفَاتِهَا وَالمَشْعَرَا
صُفْرِ الرِّدَاءِ مِنَ التُّقَىٰ وَسَلَبْتَنِي ... ثَوْبَ الرَّدَىٰ كَرَماً وَضَنَّ المِئْزَرَا
أَيَّامَ طَيبَةُ فِي خَفَارَةِ طَيِّبٍ ... رَفَعَ المَنَارَةَ ذِكْرُهُ وَالمِنْبَرَا
لَمَّا تَرَ الأَبْصَارُ خَلقاً مِثْلَهُ ... مُذْ كُنَّ فِي مُقَلِ العُيُونِ وَلاَ تَرَىٰ
فَتَبَارَكَ المَلِكُ الَّذِي أَحْيَا بِهِ ... مَيْتَ الهُدَىٰ وَبِهِ أَمَاتَ المُنْكَرَا
كَمْ . . . . . أَبْغِيهِ وَعُدْتُ مُفَلِّسَاً ... فَرَجَعْتُ مِنْ شَوقٍ إِلَيْهِ مُبَكِّرَا

---

(١) لعلها «مستعفراً».

مِـنْ دُوْنِ قُـرْبِـكَ لِـيْ بِحَـارٌ سَبْعَـةٌ ... أَرْجـو الشَّفَـاعَـةَ منْـكَ فِيْهَـا مَعْبَـرَا
عَسِـرٌ لقَـاؤُكَ غَيْـرَ أَنِّـي آمِـلٌ ... أَبَـداً بفَضْـلِ اللهِ أَنْ يَتَيَسَّـرَا
[مَـنْ كَـانَ يُـؤمِـنُ . . . . نَكِيـرَ إذا أَتَـى والمُنكَـرَا][١]
وَاخَجْلَتَـا إنْ زَاغَ عنـدَكَ مَـوقِفِـي ... فَمَـدَدْتُ كَفَّـاً فِـيْ نـدَائِـكَ أَبْتَـرَا
أَنْـتَ الخَلِيْـقُ مِـنَ الخَلِيْقَـةِ كلِّهـا ... بحَقِيْقَـةِ البَيْـتِ الحَفِيـفِ عَلَـى السُّـرَى
مَـنْ ذَا يُنَـافِحُنَـي وَذِكْـرُكَ مَنْـدَلٌ ... أَوْرَدْتُـهُ مِـنْ نَـارِ فِكْـرِي مَجْمَـرَا
ذِكْـرٌ يُغَـارُ المِسْـكُ طَيِّـبَ عَـرْفِـهِ ... وَيَغَـارُ مِنْـهُ النَّيِّـرَانِ إذَا جَـرَى
يَـا سَيِّـدَ الكَـوْنَيْـنِ هَـلْ مِـنْ نَظْـرَةٍ ... فَلَعَـلَّ كَسْـرَ قُلُـوبِنَـا أَنْ يُجْبَـرَا
/ ٥ب/ قَـدْ كَـانَ عَبْـدُكَ بِـالعَـرَاءِ مُضَيَّعـاً ... واليَـومَ عنْـدَكَ لا يُبَـالِـي مَـا عَـرَا
أَنَـا لائِـذٌ بِـكَ مُسْتَجِيـرٌ عَـائِـذٌ ... أَرْجُـو الشَّفَـاعَـةَ يَـومَ نَـأْتِـي المَحْشَـرَا
لا يَنْثَنِـي أَمَلِـي وَعَيْشِـكَ عَـنْ فَتًـى ... اللهُ فَضَّلَـهُ عَلَـى كُـلِّ الـوَرَى
مِـنْ دُوْنِ بَهْجَتِـهِ سَنَـى شَمْـسِ الضُّحَـى ... والـزِّبْـرِقَـانُ إذَا تَبَـدَّى مُبْـدِرَا
أَفْنَـى الضَّـلاَلَ بصَـارِمٍ وبِصَـامِـرٍ ... وَأَعَـادَ يَضْمُـرُ مَـا أَتَـاهُ مُظْهِـرَا
فِـي جَهْـلِ كِسْـرَى إذْ أَتَـاهُ كِتَـابُـهُ ... عِبَـرٍ[اً] وفِـي أَدَبٍ أَتَـى مِـنْ قَيْصَـرَا
وَخُمُـودُ نَـارِ الفُـرْسِ عِنْـدَ سُفُـورِهِ ... وَالمَـاءُ مِـنْ يَـدِهِ الكَـرِيْمَـةِ إذْ جَـرَى
وَتَحَنُّـفِ الفَـارُوقِ بَعْـدَ تَحَيُّـفٍ ... لَمَّـا أَتَـاهُ . . . . . لَـنْ يُنْكَـرَا
يَـا مَـنْ أَعَـادَ الـدِّيْـنَ أَبيَـضَ نَـاصِعـاً ... وَدَعَـا البَـرِيَّـةَ بَـدْوَهَـا والحُضَّـرَا
وأَقَـامَ مُعْـوَجَّ الأُمُـورِ وَقَـامَ فِـي ... ذَاتِ المُهَيْمِـنِ مُنْـذِراً وَمُبَشِّـرَا
لَـو رَامَ أَهْـلُ الأَرْضِ ضَبْـطَ مَنَـاقِـبٍ ... لَـكَ والبِحَـارُ تَمُـدُّهُـمْ لَتَعَـذَّرَا
لَـمْ أَقْتَصِـرْ حَتَّـى عَلِمْـتُ بِـأَنَّنِـي ... أَبَـداً وإنْ طَـوَّلْـتُ كُنْـتُ مُقَصِّـرَا
وَلَـرُبَّ بَيْـتٍ أَلْـفُ بَيْـتٍ دُوْنَـهُ ... قَـدْ قِيْـلَ كُـلُّ الصَّيْـدِ فِـي جَـوْفِ الفَـرَا
تَحْلُـو القَصِيْـدُ فَلَـوْ تُعَـادُ تَجَمَّعَـتْ ... مَـا كُـلُّ شِعْـرٍ يُسْتَلَـذُّ مُكَـرَّرَا
لَيْـلُ المِـدَادِ إذَا دَجَـتْ آثَـارُهُ ... أَبْـدَى ثَنَـاؤُكَ فِيـهِ فَجْـراً مُسْفِـرَا
/ ٦أ/ فَعَلَيْـكَ صَلَّـى اللهُ عَـدَّ صَـلاَتِـهِ ... وَعَلَـى ضَجِيْعَيْـكَ اللَّـذَيْـنِ تَـوَزَّرَا

---

(١) ما بين المعقوفتين في هامش الأصل.

وَعَلَىٰ القَرَابَةِ والصَّحابَةِ مِثْلَمَا ... قَدْ كَانَ فَضْلُهُمُ لَدَيْكَ مُقَدَّرَا
وَكَسَا قُبُورَكُمُ سَحَائِبُ أَعْيُنٍ ... تَهْوَىٰ لِقَاءَكُمُ رِدَاءً أَخْضَرَا
عَدِمَ النَّظِيرَ فَلاَ يَزَالُ مُكَلَّلاً ... بِالقَطْرِ بِالنَّهْرِ النَّمِيرِ مُجَوهَرَا

وأنشدني لنفسه أسعده الله تعالىٰ، في الله ـ جلَّ جلاله وتقدَّستْ أسماؤه:

[من الطويل]

جَلاَلُكَ أَعْلَىٰ أَنْ يُحَدَّ لَهُ كُنْهُ ... وَجُودُكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُحَادَ بِنَا عَنْهُ
وَأَنْتَ الَّذِي كُلُّ الأُمُورِ حَقِيقَةً ... إِلَيهِ انْتِهَاهَا وَابْتِدَاءَتُهَا مِنْهُ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَغْفِرْ ذُنُوبِي تَكَرُّمًا ... فَقُلْ لِيَ الَّذِي أَرْجُوهُ يَغْفِرُهَا مَنْ هُوْ
كَمَا صُنْتَ وَجْهِي عَنْ عِبَادَةِ عَاجِزٍ ... فَقَلْبِي الَّذِي يَخْشَاهُ أَوْ يَرْتَجِي صُنْهُ
صَحِبْتُ أُنَاسًا أَخْلَفُوا الظَّنَّ فِيهِمُ ... فَمَا قَالَ قَلْبِي قَطُّ عَنْ وَاحِدٍ خُنْهُ
فَلاَ تَقْبَلَنْ يَا صَاحِ فِي الحُبِّ حَبَّةً ... جُزَافًا وَلَكِنْ بِالوَفَا فِي الخَفَا زِنْهُ

وأنشدني أيضًا لما قصد الحجَّ ثم توجه إلىٰ زيارة النبيِّ ﷺ وأنشدها عند قبره الشريف: [من الكامل]

/٦ب/ عَظُمَ المُقَامُ وَجَلَّ عَنْ أَنْ يُوصَفَا ... فَاحْفَظْ جُفُونَكَ هَيْبَةً أَنْ تَطْرِفَا
نُورُ النُّبُوَّةِ سَاطِعٌ مُتَلأْلِيءٌ ... فَاغْضُضْ لِحَاظَكَ خَشْيَةً أَنْ تُخْطَفَا
قَبْرُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَمَكَانُهُ ... للهِ ذَلِكَ مَا أَجَلَّ وَأَشْرَفَا
قِفْ بَيْنَ مِنْبَرِهِ الشَّرِيفِ وَقَبْرِهِ ... وَاهْتِفْ بِشِعْرِكَ فِي مَدِيحِ المُصْطَفَىٰ
وَاذْكُرْ خَلاَئِقَهُ الكَرِيمَةَ إِنَّهُ ... يُغْنِيكَ صِدْقُكَ فِيهِ عَنْ أَنْ تَحْلِفَا
سَلَّ الإِلَهُ عَلَىٰ الطُّغَاةِ . . . . صَلَّىٰ الإِلَهُ عَلَيهِ سَيْفًا مُرْهَفَا

وأنشدني لنفسه، في القاضي الإمام زين الدين أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن ابن علوان الأسدي الحلبي، وهو يومئذ متولي الحكم بحلب المحروسة، أنشدها بعض الوعاظ بين يديه، وهي صورة دعوىٰ تعرض فيها بمديح السلطان الملك العزيز بن غازي بن يوسف ـ رحمه الله تعالىٰ ـ [من الخفيف]

إِدَّعَىٰ أَيُّهَا الإِمَامُ المُرَجَّىٰ ... حَاكِمُ المُسْلِمِينَ قَاضِي القُضَاةِ
أَنَّ هَذَا السلطَانَ خَيْرُ مُلُوكِ الأَرْضِ [طُرّاً] ووَاحِدُ العَزَمَاتِ

/ ٧أ/ مَـــالِـــكٌ حَـــائِـــزٌ قُلُـــوبَ رَعَـــايَـــاهُ بِـــإِحْسَـــانِـــهِ وَبِـــالحَسَنَـــاتِ
وَلَـــهُ شَـــاهِـــدَانِ عَـــدْلاَنِ عَـــدْلٌ فِـــي نَـــوَالٍ كَنِيلِهَـــا والفُـــرَاتِ
لَـــمْ يَبْـــغِ مَنْصِـــبَ الشَّـــرِيعَـــةِ بِـــالمَـــالِ وَلاَ اعتـــاضَ عَنْـــهُ بِـــالتُّـــرَّهَـــاتِ
فَـــاسْتَخِـــرْ رَبَّـــكَ المُهَيْمِـــنَ وَاحْكُـــمْ لِعُـــلاهُ بِـــأَشْـــرَفِ الـــدَّرَجَـــاتِ
حُكْـــمَ أَتْقَـــى الـــوَرَى لِخَيْـــرِ بَنِـــي الـــدُّنْيَـــا جَمِيعًـــا بِـــأَوْضَـــحِ البَيِّنَـــاتِ

وأنشدني لنفسه أيضًا، في القاضي زين الدين، واتفق يوم جلس للقضاء جاء الغيثُ متواليًا، وكثر مجيئه: [من المنسرح]

قَـــدْ عَجِـــبَ العَـــالَمُـــونَ إِذْ نَظَـــرُوا يَـــومَ تَـــوَلَّيْـــتَ كَثْـــرَةَ المَطَـــرِ
لاَ تَعْجَبُـــوا إِنَّهَـــا لَمَنْقَبَـــةٌ خُـــصَّ بِهَـــا دُونَ سَـــائِـــرِ البَشَـــرِ
تَكَـــدَّرَ الجَـــوُّ مِـــنْ مُشَـــارَكَـــةٍ أَمَّلَهَـــا الجَـــاهِلُـــونَ لَـــمْ تَصِـــرِ
فَهَـــذِهِ نِعْمَـــةُ الإِلَـــهِ عَلَـــى الأَرْضِ طَهُـــورٌ مِـــنْ ذَلِـــكَ الـــوَضَـــرِ

وأنشدني لنفسه: [من الكامل]

أَنَـــا إِنْ عَجِبْـــتُ لِمَـــنْ أَضَـــاعَ مَـــوَدَّتِـــي فَمِـــنَ المُضَيِّـــعِ وَفِعْلِـــهِ أَنَـــا أَعْجَـــبُ
مَـــا فِـــي البَـــرِيَّـــةِ كُلِّهِـــمْ مِـــنْ وَاحِـــدٍ يُـــرْجَـــى وَلاَ فِـــي النَّـــاسِ شَخْـــصٌ يُصْحَـــبُ

/ ٧ب/ وأنشدني من شعره أيضًا: [من مجزوء الكامل]

قَـــدْ كُنْـــتُ أَعْجَـــبُ أَنَّنِـــي فِـــي ظِـــلِّ شَمْـــسٍ لاَ تَغِيـــبُ
حَتَّـــى بَـــدَا بِقُـــدُومِـــهِ لِلعَـــالَـــمِ العَجَـــبُ العَجِيْـــبُ
الـــرِّيْـــحُ تَكْنُـــسُ طَـــرْفَـــهُ وَيَـــرُشُّهَـــا الغَيْـــثُ السَّكُـــوبُ
وَيُـــرَى فَيُحْسَـــبُ وَحْـــدَهُ وَعَلَيْـــهِ تَـــزْدَحِـــمُ القُلُـــوبُ

وأنشدني لنفسه، ما كتبه إلى صديق له وقد اجتمع به يومًا: [من مجزوء الكامل]

يَـــوْمٌ سَـــرَقْـــتَ سُـــرُوْرَهُ مِـــنْ حِـــرْزِ صَـــرْفِ الـــدَّهْـــرِ حِـــرْصَـــا
لِيَقُـــومَ عُـــذْرُكَ بَعْـــدَهَـــا فَـــإِذَا قَطَعْـــتَ قَطَعْـــتَ لِصَّـــا

وأنشدني أيضًا قوله: [من الكامل]

جَـــاءَ الشِّتَـــاءُ وَلَيْـــسَ عِنْـــدِي جُبَّـــةٌ تُـــدْفِـــي وَلاَ تَصْحِيفُهَـــا فِـــي الكِيْـــسِ
. . . . الـــدُّيُـــونُ عَلَـــى كُـــلٍّ . . . . جُمَـــلٌ مِـــنَ التَّنْجِيْـــشِ وَالتَّـــدْلِيـــسِ

حَتَّىٰ لَقَدْ أُلْبِسْتُ مِنْ نَسْجَيْهِمَا ... عَمْداً عَلَىٰ شَرَفٍ ثِيَابَ حَسِيسِ
مَا ضَرَّ فَقْرُ يَدٍ لِمَنْ كَانَتْ لَهُ ... نَفْسٌ تَجُودُ غِنًى بِكُلِّ نَفِيسِ
/٨أ/ ضاقت عليَّ يدي وصدري واسع ... ثِقَةً بِمَنْ بِيَدَيْهِمُ تَنْفِيسِي
وَلَأَرْكَبَنَّ العِيسَ نَحْوَهُمُ عَسَىٰ ... يُدْنِي لِقَاءَهُمُ رُكُوبُ العِيسِ

[٣٢٧]

عبدُ العَزيْز بنُ عبد الرحمن بن أحمدَ بن هبة الله بن أحمدَ بن عليِّ بن الحسين بن محمد بن جعفر بن عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مُصْعَب بن رُزَيق ـ بتقديم الراء المهملة وضمَّة على الزاي المعجمة ـ، أبو بكرٍ الحمويُّ، المعروفُ بابنِ قرناصٍ[(١)].

من بيت معروف بحَمَاه شاهدتُهُ بحلب المحروسة في سنة ثمان وثلاثين وستمائة، وهو نازل بخانقاه القاضي بهاء الدين أبي المحاسن يوسف بن نافع بن تميم بن شداد الأسدي الموصلي.

وسألته عن ولادته؛ فقال: ولدت في ليلة الجمعة تاسع عشر ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وخمسمائة؛ فرأيته رجلاً عاقلاً لبيبًا فاضلاً متدينًا ذا سَمْت حسن وسكون، له يد في النظم والنثر، يتفقه على مذهب الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ وله رسائل مدونة، وشعر إلاَّ أنه /٨ب/ لم يثبت من أشعاره شيئًا، ولم يعترف بها لكونها غير مرضية عنده، فاستمليتُ منه أن أكتب شيئًا منها، فلم يُجبْ إلىٰ ذلك وأبىٰ، ثم أملىٰ عليَّ هذه القصيدة اللامية، يمدح بها النبيَّ ﷺ وقال: لو لم تكن هذه الأبيات مديحًا في الرسول ﷺ لما أنشدتك شيئًا من شعري: [من البسيط]

هَبَّتْ عُيُونُ القَوَافِي مِنْ كَرَىٰ الخَطَلِ ... لَهَا خُشُوعٌ وإِغْرَاءٌ عَنِ الغَزَلِ
وَأَصْلَتَ الجِدُّ عَضْبًا مِنْهُ مُقْتَحِمًا ... حِمَىٰ القَرِيضِ فَأَضْحَىٰ مِنْهُ فِي وَهَلِ

(١) في هامش الأصل: «توفي في سنة أربع وخمسين وستمائة».
ترجمته في: مجمع الآداب ٤/ ٣٦٧ نقلاً عن القلائد. الوافي بالوفيات ١٨/ ٥١٩. ذيل مرآة الزمان ١/ ١٩. شذرات الذهب ٥/ ٢٦٥. عيون التواريخ ٢٠/ ٩٨ ـ ١٠٠.

وَتَـنَافَسَتْ فيه أُوزانُ العروض فَمَا سَعَىٰ السَّرِيْعُ إليه سَابِقَ الرَّمَلِ

وَأَقْبَلَتْ تَتَهَادَىٰ شُرَّعاً ذُبُلُ اليَرَاعِ تَهْزَأُ بالخَطِّيَّةِ الذُّبُلِ

كُلٌّ يُؤَمِّلُ بالسَّعْيِ القَبُوْلَ لَدَىٰ مَنْ لَمْ يَبُؤْ منْهُ بالإخْفَاقِ ذُو أَمَلِ

فَذَرْ يَرَاعَكَ يُذْرِيْ أَدْمُعاً طَلَلاً عَلَى زَخَارِفَ هَذْرٍ لاَ عَلَى طَلَلِ

وَاجْعَلْ تَوَسُّلَهُ بالصَّفْحِ مُفْتَتَحاً بِحَمْدِ مَنْ حَمْدُهُ مِنْ أَفْضَلِ الوُسُلِ

فَالحَمْدُ للهِ ذِي الطَّوْلِ الَّذِي قَصُرَتْ عَنْهُ يَدُ الشُّكْرِ مِنْ قَوْلٍ وَمِنْ عَمَلِ

رَبِّ السَّمواتِ والأَرْضِ الَّذِي خَشَعَتْ لأَمْرِهِ فَعَنَتْ كَالخُضَّعِ الذُّلُلِ

/ ٩أ/ حَتَّىٰ قَضَاهُنَّ سَبْعاً هُنَّ مُمسَكَةٌ بغَيْرِ مَا عَمَدٍ منْهَا وَلَمْ تَزَلِ

وَزُيِّنَتْ بالنُّجُومِ الزُّهْرِ مُوضِحَةً فِي كُلِّ بَرٍّ وَبَحْرٍ مُبْهَمَ السُّبُلِ

وَسَخَّرَ الشَّمْسَ تَجْرِي فِي مَفَازَتِهَا لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا جَرْيَاً إلَىٰ أَجَلِ

يُزْجِي نَهَاراً فَلاَ يَنْفَكُّ يُولِجُ فِي لَيلٍ وَيُوْلِجُ فيهِ اللَّيلَ بالطَفَلِ

والأَرْضُ بَعْدُ دَحَاهَا ثُمَّ فَجَّرَ فِي أَنْهَارِهَا فِي أَدِيمِ السَّهْلِ والجَبَلِ

وَبَثَّ فيهَا صُنُوفاً مِنْ بَدَائعِ مَا تَظَلُّ فِي فَهْمِهِ الأَفْهَامُ كَالظُّلَلِ

وَللرِّيَاحِ انبعاثٌ حِينَ يَبْعَثُهَا لَوَاقِحاً مُنْشَآتِ الذَّرِّ فِي الهَطَلِ

هَمَتْ عَلَىٰ الأَرْضِ وَاهْتَزَّتْ لَهُ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ كُلَّ زَوْجٍ رَائِقِ الأُكُلِ

فَتُبْدِلُ البِشْرَ مِنْ بَعْدِ القُطُوْبِ بِهِ وَتَكْتَسِيْ وَشْيَ رَوْضٍ مُعْلَمِ الحُلَلِ

صُنْعَ الإلَهِ الَّذِي فِي كُنْهِ حِكْمَتِهِ تَظَلُّ عَنْ كُنْهِهِ الأَفْهَامُ فِي شُغُلِ

وَهَلْ تُحِيطُ بِهِ عِلْماً وَفِي يَدِهِ زِمَامُهَا فَهْيَ تَسْرِيْ وَهْيَ فِي عُقُلِ

لاَ قُطْرَ يَحْوِيْهِ فِي الأَقْطَارِ أَنْشَأَهَا وَلَمْ تَكُنْ مَعَهُ إذْ كَانَ فِي الأَزَلِ

وَعَالِمُ السِّرِّ وَالنَّجْوَىٰ وَغَامِضِ مَا تَحْوِي البِحَارُ وَمُحْصِي الرَّمْلِ وَالسُّبُلِ

وَقُدْرَةٌ أَحْكَمَتْ إنْشَاءَ فِطْرَتِهَا لِتُحْكِمَ العِلْمَ بالتَّفْصِيلِ والجُمَلِ

/ ٩ب/ سُبْحَانَهُ سَارَتِ الأَفْكَارُ جَائِلَةً فِي كُنْهِهِ ثُمَّ عَادَتْ وَهْيَ كَالذُّهُلِ

فَبَيْنَ مُعْتَرِفٍ بالعَجْزِ ذِي دَرَكٍ وَمُدَّعٍ دَرَكاً بالعَجْزِ مُشْتَمِلِ

عَنَتْ لِعِزَّتِهِ الأَلْبَابُ خَاضِعَةً وَثُقِّفَتْ مِنْ ضَلاَلِ الزَّيْغِ وَالمَيْلِ

بِنُورِ مَعْرِفَةٍ أَهْدَاهُ فَجْرُ هُدَىً لِلنَّاسِ مَطْلَعُهُ مِنْ خَاتَمِ الرُّسُلِ

مُحَمَّدِ المُصْطَفَىٰ خَيْرِ البَرِيَّةِ مَنْ بِهَدْيِهِ افْتَرَّ ثَغْرُ الدَّهْرِ مِنْ جَذَلِ

مَـنْ خصَّـهُ اللهُ بـالـزُلْفَـى فَـأَرْسَلَـهُ　　فـي آخـر الـرُّسْـل ذَا فَضْـل عَلَـىٰ الأُوَل
وَخُـصَّ بـالمُعْجـزَات البَـاهـرَات أَضَـاءَتْ فـي البَصَـائـر ضَـوْءَ الشَّمْـس فـي المُقَـل
عَنَـتْ لَـهُ أَرْؤُسٌ للحَـقِّ صَـاغـرَةٌ　　لَـمْ تَعْـنُ مَـنْ غَيْـره للبِيْـض وَالأَسَـل
فَجَاءَهُـمْ بكتَـاب أَخْـرَسَ اللُّسُـنَ الفصَـاح　　مـنْ آخـر منْهُـمْ وَمَـنْ أُوَل
وَعَـادَ عَنْـهُ جُـذَاذاً حَـدُّ ٱلْسَنَـة　　غُلْـب إذَا عَـادَ حَـدُّ السَّيْـف ذَا فَلَـل
وَحَـلَّ مـنْ شَـرَف الإسْـرَاء مَنْـزلَـةً　　يَفُـوتُ شَـأْوُ مَـدَاهَـا نَـاظـرَ الأَمَـل
وَانْشَـقَّ فـي أُفْقـه البَـدْرُ المُنيْـرُ لَـهُ　　لمَّـا نَـأَىٰ عَـنْ ذُرَاهُ نَـأْيَ مُنْتَقـل
فَضَمَّـهُ رَحْمَـةً منْـهُ فَسَكَّنَـهُ　　وَعَـادَ يُبْـدي أَنيـنَ المُـدْنَـف الـوَجـل
وَأَخْجَـلَ الشُّهْـبَ لَمَّـا فُجِّـرَتْ غُـدُرٌ　　مـنْ بَيْـن أَنْمُلـه كَـالـوَاكـف الهَمـل
وَطَـالَمَـا كُفلَـتْ بـالـرِّيِّ إذْ بسطَـت　　للغَيْـث تَبَسُّـطُ منْـهُ السُّحْـبَ كَـالطَّلَـل
/١٠أ/ وَطَـالَمـا طعَـمَ الجَيْشُ اللُّهَامُ بهَا　　حَـدَّ الكفَـايَـة مَـا لَـمْ يكْـف للـرَّجُـل
وَطَـالَمـا صَـافَحَـتْ مَـنْ شَفَّهُـمْ علَـلٌ　　للْـوَقْـت منْهُـمْ شَفَـتْ مَـا كَـانَ مَنْ علَـل
وَلَـوْ غَـدَتْ أَلسُـنُ الأَقْـلاَم مُحْصيَـةً　　آيَـاتـه نَـالَهَـا عـيٌّ وَلَـمْ تَنَـل
إلَـىٰ مكَـارم أَخْـلاَق تُبَيَّـنُ مَـنْ　　نَقْـص البَليْـغ تَعَـاطَـىٰ وَصْفُهَـا الكُمَّـل
وَمُحْتَـذ فـي العُـلاَ وَالنُّبْـل أَثْبَـتُ مـنْ　　طَـوْد وَلَكنَّـهُ أَسْـرَىٰ مـنَ المَثَـل
وَمَـا الَّـذي يَبْلُـغُ المُثْنـي عليـه وَقَـدْ　　أَثْنَـىٰ الإلَـهُ عَلَـىٰ أَخْـلاَقـه الفُضُـل
فَلَـمْ يـزَلْ فـي رضَـا الـرَّحْمَـن يَـدْأَبُ فـي　　إنْضَـاء عَـزْم لصَـوْن الـدِّيْـن مُبْتَـذَل
مُبَلِّغـاً كَلمَـات الله مُـوضحَـةً　　سُبْـلَ الـرَّشَـاد بقَـوم ضُلَّـل غُفُـل
والشِّـرْكُ يجمـعُ فـي فَضْـل العنَـان فَمَـا　　لـذي يَـد . . . . منْـهُ مـنْ قبَـل
حَتَّـىٰ تَـزحـزح ليـل الغَـيِّ يَـدْأَبُ فـي السُّـرَى بفَخْـر هُـدًى فـي إثْـره عَجـل
أَفْـديـه مـنْ نَـاصـر لله مُنْتَصـر　　أَبَـادَ فَـرْداً عَـديـدَ الجَحْفَـل الـزَّجـل
وَقَـلَّ ذَاكَ لمَـنْ كَـانَـتْ مَـلاَئكَـةُ الـ　　ـرحمَـن أَنْصَـارَهُ في الحَـرْب كَـالْخَـوَل
وَلَيْـتَ شعْـري إلـىٰ مَـا يَنْتَهـي وَلَهَـا　　طَـرْفُ اللِّسَـان . . . . . غيـر ذي مَهَـل
وَكُـلُّ نُبْـل مَقَـال رَامَ مَـدْحَتَـهُ　　يَغْـدُو ضَئيـلاً لَـدَى أَوْصَـافـه النُّبُـل
لكـنَّ مَـدْحـي لَـهُ جَهْـدَ المُقـلِّ عَسَـىٰ　　حُسْنَـىٰ مـنَ القَـوْل تمحـو سَيِّـيءَ العَمَـل
/١٠ب/ يَا خَيْـرَ مَنْ أَعْمَلَتْ أَيْدي الرِّكَاب لَهُ　　وَخيـر هَـادٍ هَـدَانَـا أَشْـرَفَ المِلَـل

إنَّ الشَّقَاوَةَ عَاقَتْ شَائقاً فَلَهُ ... نُزُوعُ ظَمآنَ مَمْنُوعٍ مِنَ النَّهَلِ
يَوَدُّ لَو كَانَ فِي ذَاكَ المُقَامِ لَهُ ... تَعْفِيرُ مُسْتَغْفِرٍ فِي الذُّلِّ مُنْجَدِلَ
كَم أنْتَحي منكَ أقْدَاماً مُكَرَّمَةً ... فِي أرْغَدِ الحُلْمِ بِالتَّعْفِيرِ وَالقُبَلِ
وَقَلَّ ذَاكَ لِمَنْ لَو كَانَ مُنْتَعِلاً ... وَجْهِي لَقَلَّ لَهُ فِعْلاً لِمُنْتَعِلِ
وَقَدْ سَرَتْ نَفَثَاتُ الصَّدْرِ يَحْمِلُهَا ... رَجَاءَ عَفْوٍ بِحَبْلٍ مِنكَ مُتَّصِلِ
فَأنْتَ خَيْرُ شَفِيعٍ لِلأنَامِ إلَىٰ ... عَفْوِ الإلَهِ وَعَفْوُ النَّائِلِ النَّفَلِ
فَسَلْهُ لِي أجَلاً إحْمَادَ خَاتِمِهِ ... وَعَاجِلاً لُطْفَ صُنْعٍ مُصْلِحٍ خَلَلِي
وَسَلْهُ رِضْوَانَهُ عَنْ وَالِدَيَّ إذَا ... دَعَاهُمَا لِيَحِلاَّ أكْرَمَ النُّزُلِ
يَا مَنْ يُجِيبُ لِدَاعِيهِ وَقَدْ بَسَطَ ... الرَّجَاءَ مِنْهُ إلَيهِ كَفُّ مُبْتَهِلِ
أدْعُوكَ دَعْوَةَ عَبْدٍ خَاشِعٍ فَرِقٍ ... مِمَّا تَكَنَّفَهُ مِنْ سَالِفِ الزَّلَلِ
ألْهَاهُ عَنْ رُشْدِهِ تَسْوِيفُ مُعْتَمِدٍ ... لِبُطْءِ تَوْبَتِهِ مَعْ سُرْعَةِ الأجَلِ
وَحُكْمُ أشْتَاتِ أهْوَاءٍ مُصَرِّفَةٍ ... عِنَانَ آرَائِهِ فِي مَهْمَهِ الأمَلِ
وَلَيْسَ تَعْنُو لَهُ نَفْسٌ لِحُكْمِ هُدَىً ... إلاَّ لِحَظٍّ لَهَا تَحْظَىٰ بِهِ جَلَلِ
فَكَيفَ تُبْصِرُ رُشْداً مِنْ مَذَاهِبِهِ ... أحْكَامُهَا أبداً مَدْخُولَةُ العِلَلِ
/ ١١أ/ وَقَدْ أتَيْتُكَ أرجُو لُطْفَ صُنْعِكَ فِي ... مُبَرَّأ العَزْمِ مِنْ حَولِي وَمِنْ حِيَلِي
مُسْتَشْفِعاً بِشَفِيعٍ لاَ يُرَدُّ إذَا ... مَا رُجَّتِ الأرْضُ والألبَابُ مِنْ وَجَلِ
صَلَّىٰ عَلَيْهِ الإلَهُ زَادَهُ شَرَفاً ... وَخَصَّهُ بِسَلامٍ عَاطِرٍ هَمَلِ[1]
وَخَصَّ رُوحَ ضَجِيعَيْهِ بِرَوْحِ رِضاً ... يَرْوِي ضَرِيحَيْهِمَا كَالعَارِضِ الهَمِلِ
وَسَائِرِ الآلِ والأصْحَابِ مَا هَتَفَتْ ... وُرْقُ الحَمَائِمِ بِالأسْحَارِ وَالأُصُلِ

[٣٢٨]

عبدُ العزيز بنُ محمد بن عبد المحسن بن محمد بن منصور بن خلف، أبَو محمد بَنُ أبي عَبدِ الله الأنصاريُّ، المَعروفُ بابنِ الرَّفَّاءِ[2].

---

(١) ماء همل: سائل لا مانع له.

(٢) في هامش الأصل: «شرف الدين».

من أهل دمشق، وجَدّه عبد المحسن كان رَفَّاءً، وكان والد عبد العزيز هذا، فقيهًا شافعيًا، يتولّىٰ القضاء بمدينة حماة.

وأبو محمد عبد العزيز نزل حماة واستقرَّ مقامه مرتزقًا بجراية المدرسة، يتناولها، وترقت به الحال إلى أن اتصل بصاحبها الملك المظفر أبي الفتح محمود بن محمد بن عمر بن شهنشاه بنَ أيوب بن شاذي، واستخصه من بين نظرائه وأشكاله وقدمه، وكان ينفذه رسولاً إلى البلاد الروميّة / ١١ب/ والديار المصرية وغيرها، وجعله شيخ الشيوخ، وحظي لديه، وقُرِّبَ منه، ومشت أحوالهُ، واكتسب بالترسل وَفْراً صالحًا، وصار له نعمة واسعة.

صار إليّ من شعره قصيدة، ثم بعد ذلك خبرت أنه قدم حلب المحروسة في رسالة، فمضيت إليه، وهو نازل بظاهر المدينة، واستصحبت القصيدة، وكان اجتماعي به يوم الأحد سادس صَفر سنة خمس وثلاثين وستمائة.

وهو رجل رَبْعَةٌ، كهْلٌ إلاَّ أن البياض غالب عليه، كثّ اللحية. وسألته عن ولادته، فذكر أنَّه ولد بُكْرَةَ يوم الأربعَاء الثاني والعشرين من جمادىٰ الأولى سنة ست وثمانين وخمسمائة بدمشق.

= ترجمته في: فوات الوفيات ١/ ٥٩٨ ـ ٦٠٧. الوافي بالوفيات ١٨/ ٥٤٦ ـ ٥٥٦ وفيه: «توفي سنة اثنتين وستين وستمائة». ذيل الروضتين ص٢٣١. ذيل مرآة الزمان ٢/ ٢٣٩ ـ ٢٧٧. تالي كتاب وفيات الأعيان ٩٧ ـ ٩٨. طبقات السبكي ٨/ ٢٥٨. العبر ٥/ ٢٦٨. تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٤٣. النجوم الزاهرة ٧/ ٢١٤ ـ ٢١٥، ٢١٨. المنهل الصافي ٧/ ٢٩٣ ـ ٢٩٩ رقم ١٤٤٣ وفيه: «توفي ليلة الجمعة ثامن شهر رمضان سنة اثنتين وستين وستمائة بحماة». شذرات الذهب ٥/ ٣٠٩. بغية الوعاة ٢/ ١٠٢ رقم ١٥٤٩. تاريخ الإسلام (السنوات ٦٠١ ـ ٦١٠). مسالك الأبصار ـخ/ ج٨. مشيخة قاضي القضاة ابن جماعة ١/ ٣٤٣ ـ ٣٥١ رقم ٣٧. منتخب المختار من ذيل تاريخ بغداد لابن رافع ١١٢ ـ ١١٤. المختصر في أخبار البشر ٣/ ٢١٩. دول الإسلام ٢/ ١٦٧ ـ ١٦٨. الإعلام بوفيات الأعلام ٢٧٧. المعين في طبقات المحدثين ٢١١ رقم ٢٢٠٧. الإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٥٩ ـ ٣٦٠. السلوك ج١ ق٢/ ٥٢٣. ذيل التقييد ٢/ ١٣٣ رقم ١٢٩٤. الدليل الشافي ١/ ٤١٧ رقم ١٤٣٧. تأريخ ابن سباط ١/ ٤٠٩. بدائع الزهور ج١/ ق١/ ٣١٩. الأعلام ٤/ ٢٥. عقود الجُمان للزركشي ١٨٣.

له ديوان شعر «ديوان الشرف الأنصاري» مصور في مكتبة ليدن، وأخرى في مكتبة بيازيد الثاني رقم ٢٦٦٩.

وأخذ طرفًا من فقه الإمام الشافعي عن والده، ثم علىٰ تقي الدين عبد الله قاضي حماة، وسمع الحديث علىٰ جماعة كثيرة من المشايخ؛ كعبد المنعم بن الحراني وغيره، وتأدّب وقرأ القرآن الكريم علىٰ الشيخ أبي اليمن زيد بن الحسن الكندي، وقال أشعاراً مستجادة في مدح وغزل وأوصاف، وغير ذلك، اشتهرت عنه، وتداولها /١٢أ/ الناس، ولم يكن في الوقت مجال لأُعلق عنه شيئًا من قِبَله غير أني استنشدتهُ القصيدةَ التي صحبتني فأنشدنيها، وهي مديح في الملك المظفر أبي الفَتح محمود بن محمد بن عمر ـ صاحب حماة ـ ثم قال لي مخاطبًا: أتيتني في وقت ضيِّق، ونحن علىٰ أُهْبَة السفر غداةَ غَد، فإن وفق الله تعالىٰ بعد ذلك بالاجتماع علّقت لك مقطعات مختارة حسنة ما ينبغي أن تسطرً في تاريخ.

وأنشدني مقطوعة لنفسه، كتبها إلىٰ القاضي أبي الفضائل عبد العزيز ابن عبد الرحمن بن أبي عصرُون، وقد أهدى لَه ديوان أبي نصر عبد العزيز بن نباتة الشاعر، والقصيدة هذه: [من الكامل]

أَهْدَىٰ إِلَيَّ لَوَاعِجَ الأَشْوَاقِ ... نَظَرَ الغَرِيْقِ وَقَدْ أُجِدَّ فِرَاقِي

لَيْسَ الفَرائِضُ بِالمَقَاتِلِ إِنَّمَا ... بَيْنَ الجُفُونِ مَقَاتِلُ العُشَّاقِ

مَنْ لِي بِرَيَّانِ المَعَاطِفِ أَهْيَفٍ ... وَاهِي عُقُودِ الخَصْرِ والمِيثَاقِ

رَاعَتْ حَلَاوَتُهُ وَرَاقَ جَمَالُهُ ... فَأَخَافَ كُلَّ مُتَيَّمٍ مُشْتَاقِ

بِسَقِيْمِ صَدٍّ مَالَهُ مِنْ مُبْرِىءٍ ... وَسَلِيمِ صُدْغٍ مَالَهُ مِنْ رَاقِي

/١٢ب/ مَلَكْتُهُ رِقِّي وَعِفْتُ لِحُبِّهِ ... ذَنْبَ الإِبَاقِ وَقُرْبَةَ الإِعْتَاقِ

نَامَتْ عُيُونُ وُشَاتِنَا سِلْمًا فَكَمْ ... قَامَتْ لِحَرْبِ عِتَابِنَا مِنْ سَاقِ

جَاذَبْتُهُ أَطْرَافَ كُلِّ طَرِيْفَةٍ ... فِي العَتْبِ لَمْ تَنْفُقْ بِسُوقِ نَفَاقِ

وَتَعَارَضَتْ أَقْوَالُنَا فَتَعَارَضَتْ ... سُعُرُ القُلُوبِ وَأَبْحُرُ الآمَاقِ

فِي رَوْضَةٍ لِلنَّارِ مِنْ نُوَّارِهَا ... لَهَبٌ بِفَائِضِ مَائِهَا الرَّقْرَاقِ

رَاحِي بِهَا عَذْبُ الرُّضَابِ وَنُزْهَتِي ... وَرْدُ الخُدُودِ وَنَرْجِسُ الأَحْدَاقِ

أَفْدِيهِ مِنْ حُلْوِ الفُكَاهَةِ وَاللَّمَا ... أَضْحَىٰ يُسَاقِينِي الهَوَىٰ وَأُسَاقِي

مُتَلَوِّنٍ أَشْفَقْتُ عِنْدَ وِصَالِهِ ... مِنْ هَجْرِهِ فَضَنِيْتُ مِنْ إِشْفَاقِي

بَدْرٌ يَزِيْدُ سَنًى أَزِيدُ بِهِ ضَنًى ... حَتَّىٰ كَأَنَّ تَمَامَهُ لِمُحَاقِي

قُبْحُ الصُّدُود تقيْه عَيْنُ كَمَالِه ... وَاللهُ للْمَلِك المُظَفَّر وَاقِي
مَلِكٌ تكَامَلَ في بَهَاهُ وَحْدَهُ ... وَفَخَاره وَالخَلْق وَالأَخْلاق
وَقَّى تَحَلُّمَ سُخْطِه وَرِضَاهُ في ... سَلْب النُّفُوس وَقِسْمَة الأَرْزَاق
يُردي وَيُحيي في وَغَاهُ وَسلْمه ... فَيُذيقُ طَعْمَ السُّمِّ والدِّرْيَاق
لسطَاهُ في التَّهْذيب والتَعْذيب مَا ... للنَّار في الإنْضَاج وَالإحْرَاق
كَالغَيْث في الأَزَمَات أوْ كَاللَّيْث في ... الإفْرَاق أوْ كَالشَّمْس في الإشْرَاقَ
/ ١٣أ/ عَقَمَ الحَوَاضنُ عَنْ سَليل مثْله ... فَحَوَى عَقيمَ المُلْكَ بَاسْتحقَاق
وَأَمَدَّ ثَابتَ جَأْشه بيقينه ... فَالنَّصْرُ تَحْتَ لوَائه الخَفَّاق
شَهْمٌ يُحَمِّلُ في الخُطُوب هُمُومَهُ ... مَا شَاءَ مِنْ خَيْلٍ لَدَيْه عتَاق
تَغْدُو مُحَجَّلَةً به فَيُعِيدُهَا ... حُمْرَ القَوائم بالدَّم المُهْرَاق
سَدَّ الثُّغُورَ بصَدْرِ كُلِّ مُسَدَّد ... مَا زال مَرَّاقاً منَ المُرَّاق
نَفَّاذ كُلِّ مُفَاضَة سَقَّى بهَا ... الخَطِّيَّ مثْلَ الخَطِّ في الأَوراق
وَبكُلِّ مَطْرُوْر الغرَار مُهَنَّد ... رَقْرَاق مَاء الصَّفْحَتيْن رُقَاق
عَصَب لأَبطَال الفَرَنْج مُصَحْطِحٍ ... وَلهَامهَا في بَيْضهَا فَلاَّق
وَكَتَائب تَمْحُو بثَابت حَقِّهَا ... مَا للْعدا منْ بَاطل زَهَّاق
أَهْدَتْ إلى الصيف الشِّتَاءَ بسُحْبهَا ... وَالوَيْل والإرْعَاد والإبْرَاق
تَرَكَتْ جُمُوعَ المُشْركينَ لجَمْعهَا ... رَهْني حَديد قَوَاضب وَوَثَاق
قَتَلَتْ كرَامَهُمُ بلاَ قَوَد كَمَا ... نَكَحَتْ كَرَائمَهُمْ بغَيْر صَدَاق
حَتَّى أَعَادَ بهَا ضرَاغمَ صيْدهمْ ... في خيسهَا كَالصَّيْد في الأَوْهَاق
أَعْيَاهُمُ قَاضي العَزيْمَة مَاجدٌ ... زَاكي الفُرُوع مُطَهَّرُ الأَعْرَاق
فَإذَا جرَى وَجَرَى المُلوكُ إلَى العُلاَ ... لَمْ يَطْمَعُوا لغُبَاره بلحَاق
/ ١٣ب/ وَتيَقَّنُوا أنَّ المكَارمَ حَلْبَةٌ ... مَا زَال فيهَا أَسْبَقَ السُّبَّاق
لَجَأُوا إلَى اليأس المُريْح وَلَجَّ في ... حَدٍّ إلَى غَايَاتهَا تَوَّاق
حفظَ البلادَ بسَيْفه الفَتَّاك إذْ ... أغْنَى العبادَ بسَيْبه الدَّفَّاق
نَرْجُوهُ في إعْسَاره وَيَسَاره ... وَنَهَابُهُ في البشْر والإطْرَاق
رَحْبُ الذُّرَى لَمَّا مُنيتُ بِبُعْده ... ضَاقَتْ عَلَيَّ مَسَالكُ الآفَاق

والآنَ إذْ سَمَحَ الزَّمَانُ بقُربه ... فَالشَّامُ شَامي والعراقُ عراقي
محمودُ يا ابنَ مُحَمَّد فُقْتَ الورَى ... مَجْداً يُقصِّرُ عَنْهُ جَهْدُ الرَّاقي
وعَممْتَهُمْ بالجُود ثُمَّ خصصْتَني ... فأطَاعَ دَهْري بَعْدَ طُول شقَاقي
لَمْ يَرم نُطْقي بالفَهَاهَة عنْ مَدَى ... شُكْري ولاَ مَسْعَأيَ بالإخْفَاق
حَبَّسْتُ منْ نَظْمي عليكَ قلائداً ... أبقَى منَ الأطْواق في الأعْنَاق
ولبسْتُ منْ جَدْوَاكَ أنْفَسَ حُلَّة ... لكنَّها تَفْنَى ومَدْحي بَاق
مَاذَا يَصُدُّ قَصائدي عَنْ قَصْدهَا ... وَجَدَاكَ عَنْ بِرِّي وعَنْ إرْفَاقي
بَذْرُ النَّدَى عنْدي بأخْصَب مَنْبت ... والمَدْحُ عنْدَكَ نَافقُ الأعْلاَق
شَرُفَتْ بَنَاتُ قَرائحي فتكَرَّمَتْ ... فَعَرَضْتُهَا في أشْرَف الأسْوَاق
وزَفَفْتُهَا زَفَّ الهَدِيِّ مهنَّاً ... بقُدُوم عيد سيْقَ خَيْرَ مَسَاق
/ ١٤أ/ قَلَّدْتَنا في النَّحْر دُرَّ مَواهب ... أغْرَقْتَ فيهَا غَايَةَ الإغْراق
قَبلَتْ ضَحَايَاكَ العُدَاةُ قَبُولَ مَا ... ضَحَّاهُ إبْرَاهيمُ عَنْ إسْحَق
فَاسْعَدْ بنَحْر الظُّلْم والإظْلاَم وَالأعْدَاء وَالإنْعَام وَالإمْلاَق
لاَ زلْتَ تُطْلقُ عانياً منْ حَبْسه ... بلُهَى مُحَبَّسَة عَلَى الإطْلاَق
وبَقيْتَ مَلْكاً للخَلائق واحداً ... تَرعَاكَ عَيْنُ الواحد الخَلاَّق

[ذكر من اسمه عبد الغني]

[٣٢٩]

عبدُ الغنيِّ بنُ عبد الكريم بن نعمةَ بن مسرّةَ بنِ كتائبَ، أبو محمد الخندقيُّ الثوريُّ لأمِّه ولأبيه الشَّافعيُّ.

أنشدني أبو عبد الله محمد بن عبد القاهر بن هبة الله بن النصيبي، بحلب؛ قال: أنشدني أبو محمد الخندقي لنفسه: [من الخفيف]

يَا دَعِيَّ الحسَابِ سُحْقاً وبُعْداً فَلَقَدْ زِدْتَ في الحَمَاقَةِ جِدَّا
رُمْتَ بالجَهْلِ تَرْتَقِي رُتْبَةَ الفَضْـ ـلِ وتَبْني بسُخْفِ عَقْلِكَ مَجْدَا
وَالإِمَامُ الرَّشِيْدُ فِي الأَرْضِ حَيٌّ نَجْمُهُ لَمْ يَزَلْ يُقَارِنُ سَعْدَا
مَنْ لَهُ العُنْصُرُ الزَّكِيُّ وَمَنْ أَصْـ ـبَحَ مُذْ كَانَ في الفَضَائِلِ فَرْدَا
/ ١٤ب/ كَعْبَةُ الوَافِدِيْنَ في كُلِّ فَنٍّ فَإِلَى بَابِهِ الرَّكَائِبُ تُحدَى
مَا رَأَى خطَّهُ ابنُ مُقْلَةَ إِلاَّ وَدَّ لَوْ يَرْتَضِيهِ في النَّاسِ عَبْدَا
وكذا في الحسابِ فاقَ شُجَاعَاً وَعَلاَ رُتْبَةً عَلَيْهِ وَجَدَّا
كَمْ لَهُ طَالبٍ جَوَى كُلَّ فَضْلٍ سَاحِبٍ في ذُرَى البَلاَغَةِ بُرْدَا
فَاقَ سَحْبَانَ في البَلاَغَةِ والفَضْـ ـلِ فَمَا إِنْ رَأَى لَهُ النَّاسُ نِدَّا
فَدَعِ الحُمْقَ إِنَّ بَيْنَ دَعَاوِيـ ـكَ وَبَيْنَ الَّذي بَدَا منْكَ سَدَّا
وَاْغْنَمِ الرِّبحَ في السُّكُوتِ فيكْفِي أَنَّكَ اليَومَ بَيْنَنَا لَنْ تُعَدَّا

وأنشدني؛ قال: أنشدني لنفسه: [من الطويل]

لَئِنْ كُنْتُ لَمْ أُبصِرْ دمَشْقَ وَحُسْنَهَا وَطِيبَةَ أَيَّامٍ بهَا لِلأَفَاضِلِ
فَحَسْبِي بِمَا قَدْ قُلْتُ عَنْهَا وَمَا بِهِ يُحَدِّثُ عَنْهَا كُلُّ حَافٍ وَنَاعِلِ

وقال بالإسناد: [من الطويل]

إذَا شِئْتَ أَنْ تَحْظَى بِرُؤْيَةِ جَنَّةٍ عَلَى الأَرْضِ فيْهَا كُلُّ مَا تَشْتَهِي النَّفْسُ
وَحُورٍ منَ العَيْنِ الحِسَانِ صَبَتْ لِمَا بَدَا مِنْ جَمَالٍ حُزْنَهُ الجِنُّ والإِنْسُ
فَبَادِرْ إِلَى تِلْقَا دِمَشْقَ فَإِنَّهَا مَحَلُّ سُرُورِ النَّفْسِ طَابَ بهَا الأُنْسُ

وَقُمْ واغْتَنِمْ طِيبَ الحَيَاةِ بِهَا فَمَا ... تَرَاهُ مِنَ الأَمْصَارِ مِنْ دُوْنِهَا حَبْسُ

/ ١٥أ/ وقال بالإسناد: [من السريع]

يَا سَيِّداً في عَصْرِنَا أَوْحَدُ ... وَقَدْرُهُ مِنْ دُوْنِهِ الفَرْقَدُ

قُلْ لِي: أَفِي شَرْعِ الهَوَىٰ جَائِزٌ ... مُحِبُّكُمْ إذْ جَاءَكُمْ يُبْعَدُ

[٣٣٠]

عبدُ الغَنيِّ بنُ يوسفَ بن عبد الواحد بنِ الحسنِ بنِ الحسينِ، أبو محمَّد البكريُّ المعروفُ بابنِ المؤذِّن.

من أهل حرّان، شابٌّ لَهِجٌ بقول الشِّعر، واستكثر النظم منه، وامتدح به خلقًا من الأكابر والرؤساء، ولم يكن له حرفة سوى عمله والارتزاق به.

أنشدني من شعره كثيراً بحلب، ومما أنشدني لنفسه بحرّان في أواخر سنة ثمان وثلاثين وستمائة: [من الطويل]

بِنَفْسِيَ مَنْ لَوْ مَرَّ بَرْدُ بَنَانِهِ ... عَلَىٰ كَبِدِي كَانَتْ شِفَاءً مِنَ الوَجْدِ

نَبِيُّ سَنا في فترةٍ مِنْ جُفُونِهِ ... أَتَىٰ وضَلاَلٍ في دُجَىٰ شَعْرِهِ الجَعْدِ

تَبَارَكَ مَنْ أَنْشَاهُ للنَّاسِ فِتْنَةً ... وَصَيَّرَنِي في حُبِّهِ أُمَّةً وَحْدِي

جَرَىٰ جَعْفَراً سَفَّاحُ دَمْعِي تَشَوُّقًا ... إلى وَجْهِهِ الهَادِي إلَى سَنَنِ الرُّشْدِ[١]

[٣٣١]

/ ١٥ب/ عبدُ الغنيِّ بنُ محمد بن أبي القاسم بن محمد بن تيميّةَ، أبو محمد الخطيبُ بنُ الخطيب أبي عبد الله الحرّانيُّ[٢][٣].

قاضي حرّان وخطيبها ونقيبها وعالمها وفقيهها على المذهب الأحمدي، له

(١) الجعفر: النهر.

(٢) في هامش الأصل: «هو سيف الدين الخطيب».

ترجمته في: تاريخ الإسلام (السنوات ٦٣١ ـ ٦٤٠) ص٤٠٤ رقم ٥٩٦. شذرات الذهب ٥/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥. التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٥٧٠ ـ ٥٧١ رقم ٣٠٠٥. سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٧٩. الذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٢٢٢ رقم ٣٢٦، ومختصره ٦٩. الدر المنضّد ١/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦ رقم ١٠٤٢. العبر ٥/ ١٦١. المنهج الأحمد ٣٧٦. المقصد الأرشد رقم ٦٧٢.

ولأسلافه مكانة عند أهل بلده وجاه طويل، سمع الحديث كثيراً، وقال الشعر الحسن، وتوفي بحرّان بكرةَ الأحد سابع عشر المحرم سنة تسع وثلاثين وستمائة[١].

أنشدني القاضي الإمام أبو القاسم عمر بن أحمد بن أبي جرادة الحنفي ـ أيده الله تعالىٰ ـ من لفظه، سنة أربعين وستمائة؛ قال: أنشدني القاضي الخطيب أبو محمد عبد الغني بن محمد بن تيمية لنفسه في الملك الناصر، صلاح الدين بن أبي المظفر يوسف بن محمد بن غازي بن يوسف ـ سلطان حلب، خلد الله ملكه ـ وقد فتح حديثة حرّان من أيدي الخوارزميَّة ـ خذلهم الله تعالىٰ ـ سنة ثمان وثلاثين وستمائة. ووفد كبير الحرانيين عليه، مهنئين له، وهو فيهم، فخلع عليهم وأحسن /١٦أ/ إليهم، وأورد بين يديه في القلعة فصلاً في الهناء: [من الخفيف]

قَدْ شَفَىٰ اللهُ غُلَّةَ الأَكْبَاد ... ببُلُوغ المُنَىٰ وَنَيْل المُرَاد
وَتَبَدَّى الزَّمانُ غَضّاً جَدِيْداً ... حَيْثُ وَفَّىٰ سَوالفَ الميْعَادَ
وَبلَغْنَا المُنَىٰ وَغَايَةَ مَا كُـ ... ـنَّا نُرَجِّيْه منْ ضُرُوب الأَيَادي
أَخْصَبَتْ أَرْضُنَا بكُلِّ مَرَام ... وَأَضَاءَتْ لَنَا بُرُوْقُ الغَوَادي
وَحَبَانَا بجُوْده كُلُّ نَوْءٍ ... وَأَتَانَا بسَيْله كُلُّ وَادي
وَقَضَىٰ الدَّهْرُ حَاجَةً طَالَمَا طَوَّل بالمَطْل وَعْدهَا في الفُؤَاد
هَذه ذرْوَةُ الكَمَال وَقَدْ نيْلَتْ عَلَىٰ رَغْم أَنْفُس الحُسَّادَ
نَالَهَا ذُوْ السَّعَادَة المَلكُ النَّاصرُ كَافي الإصْدَار والإيْرَادَ

قال فيها:

فَتَهَنَّ السُّرُورَ فَالوَقْتُ مَصْقُولُ الحَوَاشي مُحَبَّرُ الأَبْرَاد
إنْ تَعشْ . . . . . فَعشْ أَلْفَ عَام ... كُلُّ يَوْم عيْدٌ منَ الأَعْيَادَ
أَنْتَ شبْلُ السُّلْطَان حَقّاً وَمَا الأَشْـ ... ـبَالُ إلاَّ طَبَائعُ الآسَادَ
فَتَوَلَّ البلادَ وانْهَضْ لبعَزْم الـ ... ـجدِّ فَالسَّعْدُ في نَمَا وازْديَادَ
وَأبسُط العَدْلَ وَاعْتَمدْ همَمَ الأَخْـ ... ـيَار والصَّالحيْنَ وَالزُّهَّادَ
/١٦ب/ وَاغْتَنمْ منْهُمُ الدُّعَاءَ فَمَا نَصْرُكَ إلاَّ بهمَّة العُبَّادَ

---

(١) في هامش الأصل: «كان مولده في صفر سنة إحدى وثمانين وخمسمائة».

وَتَحقَّقْ إنَّ الرَّعيَّةَ في حَرَّانَ ... قَدْ أَخْلَصُوْكَ مَحْضَ الوِدَاد
فَتَوَخَّ الإحْسَانَ جُهْدَكَ فيْهِمْ ... وَالْغِ قَوْلَ الحُسَّادِ والأَضْدَاد
يَا لَهَا مِنْ سَعَادَةٍ تَمَّ بُشْرَاهَا وَيَا بَرْدَهَا عَلَى الأكْبَادِ

وأنشدني أيضًا؛ قال: أنشدني لنفسه، وقد خلع عليه السلطان الملك الناصر صلاح الدين ـ أدام الله دولته ـ: [من الطويل]

بِأَيِّ لِسَانٍ يَشْكُرُ العَبْدُ مَوْلاَهُ ... وَتَقْصِيْرُهُ في كُلِّ حَالٍ قُصَارَاهُ
وَكَيْفَ يُطِيقُ الجَزْرُ أَنْ يَشْكُرَ الحَيَا ... إذا جَادَهُ الجَوْدُ النَّمِيرُ فَأَحْيَاهُ
وَأَنَّى لِمَنْ أَضْحَتْ عَلَيْهِ سَوَابغٌ ... مِنَ المَنِّ مِمَّنْ عَرَّفَتْني عَطَايَاهُ
عَقِيدَ النَّدَى لاَ زَالَ جُوْدُكَ جَائِداً ... وَكَفُّكَ وَكَّافًا عَلَى الخَلْقِ جَدْوَاهُ
بَسَطْتَ يَدِي حَتَّى ظَنَنْتُكَ قَابِضًا ... يَدَ الدَّهْرِ عَنِّي مَعْ تَفَاقُمِ بَلْوَاهُ
وَعَلَّيْتَنِي حَتَّى ظَنَنْتُ بِأَنَّنِي ... سَأَعْبُرُ عَنْ بُرْجِ السِّمَاكِ وَمَأْوَاهُ
وَشَرَّفْتَنِي طُوْلَ الزَّمَانِ بِخِلْعَةٍ ... بَلَغْتُ بِهَا مِنْ شَامِخِ العِزِّ أَقْصَاهُ
لَئِنْ كَانَ جِلْبَابُ التَطَوّلِ ضَافِياً ... عَلَى بَادِيْكَ الكَرِيْمِ مُحَيَّاهُ
كَأَنَّ جَلاَبِيْبَ المَحَبَّةِ قَدْ حَوَتْ ... فُؤَادِيْ فَأَنْتَ اليَومَ سِرِّي وَمَعْنَاهُ
/ ١٧أ/ وَإِنْ كَانَ رَسْمُ الثَّوْبِ بِاللُّبْسِ دَارِسًا ... فَرَسْمُ هَوَاكَ الدَّهْرَ لاَ أَتَنَاسَاهُ
فَلاَ قَلْبَ لِي إلاَّ وَأَنْتَ نَزِيْلُهُ ... وَلاَ سِرَّ لِي إلاَّ وَذِكْرُكَ مَأْوَاهُ
بَقِيْتَ عَلَى مَرِّ اللّيَالِي وَكَرِّهَا ... بِعَيْشٍ هَنِيٍّ يَحْمَدُ المَرْءُ عُقْبَاهُ

ذكر من اسمه عبد القادر

[٣٣٢]

عبدُ القادرِ بنُ إبراهيمَ بنِ شجاعِ بنِ بقاءَ بنِ عليِّ بنِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ يحيى بنِ عرفجةَ، أبو محمدٍ البغداديُّ.

كان فقيهًا حنفيًا، عالمًا بالأصول، حسن النظر في الكلام، ومسائل الخلاف، وله معرفة بالمنطق والفرائض والحساب وعلم القراءات.

وجدتُ من شعره قصيدة مطولة بخط يده، يمدح بها أمير المؤمنين الناصر لدين الله أبا العباس أحمد ـ رضوان الله عليه ـ.

وكانت وفاة أبي محمد في رجب سنة اثنتين وعشرين وستمائة، ببغداد. أنشدني ولده إبراهيم؛ قال: سمعت والدي ينشد لنفسه: [من البسيط]

/١٧ب/ وَجْدٌ أقَامَ غَدَاةَ الجيرَةُ ارْتَحَلُوا ... وَصَاحَ حَادِيْ المَطَايَا زُمَّتِ الإبِلُ
ووَكّلُوا بالمآقِي دَرَّ أدْمُعِهَا ... يَا بِئْسَ مَا عَوَّضُوا مِنْ بَعْدِ مَا رَحَلُوا
لَيْتَ الَّذِيْنَ ألِفنَاهُمْ ومَا ألِفُوا ... يَوْمَ النَّوَى سَألُوا مَنْ ذَا الَّذِيْ قَتَلُوا
نَفْسِي فِدَاءُ أُصَيْحَابٍ وَهَبْتُ لَهُمْ ... قَلْبِيْ فَمُذْ مَلَكُوا جَارُوا ومَا عَدَلُوا
وَطَالَمَا وَصَلُوا حَتَّى إذَا عَلِمُوا ... حُبِّي لَهُمْ قَطَعُوا حَبْلِيْ وَمَا وَصَلُوا
أرُوْمُ كِتْمَانَ مَا بِي مِنْ جَوًى وَهَوًى ... وَكَيْفَ يَخْفَى وَدَمْعُ العَيْنِ مُنْهَمِلُ
أمْ كَيْفَ أكْتُمُهُ وَالنَّاسُ قَدْ عَلِمُوا ... بِأنَّ بِي وَبِوَجْدِيْ يُضْرَبُ المَثَلُ
باللهِ يَا مَعْشَرَ العُذَّالِ حَسْبُكُمُ ... كُفُّوا المَلَامَ فَعِنْدِيْ مِنْكُمُ شُغُلُ
نَارُ الغَرَامِ بِقَلْبِ الصَّبِّ يُوقِدُهَا ... حَرُّ المَلَامِ وَيُذْكِي جَمْرَهَا العَذَلُ
قَدْ خَابَ مَنْ يَرْتَجِيْ سُلْوَانَ مُكْتَئِبٍ ... جَارَتْ عَلَيْهِ لِحَاظُ الغُنْجِ والمُقَلُ
لَهْفِيْ عَلَى زَمَنِيْ وَالدَّارُ دَانِيَةٌ ... وَشَمْلُنَا وَوُشَاةُ الحَيِّ قَدْ غَفَلُوا
فِيْ مَجْلِسٍ جَمَعَ الدَّهْرُ السُّرُورَ بِهِ ... وَشَرَّدَ الهَمَّ عَنْ أنْيَابِهِ الجَذَلُ
وَالكَأسُ كَالشَّمْسِ تَبْدُو مِنْ مَطَالِعِهَا ... مُنْقَضَّةً فِي بُدُوْرٍ .....
مِنْ كُلِّ أحْوَى كَأنَّ البَدْرَ طَلْعَتُهُ ... وَأغْيَدٍ طَرْفُهُ بِالسِّحْرِ مُكْتَحِلُ

إِذَا تَثَنَّى فَغُصنُ البَانِ مجْسَدُهُ ... أَوْ لاحَ فَالشَّمْسُ يَعْلُو نُورَهَا خَجَلُ
/١٨أ/ وَالوَرْدُ وَالآسُ وَالمَنْثُورُ مُخْتَلِفٌ ... أَلْوَانُهُ وَرَبِيعُ الدَّهْرِ مُقْتَبِلُ
وَاللَّيلُ مُنْسَدِلٌ وَالوَقْتُ مُعْتَدِلٌ ... وَالوَرْدُ زَاهٍ وَشَمْلُ الوَصْلِ مُتَّصِلُ
يَحْكِي زمَانَ أَبِي العَبَّاسِ أَحْمَدِهِ ... خَلِيفَةِ اللهِ مُولًى جُودُهُ جَلَلُ
مَولًى عَوَارِفُهُ عَمَّتْ رَعِيَّتَهُ ... فَالقَفْرُ مُرْتَبَعٌ وَالفَقْرُ مُرْتَحِلُ
مُولًى تَفَنَّنَ فِي إِحْسَانِهِ فَأَتَى ... بِمَا يَضِيقُ التَّمَنِّي عَنْهُ وَالأَمَلُ
مولًى إِذَا جَارَتِ الأَيَّامُ قَوَّمَهَا ... بِسَطْوَةٍ زَالَ عَنْهَا الجَوْرُ وَالمَيَلُ
مَولًى لَهُ عَزَمَاتٌ لَيْسَ يُدْرِكُهَا ... وَهْمٌ وَأَصْغَرُهَا بِالنَّجْمِ مُتَّصِلُ
مَولًى إِذَا رَامَ أَمْراً عَزَّ مَطْلَبُهُ ... بِوَهْمِهِ كَادَ قَبْلَ الكَوْنِ يَنْفَعِلُ
يُقِيمُ فِي الأَرْضِ حَدَّ اللهِ مُجْتَهِداً ... يَبْغِي رِضَاهُ بِحِلْمٍ زَانَهُ عَمَلُ
مَاضِي السِّنَانِ شَدِيدُ البَأْسِ لاَ هَلَعٌ ... يَثْنِي عِنَانَ مَرَامِيهِ وَلاَ وَجَلُ
ثَبْتُ الجَنَانِ إِذَا نَارُ الوَغَى اضْطَرَمَتْ ... بِالحَرْبِ فَهْوَ الشُّجَاعُ المُقْدِمُ البَطَلُ
لَهُ بَدِيهَةُ رَأْيٍ لاَ يَقُومُ بِهَا ... فِكْرٌ إِذَا ضَاقَتِ الآرَاءُ وَالحِيَلُ
لَهُ أَيَادٍ إِذَا قَابَلْتَ أَيْسَرَهَا ... بِالغَيْثِ زَادَتْ عَلَيهِ حِينَ يَنْهَمِلُ
كَأَنَّمَا النَّاسُ فِي أَيَّامِ دَوْلَتِهِ ... لَجَنَّةِ الخُلْدِ لاَ صَابٌ وَلاَ وَشَلُ
إِذَا سَرَى جَيْشُهُ فِي يَومِ مَعْرَكَةٍ ... قِيْدَتْ لِهَيْبَتِهِ الأَبطَالُ وَالخَوَلُ
/١٨ب/ بِهِمَّةٍ لَوْ بَدَتْ يَوْمَ الوَغَى فَعَلَتْ ... مَا لَيْسَ تَفْعَلُهُ الخَطِّيَّةُ الذُّبُلُ
سَوَابِلُ الغَيْثِ فِي أَهْدَافِ وَابِلِهَا ... تَحْكِي عَطَايَاهُ لاَ مَنْعٌ وَلاَ بَخَلُ
يُرَاقِبُ اللهَ فِي أَدْنَى رَعِيَّتِهِ ... وَلاَ تَرَاهُ بِنَارِ الحَرْبِ يَحْتَفِلُ
لَوْ أَنَّ أَدْنَى سُطَاهُ فِي الوَرَى انْتَشَرَتْ ... عَادَ الرَّبِيعُ بِنَارِ البَأْسِ تَشْتَعِلُ
لَو اقْشَعَرَّتْ فِجَاجُ الأَرْضِ مِنْ ظَمَأٍ ... لَجَادَهَا مِنْ نَدَاهُ الطَّيِّبُ الهَطِلُ
أَو اسْتَطَالَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ قَوَّمَهَا ... بِصَوْلَةٍ رَهِبَتْهَا البِيضُ وَالأَسَلُ
لَوْ قَالَ لِلدَّهْرِ لاَ تُلْمِمْ بِحَادِثَةٍ ... لَعَادَ أَسْرَعَ مَمْشًى وَهْوَ مُمْتَثِلُ
أَوْ مَرَّ بِالفَلَكِ الدَّوَّارِ يَمْنَعُهُ ... عَنْ دَوْرِهِ لَمْ يَكَدْ بِالدَّوْرِ يَنْتَقِلُ
أَوْ جَازَ فِي الدَّهْرِ يَوْمٌ . . . . . حَائِرَهُ ... أَو هَمَّ بِالخَطْبِ وَلَّى وَهْوَ مُنْخَذِلُ
أَوْ رَامَ مِنْ قَدَرٍ حَتْمٍ فَمَانَعَهُ ... كَادَتْ لِهَيْبَتِهِ الأَقْدَارُ تَنْفَعِلُ

أَوْ شَلَّ كَفَّ المَنَايَا بَعْدَ مَا اتَّصَلَتْ … بِجِسْمِ حَيٍّ لَكَادَتْ مِنْهُ تَنْفَصِلُ

يُخَبِّرُ اللَّحْظُ عَنْهُ أَنَّهُ رَجُلٌ … وَلَوْ دَرَى لَمْ يَقُلْ إِلَّا هُوَ الرَّجُلُ

يُعْطِي وَيُحْيِي بِلَا مَنٍّ وَلَا عَضَلٍ … كَالمَاءِ بِيَدَيْهِ الرزق والأجلُ

طَابَتْ بِسِيرَتِهِ الدُّنْيَا وَزَاوَلَهَا … ظَلَامُهَا واسْتَنَارَ السَّهْلُ والْجَبَلُ

جُلُّ المُلُوكِ بِدُوْنِ الدِّيْنِ قَدْ شُغِلُوا … وَنَاصِرُ الدِّيْنِ بِالإِسْلَامِ مُنْشَغِلُ

/ ١٩أ/ مَلَائِكُ اللهِ أَنْصَارٌ لَهُ فَهُمُ … يَوْمَ الضِّرَابِ لَهُ بِالنَّصْرِ قَدْ كَفَلُوا

لَيْثٌ هِزَبْرٌ مِكَرٌّ بَاسِلٌ بَطَلٌ … مُسْتَبْشِرٌ وَلُيُوثُ الحَرْبِ قَدْ ذُهِلُوا

قَيْلٌ شُجَاعٌ مُطَاعٌ ضَيْغَمٌ قُدُمٌ … غَيْثٌ مُغِيثٌ كَرِيمُ الخِيْمِ . . . .

بِهِ مِنَ اللهِ نَسْتَسْقِي الغَمَامَ إِذَا … ضَنَّتْ بِوَابِلِهَا الشَّحَّاحَةُ الهُطُلُ

يَا نَائِبَ اللهِ حَقًّا فِي بَرِيَّتِهِ … وَمَنْ بِدَوْلَتِهِ قَدْ عَزَّتِ الدُّوَلُ

وَمَنْ أَوَامِرُهُ فَرْضٌ بِهِ نَطَقَتْ … آيُ الكِتَابِ وَوَحْيُ اللهِ والرُّسُلُ

آبَاؤُهُ خُلَفَاءُ اللهِ وَهْوَ لَهُمْ … فَخْرٌ وَلَيْسَ لَهُمْ مِنْ فَخْرِهِ بَدَلُ

آلُ الرَّسُولِ وَأَعْلَامُ الوَرَى وَبِهِمْ … يُهْدَى الأَنَامُ إِذَا مَا اسْتَحْوَذَ الزَّلَلُ

هُمُ النُّجُومُ وَلَكِنْ أَنْتَ شَمْسُهُمُ … لَمَّا بَدَا نُورُكَ السَّارِي لَهُمْ أَفَلُوا

أَنْتَ الإِمَامُ الَّذِي لَوْلَا خِلَافَتُهُ … صَبَا الأَنَامُ إِلَى الطَّاغُوتِ وَانْتَقَلُوا

أَنْتَ الَّذِي خَضَعَتْ هَامُ المُلُوكِ لَهُ … طَوْعًا وَكَرْهًا وَدَانَتْ أَمْرَهُ المِلَلُ

أَنْتَ الَّذِيْ طَاعَةُ الرَّحْمَنِ طَاعَتُهُ … فِي الأَرْضِ لَوْلَاكَ عَمَّ الخَطْبُ والخَطَلُ

لَوْ كَانَ فِي الأَرْضِ إِنْسَانٌ يُخَالِفُهُ … ضَاقَتْ عَلَيْهِ فِجَاجُ الأَرْضِ وَالسُّبُلُ

فَأَنْ تَدَارَكَهُ مِنْ جُودِ رَحْمَتِهِ … لُطْفٌ وَإِلَّا اقْتَرَاهُ الذِّئْبُ والوَعِلُ

وَصَارَ لِلْوَحْشِ بَعْدَ العِزِّ مَأْكَلَةً … وَالمَيْتُ لِلْوَحْشِ فِي بَيْدَائِهَا أُكُلُ

/ ١٩ب/ أَمَا رَأَيْتُمْ أَحَادِيثَ الَّذِيْنَ عَصَوا … رَأْيَ الإِمَامِ وَفِيمَا آيَةٌ نَزَلُوا

رَمَوا عَسَاكِرَهُمْ بِالبَغْيِ وَاجْتَمَعُوا … فِي الغَيِّ واطَّرَحُوا الإِسْلَامَ وَاعْتَزَلُوا

وَأَحْكَمَ الشَّرُّ وَالشَّيْطَانُ بَغْيَهُمُ … وَعَانَدُوا اللهَ بِالطُّغْيَانِ وَاحْتَفَلُوا

فَفَرَّقَ اللهُ مِنْهُمْ كُلَّ مَا جَمَعُوا … وَرَدَّ بَأْسَهُمُ بِالخِزْيِ وَانْخَذَلُوا

تَيَقَّنُوا بَعْدَ مَا حَلُّوا مَعَاقِلَهُمْ … أَنْ لَيْسَ يَعْصِمُهُمْ عَنْ بَأْسِكَ القُلَلُ

تَزَلْزَلَتْ بِهِمُ أَعْلَى جَوَاسِقِهِمْ … مِنْ بَعْدِ أَمْنٍ وَذَاقُوا سُوءَ مَا عَمِلُوا

لاقَوا مَنِيَّتَهُمْ مِنْ دُونِ مُنْيَتِهِمْ ... بالرَّغْمِ وَادَّرَعُوا بالذُّلِّ وَاشْتَمَلُوا
بَادَتْهُمُ حَادِثَاتُ الدَّهْرِ مَا نَفَعَتْ ... تلكَ الأَسِرَّةُ والتِّيجَانُ والحُلَلُ
وَأَصْبَحُوا قَدْ أَبَادَ اللهُ مُلْكَهُمُ ... أَعَزُّ مَنْ فِيهُمُ بالْهُوْنِ مُبْتَذَلُ
سُوْءَ الصَّنِيعِ لَقُوا بَعْدَ النَّعِيمِ شَقُوا ... في حَشْرِهِمْ حُرِّقُوا بالنَّارِ وَاشْتَعَلُوا
أَتَاهُمُ اللهُ بالبَأْسَاءِ إِذْ جَحَدُوا ... حُقُوقَ مَوْلَى عَلَى بَارِيْهِ مُتَّكِلُ
تَنَعَّمُوا وَطَغَوا في عَيْشِهِمْ وَبَغَوا ... فَأَصْبَحُوا بَعْدَ رَغْدِ العَيْشِ قَدْ أُكِلُوا
يَا ابنَ البِطَاحِ وَيَا غَيْثَ النَّوَاحِ وَيَا ... بَحْرَ السَّمَاحِ إِذَا أَجْوَادُهُ بَخِلُوا
عَامُ الرَّمَادَةِ مَشْهُورٌ لِجَدِّكُمُ ... سَرَى وَغَنَّتْ بِهِ الرُّكْبَانُ والرَّجِلُ
عَمِّ النَّبِيِّ وشَيْخِ المَأْزَمَيْنِ وَمَنْ ... لَهُ السِّقَايَةُ وَالإِعْظَامُ والنَّفَلُ
/ ٢٠أ/ عَلَيْكُمُ نُزِّلَ التَنْزِيْلُ وانْتَشَرَتْ ... آيَاتُهُ وإِلَيكُمْ حَجَّتِ الرُّسُلُ
يَا صَاحِبَ الدَّهْرِ يَا مَنْ لاَ شَبِيهَ لَهُ ... في العَصْرِ قَوْلاً صحيحاً لَيْسَ يُنْتَحَلُ
المُلْكُ فِيكُمْ فَمَنْ مَلَّكْتَهُمْ مَلَكُوا ... والفَضْلُ مِنْكَ فَمَنْ فَضَّلْتَهُمْ فَضَلُوا
عِشْ وَأْبقَ وَاْسْمُ وَصِلْ وَاْنْعَمْ وَدُمْ وَاْنَلْ ... فَالأكْرَمُونَ لِمَا أَوْلَيتَ قَدْ خَجِلُوا
أَيَّامُكَ الغُرُّ لاَ زَالَتْ مُخَلَّدَةً ... يَقْضِي الزَّمَانُ وَلاَ يُقْضَى لَهَا أَجَلُ
مَا غَنَّتِ الطَّيْرُ في غَنَّاءَ مُورِقَةٍ ... وَحَنَّ صَبٌّ بَرَاهُ الصَّدُّ وَالمَلَلُ

[٣٣٣]

عبدُ القادر بنُ أميريّ بن بُختيارَ بن الخَلِّ بن محمد بن داودَ بنِ عبد الله، أبو محمدٍ بن أبي الخير الأشهيُّ والداً وأصلاً، الإربليّ مولَداً ومنشأً.

كانت ولادته بإربل تقديراً سنة أربع وثمانين وخمسمائة، وتوفيّ بها حادي عشر جمادى الأولىٰ سنة إحدى وعشرين وستمائة، ودفن شرقها بمقبرة تعرف بمشهد الكفّ.

وكان والده رجلاً صالحًا من الفقهاء المتعبدين، محدِّثًا يلقَّب قطب الدين؛ وابنه أبو محمد اعتنىٰ بالحديث، فسمع منه كثيراً على جماعة / ٢٠ب/ على جماعة من المشايخ، وكان ذكيًا مطبوعًا، له طبع في النظم من غير اشتغال بالأدب.

أنشدني أبو عبد الله محمد بن أرسلان بن لاجين الإربلي؛ قال: أنشدني عبد القادر بن أميري لنفسه من قصيدة يرثي بها والده ـ رضي الله عنه ـ: [من الطويل]

شَجَا قَلْبِيَ العَانِي فِرَاقُ الحَبَائِبِ ... فَأَضْحَى عَلَيَّ الهَمُّ ضَرْبَةَ لاَزِبِ
وَسَحَّتْ جُفُونِي بَعْدُ بُعْدِ أُمَيْمَةٍ ... بِدَمْعٍ كَمَا سَحَّتْ جُفُونُ السَّحَائِبِ
وَكُنَّا جَمِيعًا فِي رِيَاضِ مَسَرَّةٍ ... وَطِيبِ أَمَانٍ مِنْ صُرُوفِ النَّوَائِبِ
فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ حَسْرَةٌ بَعْدَ حَسْرَةٍ ... وَتَعْلِيلُ نَفْسٍ بِالظُّنُونِ الكَوَاذِبِ
وَفُرْقَةُ قُطْبِ الدِّينِ وَالِدِيَ الَّذِي ... لَهَا بِفُؤَادِي مِثْلُ وَقْعِ القَوَاضِبِ
تَبَاعَدَ عَنَّا بَعْدَ أَنْ كَانَ دَانِيًا ... بِنَفْسِي أَبِي مِنْ غَائِبٍ غَيْرِ آئِبِ
لَقَدْ كَانَ يَدْعُو لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ ... لِمَالِكِ أَعْنَاقِ الوَرَى بِالمَوَاهِبِ

وأنشدني؛ قال: أنشدني لنفسه في إنسان: [من الوافر]

لَنَا جِيرَانُ سُوءٍ لاَ نُبَالِي ... بِصِحَّتِهِمْ لأَنَّهُمُ كُسَالِي[1]
/ ٢١أ/ رَجَوْتُ نَوَالَهُمْ مِنْ فَرْطِ جَهْلِي ... وَدُونَ نَوَالِهِمْ طَعْنُ العَوَالِي
لَقَدْ صَدَقَ الَّذِي قَدْ قَالَ قَبْلِي ... مَقَالَةَ رَبِّ صِدْقٍ فِي المَقَالِ:
أَمِنْ دَارِ الكِلاَبِ تُرِيدُ عَظْمًا ... لَقَدْ أَطْمَعْتَ نَفْسَكَ بِالمُحَالِ
رَجَوْنَاهُمْ يُعِينُونَا فَبَاعُوا ... هَدَايَاهُمْ بِأَنْوَاعِ الضَّلاَلِ
وَلَمْ أَنْسَ الإِسَاءَةَ مِنْ أُنَاسٍ ... وَزَجْرُهُمُ الصَّوَافِنَ بِالنِّعَالِ
عَتَبْنَاهُمْ لأَنَّهُمُ جِوَارِيٌّ ... وَحُفْظُ الجَارِ مِنْ شِيَمِ المَوَالِي

وأنشدني أبو عبد الله محمد بن عبد السيد بن أحمد الإربلي البغدادي؛ قال: أنشدني أبو محمد عبد القادر لنفسه في الوزير الصاحب شرف الدين أبي البركات المستوفي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ وكان قد خرج ليلاً، فوثب عليه شخص سوء فضربه بسكين ليقتله، وانهزم فصادف في طريقه إنسانًا اسمه غزال، فقتله: [من الطويل]

عَجِبْتُ لِكَلْبٍ أَمَّمَ اللَّيْثَ بِالرَّدَىٰ ... فَكَانَتْ فِدَاءَ اللَّيْثِ رُوحُ غَزَالِ
/ ٢١ب/ بِإِحْسَانِكَ الجَمِّ العَمِيمِ إِلَىٰ الوَرَى ... وَقَاكَ الرَّدَىٰ: رَبُّ الوَرَىٰ المُتَعَالِي

---

(١) كسالي: جمع كسلان.

وَحُبُّ رَسُولِ اللهِ للمرءِ عِصْمَةٌ وآلُ رَسُولِ اللهِ أكرمُ آلِ

[٣٣٤]

عَبدُ القادرِ بنُ مسلمِ بنِ سلامةَ بنِ أبي البُهاءِ الحَرّانيُّ(١).

وقع إليّ من شعره قصيدة مدح بها الوزير الصاحب شرف الدين أبا البركات المستوفي ـ رحمه الله ـ أنشدنيها عنه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عمر الإربليّ الحنفيّ؛ قال: أنشدني عبد القادر بن مسلم لنفسه: [من الكامل]

الدَّمعُ يُظْهِرُ ما أُجِنُّ وأُضْمِرُ والسُّقْمُ يَهْتِكُ في الذي ما أَسْتُرُ

لَوْ أنَّ قَيْساً قِيسَ بي لَفَضَلْتُهُ وكُثَيِّراً عَدّاً يَقِلُّ ويَكْثُرُ

يا مَنْ تُقِرُّ بقتْلَتي وَجَناتُهُ حَتَّى مَ تَجْحَدُ مُقْلَتَاكَ وَتُنْكِرُ

كَمْ ذا التَمادي في الصُّدُود وعَبْرَتي بمُدَى المَدامعِ فَوْقَ نَحْري تُنْحَرُ

ماذا يَضُرُّكَ لَوْ سَمَحْتَ بزَوْرَةٍ زُوْراً عَسَى بالنَّوم طَرْفي يَظْفَرُ

مَنْ لي بمُرِّ الهَجْرِ حُلْو وَصْلُهُ يَصْحُو مِنَ الشَّوْقِ العَنيفِ وأَسْكَرُ

/ ٢٢أ/ أَدْنُو فَيَبْعُدُ بُعْدَ وَصْلٍ جافِياً وَيَخُونُ عَهْدي إذْ وَفَيْتُ وَيَغْدُرُ

يا مَنْ يَميلُ إلى المَلالَةِ والقِلَى وَيَنامُ عَنْ لَيْلي الطَّويلِ وأَسْهَرُ

حَتَّى مَ لا أَلْقاكَ إلاَّ مُعْرِضاً مُتَجَنِّياً عَنِّي تَصُدُّ وَتَهْجُرُ

ألاَّ رَثَيْتَ لِرَثِّ حالٍ لَمْ يَزَلْ يُصْفيكَ مَحْضَ ودادِه وَتُكَدِّرُ

أَمْسَى غَريقاً في بحارِ دُموعِهِ والنَّارُ حَشْوُ حُشاشَةٍ تَتَسَعَّرُ

يا غُصْنَ بانٍ شَعْرُهُ أوْراقُهُ مِنْ فَوْقِ أعْلاهُ هِلالٌ يُثْمِرُ

خَدَّاكَ وَرْدٌ واللَّواحِظُ نَرْجِسٌ وَالصُّدْغُ آسٌ والمُقَبَّلُ جَوْهَرُ

حَكَتْ الغَزالَةُ نُورَ وَجْهِكَ إذْ بَدَتْ وَرَنَا لِمُقْلَتِكَ الغَزالُ الأَحْوَرُ

ما قُلْتُ إنَّكَ قَدْ حُكَيْتَ بجُؤْذَرٍ بَلْ قُلْتُ إنَّكَ قَدْ حَكاكَ الجُؤْذَرُ

وَيْلاهُ مِنْ ثَمِلِ المَعاطِفِ قَدُّهُ رُمْحٌ وَمُقْلَتُهُ الكَحيلَةُ خِنْجَرُ

في فِيهِ وِرْدٌ كالسُّلافِ مَذاقُهُ وَبِخَدِّهِ وَرْدٌ جَنِيٌّ أَحْمَرُ

---

(١) ترجمته في: تأريخ إربل ١/ ٣١٠ ـ ٣١١. مجمع الآداب ٢/ ٢٢٧ رقم ١٣٧٨.

فُضِحَ القَضِيْبُ بِقَدِّهِ لَمَّا بَدَا يَهْتَزُّ مِنْ مَرَحِ الشَّبَابِ وَيَخْطِرُ
وَغَدَا الفُؤَادُ بِأَسْرِهِ مِنْ أَسْرِهِ لَمَّا بَدَا فِي مَشْيِهِ يَتَبَخْتَرُ
فَاقَ الغُصُونَ المَايِسَاتِ نَضَارَةً فَحَلَتْ شَمَائِلُهُ وَرَاقَ المَنْظَرُ
مِنْ سُودِ جَفْنَيْهِ يُجَرِّدُ أَبْيَضٌ وَيُهَزُّ مِنْ عِطْفَيْهِ لَدْنٌ أَسْمَرُ
/٢٢ب/ يَا مُنْذِرِيْ بِالعَذْلِ فِي مَنْ خَدُّهُ لِشَقَائِقِ النُّعْمَانِ بِئْسَ المُنْذِرُ
لَوْ عَايَنَتْ عَيْنَاكَ خَطَّ عِذَارِهِ مَا لُمْتَنِي وَلَكُنْتَ فِيهِ تَعْذُرُ
عَدِّ المَلاَمَةَ فَهْيَ لَوْمٌ وَاقْتَصِرْ يَا مَنْ أَطَالَ مَلاَمَ مَنْ لاَ يُقْصِرُ
لاَ تَخْذُلَنِّي يَا عَذُوْلُ فَإِنَّ بِالمَوْلَى أَبَا البَرَكَاتِ أَضْحَى يُنْصَرُ
المَاجِدِ الحَبْرِ الجوادِ وَمَنْ غَدَتْ عَنْهُ أَحَادِيْثُ المَكَارِمِ تُسْطَرُ
مَازَالَ مِنْ جَدْوَى يَدَيْهِ مَوْرِدٌ عَذْبٌ لِمَنْ يَرْجُو نَدَاهُ وَمَصْدَرُ
بَحْرٌ عَلَى قُصَّادِهِ مُتَدَفِّقٌ نَارٌ عَلَى حُسَّادِهِ تَتَسَعَّرُ
عَمَّ الوَرَى بِالمَكْرُمَاتِ فَلاَ تَرَى إِلاَّ فَتًى يُثْنِي عَلَيْهِ وَيَشْكُرُ
وَلَقَدْ طَوَيْتُ البِيْدَ نَحْوَ فَتًى لَهُ صُحُفُ النَّدَى فِي كُلِّ نَادٍ تُنْشَرُ
يَا عَامِراً بِالمَالِ آمَالَ الوَرَى لاَ زِلْتَ تَعْمُرُ بِالنَّوَالِ وَتَغْمُرُ
لَوْ أَنَّ كَفَّكَ صَافَحَتْ حَجَراً غَدَتْ مِنْهُ يَنَابِيعُ النَّدَى تَتَفَجَّرُ
يَا مَنْ سَمَاءُ نَدَى يَدَيْهِ لَمْ تَزَلْ فِي أَرْضِ عَافِيَةٍ تَسُحُّ وَتَمْطُرُ
إِ، جُدْتَ لِلعَافِي فَإِنَّكَ حَاتِمٌ أَو صُلْتَ فِي البَاغِي فَإِنَّكَ عَنْتَرُ
اللهُ خَصَّكَ دُوْنَ سَائِرِ خَلْقِهِ بِبَلاَغَةٍ مَعْرُوفَةٍ لاَ تُنْكَرُ
فَإِذَا نَظَمْتَ نَظَمْتَ أَكْبَادَ العِدَا وَإِذَا نَثَرْتَ فَكَمْ رُؤُوسٍ تَنْثُرُ ؟
/٢٣أ/ يَا مَنْ لَهُ القَلَمُ الَّذِي دَانَتْ لَهُ بِيْضُ الصَّفَائِحِ وَالوَشِيْجُ الأَسْمَرُ
يَا مَنْ إِذَا سَارَتْ كَتَائِبُ كُتْبِهِ فِي النَّاسِ تُطْلِقُ مَنْ تَشَاءُ وَتَأْسِرُ
فُقْتَ الوَرَى بِفَضَائِلٍ وَفَوَاضِلٍ يُحْصَى الحَصَى وَأَقَلُّهَا لاَ يُحْصَرُ
بِكَ قَامَتِ الأَرْوَاحُ أَرْوَاحُ الوَرَى إِذْ كُلُّهُمْ عَرَضٌ وَأَنْتَ الجَوْهَرُ

[وقال في غلام عليه قَباء أزرق[1]: [من الوافر]

(١) البيتان في تأريخ إربل ١/ ٣١٠.

وَبَــدْر فــي دُجَــىٰ شَعَــر تَبَــدَّا ... يُقِلُّهُمَــا قَضِيْــبٌ فــي كَثِيْــبِ
غَــرِيْــبُ الحُسْــنِ يَطْلُــعُ فِــي قَبَــاءٍ ... سَمَــاوِيٍّ وَيَغْــرُبُ فِــي القُلُــوبِ

وقال أيضًا وقد ودع محبوبًا له: [من البسيط]

وَدَّعْتُــهُ وَحَشَــايَ حَشْــوُهَــا حُــرَقٌ ... وَمَــدْمَعِــي بِــالَّــذي أُخْفِيْــه قَــدْ نَطَقَــا
فَمَــا تَفَــارَقَــتِ الأَجْسَــامُ حِيْــنَ سَــرَىٰ ... إلَّا وَروحِــي وجِسْمِــي بَعْــدَهُ افترقــا][(١)]

[٣٣٥]

عبدُ القادرِ بنُ زنكي بنِ بُنيمانَ، أبو بكرٍ الأشتريُّ.

يُنسب إلى الأشتر، أحد [أعيان] البلاد الجبلية.

فقيه شافعي المذهب، تفقه ببغداد علىٰ أبي القاسم بن فضلان وغيره، وحصل طرفًا من المذهب والخلاف، وتكلّم في المسائل وأعاد بالمدرسة النظامية، ثم درس بعد ذلك بالمدرسة التي أنشأها فخر الدولة أبو المظفر بن المطلب بعقد المصطنع، وولي النظر في أوقافها فلم تحمد طريقته، وعزل عن ذلك في جمادىٰ الآخرة سنة ست وتسعين وخمسمائة.

وكان سمع الحديث من أبي المعالي بن الفراوي، وأحمد بن إسماعيل القزويني، ذكر لي أبو المجد إسماعيل بن هبة الله بن باطيش / ٢٣ب/ الموصلي، أنه شاهده بمدينة السلام في سنة ثلاث وستمائة، علىٰ قدم البطالة.

وجدتُ له قصيدة مزدوجة، ترجمها بكتاب التبيان في ذكر الفتوة والفتيان، وقدّم من مشاهير الفتيان آدم، ثم تلاه في فتوة إبراهيم، ثم إسماعيل، ثم يوسف، وفتوة يوشع؛ وذكر الفتوة والفتيان في آي القرآن، وفتوة أصحاب الكهف، وفتوة النبي المصطفىٰ، والمرتضى، وفتوة الأخيار من المهاجرين والأنصار، وختمَهُ بفتوة الإمام الناصر لدين الله، والثناء علىٰ المواقف المقدسة الشريفة الإمامية ـ زادها الله عزّاً وشرفًا ـ وذكر حقيقتها وشروطها وأركانها وحدَّها وأحكامها وأضدادها، وماهية

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل. والبيتان الأخيران في تأريخ إربل ١/ ٣١٠. ومجمع الآداب ٢/ ٢٢٧.

محصولها، وقول العلماء الزُّهاد فيها؛ مثل: الجنيد بن محمد، وسهل بن عبد الله التستري، وأحمد بن حنبل، وإبراهيم النصر اباذي، وعمرو المكي، والحارث المحاسبي، والفضيل بن عياض، وأبي القاسم القشيري، وافتتحها بقوله في الثناء على الله تعالىٰ وعلى رسوله سيد / ٢٤أ/ الأنبياء ﷺ: [من الرجز]

ثَنَاءُ رَبِّ العِزَّةِ القَدِيْمِ ... أَوْلَىٰ لَدَىٰ المَقَالِ بِالتَّقْدِيْمِ
فَالحَمْدُ للهِ الَّذِي بَرَانَا ... ثُمَّ إِلَىٰ تَوْحِيْدِهِ هَدَانَا
وَالحَمْدُ للهِ وَلِيِّ النِّعَمِ ... مُبْدِيْ الأَقَالِيمِ وَبَادِيْ النَّسَمِ
مُصَوِّرُ الأَفْلَاكِ وَالأَمْلَاكِ ... مُقَدِّرِ الإِخْلَاصِ والإِشْرَاكِ
مُزَيِّنُ الأَنْفُسِ بِالعُقُولِ ... مُقَسِّمِ الفُصُولِ والأُصُولِ
مُوَشِّحِ الأَشْبَاحِ بِالأَرْوَاحِ ... مُرَوِّحِ الأَرْوَاحِ بِالأَفْرَاحِ
بَاسِطِ أَرْضِ العَرْشِ فِي السَّمَاءِ ... وَاضِعِ فَرْشِ الأَرْضِ فَوْقَ المَاءِ
مُوْجِدِ كُلِّ مَا سِوَاهُ وُجِدَا ... هُوَ الَّذِي حُقَّ لَهُ أَنْ يُعْبَدَا
مَنَّ عَلَيْنَا بِفُنُونِ النِّعَمِ ... مَقْسُومَةً وَلَمْ يَجُرْ فِي القَسَمِ
شَرَّفَنَا بِمِلَّةِ الإِسْلَامِ ... عَرَّفَنَا تَجَنُّبَ الآثَامِ
نَحْمَدُهُ حَمْداً كَمَا يَسْتَوْجِبُهْ ... وَالحَمْدُ مِنَّا هُوَ أَيْضاً وَاهِبُهْ

وهي تربو على مائتي بيت، وآخرها ما هذا شرحه:

أقول معتذراً إلىٰ الحضرة الكريمة الشمسية ـ أكرمها الله تعالىٰ: [من الطويل]

/ ٢٤ب/ خُزَانَةُ شَمْسِ الدِّينِ دَامَ ظِلَالُهُ ... بِهَا غُنْيَةٌ عَنْ كُلِّ مُبْتَكَرٍ نَدْرِ
هُوَ البَحْرُ إِلَّا أَنَّهُ البَرُّ بِالوَرَىٰ ... وَهَا أَنَا أَهْدَيْتُ الجُمَانَ إِلَىٰ البَحْرِ
بَعَثْتُ لَهُ مِنْ بَعْضِ مَا مِنْهُ نَقْتَنِي ... لِذَا البَحْرُ تَأْتِيهِ السَّحَابَةُ بِالقَطْرِ

[٣٣٦]

عبدُ القادر بنُ يحيى بن أبي القاسم بن أبي المعالي بن هود بن حمادِ بنِ أبي بكرِ بنِ خَيِّرٍ، أبو الفضَل الحميريُّ البوازيجيُّ(١).

من أشهر بيت بالبوازيج، حفظ القرآن العظيم، وقال شعراً كثيراً، مدح به الناس، وما مدح أحداً إلاّ وعاد هجاه؛ وهو شاعر مجيد، سخيف الهجاء، خبيث اللسان.

أنشدني لنفسه؛ يمدح الإمام العلامة حجّة الإسلام كمال الدين أبا المعالي موسى بن يونس بن محمد بن منعة بن مالك الفقيه المدرس، الموصليّ الشافعيّ ـ رحمه الله ـ: [من الطويل]

مَغَانِيَ الصِّبَا لاَ زَالَ رَبْعُكِ غَانِيَا ... وَأَصْبَحَ خَالِيهِ مِنَ النُّوْرِ حَالِيَا
عَدَتْكَ العَوَادِيْ مِنْ زَمَانِكَ وَاغْتَدَتْ ... إلَىٰ رَبْعِكَ الأَنْوَاءُ تُهْدِي الغَوَادِيَا
نَثَرْتُ لآلِي الدَّمْعِ فِيْكَ وَطَالَمَا ... نَظَمْتُ بِوَصْلِ الغَانِيَاتِ اللآلِيَا

/ ١٢٥/ ومنها:

يُسَائِلُنِيْ عَنْ عِلَّةٍ مَا شَكَوْتُهَا ... إلَيهِ خَلِيلٌ لَيْسَ يَعْلَمُ حَالِيَا
وَيَأْبَىٰ الهَوَىٰ أَنْ يَكْشِفَ السِّتْرَ بَيْنَنَا ... فَيُصْبِحَ سِرُّ الحُبِّ لِلنَّاسِ بَادِيَا
وَكُنْتُ إذَا مَا جِئْتُ أَسْمَاءَ زَائِراً ... نَظَرْتُ يَمِيْنِي تَارَةً وَشِمَالِيَا
فَأَدْنُو وَلَمْ يَشْعُرْ مِنَ الحَيِّ كَاشِحٌ ... وَأَمْضِي وَقَدْ سَلُّوا عَلَيَّ المَوَاضِيَا
إذَا رُمْتُ مِنْ أَسْمَاءَ فِي اللَّيْلِ خَلْوَةً ... تُنَبِّهُ فِي جُنْحِ الظَّلاَمِ الأَعَادِيَا
كَأَنَّ ظَلاَمَ اللَّيْلِ وَكَّلَ نَجْمَهُ ... عَلَيَّ رَقِيْباً أَوْ بِهِ مِثْلُ مَا بِيَا
كَأَنَّكَ يَا نَجْمَ السَّمَاءِ حَمَامَةٌ ... تُهَيِّجُ لِلأَعْدَاءِ لَيْلاً حَمَامِيَا
كَأَنَّكَ دَهْرٌ عَانَدَتْنِي صُرُوْفُهُ ... فَكَدَّرَ مِنْ أَسْمَاءَ مَا كَانَ صَافِيَا
نَأَىٰ النَّومُ عَنِّي بِالهُمُومِ كَأَنَّنِي ... وَهَبْتُ لِطُرّاقِ الهُمُومِ رُقَادِيَا
وَخَيْفَاءَ كَلَّفْتُ المَطِيَّ اعْتِسَافَهَا ... ذَمِيلاً وَقَدْ أَلْقَىٰ الظَّلاَمُ المَرَاسِيَا
وَهَبَّتْ لَنَا رِيحٌ مِنَ الأَرْضِ قَرَّةٌ ... وَلاَ نَارَ إلاَّ جَذْوَةٌ فِي فُؤَادِيَا

---

(١) البوازيج: بلد فوق ما يقابل تكريت، قريب من مصب الزاب الأسفل إلى دجلة. انظر: معجم البلدان/ مادة (البوازيج).

وَلاحَ لَنَا وَهْنًا مِنَ الغَوْرِ بَارِقٌ ... أَضَاءَتْ بِهِ الآفَاقُ لَمَّا أَضَا لِيَا
فَقُلْتُ لِصَحْبِي حِيْنَ عَايَنْتُ وَمْضَهُ ... وَقَدْ بَلَّ بِالعَلَلِ النسيم رِدَائِيَا
أَمَا فِي الَّتِي لاحَتْ لِمُوسَى بَدَتْ لَنَا ... مِنَ الطُّورِ أَمْ أَنْوَارُ مُوسَى أَمَامِيَا
/ ٢٥ب/ مِنَ الفَضْلِ آيَاتٌ لَهُ لَوْ دَعَا بِهَا ... إِلَى سُبْلِهِ أَضْحَى إِلَى الحَقِّ دَاعِيَا
وَلَوْ أَنَّهُ يَوْمًا تَحَدَّى بِفَضْلِهِ ... لَأَعْجَزَ فِي الدُّنْيَا قَرِيبًا وَقَاصِيَا
لَئِنْ كَانَ مُوسَى ضَلَّ طَوْرًا بِقَوْمِهِ ... فَإِنَّ كَمَالَ الدِّينِ مَا زَالَ هَادِيَا
لَهُ طُورُ فِكْرٍ مِنْ حِجَاهُ إِذَا ارْتَقَى ... عَلَى ظَهْرِهِ أَضْحَى كَلِيمًا مُنَاجِيَا
وَلَوْ أَنَّهُ أَلْقَى عَصًا مِنْ عُلُومِهِ ... عَلَى سَمْعِ فِرْعَوْنٍ لَمَا كَانَ عَاصِيَا
تَسِيرُ العُلا أَنَّى سَرَى فِي رِكَابِهِ ... وَيَسْعَى إِلَى أَكْنَافِهِ العِزُّ مَاشِيَا
وَلَوْ فَرَّ إِنْسَانٌ مِنَ المَوتِ هَارِبًا ... إِلَى ظِلِّهِ أَضْحَى مِنَ المَوْتِ نَاجِيَا

وأنشدني أيضًا لنفسه؛ يمدح الملك الناصر صلاح الدين داود بن عيسى:

[من الطويل]

بَآلاءِ ذا المُلْكِ الَّذي عَمَّ نَائِلُهْ ... تَبَلَّجَ وَجْهُ المُلْكِ وَاشْتَدَّ كَاهِلُهْ
وَسَالَمَ دَهْرٌ كَانَ حَرْبًا وَأَصْبَحَتْ ... بِدَاوُدَ عَنَّا رَاحِلاتٍ نَوَازِلُهْ
وَأَقْبَلَتِ العَلياءُ تَسْرِي إِلَى فَتًى ... جَمِيلٍ مُحَيَّاهُ كَرِيمٍ شَمَائِلُهْ
مِنَ القَوْمِ مِطْعَامِ العَشِيَّةِ وَالضُّحَى ... يَعُمُّ البَرَايَا فَرْضُهُ وَنَوَافِلُهْ
فَيُحْيِي وَيُرْدِي جُودُهُ وَانْتِقَامُهُ ... فَبَيْضٌ أَيَادِيهِ وَحُمْرٌ مَنَاصِلُهْ
/ ٢٦أ/ كَذَا الدَّهْرُ يُرْجَى مِنْهُ لِلْمُعْدِمِ الغِنَى ... وَتُخْشَى عَلَى أَهْلِ النَّعِيمِ غَوَائِلُهْ
سَمَا بَحْرُ هَذَا المُلْكِ فَالحَظُّ وَافِرٌ ... لِدَاوُدَ مِنْهُ حِيْنَ شَرَّفَ كَامِلُهْ
تُهَنَّى بِهِ الدُّنْيَا وَأَنَّى لِمِثْلِهِ ... يُهَنَّى بِهِ الشَّيءُ الَّذي لا يُمَاثِلُهْ
وَلَكِنَّنِي هَنَّيْتُ كُلَّ فَضِيلَةٍ ... بِأَكْرَمِ مَنْ تَغْشَى الأَنَامَ فَوَاضِلُهْ
لِسَانٌ نِضَالٌ أَفْحَمَ النَّاسَ نُطْقُهُ ... فَمَا آمِنٌ فِي العَالَمِيْنَ يُنَاضِلُهْ
وَذُو حِكَمٍ لَوْ أَنَّ سُقْرَاطَ فِي النُّهَى ... مُسَائِلُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ مَسَائِلُهْ
لَهُ سَطَوَاتٌ تَمْلأُ الأُفْقَ هَيْبَةً ... وَعَارِضُ جُودٍ طَبَّقَ الأَرْضَ وَابِلُهْ
فَفِي كُلِّ قَلْبٍ خَلَّفَ الرُّعْبَ بَأْسُهُ ... وَفِي كُلِّ شِعْبٍ خَلَّفَ الحَمْدَ نَائِلُهْ
فَفِي الحَرْبِ تَهْمِي بِالدِّمَاءِ سُيُوفُهُ ... وَفِي السِّلْمِ تَهْمِي بِالعَطَايَا أَنَامِلُهْ

أَلا أَيُّهَا المَلْكُ الَّذِي سَارَ خَوْفُهُ إِلَى كُلِّ قَلْبٍ ثُمَّ حُطَّتْ رَوَاحِلُهْ
إِلَى مَ عَدُوُّ الدِّينِ تَهْجُرُهُ القَنَا وَقَدْ نَحُلَتْ شَوْقًا إِلَيْهَا مَقَاتِلُهْ
ذَرِ السَّيْفَ يَرْوِيْ فِيهُمُ فَلِسَانُهُ فَصِيحٌ بِهَذَا الدِّيْنِ مَا النَّصْرُ قَائِلُهْ
فَإِنْ كُنْتَ لاَ تَرْضَى لِنَفْسِكَ قَتْلَهُ فَإِنَّ الَّذِي فِي نَفْسِهِ مِنْكَ قَاتِلُهْ
فَكَمْ مَلِكٍ تَحْتَ العَجَاجِ تَصَادَمَتْ قَنَاتُكَ فِي يَوْمِ الوَغَى وَقَنَابِلُهْ
شَهَرْتَ عَلَيْهِ المَشْرَفِيَّةَ وَالقَنَا فَوَلَّتْ كَعَانَاتِ الفَلاَةِ جَحَافِلُهْ
/ ٢٦ب/ أَقَلَّتْ رِيَاحٌ مِنْ سُطَاكَ عَلَيْهِمُ سَحَابًا بِصَوْبِ المَوْتِ جَادَتْ مَخَايِلُهْ
هَمَى فَحُدُودُ المَشْرَفِيَّةِ سَيْلُهُ عَلَى كُلِّ هَامٍ وَالنُّحُورُ جَدَاوِلُهْ
وَأَعْمَلْتَ فِي اللَّبَّاتِ كُلَّ مُثَقَّفٍ يَسِيغُ دَمًا حَتَّى تَبَزَّلَ عَامِلُهْ
فَلَوْ أَنَّ مُلْكَ الأَرْضِ يَوْمًا دَعَوْتَهُ أَجَابَكَ حَقُّ المُلْكِ يَوْمًا وَبَاطِلُهْ
فَأَنْتَ حُسَامُ اللهِ فِي يَدِ قَهْرِهِ وَأَنْتَ لِوَاءُ الدِّيْنِ وَاللهُ حَامِلُهْ
وَمَنْ كَانَ فِي الآفَاقِ بِالجُودِ قَابِلاً فَإِنَّ صَلاَحَ الدِّينِ فِي النَّاسِ فَاعِلُهْ
وَلَوْ لَمْ يُحَاوِلْ جُودَ كَفَّيْهِ آمِلٌ سَرَى نَحْوَ رَبْعِ الآمِلِيْنَ يُحَاوِلُهْ

وأنشدني لنفسه يمدح الوزير الصاحب شرف الدين أبا البركات المستوفي ـ رحمه الله ـ:

[من مجزوء الرمل]

يَا لَقَوْمِيْ الأَقَارِب لِلْقَنَا وَالقَوَاضِب
قَتَلَتْنِي تَعَمُّدًا لَحَظَاتُ الكَوَاعِب
وَرَمَتْنِي بِأَسْهُمٍ عَنْ قِسِيِّ الحَوَاجِب
ضَرَّةُ الشَّمْسِ لَوْ بَدًا وَجْهُهَا فِي الغَيَاهِب
مُنِعَ الطَّرْفُ أَنْ يَرَى مُشْرِفَاتِ الكَوَاعِب
تَتَعَاطَى لِقَوْمِهَا بِاجْتِنَابِ المَعَايِب
/ ٢٧أ/ فَهْيَ لاَ شَكَّ أَنَّهَا مِنْ لُؤَيِّ بْنِ غَالِب
كَيْفَ أَدْنُو وَدُونَهَا بِالظُّبَا كُلُّ ضَارِب
وَحِرَابٌ يَهُزُّهَا كُلُّ لَيْثٍ مُحَارِب
وَلَهَا مِنْ عَفَافِهَا حَاجِبٌ أَيُّ حَاجِب
ظَلْتُ مِنْ فَرْطِ حُبِّهَا هَائِمًا فِي السَّبَاسِب

هَكَذَا كُلُّ قَابِضٍ   مُولَعٌ بالرَّبَارِب
نَجْلَ مَوْهُوبَ يَمِّمُوا   تَظْفَرُوا بِالمَوَاهِبَ
لَوْ دَنَا كُلُّ رَاهِبٍ   مِنْ حِمَاهُ وَرَاغِبَ
لاغْتَدَىٰ غَيْرَ خَائِفٍ   وانْثَنَىٰ غَيْرَ خَائِبَ
[وَلَقَدْ قُلْتُ لِلرَّكَا   ئِبَ بَعْدَ الرَّكَائِبِ](1)
هُوَ مَا زَالَ رَاغِباً   فَي ابْتِذَالِ الرَّغَائِبِ
أَنْتَ يَمٌّ يَؤُمُّهُ   كُلُّ مَاشٍ ورَاكِبَ
وَمَغَانِيكَ كَعْبَةٌ   لِلْمُنَىٰ وَالمَآرِبِ
شَرَفَ الدِّينِ دَعْوَةً   مِنْ مُحِبٍّ وَصَاحِبَ
فَاسْتَجِبْ دَعْوَةَ امْرِىءٍ   فِي الهَوَىٰ غَيْرِ كَاذِبِ
بِنَوَالٍ مُسَحِّبٍ   ذَيْلَهُ كَالسَّحَائِبَ
/ ٢٧ب/ وَابْقَ لِلحِلْمِ وَالنَّدَىٰ   والعُلاَ وَالمَنَاصِبِ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من مخلّع البسيط]

مَرَّ أَبُو مُرَّةٍ عَلَيْنَا   وَقَدْ تَجَلَّتْ لَنَا المُدَامُ(2)
فَظَلَّ مِنَّا لَهَا سُجُودٌ   طَوْعاً وَمِنَّا لَهَا قِيَامُ
فِي زِيِّ حَبْرٍ عَلَيْهِ مِسْحٌ   مِنْ لَوْنِهِ يُنْشَرُ الظَّلاَمُ
قَالَ: سَلاَمٌ، فَقُلْتُ: مِنَّا   عَلَيْكَ سَيِّدِي السَّلاَمُ
فَقَالَ: مَا لِي أَرَاكَ عَنْهُمْ   بِمَعْزِلٍ أَيُّهَا الغُلاَمُ
رَغِبْتَ عَنْ مَذْهَبِ الحُمَيَّا   مَا هَكَذَا تَفْعَلُ الكِرَامُ
فقلتُ: شُرْبُ المُدَامِ حِلٌّ   فَقَالَ لِي: تَرْكُهَا حَرَامُ
إِشْرَبْ فَقَالَ النَّدِيمُ: خُذْهَا   أَفْتَاكَ فِي شُرْبِهَا الإِمَامُ
فَخُضْتُ بِالإِثْمِ فِي بُحُورٍ   يَمُوجُ فِي لُجِّهَا الأَنَامُ
كَمْ طَاحَ شَهْرٌ، وَرَاحَ دَهْرٌ   وَمَرَّ عَامٌ، وَجَاءَ عَامُ

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.
(٢) أبو مرّة: كنية إبليس.

وَنَحْنُ فِي جَنَّةِ الحُمَيَّا يُسْمَعُ فِي دَوْحِهَا الحَمَامُ
يُدِيرُ كَاسَاتِهَا عَلَيْنَا بَدْرُ الدُّجَى زَانَهُ التَمَامُ
نَسْعَى إلَى السُّكْرِ بَعْدَ سُكْرٍ فَلاَ صَلاَةٌ وَلاَ صِيَامُ

/ ٢٨أ/ وأنشدني لنفسه يمدح السلطان الملك الأشرف موسىٰ بن أبي بكر بن أيوب:

[من البسيط]

مَالِيْ وَذِكْرِ الرُّبَى وَالمَنْزِلِ الخَرِبِ وَتَرْكُ مَا رُمتُ مِنْ لَهْوٍ وَمِنْ طَرَبِ
لاَ أَبْتَغِي غَيرَ رَشْفِ الكَأْسِ تَكْرِمَةً مِنَ الزَّمَانِ ولَثْمَ الوَاضِحِ الشَّنِبِ
مِنْ كَفِّ رَاهِبَةٍ فِي الوَصْلِ رَاغِبَةٍ تَلِيْنُ مِنْ رَهَبٍ طَوْراً وَمِنْ رَغَبِ
شَمْسٍ تَرَاءَتْ لَنَا لَيْلاً عَلَى غُصُنٍ كَأَنَّهَا طَلَعَتْ صُبْحاً وَلَمْ تَغِبِ
ظَلَّتْ مُصَفِّقَةً بِالرَّاحِ مِنْ طَرَبٍ وَالرَّاحُ تَرْقُصُ فِي ثَوْبٍ مِنَ اللَّهَبِ
بِنْتُ الزَّمَانِ الَّذِيْ مَا زَالَ يَعْصِمُهَا مِنَ الخُطُوبِ فَلَمْ تُفْرَعْ وَلَمْ تَشِبِ
حَتَّى إذَا كَانَ مِنْهَا غَفْلَةٌ بَرَزَتْ لِلنَّاسِ مِنْ خِدْرِهَا فِي مَنْظَرٍ عَجَبِ
زَنَى بِهَا المَاءُ فَاصْفَرَّتْ لَهُ خَجَلاً مِنَّا وَبَرْقَعَتِ الخَدَّيْنِ بِالحَبَبِ
رَقَّتْ فَلاَ جَوْهَرٌ أَمْسَتْ وَلاَ عَرَضاً وَلَيْسَ مِنْ فِضَّةٍ كَانَتْ وَلاَ ذَهَبِ
حَتَّى تَحَيَّرَ فِيْهَا الوَاصِفُونَ فَلَمْ يَحْظَ المُبَالِغُ فِي وَصْفٍ وَلَمْ يُصِبِ
تَخَالُ أَنَّكَ فِي الإِسْلاَمِ تَشْرَبُهَا لَوْ لَمْ تُمِلْ بِرُؤُوسِ الشَّرْبِ عَنْ كَثَبِ
لَولاَ تَنَصُّرُهَا فِي الكَأْسِ مَا سُبِيَتْ وشُدَّ رَاوُوقُهَا البَاقِيْ إلَى الصُّلُبِ
وَلاَ سَعَيْنَا إلَى الحَانَاتِ نَسْلُبُهَا بِالطَّاسِ لاَ بِالمَوَاضِي وَالقَنَا السُّلُبِ
/ ٢٨ب/ لكنَّهَا أُعْرِبَتْ عَنْ كُفْرِهَا وَغَدَتْ حَرْبَ الأَعَاجِمِ فِي الإِسْلاَمِ وَالعَرَبِ
صَالُوا عَلَيْهَا، وَصَالَتْ فِي عُقُولِهِمُ فَلَيْسَ يَنْفَكُّ بَعْدَ النَّهْبِ فِي نَهَبِ
تَحَكَّمَتْ فِيْهِمُ سُكْراً كَمَا حَكَمَتْ أَشْيَاعُ مُوسَى عَلَى الأَعْدَاءِ بِالقُضُبِ
القَائِدُ الجَيْشَ كَالآذِيِّ يَتْبَعُهُ وَسَائِقُ الجَيْشِ بِالخَطِّيِّ فِي العَقِبِ
وَفِتْيَةً سَبَقُوا بِالطَّعْنِ إذ عَلِمُوا أَنَّ التَأَخُّرَ لاَ يُنْجِيْ مِنَ الهَرَبِ
المُقْدِمُونَ وفِي الإِقْدَامِ حَتْفُهُمُ يَومَ النِزَالِ كَأَنَّ الخَيْرَ فِي العَطَبِ
لَو أَنَّهُمْ جَزِعُوا يَومَ الوَغَى هَرَبُوا إلَى صُدُورِ القَنَا خَوْفاً مِنَ الهَرَبِ
أُبَتْ تَقَرُّ عَلَى جِسْمٍ رُؤُوسُهُمُ لَوْ لَمْ تَقَرَّ لَكَ الهَيْجَاءُ بِالرُّتَبِ

فَاسْتَسْلَمَتْ للعدَا في الحَرْب إذْ نُصرتْ ... أعْلاَمُهُمْ وَدَعَتْ بالوَيْل وَالحَرَب
نَادَاكَ والمُلْكُ قَدْ شَالَتْ نَعَامَتُهُ ... صَوْنًا فَلَبَّيْتَهُ بالفَيْلَقِ اللَّجِب
فَزُرْتَهُ وَرِمَاحُ الشِّرْكِ تَحْسَبُهَا ... في سَاحلِ البَحْر آجَامًا مِنَ القَصَب
لَقِيْتَهُمْ مُغْضَبًا فَانْقَضَّ جَمْعُهُمُ ... خَوْفًا فكَأَنَّ الرِّضَا في ذَلِكَ الغَضَب
ضَرَبْتَهُمْ بالظُّبَا حَتَّى نَثَرْتَهُمُ ... ضَرْبًا عَلَى هَامِهِمْ أَحْلَى مِنَ الضَّرَب
فَأَقْبَلَ الوَحْشُ يَبْغِي مِنْ أَمَاكِنِه ... قِرَى الأسنَّة وَالهِنْديَّة الشُّطُب
عِلْمًا بأَنَّكَ تُرْدِي مَا يَميرُهُمُ ... جَاءُوكَ فَانْقَلَبُوا في خَيْرِ مُنْقَلَب
/ ٢٩أ/ رَدَّتْ كَتَائبَ عيسَى وَهْيَ طَائعَةٌ ... آيَاتُ موسى التي أُثْبِتْنَ في الكُتُب
لَمْ يُحْيِي أَمْوَاتَهُمْ لكنَّهَا ظَهَرَتْ ... للقَوْم في سَلَبِ الأَرْوَاح والسَّلَب
فَأَنْهِل العُجْمَ في الهَيْجَاء مَا نَهِلُوا ... وَعُلَّهُمْ مِنْ حِيَاضِ الرُّزْء والنُّوَب
فَإنَّ بَأْسَكَ بَأْسٌ لَوْ قَذَفْتَ بِه ... صَدْرَ المَجَرَّة أَجْرَاهَا عَلَى العَقِب
وَاعْلَمْ بأَنَّكَ إنْ لَمْ تَلْقَ خَيْلَهُمُ ... كَانَتْ لَهَا قَصَبُ الخَطِّيِّ كالعُشُب
إنَّ الكِلاَبَ إذَا لَمْ يَلْقَهَا أَسَدٌ ... كَانَتْ كَأُسْدِ الشَّرَى مِنْ شدَّة الكَلَب
وَجَمْرَةُ الشَّرِّ إنْ لَمْ يطْفهَا غَدَقٌ ... مِنَ الأسنَّة لَمْ تَفْتُرْ عَنِ اللَّهَب
يَا أَيُّهَا المَلِكُ المَيمُونُ طَائِرُهُ ... وَمَنْ إلَيْه انتهَاءُ المَجْد وَالطَّلَب
إنِّي أَتَيْتُكَ أَبغِي منْكَ مَا ضَمِنَتْ ... لِيَ الظُّنُونُ وَأَشْكُو حِرْفَةَ الأَدَب

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الوافر]

إذَا طَلَعَتْ وَلَيْلُ الهَمِّ دَاجِي ... كُؤُوسُ الرَّاحِ في كَفِّ النَّدِيم
وَدَارَتْ بَيْنَنَا خَمْسًا وَخَمْسًا ... دَرَأْتُ بنُورِهَا ظُلَمَ الهُمُوم
وَطَارَتْ في وُجُوهِهِمُ وَأَمْسَى ... حَقيرُ القَوْمِ في خُلُقِ العَظِيم
تَبَسَّطْنَا عَلَى الآثَامِ حَتَّى ... شَرِبْنَا بَيْنَ زَمْزَمَ وَالحَطِيم
وَيَغْمُرُنَا عَلَى الألحَانِ بَحْرٌ ... فَنَغْرَقُ منْهُ في لُجَجِ النَّعِيم

/ ٢٩ب/ وأنشدني لنفسه، وقد قصد بعض الرؤساء، فحجبه البواب:

[من الكامل]

مَا زِلْتُ أُكْرِهُ مِنْ جَنَابِكَ زَوْرَةً ... حَتَّى كَفَانِيَ شَرَّهَا البَوَّابُ
وَأَرَاكَ تَتَّخِذُ الحِجَابَ تَعِلَّلاً ... وَحَقيرُ بِرِّكَ لِلأَتِي حِجَابُ

قَـدْ كُنْـتُ أَعْلَـمُ أَنَّ آلَـكَ فـي الـوَرَىٰ ... آلٌ تُـرَفِّعُـهُ رُبًـى وَهِضَـابُ
لكِـنْ سَمِعْـتُ بِـأَنَّ جُـوْدَكَ لُجَّـةٌ ... فَـإِذَا الَّـذِي غَـرَّ الأَنَـامَ سَـرَابُ

وأنشدني لنفسه في مغن يهجوه: [من المنسرح]

غَنَّىٰ ٱبْنُ أُخْتِ الزَّعِيمِ والشَّرْبُ قَدْ ... دَارَ عَلَيْهِ الشَّرَابُ فَانْشَعَبَا
فَمَا شَكَكْنَا وَقَدْ مَضَوا فِرَقًا ... أَنَّ غُرَابًا عَلَيْهِمُ نَعَبَا
وَرَجَّعَ القَوْلَ فِي بَقِيَّتِهِمْ ... فَأَطْنَبُوا بِالمَقَالِ وَاحْرَبَا
وَهْوَ عَلَىٰ جَهْلِهِ بِصَنْعَتِهِ ... يَظُنُّهُمْ قَدْ تَهَتَّكُوا طَرَبَا

وأنشدني لنفسه في مستنيب يهجوه: [من المتقارب]

كَأَنَّ ٱبْنَ أُفْشِينَ فِي زِيْرِهِ ... رِيَاحُ الشِّتَاءِ جَرَتْ بِالأَصِيْلِ
فَتِلْكَ تُجَمِّدُ صَوْبَ الغَمَامِ ... وَهَذَا يُجَمِّدُ صَوْبَ العُقُوْلِ
لَهُ نَفَسٌ بَارِدٌ يَابِسٌ ... يُرَدِّدُهُ فِي الخَفِيْفِ الثَّقِيْلِ

/ ٣٠أ/ وأنشدني أيضًا قوله: [من الوافر]

وَمُعْتَدِلِ القَوَامِ إِذَا تَثَنَّىٰ ... أَرَاكَ مَعَاطِفَ الغُصْنِ الرَّشِيْقِ
كَأَنَّ عِذَارَهُ وَالخَدُّ مِنْهُ ... غَضِيضُ النَّبْتِ أَحْدَقَ بِالشَّقِيْقِ
إِذَا سَقَّاكَ فِي دُرٍّ عَقِيْقًا ... تُقَبِّلُ مِنْهُ دُرًّا فِي عَقِيْقِ
فَفِي أَلْفَاظِهِ وَاللَّحْظِ سِحْرٌ ... يَرُدُّ الطَّائِعِيْنَ إِلَىٰ الفُسُوْقِ
دَعَانِي فَاهْتَدَيْتُ إِلَىٰ طَرِيْقٍ ... يُضِلُّ المُهْتَدِيْنَ إِلَىٰ الطَّرِيْقِ
رَشَفْتُ رُضَابَهُ وَشَرِبْتُ خَمْرًا ... فَفَضَّلْتُ الرَّحِيْقَ عَلَىٰ الرَّحِيْقِ

وأنشدني لنفسه أيضًا: [من الكامل]

قَدِمَ الرَّبِيْعُ بِوُرْدِهِ وَبَهَارِهِ ... فَاسْتَجْلِ نَبْتَ الدَّهْرِ فِي أَزْهَارِهِ
وَتَوَقَّ غُرَّتَهُ إِذَا أَبْرَزْتَهَا ... لِلنَّاسِ إِنَّ الرَّاحَ مِنْ أَبْكَارِهِ
زَمَنٌ أَعَارَ الأَرْضَ ثَوْبَ سَمَائِهِ ... وَبَدَتْ كَوَاكِبُ لَيْلِهِ بِنَهَارِهِ
فَاخْلَعْ عِذَارَكَ فِي المَلَامِ لأَهْيَفٍ ... تَسْبِيكَ مُقْلَتُهُ وَحُسْنُ عِذَارِهِ

وأنشدني أيضًا من شعره: [من الطويل]

بَعَثْتُ إِلَىٰ المَوْلَىٰ الوَزِيْرِ شِكَايَةً ... وَأَظْهَرْتُ فِيهَا مَا تُجِنُّ الضَّمَائِرُ

لِيَعْلَمَ أَنِّي قَاطِعٌ حَبْلَ وَصلِهِ ... وَأَنِّي مِنْ بعْدِ المَوَدَّةِ هَاجِرُ
/ ٣٠ب/ وأَنِّي مَعْ هَجْرِيْ لَهُ وَاجْتِنَابِهِ ... عَلَىٰ القُرْبِ وَالنَّأْيِ المُفَرِّقِ شَاكِرُ
فَكَمْ مَوْطِنٍ يَا ابْنَ الكِرَامِ لَدَيْكُمُ ... تَسَاوَىٰ الحَصَافِي جَوِّهِ وَالْجَوَاهِرُ
وَلَمْ أَنْسَ فَيْضَ الدَّمْعِ حِلْمًا لأَنَّنِي ... صَفَحْتُ عَنِ الأَزْمَانِ وَهْيَ غَوَادِرُ
وَلكِنَّنِي أَحْبَبْتُكُمْ وَأَخُو الهَوَىٰ ... عَلَىٰ كُلِّ مَكْرُوهٍ مِنَ الحُبِّ صَابِرُ

وأنشدني لنفسه يمدح النقيب محيي الدين أبا طاهر محمد بن حيدر بن محمد بن زيد الحُسيني الموصلي: [من الطويل]

جَهِلْتَ مِنَ المَعْرُوفِ مَا أَنْتَ عَالِمُهْ ... إذَا لَمْ تَزُرْ رَبْعًا تَعَفَّتْ مَعَالِمُهْ
وَمَا هَاجَ وَجْدِيْ مَعْلَمٌ بَانَ أَهْلُهُ ... وَلكِنَّ عَهْدًا فِي . . . . . تَمَائِمُهْ
وَقَفْتُ بِهِ وَالصُّبْحُ قَدْ هَزَمَ الدُّجَى ... إِلَىٰ الغَرْبِ لَمَّا سُلَّ بِالشَّرْقِ صَارِمُهْ
وَلِلْطَيْرِ فِي شَجَرَاتِهِ وَقُصُورِهِ ... تَرَنُّمُ زَنْجِيٍّ شَجَتْنِي طَمَاطِمُهْ
فَأَسْبَلَ دَمْعِي كَالعَقِيْقِ وَأَسْلَمَتْ ... فُؤَادِيْ إِلَىٰ أَيْدِيْ الحِمَامِ حَمَائِمُهْ
سَقَتْ تُرْبَهُ الأَنْوَاءُ حَتَّىٰ تَصَرَّمَتْ ... وَحَيَّاهُ مِنْ نَوْءِ السِّمَاكَيْنِ رَازِمُهْ
وَأَغْيَدَ فَتَّانِ اللَّوَاحِظِ لَوْ رَنَا ... إِلَىٰ بَارِحٍ لانْهَلَّ بِالمَاءِ قَائِمُهْ
أَغَارَ عَلَىٰ أَلْبَابِنَا بِلِحَاظِهِ ... فَرَاحَ وَأَلْبَابُ الرِّجَالِ غَنَائِمُهْ
/ ٣١أ/ إِذَا البَرْقُ أَمْسَىٰ ثَغْرُهُ مُتَبَسِّمًا ... حَكَتْهُ وَقَدْ لاحَ الصَّبَاحُ مَبَاسِمُهْ
أَرَىٰ الدَّهْرَ لِلحُرِّ الكَرِيْمِ مُحَارِبًا ... وَإِنْ كَانَ بِالرَّغْمِ الكَرِيْمُ يُسَالِمُهْ
فَيَخْفِضُهُ إِنْ رَامَ فِي النَّاسِ رِفْعَةً ... وَيَصْرِفُهُ عَنْ حَقِّهِ وَهْوَ ظَالِمُهْ
وَلكِنَّ سَمْحًا تَسْلُبُ الدَّهْرَ حُكْمَهُ ... إِذَا بَرَزَتْ آرَاؤُهُ وَعَزَائِمُهْ
يَخُوضُ إِلَىٰ العَلْيَاءِ كُلَّ كَرِيْهَةٍ ... يُصَادِمُ أَطْرَافَ القَنَا وَتُصَادِمُهْ
لأَجْدَرُ أَنْ يَلْقَىٰ الَّذِي لا يَسُوْؤُهُ ... مِنَ الدَّهْرِ أَوْ يَعْنُو لَهُ وَهْوَ رَاغِمُهْ
وَإِنَّ أَخَا الإِعْدَامِ مَنْ بَاتَ طَالِبًا ... مَزِيْدَ غِنًى فِي نَفْسِهِ وَهْوَ عَادِمُهْ
وَمُظْلِمَةِ الأَرْجَاءِ قَفْرٍ قَطَعْتُهَا ... عَلَىٰ خَاضِبٍ كَا . . . . تَتْرُو قَوَادِمُهْ
تَجَهَّمَهَا وَاللَّيْلُ مُلْقٍ جِرَانَهُ ... وَقَدْ لاحَ رَامِيهِ وَطَارَتْ نَعَائِمُهْ
كَأَنَّ نُجُومَ اللَّيْلِ نَوْرٌ خَمِيْلَةٍ ... تَفَتَّحَ وَهْنًا وَالنَّهَارُ كَمَائِمُهْ
كَأَنَّ الدُّجَىٰ سَارٍ بِحَيٍّ تَقَاذَفَتْ ... بِرَاكِبِهَا الأَمْوَاجُ وَالرَّكْبُ عَائِمُهْ

رسمنا البلاد الغبر لَمَّا تَغَشْمَرَتْ ... إلَى ابن عُبَيد الله . . . . . رَوَاسِمُهْ
إلَى ذي نَدًى يَنْهَلُّ قَبْلَ سُؤَالِهِ ... كَمَا انْهَلَّ مِنْ نَوْءِ السِّمَاكَيْنِ رَازِمُهْ
إذا مَا أتاه طالب . . . . يُعَارِضُهُ ثُمَّ اسْتَهَلَّتْ غَمَائِمُهْ
نَدَاهُ يَعُمُّ المُعْتَفِينَ وَبِرُّهُ ... يَزُورُ اليَتَامَى قَائِمُ الدَّهْرِ صَائِمُهْ
/ ٣١ب/ مِنَ القَوْمِ لاَ المَعْرُوفُ فِيهِمْ بِمُنْكَرٍ ... وَلاَ البَرْقُ مِنْ آلائِهِمْ خَابَ شَائِمُهْ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ مَعْشَرٍ طَابَ خِيمُهُمْ ... كِرَامٍ كَفَتْهُمْ فِي الفَخَارِ مَكَارِمُهْ
وَإنَّ لِمُحْيِي الدِّينِ فَضْلاً عَلَيهِمُ ... كَمَا فَضَلَ الحَيَّ اليَمَانِيَّ حَاتِمُهْ
لَئِنْ فَخَرَتْ أَبْنَاءُ فِهْرٍ بِمَا بَنَتْ ... وَزَادَ عَلَى مَا شَيَّدَ القَوْمُ هَاشِمُهْ
بِكُمْ جَلَّ هَذَا البَيْتُ حَتَّى تَوَاضَعَتْ ... لَدَيْهِ المَعَالِي وَاشْمَخَرَّتْ دَعَائِمُهْ
وَأَنْتُمْ مِنَ الهَادِي إذَا انْتَسَبَ الوَرَى ... يَدَاهُ وَمَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ حَيَازِمُهْ
وَأَنْتُمْ لِهَذَا الدِّينِ آلَ مُحَمَّدٍ ... عَلَى الخَصْمِ عَضْبٌ فِي يَدِ النَّصْرِ قَائِمُهْ
أَبُوكُمْ إمَامُ المُتَّقِينَ فَمَنْ عَصَى ... أَوَامِرَهُ أَصْلَتْهُ نَاراً جَرَائِمُهْ
إمَامٌ لَهُ جِبْرِيلُ مَازَالَ خَادِماً ... وَحَسْبُكَ فَخْراً أَنَّ جِبْرِيلَ خَادِمُهْ
وَلَوْلاَكُمُ مَا قَامَ لِلدِّينِ مِنْبَرٌ ... وَلاَ خَطَبَتْ أَعْرَابُهُ وَأَعَاجِمُهْ
بِجَدِّكُمُ المَبْعُوثِ جَلَّتْ فُرُوعُهُ ... وَمِنْ عِلْمِهِ دُونَ الوَرَى قَالَ عَالِمُهْ
وَكُنْتُمْ عَلَى الآفَاقِ عَارِضَ رَحْمَةٍ ... بَوَارِقُهُ مَحْمُودَةٌ وَهَمَاهِمُهْ

وأنشدني أيضًا لنفسه من قصيدة يمدح بها: [من الوافر]

لِسَعْدِكَ يَخْضَعُ الفَلَكُ الأَثِيرُ ... وَأَنْتَ الحَيُّ تَخْدُمُكَ الدُّهُورُ
/ ٣٢أ/ مَتَى خَاضَتْ بِحَدِّ ظُبَاكَ حَرْبٌ ... فَلَيْسَ لَهَا وَإنْ هُزِمَتْ ظُهُورُ
تَسِيلُ بِهَا دَماً مُهَجُ الأَعَادِي ... إذَا افْتَرَعَتْ بَكَارَتَهَا الذُّكُورُ
وَيَوْمٍ ظَلَّ مُسْوَدَّ الحَوَاشِي ... تَحلقه بِأَنْفُسِهَا الصُّدُورُ
كَأَنَّ تَنَاوُحَ الجَيْشَيْنِ فِيهِ ... جِبَالُ الرُّومِ قَابَلَهَا ثَبِيرُ
شَهَرْتَ عَلَيْهِمُ بِيضَ المَوَاضِي ... مِنَ الأَغْمَادِ وَهْيَ لَهَا خُدُورُ
وَقَدْ أَنْكَحْتَهُنَّ الهَامَ ضَرْباً ... وَكَانَ نِتَاجُهُنَّ دَماً يَمُورُ

وأنشدني له: [من المنسرح]

رَبْـعُ الهَـوَىٰ مَـا وَقَفْـتَ فـي كُثُبِـهْ[(١)] وَقَــدْ رَمَــاكَ الغَـرَامُ عَـنْ كَثَبِـهْ
وَقَفْــتَ عَــنْ أَهْلِــهِ تُسَــائِلُــهُ وَالــدَّمْــعُ قَــدْ عَمَّــهُ بِمُنْسَكِبِـهْ
أَضْحَــىٰ خَــلاَءً فَمَــا بِــهِ طَلَــلٌ يُعْــرِبُ بَعْــدَ المُحُــوْلِ عَــنْ عَـذَبِهْ
كَيْــفَ يَلَــذُّ الفَتَــىٰ بِعِيشَتِــهِ وَالْعُمْــرُ سَفْــرٌ وَالــدَّهْــرُ فـي نَهَبِـهْ
وَالمَــرْءُ مَــا زَالَ فِــي تَقَلُّبِــهِ تُسْلَــمُ آمَــالُــهُ عَلَــىٰ عَطَبِــهْ

ومنها:

وَأَهْيَـفَ كَـالقَضِيْــبِ أَهْـدَىٰ لَـكَ السِّــرَّ مِــنْ كَـأْسِــهِ وَمِــنْ شَنَبِــهْ
عَلَــىٰ رِيَــاضٍ تَحْكِــيْ الظَّــلاَمَ وَيَحْكِــي نَــوْرَهَــا النَّيِّــرَانَ مِــنْ شُهُبِــهْ
/ ٣٢ب/ يُلْثِمُنِــيْ كَــأْسَهَــا وَأَلْثِمُــهُ حُبّـاً فَسُكْـرِيْ بِهَـا وَصَحْـوِيَ بِـهْ

[٣٣٧]

/ ٣٤أ/ عبدُ القَادرِ بنُ أبي عبدِ الله الخياطِ ـ والده من أهل دمشق ـ الدمشقيُّ.

كان شابًا ذكي القريحة في قرض الشعر، وقرأ شيئًا من الأدب علىٰ شيخه أبي اليُمن زيد بن الحسن الكندي.

أنشدني الخطيب عبد الرحمن بن منصور بن / ٣٤ب/ جامع الدمشقي؛ قال: أنشدني عبد القادر بن العجيل لنفسه؛ يمدح شيخه تاج الدين الكندي، وهو زيد بن الحسن:

[من الكامل]

أَفِــضِ الــدِّمَــا بِمَــرَابِــعِ الأَدَمِ وَانْــدُبْ مَعَــالِمَهُــنَّ بِــالعَلَــمِ
بَــرِزَتْ غُصُــونــاً فِــي كَثِيْــبِ نَقــاً وَبَــدَتْ بُــدُوْراً فِــي دُجَــىٰ لِمَــمِ
وَسَــرُوا بِلَيْــلٍ مُــدْلِجِيْــنَ كَمَــا تَسْــرِيْ بُــدُوْرُ التِّــمِّ فِــي الظُّلَــمِ
مَــا أَنْجَــدُوا بَــلْ أَتْهَمُــوا وَلَهَــا بِــالصَّبْــرِ أَضْحَــىٰ غَيْــرَ مُتَّهَــمِ
يَــا وَقْفَــةَ التَّــوْدِيْــعِ طُلْــتِ بِهَــا وَمَــدَامِعِــيْ تَنْهَــلُّ كَــالــدِّيَــمِ
أَبْكِــيْ وَأَنْــدُبُ أَرْبُعــاً دَرَسَــتْ بَعْــدَ الفِــرَاقِ بِــأَدْمُــعٍ سُجُــمِ

---

(١) الكَثَب: الأولى، موضع بديار طيء، والثانية: عن قرب.

حَيِّ الظِّبَاءَ بِحَيٍّ كَاظِمَةٍ وَأقْرَ السَّلامَ مَهاً بِذِي سَلَمِ
مَنْ سَافِرٍ بِالحُسْنِ مُلْتَثِمٍ فَاقَ الهِلالَ وَغَيْرِ مُلْتَثِمِ
بِقَنَاةِ قَدٍّ مَا بِهَا خَوَرٌ وَبِسَيْفِ جَفْنٍ غَيْرِ مُنْثَلِمِ
للهِ لَيْلَةٌ زَارَنِي وَلَهَا طَرْفُ الدُّجَى وَالصُّبْحُ لَمْ يَنَمِ
بَاتَتْ مَضَاجِعُنَا حَشاً لِحَشاً وَغَدَتْ مَرَاشِفُنَا فَماً لِفَمِ
حَتَّى بَدَا ضَوْءُ الصَّبَاحِ بِطَلْعَةِ زَيْدِ الكِنْدِيِّ فِي الظُّلَمِ
العَالِمِ الحَبْرِ الجَوَادِ سَلِيلِ الجُودِ رَبِّ المَجْدِ وَالكَرَمِ
/ ١٣٥أ/ نَدْبٌ إِذَا انْتَدَبَ اليَرَاعَ تَرَى فِي الطِّرْسِ يُبْدِي غَايَةَ الحِكَمِ
فَكَأَنَّمَا أَقْلامُهُ أُسُدٌ بَيْنَ الأَنَامِلِ مِنْهُ فِي أُجُمِ
يَا كَعْبَةً لِلجُودِ قَدْ نُصِبَتْ لِلوَفْدِ مِنْ قَاصٍ وَمِنْ أَمَمِ
تَاللهِ مَا . . . . إِذنْ إِلاَّ لِمُلْتَمِسٍ وَمُسْتَلِمِ

[ذكر من اسمه عبد القاهر]

[٣٣٨]

/ ٣٢ب/ عبدُ القاهر بنُ الحسن بن عبد القاهر بن ثُمامةَ بن الحسين بن شجاعٍ، أَبو القاسمِ بنُ أبي عليٍّ الكَلبيُّ، المَعروفُ بابنِ المُطَهِّرِ (١).

كان في أجداده من يلقب بالمطَهَّر، أصله من حماة وجدّه عبد القاهر، كان خطيبها، وبنو عمِّه قضاتها. وأبو القاسم ولد بدمشق في حدود سنة اثنتين وستين وخمسمائة؛ قرأ الفقه بها علىٰ القاضي محيي الدين(٢)، واشتغل بالخلاف علىٰ الخطيب الدُولعي، وسمع الحديث علىٰ أبي المفرج الثقفي وغيره، وعنده فضل، ويقول شعراً حسنًا.

شاهدتهُ بدمشق بمسجدها الجامع شرقيه، يكتب بها المشروط، وهو أحد عدولها المتميزين، شيخنا كبيراً، طلق اللسان، وذلك في ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وستمائة.

ووجدته كثيراً ما يشكو من الزمان ويتظلم من أبنائه، وخُبِّرتُ أنه كان في أيام الملك المعظم عيسىٰ بن أبي بكر / ٣٣أ/ ابن أيوب ـ صاحب دمشق ـ بخير وحسن حال، وله ثروة ويسار متجمِّلاً يتولىٰ الأمر ناظراً فطمحت نفسه، وامتدت يدُه في مال السلطان، فتناول منه فوبِّخَ عليه وحبس وصودر، فاستوصل منه عشرة آلاف درهم، فتضعضع أمره، ورقت حاله، وأثَّر الفقر عليه، وهو يجتدي بشعره صدور دمشق فيثاب علىٰ ذلك بأنزر شيء وأطَفِّه فيقنع به.

---

(١) ترجمته في: مجمع الآداب ٥/ ٧١ نقلها عن القلائد. وفيه اسمه «عبد القاهر بن الحسين بن عبد القاهر». الوافي بالوفيات ١٩/ ٥١ ـ ٥٢. وفيه: «توفي بحماه سنة أربعين وستمائة». تأريخ الإسلام (السنوات ٦٣١ ـ ٦٤٠) ص٤٤٢، رقم ٦٧٢، وفيه اسمه: «عبد القاهر بن المطهّر بن أبي علي الحسن بن عبد القاهر بن شجاع».

(٢) في مجمع الآداب: «محيي الدين أبي المعالي، محمد بن علي بن [محمد] القرشي».

وقيل لي عنه: إنَّه يبيع لمنتحلي صناعة الشعر قصائد من نظمه ليمدحوا بها الناس بأحقر ثمن، يبعثه علىٰ ذلك قلّة ذات يده، والحاجة والإملاق، فالله تعالىٰ يغنينا بفضله عمن سواه، إنَّه جواد كريم.

فارقته بدمشق وهو حيّ يرزق في سنة أربعين وستمائة، وذُكر لي أنه لحق باللطيف الخبير.

أنشدني من شعره في التاريخ المذكور: [من البسيط]

تَصَرُّفُ الدَّهْرِ في هَذَا الوَرَىٰ عَجَبُ ... تَصَرُّفٌ فِيهِ مِنْ خُلْفٍ بِهِ رِيَبُ
وَحُكْمُهُ في بَنِيهِ مِنْ تَنَاقُضِهِ ... أن التَنَاقُضَ مِنْهُ يَعْجَبُ العَجَبُ
يُعْطِي وَيَسْلُبُ مَا يُعْطِي مُفَاجَأَةً ... وَيَسْتَرِدُّ عَلَى الفَوْرِ الَّذي يَهَبُ
/ ٣٣ب/ وَقَدْ تَدَبَّرْتُ مَا قَدْ قَالَه مَثَلاً ... ذُوْ خِبْرَةٍ قَوْلَ صِدْقٍ مَا بِهِ كَذِبُ
فَقَالَ حَيْثُ أَجَادَ القَوْلَ مُنْتَخِبًا ... مَعَانِيًا مِثْلُهَا فِي الشِّعْرِ يُنْتَخَبُ
[مَا النَّاسُ إلاَّ مَعَ الدُّنْيَا وَصَاحِبِهَا ... فَكَيْفَمَا انْقَلَبَتْ يَوْمًا بِهِ انقَلَبُوا
يُعَظِّمُونَ أَخَا الدُّنْيَا فَإنْ وَثَبَتْ ... يَوْمًا عَلَيْهِ بِمَا لاَ يَشْتَهِي وَثَبُوا]
إنْ يَسْمَعُوا الخَيْرَ أَخْفَوْهُ وَإِنْ سَمِعُوا ... شَرًّا أَذَاعُوا وَإِنْ لَمْ يَسْمَعُوا كَذَبُوا
وَأَحْزَمُ النَّاسِ مَنْ يَخْشَىٰ غَوَائِلَهُمْ ... وَمَنْ يُظَنُّ بِهِمْ شَرًّا فَيَجْتَنِبُ
وَلاَ تُصَاحِبْ مِنْهُمْ صَاحِبًا أَبَداً ... إلاَّ وَتَحْذَرُهُ طَبْعًا وَتَجْتَنِبُ
وَالصَّاحِبُ الوَغْدُ يُعْدِي مَنْ يُصَاحِبُهُ ... كَأَنَّمَا هُوَ فِي إعْدَائِهِ الجَرَبُ
وَالعَاقِلُ الفَطِنُ النَّدْبُ اللَّبِيبُ وَمَنْ ... فِي كُلِّ حَالاَتِهِ مُسْتَيْقِظٌ ذَرِبُ
لاَ تَرْكَنَنَّ إِلَى الدُّنْيَا فَرَاحَتُهَا ... لِلرَّاكِنِينَ إِلَيْهَا كُلُّهَا تَعَبُ
لأَنَّهَا دَارُ آفَاتٍ سَلاَمَتُهَا ... لِمَنْ تُسَالِمُهُ مِنْ أَهْلِهَا عَطَبُ
مَا إنْ بِخَيْرٍ إِلَىٰ مَنْ يَنْتَهِي انْقَلَبَتْ ... إلاَّ بِشَرٍّ إِلَيْهِ بَعْدُ تَنْقَلِبُ
تَاللهِ لَوْلاَ عِيَالٌ كُلُّهُمْ حُرُمٌ ... كَدِّي عَلَيْهِنَّ شَرْعًا بَعْضُ مَا يَجِب
طَلَّقْتُهَا قَبْلَ مَا فِيهَا يُطَلِّقُنِي ... هَذِي الحَيَاةَ الَّتِي بِالمَوْتِ تُغْتَصَبُ
بِئْسَ الحَيَاةُ يَعُودُ المَرْءُ مُسْتَلَبًا ... مِنْهَا وَمَا حَازَ فِيهَا لِلْعِدَا سَلَبُ
/ ٣٤أ/ هَذَا سَجِيَّةُ هَذَا الدَّهْرِ قَدْ ذَهَبَتْ ... فِي أَهْلِهِ وَعَلَيْهَا أَهْلُهُ ذَهَبُوا

وَلَسْتُ عَنْهُ بِرَاضٍ، والرِّضَا خُلُقِي ... وَإِنْ غَضِبْتُ عَلَيْهِ حُقَّ لِي الغَضَبُ
وَالْعِلْمُ فِي صِغَرِي مَازِلْتُ أَطْلُبُهُ ... مِنْ أَهْلِهِ رَاعِياً يَا حَبَّذَا الطَّلَبُ
وَمَا بَرِحْتُ حَلِيفَ الفَضْلِ فِي كِبَرِي ... لَمَّا تَكَسَّبْتُهُ وَالفَضْلُ مُكْتَسَبُ
وَقَدْ عَرَفْتُ بَنِي الدُّنْيَا كَمَعْرِفَتِي ... نَفْسِي إِلَىٰ حَسَبِ التَّقْوَىٰ لَهَا حَسَبُ
وَقَدْ خَبُرْتُ أُنَاساً رَانَ مِنْ طَبعٍ ... عَلَىٰ قُلُوبٍ حَوَوْهَا اللَّهْوُ واللَّعِبُ[1]
فِي القَولِ الذي ما كانوا إذا صدقوا ... وَالْفِعْلُ أَبْعَدُ مَا كَانُوا إِذَا قَرُبُوا
عَبِيدُ مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا لَهُ فَإِذَا ... وَلَّتْ عَنِ المَرْءِ وَلُّوا عَنْهُ وانْجَذَبُوا

[٣٣٩]

عبدُ القاهر بنُ الفضلِ بنِ عبدِ القاهرِ بنِ محمدٍ القرشيُّ، أبو غانمٍ[2].

من أهل حلب، كانت ولادته بها في شهر الله رجب سنة سبع وستين وخمسمائة، وهو عدل من عدولها، ويتولّىٰ النظر في وقف المدارس، وهو شيخ طويل له حُرمة وقدر سمع حماد البُزاعي، وابن أخيه أبا الفوارس البُزاعي.

أنشدني لنفسه هذه الأبيات، وأوصىٰ أن تكتب علىٰ قبره بعد موته: [من الرمل]

هَذِهِ تُرْبَةُ عَبْدٍ مُذْنِبٍ ... بِخَطَايَاهُ ثَوَىٰ فِي لَحْدِهِ
تَرَكَ الأَوْلَادَ وَالمَالَ مَعاً ... لَيْسَ يَدْرِي مَا جَرَىٰ مِنْ بَعْدِهِ
كَانَ إِنْ مَسَّ تُرَابٌ بُرْدَهُ ... خَافَ مِنْ تَأْثِيرِهِ فِي بُرْدِهِ
/ ٣٥ب/ أَصْبَحَ اليَومَ بِقَبْرٍ مُوحِشٍ ... وَالثَّرَىٰ مُلْتَصِقٌ فِي خَدِّهِ
يَسْأَلُ اللهَ نَعِيماً وَرِضاً ... ثُمَّ يَرْجُو رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ

---

(١) في مجمع الآداب، بعده:
«إذا هُم سمعوا من فاسق عيباً ... لمسلم غيبة عنّا بها طربوا»

(٢) في هامش الأصل: «توفي بحلب في سنة ثلاثٍ وخمسين أو أربعة وخمسين وستمائة».

[٣٤٠]

عبدُ القاهر بنُ محمد بن الحسن بن عليٍّ بن عبد الله بنِ عبد العزيزِ، أبوَ محمدٍ البغداديُّ، المعروفُ بابنِ الفُوطيَ.

من حفاظ القرآن الكريم، ومن أهل المعرفة، طلق اللسان في الكلام إذا شرع، وأخذ في المحادثة، وهو شاب أسمر ربع القامة.

اجتمعتُ به غير مرّة بالموصل وبغداد، ولم ينشدني شيئًا من أشعاره، وبعد ذلك عثرت له علىٰ هذه القصيدة البائية؛ يقولها في شيخه حين لبس الحرير ومال إلىٰ رياسة الدُّنيا وزينتها، وحبّ المال والجاه والعزّ والحشمة والأمر والنهي، وطلب المناصب الدنيوية، وكان ينهىٰ عن ذلك كلّه ويزرى علىٰ من يروم بنفسه حبّ المراتب، وجمع المال ونهىٰ أصحابه ومريديه عن التعرض للدنيا. وكان قبل ذلك فقيراً مملقًا / ٣٦أ/ علىٰ قدم التجرّد، زاهداً في الدُّنيا، راغبًا في الآخرة، يلبس الصوف، ويسلك طريق الزهد، والانقطاع إلىٰ الله ـ عز وجل ـ والاجتهاد والرياضة؛ فأنشأ أبو محمد هذه القصيدة، زاريًا عليه فيما صدر عنه.

ثم اجتمعت به بمدينة السلام؛ بالمدرسة الشريفة المستنصرية، وذلك في أواخر ربيع الآخر من سنة تسع وثلاثين وستمائة، فاستنشدته القصيدة جميعها وغيرها من شعره، وسألته عن ولادته، فذكر إنَّه ولد ببغداد ليلة الخميس الثالث والعشرين من ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة.

وسمع جملة من الحديث، ورأيت له طبعًا جيداً في الكتابة الإنشائية، وفصولاً أملاها علي، وتفقه علىٰ المذهب الأحمدي، وتأدّب، وتولىٰ في الأيام المستنصرية، مشرفًا علىٰ منشر التمور: [من المنسرح]

نَـادَيْـتُ شَيْخِـي مِـنْ شِـدَّة العجـب ... وَشَيْخُنَـا فـي الحَـرِيْـر والـذَّهَـب

فـي دَسْتِـه جَـالِسـاً بِبَسْمَلَـة ... بَيْـنَ يَـدَيْـه إنْ قَـامَ فـي أَرَب

وَرُكْبَـةٍ مِنْـهُ كُنْـتُ أَعْهَـدُهُ ... يَـذُمُّ أبْنَـاءَهَـا عَلَـىٰ الـرِّيَـب

/ ٣٦ب/ وَكَـانَ أَرْبَـابُهَـا لَـدَيْـه عَلَـىٰ ... سُخْـطٍ مِـنَ اللهِ شَـامِـلِ الغَضَـب

أَصَـا فِـي الـرَّأْيِ مَـنْ دَعَـاكَ لَهَـا ... وَأَنْـتَ لَمَّـا أَجَبْـتَ لَـمْ تُصِـب

أَوَّل صَــوْت دَعَــاكَ عَــنْ عــرَض　　لَبَيْتَــهُ مُقْبــلاً عَلَــىٰ السَّبَــب
قَــدْ كُنْــتَ ذَاكَ الَّــذي يُظَــنُّ بِــهِ　　لَــوْ لَــمْ تكُــنْ مُسْـرعـًا إلَــىٰ الــرُّتَــب
إنْ كَــانَ مَــا قَــدْ مُنحْــتَ مُمْتَحَنــًا　　فَمَــا صَبَــرْتَ اصْطِبَــارَ ذي أَرَب
أَوْ كُنْــتَ مُسْتَخْفيــًا سَعَيْــتَ لَهَــا　　يَــا خُسْـرهَــا صَفْقَــةً عَلَــىٰ النَّصَــب
شَيْخِــي أَيْــنَ الَّــذي يُعَلِّمُنَــا الــزُّهْــدَ وَيَعْتَــدُّهُ مــنَ القُــرَب
أَيْــنَ الَّــذي لَــمْ يَــزَلْ يُسَلِّكُنَــا　　إلَــىٰ خُــرُوْج عَــنْ كُــلِّ مُكْتَسَــب
أَيْــنَ الَّــذَيْ لَــمْ يَــزَلْ يُعَــرِّفُنَــا　　فَضْــلَ التَعَــرِّيْ وَالْجُــوعِ والسَّغَــب
أَيْــنَ الَّــذَيْ لَــمْ يَــزَلْ يُــرَغِّبُنَــا　　فــي الصُّــوف لُبْسـًا لَــهُ وَفــي الجَشَــب
وَأَيْــنَ مَــنْ كَــانَ مُــزْعجـًا أَسَفـًا　　زَفيْــرُهُ قَلْــبَ كُــلِّ مُــرْتَغـب
وَأَيْــنَ مَــنْ كَــانَ قَــابَــلاً نُسُكــًا　　فَضْــلَ قَمِيْــص مــنْ أَكْثَــف الحُجُــب
وَأَيْــنَ مَــنْ كَــانَ فــي بــدَايَتــه　　يَهيْــجُ هَيَّــجَ الجمَــال فــي الجَــرَب
وَأَيْــنَ مَــنْ غَــرَّنَــا بــزُخْــرُفَــه　　حَتَّــىٰ اعتَقَــدْنَــاهُ زَاهِــدَ العَــرَب
وأيــن ذاك . . . . . يُشْعــرُنَــا　　أَنَّ سِــوَاهُ فــي السَّعْــي لَــمْ يَجـب
/ ١٣٧أ/ وَأَيْــنَ مَــنْ لَــمْ يَــزَلْ يَــذُمُّ لَنَــا　　الــدُّنْيَــا وَقَــوْلَ المحَــال وَالكَــذب
وَأَيْــنَ مَــنْ لَــمْ يَــزَلْ يُــوَهِّمُنَــا　　منْهَــا فــرَاراً بشَــدَّة الهَــرَب
وَأَيْــنَ مَــنْ لَــمْ يَــزَلْ بــأَدْمُعــه　　يَخْــدَعُنَــا بَــاكيــًا عَلَــىٰ الخَشَــب
وَأَيْــنَ تلْــكَ الأَنْفَــاسُ صَــاعــدَةً　　مــنْ شــدَّة الخَــوْف مَــوْردَ الخُطَــب
وَأَيْــنَ مَــنْ كَــانَ فــي مَــوَاعَظــه　　يَصُــوْلُ زَجْــراً عَــنْ كُــلِّ مُحْتَسَــب
وَيَقْطَــعُ القَــوْلَ لاَ يُتَمِّمُــهُ　　مُنْقَلبــًا بــالسَّمَــاع وَالطَّــرَب
وَمَــنْ يَــرَ الشَّيْــخَ بَعْــدَ خُطْبَتــه　　يَــرَ أَمْــراً غَــائبــًا وَلَــمْ يَــؤُب
فَيُقْســمُ العُمْــرَ أَنَّــهُ رَجُــلٌ　　لَيْــسَ لَــهُ فــي الــوُجُــود مــنْ أَرَب
لَــوْ كَــانَــت الأَرْضُ كُلُّهــا ذَهَبــًا　　أَعْــرَضَ عَنْهَــا إعْــرَاضَ مُكْتَئــب
أَسْفَــرَ ذَاكَ النَّــامُــوْسُ مُخْتَبئــًا　　عَــنْ رَاغــب فــي التُّــراث مُسْتَلــب
وَكَــانَ ذَاكَ الصُّــرَاخُ يُــزْعجُنَــا　　شَكْــوَىٰ فَقيــرٍ عَلَــىٰ الــدُّنَــىٰ وَصَــب
لَــوْ كَــانَ مَــوْلَــىٰ الأَنَــام عَــايَنَــهُ　　يَخْطُبُنَــا فــي خُشُــوْع مُنْتَحــب
أَيْقَــنَ منْــهُ بَعْــدَ القَبُــول إذَا　　دَعَــاهُ فــي رُتْبَــة عَلَــىٰ الــرُّتَــب

وَكَـانَ حَـاشَـاهُ حِيـنَ وَافَقَـهُ قَـدْ سَـاءَ ظَنّـاً فِـي كُـلِّ مُقْتَـرِب
شَيْخِـي بَعْـدَ الـذَّمِّ الصَّـرِيـحِ لِمَـا أَتَيْتَـهُ جِئْتَـهُ عَلَـى طَلَـبِ
/ ٣٧ب/ نَسِيـتَ مَـا قُلْتَـهُ عَلَـى وَرَعٍ عَنّـي لِمَّـا اكْتَسَبْـتُ بِـالـدَّأَبِ
وَيْـلٌ لَـهُ إِنْ يَمُـتْ بِخِـدْمَتِـهِ يَمُـتْ كَفُـوراً وَلَيْـسَ بِـالعَجَـبِ
مَـا كَـانَ مَـالُ السُّلْطَـانِ مُكْتَسَبـاً لِمُـؤْمِـنٍ سَـالِـمٍ مِـنَ العَطَـبِ
هَـذَا وَرِزْقِـي فِـي وَقْـفٍ أُرَبِّطُـهُ قَـدْرٌ طَفِيـفٌ أُعْطَـاهُ بِـالتَّعَـبِ
وَلَسْـتُ فِـي ثَـرْوَةٍ أُسَـرُّ بِهَـا دُنْيَـايَ مِنْهَـا مَـوْفُـورَةُ النَّشَـبِ
فَلَيْـتَ شِعْـرِي مَـاذَا أَقُـولُ وَقَـدْ حَلَلْـتَ مِنْهَـا فِـي مَـرْبَـعٍ خَصِـبِ
فِـي المَـالِ وَالجَـاهِ وَالتَّشَـرُّفِ وَالعِـزِّ وَأَمْـرٍ يُطَـاعُ فِـي النَّسَـبِ
أُعْطِيـتَ كُـرَّاثَـةً فُتِنْـتَ بِهَـا عَـنْ طَلَـبٍ كَـانَ أَشْـرَفَ الطَّلَـبِ
لَـوْ أَنَّهَـا لَحْمَـةٌ جَنَيْـتَ عَلَـى دِينِـكَ تَـرْكـاً يَكُـونُ عَـنْ كَثَـبِ
وَكَـانَ ذَاكَ التَّحْنِيـكُ مُنْعَطِفـاً لِجَـامِ مَـنْ يَـدَّعِـي وَلَـمْ يَنُـبِ
شَيْخِـي بَعْـدَ التَّفْصِيـلِ مُتَقِيـاً ثَـوْبـاً قَصِيـراً مُجَـاوِرَ الـرُّكَـبِ
إِخْتَلْـتَ فِـي مَلْبَـسٍ دَلَادِلُـهُ تُسْحَـبُ مِـنْ طُـولِهَـا عَلَـى التُّـرُبِ[1]
يَـرْفَعُهَـا كُـلُّ شَـادِنٍ غَنِـجٍ يَفْتِـنُ نُسَّـاكَنَـا عَلَـى الـرَّهَـبِ
وَاعْتَضْـتَ عَـنْ عُصْبَـةِ الـزَّهَـادَةِ مَثْنَـى الغِلْمَـانِ بِـالقُضُـبِ
لَـوْ كُنْـتَ مَـا قُلْـتَ زَاهِـداً وَرِعـاً لَـمْ تَـرْضَ دُنْيَـا الغُـرُورِ وَاللَّعِـبِ
/ ٣٨أ/ وَكَـانَ فِـي اللهِ شَـاغِـلٌ أَبَـداً عَمَّـا تَـرَاهُ بِعَيْـنِ مُحْتَجِـبِ
وَبَعْـدَ هَـذَا فَـأَنْـتَ مُفْتَتِنـاً خَيْـرٌ لَهَـا مِـنْ سُـؤَالِ . . . . .
لَا يَغْتَـرِرْ بَعْـدَهَـا أَخُـو ثِقَـةٍ بِمُحْسِـنٍ فِـي جَمِيـلِ مُطَّلَـبِ
وَلْيَتَّعِـظْ مُـدَّعِـي تَقَـرُّبِـهِ بِحَـالِ شَيْخِـي المَفْتُـوْنِ وَلْيَتُـبِ

---

(١) دلادله: ما تهدل منه.

ذكر من اسمه عبد القوي

[٣٤١]

عبدُ القويِّ بنُ حَرَمِيِّ بنِ وُهيبٍ، أبو محمدٍ الأنصاريُّ الأَرْتَجِيُّ.

من أهل مصر، كان شابًا أديبًا ذكيًا، روىٰ عنه الحافظ أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنقدي؛ أخبرني عبد العظيم المذكور آنفًا إجازة؛ قال: أنشدني الأرتاجي لنفسه:

[من مجزوء الرجز]

مَـــرَّ بنَـــا فَـــاسْتَعْبَـــرَتْ أجْفَـــانُنَـــا إذْ عَبَـــرَا

فَقُلْـــتُ: لاَ غَـــرْوَ عَلَـــىٰ دَمْـــعٍ عَلَيْـــهِ قَـــدْ جَـــرَىٰ

فَـــالشَّمْـــسُ تُبْكِـــي الطَّـــرْفَ إنْ كَـــرَّرَ فِيْهَـــا نَظَـــرَا

[٣٤٢]

عبدُ القويِّ بنُ عبد العزيز /٣٩ب/ بن الحسين بن عبد الله بن الجَبَّاب السعديُّ الأغلبيُّ، القاضي الأسعد، أبو البركاتِ بنُ أبي المعالي[(١)].

كان والده من المتصدرين في قرض الشعر، وإنشاء الرسائل بالديار المصرية، وابنه أبو البركات هذا كان شاعراً لطيفًا فاضلاً مليح النظم، جيد الشعر، حسن الأدب؛ ذا ذكاء وفطنة، توفي سنة اثنتين وعشرين وستمائة.

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٩/ ٦٢ وفيه: «توفي سنة إحدى وعشرين وستمائة». تأريخ الإسلام (السنوات ٦٢١ ـ ٦٣٠) ص٦٥ ـ ٦٧ رقم ٣٢. التكملة للمنذري ٣/ ١٣١ ـ ١٣٢ رقم ٢٠٠٢. شذرات الذهب ٥/ ٩٥. حسن المحاضرة ١/ ١٧٦ ـ ١٧٧. لسان الميزان ٤/ ٤٨ ـ ٤٩. المشتبه للذهبي ١/ ٢٠٥. سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٤٤ ـ ٢٤٦ رقم ١٣٣. النجوم الزاهرة ٦/ ٢٥٩. العبر ٥/ ٨٣. المعين في طبقات المحدثين ١٩١ رقم ٢٠٢٩. نهاية الأرب ٢٩/ ١٣٠. مرآة الجنان ٤/ ٤٨. الإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٢٦. الإعلام بوفيات الأعلام ٢٥٥. العسجد المسبوك ٢/ ٤٠٠ ـ ٤٠١. ذيل التقييد ٢/ ١٤٣ رقم ١٣١٣. تاريخ ابن الفرات ١/ ٤٢. توضيح المشتبه ٢/ ٤٢ ـ ٤٣.

أنشدني أبو عبد الله محمد بن محمود بن النجار البغدادي بها، عن أبي البركات لنفسه: [من السريع]

أسكـــرنـــي الحُــبّ فمــا إنْ أُرَىٰ ... يَــا صَــاحِ مِــنْ سَكْــرَتِــه صَــاحِــيْ

وَهِمْــتُ بِــالظَّبْــيِ فَمِــنْ خَــدِّه ... وَرْدِيْ وَمِــنْ رِيْقَتِــه رَاحِــيْ

وأنشدني عن القاضي الأسعد لنفسه: [من البسيط]

وَظَبْيَــةٍ مِــنْ ظِبَــاء الإِنْــسِ هَــائِمَــةٍ ... بِحُــبِّ ظَبْــيٍ مَلِيْــحِ الــدَّلِّ والْحَــوَرِ

بَــاتَــتْ تُــرَفِّــعُ أَسْتَــارَ الغَــرَامِ لَــهُ ... حَتَّــىٰ اغْتَــدَىٰ فِــي هَــوَاهَــا غَيْــرَ مُسْتَتِــرِ

فَبِــتُّ أَعْجَــبُ وَالأَهْــوَاءُ جَــائِــزَةٌ ... مِــنْ مُهْجَــةِ الشَّمْــسِ يَحْــوِيْهَــا سَنَــى القَمَــرِ

ومما وجدت من الشعر المنسوب إليه؛ قوله: [من الخفيف]

/ ١٣٩أ/ بَيْــنَ قلبــي وبيــنَ عينــكَ سِــرٌّ ... فيــه للعــاشقيــنَ طَــيٌّ ونَشْــرُ

كُلَّمــا مَسَّنــي لأَجْلِــكَ عَــذْلٌ ... قــامَ لــي مِــنْ جمــال وَجْهِــكَ عُــذْرُ

أَقْصَــدَتْنــي سِهــامُ عَيْنِــكَ حتــى ... صَــرَعَتْنــي وَغَــرَّنــي مَــا يَغُــرُّ

لــيَ قلــبٌ ونــاظِــرٌ فَهُمــا بــالْـ ... ـــوَجْــدِ مِــنْ وَجْنَتَيْــكَ مَــاءٌ وخَمْــرُ

أنــتَ كــالبَــدْرِ فــي وِصــالِــكَ والهَجْـ ... ـــرِ وحَــالُ البُــدورِ مــا تَسْتَقِــرُّ

لَيِّــنٌ فــي مَــرَاسِــه وَهْــوَ صعــبٌ ... عَسَــلٌ فــي وِصَــالِــه وَهْــوَ مُــرُّ

وكــذا عــادةُ المُحِــبِّ مَــعَ المَحْـ ... ـبُــوبِ فــي حــالَتَيْــه يُسْــرٌ وعُسْــرُ

لــكَ قلبــي ونــاظِــري ولِســانــي ... وجَنَــانــي فــأَيْــنَ منــكَ المَفَــرُّ

قَصُــرَتْ بــي مَحَبَّتــي عَــنْ مَــدى سِحْـ ... ـــرِكَ إذْ كُــلُّ مَفْصِــلٍ فيــكَ سِحْــرُ

أشتكــي عِلَّتــي إليــكَ فهــلْ قَلْـ ... ـبُــكَ يــا لَيِّــنَ المَعَــاطِــفِ صَخْــرُ

كُــنْ كمــا تَشْتَهــي فمَــا منــكَ بُــدٌّ ... مُــذْ تَمَلَّكْتَنــي ولا عنــكَ صَبْــرُ

ليس لي في الخَلاصِ منكَ سوىٰ الصَّبْـ ... ـــرِ عليــكَ ونِعْــمَ ذلــكَ ذُخْــرُ

ذكر من اسمه عبد الكريم

[٣٤٣]

عبدُ الكريم بنُ أبي السعادات /٣٩ب/ بنِ كرمِ بنِ كنصا، أبو محمدٍ البغداديُّ الحنفيُّ[(١)].

والد إبراهيم الذي تقدّم ذكره[(٢)]، نزل الموصل ولم يزل بها مقيمًا، إلى أن توفي عشية السبت ثامن جمادى الآخرة سنة ست عشرة وستمائة ودفن ذلك اليوم بمقبرة الجامع العتيق قبليَّهُ ـ رضي الله عنه ـ وكان قد جاوز الثمانين، وخدم الأمراء من بيت أتابك، وأُنفذ رسولاً إلىٰ عدّة جهات من قبلهم، وكان عندهم أثيراً مقبولاً ذا منزلة وحرمة.

وكان شيخًا طويلاً متواضعًا سخيًا، حسن المروءة، واسع النفس تفقّه على مذهب الإمام أبي حنيفة ـ رضي الله عنه ـ.

وكان يقول أشعاراً رائقة، في أغراض تقع له، ومنها ما أنشدني ولده أبو إسحاق إبراهيم رحمه الله تعالىٰ. قال: أنشدني والدي لنفسه؛ ما كتبه إلىٰ أتابك نور الدين أبي الحارث أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي ـ صاحب الموصل رضي الله عنه ـ /٥: ١٩٣أ/ : [من الخفيف]

بعدَ سَبعينَ حجَّةً قدْ تَقَضَّتْ ... عندَ مَلْكٍ جَمِّ النَّوال عظيمِ
ذَهَبَ النَاسُ في الزِّيادة والنَّقْـ ... ـصِ وعبدُ الكريمِ عبدُ الكريمِ

وأنشدني، قال: أنشدني والدي لنفسه ما كتبه في صدر كتاب إلى أتابك عزّ الدين بن مسعود بن مودود: [من الخفيف]

لا تُضعْني منْ بعد حفْظكَ يا مَا ... لكَ رقِّي في حَادثي وقَديمي
أنا عبدُ الكريمِ أنتَ ومنْ أعْـ ... ـجَبِ شيءٍ ضَيَاعُ عبدِ الكريمِ

---

(١) ترجمته في: مجمع الآداب ٤/ ١٨٥ رقم ٣٦٣١، وفيه: «... بن كيصا..».

(٢) ترجم المؤلف لولده (إبراهيم بن عبد الكريم بن أبي السعادات) في الجزء الأول برقم ٢٩.

وقال أيضًا: [من السريع]

إنْ مَسَّكَ الناسُ بسُوءٍ فكُنْ ... بما قَضَى اللهُ به راضيا

ودَعْ أذاهُمْ وتَوَكَّلْ علَى الـ ... ـلهِ تَجِدْهُ أبداً كافيا

وقوله: [من السريع]

كُنْ أوْثَقَ الناسِ بما في يَدِ الله وَدَعْ ما في يَدِ الناسِ

لا تَقْطَعِ العُمْرَ ولا تُفْنِهِ ... لا بِرجاءٍ لا ولا يَاسِ

لا يُوحِشَنْكَ البُعْدُ عنهُمْ وإنْ ... ساءَ ففيهِ كُلُّ إينَاسِ

وله في الشيب: [من المتقارب]

/ ٥ : ١٩٣أ/ وقالوا: جَزِعْتَ لِفَقْدِ الشَّبابِ ... فقلتُ: ومَا لِيَ لَمْ أجْزَعِ

نَعَاني المَشيبُ إلى أُسْرَتي ... ونَفْسي بصَوتٍ لهُ مُفْظِعِ

ونادَى فَلَبَّيْتُهُ سامعاً ... وكُلُّكُمُ إنْ يَعِشْ يَسْمَعِ

[٣٤٤]

/ ٥ : ١٩٣ب/ عبدُ الكريم بن يوسفَ بن الحسين بن محمّد بن العباسِ، أبو الكرمِ المَوصليُّ المعَروفُ بالمُهَذِّبِ الأفطَسِ.

كان رجل زمانه في الدهاء والحيل، قد حاز كل فضل. وكان بصيراً بعلم النجوم، وتعبير الرؤيا، عارفًا بأمور الناس وأحوالهم، ذا يد باسطة في صناعة الشعبذة والنارنجيّات والسِّيمياء والطلسمات والكيمياء، وما يتعلق بهذه الأجناس الغريبة مع حفظه للحكايات الظريفة، والأشعار المستحسنة، وقول الشعر، ومعرفة الأدب.

وذكر لي عنه؛ انه كان مستهتراً بشرب الخمر، منعكفًا عليها. وكان متشيعًا مغاليًا؛ شاهدته غير مرّة. وهو شيخ يعلم نفراً من الصبيان / ٥ : ١٩٥أ/ الخطَّ في حانوت، ولم آخذ عنه شيئًا. وتوفي أواخر سنة ثلاث عشرة وستمائة.

أنشدني الشيخ الأديب أبو عبد الله أحمد بن الحسين بن الخبّاز النحوي اللغوي الضرير، قال: أنشدني أبو الكرم عبد الكريم بن يوسف بن الحسين الموصلي المعلم

لنفسه يرثي كبشًا كان له: [من الكامل]

لَهْفِي عَلَى كَبْشٍ أُنِسْتُ بِهِ ... رَبَّيْتُهُ وَبَذَلْتُ مُجْتَهِدِي

قَدْ كَانَ لِي خِلاًّ أُسَرُّ بِهِ ... يَجْرِي كَمَجْرَى الرُّوحِ فِي الجَسَدِ

حَتَّى إِذَا مَا ٱشْتَدَّ هَيْكَلُهُ ... عِنْدِي وَصَارَ كَجَبْهَةِ الأَسَدِ

أَوْدَتْ بِهِ أَيْدِي المَنُونِ ضُحًى ... وَالمَوْتُ لاَ يُبْقِي عَلَى أَحَدِ

[٣٤٥]

/٥: ١٩٥أ/ عبدُ الكريمِ بنُ محمدِ بنِ علوان بنِ مهاجرٍ، أبو الفضلِ بنِ أبي المظفرِ الموصليُّ.

القَاضي الفقيهُ المدرسُ الشافعيُّ(١).

كان والده من جلّة الفقهاء الشافعية بالموصل وعلمائهم. وابنه أبو الفضل أخذ الفقه عن والده، وقام مقامه في /٥: ١٩٥ب/ التدريس بعده، ونظر في المسائل وتلمذ له جماعة. وكان من قبل قد حفظ القرآن العزيز، وسمع الحديث على أبي الفرج محمد بن عبد الرحمن بن أبي العزّ الواسطي.

وهو من أكبر بيت في الموصل في الجاه وكثرة المال واليسار والعلم، وقلّده المولى المالك الملك الرحيم بدر الدين عضد الإسلام والمسلمين أتابك أبو الفضائل غرس أمير المؤمنين ـ خلّد الله دولته ـ القضاء بالموصل سنة ثلاثين وستمائة بعد عزل القاضي أبي علي الحسن بن عبد القاهر بن الحسن الشهرزوري.

لقيتُ القاضي أبا الفضل بالموصل في شوال سنة سبع وعشرين وستمائة؛ وسألته عن ولادته، فقال: ولدت بالموصل سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة.

وأنشدني لنفسه: [من الطويل]

وَأُضْمِرُ فِي نَفْسِي إِذَا مَا لَقِيتُهُمْ ... أُبِثُّ الَّذِي أَلْقَاهُ مِنْ أَلَمِ الوَجْدِ

---

(١) في هامش الأصل: «محيي الدين».
ترجمته في: مجمع الآداب ٥/ ٧٣ ـ ٧٤.

فتَبْرُدُ أنْفَاسِي ويَخْفِقُ سَاكِنْي وَأُذْهَلُ حَتَّىٰ لاَ أُعِيدُ وَلاَ أُبْدِي(١)

[٣٤٦]

عبد الكريم بن منصور /٥ :١٩٦أ/ بن أبي بكرِ بنِ عليٍّ بنِ إبراهيمَ بنِ جابرٍ، أبو محمدٍ الأثريُّ الباوشَناويُّ(٢).

ينسب إلىٰ قرية من أعمال الموصل اسمها باوَشْنايا(٣)، وُلد بها في شهر الله رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة. سمع الحديث الكثير واقتفىٰ أثره؛ فلذلك يُسمّي نفسه بالأثري. سمع ببغداد والشام والموصل وديار مصر وغيرها من البلاد، ولقي جماعة من القراء والفقهاء والمحدثين والعلماء.

وهو من حفّاظ القرآن العزيز وحملة العلم ورواة الحديث والمتفقهة، وله أشعار في الرقائق والزهديات؛ كتبت عنه بالموصل وبغداد(٤).

أنشدني لنفسه ما كتبه إلىٰ كمال الدين أبي الكرم محمد بن علي بن مُهاجر الموصلي في غرض له: [من الكامل]

أكَمَالَ دِيْنِ اللهِ دُمْ فِي رِفْعَةٍ وَسِيَادَةٍ وَسَعَادَةٍ تَتَجَدَّدُ

فِي حِفْظِ رَبِّ العَالَمِيْنَ وَصَوْنِهِ عَنْ كُلِّ مَا أمَلَ الحَسُوْدُ الأبعَدُ

تُسْدِي إلَىٰ أهْلِ العَفَافِ عَوَارِفاً وَمَكَارِماً فيْهَا تُؤَمُّ وتُقْصَدُ

وَهَبَ الإلَهُ لَكَ التُّقَىٰ وَوَقَاكَ مَحْذُوْرَ الدُّنَىٰ وَكَلاَكَ مَولًىٰ يُعْبَدُ

وَأقَرَّ عَيْنَكَ بِالمُعِيْنِ وَحَاطَهُ مِنْ شَرِّ ذِي شَرٍّ وَعَيْنٍ تَحْسُدُ

/٥ :١٩٦ب/ وأنَالَهُ حِفْظَ الكِتَابِ وَفَهْمَهُ وَمِنَ العُلُوْمِ سِوَاهُ مِمَّا يُحْمَدُ

خُذْهَا أُبيَّاتَ امْرِىءٍ مَا شَانَهُ صَوْغُ القَرِيْضِ وَلاَ لَهُ يَتَعَمَّدُ

دَاعٍ لَكُمْ بِالصَّالِحَاتِ مُوَاصِلٌ لِلْمُسْلِمِيْنَ نَدَاكُمُ يَتَفَقَّدُ

---

(١) البيتان في مجمع الآداب ٥/ ٧٤.

(٢) ترجمته في: تأريخ إربل ١/ ٤٤٧ ـ ٤٥١. التكملة لابن الصابوني ص١٤. شذرات الذهب ٥/ ٢٠٨. المشتبه ص٣.

(٣) انظر: معجم البلدان/ مادة (باوشنايا).

(٤) في هامش الأصل: «توفي في شوال من سنة إحدى وخمسين وستمائة ببغداد».

مَـا رَغْبَتِـي فِـيْ حَـاجَـةٍ مِـنْ رَغْبَـةٍ عِنْـدِيْ لِـدُنْيَـا بَـلْ بِهَـا أَتَـزَهَّـدُ
قَصْـدِيْ زِرَاعَـةُ مَـا يَحِـلُّ لِطُعْمَـةٍ مَـرْضِيَّـةٍ عِنْـدَ امْـرِىءٍ يَتَعَبَّـدُ
وَاللهِ لَـوْلَا ذَا لَخِضْـتُ كَخَـائِـضٍ فِـيْ كُـلِّ مَـوْرِدِ شَهْـوَةٍ تَتَـوَرَّدُ
لَكِنَّنِـيْ أَخْشَـى الإِلَـهَ وَمَقْتَـهُ وَعِقَـابَ زَلَّاتٍ لَهَـا يَتَـوَعَّـدُ
جَـادَ الإِلَـهُ عَلَـى الجَمِيْـعِ بِجُـوْدِهِ فَضْـلاً فَـذَلِكُـمُ الإِلَـهُ الأَجْـوَدُ[١]

وأنشدني لنفسه، وذكر أنَّه عمل هذه الأبيات بديهة عقيب درسه عقيدة لبعض أصحاب الإِمام مالك بن أنس ـ رضي الله عنه ـ. وكان علىٰ منهاج السلف:

[من مخلّع البسيط]

عَقِيْـدَةُ المَـالِكِـيِّ نُـوْرٌ فَـدُمْ عَلَـى دَرْسِهَـا بِجِـدِّ
وَأَعْمِـدْ إِلَـى مَـا لَهَـا يُضَـاهِـيْ وَعَـنْ سِـوَاهُ أَخِـي فَعَـدِّ
/ ٥ : ١٩٧أ/ مُخْـرَجَـةٌ مِـنْ كِتَـابِ رَبِّـي وَسُنَّـةِ المُصْطَفَـى المُـؤَدِّيْ
عَـنْ رَبِّـهِ مَـا إِلَيْـهِ أَوْحَـى بِبَـذْلِ وُسْـعٍ وَفَـرْطِ جَهْـدِ
فَـرْضٌ عَلَـى الخَلْـقِ قَفْـوُ هَـذَا مَـعَ امْتِثَـالٍ مِـنْ غَيْـرِ رَدِّ
فَـاعْقِـدْ عَلَيْـهِ وَارْفُـضْ سِـوَاهُ مِـنْ قَـوْلِ جَهْـمٍ أَوْ قَـوْلِ جَعْـدِ
أَوْ قَـوْلِ مَـنْ جَـاءَنَـا بِقَـوْلٍ مُمَـوَّهٍ فِـيْ الضَّـلَالِ يُـرْدِيْ
أَرْبَـى عَلَـى مَـنْ وَصَفْـتُ مِمَّـنْ ذَكَـرْتُ مِـنْ أُخْـوَةِ التَّعَـدِّيْ
. . . . . قَـوْلاً إِلَـى مَقَـالِ لِجَهْـمٍ المُعْتَـدِيْ يُـؤَدِّيْ
أَبْـنَ أَبِـي بِشْـرٍ انْتَقِـدْهُ رَابِعَهُـمْ يَـا أَخَـا التَّهَـدِّيْ
فَـالحَمْـدُ للهِ إِذْ هَـدَانَـا إِلَـى طَـرِيْـقٍ لِلْفَـوْزِ تَهْـدِيْ

وأنشدني أيضًا لنفسه، يحرض علىٰ سماع سنن أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي: [من الكامل]

سُنَـنُ النِّسَـائِـي وَاجِـبٌ أَنْ تُسْمَعَـا إِذْ كَـانَ جَـامِعُهَـا إِمَـامًـا مُقْنِعَـا
فِيْهَـا أَحَـادِيْـثُ النَّبِـيِّ وَصَحْبِـهِ فَجَـزَاهُ رَبِّـي الخَيْـرَ فِيْمَـا أَوْدَعَـا

---

(١) القصيدة في تأريخ إربل ١/ ٤٥٠ ـ ٤٥١، وبعد هذا البيت:
«صلّى على مَنْ بالمدينة قبرُه ذاك النبيُّ أخو المحامد أحمدُ»

/ ٥ : ١٩٧ب/ اللهَ أسْألُ أنْ يُتمَّ سَمَاعَهَا ... فَهْوَ المُجيْبُ بلُطْفهِ عَبْداً دَعَا
يَا طَالبِي سُنَنِ النَّبيِّ ألاَ أبْشرُوا ... وَخُذُوا بهَا تُكْفَوا وَعِيْداً مُفْزِعَا
إنَّ المَجَامِعَ فِيْ العُلُومِ كَثيْرَةٌ ... وَالمَجْمَعُ الآثَارِ خَيْرٌ مَجْمَعَا
فَبِهمَّةِ المَوْلَى الأجَلِّ تَحَصَّلَتْ ... أشْيَاءُ يَبْعُدُ مِثْلُهَا أنْ يُجْمَعَا
إلاَّ إذَا ذَهَبَتْ شُهُوْرٌ عِدَّةٌ ... وَاللهُ يَأجُرُهُ عَلَى سَعْيٍ سَعَى
أعْنِي بَهَاءَ الدِّيْنِ نَجْلَ الفَاضِلِ القَاضِيْ إلَى الخَيْرَاتِ يُلْفَى مُسْرِعَا
فَاللهُ يُصْحِبُهُ السَّلاَمَةَ دَائِماً ... مَهْمَا أقَامَ هُنَا وَمَهْمَا أنْعَمَا

وأنشدني أيضًا لنفسه[1]: [من السريع]

عَاصِ هَوَى نَفْسِكَ يَا عَاصِيْ ... وَادْنُ مِنَ الخَيْرَاتِ يَا قَاصِيْ
لاَ تُغْفَلَنْ عَنْ ذِكْرِ مَوْلَى الوَرَى ... وَلْيَكُنِ الذِّكْرُ بِإخْلاَصِ

وأنشدني أيضًا لنفسه[2]: [من المديد]

تُبْ عَلَى عَبْدٍ لَهُ عَمَلٌ ... لَوْ بِهِ جَازَيْتَهُ هَلَكَا
غَافِلٌ عَمَّا يُرَادُ بِهِ ... مَسْلَكَ العَاصِيْنَ قَدْ سَلَكَا

وقال يمدح الأئمة الثلاثة مالك بن أنس، والشافعي، وأحمد بن حنبل / ٥ : ١٩٨أ/ ـ رضي الله عنهم[3] ـ: [من الرجز]

وَقَائِلٍ عَبْدَ الكَرِيْمِ مَالكَا ... لاَ تَمْدَحُ الحَبْرَ الإمَامَ مَالكَا
وَتَمْدَحُ المُطَّلبيَّ بَعْدَهُ ... وَابْنَ هِلاَلٍ أحْمَدَ المُبَارَكَا[4]
قُلْتُ لَهُ: فَاسْمَعْ مَدِيْحِي فِيْهِمُ ... فَإنَّنِي لَسْتُ لِذَاكَ تَارِكَا
وَكَيْفَ لاَ أمْدَحُ أشْيَاخَ الهُدَى ... وَكُلُّهُمُ للْحَقِّ كَانَ سَالكَا
أمَّا الإمَامُ الأصْبَحِيُّ مَالكٌ ... فَحُبُّهُ للْقَلْبِ أمْسَى مَالكَا
فَقِيْهُ دَارِ الهِجْرَةِ المُفْتِيْ بِهَا ... نَاهِيْكَ مِنْ فَخْرٍ لَهُ بِذَلِكَا

---

(١) البيتان في تأريخ إربل ١/ ٤٥١.
(٢) البيتان في تأريخ إربل ١/ ٤٥١.
(٣) القصيدة في تأريخ إربل ١/ ٤٤٨ ـ ٤٤٩.
(٤) المطلبي: الشافعي.

نَجْمُ الرُّوَاةِ ذُوْ الوَقَارِ لاَ تَرَىٰ ... فِيْ مَجْلِسِ العِلْمِ لَدَيْهِ ضَاحِكَا
طُوبَىٰ لَهُ مِنْ رَجُلٍ مُؤَيَّدٍ ... بِالحَقِّ قَوَّالٍ بِهِ طُوبَىٰ لَكَا
وَالشَّافِعِيُّ لَسْتُ أَنْسَىٰ ذِكْرَهُ ... أَلْقِ لِمَدْحِيْهِ خَلِيْلِيْ بَالَكَا
ذَاكَ الشَّرِيْفُ العَالِمُ الحَبْرُ الَّذِيْ ... مَعَ العُلُومِ كَانَ بَرّاً نَاسِكَا
حَوَىٰ التُّقَىٰ وَالعِلْمَ غَيْرَ زَائِغٍ ... عَنْ سُنَّةِ المُخْتَارِ فَاعْلَمْ ذَلِكَا
جَزَاهُ رَبِّي الخَيْرَ عَنْ صَنِيْعِهِ ... وَعَظَّمَ الأَجْرَ لَهُ هُنَالِكَا
وَالثَّالِثُ ابنَ حَنْبَلٍ أَكْرِمْ بِهِ ... قُدْوَةُ أَهْلِ الحَقِّ لَنْ يُشَارَكَا
فِيْ مِحْنَةِ القُرآنِ وَالضَّرْبِ الَّذِيْ ... لِجِسْمِهِ فِيْ اللهِ أَضْحَىٰ نَاهِكَا
/ ٥: ١٩٨ب/ لَوْ أَنَّهُ أَجَابَهُمْ فِيْ قَوْلِهِ ... تَبَدَّلَ الإِسْلاَمُ كُفْراً حَالِكَا
قَامَ مَقَاماً لَمْ يَقُمْهُ غَيْرُهُ ... وَنَاصَحَ اللهَ الكَرِيْمَ المَالِكَا
فَأَعْظِمِ اللَّهُمَّ فِيْ جِوَارِكَا ... فِيْ جَنَّةِ الخُلْدِ لَهُ ثَوَابَكَا
وَبَلِّغِ اللَّهُمَّ عَنَّا أَحْمَداً ... نَبِيَّنَا وَآلَهُ سَلاَمَكَا
وَصَحْبَهُ وَالتَّابِعِيْنَ بَعْدَهُ ... وَكُلَّ عَبْدٍ كَانَ مِنْ عِبَادِكَا
وَاغْفِرْ لِيَ اللَّهُمَّ ذَنْبِي كُلَّهُ ... إِنْ لَمْ تَجُدْ كُنْتُ بِجُرْمِيْ هَالِكَا

وقال أيضًا: [من الكامل]

أَيُعَابُ مَنْ أَهْدَىٰ لِبَيْتِ نَبِيِّهِ ... مَدْحاً وَيُحْمَلُ فِيْ القَضَاءِ مَلاَمُهُ
بَيْتٌ هُمُ سُفُنُ النَّجَاةِ وَحُبُّهُمْ ... رِيٌّ لِمَنْ فِيْ الجَهْلِ طَالَ أُوَامُهُ
هُمْ أَنْجُمُ الدِّيْنِ الحَنِيْفِيِّ الَّذِيْ ... شَرَعَ الإِلَهُ لَنَا وَهُمْ أَعْلاَمُهُ
وَهُمُ الهُدَاةُ القَائِلُونَ بِحَقِّهِ ... وَهُمُ الدُّعَاةُ لَهُ وَهُمْ حُكَّامُهُ
نَطَقَ الكِتَابُ بِفَضْلِهِمْ حَتَّىٰ لَقَدْ ... حَكَمَتْ بِحِكْمَتِهِمْ لَهُمْ أَحْكَامُهُ
طُوبَىٰ لِمَنْ طَابَتْ سَرِيْرَتُهُ لَهُمْ ... وَإِلَىٰ خِيَامِهِمُ تُضَمُّ خِيَامُهُ
ذَاكَ امْرُؤٌ حَازَ المَفَازَ فَجَنَّةُ الفِرْدَوْسِ مَسْكَنُهُ وَثَمَّ مَقَامُهُ
مِنْهُمْ عَلِيٌّ ذُو الفَخَارِ مُتَبِّرُ الفُجَّارِ أَمَّ الخَيْرَ فَهْوَ إِمَامُهُ
/ ٥: ١٩٩أ/ عَلَمٌ عَلِيْمٌ بِالعُلُومِ مُعَلِّمٌ ... حَسَمَ الضَّلاَلَ لِسَانُهُ وَحُسَامُهُ

يحْيِي قُلُوبَ العَارِفِينَ كَلاَمُهُ ويُمِيتُ أجْسَادَ الطُّغَاةِ كِلاَمُهُ[١]

وَالبَضْعَةُ النَّبَوِيَّةُ الطُّهْرُ الَّتِي إنْ عُدَّ طِيبُ الذِّكْرِ فَهْيَ خِتَامُهُ

سَادَتْ نِسَاءَ العَالَمِينَ كَذَا أَتَى فِي النَّقْلِ جَارِيَةً بِهِ أَقْلاَمُهُ

وَكَذَلِكَ الحَسَنَانِ نَجْلاَهَا اللَّذا بِهِمَا جَمَالُ العِقْدِ ثُمَّ نِظَامُهُ

صَلَّى الإِلَهُ عَلَيْهِمُ مَا أَوْرَقَتْ شَجَرٌ وَغَرَّدَ فِي الأَرَاكِ حَمَامُهُ

[٣٤٧]

عبدُ الكريم بن أحمدَ بن مُحمَّد الضريرُ البوازيجيُّ، أبو الفضلِ المقرىءُ المعروفُ بابنِ حَرميّة[٢].

نزيلُ الموصلِ وحرميّةُ كانت امرأةً يعرفون بها.

تفقه علىٰ أبي الفضل يونس بن محمد بن منعة الإربلي العقيلي، ومكث عنده اثنتي عشرة سنة، وقرأ عليه كتابي «التشبيه» و«المهذب» للإمام أبي إسحاق إبراهيم ابن علي بن يوسف الشيرازي ـ رضي الله عنه ـ.

ورأىٰ القاضي أبا الفرج منصور بن الحسن بن علي بن عاذل بن يحيىٰ البوازيجي /٥: ١٩٩ب/ البجليّ الفقيه الشافعي غلام الإمام أبي إسحاق الشيرازي، وسمع المقامات علىٰ أبي سعيد محمد بن علي الحليّ ـ صاحب الحريري ـ. وأخبر عنه أنه قرأها علىٰ الحريري ستين مرّة. وقرأ للسبعة علىٰ أبي بكر يحيىٰ بن سعدون القرطبي، وسمع الحديث علىٰ القاضي الإمام تاج افسلام أبي عبد الله الحسن بن نصر بن خميس الجهني. وروىٰ عنه أكثر مصنفاته ونبذاً من مصنفات غيره.

وكان ـ رحمه الله ـ يقرىء القرآن الكريم، ويفيد الناس، وتخرّج عليه عالم كثير إلىٰ أن توفي بالموصل سنة إحدى عشرة وستمائة، ودُفن ظاهر البلد غربيّه بباب الميدان بمقبرة تعرف «بمكيكة»؛ وكان قد شارف المائة.

---

(١) الكلام: مفرده كَلْم وهو الجرح.

(٢) توفي سنة ٦١١هـ.
ترجمته في: تأريخ إربل ١/ ٢٦٤. المشتبه ص٥٩.

وحدّثني الشيخ العالم أبو العباس أحمد بن الحسين الأديب النحوي، قال: كان شيخنا أبو الفضل قيّمًا بتفسير القرآن خيّراً ديّنًا. وكان يقول لنا: إذا ألحدتموني وحثثتم عليّ التُراب، وانصرف الناسُ عنّي، فقفوا عند القبر يسيراً وآنسوني بذلك، وخلّوا بين الكريم وبين عبد الكريم.

/ ٥ : ٢٠٠أ/ وكان ينشدني أشعاراً كثيرة لغيره ولنفسه، ولم يعلق من شعره بقلبي طائل، فمما التقطت منها قوله من قصيدة: [من البسيط]

وَالشَّمْـلُ مُنْتَظِـمٌ والـدَّهْـرُ مُلْتَئِـمٌ ... وَالهَـمُّ مُقْتَسَـمٌ وَالـوَصْـلُ مَـأْمُـوْلُ
وَنَحْـنُ بِـالمَـوْصِـلِ الفَيْحَـاءِ فِـيْ زَمَـنٍ ... كَـأَنَّـهُ مَنْهَـلُ بِـالـرَّاحِ مَعْلُـوْلُ

وقوله من قصيدة في مرثية: [من الطويل]

وَكُنْـتَ لَهُـمْ كَـاللَّيْـثِ وَالغَيْـثِ دَائِمًـا ... تُمِيْـتُ وَتُحيِـي بِـالـوَعِيْـدِ وَبِـالـوَعْـدِ

[٣٤٨]

عبدُ الكريم بنُ إبراهيمَ بن عبد الكريمِ بنِ عبدِ الرحمنِ النفربيُّ الشاطبيُّ القصّارُ، أبو محمدٍ المَراكشيُّ.

كان رجلاً جليلاً، ذا نعمة واسعة، وثروة ظاهرة. يرحل إلىٰ الملوك فيسترفدهم بأشعاره ولديه فضل ومعرفة باللغة والأدب، وله قصائد مطولات كثيرة، ولم يكن شعره سائغًا بل متوسطًا يظهر فيه التعسف.

أنشدني أبو محمد عبد الله بن أحمد بن يوسف الغُرياني بحلب المحروسة، قال أنشدني أبو محمد / ٥ : ٢٠٠ب/ عبد الكريم بن إبراهيم لنفسه: [من البسيط]

يَـا مَـنْ شَمَـائِلُـهُ أَحْكَـىٰ مِـنَ القَمَـرِ ... وَمَـنْ فَضَـائِلُـهُ أَحْلَـىٰ مِـنَ السَّمَـرِ
سَمَوْتَ قَدْراً، فَقُلْتُ: النَّجْمُ فِيْ فَلَكٍ ... وَطِبْتَ ذِكْراً، فَقُلْتُ: الرَّوْضُ بِالزَّهَرِ
يَـا أَحْـوَذِيَّ الـوَرَىٰ، وَالأَلْمَعِـيَ وَمَـنْ ... قَـدْ بَـذَّ جَمْعَهُـمُ بِـالـذَّاتِ وَالقَـدَرِ
أَمَّـا النَّـوَادِيْ فَقَـدْ عَمَّـرْتَ سَـاحَتَهَـا ... بِطِيْـبِ ذِكْـرِكَ فِـيْ الإِمْسَـاءِ وَالسَّحَـرِ
مَـاذَا أَقُـوْلُ وَقَـدْ أَلْبَسْتَنِـيْ حُلَـلاً ... أَبْهَـىٰ فَـوَاتِـقَ مِـنْ زَهْـرٍ وَمِـنْ زُهُـرِ
أَفَضْتَ أَفْضَلْتَ فِـيْ سِـرٍّ وَفِـيْ عَلَـنٍ ... أَحْمَيْتَ أَكْسَبْتَ مِنْ بِيْضٍ وَمِنْ صُفُرِ

حَسُنْتَ أحْسَنْتَ فِي قُرْبٍ وَفِي بُعُدٍ مَنَحْتَ أنْحَلْتَ مِنْ وَفْرٍ وَمِنْ بِدَرِ

أوْلَيْتَ مِنْ مِنَنٍ جَلَّتْ جَلَتْ كُرَبِي نَمَتْ وَتَمَّتْ كَرَوْضٍ مُزْهِرٍ نَضِرِ

مَاذَا لِيُمْنَاكَ مِنْ يُمْنٍ وَمِنْ مِنَنٍ مَاذَا لِيُسْرَاكَ مِنْ يُسْرٍ وَمِنْ يَسَرِ

جَادَتْ عَلَيَّ سَحَابٌ مِنْ أُكُفِّكُمُ فَأطْلَعَتْ فِي أُكُفِّي دَوْحَةَ البِدَرِ

مَازَالَ وَاكِفُهَا يَنْصَبُّ فِي غَدَقٍ حَتَّى . . . . . بَنَانِي بِالنَّدَى الهَمِرِ

يَا مُحْسِناً كُلَّ إحْسَانٍ بِلاَ كَذِبٍ وَمُغْنِياً كُلَّ إغْنَاءٍ بِلاَ قَدَرِ

فُقْتَ الأكَارِمَ فِي سِرٍّ خُصِصْتَ بِهِ فَأنْتَ مِنْ مَألَكٍ مَا أنْتَ مِنْ بَشَرِ(١)

هَذِي أيَادِيكَ لاَ أُحْصِي لَهَا عَدَداً مَا يَنْقَضِي سَرْدُهَا أوْ يَنْقَضِي عُمُرِي

/ ٥ : ٢٠١أ/ قَدْ أحْدَقَتْ وَأحَاطَتْ بِي إحَاطَةَ مَنْ لَبَّى وَطَافَ بِبَيْتِ اللهِ وَالحَجَرِ

وَالشُّكْرُ فَرْضٌ عَلَيْهِ لاَزِمٌ فَأصِخْ لِسَمْعِ شُكْرٍ كَمِثْلِ السِّمْطِ بِالدُّرَرِ

مَا شَابَهُ دَخَلٌ كَلاَّ وَلاَ خَلَلٌ صَفَا صَفَاءً يَمِيزُ المَاءَ فِي الغُدُرِ

شُكْرِي لِنُعْمَاكَ شُكْرُ الرَّوْضِ لِلْمَطَرِ أوْ مُقْتِرٍ لِغِنًى وَافَى عَلَى وَطَرِ

أوْ شُكْرُ عَبْدٍ لِمَوْلًى كَانَ أعْتَقَهُ أوْ شُكْرُ حَامٍ لِصَفْوِ السَّلْسَلِ الخَضِرِ

أوْ كَالغَرِيقِ لِمَا أنْجَاهُ مِنْ خَطَرٍ أوْ كَالطَّلِيقِ لِمَنْ نَجَّاهُ مِنْ ضَرَرِ

أوْ كَالسَّقِيمِ لِبُرْءٍ إثْرَهُ فَرِحٌ أوْ كَالكَرِيمِ لِضَيْفٍ جَاءَ مِنْ سَفَرِ

أو كَالمُحِبِّ لِمَحْبُوبٍ يُؤَانِسُهُ أوْ كَالنَّزِيفِ زَمَانَ النَّوْرِ لِلْسَّكَرِ(٢)

وَالحَمْدَ يَتْبَعُهُ عَجْلاَنَ فِي مَهَلٍ حَثّاً بِلاَ مَهَلٍ نَصّاً عَلَى الأثَرِ

لَوْ كَانَ لِلشُّكْرِ شَخْصٌ يَا مُنَى أمَلِي يُرَى لَجِئْتُ بِهِ فِي أحْسَنِ الصُّوَرِ

حَتَّى تَرَاهُ وَتَدْرِيْ أنَّنِي رَجُلٌ شُكْرِي لَكَ الدَّهْرَ شُكْرُ السَّمْعِ وَالبَصَرِ

السَّمْعُ يَشْكُرُ لِلأصْوَاتِ مَا حَسُنَتْ وَالعَيْنُ تَشْكُرُ طُولَ الدَّهْرِ لِلنَّظَرِ

لَكِنَّهُ فِي ضَمِيرِيْ وَالكَلاَمُ مُحَرِّكٌ بِلِسَانِ الخُبْرِ وَالخَبَرِ

لَوْ حَلَّ شُكْرِيَ وَسْطَ البَحْرِ فِي مَدَدٍ لَصَارَ فِي حِينِهِ أحْلَى مِنَ السَّكَرِ

أوْ حَلَّ فِي فَلَوَاتٍ تُرْبُهَا حَجَرٌ لأنْبَتَ . . . . بِالثَّمَرِ

(١) مألك : مَلَك.
(٢) النزيف : السكران. السكر : الخمرة.

/ ٥ : ٢٠١ب/ الشُّكْرُ أَحْسَنُهُ مَا كَانَ قَائِلُهُ ... يَبُثُّهُ بَيْنَ أَهْلِ البَدْوِ وَالحَضَرِ

يَنُصُّهُ بِكَلاَمٍ مُرْتَضَى حَسَنٍ ... نَصَّ الحَدِيْثِ لأَهْلِ العِلْمِ وَالنَّظَرِ

وَقَائِلٍ قَالَ: فِيمَنْ ذَا الثَّنَاءُ فَقَدْ ... نَظَمْتَ شُكْراً لَهُ نَظْماً عَلَى صُوَرِ

فَقُلْتُ فِيْ النَّدْسِ العِدِّ الَّذِيْ شُهِرَتْ ... أَوْصَافُهُ كَاشْتِهَارِ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ(١)

مُحَمَّدِ بْنِ نحيلٍ مَنْ سَمَا قَدَراً ... نَجْلٍ لأَحْمَدَ ذِيْ الآثَارِ وَالأَثَرِ

لِلْعَالِمِ العَلَمِ الصِّنْدِيْدِ مَنْ شَرُفَتْ ... بِهِ الكِتَابَةُ فِيْ الإِيْرَادِ وَالصَّدَرِ

فَاقَ البَدِيْعَ بِمَا قَدْ حَازَ مِنْ بِدَعٍ ... فَابْنَ العَمِيْدِ وَمَا يَحْوِيْهِ مِنْ غُرَرِ

وَالصَّاحِبَ المَلِكَ وَالصَّابِيْ وَقَبْلَهُمُ ... عَبْدَ الحَمِيْدِ وَكُلٌّ قَالَهُ العُصُرِ

رَاعَتْ بَرَاعَتُهُ الكُتَّابَ قَاطِبَةً ... لَمَّا أَنَارَتْ مِنَ الإِبْدَاعِ وَالغُرَرِ

إِنْ أَشْرَعَتْ فِيْ حِجَالِ الطِّرْسِ عَامِلَهَا ... عَلَتْ محاجتها لِلْبِيْضِ وَالسُّمُرِ

وَإِنْ أَقَرَّتْ عَلَى صَفْحِ . . . . أَزْرَتْ بِوَشْيِ الرُّبَى وَالرَّوْضِ وَالحِبَرِ

أَنْسَى ابْنَ مُقْلَةَ فِي أَعْمَالِ أَنْمُلَةٍ ... وَهْوَ النِّهَايَةُ فِيْمَا شَاعَ مِنْ خَبَرِ

لَوْلاَ . . . . . يَدَيْهِ لِلْيَرَاعِ لَمَا ... حَكَتْ أَنَامِلُهُ حَرْفاً مَعَ الكِبَرِ

إِنَّ الكِتَابَةَ بَعْضٌ مِنْ مَنَاقِبِهِ ... كَمَا اللآلِيءُ بَعْضٌ مِنْ نَدَى البَحَرِ

الطَّيِّبُ الخِيْمِ وَالمَيْمُوْنُ طَائِرُهُ ... مَنْ قَدْ سَمَا وَعَلاَ دَأْباً عَلَى السُّوَرِ(٢)

/ ٥ : ٢٠٢أ/ مُفَرِّجُ الضِّيْقِ وَاللأْوَاءِ قَدْ حَمِيَتْ ... وَمُخْرِجُ العُسْرِ بِالإِيْسَارِ وَاليُسُرِ

الكَامِلُ الذَّاتِ فِيْ خَلْقٍ وَفِيْ خُلُقٍ ... صِنْوُ الغَمَامَةِ فِيْ صَوْبٍ وَفِيْ هَمَرِ

كَأَنَّ طَلْعَتَهُ وَالسَّعْدُ حَفَّ بِهَا ... بَدْرٌ أَحَاطَ بِهِ جَيْشٌ مِنَ الزُّهُرِ

يَا طَالِبَ الخَيْرِ فِيْ بَدْوٍ وَفِيْ حَضَرٍ ... وَجَالِبَ اليُسْرِ فِيْ وِرْدٍ وَفِيْ صَدَرِ

يَمِّمْ لِتُونُسَ فَهْيَ الآنَ مَرْبَعُهُ ... وَارْبَعْ بِهَا تَأْمَنَنْ مِنْ سَطْوَةِ الغِيَرِ

رَوْضٌ أَرِيْضٌ بِلاَ لَوْلاَ لِمُعْتَذِرٍ ... بُسْتَانُ أَمْنٍ بِلاَ شَيْءٍ مِنَ الذُّعُرِ

أَنْوَارُ أَسْعُدِهِ حَلَّتْ بِسَاحَتِهَا ... فَلَيْسَ يُدْرِكُهَا شَيْءٌ مَدَى العُمُرِ

إِنْ تَلْقَهُ تَلْقَ آمَالاً مُجَمَّعَةً ... وَفْقَ الطِّرَادِ بِلاَ شَيْءٍ مِنَ الكَدَرِ

---

(١) الندس: الفَهِم، الكيّس. العد: الماء الذي لا ينقطع.

(٢) السُّوَر: جمعَ سَوْرَة، ما طالَ من البناء.

مَنْ أَمَّهُ مَرَّةً فِي الدَّهْرِ وَاحِدَةً ... أَلْقَىٰ عَصَاهُ فَلَمْ يَبْرَحْ وَلَمْ يَسِرِ

لَا زَالَ يَصْعَدُ فِي سَعْدٍ يُسَاعِدُهُ ... تَتَرَىٰ عَلَيْهِ مَعَ الآصَالِ وَالبُكُرِ

ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَيْهِ صَيِّبًا غَدَقًا ... مَا غَرَّدَ الطَّيْرُ يَوْمًا فِي ذُرَىٰ سَحَرِ

ثم ختم هذه القصيدة بهذه الأبيات: [من مجزوء الكامل]

خُذْهَا إِلَيْكَ قَصِيدَةً ... بِالشُّكْرِ تَنْطِقُ وَالثَّنَا

قَدْ أَشْبَهَتْ فِي حُسْنِهَا ... طَرْفًا كَحِيلًا قَدْ رَنَا

أَوْ حُبَّ صَبٍّ مُدْنَفٍ ... بَعْدَ التَّبَاعُدِ قَدْ دَنَا

/ ٥: ٢٠٢ب/ كَلَّا وَمَا إِنْ أَشْبَهَتْ ... إِلَّا نَدَاكَ المُقْتَنَىٰ

وقال: [من المنسرح]

لَا زَالَ ذَاكَ المَقَامُ الأَسْمَىٰ ... يَهْمِي عَلَىٰ قَاصِدِيهِ هَمْيَا

مَا اكْتَحَلَتْ مُقْلَةٌ بِضَوْءٍ ... وَأَقْبَلَتْ بِالشَّبَابِ لَمْيَا

وأنشدني أبو عبد الله محمد بن عبد القاهر بن هبة الله بن النصيبي بحلب، قال: أنشدني أبو محمد عبد الكريم بن إبراهيم لنفسه: [من الكامل]

إِصْبِرْ عَلَىٰ مَضَضِ الزَّمَانِ وَعَضِّهِ ... فَالصَّبْرُ أَحْسَنُ مَكْسَبِ الكَسَّابِ

وَالصَّبْرُ أَجْمَلُ بِالفَتَىٰ وَبِفِعْلِهِ ... وَالحُرُّ لَا يَرْضَىٰ بِغَيْرِ صَوَابِ

كَمْ مِنْ فَتًى فِي الأَرْضِ حُرٍّ مُقْتِرٍ ... مُتَظَلِّمٍ مِنْ ظَالِمٍ غَصَّابِ

لَمْ يَتَّرِكْ مِنْ مَالِهِ مِنْ تَالِدٍ ... أَوْ طَارِفٍ شَيْئًا مِنَ الأَنْشَابِ

مِنْ بَعْدِ ذَا جَبْرُ الإِلَٰهِ مُصَابَهُ ... فَأَثَابَهُ ضِعْفَيْنِ مِنْ .....

فَاصْبِرْ هُدِيتَ وَلَا تَخَفْ مِنْ عُسْرَةٍ ... فَالصَّبْرُ يَفْتَحُ مغلقاتِ البَابِ

فَالصَّابِرُونَ هُمُ غَدًا فِي فَرْحَةٍ ... يُعْطَوْنَ أَجْرَهُمُ بِغَيْرِ حِسَابِ

/ ٥: ١٩٤أ/ يَكْفِيكَ أَنَّ اللهَ ذَاكِرُ فَضْلِهِمْ ... فِي الرَّعْدِ وَالتَّنْزِيلِ وَالأَحْزَابِ

[٣٤٩]

/٥ : ١٩٤أ/ عبدُ الكريم بنُ أحمدَ بن مقلّد بن أبي الفرج بنِ عبدِ المنعمِ بنِ جُلَيق، أبو الفضَل التغلَبيُّ الجشميُّ(١).

شاب قصير من أهل حماة، استوطن حلب. ورأيته بها ينسخ الكتب اللِّطاف والمتوسطة بالأجر. ويكتب القصص في باب مسجدها الجامع؛ ومن ذلك معيشته وارتزاقه.

ويُعاني قول الأشعار الغزلية، وله في نظمها طبع مُؤات، ويقول منها المقطعات والقصائد. وذكر لي: أنّه تأدّب علىٰ أبي الحسن علي بن محمد السخاويّ النحويّ المقرىء، وربما أحوجه وقته إلىٰ الاسترفاد بالشعر.

أنشدني لنفسه، وكتبه لي بخط يده: [من الكامل]

خَبَـرُ الغَضَـا أمْ نَشْـرُهُ الفَيَّـاحُ ... هَـذَا الَّـذي عَبَثَـتْ بِـهِ الأرْوَاحُ
نَقَلَتْـهُ عَـنْ أرَجِ الخُـزامَـىٰ مُسْنَـداً ... عَـنْ سَـاكِنيْـهِ فَهُـمْ لَـهُ شُـرَّاحُ
يُـرْوَىٰ عَـنِ الـرَّشَـأ الَّـذيْ سَكَـنَ الحِمَـىٰ ... فِيْـهِ عَلَـىَّ ثَنيّـه وَجِمَـاحُ
/٥ : ١٩٤ب/ إنْ قَدْ بَذَلْتُ لَكَ التَّواصُلَ فِيْ الكَرَىٰ ... فَـاقْنَـعْ بِـأنَّ تَتَـوَاصَـلَ الأشْبَـاحُ
وَلَقَـدْ طَـرَقْتُـكَ وَالمُحَصَّـبُ بَيْنَنَـا ... وَمَهَـامِـهٌ مَجْهُـوْلَـةٌ وبِطَـاحُ
وَمَفَـاوِزٌ لِلنَّيِّـرَات مَجَـاهِـلٌ ... مَـا دُوْنَهَـا مَجْهُـوْلَـةٌ وَبِطَـاحُ
يَجْتَـازُهَـا المِـرِّيْـخُ شَـاهِـرَ سَيْفِـه ... وَيَميْـلُ عَنْهَـا الأعْـزَلُ الـرَّمَّـاحُ
أهْـلاً بِمُقْتَحِـم الـدُّجَـىٰ لِـزِيَـارَتـيْ ... وَلَـدَيْـهِ مِـنْ وَضَـحِ الـدُّجَـىٰ إيْضَـاحُ
وَلَـهُ دَلِيْـلُ عَـارِفٌ مِـنْ عَـرْفِـه ... جَـوَّابُ كُـلِّ مَفَـازَة فَتَّـاحُ
يَـا طَيِّـبَ العَبَقَـاتِ مَـا لِقُلُـوْبِنَـا ... أبَـداً إلَيْـكَ صَبَـابَـةً تَـرْتَـاحُ
طُبِعَـتْ كَـذَاكَ عَلَـىٰ هَـوَاكَ فَمَـا لَهَـا ... كَـفٌّ عَـنِ التَّبْـرِيْـحِ فِيْـكَ بَـرَاحُ

---

(١) ترجمته في: مجمع الآداب ٥/ ٧٣ نقلها عن القلائد. وذكر فيها أنه أصله من حلب، بينما يذكر ابن الشعّار ـ المصدر ـ أنه «من أهل حماة، استوطن حلب». ولد بدمشق سنة ٥٦٢، وتوفي بحماة سنة ٦٤٠هـ.

وَأَغَنَّ نَسْتَجْلِي مَحَاسِنَ وَجْهِهِ لَهْواً وَيُجْلَى مِنْ يَدَيْهِ الراحُ
كَالشَّمْسِ فِيْ الإِشْرَاقِ يَجْلُو كَأْسَهَا لِلشُّهْبِ مِنْ شُهْبِ الحَبَابِ مُبَاحُ
نَزَلَتْ بِأَرْجَاءِ الصُّدُوْرِ فَرَحَّلَتْ هَمّاً تَحِلُّ مَكَانَهُ الأَفْرَاحُ[1]
شُرِبَتْ لِخُسْرَانِ العُقُوْلِ وَلَمْ يَزَلْ فِيْ الرَّاحِ خُسْرَانُ العُقُوْلِ رَبَاحُ
وَوَشَى بِأَسْرَارِ الغَرَامِ لِشُرْبِهَا ثَمِلٌ لأَسْرَارِ الهَوَى فَضَّاحُ

وقال أيضًا: [من الوافر]

حَدِيْثُكَ أَيُّهَا النَّشْرُ العَلِيْلُ إِلَيَّ فَلَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَقُوْلُ
/ ٥ : ١٨٣أ/ أَهَجْتَ بذكرِهِمْ ثَمِلاً بِعَقْلِي فَأَنْتَ لَهُ شَمَالٌ أَمْ شَمُوْلُ
نَسِيْمٌ هَبَّ مِنْ هَضَبَاتِ نَجْدٍ لَهُ أَرَجٌ تُفَتِّقُهُ القَبُوْلُ[2]
سَرَى مَسْرَى الخَيَالِ لَهُ حَثِيْثاً وَمَا لِلْبَدْرِ لَوْلاهُ دَلِيْلُ
وَلَمَّا أَنْ تَوَافَقْنَا لِعَتْبٍ تَشَابَهَتِ الصَّبَابَةُ وَالنُّحُوْلُ
فَلَمْ يَشْعُرْ لِوَجْدٍ كَيْفَ يَشْكُو وَلاَ أَنَا لِلتَّشَوقِ مَا أَقُوْلُ
وَلكِنَّا سَأَلْنَاهُ حَدِيْثاً عَنِ الأَحْبَابِ إِذْ أَزِفَ الرَّحِيْلُ
فَرَوَّى مَا رَوَى مِنْ بَيْنِ رَيَّا مَعَاهِدَهَا . . . . . السُّيُوْلُ
وَعَرَّضَ بِالطُّلُوْلِ فَجَدَّ وَجْدِي لأَنِّي مَنْ تُتَيِّمُهُ الطُّلُوْلُ
سَقَى جَبَلَيْ حَمَاةَ وَالمُصَلَّى أَجَشُّ الرَّعْدِ مَوَّارٌ هَطُوْلُ
إِذَا ضَحِكَتْ بَوَارِقُهُ بَكَتْهَا عُيُوْنٌ سَمَا مَدَامِعُهَا هُطُوْلُ
فَكَمْ شُقَّتْ بِهَا لَحَيَا جُيُوْبٌ وَجُرَّتْ بِالنَّسِيْمِ لَهَا ذُيُوْلُ
لَهَا وَادٍ عَزِيْزُ الجَارِ يُرْعَى وَيَعْذُبُ فِي خَمَائِلِهِ الخُمُوْلُ
تَرَى الأَحْزَانَ تَطْرُدُهَا حُزُوْنٌ وَإِنْ صَعُبَتْ تُسَهِّلُهَا السُّهُوْلُ
تُغَازِلُ أَعْيُنَ النُّوَّارِ فِيْهَا فَهُنَّ بِهَا صَحِيْحَاتٌ وَحُوْلُ
كَأَنَّ المِسْكَ ضَوَّعَ فِيْ قُرَاهَا وَسَلْسَلَ فِيْ البُطُوْنِ السَّلْسَبِيْلُ
/ ٥ : ١٨٣ب/ فَهَذَا الطَّيْرُ مِنْ طَرَبٍ يُغَنِّي وَهَذَا الغُصْنُ مِنْ ثَمَلٍ يَمِيْلُ

---

(١) هذا البيت والبيتين اللذين سبقاه في مجمع الآداب ٥/ ٧٣.
(٢) القبول: ريح الصبا.

يُعَاصِي أَرْضَهَا العَاصِي فَتَثْنِي ... أَعِنَّتَهُ مُرِنَّاتٌ ثُكُولُ
يَنُحْنَ وَمَا أُصِبْنَ بِفَقْدِ إِلْفٍ ... وَلَا أَوْدَى بِهِنَّ جَوًى دَخِيلُ
فَتَسْفَحُ دَمْعَهَا فِي خَدِّ رَوْضٍ ... أَرِيضٍ دُونَهُ الخَدُّ الأَسِيلُ

وقال أيضًا: [من الخفيف]

أَتُرَانِي مِنْ لَوْعَةِ الحُبِّ نَاجِي ... بِغَزَالٍ مُمَرَّضِ الطَّرْفِ سَاجِي
أَمْ لِقَلْبِي مُجَبِّرٌ بَعْدَ كَسْرٍ ... كَيْفَ يُرْجَى انْجِبَارُ صَدْعِ الزُّجَاجِ
فَوَحَقِّ الهَوَى وَعَهْدِ التَّدَانِي ... وَافْتِقَارِي إِلَى الوَفَا وَاحْتِيَاجِي
مَا دَهَانِي إِلَّا صُدُودُكَ عَنِّي ... بَعْدَ مَا كُنْتُ لِلتَّوَاصُلِ رَاجِي
وَالَّذِي غَدَا اسْمُهُ كَفَّ صَبْرٍ ... حِينَ أَضْمَرْتُهُ بِلَفْظِ الأَحَاجِي
يَا غَزَالًا كِنَاسُهُ فِي فُؤَادِي ... فَهْوَ فِيهِ مُصَوَّرٌ وَمُنَاجِي
عُدْ إِلَى وَصْلِيَ القَدِيمِ وَلَا ... تَعْدِلْ عَنْ حُسْنِ ذَلِكَ المِنْهَاجِ
لَا تُطِعْ فِيَّ لَائِمًا مِنْ بَنِي الدَّهْرِ مُسِرًّا حَدِيثَهُ أَوْ مُفَاجِي
وَاثْنِ عِطْفَ الوِصَالِ نَحْوِيَ وَقَلِّلْ ... مِنْ صُدُودِي . . . . فِي اللَّجَاجِ
ثُمَّ زُرْنِي عَسَى تُسَكِّنُ مَا بِي ... مِنْ حَنِينٍ وَلَوْعَةٍ وَانْزِعَاجِ
/ ٥ : ١٨٤أ/ وَتَعَلَّمْ مِنْ لُطْفِ أَخْلَاقِ نَجْمِ الدِّينِ رَبِّ الفَضَائِلِ بْنِ سِرَاجِ
فَهْوَ كَالرَّاحِ صُفِّقَتْ فَكَسَاهَا ... سَاطِعُ النُّورِ مُسْتَطَابُ المِزَاجِ
لَوْذَعِيٌّ لَوْلَاهُ قَدْ كَانَ بَابُ الفَضْلِ وَالجُودِ مُحْكَمَ الإِرْتَاجِ
ذُو بَنَانٍ يُنْسِي العُلَا وَبَيَانٍ ... كُلُّ دُرٍّ مِنْ بَحْرِهِ العَجَّاجِ
هُوَ لِي قُدْوَةٌ بِنَظْمِ القَوَافِي ... حِينَ أَضْحَى مُثَقَّفًا لَا عِوَجَاجِ
غَيْرَ أَنِّي أَخَافُ مِنْهُ عِتَابًا ... يُورِثُ القَلْبَ شُعْلَةَ الإِنْضَاجِ
حِينَ أَهْدَى إِلَيَّ عَذْبًا فُرَاتًا ... ثُمَّ قَابَلْتُهُ بِمِلْحٍ أُجَاجِ
لَيْسَ هَذَا عَادَاتِ مِثْلِي وَحَاشَايَ وَلَكِنْ دَهْرِي أَحَالَ مِزَاجِي
كُلَّمَا رُمْتُ مِنْهُ مَنْجًى أَتَانِي ... مِنْهُ ضِيقٌ وَلَمْ يَجُدْ بِانْفِرَاجِ
وَرَمَانِي بَنُوهُ مِثْلَ أَبِيهِمْ ... قَدْ شُغِلْنَا عَنْ مَدْحِهِمْ بِالأَهَاجِي
سَوَّدُوا أَوْجُهَ المَحَامِدِ وَالأَعْرَاضِ فِي رَدِّ قَاصِدٍ بِاحْتِيَاجِ
ثُمَّ صَانُوا تِلْكَ الجُسُومَ الخَسِيسَاتِ ... بِلُبْسِ الحَرِيرِ وَالدِّيبَاجِ

وَلأَنْتَ المَنْجَى وَفِيْ ظِلِّكَ المَلْجَا جَوَادٌ لِكُلِّ عَافٍ وَلاَجِي
فَاغْفِرِ الذَّنْبَ وَاْعْفُ عَنْ زَلَّةِ العَبْدِ وَدُمْ فِي مَسَرَّةٍ وَابْتِهَاجِ
/ ٥ : ١٨٤ب/ ثُمَّ كُنْ قَانِعًا مِنَ الكُلِّ بِالبَعْضِ إِلَى حِيْنِ يُسْرَةٍ مِنْ نَتَاجِ
فَوَحَقِّ البَارِيْ المُصَوِّرِ إِنْسَانًا أَدِيْبًا مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجِ
لَيْسَ تَحْوِيْ يَدِيْ وَلاَ البَيْتُ عِنْدِيْ غَيْرَ مَا قَدْ بَعَثْتُهُ بِالرَّوَاجِ
فَاقْبَلِ العُذْرَ ثُمَّ صَدِّقْ يَمِيْنِي يَا رَجَائِيْ وَعُمْدَةَ المُحْتَاجِ

وقال أيضًا: [من الكامل]

ذِكْرُ التَّلاَفِيْ بِالظِّبَاءِ تَلاَفُ إِذْ مَا لِسَالِفِ عَصْرِهِ إِخْلاَفُ
أَيَّامَ لَهْوِكَ مَعْ جَآذِرِ جَاسِمٍ وَظِبَاؤُهُ بِكَ أُنَّسٌ أُلاَّفُ
إِذْ رَوْضُ أَرْضِ حَمَاةَ زَاهٍ زَاهِرٌ بِأَرِيْجِهِ مُشْتَّى لَنَا مُصْطَافُ
تَغْدُوْ الكُؤُوْسُ مِنَ المُدَامِ خَفِيْفَةً بِأَكُفِّنَا وَتَرُوْحُ وَهْيَ خِفَافُ
وَمُهَفْهَفٍ صَبَّحْتُهُ لِصَبُوْحِهِ بِالكَأْسِ . . . . . الرَّاحِ وَهْيَ سُلاَفُ
حَمْرَاءَ مُشْبِهَةٍ تَوَرُّدَ خَدِّهِ فَكَأَنَّمَا هِيَ فِيْ الكُؤُوْسِ رُعَافُ
مُزِجَتْ فَرَاقَتْ فَهْيَ نُوْرٌ سَاطِعٌ يَغْشَى سَنَاهَا الجَوْهَرُ الشَّفَافُ
وَسَبَقْتُهُ حَتَّى غَدَا وَلِقَدِّهِ مِنْ غُصْنِ بَانَةِ حَاجِزٍ أَعْطَافُ
وَتَنَرْجَسَتْ لَحَظَاتُهُ فَقَتَلْنَ فِيْ العُشَّاقِ مَا لاَ تَقْتُلُ الأَسْيَافُ
رَشَأٌ مِنَ الأَتْرَاكِ كُلُّ حَدِيْثِهِ مَذْقٌ وَكُلُّ وُعُوْدِهِ إِخْلاَفُ
/ ٥ : ١٨٥أ/ لاَ يَسْتَقِرُّ عَلَى رَبِيْعٍ وَاحِدٍ وَيَسِيْرُ لَيْلاً وَالمَطِيُّ عِجَافُ
مُتَنَقِّلٌ كَالبَدْرِ إِلاَّ أَنَّهُ لاَ يَعْتَرِيْهِ النَّقْصُ وَالإِجْحَافُ
يَا مَنْ عَقَارِبُ صُدْغِهِ تُهْدِي إِلَى أَحْشَايَ صِرْفَ السُّمِّ وَهْوَ زُعَافُ
لَوْ أَنَّ صُدْغَكَ وَاوُ عَطْفٍ جُدْتَ لِي بِالوَصْلِ لَكِنْ وَاوُهَا اسْتِئْنَافُ
للهِ أَسْمَرُ أَحْوَرٌ مَا عِنْدَهُ مِنْ تِيْهِهِ لِمُتَيَّمٍ إِنْصَافُ
تَحْمِيْهِ سُمْرُ السَّمْهَرِيَّةِ فِيْ الوَغَى فَكَأَنَّهَا لِقَوَامِهِ أَحْلاَفُ
فَسَقَى الحَيَا زَمَنًا نَعِمْتُ بِوَصْلِهِ وَجَنَى عَلَيْهِ البَارِقُ الخَطَّافُ
وَلَيَالِيًا بِتْنَا نُعَانِقُ بَعْضُنَا بَعْضًا وَكُلُّ عِتَابِنَا أَلْطَافُ
وَمَعَ الهَوَى لاَ يَسْتَخِفُّ بِنَا هَوًى وَمَعَ العِنَاقِ بِنَا تُقًى وَعَفَافُ

أَشْكُو إِلَيْهِ فَيَشْتَكِي مِنْ مِثْلِهِ شَعَفًا وَنَحْنُ لَدَى الغَرَامِ كَفَافُ
لَا مِنْ مُحِبٍّ لَهُ بِوَصْلٍ مُسْعِفٌ يَوْمًا وَلَا لِي عِنْدَهُ إِسْعَافُ
يَا حُسْنَهُ ثَمَرًا وَلَكِنْ كَيْفَ لِي بِقُطُوفِهِ تُعْطَى يَدَيْ قَطَّافِ

وقال أيضًا: [من الطويل]

هُوَ البَرْقُ يَبْدُو فِي الدُّجُنَّةِ مِن ذَوِي دَانٍ لِذِكْرَاكُمْ بِهِ كَبِدِي يُكْوَى
إِذَا أَقْدَحَتْ أَيْدِي الغَمَامِ زِنَادَهُ فَلَاحَ عَلَى بُعْدٍ مِنَ الغَايَةِ القُصْوَى
/ ٥ : ١٨٥ب/ تَتَبَّعْتُهُ نُوءًا مِنَ الجَفْنِ مَاطِرًا يَشُحُّ إِذَا مَا شَحَّ مُنْبَجِسُ الأَنْوَا
أَرَى كُلَّ مَنْ يُعْزَى إِلَى الوَجْدِ قَلْبُهُ . . . . . . مَعَ الأَيَّامِ . . . . . الأَدْوَا
وَوَجْدِي يَنْمَى وَالغَرَامُ مُجَدَّدٌ بِهَا وَلَعَمْرِي مَا الصَّبَابَةُ كَالدَّعْوَى
وَنِيرَانُ حَيٍّ مِنْ حَمَاةَ بَدَتْ لَنَا وَنَحْنُ عَلَى الأَكْوَارِ نَرْتَقِبُ الأَضْوَا
عَلَى كُلِّ مُعْتَادِ الوَحَى ضَامِرِ الحَشَا دَعَاكَ إِلَى التَّيْسَارِ فِي مَهْمَهٍ أَلْوَى
تَذَكَّرَ مِنْ ظِلِّ الكَثِيبِ وَصَالَهُ وَعَهْدَ الصِّبَا وَاللَّهْوَ وَالأَهْلَ وَالمَثْوَى
بِلَادٌ إِذَا مَا ذُبْتُ مِنْ شِدَّةِ الجَوَى إِلَيْهَا فَلَا لَوْمٌ عَلَيَّ وَلَا عَدْوَى
أُعَاصِي بِهَا العَاصِي فَيَعْطِفُنِي لَهُ نَوَازِعُ شَوْقٍ قَادِرَاتٌ عَلَى اللَّأْوَى
كَأَنِّي مُذْ فَارَقْتُهَا آدَمٌ وَقَدْ نَأَى كَارِهًا بِالرُّغْمِ عَنْ جَنَّةِ المَأْوَى
وَإِنِّي لَمُشْتَاقٌ إِلَى هَضَبَاتِهَا فَجُدْ لِي بِهَا يَا عَالِمَ السِّرِّ وَالنَّجْوَى

ذكر من اسمه عبد اللطيف

[٣٥٠]

عبدُ اللطيف بن عليٍّ بن عليٍّ بن هبة الله بن محمد بن أحمدَ، أبو الفتوحِ بنُ أبي طالبَ، المعروفُ بابنِ البخاريِّ[1].

وأهل العراق يصغِّرونه فيقولون / ٥ : ١٨٦أ/ ابن البخيريِّ.

كان من أبناء القُضاة العلماء؛ مولده بأقصرة من بلاد الروم في يوم الثلاثاء سلخ ذي الحجة سنة خمس وسبعين وخمسمائة. ونشأ بمدينة السلام وقرأ الفقه علىٰ مذهب الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ علىٰ أبي القاسم يحيىٰ بن فضلان البغدادي، واشتغل بالأدب علىٰ أبي العباس أحمد بن هبة الله الزاهد النحوي البغدادي.

قلّده أمير المؤمنين الناصر لدين الله أبو العباس أحمد ـ رضي الله عنه ـ قضاء بغداد شرقيها وغربيها مع قاضي القضاة عماد الدين بن الدامغاني. ثم انتقل إلىٰ النطارة في البلاد العراقية؛ ثم صار صاحب المخزن المعمور، ولم يزل علىٰ ولايته إلى أن مات يوم الجمعة ثالث وعشرين ربيع الآخر سنة سبع عشرة وستمائة ببغداد.

وكان متجاهراً بالفساد والفسق متظاهراً بهما، كثير الظلم للكبراء وأصحاب الثروة والمال من المتصرفين والرؤساء، شديد السطوة عليهم؛ مصرّاً علىٰ الشرب والإنعكاف عليه؛ لم تكن له سيرة محمودة في ولايته. يرتكب المحارم، ويستبيح / ٥ : ١٨٦ب/ الأموال، ويقتل النفس التي حرّمها الله، قليل الرحمة للمسلمين. قد نزع الله الرأفة من قلبه؛ إلاّ أنّه كان مع ذلك متميّزاً في علم الحساب والمساحة، مليح الخط. كتب علىٰ أمين الدين أبي الدرّ ياقوت بن عبد الله الموصلي ـ رضي الله عنه ـ.

وله شعر مشهور والذي وجدتُ منه قصيدة خمرية يغني بها المغنون، وتتداولها

---

(١) ترجمته في: التكملة لوفيات النقلة ٣/ ١٠ ـ ١١ رقم ١٧٣٤. تاريخ الإسلام (السنوات ٦١١ ـ ٦٢٠) ص ٣٥٤ رقم ٤٥٨. المختصر المحتاج إليه ٣/ ٦٦ رقم ٨٦٤. تأريخ الحكماء ٤١٢.

الألسن ببغداد ـ وفيها ألفاظ ساقطة ـ أولها: [من البسيط]

عَرِّجْ بِدَيْرِ حَنِيْنَا أَيُّهَا الجَانِي ... وَلُجْ فَإِنَّ عَذُوْلِي فِيْهِ يَلْحَانِي
وَانْزِلْ بِقَلاَّيَةِ المَطْرَانِ بِطَرْشَ وَاقْرِئْهُ السَّلامَ وَلِلْشَّمَّاسِ مُرَّانَ[1]
وَاسْأَلْ عَنِ الشَّيْخِ مَتَّى وَالأَسَاقِفِ وَالخَمَّارِ مَارِيْ وَشَمْعُوْنَ وَشَمْعَانِ
وَخُصَّهُ بِالتَّحِيَّاتِ الكِرَامِ وَلِلرَّبَّانِ يُوْشَعَ فَالرَّبَّانُ رَبَّانِي
وَلَيْلَةٍ بِتُّ أَسْتَجْلِي العَرُوْسَ عَلَى ... أَيْدِي القُسُوْسِ بِإِكْلِيْلٍ وَصُلْبَانِ
وَقَدْ أَتَى الجَاثِلِيْقُ الشَّيْخُ يَحْجِبُهُ ... القَسُّ بنُ مُرَّانَ وَالقُدُّوْسُ مَرَّانِي

ومنها يقول:

وَجَاءُ بِلِيُوسُ وَالإِنْجِيلُ فِيْ يَدِهِ ... يَتْلُو الزَّبُوْرَ بِإِطْرَابٍ وَأَلْحَانِ
/ ٥: ١٨٧أ/ وَمَعْهُمُ الطَّاسُ وَالكَاسُ المُرَوَّقُ ... وَالدَّنُّ المُعَتَّقُ مِنْ عَهْدِ ابْنِ كَنْعَانَ
وَأَبْرَزُوا إِبْنَةَ البِطْرِيْقِ فِيْ يَدِهَا الإِبْرِيْقُ تَسْكُبُ مِنْهُ أَحْمَرًا قَانِي
وَابْزِلُوا الدَّنَّ حِيْنَ اللَّيْلُ جَنَّ وَدَارَ الكَأْسُ وَافْتَتَحَ السَّاقِي وَسَقَّانِي
يَغِيْبُ رُشْدِي فَلاَ أَدْرِي أَمِنْ طَرَبِ الصَّهْبَاءِ أَمْ خِيفَةِ الحَنَّاءِ تَغْشَانِي

[٣٥١]

عبدُ اللطيفِ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ اللطيفِ بنِ بدلٍ القاضي التبريزيُّ.

من أبناء القضاة.

كان إمامًا بارعًا فقيهًا فاضلاً في صناعة النظم والنثر؛ عربيّه وفارسيّه.

ومن شعره من صدر كتاب يشتمل على نظم ونثر ما كتبه إلى جلال الدين أمجد بن عبد الملك الوركاني جوابًا له في شعبان سنة ثماني عشرة وستمائة:

[من الطويل]

أَتَانِيْ كِتَابٌ مِنْ فَرِيْدِ زَمَانِهِ ... حَقِيْقٌ بِإِفْهَامِ المَعَانِيْ مَقَالُهُ
إِمَامٌ خَبِيْرٌ سَابِقٌ فِيْ بَيَانِهِ ... جَلاَلٌ لِدِيْنِ اللهِ جَلَّ جَلاَلُهُ

(١) القلاية: مسكن الأسقف.

كتَابٌ لَو أنَّ الدَّهرَ يُبْصِرُ مَا حَوَىٰ ....

وَقَدْ مُتُّ عَطْشَانًا مِنَ الشَّوْقِ نَحْوكُمْ كَمَنْ غَاضَ فِيْ قَلْبِ البَوَادِيْ زُلَالُهُ

/ ٥ : ١٨٧ب/ فَقَامَ وَأَحْيَانِي وَآمَنَ مُهْجَتِيْ كَمَا انْصَبَّ مِنْ بَعْدِ الأُوَامِ سَجَالُهُ

فَلاَ زَالَ فِيْ طَوْدٍ مِنَ المَجْدِ شَامِخٍ يُبَعَّدُ عَنْ عَيْنِ الكَمَالِ كَمَالُهُ

/٤٠أ/ ## ذكر من اسمه عبد المجيد

[٣٥٢]

عبدُ المجيدِ بنُ الحسنِ بنِ الخطَّابِ بنِ بدلٍ، أبو الحسنِ المُراغيُّ.

من فضلاء أذربيجان، وأفراد أدبائها، كان غزير الحفظ، عالمًا بالأدب، مبرزاً في اللغة والشعر، ولم يكن أحد في زمانه يضاهيه، فيما يتعاطاه من الفنون الأدبية، وصنعة النظم والنثر والتصنيف.

وكان أوحد وقته في معرفة شعر أبي الطيب المتنبي، وعلمه بمعانيه وتفسيره، وشرح عدَّة كتب منها شرح اللمع، وشرح ألفاظ عبد الرحمن، وشرح سقط الزند، وشرح الأنموذج لأبي القاسم الزمخشري، وشرح /٤٠ب/ كتاب أفكار الأبكار للرشيد وطواط، وشرح كتاب لأبي النضر العتبي.

وشرع في شرح سرّ الأدب لأبي منصور الثعالبي، لم يتممه. استشهد في شوال سنة سبع وعشرين وستمائة، بقرية من قرىٰ أربل ـ رحمه الله تعالى ـ.

أنشدني الفقيه زين الدين محمد بن أشكري بن محمد بن أشكري المراغي؛ قال: أنشدني عبد المجيد بن الحسن المراغي لنفسه، من قصيدة طويلة يذكر فيها خراب مُراغة حين قدمها التتار ـ خذلهم الله تعالى ـ وتغلبوا عليها وخرَّبوها، وانتهبوا أموالها، وسبوا الذراري، وقتلوا عالمًا عظيمًا: [من الكامل]

حُرِمَتْ جُفُوني مِنْ هُدُوٍّ غِرَاري ... وصَميمُ قلبي مِنْ نَعيمِ قَرَارِ

ونَفَادُ دَمْعي مِنْ بُكَائي دائمًا ... بمَدَامعٍ حَالَ البُكَاءِ غِزَارِ

وَعُقُودُ عُمْري اليومَ تَمَّتْ خمْسَةً ... وبها تَنَاهىٰ أكثَرُ الأعْمَارِ

والشَّيْبُ شَامِلُ عارِضي ومَفَارِقي ... لِطَلِيْعَةٍ طَلَعَتْ بجَيْشٍ بَوَارِ

مَا صَارَ لَوْلاَ تلْكَ رأسي أغبَراً ... فَالجيشُ يَقْدُمُهُ مُثَارُ غُبَارِ

أوَمَا رأيْتُمْ أنَّ طُوفَانَ الرَّدىٰ ... أخَذَ المَرَاغَةَ مِنْ هُجُومِ تَتَارِ

/ ٤١أ/ جَيْشٌ لُهَامٌ مَشْرقيٌّ أَقْبَلُوا ... مُتَمَوِّجينَ تَمَوُّجَ الأبحَارِ
كانَ المراغَةُ كالسفينَةِ أُغْرِقَتْ ... في لُجَّةٍ مِنْ عَسْكَرٍ جَرَّارِ
في النِّصْفِ مِنْ يومينِ قَدْ ظَفِروا بها ... قَهْراً بحُكْمِ الواحدِ القَهَّارِ
فَظَهيرةُ الأَحَدِ ابتداءُ حِصَارِهِمْ ... والأَخْذُ في الإثنينِ شَرُّ نَهَارِ
هَجَمُوا وقَدْ أخذوا أعالي سُورِها ... بمَجانقٍ يَمْطُرْنَ بالأحجارِ
نصَبُوا المَجانقَ تحتَ بُرْجٍ واحِدٍ ... ليلاً ويَوْماً في شُغْلِهم بحصَارِ
أحجارُها رَقَّتْ وشَفَّتْ حُرمَةً ... كالثَّوبِ تحتَ مَدقَّةِ القَصَّارِ
والنَّقْبُ يأخُذُ مِنْ حجارة أُسِّهِ ... فانْهارَ في بَدَنٍ كجُرُفٍ هَارِ
بسُقُوطِهِ ارتفَعَ الغُبَارُ ورَاعَ أَهْـ ... ـلَ الحَقِّ فانْحَدَرُوا إلى الأَسْوارِ
لَمَّا رأى الكُفّارُ سُوراً خالياً ... وَهُوِيَّ بُرْجٍ ساقطٍ مُنْهَارِ
صَعَدُوا إليه رافعينَ لواءَهُمْ ... قُصَّادَ قَتْلِ الزُّمْرَةِ الأبرارِ
لَجأَتْ إلى دارِ الهُمَامِ إمامِ ديـ ... ـنِ اللهِ آلافٌ مِنَ الأَخْيَارِ
فأَجارَهُمْ وَوَقاهُمُ في دارِهِ ... قاضٍ لحَقِّ إجارَةٍ وَجِوارِ
وأطابَ قَلْبَهُمُ بطِيبِ وَعْدِهِ ... إذْ قالَ أَحْميكُمْ أَنا في داري
فَحَماهُمُ يوماً وليلاً كاملاً ... عَنْ نابِ قومٍ كالكلابِ ضَواري
/ ٤١ب/ وغدا الثلاثة إسْتَداروا حَوْلَها ... كإحاطَةِ الهالاتِ بالأقْمَارِ
فَسَماءُ غَيْثِ السَّهْمِ تُمْطِرُ دارَهُ ... مَطَرَ السما بالصَّيِّبِ المِمْطَارِ
وَعَلا ليَمْنَعَهُمْ أَعالي دارِهِ ... فَلَهُمْ تَيَسَّرَ فَتْحُ بابِ الدَّارِ
دَخَلُوا وَقَدْ ظَفِرُوا بهِ في دارِهِ ... في نسْوَةٍ ومَشايخٍ وَذَرَاري
قَتَلُوا جميعَهُمُ بأَدْنَى لحظَةٍ ... ما مِنْ مُجيرٍ عِنْدَهُمْ وَمُجَارِ

وقال أيضًا: [من الكامل]

رحلَ الشبابُ وما اعْتَبَرْتَ مِنَ العِبَرْ ... وأتى المَشيْبُ وما انْتَبَهْتَ على الكِبَرْ
وأخو الصِّبَا تَصْفُو مشَاربُ عيشِهِ ... وإذا تزَعْزَعَ شانَها شَوْبُ الكَدَرْ
أينَ الطَّراوَةُ والطَّلاوَةُ والصِّبَا ... هيهاتَ منكَ أغَارَها جيشُ القَدَرْ
أوَمَا رأيتَ الغُصْنَ عندَ رَبيعِهِ ... يَحْلو بزينَةِ زَهْرِهِ فوقَ الشَّجَرْ
حتى يُغَيِّرَهُ خَريفُ خَريفِهِ ... عَنْ حالِهِ بِيَدِ الحَوادِثِ والغِيَرْ

وإذا تـولّـى الأربعـونَ وقـدْ دنـا الـ ـخمسـونَ صـاحبُها يقولُ على غَـرَرْ:
يـا أيُّهـا الـرُّفقـاءُ حـانَ رحيلُنـا فتـأهَّبـوا فـالآنَ ميقـاتُ السَّفَـرْ
دنيـاكُـمُ ليـسَ المُنـاخَ لـراكـب مـا حـلَّ حتـى فيـه أشْعَـرَ بـالخَطَـرْ
عـزمَ الـرحيـلَ بنـاظـر متـزوِّد نظـرَ المُـودِّع والمُفـارق للْحَضَـرْ
/ ٤٢أ/ هـا نحنُ سَفْرٌ نحْوَ أبعَدِ غايـةً فـي كُنْهِهـا حـارَتْ عيـونُ ذَوي النَّظَـرْ
سـارتْ قـوافلُنـا إليهـا قَبْلَنـا منهـمْ إلينـا قـطُّ مـا رَجَـعَ الخَبَـرْ
بَقِيَـتْ لـدَيْنـا بَعْـدَهُـمْ آثـارُهُـمْ وكـذاكَ يبقـى بعـدَنـا منَّـا الأثَـرْ

وقال أيضًا: [من الكامل]

إعْلَـمْ بـأنَّـكَ لا أبـا لـكَ فـي الـذي أصبَحْـتَ تَمْلكُـهُ لغَيْـركَ خـازنُ
يـا عـامـرَ الـدنيـا أتَعْمُـرُ منـزلاً لـم يَبْـقَ فيـه مـعَ المَنيَّـةِ سـاكـنُ
إنَّ المنيَّـةَ لا تُـؤامـرُ مَـنْ أتَـتْ فـي نفسـه يـومـاً ولاَ تَسْتَـأذنُ
والمـوتُ شـيءٌ أنـتَ تعلـمُ أنَّـهُ حَـقٌّ وأنـتَ بـذكْـره تَتَهـاوَنُ
والمـرءُ يسكنُهـا ويعلـمُ أنَّـهُ عنهـا إلـى وَطَـن سـواهـا ظـاعـنُ
ولقـدْ رأيـتَ معـاشـراً وَعَهـدْتَهُـمْ فَمَضُـوا وأنـتَ مُعَـايـنٌ مـا عَـايَنُـوا
ورأيـتَ سُكَّـانَ القُصُـور ومَـالَهُـمْ بعـدَ القُصُـور سـوى القُبُـور مَسَـاكـنُ
جمَعُـوا فَمَـا انْتَفَعُـوا بـذاكَ وأصبحـوا وهُـمُ بمـا اكتَسَبُـوا بـذاكَ رَهَـائـنُ

[٣٥٣]

عبد المجيد بنُ محمد بن منكديمَ بنِ عبدِ العزيزِ، أبو المعالي بنُ أبي الفرجِ الرزوذباريُّ الهَمَذانيُّ.

/ ٤٢ب/ كان فقيهًا شافعيَّ المذهب، مناظراً فاضلاً، أخذ بأطراف من العلوم الدينية؛ كعلم الأصول والخلاف والفقه وغير ذلك.

وله شعر كثير؛ أنشدني بإربل في شعبان سنة ثمان وعشرين وستمائة:

[من الوافر]

أحِـنُّ هَـوًى إلـى أرضِ العـراقِ حَنِيـنَ المُسْتَهـامِ إلـى العِـراقِ

إذا حمَلَ التراب الرِّيحُ منها ... مَرَتْ نارُ الأسىٰ ماءَ المَآقي[(١)]

رعىٰ اللهُ الأحبَّةَ ثمَّ جَلَّىٰ ... نهارُ وصالهمْ ليلَ الفراق

بهمْ تَحْلُو الحياةُ وفي نَواهُمْ ... ممَاتٌ عَيْشُنَا مُرُّ المَذَاق

تَنَاسَوْا سالمينَ لهُمْ سليمًا ... سواهُمْ ما لَهُ في الناس رَاقي[(٢)]

ألفْتُ على الصِّبا حُبَّ التَّصَابي ... فقَدْ فَنيَ الصِّبا والحبُّ باقي

سُقيتُ مُدَامَةَ الأشواق حتىٰ ... بفَيْض مَدَامعي جَرَت السَّواقي

أُضَامُ على النَّوىٰ ظُلْمًا صَريحًا ... وأحْمَلُ في الهوىٰ غيرَ المُطَاق

فما وَجْدُ اكْتئَاب كاكْتئَابي ... ولا عَهْدُ اشْتيَاق كاشْتيَاقي

فلا قاسىٰ الأباعدُ ما أُقَاسي ... ولا لاقىٰ الأقارِبُ ما أُلاقي

سيرجعُ غاربًا نَجْمُ التَّنَائي ... وتَطْلُعُ شارقًا شمسُ التَّلاقي

/١٤٣أ/ وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الطويل]

يُجَرِّعُني دَهْري سَمومَ هُمومه ... وقلبي سَقيمٌ منْ أليم سُمُومه

سَأُطْفيءُ إنْ عُمِّرْتُ نيرانَ ظُلْمه ... . منْ دمَاء كُرومه

وأنشدني لنفسه: [من الكامل]

هذا العقيقُ وهذه غُدْرَانُهُ ... يُرْوَىٰ بعَذْب زُلالها حَوْذانُهُ

يرْعاهُ سرْبٌ منْ ظبَاء تهَامَة ... تَصْطادُ آسَادَ الشَّرَىٰ غزْلانُهُ

يَحْميه حَيٌّ نازلونُ بروْضه ... يَحْكي رشَاقَ قُدُودهمْ أفْنانُهُ[(٣)]

وقد اسْتَعارَ منَ الوُجوه نَضَارَةً ... تحكي رشَاقَ قُدودهمْ أفَنانُهُ

منْ كُلِّ وضَّاح الجبينَ كأنَّما ... عُقدَتْ علىٰ شمس الضُّحَىٰ تيْجانُهُ

طَلْق المُحَيَّا واليدَيْن تَخالُهُ ... تُجْري شآبيبَ الغمام بَنَانُهُ

ليلُ العَجاج إذا دَجَا يومَ الوَغَىٰ ... تَجْلُوهُ غُرَّةُ وَجْهه وَسَنانُهُ

وبمُلْتَقَىٰ الهَضَبات منهمْ شادنٌ ... أصمَىٰ لأفْئدَة البَرايَا شَأْنُهُ

(١) مَرَت: استدرتْ وأرسلت.
(٢) سليمًا: لديغًا.
(٣) تكرر هذا الشطر في البيت السابق.

رَيَّانُ مِنْ ماءِ المَلاحةِ فائقٌ … في حُسْنه ثَمِلُ الصِّبَا نَشْوَانُهُ
يَخْتَالُ في حُلَلِ البَهَاءِ وَقَدُّهُ … كالبَانِ مَاسَ بسُحْرَةٍ أغْصانُهُ
تُمْلي وقدْ سَحَرَ القُلوبَ بطَرْفِهِ … وَحْياً علَى عُشَّاقِهِ أجْفانُهُ
/٤٣ب/ دُرِّيُّ ثَغْرٍ لوْ تكَشَّفَ مَوْهِناً … للعاشقينَ مَحَا الدُّجَى لَمَعَانُهُ
عَسَلِيُّ ريقٍ بَاردٍ يَشْفَى بهِ … دَنِفُ الهَوَى ظَمْآنُهُ
طابَتْ مَسَاحِبُ ذَيْلِهِ وتَأَرَّجَتْ … بالمسكِ مِنْ أصْدَاغِهِ أرْدَانُهُ
سَكَنُوا العُذَيْبَ فَقُلْتُ مَنْ شُغُلٍ بهِمْ … نِعْمَ العُذَيْبُ [وَ]حَبَّذَا سُكَّانُهُ
أُخْفي هواهُ غَيْرَ أنَّ لمَدْمَعي … عَهْداً يُذيعُ سَرَائري هَطَلانُهُ
أبغي وليسَ سوى الحَبيبِ طَبيبُهُ … تَسْكينَ قَلبٍ دائمٍ خَفَقَانُهُ
يارُبَّ ليلٍ بِتُّ مَطْرُودَ الكَرَى … شَوقاً تُسَاهِرُ نَاظِرِي شُهْبَانُهُ
والصبحُ وَرْدِيُّ النِّقَابِ كأنَّما … شَبَّتْ على قُلَلِ الرُّبَى نيرانُهُ

وأنشدني لنفسه من أبيات قصيدة: [من الكامل]

ولكَمْ رَشَفْتُ رُضابَها ومُدامَهُ … مِنْ ثَغْرِها وكَلامُها لم يُمْزَجِ
فَرَجُ الهُمومِ بها وَبي منها الأسى … مَلأَ الحَشَا ناراً ولمّا يُفْرَجِ
يا مَوْرِدَ الماءِ الزُّلالِ حُرِمْتُهُ … بَرِّدْ ظَما هذا الحَشَا المُتَوَهِّجِ
بينَ الضُّلوعِ مِنَ الصَّبَابَةِ جَذْوَةٌ … مهما جَرَى ذِكْراهُمُ تَتَأَجَّجِ
خَطَرَتْ بنا والليلُ داجٍ نَفْحَةٌ … أرَجَتْ كَنَفْحِ العَنْبَرِ المُتَأَرِّجِ
فَغَمَتْ خَيَاشيمَ الرِّفاقِ ونَبَّهَتْ … طَرَبَ الحُليِّ ومُقْلَةَ الصَّبِّ الشَّجي(١)
/٤٤أ/ شُعِفَ الفؤادُ بها لعِلْمي أنَّها … لو لَمْ تَمُرَّ بِصُدْغِها لَمْ تأْرَجِ(٢)
ولَرُبَّ ليلٍ جُبْتُ سِتْرَ ظَلامِهِ … بعَزيمةٍ تَحْكي ضياءَ تَبَلُّجِ
ضَاهَتْ كَواكِبُهُ بَنَادِقَ عَسْجَدٍ … نُثِرَتْ على صَحْنٍ مِنَ الفَيْرُوزَجِ
أوْ زَهْرَ أزهارِ العَرَارِ تَفَتَّقَتْ … في وَسْطِ رَوْضٍ مِنْ رِياضِ بَنَفْسَجِ
والبَدْرُ يَنْفُجُ في السُّرَى فكأنَّهُ … صَبٌّ يَرُومُ الحِبَّ بينَ الأبْرُجِ(٣)

---

(١) فغمت: ملأت.
(٢) شعف: شُغف، أي أحبّ.
(٣) ينفج: يثور ويسرع.

وَاللَّيْلُ مَسْدودٌ عليه طريقُهُ ... يَحْبُو حَسيراً كالوليد الأَعْرَجِ
والشُّهْبُ حُيْرىٰ في السماء كأنَّها ... وفْدٌ يُضلُّهُمُ الصَّدىٰ عنْ مَنْهَجِ[1]
والبرْقُ يلمَعُ في خَبَايَا مُزْنَةٍ ... كالسيف صُمِّمَ في دلاص مُدَجَّجِ
حتى بدا ضوْءُ الصباح كأنَّهُ ... نارٌ على شَرَفٍ تَشُبُّ لِمُدْلجِ

وأنشَدَني أيضًا لنفسه: [من الطويل]

لقدْ أُبرَزُوا أسرارَ عَيْنَيْ وأحْرَزوا ... غَزالاً عظيمًا في المَلاحة شانُهُ
فَهُمْ حَلَّلُوا بالبَيْنِ حَيْني وَحَرَّموا ... عليَّ عناقًا كانَ يَدْنُو أَوانُهُ
كَما أَوْقَدُوا بالهَجْرِ بَيْنَ جَوانحي ... سَعيراً أَبدًا في عَارِضَيْهِ دُخانُهُ
فَمَنْ ذَا رأىٰ مثْلي منَ الناس هائمًا ... إذا ذُكرَ الخُلَّانُ يَدْمَعُ شانُهُ[2]
/ ٤٤ب/ وَمَنْ أينَ مِثْلي في هَوَاكُمْ مُتَيَّمٌ ... إذا مَسَحَ الآماقَ تَدْمَىٰ بَنَانُهُ

وأنشدني من شعره من أبيات: [من الكامل]

سُقْيًا لأيَّامِ الربيعِ فإنَّهُ ... زانَ البسيطَ بحُلَّةٍ خَضْراء
وشَّىٰ الحَيَا قطَعَ الرياضِ كأنَّما ... أَهْدَىٰ لهُ الحبَرَات منْ صَنْعاء
حَكَتِ البُروقُ وَميضَ بيْضٍ فَارَقَتْ ... أَجْفانَها في بُهْرَةِ الظَّلْماء

ومنها يقول:

وترىٰ هَزيمَ الرَّعْد في جَنَباته ... كالطَّبْلِ يُضْرَبُ غُدْوَةَ الهَيْجاء
والقَطْرُ في وَسْطِ الشَّقيقِ كَعَبْرَةٍ ... تجري خِلالَ المُقْلَةِ الرَّمْدَاء

ومنها قوله:

تتَرنَّحُ الأغصانُ منْ نَفَسِ الصَّبَا ... كَتَرنُّحِ النَّشْوانِ منْ صَهْبَاء

---

(١) الصدي: العطش.
(٢) شانه: مفرد شؤون، عروق الدمع.

ذكر من اسمه عبد المحسن

[٣٥٤]

عبدُ المحسن بنُ عبد الله بن الحسين بن رواحةَ بن إبراهيمَ بنِ عبد الله بنِ رَواحةَ، يُكنَى أبا الخَيْرِ بنَ أبي محمدٍ الحمويُّ الأنصاريَّ.

وقد تقدَّم نسبه. /١٤٥أ/ على الاستقصاء، عند ذكر ابن أخيه[(١)]، وهم بمدينة حماه من بيت جليل في العلم والأدب، دخل حلب في أيام سلطانها الملك الظاهر غياث الدين غازي بن يوسف بن أيوب، وقلَّده كتابة الجيش والعَرْض والأقطاع، وكان عنده شيء من علم الفقه؛ ويقول اليسير من الشعر.

أنشدني أبو القاسم عبد الله بن الحسين بن رواحة الحموي؛ قال: أنشدني عمِّي أبو الخير لنفسه: [من السريع]

فـي حَلَـب أصبَحْـتُ مُسْتَضْعَفًـا ... لا مَـالَ لـي فيهـا ولاَ جَـاهُ

يَسْتَنْصِـرُ الأَبعَـدَ مُسْتَصْـرِخـًا ... سَفَـاهَـةً والنَّـاصِـرُ اللهُ

[٣٥٥]

عبدُ المحسن بن عبد الله بن أحمدَ بن محمد بن عبد القاهر بنِ هشامٍ، أبو القَاسَمِ بنِ أبيَ الفَضلِ الطوسيُّ الموَصَليُّ الخطيبُ.

وقد مرَّت أشعار أخيه[(٢)] وولديه[(٣)] متقدمًا.

كـان اسـلافـه خطبـاء المـوصـل، وكـذلـك أولاده، وهـو مـن بيـت العلـم والخيـر

---

(١) وهو (عبد الله بن الحسين بن عبد الله) ترجم له المؤلف في الجزء الثالث برقم ٢٥٩.

(٢) ترجم المؤلف لأخيه (أحمد بن عبد الله) في الجزء الأول برقم ٤٥.

(٣) ترجم المؤلف لولديه: (عبد الله بن عبد المحسن) في الجزء الثالث برقم ٢٦٠، و(عبد الرحمن بن عبد المحسن) في الجزء الثالث أيضًا برقم ٢٨٦.

/ ٤٥ب/ والخطابة.

وأبو القاسم كان شيخًا بهيًا لطيفًا، حسن المنظر، متواضعًا للناس، من صلحاء أمة محمد ـ ﷺ ـ سمع حديثًا كثيراً من أبيه وعمِّه وغيرهما، وحدث بالموصل، وحمل عنه الحديث.

وكان له قبول عند الناس وقدر جليل، وحرمة وافرة، ولي منه إجازة كتبها بخطِّه، وله أشعار حسنة.

وكان مولده بالموصل ليلة الثلاثاء عاشر رجب سنة ثمان وخمسمائة، وتوفي بها ضاحي نهار يوم الخميس منتصف شهر بيع الأول سنة اثنتين وعشرين وستمائة ـ رضي الله عنه ـ.

أنشدني الخطيب أبو الفضل عبد الله؛ قال: أنشدني والدي من شعره ما قاله على لسان أتابك نور الدين أرسلان شاه تبن مسعود بن مودود، وقد جاءته سفينة من أمير المؤمنين الناصر لدين الله ـ رضي الله عنهما ـ: [من الكامل]

إنْ كـانَ أَتْحَفَنـي الإمـامُ سَفينَـةً ... تُنْجـي مـنَ البَحْـرِ الخضَـمِّ الـزَّاخـرِ
فَتَمَسُّكـي بعُـرَىٰ الـولاءِ لبَيْتِـه ... سُفُـنِ النَّجَـاة مـنَ العـذاب الآخِـرِ

/ ٤٦أ/ وقال يُهنِّي القاضي حجَّة الدين أبا منصور المظفَّر بن عبد القاهر الشهرزوري بمجلس الحكم: [من البسيط]

تَهَنَّـهُ مَجْلسـًا لمَّـا قَعَـدْتَ بـه ... قـامتْ صُـرُوفُ الليـالي عنكَ تَـرْتَحـلُ
بـه مـنَ العَـدْلِ أبـوابٌ قـد ٱفْتُحَـتْ ... كَمَـا بـه سُـدَّ خَـرْقُ الـدِّيـن والخَلَـلُ
مَـنْ كـانَ يَبْسُـطُ آمـالاً ويَقْبُضُهـا ... فـأنـتَ لا زلْـتَ مَبْسُـوطـًا لَـكَ الأمَـلُ

وقال يهنيه بالعيد: [من مخلّع البسيط]

تَهَـنَّ بـالعيـد يَـا جَـوَادُ ... مـا مثْلُـهُ قَـطُّ مـنْ جَـوَاد
عـادَتْ عليـكَ الأَعيـادُ حتـىٰ ... تَنَـالَ مـا شئْـتَ مـنْ مُـرَادَ
وَدُمْـتَ فـي نعْمَـةٍ وَخَفْـضٍ ... رَغْمـًا علـىٰ آنُـفِ الأَعَـادي

وقال يُهنِّي بمولد: [من البسيط]

لَـكَ الهنـاءُ بمَيْمُـونِ نقيبَتِـهِ ... مُبَشِّـرٍ بسَعَـاداتٍ وإقْبَـالِ
وَلِـي هَنـاءٌ بمَـا بُلِّغْـتُ مِـنْ أَمَـلٍ ... لا خَيَّـبَ اللَّهُ فيـكَ الـدَّهْـرَ آمَـالِـي

وقال يمدح: [من الطويل]

وكُـلُّ بَنـي مَجْـدٍ لمَجْـدِهـمُ بمـا ... بَنَـتْ لهُـمُ الآبـاءُ مِـنْ شَـرَفِ الـذِّكْـرِ
/٤٦ب/ وأنـتَ بَنَيْـتَ المَجْـدَ حتـى سَمَـتْ بـه ... جُـدُودُكَ هـذا غـايَـةُ المَجْـدِ والفَخْـرِ

وقال أيضًا: [من الخفيف]

مُـدَّةُ الـوَرْدِ مُـدَّةٌ ليـسَ تبقـى ... فـاغْتَنِمْهـا فَعَـنْ قليـلٍ تَفُـوتُ
وَاطَّـرِحْ مـا يكـونُ مِـنْ فَضْـلِ عَيْـشٍ ... واقْتَنِـعْ بـالكَفَـافِ يكْفِـكَ قُـوتُ
وانْتَهِـزْ فُـرْصَـةَ التَّـواصُـلِ فـي الـدُّنْـ ... ـيـا فكُـلٌّ عَمَّـا قليـلٍ يَمُـوتُ

وله إلى ولده أبي أحمد يستوحش له عند انتقاله إلى المدرسة: [من الطويل]

لقـدْ مَلَكَتْنـي مِـن فـراقـكَ وَحْشَـةٌ ... يكـادُ لهـا نُـورُ الغَـزَالَـةِ يُظْلِـمُ
تَنكَّـرَ فـي عَيْنَـي لَهـا كُـلُّ مَـا أرَىٰ ... ويَجْهَـلُ قلبـي كُـلَّ مـا كـانَ يَعْلَـمُ
فـلا كـانـت الـدُّنيـا ولا أنـتَ حـاضِـرٌ ... ولا سَـاغَ لِـي إلاَّ وإيَّـاكَ مَطْعَـمُ

وقال أيضًا: [من الخفيف]

عَيْشُنـا طَيِّـبٌ ولكـنَّ بُعْـدَ الـ ... ـدَّار عَنكُـمْ لا عَيْـشَ فيـه يَطيـبُ
أنتُـمُ جُنَّتـي إذَا أعْظَـلَ الخَطْـ ... ـبُ وأنْتُـمْ بكُـلِّ داءٍ طَبيـبُ

وله إلى أتابك نور الدين أرسلان شاه بن مسعود، وقد شرف أرباب الدولة، ولم يُشَرِّفه: [من السريع]

/٤٧أ/ مـاذا الـذي أوجـبَ نسيـانـي ... يـا مَلِكـاً ليـسَ لَـهُ ثَـانـي؟
أخِـدْمَتـي تُـوجِـبُ لـي مِيـزَتـي ... أمْ تَقْتَضِـي مَنْعـي وَحِـرْمَـانـي؟
أُعَيـذُ بَحْـراً زاخِـراً منـكَ أنْ ... تَجعَلَنـي منـهُ بطُـوفَـان
إنْ كـانَ سُلْطـانُ الـورىٰ مـانعـي ... فـأنـتَ فـي العـالَـمِ سُلْطـانـي
كُـلُّ البَـرَايـا رَفَلُـوا لابسـي ... تَشْـريـفَ نُـورِ الـدِّيـنِ رُسْـلاَن
فَلِـمْ أنـا وَحْـدي حُـرِمْـتُ المُنَـىٰ ... مُبَـدِّلاً رِبحـي بخُسْـرانِ
لا زِلْـتَ فـي أوْجِ العُـلاَ صـاعِـداً ... بِـرَغْـمِ أنْـفِ الحـاسِـدِ الشَّـانـي

وقال أيضًا: [من مجزوء الخفيف]

كيــف ادَّعــى الحــقَّ قــومٌ ... أمْ كيــف ذاكَ استجَــازَوا ؟
مــا حــازَ مُلْكَــكَ قــومٌ ... بــلْ دُونَ مُلْكِــكَ حَــازُوا!
أنــتَ الخليفــةُ حَقًّــا ... ومــا ســواكَ مَجَــازُ
كُــلُّ الخــلائــقِ ثَــوْبٌ ... وأنــتَ فيــه الطِّــرازُ
خَليفــةَ اللهِ وَعْــدي ... قَــد حــانَ منــهُ انْتجَــازُ
فــي البَعْــثِ أنــتَ إمــامٌ ... وفــي يَــدَيْــكَ الجَــوَازُ
وفــي يَــدَيْــكَ يَــراعٌ ... حكــاهُ عَضْــبٌ جُــرَازُ

/ ٤٧ب/ وقال أيضًا: [من الطويل]

أشــاقَــكَ بَــرْقٌ بــالحجــاز لَمُــوعُ ... فَفَــاضَــتْ علــى الخَــدَّيْــن منــكَ دُمُــوعُ
وهيْهَــاتَ ليسَ الــدَّمْعُ فـي الـرَّبْـعِ مُقْفِـراً ... بشَــافٍ إذا لــم يَجْــرِ فيــهِ نَجيــعُ

وقال أيضًا: [من المنسرح]

مَجْلسُنــا قــدْ حــوى مــنَ النُّجُــبِ ... كُــلَّ مَليــحٍ ومَنْظَــرٍ عَجَــبِ
خَيْمَتُنــا هــذه لهــا شَــرَفٌ ... علــى خيــامِ الأعْجَــامِ والعَــرَبِ
بهــا أُنــاسٌ أُولُــو حجًــى ونَــدًى ... ورُتْبَــةٍ قَــدْ عَلَــتْ علــى الــرُّتَــبِ

وقال أيضًا: [من مجزوء الرجز]

يــا ســائــقَ الأظْعَــان أيْـ ... ـــنَ سَــارَت الأظْعَــانُ
رفْقــاً ففــي آثــارِكُــمْ ... مَــدَلَّــهٌ حَيْــرانُ
يَنْشُــدُهُــمْ قلبــي وَهُــمْ ... فــي وَسْطــه سُكَّــانُ
والعيــنُ تــرجــو قُــرْبَهُــمْ ... وَهُــمْ لهَــا إنْســانُ
هــذا غَــرامــي بهــمُ ... وهُــمْ لنــا جيْــرانُ
فكَيْــفَ بــي إنْ شَطَّــت الـ ... ـــدَّارُ بهــمْ أوْ بَــانُــوا
يــا دارَهُــمْ أيــنَ هُــمُ الـ ... ـــحُــلَّالُ والقُطَّــانُ
/ ٤٨أ/ مُــذْ ظَعَنُــوا أقَــامَــت الـ ... ـــأحْــزانُ والأشْجَــانُ
وأُضْــرِمَــتْ لبَيْنِهِــمْ ... فــي كَبِــدي نيــرانُ

هٰــــذي أُثَيْــــلاَتُ النَّقَــــا وَهٰــــــذه الكُثْبَــــــانُ
وذاكَ رَمْـــــلُ عَـــالــــج وَرَنْــــــدُهُ والبَــــــانُ
وهـــــذه آثـــــارُهُـــــمْ وهـــــذه الأوْطَــــــانُ
وَجْـــــدي بهـــــمْ مُشْتَهَـــرٌ ســـارَتْ بـــه الـــرُّكْبَـــانُ
إنْ أعْـــــوَزَ المـــــاءُ لَهُـــمْ فـــأدْمُعـــي غُـــــدْرَانُ
أوْ كــــانَ وَجْـــدي خَـــافِيــاً فَهْــــيَ لَــــهُ عُنْــــوانُ
هـــــذا الحمَـــى والبـــــانُ وهـــــذه نُعْمَـــــانُ
وهـــــذه أطْيَـــــارُهُ مـــــالَـــتْ بهَـــا الأغْصَـــانُ
فَــاحْبِــسْ وسَــلْ ديَــارَهُــمْ أيْـــنَ هُـــمُ السُّكَّـــانُ
هَـــلْ عَـــائِـــدٌ ولَـــنْ يعـــو دَ ذَلــــكَ الــــزَّمـــانُ
قَـــدِ اسْتَـــوَىٰ فـــي حُبِّهِـــمْ ســـرِّيَ والإعْـــلانُ
هَـــلْ عـــائِـــدٌ ولَـــنْ يَعُـــو دُ ذَلــــكَ الــــزَّمَـــانُ
مَـــرَابِـــعٌ كَـــانَـــتْ بهـــا الـ ـــــآرَامُ والغِـــــزْلانُ
/٤٨ب/ لكنّمـــــا يَقْصِـــــدُهُ عَـــنْ ذلـــكَ الحِـــرْمَـــانُ

وله إلى قاضي القضاة أبي الفضائل في إيوان استجدَّه: [من البسيط]

إنْ كــانَ إيْــوانُ كِسْــرىٰ عــاليــاً فَلَقَــدْ عَــلاَهُ بــالعَــدْلِ والإنْصــاف إيْــوَانُــكْ
أوْ عَــمَّ إحْسَــانُ بَــانيْــهِ الــورىٰ فَلَقَــدْ شَــأْوْتَــهُ واسْتَــرَقَّ النَّــاسَ إحْسَــانُــكْ
أشْبَهْــتَ بَــدْرَ الــدُّجَــىٰ لمَّــا جَلَسْــتَ بــه في الدَّسْتِ والثَّاقِبَاتُ الشُّهْبُ أعْوانُكْ
فَــدُمْ لِشَمْــلِ الهُــدىٰ والــدِّيْــنِ تَجْمَعُــهُ فَجَمْــعُ شَمْــلِ المَعَــالــي والهُــدىٰ شَــانُــكْ

وقال أيضاً: [من السريع]

أنْتُــمْ سُــرورُ القلــبِ والخَــاطِــرِ وأنتُــمُ النُّــزْهَــةُ للنَّــاظِــرِ
لا تكْمُـــلُ النُّـــزْهَـــةُ إلاَّ بكُـــمْ فَبَــادرُوا فــي حــالنَــا الحــاضِــرِ
كُـــلُّ المَسَـــرَّات إذا مَـــا خَلَـــتْ منكُــمْ فَــلاَ هُنِّــيْ بهَــا نــاظِــرِي
والأرضُ قَفْــرٌ مَــا خَلَــتْ منكُــمْ مُغْبَــرَّةٌ مَــعْ رَوْضِهَــا النَّــاضِــرِ

وقال يمدح شاعراً: [من الطويل]

أيَـا نَـاثِـراً دُرّاً ونَـاظِـمَ عِقْـدِه وَمُسْتَخْـرِجَ المعنـى وَمُـوري زَنْـدِه
شَـأوْتَ الأُلَـى فـاقُـوا الأنـامَ فَصَاحَـةً بمـا حَـاكَ منْـكَ الفكْـرُ مَـوْشـيَّ بُـرْدِه
/ ١٤٩أ/ فَتهْكيفَ ما شَاءتْ قَوافيْكَ مُصْعِداً فُـوَيْـقَ السُّهـا أوْجـائـزاً فَـوقَ خَـدِّه
مَعَـانٍ تَـرُوقُ السَّـامعيـنَ كـأنَّمَـا سُقُـوا قَـرْقَفـاً كـالسَّلْسَبيـلِ وَبَـرْدِه
لَهَـا أَرَجٌ فـي الحَـيِّ إنْ هـيَ أُنْشِـدَتْ تَفُـوقُ علـى بَـانِ الأراكِ وَرَنْـدِه
فَصَـاحِبُهـا يُنْبِيـكَ قُسّـاً وَجَـرْوَلاً وإيـرَادُهُ يُغْنيـكَ عَـنْ عَبْـدِ وَدِّه
يُـريْـكَ إذا مَـا فَـاهَ بـالنَّظْـمِ نَـاطِقـاً لبيـداً بعقْـدِ النَّظْـمِ أوْ نَظْـمِ عِقْـدِه

وله في شمس الدين علي بن أبي غالب السَّلاميّ: [من السريع]

قـالَ فُـرَاتُ الشـامِ لمَّـا جَـرَى بَحْـرُ النَّـدى فـي مَـوْجِـه الغـالـبِ:
مَـنْ ذَا الـذي يَعْلُـو علـى صَهْـوَتـي قُلْـتُ: عَلـيُّ بـنُ أبَـي غَـالِـبِ
وقـدْ عَـلا مـنْ فـوقِ حَـرَّاقَـةٍ أكْـرِمْ بـهِ مـنْ جَـالِـسٍ رَاكِـبِ
ذاكَ الـذي إنْ نَقَـصَ البَحْـرُ فـي نَقْـصِ الـزمَـانِ الغـابِـرِ الـذاهِـبِ
فَجُـودُهُ لا يـأتَلـي زَائِـداً للقَـانِـعِ المُعْتَـرِّ والطَـالِـبِ
وكيـفَ لا يَعْلُـوكَ مـنْ جُـودِه هـامٌ علـى السَّـالـبِ والـواهـبِ
تَجُـودُ بـالمـاءِ وتُخْفـي الـذي فـي القَعْـرِ مـنْ جَـوْهَـرِكَ الثَّـاقِـبِ
وَجُـوْدُ شَمْـسِ الـدِّيـنِ مَـنْ كُـلِّ مـا يَحْـويـه فـي الشـاهِـدِ والغـائِـبِ

وقال في صبيٍّ: / ٤٩ب/ صعد المنبر تجاه الكعبة الشريفة وأذَّن العشاء:

[من الوافر]

تَبَـدَّى بيـنَ زَمْـزَمَ والمَقـامِ لنـا بَـدْرٌ حكـى بَـدْرَ التَّمـامِ
بـدا والليـلُ قـدْ أرْخـى سُـدُولاً حَكَـتْ صُـدْغَيْـهِ مـنْ نُـونٍ ولامِ
عـلا فـوقَ الحَطيـمِ لحُسْـنِ لَفْـظٍ حكـى الـدُّرَّ المُنَضَّـدَ فـي النِّظَـامِ
فعـادَ الليـلُ حينئـذٍ نَهَـاراً بـوَجْهِـكَ إذْ سَفَـرْتَ عـنِ اللِّثَـامِ
وأغْنَـانـا جَبينُـكَ إذْ تَبَـدَّى عَـنِ المَصْبـاحِ فـي جُنْـحِ الظَّـلامِ
تَصيـدُ قُلـوبَنـا والشَّـرْعُ يـأبـى جَـوازَ الصَّيْـدِ فـي البَلَـدِ الحَـرَامِ
وتَشْهَـرُ سيـفَ لَحْظِـكَ فـي مقَـامٍ نُهينَـا فيـه عَـنْ سَـلِّ الحُسَـامِ
بـأيَّـةِ جُـرْأةٍ وبـأيِّ أيْـدٍ تُحَلِّـلُ حُـرْمَـةَ البيـتِ الحَـرامِ

وَتَفْتِنُ بالقَوَامِ اللَّدْنِ قوماً ... غَدَوا يَتَحرَّجُونَ عن الأثَامِ
وتَنْهَرُ سائليكَ وقَدْ نهاكَ الـ ... إلهُ عن انْتِهَارِ المُسْتَضَامِ
أفي شَرْطِ المَحَبَّةِ أنْ تُجَازي ... مُحِبَّكَ بانْقِطَاعٍ وانْصِرامِ
مَلَكْتَ الحُسْنَ أجْمَعَهُ فَهَلاَّ ... عَدَلْتَ مَعَ التَّحَكُّمِ في الأنامِ
نَجُودُ بأنْفُسٍ منَّا غَوَالٍ ... وتَبْخَلُ أنتَ حَتَّى بالسَّلامِ
/ ٥٠أ/ رَمَيْتَ الجَمْرَ لاَ جَمَراتِ حَجٍّ ... فأصْبَحَتِ القلوبُ بها دَوَامي
وتَكْرَعُ منْ حِيَاضِ الحُسْنِ رِيّاً ... ونَجْرَعُ فيكَ كاساتِ المَلاَمِ
فَلاَ تَلُمِ الحَجيجَ إذا اشْرَأبُّوا ... إليكَ مُسَابِقِينَ بالازْدِحامِ
وظَنُّوا أنَّهُ رُكْنٌ فَمَالُوا ... بتَقْبيلٍ إليهِ واسْتِلاَمِ

وله عند وداع والده إلى الحج : [من السريع]

جَرَّعَني الدَّهْرُ منْ فراقِكُمُ ... كأساً مَرِيرُ الحِمَامِ أعْذَبُها
وَدِدْتُ أنَّ الحِمَامَ عَاجَلَني ... منْ قَبْلِ يَقْضي عليَّ أشْرَبُها
قدْ كانَتِ الأرضُ قَبْلُ واسعَةً ... فضاقَ بي مُذْ بانَ أرْحَبُها
وابْتَهَجَتْ مِنْ مِنًى مرابِعُها ... وخيفُها وازْدَهَى مُحَصَّبُها

وله إلى ولده بكة ـ حرسها الله تعالى ـ [من الطويل]

إذا ما سَرَتْ ريحُ الصَّبَا منْ دِيَارِكُمْ ... وَجَدْتُ لمَسْرَاها على كَبِدي بَرْدَا
أُنَاشِدُها إنْ زُرْتِ أرضَ أحِبَّتي ... فَقُولي لَهُمْ والله ما نَقَضَ العَهْدَا

وله إليه أيضاً من أبيات : [من الطويل]

بَعُدْتَ فَلاَ عَيْشٌ يُسَرُّ ولا حَشاً ... تَقَرُّ ولا مَرْأَى يَرُوقُ لنَاظري
/ ٥٠ب/ وخَلَّفْتَني فَرْداً أنيسيَ وَحْدَتي ... إذا ما دَجَا ليلي وفكْري مُسَامِري
فإنْ كنتَ أوْحَشْتَ الدِّيَارَ وأهْلَها ... لقدْ أنِسَتْ أرْجاءُ تلكَ المَشَاعرِ
وإنْ كنتُمُ غُيِّبْتُمُ عنْ نَوَاظري ... فإنَّكُمُ الحُلاَّلُ وَسْطَ الضَّمَائرِ
وأوْحَشْتُمُ الأوْطانَ فَهْيَ عَوَاطِلٌ ... عَفَا رَسْمُها منْ دَمْعِيَ المُتَحَادِرِ

ومنها قوله :

ولله ذاكَ الشِّعْبُ لمّا حَلَلْتَهُ ... ومَا ذا حَوَاهُ منْ عُلاً ومآثِرِ

وله إلى مَنْ عاتبه على أكل القطائف : [من الخفيف]

مَا تَفَرَّدْتُ بالقَطَائفِ عنكُمْ ... حاشَ لله كيفَ ذاكَ وأنَّى ؟
لا تَظُنُّوا أنِّي يطيبُ ليَ العَيْـ ... ـشُ إذا كُنتُمُ بَعيدينَ عنَّا
أَوْ إذا مَا سُقِيتُ مِنْ دُونكُم ما ... ءً زُلالاً أنِّي بِهِ أتَهنَّا

وله إلى القاضي بهاء الدين بن شداد : [من الكامل]

لَمْ يُخْطني دهْري بخَلْوَة ساعَة ... حتى أبُثَّ إليكُمُ أشْجَاني
فَتَأمَّلُوا ما في ضَميري تُدْركُوا ... بصَفَاء ذهْن سرَّ ذا الإذْهَان
بينَ القلوب تَفَاوُتٌ وتَنَاسُبٌ ... لا تَعْبَأُوا بتَبَاعُدِ الأبْدانِ

وله في غرض : [من الرمل]

/ ٥١أ/ أكتُمُ الحُبَّ ولكنْ أدْمُعي ... كُلَّما نَمَّتْ عليه ظَهَرا
يا هلالاً لو تَجلَّى في ضُحًى ... أخْجَلَ الشمسَ فَولَّتْ قَهْقَرَا
يَا خَليَّ البال قَلْبي مُمْتَلٍ ... منكَ والعينُ تُعاني السَّهَرا
نَمْ هَنيئًا فَرُقَادي نافرٌ ... مُذْ هَجَرْتُمْ لجُفُوني هَجَرا

وله على وزن ما ذكرت : [من الرجز]

لا يُبْعد اللهُ لُيَيْلات مَضَتْ ... فيها كَرَعْنا العيشَ صَفْواً رَيِّقا
إذْ حَادثَاتُ الدَّهْر عنَّا نُوَّمٌ ... وَشَمْلُنَا المجموعُ مَا تَفَرَّقا
يا حَاديَ الأظْعان رِفْقًا إنَّما ... مَنَاسمُ العيش يَطأْنَ الحَدَقَا
تمشي الهُوَيْنَى في السُّرَى فإنْ بَدَتْ ... كُنْتَ الحمَى لَهَا تسيرُ العَنَقَا
لا تَحْسَبُوا أنَّا نَقَضْنا عَهْدَكُمْ ... بعدَ الفراق أوْ حَلَلْنا مُوْثقَا
أشْفَقْتُ إذْ سَارُوا علَى ركابهمْ ... مِنْ حَرِّ أنْفَاسيَ أنْ تَحْتَرقَا
مُنُّوا بوَصْل فَلَيَالي هَجْرُكُمْ ... لَمْ تُبْق مِنْ رَوْحيَ إلاَّ رَمَقَا
أُكابدُ الهَمَّ نَهاري كُلَّهُ ... حُزْنًا وفي الليل أُعَاني الأرَقا
كأنَّ ما كانَ من اجْتمَاعنا ... حُلْمٌ تَقَضَّى أوْ خَيَالٌ طَرَقَا
/ ٥١ب/ إنْ غَرَّبوا كانَ الهَوَى مُغَرِّبًا ... أوْ شَرَّقُوا كان الهوى مُشَرِّقا
إنْ كنتُ أضْمَرْتُ لكُمْ غَدْراً فَلا ... مُنيتُ بعدَ البَيْنِ منكُمْ باللِّقَا

وَقَفْتُ في الأطلال مِنْ بَعْدهِمْ أسألُ جَرْعَاءَ الحمىٰ والأبرَقا
الجيرةُ الغادُونَ مَا ضَرَّهُمُ لَوْ وَعَدُوا أَوْ وَدَّعُوا بالمُلْتَقىٰ
نحنُ على العَهْد مُقيمون فهَلْ لعَهْدكُم مِنْ بعد تَفْريق بَقا
تَحَزَّبَ الواشُونَ أحزاباً بنا وٱفْتَرَقَ العالَمُ فينا فِرَقا

ومنها:

حتى رأيتُ الحادثاتِ أحْدَقَتْ بشَمْلنا وسَهْمُها قَدْ رشَقا
يا راكباً يَقْطَعُ أجْوازَ الفَلا بجَسْرَةٍ تَعْدُو.... بالأُفُقا
تَمْرَحُ في زَمانِها كأنَّها خالَطَها طَيْفُ جُنُونٍ طَرَقا

وقال من أبيات: [من الكامل]

ما كانَ ضَرَّكَ لَوْ مَنَنْتَ بزَوْرَةٍ وشَفَيْتَ قلباً بالصَّبَابَةِ مُكْلَمَا
أعْرَضْتَ حتى قيلَ إنَّكَ هَاجِرٌ وبخلْتَ حتى بالجواب مُسَلِّمَا
أصْبُوا إذا بَرْقٌ تَألَّقَ باللِّوىٰ وَهْنَاً وهَاجَ على الرُّبىٰ مَتَسَنِّمَا

وقال في قدوم صديق له: [من الكامل]

/ ٥٢أ/ ضَاءَتْ بكَ الحَدْباءُ حينَ قَدِمْتَها مِنْ بعد ما كانتْ كلَيْلِ عاتِمِ
وتَضَوَّعَتْ أرْجَاؤُها فكَأنَّما عَبَقَتْ نَوَاحِيها بنَشْرِ لَطائِمِ

وقال أيضاً: [من مجزوء الوافر]

سَلِ الأطْلالَ لِمْ سُعْدَىٰ نَوَتْ عَنْ أرضنا بُعْدَا
وَلِمْ مَالَتْ عَنِ العهد وكانَتْ تحفَظُ العهدا
أصَدَّتْ عَنْ مَلالٍ أمْ وَشَىٰ واشٍ بنا عَمْدا
أمِ ازْوَرَّتْ كَشَيْبٍ زا رَ فَرْعاً كانَ مُسْوَدَّا
حَكَيْتِ الرِّيمَ ألْحاظاً وبانَاتِ اللِّوىٰ قَدَّا
وَغُصْنَ البانِ أعْطافاً وَوَرْداً قانياً خَدَّا
وأصْبَحْتَ علىٰ حُسْنِـ ـكِ مِثْلي في الهوىٰ فَرْدَا
ألا لله يومُ البَيْـ ـنِ كَمْ مِنْ عاشِقٍ أرْدَىٰ
وَكَمْ مِنْ مَدْمَعٍ أجْرَىٰ وَكَمْ مِشْنٍ كامِنٍ أبْدَىٰ

تَـــزَوَّدْ مــــنْ صَبَــا نَجْــد فَهَيْهَــاتَ تَـــرَىٰ نَجْــدَا
وَرُحْ رائحَـــةَ الضَّـــالِّ وجَــدِّدْ بــالِلّـــوىٰ عَهْــدا
فَلَــنْ تَنْشَـــقَ بَعْـــدَ اليـــو م لاَ ضَـــالاًّ ولاَ رَنْـــدَا
/ ٥٢ب/ أبــا سَعْــد عَــدَاكَ الــذَّمُّ إنْ جُــرْتَ علــى سُعْــدَىٰ
فَسُــفَّ إذنْ تُــرَابَ الــرَّبْـــعِ حتـى تَلْثِــمَ الصَلْــدَا
وَبَلِّــغْ بعــضَ أشْــواقــي عســاكَ اليــومَ أنْ تَهْــدَا

وقال أيضًا: [من البسيط]

والله مــا لــي أنيــسٌ بعــدَ فُــرْقَتِكُــمْ إلاَّ البكـاءُ وقَـرْعـي السِّـنَّ مـنْ نَـدَمي
ولا ذَكَــرْتُ لَيَــالِينــا التـي سَلَفَـتْ إلاَّ جَــرَتْ أدْمُعــي مَمْــزُوجــةً بِــدَمِ

وقال من أبيات: [من مجزوء الرمل]

أيُّهــا العــاذل رِفْقــًا كُــفَّ عنِّــي لا تَلُمْنــي
عَــدِّ عَــنْ عَــذْلــي فيكْفينــي تَبَــاريحــي وَحُــزْنــي
أنــتَ خلْــوٌ مــنْ سُهَــادي وغَــرامــي المُسْتكــنِّ
أنــتَ ذُو قلــب خَلــيٍّ وفــؤاد مُطْمَئــنِّ
لَيْــتَ تُصْغــي يــا عَــذُولــي لمَــلام فيــه أُذْلــي
لَــوْ شَهِــدتَ العيــشَ لَمَّــا ثَــوَّروهــا لَــمْ تَلُمْنــي
إنَّ يــومــًا فيــه ســارُوا قَــطُّ لَــمْ يَخْطُــرْ بِــذهْنــي
أقْطَــعُ اليــلَ بفكْــر ونهــاري بــالتَّمَنِّــي
/ ٥٣أ/ يُــوسُفــيُّ الحُسْــنِ والأعْــطــاف غُصْنــيُّ التَّثَنِّــي
إنْ بَــدَتْ أطْــلالُ سُعْــدَىٰ سُــفَّ تُــرْبَ الــرَّبْــعِ عَنِّــي

وقال أيضًا: [من البسيط]

شَـوْقـي إليكُـمْ يفـوقُ الحَصْـرَ والعَـدَدا لا أستطيــعُ أُبــثُّ الــوَجْــدَ والكَمَــدَا
وَجَفْــنُ عينــي غَضيْــضٌ منْــذُ فــارَقكُــمْ آليــتُ أنْ لا أرىٰ مــنْ بعْــدكُــمْ أحَــدا
للهِ أيَّــامُنــا والــدارُ جــامعَــةٌ ونحــنُ فيهــا نُقَضِّــي عيشَــةً رَغَــدا
مَـا كنـتُ أحْسـبُ أنَّ الـدَّهْـرَ يُبْعـدُنـي عنكُــمْ فَــلا كُتُبــًا منكُــمْ ولاَ صَــدَدَا

هَلاَّ الدِّيارُ بنا تَدْنُو فيَنْتَظِمُ الشَّمْلُ الشَّتيتُ بكُمْ فيها كما عُهِدا

أمْ هلْ أراكُمْ وعبدُ الله يُقْدِمُكُمْ عندي فَيَرْجِعَ قلبٌ كانَ قدْ فُقِدَا

إذا تَذَكَّرْتُكُمْ وَهَنا وضَعْتُ يَدي على حَرارة قلبِ كُلَّما بَرَدَا

أُراقِبُ النَّجْمَ لا طَيْفٌ فَيَطْرُقَني أنَّى وَجَفْنَاني بعدَ البَيْنِ ما هَجَدا

بالله عُودُوا يَعُدْ غُصْني بقُرْبِكُمُ غَضًّا رَطيبًا فإنَّ الصَّبْرَ قَدْ نَفِدا

[٣٥٦]

عبدُ المحسن بنُ حَمّود؛ هو أبو الفضل عبدُ المحسن بنُ حمود بنِ المحَسنِ بنِ عليٍّ / ٥٣ب/ بنِ يوسَفَ التَّنوخيُّ(١).

من إنشاء حلب، كانت ولادته بها في سنة سبعين وخمسمائة(٢).

يُعرف والده بالحجّار، كان عاميًا يقطع الحجارة، ويبيعها ويرتزق بها، ومنها كانت معيشته، وكذلك أخوه ولم يكن من بيت فضل ونشأ أبو الفضل هذا مُحبًّا للعلم، راغبًا في تحصيله، استظهر أولاً الكتاب العزيز، وقرأه للسبعة، وجوَّد قراءته ثم إلى غيره من الكتب الأدبية والشعرية، كالمقامات الحريرية وحماسة أبي تمام، ودرس الأدب والنحو، واطلع على كثير من أخبار الناس وأيامهم، وسمع الحديث النبوي كثيراً، ولقي المشايخ وأخذ عنهم بحلب، وتولَّع بقول الشعر فبلغ فيه مبلغًا لم يبلغه أحد من أبناء زمانه، وتقدَّم على عامة معاصريه فيه.

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٩/ ١٣٨ ـ ١٤٠. فوات الوفيات ٢٣ ـ ٢٥. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٤١ ـ ٦٥٠) ص١٨١ ـ ١٨٢ رقم ٢٠٨. العبر ٥/ ١٧٧. سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢١٥ ـ ٢١٦ رقم ١٣٣. تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٣٢. النجوم الزاهرة ٦/ ٣٥٣. شذرات الذهب ٥/ ٢٢٠. مرآة الزمان ٨/ ٧٥٧. ذيل التقييد للفاسي ٢/ ١٥٣ رقم ١٣٣١ وفيه: «عبد المحسن بن محمود» وهو خطأ. تأريخ آداب اللغة العربية ٣/ ٢٢. إيضاح المكنون ١/ ٤٩١ ـ ٢/ ٥٢٣. كشف الظنون ١٧٥٨. إعلام النبلاء بتأريخ حلب الشهباء ٤/ ٣٨١ ـ ٣٨٣ رقم ٢٠٣. هدية العارفين ١/ ٦٢١. معجم المؤلفين ٦/ ١٧٢. تأريخ الأزمنة للدويهي ٢٢٦. الأعلام ٤/ ٢٩٥.

(٢) في هامش الأصل: «توفي إلى رحمة الله تعالى؛ عبد المحسن المذكور بدمشق المحروسة في نهار السبت الرابع والعشرين من شهر رجب الفرد سنة ثلاث وأربعين وستمائة، ودفن بظاهر باب تُوما.

ثم تعاطى الكتابة الإنشائية، وصناعة الترسل، فبرز في ذلك ، وأجاد وفتح مكتبًا بحلب، يعلِّم فيه الصبيان، فبقي مدة في التعليم ثم عزله. . . . . . والسفر عن الوطن، فتوجه إلى دمشق طالبًا لخدمة / ٥٤أ/ الملوك، في سنة تسع وتسعين وخمسمائة، فاستقرَّ مقامه بدمشق، وتردَّد إلى الإمام تاج الدين الكندي، فقرأ عليه جملة، وصحبه مدة واستفاد منه أدبًا وفضلاً كثيراً، فنبغ بدمشق واشتهر أمره، فحينئذ استكتبه الملك المعظم عيسى بن أبي بكر بن أيوب لدولته، فلم يزل يكتب له الإنشاء إلى أن توفي المعظم، فخدم بعده مولاه الأمير عز الدين إيبك المعظمي واستوزره.

ثم طلبه الملك الكامل ناصر الدين أبو المعالي محمد بن أبي بكر بن أيوب، فصار غليه، فأكرمه وقرَّبه وصحبه إلى الديار المصرية، ثم انفصل عن خدمته، وانضاف إلى الملك الجواد مظفر الدين يونس بن مودود بن أبي بكر بن أيوب، ثم فارقه، واتصل بخدمة الملك المنصور ناصر الدين أبي طاهر إبراهيم بن شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شاذي ـ صاحب حمص ـ وهو الآن في خدمته، وكاتب الإنشاء لدولته.

واجتمعت به بحلب، يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة من سنة ثمان وثلاثين وستمائة.

/ ٥٤ب/ وأنشدني جملة وافرة من أشعاره، أنا أذكرها بعد ذلك ـ إن شاء الله تعالى ـ وسمعت عليه جزءاً من الحديث النبوي، وأجازني جميع رواياته ومقولاته، وكان قدومُهُ صحبةَ مخدومه الملك المنصور حين وردها معاونًا ومساعداً، ومنجداً للسلطان صلاح الدين يوسف بن محمد بن غازي ـ صاحب حلب ـ لمّا تغلب الخوارزمية ـ لعنهم الله تعالى ـ على أكثر البلاد الشامية والفراتية، ونهبوا . . . . واستباحوا حريمها، وكذلك . . . . وجملة من القرى وأفسدوا وعاثوا فيها، فنصره الله عليهم، وبدد شملهم، وأكثر منهم القتل والأسر؛ فكان الله لَهُ ناصراً ومعينًا بمحمد وآله أجمعين.

وذكر لي أنه؛ اعتنى بتأليف كتاب عجيب في فنِّه، حسن الترتيب، لم يسبقه أحد من الأوائل الذين عُنوا بهذا الشأن إلى ما وضع؛ وهو عشرون كتابًا؛ كل كتاب يشتمل على أغراض وفصول وأبواب، ويكون مجموع ذلك الكتاب ستين مجلداً، سمَّاه:

«أخاير الذخائر من جواهر الجماهر».

/ ٥٥أ/ وذكر لي أنه ألّف كتبًا غير ذلك منها كتاب «الروضة الممرعة في فضائل الأئمة الأربعة» وكتاب «مفتاح الأفراح في امتداح الراح» قصره على شعره، ورتّبه على توالي الحروف، وديوانا أشعاره ورسائله مدخلات في عشرة أجلاد.

وهو رجل قد حاز فضيلتي الكلام؛ نظمًا ونثراً، وبرز في صناعتهما، من أكتب الناس في وقته، وأعلمهم بقوانين الترسل، وأساليب الكتابة، وأجود الكتّاب شعراً، نقي في نفسه، يميل إلى أهل الصلاح والدين؛ حسن الطباع كريم الأخلاق.

أنشدني عبد المحسن بن حمّود لنفسه: [من الخفيف]

عَـدِّ عَـنْ زَيْنَـب وعَـنْ أسمـاء ... واسْقنـي مـنْ سُـلافَـة صَهْبَـاء
خَنْـدَريـس كـالشمـس قَـدْ نَثَـرَ المَـزْ ... جُ عليهـا كـواكـبَ الجَـوْزاء
نـالَهـا الطَّـرْفُ فـي الـزُّجاجـة لكـنْ ... فـاتَهـا الكَـفُّ فَهْـيَ مثْـلُ الهَبَـاء
وكـأنَّ المُـدامَ ذَوْبُ عُقُـود ... فـي كُـؤوس قَـدْ جُمِّـدَتْ مـنْ هَـواء
وكـأنَّ الحُبَـابَ حيـنَ عَـلاَهـا ... عَـرَقٌ فـوقَ وَجْنَـة حَمْـراء
مـنْ يَـدَيْ شَـادن إذا مـا تَجلَّـى ... غَـارَ مـنْ وَجْهـه هـلاَلُ السَّمـاء
/ ٥٥ب/ خَضَّبَتْ كَفَّـهُ المُدَامَـةُ فَـاسْتَغْـ ... ـنـى بـلألائهـا عَـن الحنَّـاء
بنْـتُ كَـرْمٍ إذا اللئيـمُ احْتَسَـاهـا ... عَلَّمَتْـهُ خَـلاَئـقَ الكُـرَمـاء
وأتـلُ مـنْ وَصْفهـا علـى الشُّـرْب ذكْـراً ... نَفَحَتْـهُ قَـرَائـحُ الشُّعـراء
كُـلُّ معنـىً يكَـادُ يضحَـكُ بـالصَّهْـ ... ـبَـاء فعْـلَ الصَّهْبَـاء بـالنُّـدَمَـاء
إنَّمـا لَـذَّةُ الحيـاة شَبَـابٌ ... وشَـرَابٌ علـى غنًـى وغنَـاء

وأنشدني لنفسه: [من الخفيف]

لا تُطـعْ فـي المُـدَام قَـوْلَ مُـدَاجـي ... وأَدرْهـا صـرْفـاً بغيـر مـزَاجِ
قَهْـوَةً تَصْـرفُ الهُمُـومَ عَـن الشُّـرْ ... ب إذا أشْـرَقَـتْ وراءَ الـزُّجَـاجِ
ومتـى مـا دَجَـا الظـلامُ كَفَـانـا ... نَـورُهـا فـي الـزُّجـاج نـورَ السِّـراجِ
تَبْـرُزُ الشمـسُ حيـنَ تَبْـرُزُ فـي الكـا ... سـات والليـلُ مُظْلـمُ الجُنْـح دَاجـي
تَـوَّجَتْهـا يَـدُ المِـزَاجِ بتـاجٍ ... مِـنْ حُبَـاب يـا حَبَّـذا مِـنْ تـاجِ

عالِجِ الهَمَّ حينَ يَعْرِضُ للأَرْ واحِ بالرَّاحِ فَهْيَ خيرُ علاجِ
تَفْتَحُ الرَّاحُ حينَ تُجْلَى إلى الأفـ ـراحِ للشاربينَ كُلَّ رِتَاجِ
إنْ تكُنْ أفْسَدَتْ صَلاحَ الدِّيَانا ت فقدْ أصْلَحتْ فسادَ المِزَاجِ
وَاسْقنيها مِنْ كفِّ ظَبْيٍ غَرِيرِ أَكْحَلِ الطَّرْف أغْيَدٍ مغْنَاجِ
/ ٥٦أ/ دَبَّ مِنْ فوقِ وَجْنَتَيْهِ عِذَاراً ه كَنَمْلٍ بَدَتْ مِنْ فَوقِ عَاجِ
كُلَّما مَاسَ قَدُّهُ كادَ يَنْقَدُّ بِرِدْفٍ مُوَفَّرٍ رَجْرَاجِ
وإذا الراحُ هَزَّ عِطْفَيْهِ سُكْراً جَادَ لي بالذي أنا منهُ راجي

وقال أيضًا وأنشدنيه: [من الخفيف]

يا مُديرَ السُّلافَةِ الصَّهْبَاء لا تُكَدِّرْ صَفَاءَها بالماءِ
وأدِرْها صَفْراءَ صِرْفًا إذا . . . . . . تُجلى حَنَادسُ الظَّلْمَاءَ
قَهْوَةً إنْ يُصبْكَ مِنْ شُربها دا ءُ خُمَارٍ فَدَاوه بالدَّاءَ
يُقْبِلُ الكَأسُ حينَ يُقْبِلُ منه مَا تَوَلَّى عنَّا مِنَ السَّرَّاءَ
كُلَّما أطْلَعَ السُّقَاةُ شُمُوسًا مِنْ مُدَامٍ غَرَبْنَ في النُّدَمَاءَ
مَا الحيا بالرُّبَى بأنْفَعَ منها بعدَ مَحْلٍ في الروحِ والأعْضَاءَ
فإذا ما شَرِبْتَ منها ثلاثًا وثلاثًا يأتينَ غيرَ بطاءَ
فَعَلَتْ في لُبَابِ لُبِّكَ ما يَفْعَـ ـلُ بالطَّرْفِ أوَّلُ الإغْفَاءَ
لَذَّةُ العيشِ المُدَامُ ومَا اللَّذَّةُ إلاَّ في سَاعَةِ الإنْتِشَاءَ
فَاسْقنيها حتى تَرَاني لا أفْـ ـرُقُ بينَ الإصْباحِ والإمْساءَ

وقال أيضًا وأنشدنيه: [من المنسرح]

/ ٥٦ب/ وافى وجنْحُ الظلامِ قد جَنَحا وطائرُ الدَّوْحِ فيه قَدْ صَدَحا
وللنَّسيمِ العليلِ طِيبُ شَذاً عطَّرَ جَوَّ السماءِ إذ نَفَحا
وَبَلَّلَ القَطْرُ ذَيْلَهُ فَلَو الـ ـمَخْمُورُ أغْفَا في بُرْدِه لَصَحَا
والدِّيكُ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ منْبَرِه هُبُّوا فَوَجْهُ الصباحِ قَدْ وَضُحَا
فَبَادرُوا الصبحَ بالصَّبُوحِ فقدْ أفْلَحَ مَنْ راحَ فيه مُصْطَبحَا
أهْيَفُ كالغُصْنِ آدَهُ كَفَلٌ كالدِّعْصِ أعْيَى في وصفِه الفُصَحا
لولا ظَلامٌ في ليلِ طُرَّتِه يَسْتُرُهُ عَنْ وُشَاتِه افْتَضَحا

ابــنُ ثَمَــان وأربــع غَنــجٌ ... لغَيْــر ذاكَ الفعَــال مَــا صَلُحَــا
فَقُمْــتُ مــنْ سُكْــر خَمْــرَةٍ وكَــرًى ... أَرْفُــلُ فــي بُــرْدَةِ الصِّبـا مَــرَحَـا
أخطــبَ بنــت الكَــرومِ. . . . . الفَــرَحَــا
فقــالَ: هــاتِ اسْقنــي فقلــتُ لــهُ ... خُــذْهَــا مُــدَامًــا كــالبَــرْق إذْ لَمَحَــا
حَمْــراءَ تَحْكَــي دَمَ الغَــزَال إذا ... مَــا بــاخــلُ القــوم ذاقهَــا سَمُحَــا
تُــريــكَ فــي حــال مَــزْجهــا شَــرَراً ... تُــومــي بــه كــالــزِّنَــاد إذْ قَــدَحَــا
فَعَــبَّ منهــا فقلــتُ بَــدْرُ دُجًــى ... يَلْثُــمُ منهــا فـي الكـأس شمْـسَ ضُحًـى
أشْــرَبُ مــنْ سُــؤْره فَيَنْفَحُنــي ... منَــهُ نسيــمٌ يُعَطِّــرُ القَــدَحَــا
/ ٥٧أ/ حتَّــى إذا مَــا المُــدَامُ رَنَّحَــهُ ... وَرَاضَ بــالسُّكْــر منــهُ مَــا جَمَحَــا
غنَّــى ببيْــت ابــن هــانــيء ولقــدْ ... كنــتُ لــه قبــلَ ذاكَ مُقْتَــرحــا
يــا صَــاحِ لا أتْــرُكُ المُــدَامَ ولاَ ... أقْبَــلُ فــي الحُــبِّ قَــوْلَ مَــنْ نَصَحَــا

وقال أيضًا وأنشدنيه: [من مجزوء الرمل]

لا تُطــعْ قَــوْلَ النَّصُــوحِ ... وأجِــبْ داعــي الصَّبُــوحِ
مَــا تــرىٰ نَجْــمَ الثُّــرَيَّــا ... قَــدْ تــولَّــىٰ للجُنُــوحِ
وبَــدَا الصبــحُ كَــرُهْبَــا ... ن تَبَــدَّتْ فــي المُسُــوحِ
فكُــؤوسُ الــراح تُجْلَــىٰ ... فــي يَــدَيْ سَــاق مَليْــحِ
بَــدْرِ تَــمٍّ قَــامَ يَسْعَــىٰ ... بسَنَــى البَــرْق اللَّمُــوحِ
قهــوَةٌ عَتَّقَهَــا مــنْ ... قَبْــلِ نــوح قَــومُ نُــوحِ
فَهْــيَ فــي كــاســاتهــا تَحْـ ... ـكــي دَمَ الظَّبْــي الــذَّبيــحِ
فَــاشْــرَبَنْهَــا واسقنيهــا ... أوْ يُــوَارينــي ضَــريحــي

وقال أيضًا وأنشدنيه: [من الوافر]

/ ٥٧ب/ أدرْ يــا مُنْيَــةَ النَّفْــس ... علينــا قهــوةَ القَــسِّ
وصَــرِّفْ لَيْلَنــا بــالصِّــرْ ... فِ حتــى مَطْلَــعِ الشمــسِ
ولا تَمْــزِجْ بهــا مــاءً ... بِــرَبِّ الــرُّوح والقُــدْسِ
فــإنَّ الــراحَ عنــدَ النَّفْـ ... ـسِ أحلــىٰ مــنْ مُنَــى النَّفْسِ
مُــدَامًــا صــانَهــا كســرىٰ ... أنُــوشِــرْوَانَ للفُــرْسِ

فأفنى الدهر جدتها وطهرها من الرجس
ولطفها إلى أن دق معناها عن الحس
تراها حيثما حلت نظام اللهو والأنس
فإن الكأس قد صحت لطول المكث والحبس
وطير السعد قد وافى وولى طائر النحس

وقال أيضًا، وأنشدنيه: [من الطويل]

ألا .... في الراح قد جئت بالإفك وإني لفي شغل بلذتها عنك
أتنهين من لم يقبل .... من الله عنها كيف يقبله منك
تقولين لي اتركها وتب وهي تجتلى بكف غلام أهيف من بني الترك
أفديه من ساق إذا ما رمقته يمازج تقطيباته لي بالضحك
/ ٥٨أ/ حكى كأسها خدًا وثغرًا ومقلة وسورتها أفعال مقلته تحكي
إذا فض بين الشرب عنها ختامها أتت بنسيم الروض أو نفحة المسك
وإن مزجت أبدت بصفحة كأسها حبابًا كدر قد تبدد من سلك
ولو تبت من شربي لها وتركتها وعاينت ذا أو بعضه تبت من نسكي

وقال أيضًا، وأنشدنيه: [من الوافر]

نديمي قم إلى شرب الحميا فقد جنحت إلى الغرب الثريا
وقد أهدت صبا نجد إلينا بطيب نسيمها مسكًا ذكيا
وغنت في فروع الأيك عجم تروح بها عن الفصحى غنيا
وحيتنا بها خود رداح نرى بدر الدجى منها حييا
إذا هزت معاطفها أرتنا قوامًا يخجل الغصن الرويا
تميت الحي من سكر وتشدو بتلحين يعيد الميت حيا
وتبدي من ثناياها أقحوانًا ومن وجناتها وردًا جنيا
مجاجة ثغرها الوضاح أحلى وأعذب من معاطاة الحميا
جلتها في الزجاج لنا عروسًا ونظمت الحباب لها حليا
يريك مديرها في الكأس ..... وقد غسق الدجى ....
/ ٥٨ب/ كأن الشمس قد حلت عليها رجاء من .... بهيا

إذا نَسَمَتْ حَسِبْتَ الريحَ هَبَّتْ عَلى روضٍ فأهْدَتْ منهُ رَيَّا

وقال أيضًا، وأنشدنيه(١): [من المجتث]

باللهِ هَلْ يا مَلُول إلى الوصال وُصُول
أمْ هَلْ إلى سَلْسَبيل من ريق فيكَ سَبيلُ
صلْني فماذا التَّجافي؟ مَنْ ذا الجَمَال جميلُ
سَاءَتْ لبُعْدِ حَالي ولستُ عنكَ أحُول
قضَى اعتدالُكَ فينا أنْ ليسَ عنكَ عُدُول
يميلُ كُلُّ فؤاد إليكَ حينَ تَميلُ
فهلْ تَثَنّى قدُّكَ اللَّدْنَ شَمْأَلٌ أم شَمُول
مولايَ ها أنا من خَصْرِكَ النَّحيلِ نَحيلُ
وها فُؤَادي مِنْ طَرْفِكَ العليلِ عَليلُ
إنْ كنتَ تُنْكِرُ أنّي بمُقْلَتَيْكَ قَتيلُ
فَهَا دَمِي كادَ مِنْ خَدِّكَ الأسيلِ يَسيلُ
وذا الدَّلالُ على ما بي مِنْ هَوَاهُ دَليلُ
/ ٥٩أ/ لكنْ يهونُ على الغَمْرِ الهَوى مَا يَهُولُ(٢)

وله من أبيات: [من المديد]

وأهَيْفٍ كَقَضيبِ البانِ مَيَّاسِ رقيق جِسْمٍ ولكنْ قلبُهُ قاسي
ناديتُ لمَّا بَدا والكأسُ في يدِهِ كأنَّهُ قَمَرٌ وافى بنِبْرَاسِ

وأنشدني لنفسه، بحلب المحروسة تاسع عشر جمادى الآخرة، سنة ثمان .... وستمائة من قصيدة مطولة، امتدح بها النبي ـ ﷺ ـ يقول فيها ـ في وصف الناقة بعد أبيات كثيرة ـ: [من البسيط]

حتى إذا بَلَغَتْ قَبْرَ النبيِّ فَلا رَحْلٌ على ظَهْرِها مِنْ بعدُ مُحْمُول
وكيفَ يَبْلُغُ [مِنْ] هذا المُقامِ مَطًا ويَغْتَدي وَهْوَ لِلتَّرْحَالِ مَرْحُول

(١) في الوافي ١٩/ ١٤٠، أحد عشر بيتًا منها.
(٢) الغمر: الكريم، الواسع الخلق.

يـا طَيْـبَ طِبْـت بقَبْـرٍ فيـك سـاكنُـهُ ... لَــهُ علـى كُـلِّ خَلْـقِ الله تَفْضِيـلُ
قبـر تلقـى بَيْتَـا حَـلَّ فيـه رضـا ... مـنَ الإلـه وتكْـريـمٌ وتَبْجيـلُ
فيْـه النبـيُّ الـذي لـولا نُبُـوّتُـهُ ... لَمَـا اقْتَفـى الـرُّشْـدَ قـابيـلٌ وهـابيـلُ
/ ٥٩ب/ فيـه النبيُّ الـذي لـولا هـدَايَتُـهُ ... لَمَـا انْجلـى عَـنْ ذوي التَّضليـلِ تَضْليـلُ
فيـه النبـيُّ الـذي لـولا شَفَـاعتُـهُ ... مَـا فُـكَّ مـنْ ربْقَـةِ العصْيَـانِ مَغْلُـولُ
هـوَ الـولـيُّ فَمَـنْ والاهُ مُنْتَصِـرٌ ... علـى العُـدَاة ومَـنْ عَـاداهُ مَخْـذُولُ
ذو الحَشْـرِ يُـورِدُهُ فـي الحشـرِ أُمَّتَـهُ ... وَذُو الشفـاعـةِ مـا فـي ذَيْـنِ تـأويـلُ
أبـادَ أهـلَ التَّمـاثيـلِ الـذيـنَ بهـا ... ضَلُّـوا فَـذَلُّـوا ولَـمْ تُغْـنِ التمـاثيـلُ
لقـدْ هَـدَانـا إلـى ديـنٍ لَـهُ شَهِـدَتْ ... بـالصِّـدْقِ والحـقِّ تـوراةٌ وإنْجيـلُ
وجـاءَنـا بكـلامٍ لَّا يُبَـدِّلُـهُ ... خَلْـقٌ وهَـلْ لكـلامِ الله تبـديـلُ
فيـه بَيـانٌ وأمثـالٌ ومَـرْحَمَـةٌ ... وحكْمَـةٌ ومـواعيـظٌ وتفصيـلُ
تَـلا علـى النـاس وَحْيًـا جَـلَّ قـائلُـهُ ... كمـا تـلاهُ أميـنُ الله جبـريـلُ
كـلامُـهُ الصـدقُ لا رَيْـبٌ يُخـالطُـهُ ... لأنَّـهُ عَـنْ إلـهِ العـرْشِ مَنْقُـولُ
إليـكَ جئْـتُ رسـولَ الله مـنْ بلَـد ... نـاءٍ تَخُـبُّ بـيَ القُـودُ المَـراسيـلُ
وليـسَ شَـاغـرُ تَسْليمـي عليـكَ وَتَقْـ ... ـبيلـي الضَّـريـحَ الـذي يَحْـويـكَ تـأميـلُ
لَعَـلَّ وزْري إذا مـا زُرْتُ قبـرَكَ أنْ ... يَـرُوحَ وَهْـوَ بعَفْـوِ الله مَشْمُـولُ
عسـاكَ تَسْـأَلُ رَبَّ الخَلْـقِ فـيَّ فَمَـا ... يَخيْـبُ مَـنْ فيـه رَبُّ الخَلْـقِ مَسْـؤُولُ
فقـد تَـدَنَّسَ عِـرْضـي بـالـذُّنـوب عسـى ... أنْ يَغْتَـدي وَهْـوَ بـالغُفْـرانِ مَغْسُـولُ
/ ٦٠أ/ يا صَفْوَةَ الله منْ هذا الأنام ومَنْ ... مَـريـرُهُ فـي سبيـلِ الله مَجْـدُولُ
أوْضَحْتَ سُبُلَ الهدَى والدِّين فاتَّضَحَتْ ... وبـانَ للنـاسِ تحـريـمٌ وتحليـلُ
فـالحـقُّ مُتَّبَـعٌ والصـدقُ مُسْتَمَـعٌ ... والعـدلُ مُتَّسَـعٌ والنُّصْـحُ مَبْـذُولُ
طـابَـتْ خَـلائقُـكَ الـلاّتـي حُبيـتَ بهـا ... وفـي الخـلائـقِ مَمْـرُورٌ ومَعْسُـولُ
وَرُضْـتَ بـاللُّطْـف أخْـلاقـا جَمَحْـنَ إلـى ... أنْ رَاضَهـا لَـكَ أصحـابٌ وتَـذْليـلُ
لَـوْ كنـتَ فَظًّـا غليـظَ القـولِ مـا اتَّبَـعَ الـ ... ـقَـوْلَ الـذي قُلْـتَ جيـلٌ بعـدَهُ جيـلُ

وانْفَضَّ مِنْ حولِكَ الأقوامُ وارتَجَعَ الـ ـوَلِيُّ عنكَ ووَلَّى وهْوَ إجْفيلُ[1]

دانتْ لِدينِكَ أحبارُ اليهودِ ورُهْـ ـبانُ النَّصارىٰ وأقْيالٌ بَهاليلُ

وليسَ فيهِ على أربابِهِ حَرَجٌ بَلْ فيهِ رِفْقٌ وتيسيرٌ وتسهيلُ

أنارَ شَرْعُكَ فينا كُلَّ داجيَةٍ كما أنارَ دُجَىٰ الظَّلْماءِ قِنْديلُ

ما يُنْكِرُ البَعْثَ والإرْسالَ غَيْرُ عَمٍ مُنافِقٍ قَلْبُهُ بالغِشِّ مَدْخُولُ

وليسَ يَجْحَدُ آياتٍ أتَيْتَ بها إلا امرؤٌ كافِرٌ باللهِ ضِلِّيلُ

وكُلُّ ناقِضِ أمْرٍ أنتَ مُبْرِمُهُ فإنَّما دينُهُ شَكٌّ وتَعْطيلُ

يا طِيْبَ طُوبىٰ لِمَنْ أدْناهُ فيكَ إلى تُرابِ قَبْرِ نَبِيِّ اللهِ تَقْبيلُ

قُولي لِلَيْلَىٰ بأنِّي حَيْثُما بَرَزَتْ عنها بِمَدْحِ رَسولِ اللهِ مَشْغُولُ

/ ٦٠ب/ ما حُبُّ قلبي لهُ دعوىٰ أُنَمِّقُها ولا مَدِيحُ لِساني فيهِ مَنْحُولُ

مَديحُهُ اليومَ تَفْضيلٌ لِقائلِهِ وفي غَدٍ هوَ في الميزانِ تَثْقيلُ

بهِ أُرَجِّي إيابي سالِمًا وخَطِيـ ـئاتي مُكَفَّرَةٌ والحَجُّ مَقْبُولُ

جاءَ الرسولُ بآياتٍ مُبَيَّنَةٍ للجاحِدِينَ لَها وَيْلٌ وتَنْكيلُ

مَنْ ذا يُكَذِّبُ ما جاءَ النَّبِيُّ بهِ وقَولُهُ مِنْ عبيرِ الصدقِ مَجْبُولُ

هو الذي خُتِمَتْ رُسْلُ الإلهِ بهِ عَنْ شَرْحِ جُمْلَتِهِ تَعْيا التَّفاصيلُ

مِن مَعْشَرٍ قَدْ وَقَى أعراضَهُمْ كَرَمٌ كما تَقيهِمْ لدَىٰ الهَيْجا السَّرابيلُ

إذا احْتَبَوْا فهُمُ الأطْوادُ راسِيَةً وإنْ حَبَوْا فهُمُ الدَّأْماءُ والنِّيلُ

وهُمْ غُيُوثٌ لهمْ أحْوالُهُمْ مَطَرٌ وَهُمْ لُيُوثٌ لهمْ سُمْرُ القَنا غِيلُ

قَومٌ إذا فُوضِلُوا كانَ الأفاضِلُ ما فيهِمْ وإنْ أطْنَبَ الحُسَّادُ مَفْضُولُ

ذَوو عَمائِمَ قَدْ ذَلَّتْ لعِزَّتِها ذَوُو الأكاليلِ قَسْراً والأكاليلُ

هُمْ أيَّدُوهُ على تأييدِ مِلَّتِهِ لمَّا استَطالَتْ على الحقِّ الأباطيلُ

ومَهَّدُوا الدِّينَ والإسلامَ وانْحَسَمَتْ بحَدِّ سيفِهِمُ عنهُ الأضاليلُ

وَدَوَّخُوا كُلَّ مَلْكٍ لَمْ يَدِنْ لَهُمُ فَمُلْكُهُمْ آيِلٌ والعرشُ مَثْلُولُ

مِنْ كُلِّ قَرْمٍ إذا ما القِرْنُ بارَزَهُ لَمْ يَنْثَنِ القِرْنُ إلاَّ وَهْوَ مَغْلُولُ

---

(١) الإجفيل: الجبان.

/٦١أ/ أمضى سلاح مَعاديهمْ إذا اعْتَقَلُوا الـ ـرِّماحَ للطَّعْنِ تسليمٌ وتَخْذيلُ
مناذا أقولُ وإنْ أسْهَبْتُ في مَلأ قَدْ جاءَ في مَدْحِهِمْ وَحْيٌ وتنزيلُ
لولاهُمُ هَدَمَ البيتُ العتيقُ وقَدْ وافاه قومٌ عُصَاةٌ فيهمُ الفيلُ
عادُوا وقَدْ عادَ في التَّضليل كَيْدُهُمُ وأُرسِلَتْ فوقَهُمْ طيرٌ أبابيلُ
تَرْمي بأحجار سجِّيل تُغَادِرُهُمْ إذا رَمَتْهُمْ كعَصْفٍ وَهْوَ مأكُولُ
هَلْ مثْلُ مَجْدِكُمُ آلَ النبيِّ لَهُ في الجاهليَّة والإسلام تأثيلُ
مجدٌ مَشيدٌ قُرَيْشٌ شَيَّدَتْهُ لكُمْ ما شانَ شاهَدَهُ جُبْنٌ وتَبْخيلُ
فخْراً بذلكُمُ آل النبيِّ فقدْ أدركْتُمُ ما وَنَتْ عنهُ البَهَاليلُ
أدرَكْتُمُ مِنْ ذُرى العَلْياء منزلَةً تُنْمى فَيَعْجَزُ عَنْ إدراكها القيلُ
إذا صفَاتُكُمُ أثنى القُرانُ بها فمَا الذي بعدَهُ تُثْني الأقاويلُ
صلّى الإلهُ عليكُمْ ما بَدا قَمرٌ يسري ومنزلُهُ قلبٌ وإكليلُ
ثمَّ الصلاةُ على أصحابه فبهِمْ قد كانَ للدِّين تَتْميمٌ وتكْميلُ
وعنهُمُ رضيَ الرحمنُ إنَّهُمُ أرضَوْهُ والأجرُ عندَ الله مكْفُولُ
هُمُ الأُلى بايَعُوهُ تحتَ أيْكتِه وللملائك تكبيرٌ وتهليلُ
أنصارُ دينِ الهُدى ما فيهُمُ كُشُفٌ ولا مَعَازيلُ في الهَيْجَا ولا ميلُ
/٦١ب/ بشَدِّهِمْ شِيدَ رَبْعُ الدِّينِ وَهْوَ إلى يومِ القيامةِ مَعْمورٌ ومأهُولُ
هُمُ الغيَاثُ إذا ما اسْتُنْجِدُوا وهُمُ الـ ـغُيُوث سائلَةً بالجُود إنْ سِيلُوا
شُوسٌ مَغَاويرُ خَوَّاضُونَ في لُجَجِ الـ ـحُروب لُدٌّ مَقَاويلٌ مفَاضيلُ
صيْدٌ صَنَاديدُ أنْجادٌ جَحَاجحَةٌ غُرٌّ مَيَامينُ أمْجادٌ مَبَاجيلُ
إذا يَنالُونَ لا يَزْهاهُمُ فَرَحٌ ولا يَنالُهُمُ حُزْنٌ إذا نيلُوا
خوفَ الإطالَة ما اسْتَوْعَبْتُ مَدْحَهُمُ فَرُبَّما شانَ بعضَ القَوْل تَطْويلُ
أرجُو مِنَ الله إسْعَافي لحُبِّهِمُ فإنَّ حُبَّهُمُ أجْرٌ وتَنْويلُ
وأسْألُ اللهَ تَزْويدي التُّقَى بهِمُ فإنَّهُمْ نِعْمَ يومَ الفاقَة السُّولُ

وأنشدني أيضًا: [من الطويل]

إذا ما سَفيهُ القومِ أوْسَعَني شَتْمَا كَظَمْتُ لهُ غَيْظي وأوْسَعَني حلْمَا
وما الفَرْقُ عندَ الناسِ بيني وبينَهُ إذا قالَ لي شَتْمَا فقُلْتُ لهُ شَتْمَا

وله وأنشدنيه: [من المجتث]

لا تَعْتَبِ الدَّهْرَ حمْلاً ... فَمَا على الدَّهْرِ عَتْبُ
وإنَّما النَّاسُ سَاءُوا ... وليسَ للدَّهْرِ ذَنْبُ

وأنشدني له: [من الوافر]

/ ٦٢أ/ تَجَنَّبْ ماستطَعْتَ عن الخلائقْ ... فَهَجْرُ الخَلْق منْ كَرَمَ الخَلائقْ
فأعْوَزُ ما ترىٰ في النَّاسِ شَخْصًا ... خَلِيُّ القلبِ أوْ خِلاًّ مُوافِقْ

وأنشدني لنفسه: [من المنسرح]

حيَّاهُ مَحْبُوبُهُ بنَرْجسَةٍ ... مِنْ بَعْد طُول الجَفَا فأحْيَاهُ
كأنَّ مُصْفَرَّها خُدُودُ مُحِبِّـ ... ـيه وَمُبْيَضَّها ثَنَايَاهُ

وقال أيضًا: [من السريع]

لا تُطْلِعِ النَّاسَ على سِرِّكا ... يومًا ولا تُخْرِجْهُ عَنْ صَدْرِكا
إنْ تُفْشِه كُنتَ أسيرًا لَهُ ... وإنْ تَصُنْهُ كانَ في أسْرِكَا

وقال وأنشدنيه: [من الكامل]

رَشَقَتْ فُؤادي عَنْ قِسِيِّ حواجِبٍ ... فَفَعَلْنَ فيه وفي غير الواجِبِ
فكأنَّ حاجِبَها الأزَجَّ وقَدْ بَدَا ... نُونٌ أجَادَتْها صِنَاعَةُ كاتِبِ

وقال في غلام راكب أشهب، وأنشدنيه: [من مخلّع البسيط]

ولابسٍ حُلَّةَ الجَمَالِ ... يَميسُ في حلْيَةِ الدَّلَالِ
أغْنَتْ عَنِ القَوسِ حاجِبَاهُ ... ومُقْلَتَاهُ عَنِ النِّبَالِ
/ ٦٢ب/ وافْتَرَسَ النَّاسَ منهُ لَيْثٌ ... يَنْظُرُ عَنْ مُقْلَتَيْ غَزَالِ
مَرَّ على أشْهَبٍ فَقُلْنا ... تبارَكَ اللهُ ذو الجَلالِ
مَنْ أنْبَتَ الغُصْنَ في كَثِيبٍ ... وسَخَّرَ الصُّبْحَ للهِلالِ

وكتب وهو بدمشق، يتشوق حلب وأنشدنيه: [من البسيط]

عَرِّجْ على حلبٍ واسْألْ مغانيها ... بِمَ اسْتَحَلَّتْ دَمِي ظُلْمًا غَوانيها
سَقَىٰ رُبَىٰ حَلَبٍ سُحْبٌ رَوائِحُها ... تَهْمِي إذا أقْلَعَتْ عنها غَوادِيها

مِنْ كُلِّ وطفاءَ دانٍ فَضْلُ هَيْدَبِها ... مُنْحَلَّةٌ في نضواحيها عَزاليها
كَمْ قدْ نَعِمْنا بلَذَّاتِ الشبابِ بها ... في عيشةٍ طابَ مُخْليها لجانيها
أبدَى لنا مَلِكٌ غازٍ مَحاسِنُهُ ... ما يُطْرِفُ الطَّرْفَ منَّا عنْ مَساويها
تَدَبَّرتْ دولَةُ الإسلامِ واعْتَصَمَتْ ... به العواصمُ واعْتَزَّتْ صَيَاصيها
أعطاهُ قَلْعَتَها الشَّهْباءَ خالصَةً ... دونَ الملوكِ فأعطى القوسَ باريها
غَلَتْ على سائميها قَبْلَهُ وَعَلَتْ ... تبارَكَ اللهُ مُغْليها ومُعْليها
فَلَيْسَ يَحْكيه في خَلْقٍ ولا خُلُقٍ ... مَلْكٌ ولا قلعةٌ في الأرضِ تَحْكيها
أبتْ على خاطبيها فَهْيَ شامخَةُ الـ ... ـعرنينِ بادٍ . . . .
/٦٣أ/ . . . . بسماءِ الجوِّ واعْتَجَرَتْ ... بسُحْبِها فَهْيَ أحمى مِنْ دَراريها

[٣٥٧]

عبدُ المحسنِ بنُ إسماعيلَ بنِ حمدانَ، أبُو عَليٍّ الجَزْرِيُّ.

شاعر كاتب عنده شيء من علم النحو والأدب، وهو يكتب الإنشاء لصاحب الجزيرة المعمورة، الملك المعظم محمود بن سنجرشاه بن غازي بن مودود بن زنكي:

ومن شعره: [من الطويل]

سُيوفٌ بَدَتْ أمْ سحْرُ بابلَ عيناهُ ... وَوَرْدٌ زَهَا أمْ ذي الشقائقُ خَدَّاهُ
وَصُبْحٌ تجلَّى أمْ ضياءُ جَبينِه ... وليلُ دجىً أمْ قدْ تَعَقْرَبَ صُدْغاهُ
رَشاً قَدُّهُ غُصْنٌ منَ البانِ ناضرٌ ... نَسيمُ الصَّبا في آخرِ الليلِ سُكْناهُ
رَمَاني فأصْماني بسَهْمِ لحاظِه ... وكَمْ عاشقٍ مثْلي رماهُ فأصْماهُ
رمى ومَمَاتي لحظَةٌ منْ جُفُونِه ... نأى وحياتي نظرةٌ منْ مُحَيَّاهُ
وأسْتَنْجِدُ العَيْنَ القَريحةَ للكَرَى ... لَعَلِّيَ أحْظَى في الرُّقادِ برُؤْياهُ
وأهْوَى نَسيماً هَبَّ منْ نَحْوِ أرْضِه ... عَساهُ رآهُ أمْ تَحَمَّلَ رَيَّاهُ
بروحيَ أفْديه وما مَلَكَتْ يَدي ... تُناضلُ . . . . . الغَداةَ وأهْواهُ
/٦٣ب/ بَعَثْتُ إليه في النسيمِ تَحيَّةً ... فَمَرَّ به في الليلِ وَهْناً فَحَيَّاهُ
أراهُ بِعَيْنِ الحُبِّ والبَيْنُ بيننا ... وأنْظُرُهُ حقّاً على بُعْدِ مَغْناهُ

وما أتَمَنَّاهُ لفُحْشٍ ولا خنًا ... ولكنَّني أهوىٰ مَلاحةَ مَعْناهُ
لقد كَذَبَ الواشون بي وتَقَوَّلُوا ... وفَاهُوا بأنِّي بتُّ مُرتَشِفًا فَاهُ
لَبِسْنا عَفَافًا وارْتَدَيْنا بمثْلِه ... وعِفْنَا الخَنا في حُبِّنا وأنفَنَاهُ
سأُلْزِمُ نَفْسِي حَمْلَ ما لا تُطيقُهُ ... وأحملُ في . . . . . . ما ليس أقواهُ
وأركَبُ أهْوالاً تَجُوبُ بيَ الفَلا ... إلى بَلدٍ لا تَعْرِفُ الريحُ مَسْراهُ

[٣٥٨]

عبدُ المحسن بنُ أحمدَ بن عبد الله بنِ محمد بنِ عيسى بنِ جامعٍ، أبو محمدِ بنِ أبي العَباسِ العقرَيُّ.

وقد مرَّ شعر والده(١)؛ وهو موصليُّ المولد والمنشأ.

أخبرني أنه ولد يوم الثلاثاء عاشر صفر سنة ست وتسعين وخمسمائة، درس فقه الشافعي ـ رضي الله عنه ـ على جماعة بالموصل وبغداد، وقرأ الأصول والخلاف والفرائض والحساب، وتميَّز على أقرانه، وجلس بعد أبيه لتدريس / ٦٤أ/ الفقه، وقام مقامه.

وله شعر؛ أنشدني لنفسه ما كتبه إلى الأمير الكبير أمين الدين أبي الماكرم لؤلؤ بن عبد الله البدري: [من الوافر]

أمِنْتُ بَوَائِقَ الزمنِ الخَؤُونِ ... ونلْتُ مُنَايَ بالمولىٰ الأمينِ
وهلْ أخشىٰ وقدْ عَلِقَتْ يميني ... بحبلٍ مِنْ مَوَدَّتِهِ متينِ
فتىً حازَ الفضائلَ والمعالي ... بجُودٍ سابغٍ وتُقًى ودينِ
تَفرَّدَ بالعَلاءِ ولا نَظيرٌ ... لهُ فيمَنْ تَقَدَّمَ في القُرونِ
فأصبحَ جامعًا لجميعِ فَنٍّ ... تَفَرَّقَ في الأنامِ مِنَ الفُنونِ
أمينَ الدِّينِ لا زِلْنا نُهَنِّي ... بِكَ النَّيْرُوزَ حينًا بَعْدَ حَيْنِ

(١) ترجم له المؤلف في الجزء الأول برقم ٥١.

[ذكر من اسمه عبد الملك]

[٣٥٩]

/ ٥ : ١٨٧ب/ عبدُ الملك بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحسن بن عبد الرحمن بَن طاهرَ بنَ مَحمدَ بن مَحمَد بن أَبي عليٍّ الحسنَ بنُ عليٍّ بَن يزَيدَ الكرابَيسَيُّ، أبو المظَفر صاحبُ الشافعيِّ ـ رحمه الله[١] ـ.

وهو من أشهر أصحابه، وله قول في مذهبه، له في سيف كتب هذه الأبيات عليه، وقدم للسلطان الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غازي بن يوسف بن أيوب، في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ـ ومولده سنة إحدى وتسعين وخمسمائة ـ: [من الخفيف]

برقُ متنـي إذا سَنَاهُ تَبَدَّى ... مِنْ سَحَابِ العَمود سَحَّتْ دمَاءُ

بيَمِينِ الغِيَاثِ خفيتُ حتَّى ... ظَنَّ مَا خفيتُ أَنِّي هَواءُ

كَادَ نَهْري يفيضُ ماءً ... في يَدِ مِنْ نَدًى بِها فيَّ ماءُ

وقال أيضًا في دبوس حديد خالي الباطن وفيه قطعة حديد إذا نكس

---

(١) في هامش الأصل: «قرأ الفقير إلى الله تعالى، علي بن المظفر بن إبراهيم بن عمر الشافعي عفا الله عنه، هذه الترجمة على صاحبها. . . الشيخ الإمام العالم الصدر الكبير زين الدين عبد الملك بن عبد الله المذكور مدّ الله في عمره. وذلك. . . المحروسة في خامس رمضان سنة أربع. . . .».

يقول المحقق: علي بن المظفر: أديب متفنن شاعر، عارف بالحديث والقراءات، من أهل الإسكندرية، ولد سنة ٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م وأقام بدمشق وتوفي فيها سنة ٧١٦هـ/ ١٣١٦م. له: «التذكرة الكندية» خمسون جزءاً في الأدب والأخبار والعلوم، و«ديوان شعر» في ثلاثة مجلدات.

ترجمته في: عقود الجمان للزركشي ٢٢٧. الدرر الكامنة ٢/ ٢٠٤. فوات الوفيات ٢/ ٨٧. النجوم الزاهرة ٩/ ٢٣٤. شذرات الذهب ٦/ ٣٩. البداية والنهاية ١٤/ ٧٨. لسان الميزان ٤/ ٢٦٣. الأعلام ٥/ ٢٣.

وفيه أيضًا: «توفي المذكور ـ رحمه الله ـ بالقاهرة في يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة سنة أربع. . . . وستمائة، ودفن شمالي الشافعي ـ رحمه الله ـ بتربة كان قد أنشأها».

/ ٥ : ١٨٨أ/ تمشي فيه فيُسمع لها حسٌّ، وكذا إذا استوى . . . . في التاريخ :

[من البسيط]

حس حديد ولكن بأسُ مالكه أَذَابَهُ فَفَؤادي بَعْدَهُ قَلِقُ
خَلا فلَمْ يَبْقَ إلاَّ ظاهرٌ حَسَنٌ وباطنٌ كُلُّهُ مِنْ ذَوْبِهِ طَرَقُ

وقال في الورد في شهور سنة ستّ وعشرين وستمائة : [من البسيط]

كأنَّما أحمرُ الوَرْدِ الذي نُظِمَتْ حَبَّاتُهُ الصُّفْرُ فيه عندَ ذي النَّظَرِ
نارٌ مُوَرَّدَةٌ تَرْمي مُضَرَّمَها إذا تَنَاهَتْ بمَكْفُوفٍ مِنَ الشَّرَرِ

وقال في اللينوفر في التاريخ : [من البسيط]

لَيْنُوفَرٌ خَضِلٌ يَحْكي لِرامقه عندَ الصباحِ إذا ما لاحَ في الوَرَقِ
نُجُومَ جَوٍّ بَدَتْ في الأرضِ ساطِعَةً والماءُ مِنْ تَحْتِها يَنْسَابُ كالشَّفَقِ

وقال في دُمّل أصابت الأمير شهاب الدين بن مجلى بن مروان الهكاري ـ رحمه الله ـ في ركبته في شهور سنة عشرين : [من البسيط]

/ ٥ : ١٨٨ب/ أظُنُّ دُمَّلَ مُوسى عندَ رؤيَتِه خافَتْهُ فاجْتَمَعَتْ مِنْ عُظْمِ هَيْبَتِه
وعندَما عايَنَتْهُ عَيْنُها سَجَدَتْ وَقَبَّلَتْ شَفَتَاها عَيْنَ رُكْبَتِه

وقال في الدواة والأقلام في التاريخ : [من الطويل]

ووالدَةٍ أوْلادُها ليسَ فيهمُ دماءٌ ولا لَحْمٌ عليهمْ ولا جِلْدُ
إذا ظَمِئُوا رَوَّتْهُمُ مِنْ رُضابِها فَيُنْتَجُ مِنْهُ في الورَى الحَلُّ والعَقْدُ

وقال في العذار في التاريخ : [من الرجز]

واعَجَبًا مِنْ غَفْلَةِ الحُضَّارِ إذْ لَمْ يَرَوا مُعْجِزَةَ العِذَارِ
كأنَّهُ والخَدُّ ذُو احْمِرَارِ بَنفْسَجٌ مُنَضَّدٌ في نارِ

وقال في فَوَّار في شهور سنة اثنتين وعشرين وستمائة : [من المتقارب]

وفَوَّارَةٍ ماؤُها كاللُّجَيْنِ جَمَاداً تُذَوِّبُهُ فَهْوَ يجري
تُصَعِّدُهُ كَقَضِيبٍ قَوِيمٍ وتَنْثُرُهُ نَثْرَ مَنْظُومِ دُرِّ

وقال في مليح اسمه عيسى في التاريخ : [من السريع]

عادَةُ عيسى بالورى أنَّهُ يُعيدُ مَنْ ماتَ لَهُمْ حَيَّا
/ ٥ : ١٨٩أ/ والآنَ عيسى في الهوى قاتلي وهْوَ الذي يُحيي إذا حَيَّا

وقال في لوزة مرود بعثها مُحبٌّ لحبيب : [من السريع]

بَعَثْتَ باللَّوزَةِ مَقْرونَةً .... منها بقُرْبِ التَّلاقْ
وقلتَ : يا ليتَ لنا مثْلَ مَا لها مِنَ الضَّمِّ وضَيْمِ العنَاقْ
فامْنُنْ على الصَّبِّ بما يَرْتَجي واطْفِىءِ بماءِ الوصْلِ نارَ الفَراقْ

وقال في دير سمعان ـ وهو دير كبير، كثير الآثار، هائل البنيان، وهو ببلد حلب من غربيها ـ في شهور سنة ثمان وعشرين وستمائة : [من البسيط]

يا دَيْرَ سمعانَ دارَتْ فيكَ دائرةٌ هيَ الرَّدى طَحَنَتْ فيكَ الألى ذَهَبُوا
أَخْنَتْ عليهِمْ صُروفُ الدَّهْرِ فانْقَلَبُوا صرْعَى فلا فضَّةٌ أغْنَتْ ولا ذَهَبُ

وقال في النار في التاريخ : [من الكامل]

يا أيُّها الحَبْرُ الذي مِنْ شأْنِه كَشْفُ الرُّمُوز وحَلُّ عَقْدِ المُشْكِلِ
ما بنْتُ دَهْرٍ في الصَّبَايا عُمْرُهَا نَزْرٌ وتهرَمُ في الزمَّانِ المُقْبِلِ
/ ٥ : ١٨٩ب/ وبَنَاتُها في صَدْرِها منْ جسْمها يأْكُلْنَ وهْيَ تُريدُ شَرَّ المأْكَلِ
ونَوَدُّها في بُعْدِها وبقُرْبِها نَلْتَذُّ لكنْ مَعْ تَنَائي المَنْزِلِ
زارَتْ بـ........ لاَ .... أكحَلِ

وقال في حمام حياضها رخام أصفر، في شهور سنة اثنتين وعشرين وستمائة :

[من السريع]

حَمَّامُنا اليومَ حَوتْ نُزْهَةً يَرَى بها الرَّائي عَجيبَ العَجَبْ
مياهُهَا تجري بأحْواضِها كفضَّةٍ ذائبَةٍ في ذَهَبْ

وقال في يوم غيم وثلج كثير، هبَّت فيه ريح شديدة باردة كشفت السماء ونبت الثلج على الأرض، في شهور سنة ثلاث وعشرين وستمائة : [من البسيط]

وَجْهُ السماءِ تَجَلَّى بارزاً نَضِراً وكانَ عَنَّا ...... السُّحْبِ مُحْتَجبا
أظُنُّ إذْ صَفَّقَتْ فيهِ الرياحُ رَمَى بهِ على الأرضِ مِنْ إيقاعِهِ طَرَبا

وقال أيضًا في نزول الثلج في التاريخ : [من المنسرح]

/ ٥ : ١٩٠أ/ كأنَّما الثَّلْجُ في الفَضَاء إذا ... بالريحِ منهُ الجَنَاحُ ينتشرُ
رَجْلُ جَرَادٍ أنشر ساكنها ... فهْيَ حَيَارَىٰ تَعْلُو وتنْحَدِرُ

وقال أيضًا في الثلج ونزوله في التاريخ: [من البسيط]

الجَوُّ ثَوْبُ لُجَيْنٍ مَرَّ مُرْتَدِيًا ... فَحُفَّ مِنْ مُجْتَدِي الدُّنيا بأَطْمَاعِ
وحينَ أمْسَكَهُ بُخْلاً وما وصَلَتْ ... إلى تَنَاوُلِهِ الأهواءُ بالبَاعِ
أثارَتِ الريحُ منهُ ساكنًا فَلَهُ ... يَنْثَالُ فيهِمْ بأَنْصَافٍ وأرْبَاعِ

وقال في كمة صقر أو بازي كُتب عليها هذان البيتان، وقدمت للسلطان الملك العزيز ـ تغمده الله برحمته ـ في شهور سنة تسع وعشرين: [من الكامل]

أنا كُمَّةٌ صَغُرَتْ وجَلَّ مَحَلُّها ... فَبَدَتْ لَوَامِعُها كَنَجْمٍ زاهِرِ
وَبِلَمْسِهَا الملكَ العزيزَ تَعَزَّزَتْ ... فكأنَّما للعِزِّ فوقَ النَّاظِرِ

وقال في مليح في عنقه خال، في شهور سنة سبع وعشرين: [من البسيط]

/ ٥ : ١٩٠ب/ العِزُّ بَدْرٌ ولكنْ ليسَ شامَتُهُ ... مَسْرُوقَةً مِنْ دُجَىٰ صُدْغَيْهِ والغَسَقِ
وإنَّما حَبَّةُ القَلْبِ التي احْتَرَقَتْ ... في حُبِّهِ عُلِّقَتْ للظُّلْمِ في العُنُقِ

وقال في مغن حاذق في الضرب للدف في التاريخ: [من المنسرح]

كأنَّما العِزُّ حينَ يَضْرِبُ بالكاسِ ضُرُوبًا تَطِيرُ بالنَّفْسِ[1]
بَدْرٌ مُنِيرٌ علىٰ قَضِيبِ نَقًا ... يَخطفُ بالبَرْقِ بَهْجَةَ الشمسِ

وقال في مليح يحزُّ بطِّيخًا ويفرِّقه على جماعة يهوونه في التاريخ:

[من المتقارب]

أيا عاذلاً عَدَّ عشقي لِمَنْ ... هوتْ لطَلْعَتِهِ الشمسُ ذِلَّهْ
أتَعْذِلُ في عِشْقِ بَدْرٍ غَدَا ... يُقَسِّمُ في عَاشِقِيهِ أَهِلَّهْ

وقال في مليح كان بين جماعة، وفيهم خادم أسود فأخذ يده وجعلها في يده، في التاريخ: [من السريع]

لا تَعْجَبُوا للبَدْرِ إنْ صَافَحَتْ ... كَفَّاهُ جَوْرًا كَفَّ ذا العَبْدِ

---

(١) الطار: آلة طرب كالدف.

فَالدَّهْرُ لا يَبْعُدُ عِنْدِي بِأَنْ ... يَجْمَعَ بَيْنَ الرِّيْمِ والقِرْدِ

/ ٥ : ١٩١أ/ وقال في مليح في عنقه حرز ذهب في التاريخ: [من الوافر]

إِشَارَةُ حِرْزِ عِزِّ الدِّينِ لَمَّا ... بَدَا للنَّاظِرِينَ مِنَ النُّضَارِ

مُتَرْجِمَةٌ بِأَنِّي سَوفَ أَرْمِي ... قُلُوبَ العَاشِقِينَ بِسَهْمِ نَارِ

وقال فيه، في التاريخ: [من البسيط]

لا تَحْسَبُوا حِرْزَ عِزِّ الدِّينِ حِينَ بَدَا ... فِي جِيدِهِ مِنْ لُجَيْنٍ صِيغَ أَوْ ذَهَبِ

لكِنْ شِهَابٌ بِأُفْقِ الحُسْنِ أَرْصَدَهُ ... لِرَجْمِ شَيطَانِ قَلْبِ العَاشِقِ الوَصِبِ

[٣٦٠]

عبدُ الملك بن عليٍّ [بن] أبي صالح بنِ عبد الكريمِ بنِ المفضَّلِ بنِ أبي شَيبةَ القرشيُّ العبدريُّ[(١)].

من بني شيبةَ أصحاب السدانة لبيتِ مكة ـ حرسها الله تعالى ـ من أهل مَنْبِجَ.

كان رجلاً من الرؤساء الأجلاء، رفيع القدر، عالي المحل، كبير المنزلة عند السلاطين، كثير الاحترام؛ واستوزره الملك المنصور أبو المعالي محمد بن عمر بن شهنشاه ـ صاحب حماة ـ وقرب من قلبه. وكان ينفذه إلى / ٥ : ١٩١ب/ أطراف البلاد رسولاً، فيكرم لأجله ويبجِّل ويحترمونه. وكان أولاً قد خدم الملك الظاهر غياث الدين وتمكن منه، وعرض عليه عدّة ولايات فلم يجبه إلى ذلك. وكان وزيره سِرّاً وسيَّره رسولاً إلى عدَّة جهات، وبعده اتصل بالملك المنصور.

وبعد موته ارتحل إلى مدينة منبج. وكان مع ذلك واسطة خير عند من يلوذ به، كثير المروءة والعصبية، كريمًا أريحيًا ذا نفس واسعة، ونعمة وافرة. ومات ولم يدَّخر شيئًا إلاّ قليلاً، لم . . . . . ببعض ما كان عليه من الديوان. وكان مقصد من يرد عليه، لا يردّ آملاً، ولا يخيب سائلاً.

وكانت ولادته في حدود سنة خمس وخمسين وخمسمائة. وتوفي في ربيع الآخر

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٩/ ١٨٣.

سنة ثلاث وعشرين وستمائة بمنبج ـ رحمه الله تعالى ـ.

فمن شعره قوله: [من الخفيف]

حَـيِّ حَيًّـا بمَنْبـج فيـه هنْـدُ　　بـابـلٌ مـنْ لَحـاظهـا والهنْـدُ
إنَّمـا يبْعَـثُ التحيَّـةَ مَـنْ نَحْـ　　ـوي إلـى مَنْبـج غَـرامٌ ووَجْـدُ
وَتَـوخَّ الحَنيـنَ فيهـا فمَـنْ تُـرْ　　ب حمـاهـا تشفـى العُيُـونُ الـرُّمْـدُ[١]
/٥: ١٩٢أ/ مَـرْبـعُ الحَـيِّ بـاللِّدَان ولَـذَّا　　تَـي دَوَانـي الجَنـى قطَـافٌ شَهْـدُ
والغَـوَانـي فيهـا ظبـاءٌ عيـنٌ　　والمَغَـانـي بهـا ركَـابٌ وَجُـرْدُ
أَلِـفَ الجسْـمُ تُـرْبهَـا قبْـلَ أنْ يـأْلَـفَ لَحْمـي والعَظْـمُ منِّـيَ جَلْـدُ
وتُـرَانـي أحُـومُ شَـوْقـاً إليهـا　　حَـوْمَـةَ الهيـم حيـنَ يُشْـرَعُ وِرْدُ
هَـلْ لَنـا عَـوْدَةٌ إلـى طيـب ريَّـا　　كَ فَـرُؤْيَـاكَ بُغْيَتـي والقَصْـدُ
يـا خليلَـيَّ خَلِّيـانـي فَمـا طـا　　بَ وصَـالٌ إلاَّ تعَـرَّض صَـدُّ
أَسْلمـانـي إلـى الغَـرَام بسَلْمَـى　　وَدَعَـانـي للـوَجْـد هـاتيْـكَ دَعْـدُ
يـا لُيَيْـلاتنـا بمَنْبـجَ هَـلْ يَـرْ　　جِـعُ مـاضٍ منْكُـنَّ لـي أوْ يُـرَدُّ
أمْ يـروحُ الـرّكَـابُ بـالمَلِـك المَنْـ　　ـصُـور يـومـاً إلـى ذُرَاهـا ويَغْـدُو

[٣٦١]

عبد الملك بن يوسف بن عبد الملك بن رستم بن محمد بن علي، أبو الوليد الديلمي الحلبي.

كانت ولادته في السابع والعشرين من شهر رمضان سنة ست وستين وخمسمائة؛ [شيخ كبير السِّنِّ به عرج، شيعي المذهب من المغالين في الولاء، يميل إلى نوع الأدب والشعر؛ وعنده محفوظ جيد من نظم ونثر. وكان في بدء أمره يسافر تاجراً إلى الديار المصرية.

وهو ذو طبع مؤات في عمل الأشعار. غير أنَّ أكثرها مرذول نازل يحذو فيها حذو ابن الحجاج في السخف والهجاء، فلم أثبت منها شيئاً لسقوطها ورداءة ألفاظها سوى

---

(١) الأبيات في الوافي ١٩/ ١٨٣.

أبيات كتبها إلى الملك الظاهر][١].

أنشدني لنفسه. وكان قد قفل من الديار المصرية عقيب الغلاء الشديد الذي أصاب الناس / ٥ : ١٩٢ب/ سنة تسع وتسعين وخمسمائة، وفي صحبته ملاعق من . . . . . أهداها للسلطان الملك الظاهر غيّاث الدين ـ رحمه الله تعالى ـ ويسأله قضاء حاجة عرضت له فكتب المملوك عبد الملك يقبل الأرض، ويُنهي أن هذه الملاعق الأربع : [من الطويل]

شَكَتْ ظَمأً لمَّا ثَوَتْ في فِنائنا ... وَجُوعاً فقالتْ: ليتَ رَبْعَكُمُ قَفْرُ

رُزِئْتُم بِمَوْتٍ أمْ رُزِئْتُمْ بفاقَةٍ ... أَمِ انْتَهَكَتْكُمْ بالغَلا والجَلا مِصْرُ

قضَىٰ الجُودُ والأجْوادُ والزَّادُ نَحْبَهُمْ ... أَمِ ارْتَحَلُوا واسْتَوْطَنَ الجُوعُ والفَقْرُ

فكَمْ أنا في ضَنْكٍ مِنَ الجوعِ لَيْتَني ... قَضَيْتُ ولَنْ يُقْضَىٰ عَلَيَّ بِهِ شَهْرُ

وَتَبّاً لِرَبْعٍ لا أرىٰ فيهِ مَتْجَراً ... سوىٰ باخِلٍ في رِبْحِ رُؤْيَتِهِ خُسْرُ

فَقُلْتُ لها كُفِّي سأُعْطيكِ مالِكاً ... مَوائِدَهُ فاسْتَطْعمي واطعمي . . . .

مَعَ الفَلَكِ الدَّوَّارِ دارَتْ بِرِزْقِنا ... . لا يُسْتَطاعُ لها حَصْرُ

هوَ المَلِكُ الغازي الغياثُ بنُ يوسُفٍ ... فإقْطاعُهُ جَمٌّ وإيْصالُهُ وَفْرُ

هوَ المَلِكُ المُحيي المُميتُ بِبَأْسِهِ ... ونائلهِ لا راعَني فيهما الدَّهْرُ

مَليكٌ يرىٰ في الحربِ أسْهُمَ عَزْمِهِ ... تَأَجَّجُ نيراناً وَمَنْبَعُها بَحْرُ

فقالتْ، وقدْ أطْلَقْتُ طَوْعاً سَراحَها ... وقدْ حَفَّها إذْ خِفْتُ في . . . . . .

/ ١٤٠أ/ وَمَا عُسْرَةٌ فَاصْبِرْ لَهَا إنْ تَتَابَعَتْ ... . إلاَّ سَيَتْبَعُهَا يُسْرُ

لَئِنْ نِلْتَ ما مَنَّيْتَني مِنْ طَعامِهِ ... فَبُشْراكَ إذْ لا قَلَّ مِنْ مالِكَ البِشْرُ

وَعِشْتَ سَعيداً لا تُضامُ بِدَوْلَةٍ ... غيَاثيَّةٍ بالسَّعْدِ يَخْدُمُهَا النَّصْرُ

وكُنْتَ الَّذي أهْدَىٰ بُكُوراً عَرائِساً ... قَلائِدُهَا مِنْ دُرِّ مَنْظُومِهِ بِكْرُ

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

/ ٦٤أ/

ذكر من اسمه عبد المنعم

[٣٦٢]

عبدُ المنعم بنُ عمرَ بن عبد الله بن أحمدَ بن خضر بن مالك بن حسانَ، أبو الفضلِ الغسانيُّ السِّنديُّ الجِلْيانيُّ[(١)] الحكيمُ الأديبُ.

كانت ولادته بقرية، تدعى جلْيانة من قرى غرناطة من مدن الأندلس، في سابع المحرم سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة.

/ ٦٤ب/ وكان صاحب رياضة وحكَم ومعرفة قوية بالطبِّ والأدب والعروض والنحو؛ وله تصانيف في علم الرياضيات والتشريح.

وكان شاعراً مُطيلاً متوسعًا في الشعر، متمكنًا من القول، طاف البلدان واخترق الآفاق، ثم سكن بأُخَرة في دمشق في أيام الملك الناصر صلاح الدين أبي المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي ـ رضيَ الله عنه ـ، وتوفي بها في صفر سنة إحدى وستمائة.

أنشدني شيخنا أبو الخير بن أبي المعمر التبريزي المحدِّث؛ قال أنشدني الحكيم أبو الفضل عبد المنعم بن عمر بن حسّان الغساني ـ رحمه الله ـ لنفسه، يمدح الملك الناصر صلاح الدين، ويهنئه بفتح بيت المقدس؛ وكان فتحه ليلة السبت السابع والعشرين من رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ـ حرسه الله تعالى وحماه بمنِّه ولطفه ـ: [من البحر الطويل]

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٩/ ٢٢٤ ـ ٢٢٦. فوات الوفيات ٢/ ٣٥ ـ ٣٧. ذيل تأريخ بغداد لابن النجار ١/ ١٧٤ ـ ١٧٦. التكملة لكتاب الصلة ٢/ ٦٥٢ ـ ٦٥٣. صلة الصلة ص١٥. الذيل والتكملة ٥/ ٥٧. تحفة القادم (جمع إحسان عباس) ص١٢٨ ـ ١٢٩. المقتضب من تحفة القادم ص٩٠. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٠١ ـ ٦١٠) ص١٢٠ ـ ١٢١ رقم ١٣٥ وص٣٩٦ رقم ٥٥٦. سير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٧٦ ـ ٤٧٧ رقم ٢٤٠. نفح الطيب ٢/ ٦١٤، ٦٣٥ ـ ٦٣٧. طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٢/ ١٥٧.

طبع من مؤلفاته: «ديوان المبشرات والقدسيات»، جمع وتحقيق عبد الجليل عبد المهدي، عمان ١٩٨٩، وحقق عبد الله علي ثقفان بجامعة الرياض كتابه: «ديوان الحكم وميدان الكلم» ـ لم يطبع بعد.

لقدْ أوْسَعَ اللهُ الفُتُوحَ بعامنا   وخَيَّسَ منها المُصْعَبَ المُتأبِّدا(١)

أُمورٌ نَبَتْ عنها العُقولُ وأذْعَنَتْ   بأنَّ اختصاصَ الحَظِّ لله مَوْحَدا

/ ٦٥أ/ تَحرَّكَ شَخْصاً حَرَّكَ الأرضَ جائلاً   وهزَّ منَ الشُّهبِ الذَّوائبَ مُصْعِدَا

ولَقَّبَهُ بالنَّاصرِ المَلْك يوسُف   وَنَقَّبَهُ نُورَ المَهابَةِ سَيِّدا

وألْهَمَهُ حُسْنَ الشمائلِ مُجْمَلاً   وفَهَّمَهُ أسمى الفضائلِ مَحْمَدا

يَزيدُ على عُظْمِ المَرامِ تَواضُعاً   ويَدْنُو على بُعْدِ المَقَامِ تَوَدُّدَا

أتَتْهُ وُفُودُ الخافقَيْنِ فَعَايَنُوا   حُلى مالك قدْ أتْلَعَ .... فَرْقَدا

يُنَوِّعُ أثناءَ النهارِ سياسَةً   ويَقْطَعُ آنَاءَ الدُّجَى مُتَهجِّدا

ويَرْمُقُ أحوالَ المَدائنِ حافظاً   ويُنْفِقُ أمْوَالَ .... فتَنْفَدا

أحاطَ بمُلْك الأرضِ خُبْراً وقُوَّةً   وحاطَ ضُروبَ الخَلْقِ خَيْراً ومَرْفَدا(٢)

فَوفَّى بفَضْلٍ منْ قَضَاياهُ مُتْرَعاً   وأصْفَى لكُلٍّ منْ عَطاياهُ مَوْرِدا

وأرْوَتْ نُفُوسَ السائلينَ بَنَانُهُ   فَلَمْ أدْرِ بَحْراً مَدَّ للناس أمْ يَدَا

سَطَا بحُسام واسْتَرَقَّ بأنْعُم   وما المَجْدُ إلاّ في الشجاعةِ والنَّدَى

فَنَمْدَحُهُ حُبّاً ويُعْطي تَبَرُّعاً   فيُعْجِزُنا شَأواً ويَشْأى مُمَجَّدَا

رأيتُ عُلاهُ ما لهَا .... مثلها   بدائعَ نَظْمٍ وامْتداحاً مُخَلَّدا

فَقَلَّدْتُهُ سلْكاً عزيزاً وَجُودُهُ   كما لمْ نَجِدْ مَلْكاً يُضاهي المُقَلَّدا

كذا فَلْيَكُنْ صَوْغُ القَريضِ مُسَمَّطاً   تفاصيلَ إعْجَازٍ وَوَشْياً مُنَجَّدَا

/ ٦٥ب/ ولَفْظاً كما تحكي الدَّراريُّ تحتَهُ   مَعَانٍ كما تَرْمي الأشعَّةُ أنْجُدَا

قرائنَ أحوالٍ ومَعْلَمَ سيرةٍ   وحكْمَةَ أمثالٍ وعلْماً مُنَضَّدَا

إذا الشِّعْرُ لم يَحْكِ العلومَ فقدْ حَكى   جَعَاجعَ أصواتٍ ولَغْواً مفَنَّدا

ولولا اصْطناعُ الحِلْمِ لم يَكُ باقلٌ   ليَحْضُرَ في ميدانِ سَحْبَانَ مُنْشِدَا

لأوْجُهِ أربابِ السماحِ طَلاَوَةٌ   تُعَلِّمُ طُلاَّبَ النجاحِ التَّرَدُّدَا

وقيمةُ قَدْرِ الشَيءِ قيمةُ ذِكْرِهِ   فما راقَ وَصْفاً فاقَ صيتاً مُنَدّدَا

---

(١) المتأبد: المتوحش.

(٢) المَرْفَد: المعونة.

وهـذا مَليكٌ أمْرُهُ غيثُ عَصْرِه ... فَسيرتُهُ تبقى حَيّاً مُتوَرِّدا
فَيُسْقَى بِها الظَّمْآنُ للعلْمِ مُسْنِتاً ... ويرْقَى لَها الدَّيّانُ في الحُكْمِ مُسْنَدا
ينالُ الفتى بالصبرِ مَقْسُومَ حَظِّهِ ... وكَمْ جاهد في الحِرْصِ ما نالَ مَقْصَدَا
عَجِبْتُ منَ الأيامِ تُطْوى كَمائناً ... إذا انْتَشَرَتْ أعْيَتْ نَجيباً ومُنْجِدَا
وكنتُ أرى ذا الفتحَ مِنْ قَسْمِ يوسُفَ ... فلله ذاكَ القَسْمُ ما كانَ أسْعَدَا!
ولله يومٌ هَلَّ فيه ولادةٌ ... لقدْ طابَ مولوداً وبُورِكَ مَوْلِدَا
لفَى مطهراً مَنْ طَهَّرَ القُدْسَ واحْتَوى ... بني أصْفَرٍ سَبْياً وقَتْلاً تَعَمُّدَا
هوَ المسجدُ الأقصى وهُمْ شوكةُ الوغى ... فما كانَ لولا اللهُ يَخْلُصُ مَعْبَدَا
/ ٦٦أ/ هنيئاً لبيتِ القَدْسِ ألآنَ طُهْرُهُ ... وللنّاصرِ المنصورِ غِبْطَتُهُ غَدَا
فيا خيرَ ممْدُوحٍ وأطْهَرَ مُجْتَبى ... وأَسْعَدَ ممْنُوحٍ وأبْهَرَ مَحْتِدَا
مَديحُكَ أحْلَى في فَمي مِنْ جنَى المُنى ... ومنْ طَعْمِ بَرْدِ الماءِ عذْبًا على الصَّدَى
وأشْهى سَماعاً من حديث حَبائب ... يَلَذُّ لها عهدُ الصِّبا مُتَجَدِّدا
أُسامِرُ فيكَ الشِّعْرَ مُسْتَمْتعاً بهِ ... فأبْسُطُهُ بَسْطَ الحَمِيَّةِ في النَّدَى
أودُّ لو أنَّ البيتَ ألْفُ قصيدةٍ ... وكُلُّ قصيدٍ ألفُ حِزْبٍ تَرَدُّدا
وكيفَ اقْتصارٌ في مدائح يوسُفٍ ... وقدْ بَذَّ غاياتِ السَّوابقِ في المَدَى
سرى وهْوَ نورٌ قاهرٌ بلَطافةٍ ... وَحَلَّ بنا صَوتُ العُلا فَتَجَسَّدا
ولوْ لمْ يَلُحْ للناسِ ما عَلِمُوا فَتًى ... سَما كُلَّ عالٍ وهْوَ يَرْتادُ مُصْعِدَا
فكُلُّ ابْتداءٍ في مَعاليهِ مُنتهًى ... وكُلُّ انتهاءٍ في تَعاليهِ مُبْتَدَا

وأنشدني قاضي اليمن لعبد المنعم بن حسّان: [من مخلّع البسيط]

يا ساهراً في اقتناءِ عِلْمِ ... بخطبِ منهُ مَقامِ محكَمْ
لا تَطْلُبَ العلْمَ في كتابٍ ... بلْ وسِّعِ الكُمَّ ثمَّ عَمِّمْ
والْبَسْ منَ ..... طَيْلَسانًا ... واعْقِدْهُ بالمَنْكِبَيْنِ واخْتِمْ
واقْعُدْ معَ القومِ في جدالٍ ... لا بالبُخاري ولا بمُسْلِمْ
/ ٦٦ب/ إلّا صياحاً ونَفْضَ كُمٍّ ... وجَمْعَ لا لا وعَقْدَ لِمْ لِمْ
وما أرى بينَهُمْ عُلوماً ... أكثرَ مِنْ لا ولا أُسَلِّمْ

وقال أيضًا : [من الوافر]

عجِبْتُ لخُطوَةٍ حصلَتْ لقومٍ ... تعافُ سُلوكَهُمْ هِمَمُ الرِّجالِ
لهمْ زَيٌّ وألقابٌ عظامٌ ... وَهُمْ في الجِدِّ مِنْ هَمَجِ الرِّجالِ
ونالُوا ما أرادوا بالدَّعاوىٰ ... كما نالَ المُبَرِّزُ في الخِصالِ
فقدْ ضاعَ اجتهادُ أخي التَّحرِّي ... إذا حصَلَ التَّقدُّمُ بالمُحالِ

وقال وأنشدني عنه الشيخ الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن البغدادي؛ قال أنشدني عبد المنعم لنفسه؛ وقد سئل عن إعراض زيارة الأكابر والرؤساء(١) : [من الكامل]

قالوا نراكَ عنِ الأكابرِ تُعْرِضُ ... وسواكَ زَوَّارٌ لهُمْ متَعَرِّضُ
قلتُ الزِّيارةُ للزمانِ إضاعَةٌ ... وإذا مضىٰ وقتٌ فما يُتَعَوَّضُ
إنْ كانَ يومًا لي إليهِمْ حاجَةٌ ... فَبِقَدْرِ ما ضَمِنَ القضاءُ تُقَيَّضُ

/ ٦٧أ/ أنشدني شهاب الدين القوصي، بمنزله المعمور بدمشق في المحرم سنة أربعين وستمائة. أنشدني عبد المنعم الحكيم لنفسه : [من المتقارب]

أشَدُّ بَلاءَ الرجالِ النسا ... بِهِمْ أبدا الدهرِ منهُنَّ داءُ
إذا ما بَعُدْنَ فَعَيْشٌ يسوءُ ... ومهما قَرُبْنَ فَنَفْسٌ تُساءُ
يُكَلِّفْنَ ذا المالِ ما لا يُطيقُ ... ويُلْزِمْنَ ذا الحالِ ما لا يَشاءُ
ويَقْضِينَ لا بُدَّ ما يشتهينَ ... ولوْ كانَ حارِسَهُنَّ القَضاءُ

وأنشدني، قال أنشدني لنفسه : [من البسيط]

قالوا نرى نفراً عندَ الملوكِ سَمَوا ... وما لَهُمْ هِمَّةٌ تسْمو ولا ورَعُ
وأنتَ ذو هِمَّةٍ في الفضلِ عاليةٍ ... فَلِمْ ظَمِئْتَ وهُمْ في الجاه قد كَرَعُوا ؟
فقلتُ باعوا نُفوسًا واشتَرَوْا ثمنًا ... وَصُنْتُ نفسي فلمْ أخْضَعْ كما خضَعُوا
قدْ يُكْرَمُ القِرْدُ إعجابًا بخسَّتِهِ ... وقدْ يُهابُ لِفَرْطِ النَّخْوَةِ السَّبُعُ

وأنشدني : قال أنشدني من شعره : [من الكامل]

---

(١) القطعة في نفح الطيب ٢/ ٦٣٦.

إنْ قيلَ مَنْ فَحْلُ الرجالِ فقلتُ في ... مُسْتَحْكَمِ الأقوالِ والآراءِ
ذَرِبٌ بتَقْليبِ القلوبِ مُجاذِبٌ ... للنافراتِ بألطَفِ اسْتِهْواءِ

/ ٦٧ب/ وأنشدني أبو الفتح بن أبي الغنائم بن أبي بكر البغدادي؛ قال أنشدني عبد المنعم بن عمر الجلياني لنفسه بحلب: [من الطويل]

وصفْراءَ لولا نَفْحُها ومَذاقُها ... لَقلتُ نُضارٌ في الأباريقِ ذائبُ
مِنَ الماءِ فيها للْحَبابِ عَمائمٌ ... وللنُّورِ منها في الأكُفِّ ذَوائبُ

وقال أيضًا: [من الكامل]

حاوِلْ مَفازَكَ قبلَ أنْ تتحوَّلا ... فالحالُ آخِرُها كَحالِكَ أوَّلا
إنَّ المَنيَّ مِنَ المَنيَّةِ لَفْظُهُ ... لِيَدُلَّ في أصلِ البِناءِ علىٰ البِلا

ومن شعره يقول: [من الطويل]

وقائلَةٍ كيفَ اسْتَطَعْتَ تَجَلُّداً ... لِضحْكِ فُلانٍ وافْتِراءِ فُلانِ
فقلتُ لها يا هندُ لو كنتُ ناظِراً ... إليهِمْ مضىٰ بينَ الفُصُولِ زَماني
جعَلْتُ بني الدنيا جميعًا لِواحِدٍ ... وقد حَلَّ فيهِ الموتُ ساحَةَ فاني
وماذا عسىٰ أنْ يُغْنيَ الموتُ وَهْوَ في ... تَقاذُفِ أمواجٍ مِنَ الحَدَثانِ
فشَمَّرْتُ ذَيْلي عنهُمُ مُتَحَلِّياً ... وأُطْلِقْتُ فيما قَدْ عَناني عَناني
ولَمْ أَلْتَفِتْ إنْ أعرَضُوا أو تَعَرَّضُوا ... أو اعْتَرَضُوا مستهزئينَ . . . . . .
/ ٦٨أ/ أرىٰ مَدْحَهُمْ سَهْواً وذَمَّهُمْ سُدًى ... وهلْ ذو نُهىً يُصْغي إلى الهَذَيانِ
فلو حَصَّنُوا الأوقاتَ كانَ سلوكُهُمْ ... لتصحيحِ فِعْلٍ أو صَفاءِ جَنانِ
ولو شَعَروا في خَصْلَةٍ بفَضيلَةٍ ... لَمَا نَطَقُوا في فَضْلِهِ بِلِسانِ

وقال أيضًا: [من البسيط]

قالوا رَمَوْكَ ببُهْتانٍ فقلتُ لهمْ ... يا هندُ لو عَقَلُوا لم يَرْتَضُوا الفَنَدَا
ما العاقِلُ الحُرُّ مَنْ تُنْسَىٰ معايبُهُ ... وقَدْ حَضَرْنَ ويُغْتابُ الذي بَعُدَا
قالتْ: فما لكَ لا تَنْفي اعْتِراضَهُمُ ... وتَدْفَعُ الوَهْمَ عَمَّنْ ساءَ مُعْتَقَدَا
فقلتُ لي شُغُلٌ عنهُمْ ولَوْ شُغِلَتْ ... نَفْسي بهِمْ صُرِفَتْ عَنْ نَهْجِ مَنْ رَشُدَا
إنْ كانَ دينُهُمُ يقضي لهمْ حَسَداً ... فَدينُنا يقتضي أنْ نَنْفيَ الحَسَدَا

إنْ أدركَ المرءُ ما الإحسانُ ما وَعَدا ... فَما نُبالي بمَنْ رامَ الأذىٰ وَعَدَا
وليسَ منّا فَتًى للعِرْضِ مُنْتَصِرٌ ... لسوء سَعْيٍ ولا منَّا فَتًى حَقَدَا
وكُلُّ نَفْسٍ لها شَأنٌ ومُنْبَعَثٌ ... وغايَةٌ نصبت . . . . . . لها أُمَدَا

وقال أيضًا: [من الكامل]

قالوا نَحُجُّ البيتَ قلتُ يَجوزُ ... قالوا متىٰ قلتُ القضاءُ عزيزُ
لولا الرِّيا ما حَجَّ أكثرُ مَنْ ترىٰ ... مَنْ ذا بإخْلاص الضمير يَفوزُ
/ ٦٨ب/ في الحجِّ أخطارٌ غَنيٌّ ربُّنا ... عن فعْلها والشَّرعُ والتمييزُ
حُشرَ اللصوصُ له كَحَشْرِ حَجيجه ... فَبكُلِّ شِبْرٍ قاطعٌ مَركُوزُ
في يثْرب جَهْراً وفي أُمِّ القُرَىٰ ... يُسْبَىٰ كَريمُ المالِ وهْوَ حَريزُ
وعلى الطَّواف وفي الآل والورىٰ ... . للّصوص حفيزُ
حُرم لدى حرم . . . . فَتَصُدُّ عنْ صَدْرِ الكَعَابِ عَجُوزُ
وعَزيز وَفْر جاءَ مَكَّةَ فانْثَنَىٰ ... والعِزُّ عنهُ والعَنا مَحْجُوزُ
وتَشَاغُلٌ وقْتَ الصلاة وفتْنَةٌ ... وتَقَاطُعٌ وتَدَابُرٌ ونُشُوزُ
ولَو انَّهُ أمْنٌ وَبِرٌّ خالِصٌ ... فَبعُشْرِهِ الجَمَّالُ ليسَ يَحُوزُ

ورأيت له كتابًا مشجراً، ترجمه: بـ «منادح الممادح، وروضة المآثر والمفاخر من خصائص الملك الناصر» يعني صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي ـ رحمه الله تعالى ـ وهو يحتوي على نظم ونثر، جعله منطويًا على اثنتي عشرة مِدْحَةً وهو غريب في وضعه جداً.

/ ٦٩أ/ حدثني القاضي أبو القاسم عمر بن أحمد بن أبي جرادة الحنفي ـ أيده الله تعالى ـ؛ قال: أخبرني السديد بن عمر القفصي؛ قال كان عبد المنعم الجلياني قليلاً ما يمتدح الناس، وكان يمدحُ الملك الناصر جالسًا، وعمل له كتابًا في مدائحه مشجراً، وكان السبب الذي دعاه إلى عمله، أنَّه لزمه دين مقداره ثلاثمائة دينار، وعمل في هذا الكتاب مشجرات في مدحه، وحمله إليه، فلما وقف عليه لم يهتد إلى قراءته، فطلب عبد المنعم ليحلَّ المشجرات، وكان بحضرته إنسان يقصده، فلم يسعه عند طلبه إلاّ إحضاره. فلما حضر حلَّ له المشجرات، فاستحسنها وسأله عن حاجته؛ فقال: علي

دين أطلب قضاءه، فتقدم إلى الديوان أن . . . . بدينه، فلما خرج؛ قال له ذلك الرجل الذي يقصده: هذا عليه ثلاثمائة دينار! فأمر الديوان أن . . . . . . ثلاثمائة دينار، ويطلق له ثلاثمائة دينار أخرى. فأراد ذلك الرجل أن يضرّه فنفعه.

وقال القاضي؛ وسألت السديد عمر عن حاله فوصفه بالفضل والعلم؛ قال لي: وكان يميل إلى الحكمة.

/ ٦٩ب/ وكان كاتبًا في بلاد المغرب للوزير عمر، فوجد عليه فضربه ثمانين سوطًا، فكان ذلك سبب خروجه إلى هذه البلاد.

وحدثني القاضي أبو القاسم، قال: حدثت عن عبد المنعم أنه كان في مجلس الملك الناصر صلاح الدين؛ فقال له القاضي الفاضل ليغضّ من قدره نسبته إيّاه إلى قرية: كم بين جِلْيانة والمريّة؛ فقال مجيبًا له في الحال: مثل ما بين بيسان وبيت المقدس.

قال أبو محمد عبد الرحمن بن بركات بن شحانة، سمعت الأمير أبا الحسن علي بن إيداش يقول: سمعت عبد المنعم الجِلْياني يقول: لبست البَلاَس فعاتبني بعض أهلي على ذلك؛ فقلت: [من المتقارب]

وقـائلَـة لِـمْ لبِسْـتَ البَـلاسَـا ... ولَـمْ تَـرَهُ قبـلَ هـذا لبَـاسـا؟
فقلـتُ لهَـا لَـو رأيـت الـذي ... رأيـتُ لخـالَفْـت هـذا القيَـاسـا
ولـي بـالـرِّيـاض ورَبِّ الحمـىٰ ... حبيـبٌ حمـىٰ مُقْلَتَـيَّ النُّعَـاسَـا
أخـافُ إذا مـا رأىٰ لُبْسَتَـي ... سـوىٰ جُبَّـة أنْ يـراهـا التبَـاسـا
ويَحْسِبُنِـي نـاسيـًا عهـدَهُ ... وبِئْـسَ الحبيـبُ حبيـبٌ تَنَـاسَـىٰ

/ ٧٠أ/ قال أبو الحسن القطيعي: أنشدنا عبد المنعم لنفسه في الشوق:

[من الخفيف]

عَيَّـرونـي بـأنَّنـي مُسْتهـامُ ... ولمثْلـي يَلَـذُّ فيـكَ الهُيَـامُ
شَـوَّقُـونـي إليـكَ ثـمَّ تَـوَلَّـوا ... عَجَبـًا كيـفَ أيْقَظُـونـي ونَـامـوا
ونَـديـم سَقَـانـي السِّـرَّ صِـرْفـًا ... فَسَكِـرْنَـا وليـسَ ثَـمَّ مُـدَامُ
حَـثَّ كـأسـًا مِمَّـا هُنـاكَ دِهَـاقـًا ... فـاسْتَطـارَتْ لِـدَوْرِهـا الأحْـلامُ

أيــنَ أهــلُ الأذواق قــومــوا فَشقُّــوا كُــلَّ جَيْــبٍ فــالآن طــابَ المقَــامُ
نَسَمَــــتْ مِــــنْ حبيبِنــــا نَفَحَــــاتٌ فعلــىٰ العيــشِ بعَــدَهُــنَّ السَّــلامُ

[٣٦٣]

عبدُ المنعم بنُ عبد الله بن الخضر بن محمد بن الحسين، أبو محمدٍ بنُ أبي البركاتِ الموصليُّ، المعروفُ بابنِ الشَّيرجيِّ.

كان والده متقدمًا في الفقه، على مذهب الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ وابنه هذا أبو محمد كان فقيهًا جيداً، عالمًا فاضلاً من أهل الصلاح والدين، قرأ على والده الفقه، وروىٰ شيئًا من الحديث عن أبي بكر محمد بن علي / ٧٠ب/ بن ياسر الجيّاني الأنصاريّ، وسمع عليه جماعة، وكان يقول المقطعات من الشعر في الآداب والحثّ على طلب العلم، وغير ذلك مما يتعلق بهذا الفن.

أنشدني الخطيب أبو النجا سالم بن عمر بن سالم الموصليّ، قال: أنشدني أبو محمد عبد المنعم لنفسه: [من السريع]

قــولُ الفتــىٰ لا علِــمَ لــي بــالــذي ســـألتَنــي مِــنْ جُمْلَــةِ الفَضْــلِ
ومــا علــى العــالــمِ فــي قــول لاَ أعْلَــمُ مِــنْ قــومٍ ولاَ عَــذْلَ
والجــاهــلُ الآنــفُ مِــنْ قــول «لا» مُخــالِــفٌ للشــرعِ والعقــلِ
قــدْ قــاَل عــنْ إبــنِ أَبــي طــالــب وإبــنِ عَبَّــاس أُوْلــو النَّقْــلِ:
إنَّهُمــا لَــمْ يــأنَفَــا قَــوْلَهَــا فكيــفَ يــأبــىٰ قــولَهَــا مِثْلــي

وأنشدني أيضًا، قال: أنشدني أبو محمد لنفسه: [من الخفيف]

ليــسَ للعلْــمِ غــايــةٌ يقــفُ الطَّــالـ ـــبُ عنْــدَ التَّحْصيــل يــومــًا عليهــا
طــالــبُ العلْــمِ كُلَّمــا ازدادَ علمْــًا ألْبَسَتْــهُ العلــومُ شَــوْقــًا إليهــا
شَــرُفَــتْ نَفْــسُ عــالــمٍ تَطْلُــبُ العلْـ ــمَ لِتَحْــوي عِلْــمَ الــرجــالِ لَــدَيْهــا

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه: [من البسيط]

/٧١أ/ ســأطْلُــبُ العلْــمَ فــي الآفــاق مُجتَهــداً أُسَــائِــلُ النــاسَ لا أُبقــي ولا أَذَرُ
لعــلَّ يــومــًا أُلاقــي مــا أُؤَمِّلُــهُ فــالعِلْــمُ بحــرٌ وفيــهِ الــدُّرُّ مُسْتَتِــرُ

يـا صـاحِـبَ العِلْـمِ لا تَبْغـي بـهِ بَـدَلاً ... فـالمـالُ يفنـىٰ وكنـزُ العلـمِ مُـدَّخَـرُ

وأنشدني؛ قال: أنشدني لنفسه: [من السريع]

صغيـرُ مـا تَجْهَلُـهُ عنـدمـا ... تسـأَلُ عنـهُ بَيْـنَ جَمْـعٍ كبيـرْ
لا تَحْتَقـرْ فـائـدَةً لـمْ تكُـنْ ... عنـدَكَ أنْ تـأخُـذَهـا مـنْ صغيـرْ
فـالعلْـمُ مثـلُ القَطْـرِ فـي لُطْفِـهِ ... ثُمَّـتَ يَنْمـو منـهُ بحـرٌ غـزيـرْ

[٣٦٤]

عبدُ المنعم بنُ عبد العزيز أبي بكر بن عبد المؤمن، أبو الفضل القرشيُّ العَبدريُّ الآسكندَريُّ، المعَروفُ بابنِ النَّطرَونيِّ[(١)].

والنطرون هو البُورق، يكون بنواحي مصر.

كان فيها عالمًا فاضلاً فرضيًا حاسبًا خيراً، متفننًا في علم العربية والتصريف، قيِّمًا بعلم الأدب واللغة، شاعراً مدَّاحًا إمامًا في الشعر.

سافر إلى الملوك، وامتدحهم وسيَّر فيهم مدحًا كثيراً، وكان قد مضى / ٧١ب/ إلى .... في رسالة بإفريقية، فحصل له منه عشرة آلاف دينار مغربية، فرَّقها جميعها على معارفه وأصدقائه.

وتوجَّه إلى العراق، فأقام ببغداد مسترفداً على عادة الشعراء، فمدح الإمام أمير المؤمنين الناصر لدين الله ـ رضي الله عنه ـ وأنعم عليه إنعامًا وافراً، وتعلَّق بخدمة ديوان الخلافة، وصار أحد شعرائه، ووليَ رباطًا بجانبها الغربي، يعرف برباط العميد شيخ الصوفية، وناظراً في وقفه ومصالحه، إلى أن مات ليلة السبت خامس جمادى الآخرة سنة ثلاث وستمائة، ودفن في الشُّونيزيّ ـ رحمه الله تعالى ـ.

ووجدت له كتابًا بخط يده، ترجمه «النُبذ الأبريزية في المدائح العزيزية» تحتوي

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٩/ ٢٢٠ ـ ٢٢١. فوات الوفيات ٢/ ٣٣ ـ ٣٥. ذيل تأريخ بغداد لابن النجار ١/ ١٥٨ ـ ١٦٣. الغصون اليانعة ص٨٩. الكامل لابن الأثير ١٢/ ٢٥٨. التكملة لوفيات النقلة ٢/ ١٠٦ رقم ٩٦٤. الجامع لابن الساعي ٩/ ٢١٠ ـ ٢١٢.

على ذكر نفر من الشعراء الذين امتدحوا الملك العزيز أبا الفوارس طغتكين بن أيوب بن شاذي، وختم الكتاب بقصيدة من قِبَله.

أنشدني أبو يوسف يعقوب بن علي بن نصر الله الموصلي؛ قال: أنشدني أبو الفضل عبد المنعم بن النطروني لنفسه يمدح /٧٢أ/ أتابك نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي بن آق سنقر ـ صاحب الموصل رضي الله عنه:

[من السريع]

مـا قَبـلَ العاشـقُ ممَّـنْ نهـاهْ ... ولا دَرىٰ الغـافـلُ مـا قـدْ جنَـاهْ
ولـو دَرىٰ مَـنْ تـاهَ فـي حُسْنـه ... أنَّ لمَـنْ يهـواهُ جسْمـاً أتـاهْ
هيهـاتَ يبقـىٰ جسْمُـهُ بعْـدَمَـا ... ضَـاعَـفَ فـي يَـوم نَـواهُ جَـواهْ
يـا قـومُ مـا أقـرَبَ يـومَ النَّـوىٰ ... وأبعَـدَ المُشْتـاقَ ممَّـنْ نَـواهْ
ليـتَ زمـانـاً كـانَ عَهْـدي بـه ... مـنْ قبْـل أنْ يَجْفُـوَ جَفَـاهُ كَـراهْ
يَـزُورُنـي وَهْنـاً فـأشْكُـو لَـهُ ... وإنَّمـا يشْكـو المُعَنَّـىٰ عَنَـاهْ
وكيـفَ لا يَشْكُـو الهـوىٰ مُـدْنَـفٌ ... هـوانُـهُ أيْسَـرُ مَـا فـي هـوَاهْ
وَمَـنْ يبِـتْ مثْلـي قَـريْـحَ الحَشـا ... لـم يَـرَ يـومـاً لأسَـاهُ أُسَـاهْ
وفـي الحمـىٰ ذو عَبَـث لَـمْ تَـزَلْ ... جَـوارحـي مَجْـروحَـةً مـنْ أذاهْ
ظبـيٌ مَـنَ التُّـرْك لَـهُ مُقْلَـةٌ ... تُغْنيـه فـي يـوم الـوغـىٰ عَـنْ ظُبَـاهْ
كـأنَّمَـا قـامَتُـهُ صَعْـدَةٌ ... أوْ غُصُـنٌ مُعْتَـدلٌ مـنْ نَقَـاهْ
لَـوْ أنَّـهُ قـابَـلَ شَمْـسَ الضُّحَـىٰ ... رأيْتَهـا فـي خَجَـلَ مـنْ سَنَـاهْ
/٧٢ب/ شَهـدَتُ أنَّ الشَّهْـدَ فـي ثَغْـره ... ولَـمْ أكُـنْ بـالله ممَّـنْ جَنَـاهْ
لكنَّنـي أعْلَـمُ أنَّ الجـوَىٰ ... شفَـاؤُهُ مـا قـدْ حَـوَتْـهُ الشِّفَـاهْ
يـا حـاديـاً بـاتَ بنـا سـاريـاً ... والعيْـسُ لا تسـألُـهُ عـنْ سُـرَاهْ
فـي جُنْـح ليـل لـوْ بَـدَا صُبْحُـهُ ... لكَـادَ يُخْفيـه عَلَيْنـا دُجَـاهْ
ومَهْمَـهٍ مُتَّسـعٍ خَـرْقُـهُ ... فيـه عَـزيـفُ الجَـنِّ عـال صَـدَاهْ
قُـلْ لمَطـايَـانـا إذا مـا اشْتَكَـتْ ... طُـولَ السُّـرىٰ أوْ قَطْـعَ عَـرْضِ الفَـلاَهْ:
إذا وصَلْنـا المَـوْصـلَ اسْتَبْشـري ... ويَمِّمـي دارَ أرسْـلانَ شَـاهْ
أتَـابَـكِ المُلْـكَ الـذي لا يَـرىٰ ... خيـرَ مُلـوكِ الأرض مَـنْ لا يَـرَاهْ

العالم العادل بين الورى ... إلاَّ على ما قد حوته يداه
من قاس بالبحر ندى كفِّه ... فإنَّه عظَّم قدر المياه
ومن يُشبِّهه بأُسْد الشَّرى ... فإنَّه من أمره في اشْتباه
مَلْكٌ إذا عدَّدتَ أهل العُلا ... رأيتهم قد قصَّروا عن مداه
راحته فيها لمن أمَّه ... راحته بين الحيا والحياه
وكفُّه كفَّت صُروف الرَّدى ... وشتَّت بالبطش شمل العُداه
مُهذَّب الآراء ذو همَّة ... تبلُغ بالأمن إلى مُنتهاه
/ ٧٣أ/ سار على سيرة آبائه ... في حلمه عن قُدرة والأناه
وقام بالمُلْك قيام الأُلى ... قد أسَّسوا المجد وشادوا بناه
فالناس فيه بين داعٍ له ... وشاكر ما عنده من نداه
يا ملكاً موطنه في الثرى ... وفوق أُفْق النجم سامي عُلاه
ومن إذا أقبل في موكب ... تزاحمت فوق التراب الجباه
أنت الذي لله في مُلْكه ... سريرةٌ يظهر منها هُداه
أنت الذي لم يحو ما قد حوى ... من العُلا والمجد مَلْكٌ سواه
أنت الذي اختار صلاح الورى ... فاختاره الله لهم واجتباه
مولاي نور الدِّين خذ ضرمة ... قد خلع الحُسن عليها حُلاه
وقد أتت باسمك موسومةً ... ووسمها باسمك عزٌّ وجاه
وما أراها بلغت مقتضى ... وصفك بالمدح على مقتضاه
فابسط لها عفوك إن قصَّرت ... فإنَّه ما زال رحباً ذُراه
واهنأ بعيد أنت عيدٌ له ... وواجبٌ فيك علينا هناه

ونقلتُ من خطِّه قوله يمدح الملك العزيز أبا الفوارس / ٧٣ب/ طغتكين بن أيوب بن شاذي: [من الخفيف]

ما لداء الهوى الدَّفين دواءُ ... فليقُل عاذلي إذاً ما يشاءُ
كيف أسلو الهوى وللبيض . . . . ما لقلب من أجلها سوداءُ
صاح إنْ كنت بالمُدامة غرّاً ... فادرِ إنَّ المُلام لي أغراءُ
بادر العيش فالتَّفاوت في الفُر ... صة والناس في المُنى أكفاءُ

لا تكنْ وانياً عَن السير في اللَّهْـ ـو إذا أشْرَقَتْ لكَ الصَّهْبَاءُ
إنما لَذَّةُ النَّديم مُدَامٌ وغنَاءٌ ورَوْضَةٌ غَنَّاءُ
شَعْشع الراحَ فَهْيَ وَيْكَ النَّفْـ ـس وفيها لكُلِّ جسْم عَنَاءُ
وأجلُها في الكأس فَهْيَ نُجومٌ كُلُّ أرض تُدَارُ فيها سَمَاءُ
واسْقنيها مَحْرُوسةً مِنْ أذى المَزْ ج فمَا يُطْرِبُ العُقُولَ الماءُ
واسْتَبِقْ للسُّرور في مجلس فيـ ـه سريرٌ يُعْزَى إليه العَلاَءُ
واغْتَنم فالزمانُ فيه هَنَاءٌ للبَرايا وللْغَرير بَقَاءُ
مَلِكٌ رَبْعُهُ خَصيبٌ وَدَاعيـ ـه مُجَابٌ وَوَعْدُهُ إيْفَاءُ
كُلَّ يومٍ لهُ التفَاتٌ لراجيـ ـه وفي كُلِّ ساعَة إعْطاءُ
لا تقِسْ بالبحار نائلَ كفَّيْـ ـه فمَا إنْ لخنصرَيْه كفَاءُ

/ ٧٤أ/ ومنها قوله:

همَمٌ تَفْضُلُ الوجودَ وقَدْرٌ دونَ أدنى غاياته الجوزاءُ
وَعُلاً لا ينالُها الدَّهْرَ راجٍ ونَدًى لا يَخيبُ فيه رَجاءُ
سُعِدَتْ أولياؤهُ بأيَاديـ ـه وخابَتْ بعَزْمه الأعْداءُ
شهِدَتْ بالنَّدى لهُ العُرْبُ والعُجْـ ـمُ وسارَتْ بفَضْلهِ الأنباءُ
بَهَرَتْ واصفيهِ أوصافُهُ الغُرُّ فماذا تقولُهُ الشعراءُ

ومنها يقول:

هكذا هكذا تكون السجايا هكذا هكذا يكون الثناءُ
فيكَ سيفَ الإسلام ما أعْجَزَ الدَّهْـ ـرَ فما أنتَ والملوكُ سواءُ
دُمْتَ في عيشة تَطيبُ وقَدْر لا يُسامى وغبْطة لا تُسَاءُ
وَبلَغْتَ الذي تُؤَمِّلُ في الدَّهْـ ـرِ ونالَتْ عَدُوَّكَ الأسْواءُ

وأنشد في الصاحب الوزير القاضي الأكرم أبو الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم القفطي، قال: أنشدني عبد المنعم بن النطروني لنفسه /٧٤ب/ بقفط، يمدح الأعزَّ يوسف بن صالح بن مهدي ـ قاضي قفط ـ: [من الطويل]

تَقبَّلْتُهُ في قُبْلَةٍ حِيْنَ أسْعَفا وَقَبَّلْتُهُ لمَّا وفى لِيَ إذْ وفى

وعـاتبْتُـهُ إذْ لاحَ بـدْراً مُكَمَّـلاً ... وعـانَقْتُـهُ إذْ مـاسَ غُصْنـاً مَهَفْهَفـا
وعـايَنْـتُ مـنْ خَـدَّيـه لمَّـا تَـوَرَّدا ... عـذارَيْـن مـنْ آس ووَرْداً مُضَعَّفـا
أقيمـا لـهُ عُـذْري علـيَّ وعنـدَهُ ... ولا تَحْسَبـانـي بنْـتُ عَـنْ أرْضِـه جَفَـا
وإنْ أنتُمـا سـوئلْتُمـا عـنْ قَضيَّتـي ... فقـولا جميعـاً راحَ يَقْصِـدُ يـوسُفَـا
هـوَ المـاجِـدُ النَّـدْبُ الـذي مَـنْ يَـؤُمُّـهُ ... يَـؤُمُّ أعَـمَّ النـاسِ بـرّاً وأشْـرَفـا

[٣٦٥]

عبدُ المنعم بنُ عليِّ بن نصر بن منصور بن هبة الله النمريُّ، أبو محمد الحَرَّانيُّ، المَعروفُ بابنِ الصَّيْقَلِ(١).

كان من فقهاء الحنابلة، عالمًا واعظًا، أخذ الفقه عن أبي الفتح نصر بن فتيان بن مطر الحنبلي الفقيه المعروف بابن المنى النهرواني، وسمع الحديث من أبي الفتح بن برشاتيك وأبي السعادات ابن زريق وتكلّم / ١٧٥أ/ في الوعظ، وكان متدنيًا وراعًا، سكن بغداد إلى أن توفي بها يوم الخميس سادس عشر ربيع الأول سنة إحدى وستمائة، ودفن بباب حرب.

أنشدني أبو الفضل عمر بن علي بن محمد بن يحيى بن هبيرة، قال: أنشدني والدي؛ قال: كتب إليّ أبو محمد بن الصيقل لنفسه، وقد رحلت عن مدينة حرّان، وأقمتُ بمصر في صدر كتاب: [من الطويل]

وكُنّـا نـرىٰ حَـرَّانَ أطيَـبَ منـزلٍ ... فَمُـذْ غبْتُـمُ عنهـا استَبـانَـت عيُـوبُهـا
وبـانَ لنـا صِـدْقُ الـذي قـالَ قَبْلَنـا: ... هـوىٰ كُـلِّ نَفْـسٍ حيـثُ حَـلَّ حبيبُهـا

وقال يرثي شيخه أبا الفتح ابن المنيّ: [من البسيط]

إنْ روَّقَ الليـلُ جـافىٰ الجَنْبُ مَضْجَعَـهُ ... يبكـي بـدَمْـعٍ غـزيـرٍ واكـفٍ هَطِـلِ
وإنْ بـدا مُشْكِـلٌ فـي الشـرعِ مُنْغَلِـقٌ ... أتـىٰ بـهِ ظـاهـراً فـوراً علـىٰ عَجَـلِ

(١) ترجمته في: مرآة الزمان ٨/ ٥٢٤ ـ ٥٢٥. التكملة لوفيات النقلة ٢/ ٥٩ رقم ٨٧٣. ذيل الروضتين ص٥١ ـ ٥٢. الجامع المختصر لابن الساعي ٩/ ١٥٦ ـ ١٥٧. المختصر المحتاج إليه ٣/ ٩٢ رقم ٩٢٥. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٠١ ـ ٦١٠) ص٥٨ رقم ٢٩. العبر ٢/ ٢. النجوم الزاهرة ٦/ ١٨٧. شذرات الذهب ٥/ ٣ ـ ٤. ذيل ابن رجب ٢/ ٣٦ ـ ٣٨. التاج المكلل ٢١٧ ـ ٢١٨.

فَــــرَحْمَـــــةُ اللهِ تَتْلُـــوهُ وتَنْقُلُـــهُ إلــى الجِنــانِ وهــذا غــايــةُ الأمَــلِ

[٣٦٦]

عبدُ المنعم بنُ نصر الله بن أحمدَ / ٧٥ب/ بن محمد بن أحمدَ بن محمد بن أحمدَ بنَ حَواريٍّ بن حطَّانَ بنَ المُعلَى بنَ حطَّانَ بنَ سعدَ بنَ زيد بن لوذانَ بن غَنم بن السَّاطع، وهوَ النعمانُ بَنُ عَديٍّ بَن عبدَ غطَفانَ بن عمَرو بَن شَريحٍ، أبوَ الفضل بنُ أبي الفتحِ التنوخيِّ.

أصله من معرّة النعمان، وهو دمشقي الولادة والمنشأ، فقيه حنفي عالم بالخلاف ومسائله، . . . . . لأصحاب أبي حنيفة ـ رضي الله عنه ـ وسمع حديثًا كثيراً بالشام، وكان يعظ الناس على المنبر، ويحفظ القرآن، وعرف تفسيره، وشخص إلى الديار المصرية، فتوفي بها في أحد الربيعين سنة تسع وعشرين وستمائة، وكانت ولادته سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة.

وكان منقطعًا إلى الملك المعظم شرف الدين عيسى بن محمد بن أيوب ـ صاحب دمشق ـ وبعده لأخيه الملك الأشرف مظفر الدين موسى.

أنشدني نصر الله(١) ولده بمدينة إِربل؛ قال: أنشدني والدي لنفسه يمدح الملك عيسىٰ: [من الكامل]

إنِّـــي عَتَبْـــتُ علـــى العِهـــادِ بجلِّـــقٍ فـــأجَـــابنـــي ودمـــوعُـــهُ تَتَقـــاطَـــرُ
كيـــفَ القُفـــولُ إليكُـــمُ ومَليكُكُـــمْ عيســـىٰ المُعَظَّـــمُ وهْـــوَ بحـــرٌ زاخِـــرُ

/ ٧٦أ/ وأنشدني؛ قال: أنشدني فيه أيضًا يمدحه: [من البسيط]

أحيـا النفـوسَ بـإحيـاءِ الـرَّجَـاءِ لهـا فَلَـمْ يَشُـكَّ الـورىٰ فـي أنَّـهُ عيسـىٰ
وكَـمْ لـهُ مِـنْ يَـدٍ بيضـاءَ قَـدْ ظَهَـرَتْ للنـاظِـريـنَ فقـالـوا إنَّـهُ مـوسـىٰ

---

(١) وهو «ابن شقير».

ترجمته في: شذرات الذهب ٥/ ٣٤١. الجواهر المضيئة ٢/ ١٩٧ ط حيدر آباد. تأريخ معرة النعمان ٣/ ٢١٩ ـ ٢٢١. الأعلام ٨/ ٣٠ ـ ٣١.

[٣٦٧]
عبدُ المنعم بن صالح بن أحمدَ بنِ محمدٍ التيميُّ القرشيُّ الاسكندريُّ النحويُّ الأديبُ(١).

إمام كامل ذو فنون من العلوم، متوحد فيها، نزل تمصر وهو بها مقيم، يقرىء العلم والأدب، ويفيد الناس، وهو رجل مطبوع المعاشرة، طريف الجملة والتفصيل، له شعر حسن في الهجو.

أنشدني أبو إسحاق إبراهيم بن أبي عبد الله بن إبراهيم الأسكندري؛ قال: أنشدني أبو الفضل صالح بن أحمد بن محمد التيمي النحوي الأسكندري لنفسه، في وزّان كان بين يدي صفي الدين عبد الله بن علي بن شكر المصري، وكان اسمُهُ «حسنًا»: [من المنسرح]

يا حَسَنًا نونُهُ مُقَدَّمَةٌ ... فلا رَعا اللهُ مَنْ يُؤَخِّرُها

/٧٦ب/ كُلُّ أيادي الصَّفيِّ صافيَةٌ ... لكنَّ وزَّانَها يُكَدِّرُها

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه في إنسان يعرف بالهدهد جاءه ولدٌ أسود:

[من الرجز]

قدْ ولدَ الهُدْهُدُ أُعْجوبَةً ... غُرابَ نَوحٍ أسْوَداً حالكا

ما صَدَقَ الهُدْهُدُ فيما ادَّعى ... بَلْ كَذَبَ الهُدْهُدَ في ذَلكا

وأنشدني؛ قال: أنشدني عبد المنعم لنفسه في إنسان يعرف بالتالحيب بن شكر؛ قراءته على خرا الفيل أبي الحسين: [من البسيط]

ذا التَّالحيبُ بنُ شُكْرٍ في قِراءَتِهِ ... على خَرَا الفيلِ مَعْنًى غَيْرَ مَشْكُولِ

ما كانَ يَغْمُزُ منهُ طُولَ لِحْيَتِهِ ... وعَرْضَها أبداً إلاَّ خَراَ الفيلِ

---

(١) في هامش الأصل: «توفي ليلة الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، ومولده يوم الثلاثاء السادس والعشرين من شعبان سنة سبع وأربعين وخمسمائة بمصر».
ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٩/ ٢١٩ رقم ٢٠٢. التكملة للمنذري ٣/ ٤١١ رقم ٢٦٤٦. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٣١ ـ ٦٤٠) ص١٥٢ ـ ١٥٣ رقم ١٨٤. بغية الوعاة ٢/ ١١٥ ـ ١١٦ رقم ١٥٨١.

وقال في الشرف بن الحباب ـ قاضي ثغر الإسكندرية ـ من قصيدة أولها[١]:

[من الطويل]

وماذا على البَيْنِ الذي كانَ جائراً إذا ما تَعَدَّىٰ الجَوْرَ فينا إلى العَدْلِ

شَفَانا مِنَ البَيْنِ اجتماعٌ مِنَ الشَّمْلِ فَصُلْنا على جيشِ القَطيعةِ بالوَصْلِ

(١) البيتان من قطعة في الوافي ١٩/ ٢١٩ قوامها ٥ أبيات.

ذكر من اسمه عبد الواحد

[٣٦٨]

عبدُ الواحد بنِ أبي سالمِ بنِ جعفرِ بنِ محمدٍ، أبو محمدٍ المصريُّ[(١)].

كان فقيهًا شافعي المذهب، شاعراً يعرف الأدب والعروض، ويحفظ كثيراً من أشعار العرب.

ورد مدينة السلام، ونزل بالمدرسة النظامية واثبت بالخبز والمشاهرة، ولم يزل بها مقيمًا، إلى أن توفي يوم الاثنين ثامن المحرم سنة أربع عشرة وستمائة، ودفن بجانبها الشرقي بدرب الخبازين.

وكان حاذي اللسان من الشعراء المذكورين في خدمة الديوان العزيز الناصري وله في الإمام الناصر لدين الله ـ أمير المؤمنين ـ مدائح كثيرة.

أنشدني أبو الحسن علي بن محمد بن صدقة الخفاجي البغدادي الشاعر؛ قال: أنشدني أبو محمد المصري لنفسه من قصيدة: [من الكامل]

بيْضـاءُ قـدْ لَعِـبَ الصِّبـا بقَـوامِهـا ... وأقـامَ فيـه قيَـامَـةَ العُـذَّال
رأت انْهِمَـالَ مَـدَامعـي فَتَبَسَّمَـتْ ... فَنَضَـتْ عَقيقـاً عَـنْ عُقُـود لآلـي
/٧٧ب/ . . . معـاطفهـا الـوشـاح فـأسْلَمَـتْ ... شَمْـلَ العَبيـر إلـى هُبُـوب شَمَـال
أو ضـلَّ واشِيهـا المُضَلِّـلُ أنَّنـي ... سَـالِـي الهـوىٰ فـي ريقهـا السَّلْسَـال

ومنها:

أو أنَّ قلبـي راحَ منهـا خـاليـاً ... أوْ مـنْ هـواهـا فـي الـزمـان الخَـالـي
مـا روحُ بَلْبَـالـي غَـدَاةَ تَحَمَّلَـتْ ... فـي الظَّـاعنيـنَ مُجَـدَّدٌ بَـلْ بَـالـي
قَـدْ قُـوبلَـتْ بـالحُسْـنِ كُـلُّ جِهَـاتِهـا ... مِـنْ حيـثُ عَنَّـتْ أقْبَلَـتْ بجَمَـال

---

(١) ترجمته في: تأريخ ابن الدبيثي/ الورقة ١٧٥ (باريس ٥٩٢٢). التكملة للمنذري ٢/ ٣٩١ رقم ١٥١٦.
ستأتي هذه الترجمة مكررة لاحقًا برقم ٣٦٩.

وأنشدني الشريف علي المظفر بن الفضل الحسيني؛ قال: أنشدني أبو محمد المصري لنفسه، يهجو إبن العصّار اللغويّ البغدادي: [من مجزوء الكامل]

أَضْحَتْ عيوبُكَ باديَهْ ... لغَريبِ جَهْلِكَ حاشيَهْ
يا كُلْبَ كَلْبِ بَني سُلَيْـ ... ـمَ عَبيدِ أَهْلِ الباديَهْ
ما إِنْ رأَيْتُكَ مُقْبِلاً ... كالدَّلْوِ نيطَ بِرَاوِيَهْ
إلاَّ قَرَأْتُ كأنَّهُ ... ﴿أعْجازُ نَخْلٍ خاوِيَهْ﴾[1]

وقال أيضًا: [من البسيط]

/ ٧٨أ/ الروحُ في لَثْمَة الساقي إذا نَعَسا ... والوجْدُ في قول مَقْتُول الصُّدود عسىٰ
ما للْهوىٰ مُذْ هوىٰ نَجْمي بساحَته ... أَحْسَنْتُ فيه لَمَحْبُوب إلَيَّ أسَا
لَم يُبْق مِنْ جَلَدي عُقْبَىٰ .... إلاَّ الزفيرَ وإنْء أعلَىٰ لهُ نَفَسا
ومِنْ نَوىٰ ذا اللَّمَا ظامِ مُوَشَّحُهُ ... أُغْضي لديه فَيُبْدي لَحْظُهُ شَوَسَا
قَدْ أرْدفَ الرِّدْفُ مَنْهُ في الضلوعِ حَوًى ... والسَّاقُ ساقَ رَسيًّا في الفؤاد رَسَا
يَسْعَىٰ بكَوْكَب راحٍ مِنْ زُجاجَته ... كأنَّهُ مِنْ سَنَى خَدَّيْه قَدْ قُبِسَا
مازِلْتُ أمْزِجُها مِنْ خَمْرِ رِيقَتِه ... حتى أضَاءَ مِنَ الدَّيْجورِ ما الْتَبَسَا

[٣٦٩]

عبدُ الواحدِ بنُ أبي سالم المصريُّ[2].

يمدح تاج الدين التكريتي: [من الوافر]

بكَ الأيامُ مُثْمِرَةُ الأماني ... فدامَ بها سُعُودُكَ والتَّهاني
ولا زالَتْ حُلَيُّ الفَضْلِ يهْنَىٰ ... ويَرْفُلُ في مغانيكَ الحسَان
لقدْ أصبحتَ تاجَ الدِّينِ تاجًا ... علىٰ الإسلامِ كُلِّلَ بالجُمَانَ
وللعُلماءِ قدْ أصبحتَ ظِلاًّ ... ظَليلاً للأقَاصي والأدَاني
/ ٧٨ب/ وكَمْ لكَ أوَّلٌ في كُلِّ مجدٍ ... ومَا لَكَ أنتَ في العلياءِ ثاني

(١) سورة الحاقة: الآية ٧.
(٢) مرت ترجمته برقم ٣٦٨.

رددتَ إلـى العلـوم عُلُـوَّ شَـأنٍ ... خفضْـتَ بـه مكـانـةَ كُـلِّ شَـانـي
تُعَـوِّذُ بـالمَثَـانـي كُـلَّ يـومٍ ... إذا أُلْقِيْـتَ تفسيـرَ المَثَـانـي
فَـدُمْ تحيـا ليَحْيَـا كُـلُّ ظَـنٍّ ... بجـود منـكَ للعـافيـنَ دَانـي
وعِـشْ لبَنيـكَ فـي عُمْـرٍ طـويـلٍ ... بعيـدَ الشَّـأو مُمْتَـدَّ العنـان
لتَبْلُـغَ فيهـمُ وَلْيَبْلُغـوا فـي ... عُـلاكَ الأمْـنَ مِـنْ غِيَـرِ الـزمـان
فَـرَاقـدُ قـدْ أَحطْـنَ ببَـدْرِ تَـمٍّ ... ومـا فـي الأُفْـقِ إلاَّ الفَـرْقَـدَان
لمَـدْرَسَـةِ النِّظـام بـلا انتظَـامٍ ... رفعـتَ محلَّهـا أعلـى مكـان
ولَـمْ لا تَسْتَنِيـرُ وقَـدْ حَـوَاهـا ... إمـامٌ جـامـعٌ كُـلَّ المَعـانـي
تَهُـزُّكَ أرْيَحيَّـاتُ السَّجـايـا ... كمـا هَـزَّتْ شَمَـالٌ غُصْـنَ بَـان
ويَـأرَجُ فـي المحـافـلِ منـكَ ذِكْـرٌ ... كَنَفْـحِ المِسْـكِ فـي حُلَـلِ الغَـوَانـي
إذا مـا جـالَ مَـدْحُـكَ فـي ضَميـري ... حَبَسْـتُ بـه جَنَـانـي فـي جِنـانـي
فَحِلْمُـكَ لا يـزالُ مَـلاذَ جَـانـي ... وعلْمُـكَ لا يـزالُ ثِمـارَ جَـانـي
فَـدُونَـكَ مِـدْحَـةً عَـنْ ذي ولاءٍ ... بنَشْـرِ عُـلاكَ مُـرْتَهَـنُ اللِّسـان
/ ١٧٩أ/ فمـا حَـاكَ الـوليـدُ ولا ابـنُ أَوْسٍ ... لهَـا إبْنـاً ولا الحسـنُ بـنُ هـانـي
ودُمْ فـي المجـدِ مـا سجَعَـتْ حَمـامٌ ... بـألْحـانٍ كـألْحـانِ القِيَـان

[٣٧٠]

عبدُ الواحد بن إبراهيمَ بن الحسن بن نصر الله بن عبد الواحد بنِ أحمدَ بن الحسين، أبو نصر المعروفُ بابنَ الفقيه، البغداديُّ منشأً، المَوصليُّ مَولداً، الدسكريُّ أصلاً[(١)].

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٩/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨ رقم ٢٢٢، وفيه: «كنيته، أبو منصور». فوات الوفيات ٢/ ٤٠ ـ ٤١. ذيل تأريخ بغداد لابن النجار ١/ ١٨٨ ـ ١٩٠ رقم ٩٥. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٣١ ـ ٦٤٠) ص٢٩٤ رقم ٤١٣. التكملة للمنذري ٣/ ٥٠٨ رقم ٢٨٧٤ وفيه: «أبو منصور، عبد الواحد بن أبي محمد إبراهيم بن الحسن بن نصر الله بن عبد الواحد بن أحمد بن الحُصَيْن الشيباني البغدادي. مجمع الآداب ٣/ ٦١ رقم ٢١٨٩ ولقبه فخر الدين. الحوادث الجامعة ١٢٠ ـ ١٢١. فوات الوفيات ٢/ ٤١٣ ـ ٤١٤. العسجد المسبوك ٢/ ٤٨٦ ـ ٤٨٨.

والدَّسكرة قرية في طريق خراسان، قريبة من شهرابان(١)، من بيت ذوي أملاك وثناية، وثروة وكفاية، وفقه وولاية، ورواية ودراية(٢).

دخل عبد الواحد بن أحمد بن الحسن المعروف بابن الفقيه، إلى بغداد ولازم الشيخ أبا إسحاق الشيرازي ـ رحمه الله ـ واشتغل عليه، وانتفع به، وائتمَّ به بالفقه، وصار لا يعرف إلاَّ بالفقيه، وعرف بيته به حتى أنَّ أباه الحسن بن الحصين، صار لا يعرف إلاَّ بأبي الفقيه.

وحسن ظن الإمام المقتدي بالله فيه؛ فجعله وكيله. وجده الحسن بن نصر الله تولَّى أشراف المخزن. /٧٩ب/ المعمور في أيام المستضيء بأمر الله، وثقة الدولة أبو القاسم الحسن وهو أخو نصر الله، تولى صدرية المخزن المعمور في أيام المستظهر بالله.

وأبو نصر كان شاعراً مجيداً، كاتبًا سديداً، فصيح العبارة، متمكنًا من القول، أديبًا بارعًا فاضلاً، فمن شعره قوله: [من الوافر]

وما مُتَكَثِّرُ النَّظَرِ . . . . . . ولكنْ لا نظيرَ لهُ بمَعنىٰ
لهُ وجهانِ هذا غيرُ هذا ومِنْ هذا فوائدُ ذاكَ تُجْنىٰ
يُخَبِّرُ عنْ أمورٍ غائباتٍ متى ظهرتْ إلينا غابَ عَنَّا
ويركَبُهُ مِنَ الحشراتِ شيءٌ سعىٰ فيما عناهُ وما تَعَنَّىٰ
ويُؤْوي مِنْ ذواتِ الظِّلْفِ جَمْعًا وَممَّا في قرارِ البحرِ . . . . .
يشديرُ جوارِحًا ويُثيرُ وَحْشًا ويَحْمِلُ عِدَّةً ويَروضُ جِنًّا

(١) انظر: معجم البلدان/ مادة (الدسكرة).

(٢) في هامش الأصل: «أخبرني أنه ولد في درب خوارة، سنة خمس وستين وخمسمائة، وبلغني أنه توفي أوائل جمادى الاخرة سنة ست وثلاثين وستمائة.

قرأ الأدب على جماعة من مشايخ العراق، وسمع الخطيب أبا الفضل عبد الله بن أحمد بن الطوسي؛ وهو شاعر أديب فاضل [أخذ] منهم طرفًا من علم العروض، وله مزية على أضرابه غير الشعر، وتحسين المعاني، نحرير الألفاظ في كل ضَرْب منه.

شاهدته سنة أربع وعشرين وستمائة بمحوّل محلة بالجانب الغربي، فوجدته رجلاً طلق الوجه، ظاهر البشاشة، من أحسن الناس أخلاقًا، وأجملهم خطابًا، ذا أدب بارع، ونظم جيد فائق».

لــــه تـــاجٌ ومنطقَـــــةٌ فـــإمّـــا ....

وله أيضًا: [من الطويل]

ومـا حَيَـوانٌ إنْ يَغـبْ عنـكَ شَخْصُـهُ فـإنَّ اسْمَـهُ فيمـا أُحـاجـي تُـلاقيـه
تكَمَّــلَ إنســانـًا بتَضْعيــف نصْفِــه وتُبْـدي لَـكَ البَيْـداءُ تَضْعيـفَ بَـاقيـه

أملى علي جملة من أقاويله، ومما نشدني لنفسه وزعم / ٨٠أ/ أنه عمل هذه الأبيات بديهًا: [من الكامل]

قُـمْ عـاطنـي خَمْـراً يكـادُ شَميمُهـا يُحيـي بـه المَقْبُـورُ وهْـوَ رَميـمُ
فكـأنَّهـا شَمـسُ الضُّحـى وبُـرُوجُهـا أيْـدي النَّـدامـى والحَبَـابُ نُجُـومُ
يسعـى بهـا رَشَـأٌ كـأنَّ رُضَـابَـهُ ضَـرَبٌ زَهـاهُ لُـؤْلُـؤٌ مَنْظُـومُ
فـي كُـلِّ سهْـم مـنْ سهام لحـاظـه أجَـلٌ لمَـرْمـيٍّ بـه مَحْتُـومُ
دَبَّـتْ إلـى صـدْري عقَـاربُ صُـدْغَـه فـأنـا السَّليْـمُ بهـنَّ وهْـوَ سليـمُ
ومـنَ العجـائـبِ أنَّ هـذا ظـالـمٌ لا يَـرْعَـوي ومُحِبُّـهُ المظْلـومُ

وأنشدني لنفسه: [من البسيط]

قُم عاطني من شَمُول الراحِ شَمسَ ضُحًى بـراح بـدْر دُجًـى حُلْـو شَمَـائلُـهُ
مُـورَّدُ الخَـدِّ دَاجـي الفَـرْع فـاحمُـهُ عَـلُ الـرَّوادف واهـي الخَصْـر نـاحلُـهُ
يَسْتَـلُّ مـنْ بيـن جَفْنَيْـه لسَفْـك دَمـي مُهَنَّـداً فـوقَ خَـدَّيْـه حَمَـائلُـهُ
مـا سَحَـرُ هَـارُتَ إلاَّ فـي لَـوَاحظـه سَبْـيُ القلـوب وفـي الأجْفَـان بـابلُـهُ
تَخَـالُ نَـورَ الأقـاحـي فـي مُقَبَّلـه والغُصْـنَ مـا ضُمِّنَـتْ منْـهُ غَـلائلُـهُ
مَـن المُعيـنُ علـى وَجْـد بـه ومتـى جلَّـتْ لَـواذعُـهُ لَجَّـتْ عَـوَاذلُـهُ
أعْجَـبْ بـه مُعْـرضـاً عَنـي بـلاَ سَبَـب وفـي الخيـالَ تُـوافينـي رَسـائلُـهُ
/ ٨٠ب/ مـا زَلَّ عـنْ لحْظـه مـنْ قَـوس حـاجبـه سَهْـمٌ فـأخْطَـأ قلـبَ الصَّبْـر نـائلُـهُ
كـأنَّ فـي القلـب مغْنـاطيـسَ أنْصُلهَـا أو السِّهـامُ كنَـانـاتٌ مَقَـاتلُـهُ
يـرومُ رُؤْيـاهُ طَـرْفـي وهْـوَ مُسْهـرُهُ ويَشْتَهيـه فُـؤَادي وَهْـوَ قـاتلُـهُ

وأنشدني أيضًا قوله: [من البسيط]

وشـادنٍ بـابلـيِّ الطَّـرْفِ لـو رَشَقَـتْ لحـاظُـهُ قلـبَ هـاروتٍ لمَـا سَحَـرا

كأنَّ غانيةً فتَّ العبيرُ بها ... في فيه لمَّا ترشَّفتُ اللَّما سَحَرا
لمَّا أقرَّتْ بقتْلي وجْنتاهُ بدا ... خطُّ العذار على خدَّيه معتذرا
عاطيْتُهُ في ظلام الليل شمْسَ ضحىً ... دُرُّ الثُّريَّا على كاساته نُثرا
فقال لي وثنى مَنْ قدِّه غُصُنًا ... وشامَ مُبْتسمًا من ثغره دُرَرًا:
كيفَ السبيلُ إليها أو إليَّ بها ... والشمسُ ما ينبغي أنْ تُدْرِكَ القمرا
فقلتُ لمَّا رأى فيها محاسنَه: ... دَعْ ما سمعتْ وصدِّقْ ما ترى نظرا

وأنشدني أيضًا من شعره: [من مجزوء الرجز]

عِشْ خاملاً لا حاملاً ... في رُتْبةٍ ثِقْلَ الحَذَرْ
ونَمْ ولا تَنَمْ فإنَّ ... المُرْتَقى فيهِ الخَطَرْ
فالمرءُ لا يَسْقُطُ إلاَّ ... إنْ علا وإنْ ظَهَرْ
والريحُ لا تَقْلَعُ إلاَّ ... ما علا مِنَ الشجرْ

/ ١٨١أ/ وأنشدني أيضًا لنفسه: [من البسيط]

كانَ الأخلاَّءُ في الماضي منَ الزمنِ ... نعْمَ الذَّخائرُ في الأفراح والحَزَنِ
واليومَ خَيرُهُمُ مَنْ إنْ عَلَتْ يَدُهُ ... يُعَدُّ كَفُّ أذاهُ أعْظَمَ المِنَنِ

وأنشدني لنفسه(١): [من الكامل]

نفسي الفداءُ لمَنْ سَميري ذِكْرُهُ ... وحُشاشَتي في أسْرِه ووَثاقِهِ
رَشَأٌ لَوَ انَّ البدرَ قابَلَ وَجْهَهُ ... في تَمِّهِ لكَساهُ ثوبَ مُحاقِهِ
يَنْآدُ لينًا قَدُّهُ فكأنَّهُ ... غُصْنُ الأراكِ يَميسُ في أوراقِهِ
فمَعاطِفُ الأغصانِ في أثوابِهِ ... ومَطالِعُ الأقمارِ في أزياقِهِ
تبدو على وَجَناتِهِ لمُحِبِّهِ ... ما سالَ يومَ البَيْنِ مِنْ آماقِهِ
طَعْمُ السُّلافَةِ ريقُهُ وشُعَاعُها ... في خَدِّهِ واللطفُ في أخلاقِهِ
غَفَلَ الرقيبُ فَزارَني فَوَشى به ... في ليلِ طُرَّتِهِ سَنَى إشْراقِهِ
حتى إذا ما الليلُ مَدَّ رُواقَهُ ... وقضى بجَمْعِ الشَّمْلِ بعدَ فِراقِهِ

---

(١) القطعة في ذيل ابن النجار ١/ ١٨٩. الوافي ١٩/ ٢٤٨. فوات الوفيات ٢/ ٤٠ ـ ٤١ مع بعض الاختلاف في الترتيب والألفاظ.

هَجَمَ الصباحُ على الدُّجى بِحُسامِهِ … فَظَنَنْتُ أنَّ الصبحَ مِنْ عُشَّاقِهِ

وأنشدني له؛ يلغز في البومة: [من الطويل]

وما حيَوانٌ إنْ يَغِبْ عنكَ شَخْصُهُ … فإنَّ اسْمَهُ فيما أُحَاجي نُلاقيهِ
/ ٨١ب/ تصَحَّحَ إنْسَانًا بتَضْعيف نصْفه … وتُبْدي لكَ البيداءُ تَضْعيفَ باقِيهِ

وأنشدني لنفسه أيضًا: [من الكامل]

قسَمًا بحُبِّكَ إنَّ في قلبي إلى … رُؤْياكَ حَرًّا منْهُ صَبْري ذائبُ
فَلَوَ انَّ أشْواقي إليكَ تَجَسَّمَتْ … ضاقَتْ بهِنَّ مَشَارِقٌ ومَغَارِبُ
أوْ كُنَّ لي عَمَلاً يُرادُ حسَابُهُ … أعْيا بها المَلَكُ الحَفيظُ الكاتبُ

وأنشدني لنفسه في ثقيل: [من مجزوء الكامل]

وثَقيلِ طَبْعٍ مَنْ رَزا … نَتَهُ أديمُ الأرضِ شاكي
تَقَعُ الزلازِلُ إنْ مَشَىٰ … فالأرضُ دائمَةُ الحَرَاكِ
وكأنَّما كُرِهَ البسيـ … ـطَةَ تَحْتَهُ كُرْهَ المَحَاكي

وأنشدني أيضًا من شعره: [من مجزوء الرجز]

مَنْ مُنْصفي مِنْ ظالِمٍ … أسْهَرَ عيني ورَقَدْ
يَضْحَكُ منِّي كُلَّما … بَليتُ مِنْ طُولِ الكَمَدْ
فأدْمُعي وثَغْرُهُ … عَقْدُ عَقيقٍ وبَرَدْ
لكنَّ ذا مُنْتَظمٌ … وذا على خَدِّي بَدَدْ
بدرُ تَمَامٍ ما بَدَا … لناظرٍ إلاَّ سَجَدْ
/ ٨٢أ/ وقالَ ما قالَ النَّصا … رَىٰ في المسيحِ واقْتَصَدْ
إذْ لَمْ يقُلْ حينَ بَدَا … بأنَّهُ الفَرْدُ الصَّمَدْ
مُقْتَدِيًا فيهِ بمَنْ … للبَدْرِ والشمسِ عَبَدْ
حتى إذا صارَ الضَلا … لُ فيهِ دينًا يُعْتَقَدْ
خَطَّ علىٰ أسيلِهِ … عِذَارُه لَمَّا وَرَدْ:
يا قومُ لا تَفْتَتِنُوا … ما اتَّخَذَ اللهُ وَلَدْ
أُعيذُهُ بِهَلْ أَتَىٰ … وقُلْ هُوَ اللهُ أحَدْ

مـــنْ كَيْـــدِ كُـــلِّ كـــائـــد وحـــاســـد إذا حَسَـــدْ
مَـــا فـــاتَـــكُ الألْحَـــاظ لاً يَفْتِـــكُ فـــي قتلـــى أحـــدْ
فمـــا علـــى المـــوْلـــى إذا مـــا قتَـــلَ العَبْـــدَ قَـــوَدْ

ووجدت له هذين البيتين في غلام رمدت عيناه: [من السريع]

قـــالـــوا أهـــذا رَمَـــدٌ أمْ خَبَـــتْ شقـــائـــق النُّعْمـــان عَيْنـــاهُ
فقلـــتُ: كَـــلاَّ سَيـــفُ ألْحَـــاظِـــه مُخْتَضَـــبٌ مِـــنْ دَمِ قَتْـــلاَهُ

وقال أيضًا: [من الوافر]

/ ٨٢ب/ إذا وُدٌّ تَمَـــرَّضَ بَيْـــنَ قـــوم وأحْـــوَجَ أنْ يَـــدَاوى كـــالعليـــلُ
وصـــارَ الـــوصـــلُ بينهُـــمُ سَبيـــلاً إلـــى هَجْـــر وهجْـــران طـــويـــل
فـــذاكَ القُـــرْبُ أقـــربُ منـــهُ نفعـــاً مُقَـــاطَعَـــةٌ علَـــى وَجْـــه جَميـــلِ

وقال أيضًا: [من الرمل]

أنْـــتَ مـــا دُمْـــتَ غَنيّـــاً مُـــوسِـــراً لـــكَ كُـــلُّ النـــاس خـــلٌّ وحَبيـــبْ
ذا يُـــدَاجيـــكَ وهـــذا وُدُّهُ لـــكَ مَبْـــذُولٌ وذا منـــكَ قَـــريـــبْ
فـــإنِ احْتَجْـــتَ إليْهِـــمْ مَـــرَّةً قُلِبَـــتْ عنـــكَ وُجـــوهٌ وَقُلُـــوبْ

ذكر من اسمه عبد الرزاق

[٣٧١]

عبدُ الرزاق بن أحمدَ بن الخضْر بن أحمدَ بنِ صالحٍ، أبو محمدٍ العامريُّ الأَطرابلسيُّ، المدعَو بالبديعِ[1].

من شعراء الشام، غزير الشعر يكثر من قوله. رحل إلى الديار المصرية، قاصداً الملك الناصر صلاح الدين أبي المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي ـ رحمه الله تعالى ـ ليمدحه، واتصل ببني أيوب فسيَّر فيهم مديحًا كثيراً.

ولعلَّ / ١٨٣أ/ ديوان شعره يزيد على عشرة أجلاد، ومُعظمه مرذول قليل العيون، إلاَّ أنه ما يخلو من فائدة ومعانٍ، وربما مَرَّ له أبيات صالحة.

ولم يكن شهر بالشعر كشعراء عصره، وكان يأخذ نفسه بصناعة الترسل، والإنشاء الكتابي؛ صار إليَّ من نظمه كتاب سمّاه «دُرُّ المدائح ودَرُّ المنائح» وجعل في مقدمته خطبة ذكر فيها فضيلة الشعر ومدحه.

وخرج عن مصر طالبًا البلاد الجزريّة، إلى مدينة آمد، فانحاز في جملة مليكها الصالح أبي الفتح محمود بن محمد بن داود بن سليمان بن أرتق، فأكرمه وصيَّره أحد ندمائه وجلسائه، فولاه الإشراف على . . . . بالعربية ولم يزل متوليًا إلى أن مات بذلك.

وأخبرني من شاهده بآمد، سنة خمس وستمائة؛ وقال: كان شيخًا ربعة يَتَزَيّا بزيِّ الجند، ويلبس القلنسوة ذات القندس[2].

وكان مشغوفًا بالخمر، مصرّاً عليها، ذا نعمة واسعة، وحشمة وزي حسن وغلمان، وكان الصاحب ضياء الدين أبو القاسم أحمد بن شيخ السلامية وزير صاحب

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٨/ ٤٠٤ ـ ٤٠٥.

(٢) القندس: حيوان تتخذ منه الفراء.

آمد، . . . . . في حقّه ويكرمه ويقرّبه وينعم عليه.

/ ٨٣ب/ وكان أبو الحسن علي بن محمد الساعاتي الشاعر بمصر، فاقتضت أن عمل إبن الساعاتي دعوة، وجمع إليه جماعة من أصدقائه، من الديار المصرية، وغيرهم وفي جملتهم عبد الرزاق الشاعر، وكان يومئذ مقيمًا بمصر، وكان مع ابن الساعاتي ألف دينار مصرية، فحار أين يخبّئها، فألقاها في حُبِّ الماء، وفي ظنّه أنَّ أحداً لا يفطن لذلك، فشرب من كان عنده من أصدقائه الماء، واستعملوه، ولم يبق في الحُبِّ ماء، فقام بعض من كان عنده يستقي ماء، فوجد الألف دينار، فأخذها فلما أراد ابن الساعاتي أن يأخذها من الحُبِّ لم يجدها فشقَّ ثيابه، ولطم وجهه؛ فقال عبد الرزاق لابن الساعاتي يعنيه[1]: [من البسيط]

يا عادمَ الألْف مِنْ بعْد التَّبَذُّل في ... تَحْصيلها في زمان عَزَّ لُقْيَاهُ
قدْ كانَ مالُكَ ماءُ الحُبِّ أمّلَهُ ... كما عَلِمْتَ وماءُ الحُبِّ أفْناهُ

وأنشدني أسفنديار بن عثمان بن اسفنديار الديلمي البغدادي بحلب؛ قال أنشدني عبد الرزاق له: [من السريع]

/ ٨٤أ/ يا ظالمًا لولاهُ ما كانَ لي ... عندَ إلٰهي في غَدٍ ذَنْبُ
كَلَّفْتَني في الحُبِّ ما لَمْ أُطِقْ ... وبعضُ ما كَلَّفْتَني صَعْبُ

وقال في الغزال: [من البسيط]

آسُ العذَار أسًى للهائمِ الدَّنِفِ ... ألِفْتُهُ مُذْ بَدَا في الخَدِّ كالألِفِ
تعانَقَ الصُّبْحُ والظلماءُ وائتَلَفا ... وما ائتلافُهُما إلاَّ على تَلَفي

وقال في مثله: [من السريع]

وشادن شَدَّ فُؤادي الأسى ... في حُبِّه شدَّ البُزاة البُغاثْ
لمَّا تَرَدَّى الحُسْنَ رَدَّ الرَّدى ... نَحْوي وجِسْمي فيه للسُّقْم لاثْ
عِذارُهُ الآسيُّ في خَدِّه الـ ... ـوَرْديِّ في السَّلْوَة والصبْر عَاثْ
كالمِسْكِ في الجَمْرِ انتهى لَبْثُهُ ... والمِسْكُ في الجَمْرِ قليلُ اللَّبَاثْ

---

(١) الوافي ١٨/ ٤٠٥ قوامها ٣ أبيات.

أَسْرَفَ فِي الصَّدِّ ولاَ ذَنْبَ لِي ... والصَّدُّ لا يَحْسُنُ فوقَ الثَّلاَثْ

وقال أيضًا: [من الوافر]

سِيَاجُ الورد أحسَنُ كُلَّ وقتٍ ... بعَيْنِ الصَّبِّ مِنْ وَرْدِ السِّيَاجِ
فَهذا كالسِّيَاجِ على ظَلاَمٍ ... وهذا كالظَّلاَمِ على السِّراجِ

وقال في المعنى أيضًا: [من الوافر]

/ ٨٤ب/ تَبَدَّىٰ فوقَ عارضه عِذَارٌ ... بذلكَ قامَ عُذْري واحْتجَابي
فَحارَ العاذلونَ لَهُ وقَالُوا ... يَواقيتُ مُوَشَّاةٌ بِزَاجِ
فقلتُ سِيَاجُ آسٍ فوقَ وَرْدٍ ... وهَلْ وَرْدٌ يكونُ بِلا سِيَاجِ

وقال أيضًا: [من الهزج]

عَديمُ الناسِ مَنْ كانَ إلى ذي البُخْلِ مُحْتاجا
وما يُغْنيهِ أَنْ يَفْتَـ ... ـحَ نَحْوَ الهَجْوِ مِنْهاجا
فَدَعْ عنكَ المُهَاجَا ... ةَ فلَنْ يُفْلِحَ مَنْ هَاجَىٰ

وقال يستدعي صديقًا له إلى مجلس شراب: [من الرمل]

يَوْمُ أُنْسٍ وسُرورٍ وفَرَحْ ... وكُؤوسٍ قدْ تَغَشَّتْ بالمُلَحْ
وشُمُوسٍ كَشُمُوسٍ أشْرَقَتْ ... بُرُجُها الكأسُ وطَاسٌ وقَدَحْ
ومُغَنٍّ لَيسَ يَعْدُو لَفْظُهُ ... في التَّغَنِّي كُلَّ معنًى مُقْتَرَحْ
وغُلامٍ يُخْجِلُ البدرَ إذا ... لاحَ فالَّلاحي عليه ما أَلَحْ
فأْتِنا لاَ فَاتَنا منكَ المُنىٰ ... فالمنىٰ مُغْتَبَقٌ أوْ مُصْطَبَحْ

وله في القناعة: [من مجزوء الكامل]

إرْبأْ بنَفْسِكَ أَنْ تكو ... نَ لكُلِّ مَنْ تلقاهُ عَبْدا
/ ٨٥أ/ إنَّ السُؤالَ مَذَلَّةٌ ... والقَنْعُ يُولي المَرْءَ مَجْدا
مُرٌّ لِمَ يُبْلَى بِهِ ... وأَمَرُّ منهُ أنْ يُرَدَّا

واقترح عليه حسام الدين دمرداش بن عز الدين الجاولي في مجلس شراب، أن يجيز له هذا البيت، وقد غُني به بين يديه: [من مجزوء الخفيف]

لي حبيبٌ فَدَيْتُهُ ... مِثْلَهُ ما رأيتُهُ

والشعر للعماد الكاتب، فقال ارتجالاً: [من مجزوء الخفيف]

يا مَنِ القلبُ بيتُهُ … أيُّ شيءٍ جَنَيْتَهُ
كُلُّ ما تَرْتَضيه لي … مِنْ بَلائي ارْتَضَيْتُهُ
في فؤادي سِرُّ الهوىٰ … عَن فؤادي خَفَيْتُهُ
فَلماذا أراكَ تَنْـ … ـشُرُ ما قَدْ طَوَيْتَهُ
لَيْتَ شعْري وقَلَّما … نَفَعَ المرْءَ لَيْتُهُ
لِمْ غَداً يُؤْثِرُ القَطِيـ … ـعَةَ مَن لي اصْطَفَيْتُهُ
/٨٥ب/ بَيْعَةَ الغَبْنِ باعَني … مَنْ بقلبي اشْتَرَيْتُهُ
بانَ لي منْهُ ما اشْتَهَيْـ … ـتُ ومَا لا اشْتَهَيْتُهُ
إن أقُلْ قد سَلَوْتُهُ … منْتُ فيما ادَّعَيْتُهُ
وإذا غَيْرَهُ ذَكَرْ … تُ فإنِّي عَنَيْتُهُ
أيُّ سَهْمٍ إلى فؤا … دي بكَفِّي رَمَيْتُهُ
ما وَقاني منهُ حُسَا … مٌ بمَدْحٍ إنْتَضَيْتُهُ
لسَماحٍ عنهُ وعن … حاتمٍ قَدْ رَوَيْتُهُ
دَامَ لي مضا شَدَا امْرُؤٌ: … لي حبيبٌ فَدَيْتُهُ
وتَلاهُ بقَوْلِهِ: … يا مَنِ القلبُ بيتُهُ

[٣٧٢]

عبدُ الرزاق بن أبي الغنائم بنِ ياسين التيميُّ القرشيُّ الضَّريرُ.

من أهل دقُوقا[(١)]؛ خرج عن بلده سنة خمس وثمانين وخمسمائة إلى إربل ونزل بقرية من قراها تدعى البشقرة، وحفظ القرآن بها على كثير بن عطية الباحباري.

ودخل إربل وأقام بها مدَّة، ورحل /٨٦أ/ عنها إلى الموصل، ولزم الشيخ أبا الحرم، فجوَّد عليه قراءة القرآن تلقينًا، وقرأ على العزّ عبد الكريم بن أحمد بن محمد بن حومية ..... تجويداً.

(١) بلدة بين إربل وبغداد. انظر: معجم البلدان/ مادة (دقوقاء).

وتوجه إلى بلاد الشام سنة ست وثلاثين، واستوطن دمشق، وتفقه على أبي القاسم عبد الملك بن زيد بن ياسين الدولعي الفقيه الشافعي، واشتغل على تاج الدين الكندي، وقرأ طرفًا من علم العربية، وسمع الحديث، وهو بهات مقيم له حلقة بالجامع يُقرىء القرآن، وطرق القراءات وتعليلها.

سألته عن ولادته؛ فقال: تكون تقديراً سنة ثمان وستين وخمسمائة. ومع ذلك، اطبع في عمل الشعر، يقول منه القصائد والمقطعات.

أنشدني لنفسه؛ بمدرسة الشيخ أبي عبد الله محمد بن أبي الفضل ابن زيد بن ياسين الدولعي في أوائل المحرم سنة أربعين وستمائة في النوق: [من الكامل]

وكـريمـة تَحْنُـو علـى أرْبـابهـا … فَتُقَـلُّ أيْـديَهُـمْ فُـوَيْـقَ المَنْكِـبِ
حتـى إذا حَمَلَـتْ بـه أهـوىٰ لَهـا … ضَـرْبـًا ولَيْسَـتْ بـالظَلُـوم المُـذْنِـبِ
فـإذا العصـيُّ تكَنَّفَـتْ أكْنَـافَهـا … جـاءَتْ كمثْـل العـارضِ المُتَحَلِّـبِ
/ ٨٦ب/ تَهْـي إذا ضُـرِبَـتْ بشَهْـدٍ جَـامـدٍ … وَهْنـًا وتَحْبِسُـهُ إذا لَـمْ تُضْـرَبِ

وأنشدني لنفسه: [من الوافر]

سَـلِ الـرُّكبـانَ عَـنْ أمَـةِ الـرَّحيـمِ … أبـاقيـةٌ علـى العهـد القـديـمِ
أمِ الأيـامُ حُلْـنَ دَوْيْـنَ عَهْـدي … وصَيَّـرْنَ المَـوَدَّةَ كـالـرَّمِيـمِ
سقـىٰ اللهُ الفـراقَ بكُـلِّ كَـفٍّ … غَـداةَ البَيْـنِ شَـوْبـًا مـنْ حَميـمِ
ولا بَـرِحَـتْ يَـدُ الأيّـام صَفْـراً … مـنَ البَيْـنِ المُشَـتِّ بكُـلِّ رِيْـمِ
رُوَيْـدَكَ حَـادِيَ الأظْعَـانِ رِفْقـًا … بِصَـبٍّ هـائـمٍ قَلَـقٍ سَقيـمِ
رَهيـنِ صَبَـابَـةٍ وأسيْـرِ شَـوْقٍ … مُقيـمٍ فـي جَـوانحـه قَـديـمِ
يُعَـذِّبُـكَ البعَـادُ وفـي التَّـدانـي … فَمَـا يَنْفَـكُ مـنْ ألَـمٍ أليـمِ
وَيُـذْكِـرُهُ دَقـوقَـةَ كُـلَّ وَقْـتٍ … علـى سَخَـطِ النَّـوىٰ مَـرُّ النَسيـمِ
فَيَشْـرَقُ بـالـزُّلالِ العَـذْبِ طَـوْراً … ويَفَهَـقُ تَـارَةً بجَـوًى مُقيـمِ
ومـا يَنْفَـكُّ مـنْ وَلَـهٍ وَشَـوْقٍ … إلـى تِلْـكَ المَعَـالِـمِ والـرُّسـومِ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من البسيط]

لا غَـرْوَ أنْ صُـمَّ يـومَ الـدِّيـنِ مَسْمَعُـهُ … وأنْ جـرىٰ سـاعـةَ التَّـوْديـعِ مَـدْمَعُـهُ

واهـاً لمُكْتَئِبٍ أَوْدى الغرامُ بِهِ ... ما تأتَلي زَفَراتُ الوَجْدِ تَلْدَغُهُ
/ ٨٧أ/ تُصَرِّعُ الأُسْدَ يومَ الرَّوْعِ سَطْوَتُهُ ... لكنْ عُيونُ المَها في السِّلْمِ تَصْرَعُهُ
لَوْ لَمْ يَلُذْ بالهوىٰ ما أَنَّ مِنْ أَسَفٍ ... وَهْناً وَلا ذُرِفَتْ في الدَّارِ أَدْمُعُهُ
مَنْ ذا الذي لَمْ يَذُبْ في الحُبِّ مِنْ كَلَفٍ ... إذا تَلَظَّتْ بِنارِ الهَجْرِ أَضْلُعُهُ
يا حاديَ العيسِ لا ذُقْتَ الفِراقَ ولا ... وَنَتْ عِهادُ الحَيَا تَسْقيكَ . . . . . .
رِفْقاً بِمَنْ باتَ يَرْعَىٰ النَّجْمَ أَرَّقَهُ ... حَرُّ التَّفَجُّعِ لَوْ يُجْدي تَفَجُّعُهُ
مُوَلَّهٌ قَلِقٌ حَيْرانُ أَسْلَمَهُ ... إلى الصَّبابَةِ والبَلْبالِ مَطْمَعُهُ
حَليفُ شَوْقٍ أَسالَ البَيْنُ عَبْرَتَهُ ... لَمْ يَدْرِ أَنَّ صُروفَ الدَّهْرِ تُوقِعُهُ
يُخادِعُ الحُبَّ خَوْفاً أَنْ يَموتَ بِهِ ... وما تَوَهَّمَ أَنَّ الحُبَّ يَخْدَعُهُ
يَأْوي إلى زَفَراتٍ لَيسَ يَقْطَعُها ... إلاَّ التَّأَوُّهُ آناً أَوْ تُقَطِّعُهُ
هُوَ الغَريبُ الذي أَوْدىٰ بِغُرْبَتِهِ ... حَرُّ الغَرامِ وأَرْداهُ تَوَجُّعُهُ
إذا تَذَكَّرَ أَيّاماً بِكاظِمَةٍ ... فاضَتْ نَجيعاً على ما فاتَ أَدْمُعُهُ

وأنشدني لنفسه يتذكر وطنه: [من الرمل]

إنَّ في قلبي مِنَ الشَّوْقِ حَريقَا ... يَتَلَظَّىٰ عِنْدَ ذِكْراي دَقُوقَا
مَوْطِنٌ كُنْتُ بِهِ في نِعْمَةٍ ... لا أرىٰ إلاَّ وَلِيّاً أَوْ صَديقا
والغَريبُ الدَّارِ لا يَصْغُو إلى ... شُرْبٍ يَوْماً ولَوْ كانَ رَحيقا

/ ٨٧ب/ وأنشدني لنفسه: [من الخفيف]

إنَّ داعي الهوىٰ إليهِ دعاني ... فَدَعاني مِنَ المَلامِ دَعاني
يا خَليلَيَّ خَلِّياني وقَلْبي ... واتْرُكاني شَأْنَ الغَرامِ وشاني
ضِقْتُ ذَرْعاً بِذي المَلامَةِ في الحُبِّ . . . . . إنْ كُنْتُما تنصحاني
وادْعُواني إلى الصَّبابَةِ إنّي ... سَأُجيبُ الدَّاعي بغيرِ تَوانِي
وَعَداني بِوَصْلِ مَنْ شَفَّني سُقْـ ... ـمٌ بِحُبِّيهِ ساعَةً فَعَداني
وانْظُراني حتى أُعَلِّلَ قلبي ... بالأَماني رَيْثَما تَنْظُراني
لا يَغُرَّنَّكُما أَنيني وَلَوْعا ... تُ فُؤادي وَفَيْضُ دمعي القاني
وبُكائي خَلْفَ الرَّكائِبِ ذَيّا ... كَ سُروري وعِيشَتي وأَماني

[ذكر من اسمه عبد الباقي]

[٣٧٣]

عبدُ الباقي بنُ نصرِ بنِ هبةِ الله بنِ يحيى بن رضا، ابن العمرانيِّ الأزديّ.

أصل آبائه من قرية تدعى العمْرَانيّة، من قرى الموصل الشرقية[١]، يكنىٰ أبا المظفر بن أبي الفتح؛ من أبناء الرؤساء الأجلاء، ومن بيت مشهور معروف في الولايات الديوانية، والأعمال / ٨٨أ/ الجليلة السلطانية.

قد صحب الشيخ عبد العزيز بن أحمد بن هاجر الموصلي المُقري، وختم عليه القرآن المجيد، وحفظه حفظًا جيداً، وقرأه للسبعة والعشرة، وسمع الحديث، وأتقن صدراً وافراً من فقه الإمام الشافعي - رضي الله عنه - على أبي المجد إسماعيل بن هبة الله بن باطيش الموصليّ، حتى تميَّز فيه.

وكتب خطاص حسنًا؛ وكان يقول الشعر الرقيق، يمدح به الأعيان من الناس، ولم يقصد بذلك أجراً ولا رِفْداً، وحج بيت الله الحرام، وتزيّا بزيّ أهل الديانة والصلاح، ولم يكن في أهله وعترته مثلَه، في حُسْنِ طباعٍ وسلامة جانب.

نزل مدينة حلب في سنة أربع وعشرين وستمائة، واستوطنها، وكان يرتزق من جامكية المدرسة . . . النورية، مُضافًا إلى مسجد كان يصلي فيه إمامًا الصلوات الخمس، وكان له يد قوية في خياطة السجاجيد والمرقعات وربما تمشت أحواله بها، لكونه لم يكن له جهة غيرها.

لقيته بحلب المحروسة في سنة أربع وثلاثين وستمائة، واستنشدته شيئًا من أشعاره / ٨٨ب/ فأنشدني كثيراً منها، إلاّ أني لم أقيد شيئًا عنه، لأنه كان يضنّ بها، ويعتذر إليّ من قصوره في هذا الشأن.

---

(١) انظر: معجم البلدان/ مادة (العمرانية).

وكان رجلاً تقيًا ساكنًا متواضعًا عاقلاً، ضعيف الحال، مستوراً، ليِّن الجانب، خيِّر الطباع.

ولم يزل نحيفًا متمرضًا، وكان قد استولى عليه مرض السلّ حتى أذهب قوته، واصفرَّ لونه، وبقي به بُرهة من الزمان يعالج نفسه ويتطبب، ولم ينفعه ذلك، ثم انقطع في بيته مدَّة، وطال به المرض، تُوفي في ليلة السبت ثالث جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين وستمائة، ودفن بمقام الخليل إبراهيم ـ عليه السلام ـ قِبْلِي حلب.

وكانت ولادته فيما أخبرني من لفظه في الليلة المسفرة عن صباح يوم الثلاثاء الثالث عشر من صفر سنة ثمان وسبعين وخمسمائة، بالموصل بمحلة شاطىء النهر، بزقاق الاكلة.

وكان قد أوصى بعد موته؛ أن يُغسل جميع ما قاله من الشعر، فغسله الموصى له فوقع عند بعض المعارف جزء فيه من شعره، وهو بخط يده، فاستعرته فتأملته فإذا فيه أقطاع متعددة، كان أنشدنيها / ١٨٩أ/ ـ رحمه الله ـ في حال مذاكرتي له.

ولازم الشيخ أبا عبد الله الفارقي المقرىء نحو عشر سنين، وقرأ عليه القرآن تجويداً، حتى أحكم قراءته غاية الإحكام، وشهد له شيخه الفارقي بالحذق في القراءة، ولم يكن بعد شيخه أبي عبد الله محمد الفارقي مثلُه في قراءة القرآن وآدابه وتجويده، ومخارج الحروف، وتفرَّد بهذا الشأن على قرّاء وقته.

فمما أنشدني لنفسه؛ قوله: [من مجزوء الرجز]

كَمْ وَعَدُوا وأَخْلَفُوا ... وعاهَدُوا ولَمْ يَفُوا

وكَمْ دَمٍ قَدْ سَفَكُوا ... ومُهْجَةٍ قَدْ أَتْلَفُوا

وكَمْ مُحِبٍّ قَتَلُوا ... يومَ النَّوىٰ وانْصَرَفُوا

أَظَلُّ في آثارِهِمْ ... مُناشِداً تَوَقَّفُوا

ساروا ولَمْ يَرْثُوا لهُ ... وفي الفَيَافي عَسَفُوا

ترحلوا وفي الحُدو ... جِ أَغْيَدٌ مُهَفْهَفُ

بطَلْعَةٍ كالبَدْرِ لـ ... ـكِنَّ البُدورَ تَكْسِفُ

وقامَةٍ كالغُصْنِ قَدْ ... جَارَ عليها الهَيَفُ

ومَبْسَـــم كـــالــــدُّرِّ إذْ ... فُتِّـــحَ عنـــهُ الصَّـــدَفُ
/ ٨٩ب/ مُــزَرْفَــنُ الأصــداغِ لا ... مــي العــذار أوْطَــفُ
فــي خَــدِّه وَرْدٌ وفــي ... فيــه سُــلافٌ قَــرْقَــفُ
وفــي سَنَــى ألحــاظــه ... سيــفٌ صقيــلٌ مُــرْهَــفُ
كــمْ مِــنْ دَمٍ أراقَــهُ ... بخَــدِّه لــو عَــرَفُــوا

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من البسيط]

إنْ أنجَـدُوا جيـرَةُ الحَـدْبـاء أوْ غَـاروا ... أوْ أتْهَمُـوا بـالمَطَـايـا بَعْـدَ مـا سـارُوا
أوْ عَـذَّبـوا عَـذْبَ التعـذيـبُ أوْ بَعُـدُوا ... قَـرَّبـتُ حُبًّـا وإنْ شَطَّـتْ بـيَ الـدَّارُ
وأنْكَـرَ الطَّـرْفُ رُؤْيـاهُـمْ فـإنَّهُـمُ ... طُول المدىٰ في سَوَيْدَا القَلب حُضَّارُ
لـي فـي تـذكـرهـم سـرٌّ تتلىٰ بـه معنًى ... وإنْ أوحـش القطـا فـلا عَـارُ
فالهَتْكُ صَوْني وعَذْلي في الهوىٰ عُذُرٌ ... وَصِحَّتـي سَقَـمٌ والصَّمْـتُ تَـذْكـارُ
هُـمُ هُـمُ واصَلُـوا صَـدُّوا دَنَـوا بَعُـدُوا ... أحبَّتـي عَـدَلُـوا فـي الحُكْـمِ أمْ جَـارُوا
فَتُخْصِـبُ الأرضُ منهُـمْ أيَّـةً سَلَكُـوا ... فَهُـمْ غُيُـوثٌ لهـا حَقًّـا وأمْطَـارُ

ونقلت من خطِّه قوله: [من الكامل]

حَتَّـى مَ أكْتُـمُ لَـوْعَتـي وأسْتُـرُ ... ومَـدَامعـي تُبْـدي الغـرامَ فَيَظْهَـرُ
/ ٩٠أ/ وأُسِـرُّ وجْـدي والحنيـنُ يُـذيعُـهُ ... ولهيـبُ أنْفـاسـي بـذلـكَ تُخْبـرُ
أهـوى المَـلامَـةَ فـي الهـوى ويَسُـرُّنـي ... عَـذْلُ العَـوَاذل فيكُـمُ كـي يَـذْكُـرُوا
وَيْـحَ العَـوَاذل فـي المـلامـة طَـوَّلُـوا ... عَـذْلـي ولَـوْ شهـدُوا . . . . قَصَّـرُوا
عَـذَلـوا بجَهْلِهـمُ ومـا عَـرَفُـوا الهـوىٰ ... حقًّـا ولـو عَـرَفُـوهُ مثْلـي أعْـذَرُوا
قَـلَّ الـوفـاءُ فـلا حَميـمٌ يُـرتَجـىٰ ... للنـائبـات ولا صـديـقٌ يُـدْخَـرُ
رفْقًـا بقلبـي إنَّ بَيْـنَ جـوانحـي ... أسـرارَ حُـبٍّ عَـنْ ضميـري تُضْمـرُ
لا تتْهمَـونـي بـالسُّلُـوِّ فـأضْلُعـي ... تُطْـوىٰ علـى حُـرَق بهـا تَتَسَعَّـرُ
واهْـدُوا إلـى جَفْنـي الـرُّقـادَ عسـىٰ أرىٰ ... رُؤْيـا تُـؤَوَّل بـاللِّقـا وتُفَسَّـرُ
حـاشـايَ أُضْمِـرُ سَلْـوَةً عَـنْ حُبِّكُـمْ ... وأُعيـذُكُـمْ يـا سـادَتـي أنْ تهْجُـرُوا

ونقلت من خطِّه أيضًا شعره: [من البسيط]

كَم في الحشا حُرَقٌ مِنْ زَجْرَةِ الحادي ... يومَ الرحيلِ لَصَبٍّ مُغْرَمٍ صَادي
وَكَمْ دمُوعٍ جَرَتْ في إثْرِ عيسهُمُ ... حتى تَلاَطَمَ منها شاطىءُ الوادي
وَكَمْ مُحَبٍّ لَهُمْ قَدْ خَلَّفوهُ لَقًى ... لمَّا تَوَلَّوا وأَقْوَىٰ منهُمُ النَّادي
تَحَمَّلَتْ عيسُهُمْ أرْواحَنا سَحَراً ... ما أشْبَهَ الحَيَّ . . . .
ساروا فكَمْ حسرَةٍ في طَيِّها أسَفٌ ... في طَيِّها زَفْرَةٌ في طَيِّ أكبادِ

/ ٩٠ب/ ونقلتُ من خطِّه أيضًا قوله؛ وكان بإربل كما عرضَ وعنّ:

[من الطويل]

خَضعْتُ ذَليلاً حينَ عَزَّ مَرامي ... وقَلَّ اصطبَاري حينَ زادَ غرامي
وحالَفَني فَرْطُ السُّهادِ ومَلَّني ... جَليسي وطَرْفي بالمَدامعِ دَامي
فَمَنْ مُنْقذي مِنْ لوعَةِ البَيْنِ والأسىٰ ... ومُهْدٍ إلى رَبْعِ الجَيْبِ سَلامي
عساهُ بأنْ يَرْثي لِما بي مِنَ الجوىٰ ... ويُنْقذُني مِنْ لَوْعَتي وهُيَامي

وقوله: [من الرجز]

عَصْرُ الصِّبا تَصَرَّمَت أيَّامُهُ ... وانْقَرَضَتْ في حُبِّكُمْ أعْوامُهُ
فَما احْتِيالُ مُغْرَمٍ ذي لوعَةٍ ... وفَّىٰ ولَمْ يُرْعَ لَهُ ذِمامُهُ
حُجَّتُهُ ظاهِرَةٌ وإنَّما ... خصومُهُ على الهوىٰ حُكَّامُهُ
ذلَّتُهُ تَعَزُّزٌ ورِفْعَهُ ... كذاكَ في صِحَّتِهِ سَقَامُهُ
أنفاسُهُ . . . . ودَمْعُهُ يَرْويكُمْ سَجَامُهُ
يزدادُ وَجْداً وغراماً كُلَّما ... تزايَدَتْ على الهوىٰ لُوَّامُهُ
وكُلَّما تكاثَرَتْ عُذَّالُهُ ... زادَ اشْتِياقاً ونَما هُيَامُهُ

/ ٩١أ/ وقال وقد طُلب منه المعنى: [من السريع]

زارَتْ بجُنْحِ الليلِ ذاتُ الوشَاحْ ... فَطبَّقَ الآفاقَ ضوءُ الصباحْ
فاسْتَيْقَظَ الرَّكْبُ لأجْلِ السُّرىٰ ... قُلْتُ: اهْجَعُوا بَرْقٌ مِنَ الشَّرْقِ لاحْ

وقال وكان بإربل: [من الطويل]

تَرنَّحَ مِنْ بَرْحِ الغرامِ مُتَيَّمٌ ... عَشيَّةَ جَدَّ البَيْنُ والنُّوقُ تُرزَمُ
وأخفىٰ تَبَارِيحَ الجوىٰ ليلةَ النَّوىٰ ... وفي قلبِهِ نارُ الأسىٰ تتضَرَّمُ

وكيـفَ يـذودُ الهمَّ أوْ يُطْعَـمُ الكَـرىٰ ... وقـدَ أعْـرَقَ الحـادي بهـمْ وَهْـوَ مُشْئِـمُ
أَلَمَّـتْ سُلَيْمَـىٰ والظَّـلامُ يَجُنُّهَـا ... فَتَـمَّ عليهـا حُسْنُهَـا والتَّبَسُّـمُ
تَبَـدَّتْ كَبَـدْرِ التَّـمِّ لـولاَ مُحَـاقُـهُ ... وكـالشمـسِ إلاَّ أنَّهـا هـيَ أعْظَـمُ
أحَلَّـتْ صُـدُودي واستَحَلَّـتْ قَطيعَتـي ... فَـوَصْلِـي علـى مَـرِّ الـزمـانِ مُحَـرَّمُ

وقال وكان بعين القيارة في صحبة نفيس الدين أبي الفتح نصر بن عيسى بن جزري: [من الطويل]

سـأشْكُـرُ دَهْـري مـا حَييْـتُ مَطَـالعـًا ... تَجلَّـتْ بقُـرْبِ العيـنِ منـكَ سعُـودُهـا
يُـرنِّحُنـي شـوقـي إليهـا فـأنْثَنـي ... أُعَلِّـلُ نَفسـي أنْ تَعُـودَ عُهُـودُهـا

/ ٩١ب/ وقوله: [من الكامل]

سَهْـمُ الفـراقِ أصـابَ حَبَّـةَ قلْبِـهِ ... لمَّـا تعَـرَّضَ للـوَداعِ لصَحْبِـهِ
وتـزايَـدَتْ أشْجَـانُـهُ وغَـرامُـهُ ... لمَّـا سَـرَتْ أيْـدي المَطِـيِّ بحِبِّـهِ

وقال وكان بالعقر في بستان الزعيم الشربدار، وكان به بركة مليحة، وبها ماءٌ صاف وبطيخ وتفاح؛ وسُئل أن يعمل في هذا المعنى شيئًا، وكان حال وصوله ونزوله هناك: [من مجزوء الكامل]

يـا بـركـةً جَمَعَـتْ معـانـيَ قـدْ خُصِصْـتُ بهـنَّ وَحْـدي
دَمْعِـي وَخَـدِّي عِنْـدَ ذِكْـرِ مُعَـذِّرِي وصفَـاءَ وُدِّي

وقال، وكان فارقَ تاج الدين ابن خاله معين الدين ـ رحمه الله ـ بإربل وأقام على بعده بها، وضاق صدره لذلك: [من الخفيف]

/ ٩٢أ/ تـاجَ ديـنِ الإلـهِ إنَّ اصْطِبـاري ... قَـلَّ مـنْ بَعْـدمـا تـرَحَّلْـتَ عَنِّـي
واعْتَـرَتْنـي نَـوَائِـبٌ لـو تَفَـرَّغْـتُ زمـانـي لبَثِّهـا لـم يَسَعْنـي

وقال وكان مريضًا، وقد دخل إليه شيخه عبد العزيز بن أحمد بن هاجر، وكان قد صحبه، وختم عليه القرآن المجيد: [من الخفيف]

فيـكَ عبـدَ العـزيـزِ أضحـى فـؤادي ... لـمْ يـزلْ بَيْـنَ خيفَـةٍ ورَجـاءِ
أتَخشَّـىٰ الفِـراقَ عنـدَ التَّـدانـي ... وأُرَجِّـي اللِّقَـاءَ عنـدَ التَّنـائـي

وقال وكان بإربل، في منزل ابن عمِّه أثير الدين أبي حامد محمد بن علي بن

الحسن بن العمراني: [من الوافر]

لـكَ البُشْرىٰ فقدْ نَجَمَ السُّعُودُ ... بما تَهْوىٰ وقدْ كُبتَ الحَسُودُ
وقد نالَ المُوالي ما تَمَنَّىٰ ... وأَعْطَتْهُ الأماني ما يُريدُ
فلا زالَتْ بكَ الأيامُ تَسْمُو ... وظِلُّ عُلاكَ مُخْضَرٌّ مَديدُ

وله في خاله الصاحب معين الدين أبي القاسم: /٩٢ب/ ابن أبي طالب بن كسيرات، بمنًى وقد حجَّ عديله وكان يوم عيد النحر: [من الطويل]

تَهنَّ بعيد النَّحْر يا خيرَ صاحبٍ ... لَهُ في المعالي طارفٌ وتَليدُ
فلا زَالَتَ الأيّامُ تَأتي وتَنْقَضي ... وأنتَ على رَغْمِ الحَسُود سعيدُ
ورأيُكَ فيما تبْتَغيه مُوَفَّقٌ ... وفعْلُكَ في كُلِّ الأمُور حَميدُ
وَضِدُّكَ مَكْبُوتٌ وَنِدُّكَ خَاضعٌ ... وَظِلُّكَ مُخْضَرُّ الجَنَاب مَديدُ
وقَولُكَ مَسْمُوعٌ وأمْرُكَ نَافذٌ ... ويَومُكَ مَشْهُودٌ ودَهْرُكَ عيدُ

وقال في المرحوم وهو بالطريق بالحجاز بديهة في تلك السنة:

[من مجزوء الكامل]

حُثَّ المَطيَّ بلا فُتُور ... بالصَّاحب المولىٰ الكبير
وبذكْره فتَغَنَّ لي ... تَخْدي وتُعْنقُ في المَسير[1]
يا صَاحَا فاقَ الورىٰ ... بالفَضْل والجود الغزير
يا مَنْ سَحابُ أكفِّه ... يُغْني عن العام المَطير
ويَرَاعُهُ تُحْمَىٰ بـه ... قمَمُ الصَّياصي والثُّغُور
فَعَطَاؤُهُ قبْلَ السُّؤا ... لَ وَعُذْرُهُ بَعْدَ ....
/ ٩٣أ/ فاسْلَمْ وَدُمْ لا سَاوَرَتْـ ... ـكَ يَدُ الحَوادث في الدُّهور
لا زالَ جَدُّكَ سامياً ... يعلو على مَتْن الأثير
[ما غَرَّدَتْ قُمْريَّةٌ ... وشَدَتْ على غُصُنٍ نَضيرِ][2]

وقال: [من السريع]

---

(١) تخدي وتعنق: ضربان من السير.
(٢) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

لا زالَــتِ الأيَّــامُ تــأتــي بمــا ... تــأمُلُــهُ يــا أوْحَــدَ العَصْــرِ
وَعِشْــتَ فــي أمْــنٍ وَفــي رِفْعَــةٍ ... مَحْــرُوسَــةٍ مــنْ غيــرِ الــدَّهْــرِ
مَــا لاحَ نَجْــمٌ أوْ بَــدَا بَــارِقٌ ... أوْ أنَّ صَــبٌّ أوْ شَــدَا قُمْــرِي

وقال يهنئه بحلب، بالمدرسة في شهر شعبان من سنة أربع وعشرين وستمائة:

[من الطويل]

ولمَّــا وَقَفْنــا للــوَدَاعِ وأحْــدَقَــتْ ... بنــا أعْيُــنٌ للشَّــامتيــنَ نَــوَاظِــرُ
رَحَلْنــا فَغَــرَّبنــا وراحُــوا فَشَــرَّقــوا ... وفــاضَــتْ للَــوْعــاتِ الفِــراقِ المَحــاجِــرُ
وَســرْنــا وفــي طِــرْسِ النُّفُــوسِ وَدَائِــعٌ ... كــوَامِــنُ لَــمْ تَظْهَــرْ عليهــا الضَّمَــائِــرُ
سَــرَائِــرُ تُبْلَــى وَهْــيَ تَبْقَــى مَصُــونَــةً ... إلــى يَــومِ حَشْــرٍ فيــه تُبْلــى السَّــرائِــرُ
ولَــمْ نَقْــضِ مِــنْ أهــلِ الــوفــاءِ شُجُــونَنَــا ... ولَــمْ تُنْجِنَــا الأيّــامُ مِمَّــا نُحَــاذِرُ

وله أيضًا بحلب: [من الطويل]

/٩٣ب/ وإنّــي إذا قَــلَّ اصْطِبَــاري عنكُــمُ ... وزَادَتْ صَبَــابَــاتــي بكُــمْ وهُيَــامــي
أُحَمِّــلُ وَفْــدَ الــريــحِ إنْ ســارَ رَكْبُــهُ ... مُجِــدّاً إليكُــمْ لــوْعَتــي وغَــرامــي
ويَخْفِــقُ قلبــي نَحْــوكُــمْ كلَّمــا بَــدَا ... تَــألُّــقُ بَــرْقٍ مُنْجِــدٍ وتهَــامــي
وأمْنَحُكُــمْ صَفْــوَ الــودادِ لأنَّنــي ... لَمُغْــرىً بكُــمْ فــي رِحْلَتــي ومُقَــامــي
وقــدْ صِــرْتُ أهْــوَىٰ ذِكْــرَكُــمْ مِــنْ عَــوَاذلــي ... وأُكْثِــرُ إلْمــامــي بِهِــمْ لِمَــلامــي

[٣٧٤]

عبدُ الباقي بنُ محمد بن عليِّ بن إسماعيلَ بن عبد الباقي بن محمد بن أبي يعلىٰ بن عبد الله بن الخليل بن إبراهيمَ الوزيرُ، أبو المَظفَر بنُ أبي جعفرٍ، البغداديُّ أصلاً، الموصليُّ المولد والمنشأ[1].

كان قد أخذ من كُلِّ علمٍ طرفًا حسنًا كعلم النجوم والهيأة والأقليدس، وله يد في

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٨/ ١٤ ـ ١٦ وفيه: «توفي بحلب في أواخر الأيام المستنصرية». المشتبه للذهبي ٢/ ٦٣٨.

إنشاء الرسائل ـ وهي الغالب كانت عليه ـ وقرض الشعر، وكان ذا روية جيدة، وبديهة حاضرة، سريع الحفظ، يرجع إلى سماعه.

حدثني القاضي الإمام أبو القاسم عمر بن أحمد بن أبي جرادة الحلبي ـ أبقاه الله تعالى ـ قال: / ٩٤أ/ وصل أبو المظفر عبد الباقي بن محمد بن أبي يعلىٰ [من] الموصل إلى حلب في سنة إحدى وستمائة، وخدم الملك الظاهر غازي بن يوسف بن أيوب ـ رحمه الله تعالى ـ مستوفيًا في الديوان، وكان ابن أبي يعلى يتوصل إلى الملك الظاهر يجمع الأموال، ويظلم له الناس، ويفتح له أبوابًا يحمله على التعدِّي على الرعية، ارتفع مكانه عنده، وعظم محله، إلى أنْ تفرد بأمر الديوان، وكان الوزير نظام الدين محمد بن الحسين ـ صاحب سر الملك الظاهر والمتمكن عنده ـ وكان يحسِّن للملك خلاف ذلك من الإحسان إلى الرعية، وكفّ أيدي الظلمة، واحترام الأكابر، فاتفق موته، فقوي أمر ابن أبي يعلى بعده، ونفي شرف الدين ابن الحصين متولي ديوان الإنشاء، وصار بين [إبن] أبي يعلى وبينه عداوة في الباطن إلى أنْ مات ابن الحصين، فاستفحل أمر ابن أبي يعلىٰ، وعظم شأنه واستقلّ بالأمور كلها، ونظر في جميع أعمال الدولة، وأضاف الملك الظاهر إليه ديوان الإنشاء، ولم يزل كذلك إلى أن مرض الملك الظاهر، مرض موته، وأوصى بالملك بعده لولده الملك العزيز محمد ثم / ٩٤ب/ بَعدُه للملك الصالح، وأن يكون الوزير إبن أبي يعلى على ما هو عليه، في خدمة ولده الملك العزيز، واستوثق ابن أبي يعلى من الأمراء بالأيمان على ذلك، وحدثته نفسه بأشياء انعكست عليه بعد ذلك.

كان الملك الظاهر لما مات جعل إبن أبي يعلى يظهر التيه العظيم الزائد والجبروت، ويأخذ نفسه بأمور الملك، ويكلِّم الأمراء بكلام خشن؛ إنَّ أتابك طغرل، سرّ إليه في أمر؛ فقال: وهو أيش هو خازن وليس له كلام في أمر الدولة ؟

وقال للأمير سيف الدين بن أبي قليج في كلام جرى بينهما في تدبير أمر الملك: أيش هذه الصبيانية ؟ حتى همَّ به الأمراء.

وكان يمضي ويجلس في دار العدل، مكان السلطان ويقول: اطلبوا الحاكم ـ يعني القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم قاضي القضاة ـ ويكتب له

في التواقيع، وكتب بالإشارة المولوية الصاحبية الوزيرية، وبرسالة الأمير شهاب الدين طغرل إلى غير ذلك . . فاختلَّ أمره عند ذلك، وأجمع رأي القاضي الصاحب قاضي القضاة وجماعة الأمراء على تولية / ٩٥أ/ الأتابك شهاب الدين، أتابكية الملك العزيز، فولي له جميع أمور الدولة والحكم فيها، وفي القلعة والخزائن والمدينة.

وأحضر إليه نُواب الإنشاء والجيش والحجاب، وأمر ونهىٰ، فأجمع رأيه مع الصاحب قاضي القضاة والأمراء على عزل ابن أبي يعلى، فعزل بعد موت السلطان الملك الظاهر بعشرين يومًا، ولزم بيته ثم مرض، وأقام شهراً في مرض الداسنطاريا، وعوفي من المرض، فتقدم إليه بالخروج من حلب؛ فباع كتبه، وهيّأ أسبابه، وسار عن حلب في يوم السبت حادي عشر شوال من سنة ثلاث عشرة وستمائة.

وسار منها حتى مرَّ منها على حرَّان، وأراد المقام بها، والتعرض بخدمة الملك الأشرف، فلم يلتفت إليه، ومنعه من الدخول عليه.

وحكى لي الملك الأشرف أنه سيَّر إليه يطلب خدمته؛ قال فتقدمت بأنْ ليسَ له في بلادي شغل، ولا له عندي مقام، وتقدمتُ بإخراجه، وكنت قد اجتمعتُ به على الطور في خدمة الملك العادل والدي / ٩٥ب/ وقد سيَّره السلطان الملك الظاهر، فرأيتُ منه حماقة عظيمة فأبغضته، وانضم إلى ذلك ما بلغني عنه من تعسّفه وما اعتمده بعد موت السلطان الملك الظاهر، فمنعته من المقام في بلادي.

ثم إنَّ ابن أبي يعلى سار إربل، فألزمه صاحبها الملك المعظم مظفر الدين كوكبُوري بن علي بن بكتكين ـ رحمه الله تعالى ـ وأنزله عنده، ولكنه لم يستخدمه، وبقي في إربل مدَّة أشهر.

ثم كاتب ملك الشمال كيكاوس، ورغب في الوصول إليه، فسار من إربل، وتوجّه إلى بلد الشمال، واجتمع بعزِّ الدين كيكاوس، ثم إنه مرض، وحكى لي بعض أصحابه: أن كيكاوس نزل إليه وعادة في مرضه، ثم إنه فارق كيكاوس وانفصل عنه، فتوفي في قرية من قرى بلاد الروم.

وكان إبن أبي يعلى سيىء المؤاخذة لكلِّ أحد، قليل الصفح عمن جنىٰ. يقابل أقلَّ الناس على فعله.

وكان بحلب إنسان ظريف من ظرفاء المصريين، يقال له أبو عبد الله المصري الصوفي، وكان له اجتماع بالشرف إبن الحصين / ١٩٦أ/ ويُعرِّض بمثالبه، فبلغه ذلك عنه، فأسرَّه في نفسه إلى أن مات ابن الحصين فقطع معلومه الخانقاه، وبقي هذا المصري كذلك، إلى أن جرى لابن أبي يعلى ما جرى من خروجه من حلب، فخرج أبو عبد الله المصري، إلى ظاهر باب العراق، ووقف له حتى خرج سائراً من حلب، فتقدَّم إليه وخدمه وقال له: في أمان الله، فجرى على إبن أبي يعلى من ذلك شيء عظيم.

وحدثني الصاحب أبو البركات المستوفي ـ رحمه الله ـ في تاريخ إربل من تأليفه؛ قال: كان إبن أبي يعلى مقيمًا بالموصل مُطَّرحًا، فسافر إلى بغداد، فقيل إنه أراد ولاية المخزن الشريف الإمامي الناصري، فلم يجب إليها، فرحل إلى الشام، وأقام بحلب، وصار من أعيانها، متولي النظر في ديوانها، فلم تكن له الحظوة، حياة أبي المؤيد محمد بن الحسين الطغرائي، إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ فتقدم عند الملك الظاهر مدَّة حياته، فلما توفي لم يستقم له بعده أمر فورد إربل / ٩٦ب/ فتلقاه السلطان مظفر الدين، بضروب الإكرام، وصنوف الإنعام مدَّة مقامه بإربل، ثم سافر إلى بلد الروم فتوفي به.

وحدثني أيضًا؛ قال: كتب إلي إبن أبي يعلى بخطِّه لغزاً وضعه في صفة بيضة في شعبان سنع أربع وستمائة بحلب المحروسة. وحدثني من حمله إليَّ عنه أنه قال: لم يقدر أحدٌ على حلِّه، فلما حلَلَتُه تعجب من ذلك وهو:

«ما شيء من الحيوان وهو شبيه بالجمادات، نبطي الأصل والنجار، موجود في البلاد والأمصار، مكنون في الصدف، ليس بحيٍّ، ولا ميت وهذا من الظرف، وطبائعه مختلفة، والعقول بفضله معترفة، باطنه تبرٌ سائل، وهو في نوعه متفاضل، إذا شق لحاه غدا مفردا، وأضحى على العبادات مُنبِّهَا ومَسعدا».

وحدثني، قال: حدثني غير واحد عنه، أنه حدثه عنه، أنه رآني في المنام ليلة الاثنين من ذي الحجة من سنة لاث عشرة وستمائة، كان بقلعة حلب في مجمع كثير من الخلق، وفي آخر المجلس شخص أسمر كثّ اللحية متكهل / ١٩٧أ/ لابس ثوب فوط، وهو يتكلم ويدعو للملك الظاهر ـ رحمه الله تعالى ـ ثم رفع يديه إلى السماء، وأشار

بوجهه، وأنشد: [من السريع]

يا عالمَ الباطنِ والظاهرِ أغْفرْ لغازي الملك الظاهرِ
واسْكنْهُ في رَوْضٍ وفي جَنَّةٍ مَعَ النَبيِّ المصطفى الطّاهرِ
واكْتُبْ لهُ مَشْهَدَ آبائهِ أيُّوبَ ثمَّ الملكِ النَّاصرِ

ولما مات ببلاد الروم، مات بقرية يقال لها كادُك بين قيسارية وسيواس في اليوم السابع عشر من رجب سنة ثلاث[1] عشرة وستمائة، وحُمل إلى الموصل، إلى صحراء عناز فدفن بها، وقبره هناك؛ وألَّف كتابًا سمّاه «نخبة الكلم وروضة الحلم».

أنشدني ولده علي، قال: أنشدني والدي لنفسه ما كتبه إلى بهاء الدين أبي الفتح نصر بن محمد بن القيسراني، على سبيل المداعبة والإحماض: [من السريع]

يا أيُّها الصَّدْرُ الكبيرُ البَها ومَنْ غدا حلْفَ الحجَى والنُّهى
إنْ كانَ ذا التَّأخيرُ عَنْ مُوجِبٍ بأغْيَدٍ مُقْلَتُهُ كالْمَها
/٩٧ب/ فالعُذْرُ مقبولٌ بألْحاظِهِ إذْ كانَ رُؤْيا مثْلِه تُشْتَهى

وكتب إلى نور الدين أتابك أبي الحارث أرسلان شاه بن مسعود بن مودود ـ صاحب الموصل ـ: [من البسيط]

أحْيَيْتَ بالوَعْدِ آمالي فَبِتُّ لهُ على رجائكَ مَسْروراً بما أثِقُ
وعَزَّ دُوني بابٌ ضاقَ مَسْلَكُهُ فنابَ شعْريَ لمَّا عَزَّت الطُّرُقُ
سَبَقْتُ كُلَّ البرايا في مَحَبَّتِكُمْ حتى وَثِقْتُ بِسَبْقي دونَ مَنْ سَبَقُوا

ووجد على جزء بخطه؛ لما خرج من حلب، وكان ذلك بعد وفاة الملك الظاهر، وصاحبها يومئذ وهو طفل مرضع، وأتابك العسكر خادم يقال له شهاب الدين طغرل:

[من المتقارب]

أقولُ وَظَنِّيَ أنْ لا يَعُوا لأنَّهُمُ حُمُرٌ رُتَّعُ
كفى حَلَبًا وكفى أهلَها مُصَابًا حَوادثُها الأربَعُ
أتابَكُ عسْكَرِهِمْ خادِمٌ وسُلْطانُ مُلْكِهِمُ مُرْضَعُ

(١) في هامش الأصل: «أربعة».

رَئِيْسُهُـــمُ قـــاطِـــعٌ فـــي البُغَـــا وعَـــنْ نَيْـــلِ مُكْـــرُمَـــةٍ أقْطَـــعُ
/ ١٩٨أ/ فقـــوِّضْ خيَـــامَـــكَ عـــن أرضهـــمْ فَـــإنَّ مُقَـــامَـــكَ لا يَنْفَـــعُ
فمـــا أنـــتَ مـــنْ شَـــرِّهـــمْ آيَـــسٌ ولا لَـــكَ فـــي خيْـــرهـــمْ مَطْمَـــعُ
تـــأنَّ رُوَيْـــداً فَعَمَّـــا قليـــل تـــرىٰ أسعـــدَ القـــوم مَـــنْ يُصْفَـــعُ
فَجَـــارُهُـــمُ مثْلَمـــا قَـــدْ عَلمْـــتَ وَحَقِّـــكَ مـــنْ أشْعَـــب أطْمَـــعُ
يُحَصِّـــلُ مـــا لَيـــسَ مِـــن صَيْـــده ويَحْصـــدُ مَـــا لَـــمْ يكُـــنْ يَـــزْرَعُ

[ذكر من اسمه عبد الخالق]

[٣٧٥]

عبدُ الخالق بنُ أبي الفرجِ بنِ أبي بكرِ بنِ عليٍّ بنِ محبوبٍ، أبو محمدَ المسديُّ الحريميُّ.

من أهل الحريم الطاهري.

شاعر له شعر صالح، وقول لا بأس به، لم يقدر لي الاجتماع به، وإنما كتب إلي الإجازة بما قال من الأشعار. أنبأني لنفسه: [من الطويل]

يَدُوبُ فؤادُ العاشقِ الصَّبِّ حَسْرَةً ... تَزيدُ على مَرِّ الزمانِ أنينَهُ

على نَظْرَةٍ ممَّنْ يُحَبُّ وطالَما ... يُعالِجُ مِنْ فَرْطِ الغرامِ فُنُونَهُ

وتَبْلُغُ مِنْهُ حُرْقَةُ الوَجْدِ إنَّما ... تَلَجْلَجَ فيما تَقْبَلُ النَّفْسُ دُونَهُ

[٣٧٦]

عبدُ الخالق بن عبد الحميد /٩٨ب/ بن عبدِ الله، أبو الفضائلِ الوبريُّ الخَوارَزميُّ الضرير[(١)] الفقيهُ الحنفيُّ.

كان من رؤساء أصحاب أبي حنيفة ـ رضي الله عنه ـ وأئمتهم، عالمًا مناظراً متكلمًا أصوليًا فصيحًا، وإليه كانت الفتوىٰ والتدريس بخوارزم، وله مع ذلك حظ في علم الأدب والعربية، وعمل الأشعار وكان أديبًا بارعًا، حافظًا للغة، والأشعار العربية، ومُتَّشحًا في الآداب، وأستاذاً يشار إليه في قطره، يعتمد عليه في الفنون الأدبية.

حدثني القاضي الإمام أبو سالم محمد بن طلحة الفقيه المدرس الشافعي النصيبي، بحلب المحروسة؛ قال: حدثني أبو الفضل الوبري من لفظه؛ قال: أحفظ بعد كتاب المقامات وحماسة أبي تمام والجمهرة الدريدية، والرد على أحد وأربعين

---

(١) ترجمته في: مجمع الآداب ٢/ ٤٩٨ نقلها عن القلائد. الجواهر المضيئة ٢/ ٣٧٠ نقلها عن القلائد. الطبقات السنية رقم ١١٤٤.

ألف بيت من الشعر.

قال: أنشدني لنفسه: [من الطويل]

سقى الشِّعْبَ من حُزْوَىٰ ومَنْ ضمَّهُ الشِّعْبُ ... سَحَائبُ أُدْنَىٰ صَوْبها الوابلُ السَّكْبُ
/ ١٩٩أ/ وإنْ كَفَّ أوْ ضَنَّ السَّحاب فَعَبْرَةٌ ... يجودُ بها جَفْني إذا ذُكرَ الشِّعْبُ
فإنَّ لَنا بالشِّعْب مَلْهًى ومَلْعَبًا ... حَرامٌ علينا بعدَهُ اللَّهْوُ واللِّعْبُ
[وصَحْبًا نَأَوْا عنِّي بقَلْبي إذْ نَأَوْا ... فَلَمْ يَبْقَ لي قلبٌ ولمْ يَبْقَ لي صَحْبُ
كأنَّا بما وَلَّىٰ مِنَ العيشِ بينَهُمْ ... حُلُومٌ متىٰ اسْتَحْلَىٰ مَنامُهُمُ هَبُّوا][1]

وأنشدني أبو حامد سليمان بن حرابيك الإربلي، الفقيه الشافعي، قال: أنشدني أبو الفضائل لنفسه: [من السريع]

تَذَكَّرَ الجَزْعَ وآرامَهُ ... فَهاجَت الذُّكْرَةُ آلامَهُ
وظَلَّ يشتاقُ إلى منزل ... آسادُهُ تَخْدُمُ آرامَهُ[2]
يَصْبُو إلى الجَزْع وأيّامه ... إنْ ذَكَرَ الجَزْعَ وأيّامَهُ
يا لَيْتَ شعْري والمُنىٰ ضَلَّةٌ ... والدهْرُ يَنْأىٰ الخيرُ ما رامَهُ
هلاَّ طَرَقْتُ الحَيَّ يَشْتَدُّ بي ... أدْهَمُ يكْسُو الليلَ إظْلامَهُ
وصاحبي أبيضُ ذو رَوْنَق ... شَامَ سَنَى البَرْق الذي شامَهُ
كَعَزْم مولانا الأجَلِّ الذي ... سامَ زمانَ السُّوء ما سامَهُ
بُرْهان دين الله مَنْ أنْبَتَتْ ... عَزْمَتُهُ الشَّرْعَ وأحْكامَهُ
فالفضْلُ ما شَيَّدَ أركانَهُ ... والجهلُ ما نَكَّسَ أعْلامَهُ
لا يسكن الدَّهرَ وا...... ... إلّا إذا حرَّكَ أقلامَهُ
فهو الذي سلَّ على المعتدي ... . أقدامه
/ ٩٩ب/ وهْوَ الذي أهْدَىٰ إلى المُعْتَفِي ... بِرَأْيِه غَيَّرَ إعْدَامَهُ

وأنشدني، قال: أنشدني عبد الخالق قوله: [من السريع]

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.
(٢) هذان البيتان في مجمع الآداب ٢/ ٤٩٩ وبعدهما:
«حيث الرياض الحوُّ ملتفّة ... يُطيل فيها القطر إلمامه»

بـانَ ومـا ودَّعَنـي حيـنَ بـانْ أغْيَـدُ يَحْكـي قَـدَّهُ غُصْـنَ بَـانْ
بـانَ فَلَيْـتَ الـروحَ مـنْ بعـده عنِّـيَ فـي إثْـرِ مطـايـاهُ بَـانْ
ففـي الحَشَـا مـنْ شـوقـه لـوعَـةٌ تَمُـدُّهـا عينـان نضَّـاختـانْ
متـى تَـذَكَّـرْتُ مَغَـانـي الحمَـىٰ مُقْفَـرَةً أُحْبِـبْ بهـا مـنْ مَغَـانْ
وذلـكَ الظَّبْـيَ الغـريـرَ الـذي لحُكْمـه لَيْـثُ عفـرِّيـنَ دَانْ
إذا رَنـا فـالعيـنُ مثـلُ الظُّبـا وإنْ مَشَـىٰ فـالقَـدُّ كـالخَيْـزُرانْ
أَهَنْـتُ مـنْ ذكْـرِ الحمـىٰ عَبْـرَةً مَصُـونَـةً عَهْـدي بهـا لا تُهَـانْ
كَكَـفِّ عبـد الله يـومَ النَّـدىٰ أَوْ دَم مَـنْ عـاداهُ يـومَ الطِّعَـانْ
فَهْـوَ الـذي إنْ طَـرَقَـتْ أَزْمَـةٌ عَنَـا لجَـدْوىٰ كَفِّـه الـرَّافـدانْ(١)
وإنْ بَـدَتْ طَلْعَتُـهُ فـي الـدُّجـىٰ لـم يَبْـدُ مـن غُـرَّتهـا النَّيِّـرانْ
سَـلَّ علـىٰ الـدَّهْـرِ لـهُ عَـزْمَـةً تُـزْري علـى حَـدِّ الحُسَـامِ اليَمـانْ
/ ١٠٠أ/ أعَـدَّ للـرَّاجـي إذا أمَّـهُ عِـرْضـاً مَصُـونـاً ونـدًى لا يُهـانْ
يـا ثـانـيَ الخَطْـبِ العظيـم الـذي لَيـسَ لَـهُ فـي الفَضْـلِ والجُـوْد ثـانْ
ومَـنْ إذَا النِّكْـسُ وَنَـى فـي العُـلا أُلْفـيَ فـي كَسْـبِ العُـلا غَيْـرَ وانْ
أنـتَ الـذي يَشْـري بفَـانٍ مـنَ الـ أَمْـوَال حَمْـداً بـاقيـاً غَيْـرَ فـانْ

وأنشدني؛ قال: أنشدني لنفسه: [من الخفيف]

إنْ بَـدَا لـي مـنَ العقيـق عَقيقَـهْ أصْبَحَـتْ بـالبُكـاء عينـي حقيقَـهْ
لا أرىٰ كـالعقيـق فـي الأرض مَغْنًـى وكـأسمـاءَ فـي النسـاء عَشيقَـهْ
فَهْـوَ عنـدي بـأنْ يُحَـلَّ خَليـقٌ وَهْـيَ عنـدي بـأن تُحَـبَّ خَليقَـهْ
مَـنْ يَـذُقْ طَعْـمَ ريقهـا يَلْـقَ سُكْـراً لا يـرى منْـهُ نفسَـهُ مُسْتَفيقَـهْ
يـا ابْنَـةَ الفـاتـك المُشَيَّـع فـي مُعْـ ـتَـرَكٍ يُفْـرِجُ الصـوارمُ ضَيْقَـهْ
غـادَةٌ تُشْبِـهُ الفَـواقـعَ ثَغْـراً والمُـدَامَ القُطْـرُبُلِّيَّـةَ رِيقُـهْ
حَـرُّ يـومِ الفـراق حَـرَّقَ قلبـي ليـسَ يـومُ الفـراقِ حـامـي الـوَديقَـهْ
قَـدْ تَـركْـتِ العَـزاءَ منـي قتيـلاً وجعلْـتِ الفُـؤادَ منِّـي وسيقَـهْ

---

(١) عنا: ذلَّ وخضع.

ومنها يقول في المدح : [من السريع]

أحمدُ العارضُ الذي يحْمَدُ العا ... رضُ والبحرُ والسماحُ طريقَهُ
/١٠٠ب/ ولكُلٍّ طريقُهُ في التَّساخي ... ولهُ في السخاء كُلُّ طريقَهْ
ماجدٌ لو علا الخلائق طُرّاً ... لَعَلاهُمْ سماحةً وخَليقَهْ
ذو مَسَاعٍ جميلةٍ يتوالى ... دونَ إدْراكِهَا مَسَاعي الخَليقَهْ
يا صَئُولاً أذاهُ عَمَّ عِداهُ ... ووَصُولاً نَداهُ عَمَّ صَديقَهْ
خُذْ منَ الشِّعْرِ ما يُقِرُّ المَسَالِيـ ... ـقُ لِمَنْ صاغَهُ بحُسْنِ السَّليقَهْ
فالقَوافي أنيقَةٌ بسُرىً أرْ ... يَحيٍّ به المعاني أنيقَهْ
شجَراتُ العُلا بسُقْياكَ دامَتْ ... غَضَّةً حُلْوَةَ المَغاني وَريقَهْ

ذكر مفاريد الأسماء في العبيد

[٣٧٧]

عبد العظيم بنُ عبد الواحد بن ظافر بن الحسن بنِ عبد الله بن جعفر بنِ عَليٍّ بن إسماعيلَ بنَ تميمَ بنَ همامِ الطَائيٌّ، أبوَ محَمدٍ المصَريّ، المعروَفُ بابن أبي الأصبعَ[1].

حدثني الصاحب أبو البركات المستوفي ـ رحمه الله تعالى ـ قال: أخبرني عبد العظيم، أنه ولد بمصر في المحرم سنة تسع وثمانين وخمسمائة. وأصله من الميمون قرية من كورة/ ١٠١أ/ بوش، هكذا أملى علي.

ورد إربل في شهر رجب سنة ست عشرة وستمائة؛ شاب لطيف الأخلاق، حسن الفكاهة، أسمر شديد السمرة، طويل.

سألته أي أجداده أبو الإصبع؛ فقال: هو عبد الله، وسمي بذلك لإصبع زائدة في يده، فهم يعرفون ببني أبي الإصبع؛ ثم قال: وحدثني أنه سمع على أبي اليمن الكندي ـ رحمه الله تعالى ـ كتب من كتب أدب الشعرية.

---

(١) في هامش الأصل: «كانت وفاته ثالث وعشرين من شوال سنة أربع وخمسين وستمائة».
ترجمته في: فوات الوفيات ١/ ٦٠٧ ـ ٦٠٩. عيون التواريخ ٢٠/ ٩٥. الوافي بالوفيات ١٩/ ٧ ـ ١٣ رقم ١، وفيه: «العَدْواني توفي بمصر في الثالث والعشرين من شوال سنة أربع وخمسين وستمائة». تكملة إكمال الإكمال لابن الصابوني ص١٣ رقم٧. النجوم الزاهرة لابن سعيد ص٣١٨ ـ ٣٢١. المنهل الصافي ٧/ ٣٠٧ ـ ٣٠٩ رقم ١٤٥٠. الدليل الشافي ١/ ٤١٩ رقم ١٤٤٤. النجوم الزاهرة ٧/ ٣٧. شذرات الذهب ٥/ ٢٦٥. فوات الوفيات ١/ ٦٠٧ ـ ٦٠٩. حسن المحاضرة ١/ ٥٦٧. معاهد التنصيص ٤/ ١٨٠. ذيل مرآة الزمان ١/ ٢١ ـ ٢٣. المغرب في حُلى المغرب ٣١٨ ـ ٣٢١. بدائع الزهور ج١/ ق١/ ٢٩٣. السلوك ١/ ٤٠١. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٥١ ـ ٦٦٠) ص١٧١ ـ ١٧٢ رقم ١٥٩. مسالك الأبصار ٦/ ورقة ٢٣٠. كشف الظنون ٢٣٠، ٢٣٣، ٣٩١، ٧٢٧. إيضاح المكنون ١/ ٢٣١، ٢/ ٣٩١. معجم المؤلفين ٥/ ٢٦٥.

وحقق له حفني شرف: «بديع القرآن» ـ القاهرة ١٩٥٧. و«الخواطر السوانح في أسرار الفواتح» ـ القاهرة ١٩٦٠. و«تحرير التحبير» ـ القاهرة ١٩٦٣. كما كتب عنه دراسته بعنوان: «ابن أبي الإصبع المصري بين علماء البلاغة» القاهرة ١٩٦٩.

شاعر ذلق اللسان، أحسن في قوله غاية الإحسان، له في الشعر مجال فسيح، ونظر في صنعته صحيح كثر استعماله في لزوم البديع، حتى نال فيه المحل الرفيع.

خرج عن الديار المصرية، وجال في أقطار البلاد الشامية، ومدح ملوكها، ولقي سلاطينها، وكان عنده من كل صنف غريب من النوادر والمحاضرات مع معرفته بالنحو والعروض والقوافي، وعمل الموشحات.

أنشدني له سليمان بن سليمان الصائغ الإربلي الشاعر؛ قال: أنشدني عبد العظيم من قصيدة أوّلها[1]: [من الطويل]

تَصَدَّقْ بِوَصْلٍ إنَّ دمْعيَ سائلُ ... وزَوِّدْ فؤادي نظرةً فهْوَ راحلُ
فَخَدُّكَ موجودٌ به التِّبْرُ والغنىٰ ... وَحسْنُكَ مَعْدُومٌ لَدَيْه المُمَاثلُ
/١٠١ب/ أيا قَمَراً مَنْ شمس وَجْنَتِه لَنا ... وظلِّ عذارَيْه الضُّحىٰ والأصائلُ
تَنَقَّلْتَ مِنْ طَرْفٍ لقَلْبٍ مَعَ النَّوىٰ ... وهاتيكَ للبَدْرِ التَّمامِ منازلُ
إذا ذَكَرَتْ عَيْناكَ للصَّبِّ دَرْسَها ... مِنَ السِّحْرِ قامتْ بالدليلِ الدلائلُ
جَعَلْتُكَ بالتَّمييزِ نَصْباً لناظري ... فَهلَّا رَفَعْتَ الهَجْرَ والهجْرُ فاعلُ
ولمَّا أضَفْتَ السِّحْرَ للجفْنِ بَيَّنَتْ ... بِه الكَسْرَ مِنْ غُنْجِ الجُفُونِ العَوامِلُ
أعاذلُ قدْ أبصَرْتَ حبِّي وَحُسْنَهُ ... فإنْ لُمْتَني فيه فما أنتَ عادلُ
مُحَيَّاهُ قنْديلٌ لِدَيْجُورِ شَعْرِه ... تُعَلِّقُهُ بالصُّدْغِ منها السلاسلُ
غدا القَدُّ غُصْناً منهُ يَعْطِفُهُ الصَّبَا ... فلا غَرْوَ أنْ هاجَتْ عليه البَلابلُ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه يمدح الملك الأشرف موسى بن محمد بن أيوب[2]: [من الطويل]

أظُنُّ خيالَ العامريَّةِ قدْ ضَنَّا ... وحاشاهُ لكنْ ليسَ لي مُقْلَةٌ وَسْنَىٰ
وكيفَ يزورُ الطَّيْفُ صَبّاً يراقبُ الـ ... ـنُّجومَ إذا ما لَيْلُهُ مَوْهناً جَنَّا
سَميري ما للطَّيْفِ ذَنْبٌ لأنَّهُ ... رأىٰ خدْنَهُ وَهْوَ الكرىٰ قدْ جَفا الجَفْنا

---

(١) في الوافي ١٩/٧، وفوات الوفيات ٢/٦٠٧، والدليل الشافي ١/٤١٩، بيتان منها. وفي النجوم الزاهرة لابن سعيد ص٣٢١ أبيات منها.

(٢) بيتان منها في الوافي ١٩/١٣، والنجوم الزاهرة لابن سعيد ص٣٢١.

وكَمْ ليلةٍ فاوَضْتُهُ أنْ يُلِمَّ بي ... إذا ما هَدَا ليلي فَعَنَّ وما عَنَّى
بَكَيْتُ فنَادَاني: أتَبْكي وبَيْنَنَا ... بحُكْمِ التَّداني قابُ قَوْسَيْنِ أو أدْنَى
/ ١٠٢أ/ فَقُلْتُ كذا كُنَّا بمُنْعَرَجِ اللِّوَى ... ولكنَّنا مِنْ بَعْدِ ذاكَ تَفَرَّقْنا
رأيْتُ بفيهِ إذْ تَبَسَّمَ أدْمُعًا ... فقُلْتُ رَنَا لي إذْ بكَى فَمُهُ حُزْنا
أجادَ لَهُ في النَّظْمِ شاعِرُ ثَغْرِهِ ... ولكنَّهُ مِنْ مُقْلَتي سَرَقَ المعْنَى

ومنها في المديح:

إذا رُعِدَتْ خيلٌ لبَرْقِ سيوفِهِ ... غدَا الوَبْلُ نَبْلاً والقسيُّ لَها دَجْنَا
إذا أمْطَرَتْ أرضُ الوَغَى مِنْ عُدَاتِهِ ... جَماجِمَ رَيْحانٍ ببيْضِ الظُّبَى تَجْنَى
تأمَّلْ إذا ما جِئْتَهُ لُمْلُمَةً ... ترىٰ اليُسْرَ في اليُسْرَىٰ كَما اليُمْنَ في اليُمْنَىٰ
تَظُنُّ بها مِنْ كثرةِ اللَّثْمِ حُمْرَةً ... وحاشا اليدِ البيضاءِ مِنْ أثَرِ الحنَّا

وقال أيضًا:

أرىٰ الخَدَّ تُبْدي نارُهُ جَنَّةً خَضْرا ... أسْطري بهِ أم خَطَّ مِنْ صُدْغِهِ سَطْرا
عَجِبْتُ لَهُ خَدًّا تَورَّدَ خَجْلَةً ... يُريكَ بَياضَ الصُّدْغِ فيهِ الدُّجَى ظُهْرَا
تَرىٰ كُحُلَ الأجْفانِ ذابَ بدَمْعِهِ الدَّلالُ فَخلْناهُ علَى مَتْنِهِ شَعْرا
ومَعْسُولِ ظَلْمِ الرِّيقِ ظَالِمِ صَبِّهِ ... علَى أنَّهُ للهَجْرِ أعْدَلُ مِنْ كسْرىٰ
رَفَعْتُ لَهُ مِنْ دَمعِ عَيْني ظُلامَةً ... أرُومُ بها عَطْفًا فَوَقَّعَ لي تُجْرىٰ
يَقولُ وقدْ غالَ البُكا مُقْلَتَيَّ: قِفْ ... لتَنْظُرَ قلتُ: اشْهَدْ فلي مُقْلَةٌ أُخْرىٰ
/ ١٠٢ب/ أمَكْسُورَ ذاكَ الجَفْنِ جُدْ بتَعَطُّفٍ ... لَمَكْسُورِ هذا القلبِ واهْدِ لهُ جَبْرا
أيا قَيْصَرِيَّ الخَدِّ والثَّغْرِ والطُّلَى ... ويا قاصِرَ الألْحاظِ مُلِّكْتَني قَسْرَا
رعَىٰ اللهُ أيَّامًا جَنَيْتُ بها المُنَىٰ ... تَقَضَّتْ ومَا أبقَتْ لقَلْبي سوىٰ الذِّكرىٰ
لَيالي سَقَاني الرَّاحَ فيها بمَنْطِقٍ ... أصَارَ سَقَامَ اللَّحْظِ مِنْ طَرْفِهِ خَصْرا
تَلألأَ لي في غَيْهَبِ الشَّعْرِ وَجْهُهُ ... فَخُيِّلْتُ أنَّ الليلَ أبْدَىٰ لنَا البدْرا
وأبرَزَ مِنْ خِدْرِ الدِّنانِ خَبيئَةً ... ولا غَرْوَ أنْ تسْبَىٰ وأنَ تَحْجُبَ العَذْرا
وأنْكَحَها الماءَ النُّقاخَ فأصْبَحَ ... النَّثارُ عليها مِنْ حَبابِ الحَيا دُرَّا
وجادَ بها عَنَّا وجادَ بريقِهِ ... فَملْنا كما مالَ القَضيبُ بهِ سُكْرا
شَمَمْنا وقدْ رامَ الغِناءَ ولَمْ يَفُهْ ... شَذاً لَمْ تَلَذَّ النَّفْسُ مِنْ دونِهِ عِطْرا

إلـى أنْ تَغَنَّـىٰ مَـدْحَ مـوسـىٰ فَحَقَّقَـتْ ... بـأنَّ اسْمَـهُ أهْـدىٰ لهـا ذلـكَ البُشْـرىٰ

وأنشدني أبو الفتح محمد بن بدل النيسابوري، قال: أنشدني عبد العظيم لنفسه:

[من الوافر]

وَرُبَّ مُهَفْهَـفٍ وافـىٰ بكَـأسٍ ... وبـاقَـةِ نَـرْجِـسٍ فَسَقَـىٰ وَحَيَّـا

فقلـتُ لصـاحِـبي أبصَـرْتُ بَـدْراً ... سَقَـىٰ شَمسـاً وَحَيَّـا بـالثُّـرَيَّـا

وأنشدني أيضًا قال: أنشدني لنفسه: [من الطويل]

/ ١٠٣أ/ وشـادٍ شَدَا فـأبْتَزَّ عقلَ جَليسه ... فَخلْنـاهُ يُسْقيـه مُعَتَّقَـةَ الخَمْـرِ

يُغيـرُ علـىٰ الألْبـاب ضَـرْبـًا كـأنَّمَـا ... تُطَـالبُهـا أوتَـارُهُ . . . . . بـالـوتـرِ

فقَلـتُ لـهُ: راحـاً سقيْـتَ فقـالَ: لا ... ولكـنَّ ضَـرْبَ العـود ضَـرْبٌ مـنَ السِّحْرِ

فقلـتُ لـهُ: مَـا ثَـمَّ سِحْـرٌ فقـالَ لـي: ... عَجيـبٌ أتَنْفيـهِ وأصْلُـكَ مِـنْ مَصْـرِ!

وقال أيضًا[1]: [من الطويل]

وأدْهَـمَ جـارىٰ الشمـسَ فـي مثْـل كـونـه ... سبَـاقـًا مـنَ الغَـرْب القَصـيِّ إلـى الشَّـرْقِ

فجـــاء إليـــه قبْلَهـــا مُتَمَهِّـــلاً ... فـأعطَـاهُ مِـنْ أنْـواره قَصَـبَ السَّبْـقِ

وله في اجتماع الملك الأشرف موسى وابن عمِّه الملك الظافر الخضر بن يوسف بالرقة: [من الطويل]

قِـرَانٌ أرَانـا بُـرْجُـهُ الشمـسَ والبَـدْرا ... فـأضْحـىٰ لنـا بَـلْ لـلأنـام بـه البُشْـرَىٰ

غَـدَا مَجْمَـعَ البَحْـرَيْـن شـاطـيْ فُـراتنـا ... ألَـمْ تَـرَ مـوسـىٰ فيـه قـدْ لَقـيَ الخضْـرا

بـه اجْتَمَعـا لكـنَّ ذا لَـمْ يَقُـلْ لـذا ... غَـداةَ أتـىٰ: لَـنْ تستَطيـعَ معـي صَبْـرا

وكيـفَ تـرى هـذا ومـوسـىٰ بفَهْمـه ... أحـاطَ بعلْـم الكـون مـنْ فطْنَـة خُبْـرا

أيَـا ابـنَ أبـي بَكْـرٍ زمـانُـكَ فَتْـرَةٌ ... بهـا مَـالِـكُ الأقْطَـار لَا رُسْلُهُـمْ تَتْـرَى

/ ١٠٣ب/ ظَفـرْتُ بلُقْيـا الظَّـافـر المَلْـك الـذي ... نُجُـومُ عُـلاهُ فـي الـدُّنَـىٰ تَبهَـرُ الـزُّهْـرا

غَـدا نـاهـلاً مَـاءَ الحيَـاةَ بقُـرْبكُـمْ ... فَيَهْنـؤهُ رَبِّـي أطـالَ لـهُ العُمْـرا

تَـوَافَـقَ فعْـلُ المـالكَيْـن كَـرامَـةً ... فلَـمْ يَعْـصِ إنسـانٌ لصـاحبـه أمْـرا

---

(١) في الوافي ١٩/١٢، معاهد التنصيص ٤/١٨، النجوم الزاهرة لابن سعيد ص٣٢٠.

وكان . . . . ناديت نفساً فلم تقل ... لقدْ جِئتَ في ذا الأمْرِ يا صاحِبي إمْرا

وقال أيضًا: [من الوافر]

وفَدْتُ على الكمال إذَ أنَّ كيسي ... غَدا صَفْراً مِنَ الصُّفْرِ الثِّقَالِ
فَما لَمَحَتْ بَرِيقَ العَينِ عيني ... ولا نالَتْ يَسيراً مِنْ نَوالِ
أُجِيبَتْ في دَعْوةَ قائِلٍ لي ... كفاكَ ألاّ هُنا عَيْنُ الكَمالِ

وقال أيضًا: [من السريع]

إبْنُ فُلاَنٍ أكْرَمُ النَّاسِ لاَ ... يَمْنَعُ ذا الحاجَةِ مِنْ فَلْسِهِ
وَهْوَ فَقِيهُ النفسِ لكنَّهُ ... نَصَّ على التقليدَ في دَرْسِهِ
يَسْتَحْسِنُ البَحْثَ على وَجْهِهِ ... ويَطْلُبُ الدَّخْلَ على نَفْسِهِ

وقال يهجو رجلاً ناظراً بالغربية، والغربية من أعمال مصر، وهي المحلَّة وأعمالها: [من الطويل]

/ ١٠٤أ/ لَحا اللهُ بالغَرْبيَّةِ الآنَ ناظِراً ... تَصَلَّبَ لمَّا أنْ شكَوْتُ لهُ العُدْما
ولا سُقِيَتْ أرْضٌ بها سَبَّبَتْ لهُ ... مَعالِمَ ذُكْرُكُنَّ مِنْ قَبْلِها رَسْما
بِلادُ لِئامٍ لا ترىٰ حقَّ وافِدٍ ... تُرىٰ هَلْ يُريني اللهُ ناظِرَها أعمىٰ

وله يوشح قصيدة أبي تمَّام الطائي؛ يمدح بها الحُسين بن علي بن أبي طالب ـ صلوات الله عليهما وسلامه ـ: [من الطويل]

هُوَ البحرُ أوْدَى بَلْ هُوَ المُجْتَبىٰ البَرُّ
هُوَ ابنُ البَتُولِ الطُّهْرِ والعَلَمُ الحَبْرُ
سلاَمٌ عليهِ ماتَ مَنْ بعْدَهِ الصَّبْرُ
أقُولُ ولِلأحزانِ في كَبِدي جَمْرُ
كذا فَلْيَجِلَّ الخَطْبُ ولَيَفْدَحِ الأمْرُ ... وليسَ لِعَينٍ لَمْ يَفِضْ ماؤُها عُذْرُ

***

لقدْ فازَ مَنْ وَلاّهُ بالأمْنِ في غَدِ
كما فازَ مَنْ قَدْ أمَّهُ وَهْوَ مجتَدي
فقولوا لِسارٍ في دُجَىٰ الليلِ مُنْجِدِ

يُؤَمِّلُ أنْ يَحْظَى بِرُؤْيَةِ مُنْجِدِ

قضى الجودُ منْ بَعْدِ ٱبنِ بنتِ مُحَمَّدِ وأصبحَ في شُغْلٍ عَنِ السَّفَرِ السَّفْرُ

***

سرى مُؤْثِراً يُعَدَى بطُولِ بَقائِهِ

مِنَ الموتِ ذكْراهُ وَطَيُّ ثَنَائِهِ

مضي حينَ فَلَّ الفَوْتَ غَرْبُ مضَائِهِ

فتًى كانَ يُسْتَسْقَى الحَيَا منْ حَيَائِهِ

غَدا غُدْوَةً والحمدُ نَسْجُ ردَائِهِ فَلَمْ يَنْصَرِفْ إلاَّ وأكفانُهُ الأَجْرُ

***

/١٠٤ب/ تَوَلَّى الذي ما أبصَرَ الدَّهْرَ مثْلَهُ

أبًا وإباءً فاقَ في الدَّهْرِ أهلَهُ

فَلَوْ تُحْسِنُ الأيَّامُ تَمْدَحُ فَضْلَهُ

لقالَتْ وقدْ ولَّى نُؤَبِّنُ فعْلَهُ

ألا في سبيلِ اللهِ مَنْ عُطِّلَتْ لَهُ فجاجُ سبيلِ اللهِ وأثْغَرَ الثَّغْرُ

***

مَخيلَتُهُ أكْرِمْ بها منْ مَخيلَةِ

مَخِيلَةُ سَمْحٍ رَبِّ كُلِّ فَضيلَةِ

تنَالُ المنى منْها بأدْنى وسيلَةِ

فَسقيًا لآبَ عَابَ كُلَّ رَذيلَةِ

فتًى كُلَّما فاضَتْ عيونُ قَبيلَةِ دَمًا ضَحكَتْ منهُ الأحاديثُ والذِّكْرُ

***

تَزَوَّدَ عَزْمًا ثُمَّ وَدَّعَ طَيْبَةً

ويَمَّمَ أرضَ الطَّفِّ لَمْ يَبْغِ رِيبَةً

فلاقى الحمَّامَ المُرَّ . . . .

أقْدَمَ يُرْدي بالكتائبِ هَيْبَةً

فتًى ماتَ بَيْنَ الطَّعْنِ والضَّرْبِ ميتَةً تقومُ مقامَ النَّصْرِ إذْ فاتَهُ النَّصْرُ

تُـــرىٰ هَـــلْ يُـــرينـــي اللهُ زائـــرَ طَيْفِـــه
لأَسْـــأَل عـــنْ حُكْـــم البُغـــاة وحَيْفِـــهِ
وَمَيْـــنِ خَـــذُول لـــمْ يُغنِـــهُ وزَيْفِـــهِ
غـــداةَ رآهُ المـــوتُ أكْـــرَمَ ضَيْفِـــهِ
ومـا مـاتَ حتـىٰ مـاتَ مَضْـرِبَ سَيفِـه مِـنَ الضَّـرْبِ واعْتَلَّـتْ عليـهِ القَنـا السُّمْـرُ

***

لَـــهُ اللهُ مـــا أورىٰ لـــدى الـــرَّوْعِ زَنْـــدَهُ
جِـــلاداً ومـــا أَحْلـــىٰ الـــرَّدىٰ فيـــهِ عنْـــدَهُ
تَقَـــدَّمَ والإقْـــدامُ مُـــرْهَـــفُ حَـــدِّهِ
فَبَـــاشَـــرَ أهـــوالَ المَنِيَّـــةِ وَحْـــدَهُ
وقـد كـانَ فَـوْتُ المـوتِ سَهْـلاً فَـرَدَّهُ إليـهِ الحفـاظُ المُـرُّ والخُلُـقُ الـوَعْـرُ

***

/ ١٠٥أ/ أبـى عَـزْمُـهُ المـاضـي هُنـالِـكَ أنَّـهُ
يُـــرىٰ نـــاكصـــاً والصَّبْـــرُ أضحـــىٰ مجَنَّـــهُ
وَبـــأسٌ أبـــوهُ الأنْـــزَعُ الحَبْـــرُ سَنَّـــهُ
وجَـــأْشٌ إذا جـــاشَ الـــرَّدىٰ كـــانَ قـــرْنَـــهُ
وَنَفْـسٌ تَخـافُ العـارَ حتـى كـأنَّـهُ هـوَ الكُفْـرُ يَـومَ الـرَّوْعِ أو دُونَـهُ القَبْـرُ

***

إمـــامـــي الحُسَيْـــنُ اللهُ كَمَّـــلَ فَضْلَـــهُ
وأبكَـــىٰ عليـــه عـــالَـــمَ الكـــون كُلَّـــهُ
درىٰ أنَّ هـــذي الَـــدَّارَ ليســـتْ مَحَلَّـــهُ
وأنَّ الـــردىٰ لأبـــدَّ مـــنْ أنْ يَحلَّـــهُ
فـأثْبَـتَ فـي مُسْتَنْقَـعِ المـوتِ رِجْلَـهُ وَقـالَ لهـا مِـنْ تَحـتِ أَخْمَصِـكِ الحَشْـرُ

***

فعـــدا مُقْـــدمـــاً والسيـــفُ فـــي الهـــام قـــد عَتـــا
وَزُرْقُ عُيُـــونِ السُّمْـــرِ أنْ تَتَلَفَّتـــا

وطاعَنَ عَنْ ميراثه مُتَثَبِّتا
فلمَّا نَحاهُ السيفُ عُرْيَانَ مُصْلَتا
تَرَدَّى ثِيابَ الموتِ حُمْراً فمَا أتى لها الليلُ إلاَّ وَهْيَ مِنْ سُنْدُسٍ خُضْرُ

* * *

قضى ظامياً أثوابُهُ الآنَ فَضَّةٌ
تطوفُ بها حَوْراءُ غَيْداءُ بَضَّةٌ
بروحي رُوحٌ منهُ في الخَطْبِ عُرْضَةٌ
ذَوَتْ بعْدَها آمالُنا وَهْيَ غَضَّةٌ
مضى طاهِرَ الأثوابِ لَمْ تَبْقَ رَوْضَةٌ مِنَ الأرضِ إلاَّ واشْتَهَتْ أنَّها قَبْرُ

* * *

صلاةُ إلهِ العرشِ وَزنَ صلاتِه
عليه فكَمْ أغْنَى الورىٰ بهِباتِه
فكأنَّ بني الزهراءِ يومَ وفاتِه
نُجُومُ سماءٍ خَرَّ مِنْ بينِها البَدْرُ

* * *

فوَا حُزْنَهُمْ إذْ مَزَّقَتْهُ يدُ البلى
ويا شَوْقَهُمْ مُذْ بَزَّهُ منْهُمُ القَلَى
/ ١٠٥ب/ لقدْ وَدَّعُوا إذْ أوْدَعُوا شَخْصَهُ الفَلاَ
حَيَاً طالَما رَوَّىٰ مِنَ العينِ مُمْحِلا
يُعَزَّوْنَ عَنْ ءِ ثَاوٍ بهِ قدْ ثوىٰ العُلا ويَبْكي عليهِ النَاسُ والجودُ والشِّعْرُ
إليكَ ففي أكْبادِهِمْ لاعِجُ الغَضا
على مالِكٍ منهُمْ رضوانٌ يُعَوَّضا
فَلا تَغْدُ فيهِمْ بالمَلاَمِ مُعَرِّضَا
فَحُزْنُهُمُ للصبرِ أمسى مُقَوِّضَا
وإنِّيَ لَمْ أصْبِرْ عليهِ وقدْ مضىٰ إلى الموتِ حتى اسْتُشْهِدا هوَ والصَّبْرُ

* * *

أيَـا ابـنَ رسـول الله فَقْـدُكَ بَـزَّنـي
ثيـابَ عَـزائـي فيـكَ الحُـزْنُ عَـزَّنـي
إذا مـا عـرانـي ذِكْـرُ يـومِـكَ هَـزَّنـي
جـوًى فـأُنَـادي والشـؤونُ تَـؤزُّنـي
عليـكَ سـلامُ اللهِ وَقْفًـا فـإنَّنـي رأيـتُ الكـريـمَ الحُـرَّ ليسَ لـهُ عُمْـرُ

***

وقال يمدح الملك الأشرف مظفر الدين أبا الفتح موسى بن أبي بكر محمد بن أيوب بن شاذي[١]: [من الطويل]

ثـلاثُ خُمُـور غـالَ عَقْلـي بهـا السُّكْـرُ لَـوَاحظُـك المَـرْضـىٰ وَريقَـك والنَّشْـرُ
ومـالـي أُخُـصُّ اللَّحْـظَ والـرِّيـقَ والشَّـذا بخَمْـر ولـي مـنْ كُـلِّ معنًـى بهَـا خَمْـرُ
ومـنْ أعْجَـب الأشيـاء سُكْـرِيَ دائـمٌ وَلَـمْ يَبْـدُ لـولَا الـدَّمْـعُ للكـاشـح السِّـرُّ
/١٠٦أ/ جرَتْ شُهْبُ دَمْع العَين في الهجر مثْلَما جـرَتْ فـي النَّـوىٰ منهـا سـوابقُهـا الحُمْـرُ
فكـانـتْ لنـا خَيْـلَ البَـريـد جـرَتْ بمـا جـرىٰ بيْنَنـا للنـاس فـانْهَتَـكَ السِّتْـرُ
أقـولُ لعُـذَّالـي عليهـا لجَهْلهـمْ وَدَمْعـي غَـديـرٌ: ليسَ منْ شيمَتي العُذْرُ
دَعـونـي فـإنـي كلَّمـا مَـرَّ ذكْـرُهـا يكـادُ فـؤادي ليـسَ يُمْسكُـهُ الصَّـدْرُ
نَحلْـتُ فصـارَ الجسـمُ سلْكـًا نَظَمْـتُ إذْ بَكَيْـتُ بـه دَمْعـي كمـا انْتَظَـمَ الـدُّرُّ
فلمَّـا رأتْنـي جَـرَّدَتْ سيـفَ لَحْظهـا وقـالـتْ لغَيْـر العقْـد مـا صَلَـحَ النَّحْـرُ
حَكَيْـتُ خَيـالـي بـالنُّحـول فَـزُرْتُهـا وأوْهَمْتُهـا أنِّـي اسْتَـزارَنـي الفكْـرُ
فظَنَّـتْ بـأنِّـي زرتُهـا فـي منـامهـا وأنَّ النهـارَ الليـلُ إذْ أدْمُعـي زُهْـرُ
بَكَـتْ لُـؤلـؤًا عنـدَ الـوداع وأمطَـرَتْ جُفُـونـي عقيقـًا فـالتَقَـىٰ المـاءُ والخُمْـرُ
يُـوَرِّدُ دمعـي الخَـدَّ منِّـي وخَـدُّهـا يُـوَرِّدُ منهـا الـدمـعَ إذْ يُشْتَكَـىٰ الهَجْـرُ
أُغَنِّـىٰ وأنسـىٰ نَظْـمَ عينـي ونَثْـرَهُ فتَبْكـي ومـنْ خـوف المُـراقـب تَفْتَـرُّ
يُعـارضُ شعْـري والتَّـرَسُّـلَ مَبْسَـمٌ وَدَمْـعٌ بخَـدَّيْهـا هُمـا النَّظْـمُ والنَّثْـرُ
تقـولُ لتَـرْبيْهـا بَـدَتْ سَـرِقَـاتُـهُ فَسَجْعـاتُـهُ دمعـي وأبيـاتُـهُ الثَّغْـرُ

---

(١) ثلاث أبيات من القصيدة في المنهل الصافي ٧/ ٣٠٧.

أَيَجْحَدُ قلبي صَبْوَهُ وَهُوَ زادَها ... جَمالاً به لو أنْصَفَتْ يَجِبُ الشُّكْرُ

ولَمْ أنسَ إذْ حَيَّتْ بكأس . . . . وكُل جارحة سكرُ

/١٠٦ب/ وَغَنَّتْ وهَزَّتْ عطفَها كحمامَة ... شَدَتْ فتثَنّى تحتها الغُصُنُ النَّضْرُ

يُرَنِّحُها سُكْرُ الصِّبا وتَهُزُّني ... إذا رَدَّدَتْ أوصافَ شاه أرمن السُّكْرُ

تقولُ فَدَتْ رُوحي مَليكاً بِذكْره ... غَدَتْ نَكْهَتي يُعْزى إلى طيبها العِطْرُ

ولولا اسْمُهُ لَمْ يَعْشَق الناسُ صُورتي ... ولا طابَ في أوصاف غانيَة شِعْرُ

فَمٌ ميمُهُ والصُّدْغُ واوٌ وسينُهُ ... إذا حَقَّقُوها مَبْسَمٌ وهْوَ مُفْتَرُّ

وحُسْنُ اعْتدال القَدِّ مِنْ ألف اسْمه الـ ... ـتي سَكَنَتْ بالقَصْر يا حَبَّذا القَصْرُ

مَليكٌ تُنَاديه السعَادَةُ نُبْ إلى ... مُرَادكَ فالأقدارُ طَوعُكَ والدَّهْرُ

أَبو الفتْح رَبُّ الفَتْح منهُ اعْتزامُهُ ... إذا ما غَزا لكنْ أخو غَزْوه النَّصْرُ

يعودُ لديه البُعْدُ قُرْباً بعَزْمه ... ويَغْدُو لهُ سَهْلاً إذا رامَهُ الوَعْرُ

فَلَوْ قَصَدَتْ نحوَ النُّجوم عُقَابُهُ ... مُحَارِبَةً لانْقَضَّ مِنْ خَوفها النَّسْرُ

كَريمٌ يُمينُ الله ظَهْرُ يَمينه ... على أنَّها مِنْ بَطْنها يُقْتَنَى الشَّذْرُ

إذا ارْتَضَعَ العافونَ بالَّلثْم كَفَّهُ الـ ... ـكَريمةَ أَضحى الدَّرُّ وَحولَهُم دُرُّ

فَيُمْناهُ واليُسْرى لقاصد برِّه ... إذا أَمَّهُ دونُ الورى اليُمْنُ واليُسْرُ

حكى وَهْوَ موسى أحمداً حينَ اتبعتْ ... لقُصَّاده الأوراق أَنْمُلُهُ العَشْرُ

أباغي النَّدى يَمِّمْ ذُرى مَلك الورى ... أَبي الفَتْح موسى خير مَنْ أمَّهُ السَّفْرُ

/١٠٧أ/ تَرَ الفَجْرَ بشْراً من أَسارير ماجد ... مواهبُهُ شَفْعٌ وسُؤْدَدُهُ وَتْرُ

هوَ اللَّيْثُ لكنَّ الوَشيجَ عَرينُهُ ... هوَ الغَيْثُ لكنَّ النُّضارَ لهُ قَطْرُ

تَمَنَّتْ سُيُوفُ البَرْق خطَّ سُيُوفه ... وقد صَدئَتْ بالضَّرْب والجَوُّ مُغْبَرُّ

على طُول أسْيَاف البُرُوق وَصَقْلها ... وأنَّ ظُبَاهُ غيرَ مَصْقُولَة بُتْرُ

بسَعْد أخيه الكامل المَلْكَ قَدْ غَدا ... يَعيشُ به الإسلامُ إذْ يَهْلكُ الكُفْرُ

وَتُهْدَي لهُ الدنيا المَمالكَ كُلَّها ... وَيُهْدي غَداً جنَّات عَدْنَ لهُ الحَشْرُ

فَطُوبى لعَبْد قدْ أطاعَ مُحَمَّداً ... فَرَاحَ ولا لَوْمٌ عليه ولا وِزْرُ

حُرُوفُ اسْمه مُلْكٌ وحَمْدٌ مُخَلَّدٌ ... ومالٌ ودينٌ . . . . البِرُّ

فَمَنْ كانَ مِنْ أَعْوانه نالَ باسْمه ... جميعَ الأماني واغْتَدى عبدَهُ الدَّهْرُ

لقد شُرِّفَ التَّشْريفُ بالأشرَفِ الذي ... بهِ شَرُفَتْ إذ حلَّ ساحتَها مصرُ
ولمَّا أهانَ التِّبرَ كسْراً لِقَلْبِهِ ... دَعا مالكاً للناسِ مَذْهَبُهُ الجَبْرُ
فشرَّفَهُ باللُّبسِ رَفْعاً لِقَدْرِهِ ... وكمْ جَرَّهُ للائذينَ بهِ الحُرُّ
رَكِبْتَ بذا التَّشْريفِ ليلاً فأشْرَقَتْ ... دَياجيهِ حتى قيلَ قدْ طلَعَ الفَجْرُ
وقدْ نَثَرَتْ فيهِ المَجَرَّةُ زَهْرَها ... عليكَ وأضْحَتْ وَهْيَ فوقَ الرُّبى زُهْرُ
وَظَنَّكَ قَصْرُ الفاطميينَ رَبَّهُ الـ ... ـخَليقةَ إذْ وافى إليهِ بَلِ الفَخْرُ
/١٠٧ب/ غدا مَجْلِسُ الدَّاعي يقولُ أُعيدَ لي ... إذا عَصْرُ أحْبابي فيا حَبَّذا العَصْرُ
رَقَبْناكَ في ليلِ العَمايَةِ طالعاً ... وفي الليلةِ الظلْماءِ يُفْتَقَدُ البَدْرُ
أغايَةُ قَصْدي بَطْنُ يُمْناكَ غايَةً ... بتُرْبَتِها للمُعْتَفي يَنْبُتُ التِّبْرُ
فَضَحْتَ الحيا والبَحْرَ جُوداً فقدْ بكى الحيا مِنْ حياءٍ منكَ والْتَطَمَ البَحْرُ
أسُلْطانَنا أنتَ العزيزُ بمصْرِنا ... وقدْ مَسَّنا والأهلَ بالعَدمِ الضُّرُّ
أعِدْ نَظَراً لي بالجميلِ فإنَّ بي ... لجُودِكَ فَقْرٌ ليسَ يُشْبِهُهُ فَقْرُ
ألَمْ تَدْرِ أنّي غَرْسُ نُعْماكَ فاسْقِ مِنْ ... غُيُوثِكَ غَرْساً بعضُ أثمارِهِ الشِّعْرُ
وخُذْها تهادى في حُلِيٍّ تُدَيِّها ... كما تتهادى في الحُلى الظَّبْيَةُ البِكْرُ
حياءً مِنَ التَّقْصيرِ يَحْمَرُّ وَجْهُها ... وضَرَّاتُها الحُسَّادُ أوْجُهُهُمْ صُفْرُ
عُيُونُ مَعانيها سَماحٌ وأعْيُنٌ ... مِلاحٌ مِراضٌ تلكَ في حُسْنِها سِرُّ
أضاعَتْ عُقُولاً حينَ ضاعَتْ فما دَرَتْ ... أبابِلُ قَدْ أهْدَتْ إليها أمِ الشَّجْرُ
هي السِّحْرُ فاعْجَبْ لامْرِىءٍ جاءَ يرْتَجي ... عَواطِفَ مِنْ موسى وصَنْعَتُهُ السِّحْرُ
بَقِيتَ لقُصَّادٍ نَصِيبُكَ منهُمُ ... ومِنْ رَبِّهِمْ نَظْمُ المَدائحِ والأجْرُ

[٣٧٨]

عبدُ الحميد بن هبة الله /١٠٨أ/ بنِ محمد بنِ محمد بنِ الحسينِ ابنِ أبي الحَديدِ المدائنيِّ(١).

(١) ترجمته في: فوات الوفيات ١/ ٥١٩ ـ ٥٢٢. عيون التواريخ ٢٠/ ١١٢. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٥١ ـ ٦٦٠) ص٢٠٢ رقم ٢٠٠. الوافي بالوفيات ١٨/ ٧٦ ـ ٨٠ رقم ٨٠، وفيه: «توفي سنة خمس وخمسين وستمائة». وفيات الأعيان ٥/ ٣٩٢. ذيل مرآة الزمان ١/ ٦٢ ـ ٧٠. البداية والنهاية=

من بيت القضاء ببلده، كاتب فاضل أديب، ذو فضل غزير، وأدب وافر، وذكاء باهر، شاعر مجيد، سريع الإدراك، جيد الفكرة، خدم في عدَّة أعمال آخرها كتابة ديوان الزّمام المعمور.

أخبرني أنه ولد غرَّة ذي الحجة بالمدائن سنة ست وثمانين وخمسمائة، وتأدَّب على الشيخ أبي البقاء عبد الله بن الحسين النحوي العكبري، ثم على أبي الخير مصدّق بن شبيب الواسطي.

واشتغل بفقه الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ وقرأ علم الأصول، وهو شاعر، وكان أبوه يتقلّد قضاء المدائن، لقيتُ أبا محمد بمدينة السلام مراراً، ولم يقدر أن آخذ عنه شيئًا من شعره.

ثم رأيت له قصيدة بخطِّه عملها في الوزير أبي الأزهر أحمد بن محمد بن علي بن الناقد، وزير المستنصر بالله أبي جعفر المنصور ـ رحمه الله ـ. ولما توجهت نحو مدينة السلام في سنة تسع وثلاثين وستمائة، اجتمعت به في منزله، وذلك في شهر جمادى الآخرة من العام المذكور، فألفيته متمرِّضًا /١٠٨ب/ فقرأتها عليه، وذكر لي أنَّ له كتابًا مجموعًا غير مرتب سمّاه «العبقري الحسان»، يحتوي على مسائل شتى في علم الكلام والمنطق والطبيعي والأصول، ونبذ من التاريخ والرسائل والأشعار مما أختير من ذلك ويدخل الكتاب في نحو خمس مجلدات.

وصنَّف كتابًا آخر ترجمه «بالفلك الدائر على المثل السائر» اعترض فيه على

= ١٣/ ١٩٩. المنهل الصافي ٧/ ١٤٩ ـ ١٥٠ رقم ١٣٦٣. الدليل الشافي ١/ ٣٩٥ رقم ١٣٥٩. تأريخ ابن كثير ١٣/ ١٩٩. الفخري في الآداب السلطانية لابن طباطبا ٣٣٧. الحوادث الجامعة ١٦٠. العبر ٥/ ٢١١. المختار من تاريخ ابن الجزري ٢٤٢. عيون التواريخ ٢٠/ ١١٢ ـ ١١٤. عقود الجمان للزركشي ١٦٣. مجمع الآداب ١/ ٢١٣ رقم ٢٤٥. عقد الجمان ١/ ٩٤. الكنى والألقاب للقمي ١/ ١٨٩. التذكرة الفخرية للإربلي ١٥٣. ذيل الروضتين ١٨٨. طبقات الشافعية للسبكي ٨/ ١٦١ رقم ١١٥٩. شذرات الذهب ٥/ ٢٥٥. كشف الظنون ٧٩٩، ٩٧٧، ١٢٧٣، ١٢٩١، ١٥٨٣، ١٦١٠، ١٩٩١. إيضاح المكنون ١/ ٤٨٤. فهرست الخديوية ٤/ ٢٧٧. معجم المؤلفين ٥/ ١٠٦. مقدمة الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم لشرح نهج البلاغة.

ترجم المؤلف لأخيه (القاسم بن هبة الله) في الجزء الخامس برقم ٥٩٢.

مصنّفه أبي الفتح نصر الله بن محمد بن عبد الكريم الكاتب الجزري، وذكر أغاليطه وخطأه في مواضع أخذها عليه في تفسير شعر، ونقد معان وغير ذلك.

وكان قد ولي في الأيام الناصرية مشرفًا بأعمال طريق خراسان، وبقي إلى الأيام الظاهرية، ثم صار في الدولة المستنصرية كاتبًا في الديوان العزيز، ثم انتقل من ذلك، ورتّب كاتبًا في المخزن لمحروس، ودار التشريفات، وهو اليوم يتولّىٰ الإشراف بأعمال السواد.

أنشدني الشيخ أبو محمد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد المدائني، ما كتبه إلى القاضي أبي صالح نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلي: /١٠٩أ/ في أيام ولايته قاضي القضاة: [من الطويل]

أبا صالحٍ ما أدَّعي لكَ سُؤدَداً ... فيَطْعَنَ في دَعوايَ حَيٌّ منَ الناسِ
فَلَوْ أجْمَعُوا في الدِّين إجْماعَهُمْ علىٰ ... كَمالكَ أُعْفُوا منْ شُكُوك وَوَسْوَاسِ
وقارُ أبي بَكْرٍ وأحْكامُ حَيْدَرٍ ... وَصِدْقُ أبي ذَرٍّ وَفُتْيا ابنِ عَبَّاسِ
ألا لا تَقُلْ كانَ ابنُ معروفَ قَبْلَهُ ... وقامَ شُرَيْحٌ أوْ إيَاسٌ بقسْطاسِ
فإنَّهُمُ كانُوا هضَاباً مَنيعَةً ... وذا العَلَمُ المشهورُ والجَبَلُ الرَّاسي
إذا ذُكِرُوا كانُوا كَجُثْمانِ سُؤْدَدٍ ... وذا الرَّأسُ للجُثْمانِ والعينُ للرَّاسِ
فلوْ أنَّ دَسْتاً يُنْبتُ النَّورَ زُخْرِفَتْ ... دُسُوتُ عمادِ الدينِ بالوَرْدِ والآسِ
عَتبْتَ على الأيّام فينا فأعْتَبَتْ ... ولَيَّنْتَ منْ قَلْبِ الزَّمانِ لنا القاسي
وقَوَّيْتَ منْ آمالنا فكأنما ... نَصَرْتَ لَنا جَيْشَ الرَّجاءِ على الياسِ
فَلَوْ كنتَ في أيّام بَكْرِ بنِ وائلٍ ... لأخْمَدْتَ ناراً شَبَّها جُرْمُ جَسَّاسِ
وَهَيْبَةُ تَقْوَى قَمَّصَتْكَ شِعَارَها ... تَضاءَلَ فيها كُلُّ أغْلَبَ مَعَّاسِ
. . . . كانتْ صُروفُ زمانِنا ... فَمُذْ قُمْتَ فَهْوَ الصَّاغرُ الرَّاغِمُ الـ . . .
فَضُلْتَ الورىٰ بالعلْمِ والحلْمِ والتُّقىٰ ... وَبذْلِ النَّدىٰ والعَزْمِ والحَزْمِ والبَاسِ
فأحْبَطْتَ مَدْحَ المادحينَ ولوْ أتَوا ... بجَرْوَلَ يُطْري آلَ لأْيِ بنِ شَمَّاسِ
/١٠٩ب/ ولوْ لمْ يَقُلْ جَدِّي الذي تَعْرِفُونَهُ ... عَرَفْنا عُقَارَ الدَّنِّ بالخَمْرِ والكاسِ
أتىٰ رَجَبٌ يَحْكيكَ نُسْكاً وَعِفَّةً ... وأينَ منَ الدِّيباجِ سِرْبالُ كِرْباسِ
وَهَيْهاتَ مِنَّا حَصْرُ أوْصافِكَ التي ... تُعَجِّزُ عَدّاً واضعي قاطِغُرْياسي

وإنِّي بما أُثْني عليكَ كَجاعلٍ مثالاً لنُورِ الشَّمْسِ مِنْ نُورِ نبْراس
فَلا بَرِحَتْ حُسَّادُ نُعْمَاكَ مِثْلَها فَليسَ لَهُمْ آسٍ وليسَ لَها نَاسي

وكتب إلى عماد الدين بن الدامغاني ـ قاضي القضاة ـ في أيام ولايته قصيدة نظمها ولم يبلغ الحلم أوَّلها : [من الخفيف]

عارضٌ عَنَّ في الهواء طَخَاءُ فَرَّقَتْهُ الرياحُ فهْوَ جُفَاءُ
فَسَقَتْهُ أيدي الشَّمَال فلا يُنْـ ـظَرُ منهُ في الأُفْقِ إلاَّ عَمَاءُ
ثمَّ ساقَتْ منهُ الجَنوبُ رُكامًا مُكْفَهِرّاً يَضيقُ عنهُ الفضاءُ
فهْوَ جَوْنٌ تُظَنُّ في كُلِّ أُفْقٍ مِنْ نواحيه ظُلْمَةٌ حَمَّاءُ
وتَدَلَّتْ دونَ السماء سَمًا مِثْلُها بَيْدَ أنَّها سَوْدَاءُ
واسْتَطارَتْ بهِ البروقُ ففي كُـ ـلِّ مكانٍ مِنْ ضوئها لأْلاءُ
وتَداعَتْ بهِ الرُّعُودُ فلا يُسْـ ـمَعُ إلاَّ الأصْواتُ والضَّوْضاءُ
/ ١١٠أ/ ثُمَّ دَرَّتْ أخلافُهُ فكأنَّ الـ ـجَوَّ نارٌ وأرْضُهُ دَأْماءُ[1]
فأعالي الجبالِ ماءٌ وتحتَ الـ ـأرضِ ماءٌ وظاهرُ الأرضِ ماءُ
فَهْوَ يحكي قاضي القُضاةِ عمادُ الـ ـدِّينِ إذْ أحْدَقَتْ بهِ اللأْواءُ
وَبعيدٌ ما بينَ . . . . . . في الجَوِّ هذا ضحْكٌ وذاكَ بُكاءُ

وكتب إلى بعض الأصدقاء العلويين بالمدائن : [من الكامل]

الجسمُ مُضْنًى والودادُ صحيحُ والقلبُ يُضْمرُ والدُّموعُ تَبُوحُ
والنارُ في كبدي تَشُبُّ فأدْمُعي كالجمرِ في ماءِ الخدودِ تَلُوحُ
راعَ الفؤادَ زُقَاءُ طيرٍ هاتفٍ ووَميضُ بَرْقٍ بالعقيقِ يَلُوحُ
يا بْنَ الأرَاكَةِ هلْ بعَيْنِكَ جَمْرَةٌ مِنْ أضْلُعي تَغْدُوا بها وتروحُ
يا بُعْدَ ما بيني وبينَكَ في الهوىٰ أنا نائحٌ باكٍ وأنتَ صَدُوحُ
لو كنتَ تُضْمرُ بعضَ ما أكْنَنْتُهُ لَذَوَتْ فروعُ البانِ حينَ تنُوحُ
أهوىٰ وتهوىٰ هاجراً ومُواصلاً وشَحيحُ حُبِّ الهَاجرينَ بَريحُ
يا باخلاً عَنْ قُدْرَةٍ بكلامِهِ إنَّ الشحيحَ بنُطْقِهِ لشَحيحُ

---

(١) الأخلاف : جمع خلف وهو الصرع . الدأماء : البحر .

هَبْنـــي أُبيــحُ إذا صبَــرْتُ مَحبَّتــي ... فــإذا عفــا جَلَـــلاً فكيــفَ أُبيــحُ
/ ١١٠ب/ لـــولا . . . . ومِـــنَ الـــوفـــاء إذا يُعَـــدُّ قَبيـــحُ
وأغَـــرَّ أزْهَـــرَ مِـــنْ أُرومَـــة هـــاشـــم ... مَـــاءُ الجَمـــال بـــوَجْهـــه مَسْفُـــوحُ
إنْ تـــأتِـــه فـــي حـــادث أو كـــارث ... فـــالبعـــضُ مِـــنْ تعـــريضـــه التَّصْـــريـــحُ
لا يستكيـــنُ لنـــازل كـــالطَّـــوْدِ لا ... يَلْـــويـــه إنْ سَهُلَـــتْ عليـــه الـــريـــحُ
وهْـــوَ الفـــلانُ الطَّـــالبـــيُّ فـــإنَّـــهُ ... لـــي فـــي الخُطـــوب مُثَقَّـــفٌ وصَفيـــحُ
هـــوَ ســـاعـــدي المُشْتَـــدُّ والعَضُـــدُ الـــذي ... نيْطَـــتْ إليـــه ومَنْكبـــي المَشْبُـــوحُ
لـــو كـــانَ للطُّـــوفـــان فُسْحَـــةُ صَـــدْره ... لَـــمْ يَنْـــجُ منـــهُ بـــالسفينـــة نـــوحُ
مِـــنْ كُـــلِّ زوج خَلْقَـــهُ فـــلأَجْـــل ذَا ... لا يحتَـــويـــه مِـــنَ البَـــريَّـــة روحُ
هـــا روضـــةٌ للطَّـــلِّ فـــي أرجـــائهـــا ... دُرٌّ علـــى كـــافُـــورهـــا مَنْضُـــوحُ
ضَحكَـــتْ بهـــا الأزهـــارُ والنُّـــوَّارُ إذْ ... عَبَسَـــتْ لهـــا جُـــونُ الغَمَـــامِ دَلُـــوحُ
مـــا الجـــودُ والإثْـــراءُ أبْعَـــدَ صُحْبَـــةً ... مِـــنْ أنْ يُصَـــاحِـــبَ نَبْتَهـــا . . . .
لـــو حَلَّهـــا الظَّـــرِبَـــانُ أصبـــحَ فـــأْرَةً ... فـــي داره منهـــا العَبيـــرُ يَفُـــوحُ
يـــومـــاً بـــأعْطَـــرَ مِـــنْ ذلاَيقـــه التـــي ... هـــيَ للصَّبُـــوح مِـــنَ المُـــدَام صَبُـــوحُ
لا ضـــالعـــي ضلـــع إليـــه . . . . بجَـــوانحـــي حُـــرَقٌ عليـــه جنـــوحُ
فَلـــذاكَ لَسْـــتُ لِتَـــرْك وَجْـــدي واجـــداً ... أبـــداً كمـــا لا تَبْـــرَحُ التَّبْـــريـــحُ

/ ١١١أ/ وقال في الإمام الظاهر بأمر الله أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله ـ صلوات الله عليهما ـ لمَّا أطلق من ماله خمسة آلاف دينار في عمارة المشهد الشريف الكاظمي بعد احتراقه، وذلك في سنة ثلاث وعشرين وستمائة: [من الطويل]

تَهَـــنَّ أميـــرَ المـــؤمنيـــنَ مُحَمَّـــدا ... بعَـــارفَـــة حَلَّـــتْ وجـــوهَ بَنـــي فِهْـــرِ
وصَلْـــتَ بهـــا أرحـــامَ آل مُحَمَّـــد ... وَفُقْـــتَ بهـــا أهـــلَ النَّبـــاهَـــة والـــذِّكْـــرِ
سَـــرَرْتَ عظـــامـــاً بـــالصَّفيـــح رميمـــةً ... لمَـــوتـــى وأثْقَلْـــتَ الجَـــوادَ مِـــنَ البـــرِّ
وأنْشَـــرْتَ مـــوتـــى بـــالبَقيـــع وأعْظُمـــاً ... بطُـــوس وســـامُـــراءَ طَيِّبَـــةَ النَّشْـــرِ
ورَمْسَيْـــن رَمْســـاً بـــالغَـــريِّ مُقَـــدَّســـاً ... ورَمْســـاً بـــأرض الطَّـــفِّ مُشْتَهِـــرَ الأمْـــرِ
ولـــوْ سُئـــلَ القَبْـــرُ الشـــريـــفُ بطَيْبَـــة ... لأثْنـــى لمـــا أوْلَيْتَـــهُ صـــاحِـــبُ القَبْـــرِ
بَنـــو عَمِّكُـــمْ دونَ الأنـــامِ وأهْلُكُـــمْ ... وإخـــوانُكُـــمْ فـــي العُسْـــرِ طَـــوْراً وفـــي اليُسْـــرِ

أبو طالب عامَ المجاعة لم يجدْ سوى صنوه العبَّاس في الخطْب منْ ظَهْر
وكان متى يَغْضَبْ إلى السيف يَعْتَضِدْ برأي أخ ثَبْت العزيمة في الذِّكر
/ ١١١ب/ فمَولاكُمْ مولاهُمُ وأبوكُمُ أبوهُمْ وبرُّ الأهل يَفْسَحُ في العُمْر
وأنتَ عليمٌ بالذي كانَ واشجاً منَ الوُدِّ بيْنَ السِّبْط والسِّبْط والحَبْر
فلوْ تَنْطقُ الزهراءُ أثْنَتْ وخبَّرَتْ أَباها بما قدَّمْتَ منْ صالحِ الذُّخر
وأرْضَيْتَ ربَّ الناس والناسَ فاغتدىٰ بَنانُكَ مملُوءاً منَ الأجرِ والشُّكر
فلا برِحَتْ راياتُكَ السودُ تَهْزِمُ الـ ـجنودَ بنَصْرٍ أيِّدِ يا أبا نصْر

وكتب إليه النقيب الطاهر قطب الدين بن الأقساسي جزءاً من شعره، فتأمله، وكتب على ظهره: [من الكامل]

لا غَرْوَ إنْ فُقْتَ الأنامَ فصاحَةً وأبوكَ أفْصَحُ ناطق بالضاد
مُنعَ القَريضَ صيانَةً لمُقامه ورُزقْتَ منهُ قلائدَ الأجْياد
فكِلاكُما ذو مُعْجز لكنَّكَ التالي لهُ وهوَ النبيُّ الهادي
طَبْعٌ يَفيضُ بلاغةً وفصاحةً فَيْضَ الأتيِّ إلى قرار الوادي
يَدْنُو فَيَهْزَأُ بالوليد وتارةً يَعْلُو فيَسْخَرُ منْ قَريض زياد
..... لجرْجَرَة الفَنيق إذا رَغا وصَلَ الشَّقاشقَ منهُ بالإزْباد
/ ١١٢أ/ لاَ غاضَ هذا البَحرُ منكَ ولا خَبَتْ جمَراتُ هذا الخاطب الوقَّاد
وإذا ذَوىٰ عُودُ البَيان فلا ذوىٰ منْ دَوْح فَضْلكَ أنْضَرُ الأعْواد
وبَقيتَ مَحْسُوداً علىٰ دَركَ العُلا فَمنَ السعادة كَثْرَةُ الحُسَّاد

فكتب النقيب الجواب: [من الكامل]

عبدَ الحميد جُزيتَ عنِّي خيرَ ما يُجزىٰ صديقٌ حافظٌ لوداد
وبَلَغْتَ في الحُسَّاد أنهىٰ ما يُرىٰ ذو نعْمَة في الكَبْت للْحُسَّاد
حُزْتَ الخلال الصالحات بأسْرها منْ عفَّة ونزاهَة وسَداد
وجَمَعْتَ أشْتاتَ العلوم مُغَبِّراً منْ شَأوها في وجْه كُلِّ جواد
ورأيتَ ما أصَّلْتَ عُمْراً ثانياً والبَذْرُ يَبْقىٰ بعْدَ كُلِّ حَصاد
وكذا الذي تسمو به همَّاتُهُ حتى يكونَ فتًى منَ الأمْجاد
قدْ كنتُ لا أبدي القَريضَ مُراقباً خَلَلاً يُعَدِّدُه ذوو الإنْشاد

وأقـــولُ إنَّ لـــهُ أعَـــادي رُبَّمـــا ... عَـــدَلُـــوا عَـــن الإصـلاحِ لـلإفْســـاد
وأقـــولُ لســـتُ بمُظْهِـــرٍ ولَـــدي إلـــى ... مَـــنْ ليـــسَ يَعْـــرِفُ حُـــرْمَـــةَ الأولادِ
حتـــى رأيتُـــكَ أهـــلَ ذاكَ فلـــمْ أكُـــنْ ... لأصُـــونَـــهُ عَـــنْ مُنْصـــفٍ نَقَّـــادِ
فـــوَصَفْـــتَ منـــهُ مـــا أســـارَ رُوَاتَـــهُ ... فـــي كُـــلِّ قُطْـــرٍ فـــي البِـــلادِ ونَـــادي
/ ١١٢ب/ أطْلَقْتَ منهُ ما حَبَسْتُ بشُكْره ... لَـــكَ ظـــاهـــرٌ بيـــنَ الخليقَـــةِ بـــادي
وعَـــدَدْتَ شعْـــري عنـــدَ وصْفِـــكَ مِنْحَـــةً ... رَقَـــدَتْ بهَـــا عينـــي وقَـــرَّ وِسَـــادي
ولأعْطِفَـــنَّ عليـــكَ منـــهُ مَحَـــامِـــداً ... ذُلُـــلاً إليـــكَ علـــى يَـــدِ الحُقَّـــادِ
تكْسُـــوكَ أبْـــرَادُ الثَّنـــاءِ فـــإنَّهـــا ... نَـــاهيـــكَ للفُضَـــلاءِ مِـــنْ أبْـــرَادِ
يبقـــى عليـــكَ بهـــا . . . . مـــا غَـــرَّدَتْ ... قُمْـــرِيَّـــةٌ وحَـــدا القَـــلائِـــصَ حَـــادي

وكتب إلى فخر الدين أبي المظفر هبة الله بن الموسوي عند ترتيبه صدراً بالمخزن المعمور في سنة عشرين وستمائة: [من الكامل]

لـــي فـــي الـــرجـــالِ فـــراسَـــةٌ لا تكْـــذِبُ ... قـــدْ أخْبَـــرَتْنـــي أنَّ جَـــدَّكَ يَغْلِـــبُ
وارىٰ الأُمـــورَ إلـــى يَـــديـــكَ سَتَنْتَهـــي ... غـــايـــاتُهـــا وإلـــى عُـــلاكَ سَتُنْتَسَـــبُ
خَلَـــتِ البِـــلادُ مِـــنَ الكُمَـــاةِ فـــلا نَـــدًى ... يُـــرْجـــىٰ ولا فَتْـــكٌ يُهَـــابُ ويُـــرْهَـــبُ
ذا خَـــائِـــرٌ طَمَعـــاً وذا مُسْتَـــرْسِـــلٌ ... عَجْـــزاً وذا مُتَهَـــوِّرٌ مُتَـــوَثِّـــبُ
وتَقَسَّمَـــتْ أعمـــالُهـــا فـــي مَعْشَـــرٍ ... خَـــرِبَـــتْ بسُـــوءِ فعـــالِهِـــمْ وسَتَخْـــرَبُ
إنَّ البُغـــاثَ بـــأرْضِنـــا مُسْتَنْسِـــرٌ ... والشَّـــاءُ فـــي طُـــرُقَـــاتِنـــا تَسْتَـــذْئِـــبُ
قـــدْ أعْضَـــلَ الـــداءُ الـــذي بُقْـــرَاطُـــهُ ... تَـــدبيـــرُكَ الحَسَـــنُ الأسَـــدُّ الأصْـــوَبُ

/ ١١٣أ/ ومنها:

مـــا المخـــزنُ المعمـــورُ إلاَّ أيِّـــمٌ ... قَلَّـــتِ الـــرجـــالُ وأقْسَمَـــتْ لا تُخْطَـــبُ
فنكـــاحُهـــا مُتَعَـــذِّرٌ وطَـــرِيقُهـــا ... مُتَغَيِّـــرٌ ولقـــاؤهـــا مُسْتَصْعَـــبُ
رَغِبَـــتْ عَـــنِ الأكْفَـــاءِ عِـــزّاً واغْتَـــدَتْ ... فـــي مَجْـــدِهـــا الســـامـــي المكـــانَـــةِ تَـــرْغَـــبُ
يـــابْـــنَ اللُّيُـــوثِ وقـــدْ نَصَحْتُـــكَ فـــاستمِـــعْ ... مثَـــلاً فقَـــدْ هَـــدَرَ الفَنِيـــقُ المُصْعَـــبُ
لا تُخْـــرِجَـــنَّ العضْـــبَ منـــكَ فَـــرُبَّمَـــا ... كـــانَ الـــذي يُنْجيـــكَ مِمَّـــا يُعْطِـــبُ

ومنها وقد ذكر ترتيبه مشرفًا حينئذ بطريق خراسان: [من الكامل]

فانْظُرْ أنارَ اللهُ سَعْدَكَ ما دجا ... ليلُ وأشْرَقَ في الدُجُنَّةِ كوكَبُ
هلْ مثلُ مُشْرفكَ الذي ترتيبُهُ ... في مُشْرفي الأعمالِ لمَّا رُتِّبُوا
جُمعَتْ لهُ شُعَبُ الفضائلِ كُلُّها ... لمَّا غَدَتْ في غَيْرِه تتشَعَّبُ
حَدَثُ الشَّبيبَةِ وهْوَ إنْ مَارسْتَهُ ... كَهْلٌ خَبيرٌ بالأمورِ مُجَرِّبُ
يقظانُ مُلتهبُ الفُؤَادِ جَنَانُهُ ... ذَكرٌ وعزْمَتُهُ حُسَامٌ مُقْضَبُ
يُغْني عنِ النُّظَّارِ إنْ فُقدُوا كما ... يُغْني عنِ الكُتَّابِ ساعةَ يَكْتُبُ
إنْ شئْتَ فهْوَ أبو رَشيدٍ حاسبًا ... وإذا تشاءُ فَمُشْرِفٌ لا يَحْسُبُ

/ ١١٣ب/ في هذا البيت كناية عن معنًى كان بينهما:

كَتَبَتْ عليه الرِّقَّ طُولَ حياتِهِ ... جهَتانِ إحْسانٌ إليهِ ومَذْهَبُ

وكتب إليه أيضًا: [من الخفيف]

لو بحفْظِ العُهُودِ كنتَ وَفيًّا ... ما سَعَرْتَ الهوىٰ عليَّ وَفيَّا
هَدَّنَي ضَعْفُ مُقْلَتَيْكَ وقدْ قيـ ... ـلَ ضَعيفانِ يَغْلبانِ قَويًّا
مَلَكٌ مَثَّلَتْهُ لي يكْرَهُ الحُـ ... ـبَّ غُلامًا بينَ الأنامِ سُويًّا
عُذْتُ باللهِ منكَ والمخزنِ المَعْـ ... ـمورِ إنْ كنتَ يا غُلامُ تَقيًّا
بحمىٰ ماجدٍ إذا ضيمَ للأمْـ ... ـجادِ جارٌ كانَ الغَيُورَ الأَبيّا
منْ قَبيلٍ يُتْلَىٰ الكتابُ عليهمْ ... فَيَخِرُّونَ سُجَّداً وَبُكيّا
خَلَفُونا أبا المُظَفَّرِ منْ مَجْـ ... ـدكَ ما يكْبِتُ الحَسُودَ الشَّقيّا
أَمَّلَ الدُّرَّةَ التي أنْجَبَتْ منْ ... جَوْهَرِ المَجْدِ راضيًا مَرْضيّا
وأبوكَ الإمامُ موسىٰ كظيمُ الـ ... ـغَيْظِ حَتَّىٰ يُعيدُهُ مَرْضيّا
وأبوهُ تاجُ الهدىٰ جعْفَرُ الصَّا ... دقُ وَحْيًا عَنِ الغُيوبِ وَحَيّا
وأبوهُ مُحَمَّدٌ باقرُ العلْـ ... ـمِ مضىٰ هاديًا لنا مَهْديّا
وأبوهُ السَّجّادُ أتْقىٰ عبادِ الـ ... ـلهِ في الكونِ مَجْلسًا و....
/ ١١٤أ/ والحسينُ الذي تَخَيَّرَ أنْ يُو ... دي عَزيزاً ولاَ يعيشُ دَنيّا
وأبوهُ الوَصيُّ أشْرَفُ مَنْ طا ... فَ ولبَّىٰ سَعْيًا وساقَ الهَديّا
طامَنَتْ مَجْدَهُ قُريشٌ فأعْطَتْـ ... ـهُ إلىٰ سُدَّةِ السماءِ رُقيّا
أهْمَلَتْ صيتَهُ فطارَ إلىٰ أنْ ... ملأَ الأُفْقَ ضَجَّةً وَدَويّا

وأبو طالبٍ كفيلُ أبي القاسـ ... ـم كَهْلاً ويافعاً وصَبيّا

ثُمَّ شيخُ البَطْحاء تاجُ مَعَدٍّ ... شَيْبَةُ الحَمْد هَلْ عَلمْتَ سَميّا

وأبو عَمْرو العُلاَ هاشمُ الجُو ... د ومَنْ مثْلُ هاشمٍ بَشَريّا

وأبوهُ الهُمامُ عبْدُ مَنَاف ... قُلْ تَقُلْ صادقاً وسَديديّا

ثمَّ زَيْدٌ أعْني قُصَيَّ الذي لمْ ... يَكُ عَنْ رُتْبَة العَلاء قَصيّا

نَسَبٌ إنْ يُلَقَّع النَّسَبُ المَحْـ ... ـضُ لقَاعاً كانَ السَّليبَ العَريّا

وإذا أظْلَمَتْ [به] بيْضَةُ الإنْـ ... ـسان يوماً كانَ المُنيرَ الجَليّا

تالدٌ مَجْدُهُ على قدَم الدَّهْـ ... ـر وقدْ يَفْضُلُ العتيقُ الطَريّا

وإذا مَا عَدَدْتَ أجْدَادكَ الغُـ ... ـرَّ فيَكْفيكَ أنْ تَعُدَّ النَبيّا

شَرَفٌ أفْحَمَ الزمانَ فلو حا ... وَلْتَ وَصْفاً لَهُ لَعُدَّ غَنيّا

وعَتيقاً إذا عَدَدْتَ وكسْرى ... أوْرَثَاهُ لسانَ صدْق عَليّا

/١١٤ب/ مَلكَيْ فارس وعدنانَ فافْخَرْ ... عَربيّاً إنْ شئتَ أوْ فارسيّا

وإذا ما فخَرْتَ منْ جهة الأعْـ ... ـمام فادْعُ السِّبْطَ الجليلَ الزَّكيّا

حسَناً وادْعُ جَعْفَراً تَدْعُ لَيْثاً ... يَرْهَبُ الليثُ بَأسَهُ شَمَّريّا

وادْعُ عَمَّيْكَ حمزةَ الحَرْب والعَبَّـ ... ـاسَ ذمْراً وسَيِّداً لَوْذَعيّا

الإمامَ الحَبْرَ المُعَظَّمَ عبْدَ الـ ... ـله والعابدَ التَّقيَّ النَّقيّا

وابنَهَ الكاملَ الجليلَ فقُلْ ما ... شئْتَ فيه فقدْ أصَبْتَ الرَّميّا

وَبني عَمِّكَ الجَحاجحَ والصِّيـ ... ـدَ سَريّاً منْ بينهمْ فَسَريّا

وبنيه أئمَّةَ الدِّين هَلْ تَذْ ... كُرُ منهُمْ إلاَّ شُجَاعاً كَميّا

أوْ عظيمَاً مُرَشَّحاً أو أميراً ... أو إماماً مُسْتَخْلَفاً أوْ وَصيّا

وإذا ما النَّديُّ فاخَرَ بالأخْـ ... ـوال فافْخَرْ فقدْ شَأوْتَ النَّديّا

بسَميِّ الخليل واذْكُرْ أخاهُ ... قاسماً تَذْكُرُ الوصيَّ البَهيّا

واذْكُر الطَّيِّبَ المُطَهَّرَ والطَّا ... هرَ نحوَ العُلا . . . . . الغَريّا

بَضْعَاتَ منَ المُؤَيَّد بالوَحْـ ... ـيِ نُوراً منَ الإله جَليّا

بكُمُ أسْتَعيذُ منْ رَوْعَة المَوْ ... قف جَمْعاً حَولَ الجحيم جُثيّا

حينَ يَسْتَفْرِغُ المَلائكُ مَنْ كُـ ... ـلِّ قَبيلٍ أوفى القَبيلِ عتيّا

/١١٥أ/ رَبِّ لا تَجْعَلَنِّي في الأُلىٰ كا   نُوا بنار الجحيم أولىٰ صليّا
فاتحِ الأمْرِ منكُمُ ولدىٰ الخا   تِمِ منكُمْ وَعْداً لكُمْ مَقْضِيّا

وكتب إلى شرف الدين معد الموسوي، يذكر نهر مَلك بالفلوجة، وقد أحكمه بناءً:

[من المتقارب]

منازل ليلىٰ وأوْطانَها   سُقيت منَ المُزْن هتّانَها
ولا سَحَبَتْ مُثْقلاتُ السَّحاب   بغَيْر صَعيدكَ أشْطَانَها
منازلُ جارَ عليها الزمانُ   فأبدَل بالوَحْش غُزْلانَها
وربّتَما ليلةٍ بتُّها   أُعاقرُ بالراح سُكّانَها
وقدْ عمَّمَ النورُ ضِلَّعَ النِّجاد   منها وجلَّلَ غيطانَها
وليلىٰ على العهد لا . . . . . .   حَذرْتُ ولا خفْتُ هجْرانَها
تبوحُ إلينا بأسرارها   ونأمَنُ في الوعْد ليّانَها
فَما ضَرَّها لوْ أدامَتْ لنا   زَكاةً عَن الحُسْن إحْسَانَها
تحكي عَنْ وَصْلهَا البارقا   ت تُوقدُ في البيض نيرانَها
وصُمَّ الأنابيب عَسَّالَةً   تُضاهي سَنى الغُصْن مُرّانَها
/ ١١٥ب/ ومقربة منْ بنات . . . . قُبَّ تُجَاذبُ أرْسانَها
تحفُّ منَ الشُّوس ذا نَخْوَة   أبيَّ العشيرة غَيْرانَها
لَو ارْتابَ بالطَّيْف في نَوم مُقْـ   ـلَتَيْه لأسْهَرَ أجْفَانَها
فغارَ عليها منَ الشمس أنْ   تُقابلَ بالنُّور جُثْمانَها
حذارَ الأحاديث إنَّ الكريـ   ـمَ لَيَخْشَىٰ ثَناها وبُهْتَانَها
أُحبُّ أخا العَزْم لَو ساوَرَ الـ   ـجبالَ لزَعْزَعَ ثَهْلانَها
يكادُ بهمَّته أنْ ينا   لَ نجومَ السماء وأعْنَانَها
كَعَزْم معَدِ بنِ موسَىٰ الذي   إذا زانَ مُلْكاً عَلا زانَها
هوَ الطاهرُ الطَّيِّبُ المُرْتَجىٰ   إذا حارَدَ الشَّوْلُ ألْبانَها
وأمْسَتْ هَشيماً رياضُ النَّدىٰ   وأفْنَتْ يَدُ المَحْل أفْنَانَها
وذو العَزْم لَوْ قَذَفَ الجنَّ منْـ   ـهُ شَهَابٌ لأحْرقَ شَيْطانَها
ينالُ بأدْناهُ مَثْنَىٰ الصِّعَا   بِ منَ المَجْد إنْ رامَ وُجْدانَها

هنيئــــًا لأرْض تَــــولَّيْتَهــــا وأحْيَيْــتَ بــالعــدل قُطَّــانَهــا
وكـــادتْ تكـــادُ مـــنَ الجَـــوْر أنْ تَميــدَ فثَبَّـــتَّ أرْكَـــانَهـــا
ذوَىٰ نَبْتُهــا وَعَفــا رَسْمُهــا فــأحْيَيْــتَ بــالعُــرْف سُكَّــانَهــا
/ ١١٦أ/ كــأنَّــكَ مــوسـى ونهــرُ المليـ ـــك مصْـــرٌ ودينُـــكَ قـــدْ دانَهــا
وأعطــىٰ يــراعُــكَ بَيــنَ اليــرا عِ معــانــي عصــاهُ وبُــرْهــانَهــا
فــأصبــحَ يُبْطــلُ مــا مَــوَّهَتْـ ـــهُ حبــالاً تَلَقَّــفُ ثُعْبــانَهــا
تــدارَكْــتَ بــالحلْــم جُــرْمَ الجُنَــا ة وكفَّــرْتَ بــالعَفْــو عصْيَــانَهــا
ومـــازال صفْحُـــكَ بيـــنَ الأنـــا مِ يَلُـــمُّ ويَجْبُـــرُ نُقْصَـــانَهــا
لفعْـــل أبيـــكَ وقـــدْ ضَمَّـــت الـ ـعُقَـــابَ سَلَّـــهُ عُقبَـــانَهـــا
عَفَــا والإســاءَةُ لَــمْ . . . . . . ولَـــمْ يُطـــل العهـــدُ أزْمـــانَهــا
إذا مـــا أردتَ ابتيـــاعَ العُـــلا وجَـــدْتَ مـــنَ الحلْـــم أثْمَـــانَهــا
عَجبْـــتُ لإيـــداع نَهْـــر المَليـ ـــك أتـــيَّ الفُـــرات وطُـــوفــانَهــا
وقَطْعـــكَ آذيَّ تيّـــارهـــا بمـــا أصْحَـــبَ الضَّـــبَّ حيتَـــانَهــا
لَطَـــافَـــةُ ذُهْـــن . . . . سَلَبْـــتَ البَـــريَّـــةَ أذْهَـــانَهــا
أكـــانَ مَتَـــالعَهـــا مـــا قَطَعْـ ـــتَ بـــه البَحْـــرَ أمْ كـــانَ شَعْـــرانَهــا
لقـــدْ أعْجَـــزَ الإنْـــسَ مـــا قـــدْ فَعَلْـ ـــتَ فَهَـــلْ كنـــتَ مُسْتَخْـــدمًا جــانَهــا
وبعـــد سليمـــانَ مـــا سَخـــرَتْ . . . . يـــا سُلَيْمَـــانَهـــا
لتَبْـــقَ العُـــلا أبـــداً مـــا بَقيَـــتْ ويـــا دعـــوَةً صـــادَفَـــتْ آنَهـــا

/ ١١٦ب/ وكتبت إليه وهو مُتوجِّه إلى الأعمال الواسطية عوضًا عن ابن النجاري:

[من البسيط]

ســرْ تحــتَ ألــويَــة الإقْبــال والظَّفَــر يَهُــزُّكَ العــزمُ عنــدَ الصــارم الــذَّكَــر
للَسعْــد حــولَــكَ فسْطَــاطٌ تُطيــفُ بــه مــواكــبُ النصــر كــالأكمــام بــالثمَــر
واقْصــدْ بــلاداً متــى تَحْلُــلْ بسَــاحَتهَــا تَقْــدَمْ عليهــا قُــدومَ المُــزْن بــالمَطَــر
ألآنَ حيــنَ انْبَــرىٰ بــادي القَسّــيِّ لَهــا وعــايَــنَ النَّهْــجَ قَصْــداً مُــدْلَــجُ السَّحَــر
يــا جَــائــراً حــائــراً عــنْ سَمْــت مَسْلكــه إرْفَــعْ جُفــونَــكَ هــذي طَلْعَــةُ القَمَــر

هــذا مَعَــدُ النقيــبُ المــوسَــويُّ متــىٰ تَحْلُــلْ بســاحَتــه تــأمَــنْ مــنَ الــدَّعَــر(١)
أمْــنَ الحمــائــم بــالبيــت الحــرام ومَــنْ يَــأمَــنْ مــنَ البَحــر لا يَغْــرَقْ مــنَ النَّهَــر
اليــومَ يــا شَــرَفَ الــديــنِ الهُمــامَ جَــرىٰ طــرْفُ المَعــالــي فحــازَ السَّبْــقَ بــالحَضَــر
هــذا المنيــرُ منيــرُ الشمــس جــالبَــةً للنَّفْـــعِ دامغَـــةً للبُـــؤس والضَّـــرَر
لـــولا تَنَقُّلُهـــا لاخْتَـــلَّ مُضْطَـــرِبـــاً مــا بــالبَسيطَــة مــنْ حَــيٍّ ومــنْ شَجَــر
تُحْــدىٰ بــكَ الأعْــوَجيَّــاتُ العتَــاقُ كمــا حَــدَتْ بجَــدِّكَ فَــي الأبطــال مــنْ مُضَــر
إنِّــي لأعْجَــبُ مــنْ أرْض حَلَلْــتَ بهــا ثــمَّ ارْتَحَلْــتَ فلــمْ تَــرْحَــلْ ولَــمْ تَســر
/ ١١٧أ/ ومــنْ بــلاد دَرَتْ أنَّ الــزعيــمَ لهــا تَــدْبيــرُ مَجْــدكَ . . . . . . لــم يَطَــر
تبّــاً لشَــانئــكَ المَشْــؤوم طــائــرُهُ ألَــمْ يَخَــفْ ضَــرَبــات الضَّيْغُــم الهَصَــر
غَـــرَّتْـــهُ منــكَ أنَــاةٌ لا شبيـــهَ لَهـــا ألا يكــونُ شهــابُ النَــار فــي الحَجَــر
الــرِّفْــقُ أنْجَــحُ للمَسْعــىٰ وأجْــدَرُ فــي الــ ـعُقْبَــىٰ وأطْيَــبُ ذكْــر شَــاعَ فــي خَبَــر
ولا فضيلـــه مـــا مـــدَّ فـــي طـــول الــ ـمعــاصــي أزيــد لَــه فــي الــرِّزْق والعُمُــر
جُــزيــتَ عــنْ نــاصــر الإســلام مــالكنــا خيــرَ الجــزاء لقــدْ أجْملْــتَ فــي الأثَــر
عَمَمْــتَ بــالعَــدْلَ والبــرِّ البــلادَ فقَــدْ جمعْــتَ بَيْــنَ أســود الغيــل والحُمُــر
يــابــنَ الأكــارم لــولا العَــدْلُ مــا سُطــرَتْ غُــرُّ المــدائــح فــي كسْــرىٰ وفــي شَمــر
مــا اسْتُثْمــرَ المَـــالُ وازْدادَ النَّمـــاءُ بمثْــ ــل العَــدْل فــي ســالــف الأيّــام والعُصُــر
حــالُ العَــراق مــعَ الحَجّــاج يَعْــرِفُــهُ أهــلُ التــواريــخ فــي التكــريــم للبَقَــر
فــاشْــدُدْ يَــدَيْــكَ بمــا أُوتيــتَ مــنْ نعَــم الــ ــلــه العَلــيِّ وســرْ قصْــداً مــنَ السِّيَــر
رفْقـــاً وعُنْفـــاً وحلْمـــاً تحتَـــهُ نقَـــمٌ كــالــوصْــل والهَجْــر أوْ كــالشَّهْــد والصَّبــر
وعِـــشْ فَعِـــشْ بصَـــلاحٍ مــا بَقيــتَ لنــا كـــأنّنـــا وَرَقٌ فـــي عُـــودكَ النَّضــــر

وكتب إليه عند رجوعه من زيارة بعض المشاهد : [من الكامل]

/ ١١٧ب/ أزيـــارَةً أمْ حَجَّـــةً مَبْـــرورَةً قَضَّيْـــتَ يـــا مَلكـــاً عظيمـــاً شـــانُـــهُ
لـــو يستطيـــعُ القبـــرُ حيـــنَ وقفْـــتَ فـــي عَـــرَصَـــاتـــه أثنـــىٰ عليـــكَ لسَـــانُـــهُ
ويكـــادُ يستلـــمُ الضـــريـــحُ يَـــدَيْـــكَ إلْـــ ـــزامـــاً فَيَنْشُـــرُ عَـــرْفَهـــا عَـــرَفَـــانُـــهُ

---

(١) الدَّعر : الخبث والفساد . ولعلها الذعر .

وردَ البشيـــرُ إليـــه أنَّـــكَ زائـــرٌ فتَهَلَّلَـــتْ لسُـــروره جُـــدْرانُـــهُ
وصَـــدَرْتَ مَسْـــروراً وهـــا نُـــورٌ علـــىٰ صَفَحـــاتِ وجهـــكَ ظـــاهـــرٌ بُـــرْهـــانُـــهُ
فـــالنصـــرُ مَضْـــروبٌ عليـــكَ رُواقُـــهُ والـــدَّهْـــرُ مكتـــوبٌ لَـــدَيْـــكَ أمـــانُـــهُ
إنَّ الإلٰـــهَ لَشـــاكـــرٌ راضٍ بمـــا أوْلَيْتَـــهُ يـــا شـــائعـــاً إحســـانُـــهُ
ودَليلُـــهُ أنَّ الخليفـــةَ شـــاكـــرٌ راضٍ وفـــي رُضْـــوَانـــه رُضْـــوانُـــهُ
فـــإذا حمـــىٰ ثَغْـــراً فـــأنـــتَ عَـــديـــدُهُ وإذا سطـــا غَضَبـــاً فـــأنـــتَ سنَـــانُـــهُ
وإذا عَفـــا صَفْحـــاً فـــأنـــتَ أنَـــاتُـــهُ وإذا همـــىٰ جُـــوداً فـــأنـــتَ بَنَـــانُـــهُ
فـــاسْلَـــمْ لِعَـــافٍ إنْ يكُـــنْ فـــي سـابِـــقٍ رب التَّـــرافـــد بـــالـــزمـــان زمـــانُـــهُ

ومن كلامه أيضًا؛ وهو نسخة توقيع كتبه لبعض كتاب الأعمال، أيام كان في المخزن المعمور بالخدمة، وفيه تحذير من مكيدة تمَّت على الكاتب قبله:

/ ١١٨أ/ قد عوّل في الكتابة بالمعاملات الفلانية، وما يجري منها علىٰ فلان، لما برز في مضمار البرهان، وجمع إلىٰ أدوات الكتابة عفّة اليد واللسان، وشهد تكرير الامتحان له والتجريب؛ أنه الضَّرْب الأديب، والفرد اللبيب، والمهذّب الذي بلغ أقصىٰ مراتب التهذيب، فليستخر الله تعالىٰ، ويشرع في تحقيق حساب المعاملات المذكورة، وإصلاح ما عساه يجده فيه من الخلل، وتهذيب ما يلمحه من الخَطَل والزَّلَل، وتقويم المائل منه والمائد، وتثقيف الحائل منه والحائد، والخروج به إلىٰ الطريقة المسلوكة، وإعادته إلىٰ الأوضاع الصحيحة المعهودة، والبداية باسترفاع المشاريح بالضمانات، ووجوه العين بأسرها، لسنة كذا الخراجية من كافة الكتّاب والمقابلة بها، لتذاكر الأعمال مما وجده من زيادة في المشاريح أضافها وكمَّلها، وسأل عن صورة الحال فيها، وأنهىٰ إلىٰ المخزن المعمور حقيقة واقعتها، ثم يشرع في تخريج ما يختلف بالمعاملات من وجوه العين، وأثمان المعاملات للسنة المذكورة / ١١٨ب/ وما قبلها، ويُحثّ علىٰ استيفائها، ويحاسب المعاملين عن آخرهم، ويحقق ضماناتهم من

أبوابهم، ويسألهم عن نقداتهم، وتواريخ تصحيحاتهم، ويلمح الروزات التي عساها تكون بأيديهم، ويسلك معهم مسلك التحقيق والإنصاف، ويعدل بهم عما كانوا من العنف والإجحاف، ويوطِّىء لهم أكنافَه، ويليِّن أعطافه، ويحسن إليهم بمداراتهم واحتمالهم، وسعة الصدر اسماع أحاديثهم وأقوالهم، فالضجور الطائش لا يبلغ غرضًا، وسوء الخلق من الأمراض، وكفىٰ به مرضًا، ولو كان العُبُوس جمالاً، لكان عبئًا ثقيلاً، ولو كان البِشْر إنسانًا لكان حسنًا جميلاً.

ثم يشرع في تخريج جرائد البذور والتقاوى والفروض من ارتفاع سنة كذا الخراجية، وما قبلها ليستوفي منها في القسمة ما يُساعد الحاصل عليه، ويغضي النظر في مصلحة العمل إليه؛ وليكن مهيمنًا علىٰ كافة العمال، ومطالبًا لهم بما يتكمَّل عندهم منَ الحقوق والأموال، ويلتمس منهم حساب التحويلات، ويناقشهم علىٰ وجوه المتصرفات، ولا يخلد في حساب المعاملة / ١١٩أ/ إلاَّ إلىٰ قلمه وعقله وفكره؛ فالمثل السائر: ما حكَّ جلد المرء كظُفْره، ومنَ استَعان باليد الغريبة عرّض نفسه للخطر، ومن سلَّم زمامه إلىٰ غيرَه فقد ركب الغرر، أيّ غرر.

وليلازم ديوان المعاملة زمانه كلّه، وليوطن نفسه علىٰ أن يحمل ثقل العمل وكلَّه، فمن تَعب استراح، وإنما يحمد السَّير عند الصباح، وليطالع المخزن المعمور بالمتجددات في أَوقاتها، فتأخر المصالح سبب فواتها، وأهم ما يُؤمر به وإن كان كلّه مُهمًا وأوجب ما يلزمُه وإن كان جميعه واجبًا وحتمًا ما هو دأبه وَعادته وطريقته المألوفة، وقاعدته مَن التقمص بجلباب الأمانة، التي هي أجمل الخلال الحميدة شعاراً، وأعلاها مناراً، وأحمدها إيراداً وإصداراً.

فالغنيُّ علىٰ الحقيقة هو القانع، وإنَّما تقطع أعناق الرجال المطامع، ومن كان أميرَ نفسه، فهو الأميَر، ومن لم يُغنه القليلُ لم

يستغن بالكثير؛ والنفوس مجبولة علىٰ الحرص والطلب، ولو كان لابن آدم واديان من ذهب، وطالما كان الحريص هو المحروم، ولم يؤمن بالنبوة ولم يؤمن أنَّ الرزق مقسوم.

/ ١١٩ب/ وربّما كانت الحيلة في البقاء علّة الممات، ورُبّ أكلة حرمت أكلات، والمال يلعب بالعقول والألباب، ويعمي عين من لا يملأً عينه إلاّ التراب، فليحذر عن أن يزلّ عن المنهج القويم، وليستعذ بالله من الشيطَان الرجيم، ولو استغنىٰ أحد عن الوصيّة، لعفافه وغضّ أطرافه؛ لكان غنيًا عنها لما عُرف من أمانته، وغير محتاج إليها لما تحقق من نزاهته وصيانته؛ لكنّه قد يُوصى الحكيم ويحثّ الجواد، ويهزم الصارم وهو يأكل الأغماد.

والمفروض له في هذه الخدمة كذا وكذا، إلىٰ آخر ما جرت به العادة بذكره في التواقيع والأجل، فلأنَّ الدِّيِّنَ الناظر يعمل بذلك ويحسبهُ ويساعده علىٰ تحقيق الحساب وجمعه وإيضاحه ورفعه، وكل مايلتمسه من العمال وغيرهم من النواب من حساب التحويلات وغيرها، . . . . . في أسرع وقت، وأقرب دهر، فهو قسطاس العمل، وميزانه، ولسان الارتفاع وترجمانه، وقطب الديوان ورجاؤه، وبدء حسابه ومنتهاه».

/ ١٢٠أ/ نسخة توقيع لمشرف بعض الأعمال، كتبه في أيام الخدمة بالمخزن المعمور، وفيه تحذير من مكيدة تمَّت علىٰ المشرف قبله:

«لمّا تحلّىٰ الأجل فلان، تحلى المحاسن والخصائص، وتزين بدُرِّ الأمانة، الذي أتعب كل . . . . رُئي التعويل عليه، بردّ إشراف المعاملات الفلانية إليه، علمًا أنَّه الشهم الندب، والرجل الضَّرْبَ، والحاذق الطَّبّ، فليُقابل مَا أنعم الله به عليه، من أفراده، بالاختيار والإصطفاء، وتقديمه علىٰ كافة الأضراب والأكفاء.

فالخدمة التي يكون بها قاضيًا حق تقدمه علىٰ الكفاة، ومؤديًا

فرض المناصحة، التي هي أفرض من الصوم والصلاة.

وليجعل الأمانة جُنّته الواقية، وذخيرته الباقية، وعصمته المانعة، وعدته النافعة، ولسانه النَّضْنَاض، ودرعه الفَضْفَاض، وسيفه القاطع، وحصنه الدافع، وبابه الذي إذا ولجه فقد أتىٰ البيوت من أبوابها، وكتابه إذا كانت كلّ أمة. . . . تُدعىٰ إلىٰ كتابها، وليحذر نزغ / ١٢٠ب/ الشيطان وتسويله ووساوسه، وأظاليله ومكائده، وتخييله وخدعه وأباطيله.

فإنَّه إنْ أجابه وأطاعه، وبسط إلىٰ غوايته باعه، أصبح من النادمين بل من الهالكين، ﴿كَمَثَلِ الشَّيطان إذْ قَالَ للإنسان اكفرْ فَلَمَّا كَفرَ قَالَ إنِّي بَرِيءٌ منكَ إنِّي أخَافُ الله رَبَّ العَالَمينَ﴾[١].

وليبدأ بطوال المعاملات واستقرائها وتصفُّحها واستبرائها وإثبات قدمها ورجالها، والبحث عن أحوال معاملتها وعمالها، والتأمّل لمصالحها ووفورها، واستعلام الواضح والخفي من أمورها، وحراسة ما بها من متخلف ارتفاع سنة كذا وكذا الخراجية، والتطلع علىٰ ذلك، إلى أن لا يترك وراءه متطلعًا، والاجتهاد فيه إلىٰ أن لا يبقي في قوس الاجتهاد منزعًا، والحث علىٰ استيفاء المتخلّف من ضمان السنة الخراجية المذكورة، ومطالبة العمال والعاملين بذلك، والتماس جريدة مُحرّرة بالمتخلف من وجوه العين بأسرها للسنة الخراجيّة المذكورة، وإرهاف العزائم علىٰ تحصيلها، والبحث عن علّة / ١٢١أ/ تأخيرها، والمطالبة ببقايا السنة الخالية قبلها، وتحقيق القروض والتقاوي والبذور المسلّمة من ارتفاع سنة كذا الخراجية، وتعجيل قسمة الغلّات الجارية علىٰ الأمانة، واستعادة القروض المذكورة منها، والمحافظة عليها من اطراح المراقبة فيها، والإهمال

(١) سورة الحشر، الآية ١٦.

لها، والتغاضي عنهاوإفراد بذور الوكلاء . . . . . الله تعالىٰ. هو حسب ما يخرجه كاتب المعاملات من أجود الأجناس وأضربها، كيل مثلها وتتخير المحارز الحصينة، وترتيب المذكورين الثقات عليها، والاتفاق مع نواب المخزن المعمور علىٰ اعتماد سائر المصالح في أوقاتها، والمطالعة بها قبل فواتها، يتقدم إليه ما يحتذيه ويكون الجزاء والمفروض له عن هذه الخدمة كذا وكذا، والأجل السيد فلان الدين ينفق معه علىٰ حراسة الأموال، وتدبير الأعمال، وحفظ الارتفاع، وكفّ الأطماع، ما يعود بصلاح العمل واستقامة الأمور، وما يرضي الله تعالىٰ، والمخزن المعمور ـ إن شاء الله تعالىٰ».

/ ١٢١ب/ وجدتُ في آخر كتاب «العبقريّ الحسان» هذا الفصل من كلام أبي محمد ابن أبي الحديد من جملته:

«وقد مضىٰ من الوسائط بين هذين الطرفين الشريفين من النكت الدقيقة، والمعاني البديعة، والاختيارات الحسنة؛ ما فيه مقنع وبلاغ، وقد تضمن هذا المجموع أشياء تتعلق بستة عشر علمًا وهي: الكلام، أصول الفقه، المنطق، الطبيعيات، الإلهيات، النحو، اللغة، التصريف، العروض، القوافي، النظم، النثر، صناعة الشعر، النسب، الاشتقاق، السير، والتواريخ».

ومن كلامه؛ نسخة توقيع لمشرف بعض الأعمال:

«ولما اجتمع في الأجل فلان، أدام الله رفعته، من الخصائص المشكورة، والمزايا المأثورة، والمحاسن المشهورة، ما يوجب له تقديم القدم، والتعويل عليه من الملحوظ من الأعمال والخدم، رؤي التعيين عليه ورد الأشراف / ١٢٢أ/ بالمعاملات الفلانية إليه، علمًا أنّه الكفؤ الكافي، والطب الشافي، إلىٰ ما يحرسه ويليه، والموثوق بما يشارفه ويراعيه.

فليقدم استخارة الله تعالىٰ في مقاصده وانحائه، والتوكل عليه،

في مرامي أغراضه، ومطارح آرائه، وليستمر علىٰ ما ألف منه من التقمص بجلباب الأمانة، واشتهر عنه من التدرع بجُنَّة النزاهة والصيانة؛ فإنها الدرع التي تسخر بالنبال، وتهزأُ بالنصال، وتضمن سلامة دارعها يوم النزال، وقلّ من أصبح منها حاسراً إلاّ ومشىٰ في صفقته خاسراً، أو كان لها مجانبًا إلا وترك السعادة جانبًا؛ فالأمانة سرّ المرء وجوهره، وباطن الإنسان ومَخبره، وبها يستدل علىٰ شريف نفسه ودنائتها، ومنها يعلم ثمَنها ومقدار قيمتها، فإن كملت وتمّت، دلّت علىٰ عزّة النفس وعلوها واحتقارها لدنايا الحطام وسموها، وإنْ نقصت وأسلمت أبانت عن لؤم المرء ونقصه، وكشفت عن شرهه وحَرصه، فيلستكف علىٰ جلاء قبح الذكر، ويتحمل ادلاء أثقال الوزر، وقلّ أن يعدم / ١٢٢ب/ بينهما تقديم العقوبة وتعجيلها، وطروق الحادثة وحلولها، فيلكن عَصَمَهُ الله ممن يستشعر الحذر، ويشاهد الأشياء بالبصيرة قبل مشاهدتها بالبصر، في تطواف المزدرعات [و] ملاحظتها، وملابسة الأعمال ومشارفتها، وما تخلف من ارتفاع المعاملات لسنة كذا الخراجيّة، وما قبلها، بجمعه من مظانه، ويحرسه بنفسه وأعوانه، وينصب من التذاكر ما يحتوي علىٰ أصول الأموال وفروعها، ومتفرقها ومجموعها، ويضع ختمه علىٰ المحارز والعزول، عند . . . . . وخروجها إلىٰ حيّز المعلوم، عن صبر المجهول، ويطالب بجرائد البقايا . . . . . ما يرجى حصوله منها، ويسأل السبب من إرجائها، والمقتضي لتأخير استيفائها، ويهتم غاية الاهتمام بتطواف المزدرعات لسنة كذا الخراجية، وحراستها من القطع، والرعي والحثّ علىٰ تعاهدها بالنطارة والسبي.

وإذا استعدت للحصاد، وراجت ثمرة الاجتهاد وأعمل جيد / ١٢٣أ/ فكرتهَ، في استعلام حقائق الأحوال، واختيار بواطن الرجال، وتخيّر من ألطـــافـــه الثقـــات أربـــاب الـــديـــانـــات، أو أربـــاب

الأمانات، فمن جهل حاله فليرجع فيه إلىٰ الكفالات، وليباشر بنفسه أو من يقوم مقامه، كل ما يمسح في قسمٍ، ويحرز ويقرر، ويحل ويعقد، ويستوفي ويستخرج غير مستهين بالنزر اليسير، ولا مُغض عن الأمر الحقير، ولا مسامح في الفتيل ولا النَّقير، فقد يهدى الأَبؤُس الغُوَير، وكم . . . . مطير، وليطالع بما قلَّ وجلّ من المتجددات إذا فاتها، ليتقدم بتدبيرها قبل فواتها، فالمصالح المتجددة لا يجوز أنَ تؤخر وتترك، وأوقاتها كأوقات الحج، فَارِطُها لا يُستدرك، والمفروض له عن هذه الخدمة».

نسخة توقيع لمشرف عمل أيضًا:

لما كان الأجل فلان ـ أدام الله رفعته ـ من أعيان الرجال، وأرباب العمال، وممن اشتهر بمحاسن الأفعال، وأعرب عن تخصيصه لسان الحال، قبل لسان المقال، رؤي الإنعام عليه /١٢٣ب/ ردَّ الأشراف بالمعاملات الفلانية، إليه . . . . . إلَىٰ تدرعه من العفّة والنزاهة، بأوفىٰ جُنَّة، والاعتضاد من حَولها، وقوتهماَ بأتمّ حول، وأعظم منه، واتحادهما أكرم فرض، وآكد سنة.

فليستخر الله تعالىٰ وليُواظب علىٰ حجّ كعبتهما، والتوجه إلىٰ قبلتهما، والتدين بشرعهما، والسلوك في شرعتهما، وليستمر علَىٰ التقمص ببردهما السني، والتعري عن ثوب الإسفاف الذي . . . . ، ولنفسه عن مطعم السوء إذا اعترضَ قاهراً، وفيما ثبتت قدمه جاهداً، وللشيطان له مجاهداً، ليكَون بأفعاله الحسنة مكافيًا للأنعام، ومستحقًا لزيادة الموهبة والدوام؛ تقديمًا في المثل: الزم الصحة يلزمك العمل.

وليبدأ فيما تخلف بالمعاملات من ارتفاع كذا الخراجية عليه، . . . . موضع ختمه علىٰ المحارز في . . . . . اعتبارها بالأوزان والكُيول، ولينصب من التذاكر، ما يكون حاويًا لأصول الارتفاعات

وفروعها، ومحيطًا بجملها وتفاصيلها.

وليلتمس جرائد البقايا / ١٢٤أ/ ويحثّ علىٰ استيفاء ما تيسّر منها، ويبحث عن علّة تأخير متخلفها، يسترفع من مستوفي الأعمال، مشاريح الفدن والبذور، ويعتبر مواقعها، ويلازم تطواف المزدرعات، لسنة كذا الخراجيّة، وحراستها مما يليها، ويتطلع علىٰ بعيد الأعمال وقريبها، فإذا حان وقت الحصاد، ونفقت الأكمم عن ثمار الاجتهاد، رتّب من ألطافَه والأعوان من يثق بمناصحته، ويسكن إلى حراسته، وأدلّ عليهم عيون التطلع، أصغىٰ إليهم بمسامع التصفحَ والتتبع، فمن وجده للمحجَّة سالكًا، وللدناءة تَاركًا، أقرّه واستخدمه، وأدناه وأكرمه، ومن ألفاه عن الجدّ ناكبًا، ولأثباج الطمع راكبًا، أحصن تأديبه وتقويمه، وفرىٰ بغرب السياسة أديمه، وجعل ما يعتمده من نكاله رادعًا لأمثاله، وبأفعاله في مستقبل أمره وماله؛ فليس الكهل كالحدث الصبي، ولا القارح كالجذع الفتي، والحوادث ذخيرة العواقب، والمصائب أثمان التجارب.

وليباشر بنفسه أو من يقوم مقامه، سائر ما يستوفي ويستخرج / ١٢٤ب/ ويمسح ويقسم، وينشر ويبرم، ويحل ويعقد، ويحرز ويقدّر، ويزاد وينقص، ويخمن ويضمن، ويكال ويوزن، ليحيط عمله وقلمه بالجليل والقليل، والكبير والصغير، والخطير والحقير، ويتمثل أحوال العمل عنده شخص نصب عينه، وتلقاء وجهه، وتجاه ناظره.

وليفرد في التسمية بذور الوكلاء بموجب ما يشهد به حساب المعاملة من أجود الأجناس . . . . . ، وأوفى الكيول وأكثرها، وليختر لها المحارز الحصينة، والنواحي الأمينة، وليجهد في حراستها في حالتي إحرازها وإخراجها؛ فهي البضاعة الملحوظة، والذخيرة المرموقة، والسلعة النفيسة، والجوهرة الثمينة، ورأس

المال المصون، وبالكسر الذي تتناقله الألسنة، وتمتدّ إليه العيون، وليصدق المظنون فيه في حراسة جميع ما يلاحظه، . . . . . في حمايته، عمن يتناوله أو يتلفه، . . . . . عليه بعد تعيينه واختياره، وأفراده بالتقديم والتأهيل، وإيثاره أن يهجر لذّة الرُّقاد، في بلوغ المراد، وأن يكون لين المهاد، وعنده أخشن من شوك القتاد / ١٢٥أ/ إلىٰ أن يقال له: قد وفيت وكفيت، وعولج بك فشفيت.

وليـواصـل متجـددات العمـل فـي أوقـاتهـا، قبـل اختـلاف أنـواعهـا وجهاتها، ولا يستحقر منها حقيراً، ولا يستصغر منها صغيراً، فالكتاب سطر إلىٰ سطر، وأول الغيث قطر، والمفروض له عن هذه الخدمة».

نسخة توقيع لناظر بعض الأعمال:

«لما ظهر من كفاية الأجل فلان ـ أدام الله علوّه ـ ما يستوجب به شمول الإنعام والاصطناع، ومن آثار خدماته ما يستحق به سمو الطرف، وإطالة البَاع، وأسندت أخبار حسناته إلىٰ مرأىٰ العيان، لا إلىٰ مروي السَماع، ونيطت به مهمات الأعمال فكَفاها، وعولجت بنظرَة أدواؤها المعضلة فشفاها. رأىٰ المخزن المعمور، أن . . . . . به علىٰ الأضراب والأكفاء، ونجذب بضبعه إلىٰ رتبة الرئاسة والعلا، فعوّل عليه في النظر بالمعاملات الفلانية؛ سُكونًا إلىٰ أمانته وعفافه، وركونًا إلى نزاهته / ١٢٥ب/ وصيانة أطرافه، ووثوقًا بتقاعسه عن الدَّنس وإيضاعه إلىٰ الخير والجافة، وعلمًا بما عنده من الجدّ والتشمير والهمّة، التي تستقلّ الكثير، وتستصغر الكبير، والقوة التي تنهض بالأثقال، ولو كلفت حمل يَذْبل وثَبيْر، فليشكر هذا الإنعام، بلسان الاجتهاد، فالشكر بالفعل لا بالقول، هو الشكر المراد.

وليبدأ بتطواف المعاملات المذكورة، وتصفح أحوالها، وإثبات مدَّتها ورجـالهـا . . . . ، العـوامـل وانتحـابهـا، وتـرغيـب الأكـرة

واستجلابها، وحفر الأعمدة ومحولاتها، وخرق مرودها، وإصلاح فوهاتها، وما عساه تخلف من الحفر يستدركه قبل فواته، وتهريف الزرع مومن من تطرف آفاته، فلتنتهز الفرصة حال إمكانها، . . . . . القدرة قبل إنقضاء زمانها.

فأقول المزدرعات ناقصة البخت، وفضيلة الصلاة في أول الوقت، وتضريب البذور وحفظها من أكبر المصالح، وأتمها وأشملها نفعًا في العاقبة وأعمها فإياه أن يسامح في . . . . . . ، أو يغضي علىٰ عيب من عيوبها /١٢٦أ/ فيصبح غداً كالضّمان المغرور، بسراب بقيعة حتىٰ إذا جاءه لم يجده شيئًا، أو كالقابض علىٰ الماء خانته فروج الأنامل!، فأدّىٰ ذلك القبض إلىٰ ما لم يفده. وحراسة الغلّات من القطع والرعي، وتعاهدها بالماء والسقي، واستصلاح الضياع المحببة، والبقاع الطيبة، والمغارس الزكيّة، والمنابت . . . . . .

وكلُّ ذلك من أصول الاستغلال، وإنْ كان عمارة الأعمال، فإذا راحت للحصاد، وأينعت ثمرة الاجتهاد، فليرتّب عليها من الثقات من يخبر باطن دخلته، ويعرف خبي نحلته، وتستشف ضمائره، بفراسة ظواهره، ويعرف من اسرار وجهه، ما في مطاوي سرائره، وليدب جنيد نفسه في جميع متفرقها، وضمّ متمزقها، وينقلها في اختلاف الأطوار، وتعاقب الأدوار من الحصاد، والرقاع والدياس، إلىٰ التصفية والقروشة بالقسطاس، فإذا صارت في تصرف النّواب والعمال، وحكمت عليها يد القسمة بأنها حقٌ من حقوق بيت المال، وخرجت من خير الشركة إلىٰ خير الانفراد والاستقلال، فليواصل بالحمول /١٢٦ب/ الدارة التي تجعل ميزانه راجحًا، وقدحه فائزاً، وسهمه رابحًا، وليواصل المخزن المعمور بمطالعاته، وإنهاء المتجدد من حركات عمله. . . ، ليدبّره بآرائه الصائبة، وأوامره النافذة، وإرشاده الذي يقوّم الاعوجاج، ويفيد الناكبين عن

طريق الإصابة إلىٰ سواء المنهاج، والمفروض عن هذه الخدمة».

وقال يمدح الوزير أحمد بن الناقد[1]: [من الخفيف]

قَـدْ بَـدَا مَـا تُسِـرُّ فِيْمَـا تَقُـوْلُ … إِنَّمَـا أَنْـتَ عَـاشِـقٌ لاَ عَـذُوْلُ
رَابَنِـي مِنْـكَ فِـي مَـلاَمِـكَ تَكْثِيْـ … ـرٌ لِصَبْـرِي بِبَعْضِـهِ تَقْلِيْـلُ
وَحَـدِيْـثٌ مُلَجْلَـجٌ فِيْـهِ لِلْقَلْـ … ـبِ عَلَـىٰ السِّـرِّ آيَـةٌ وَدَلِيْـلُ
قَـاتَـلَ اللهُ شَـادِنـاً أَمْسَـتِ الأَضْـ … ـدَادُ فِيْـهِ لِلْحُسْـنِ وَهْـيَ شُكُـوْلُ
قُسِـمَ البَـدْرُ بَيْنَنَـا فَلَـهُ النُّـوْ … رُ وَعِنْـدِي مُحَـاقُـهُ وَالـذُّبُـوْلُ
أَجَـدُ النَّـاسَ ذَا يُمَـاثِلُـهُ ذَا … كَ وَفِيْـهِ قَـدْ أَعْـوَزَ التَّمْثِيْـلُ
وَأَرَىٰ الخَلْـقَ عُـرْضَـةً لِـزَوَالٍ … وَأَرَىٰ أَنَّ حُسْنَـهُ لاَ يَـزُوْلُ
يَـا حَمِيْـدَ الجَفَـاءِ وهْـوَ ذَمِيْـمٌ … وَخَفِيْـفَ الـدَّلاَلِ وَهْـوَ ثَقِيـلُ
/ ١٢٧أ/ هَـذِهِ مُهْجَتِـي بِكَفِّـكَ فَـافْعَـلْ … مَـا تَـرَىٰ لَسْـتُ عَـنْ هَـوَاكَ أَحُـوْلُ
أَسْمَـحُ النَّـاسِ نَـاصِـحٌ مُسْتَخَـانٌ … وَمُحِـبٌّ عَلَـى الحَبِيْـبِ بَخِيْـلُ
أَتُـرَانِـي أَرُوْمُ عَنْـكَ بَـدِيْـلاً … أَنْـتَ أَحْلَـىٰ وَغَيْـرُكَ المَمْلُـوْلُ
إِنَّمَـا أَنْـتَ مُهْجَتِـي وَاتِّخَـادِي … بَـدلاً عَـنْ حُشَـاشَتِـي مُسْتَحِيْـلُ
لاَ تَظُنَّـنَّ جَفْـوَتِـي عَـنْ سُلُـوٍّ … عَـزَّ مَـا خِلْتَـهُ وَسُـدَّ السَّبِيْـلُ
كَـمْ وَصُـوْلٍ هُـوَ القَطُـوْعُ نِفَـاقـاً … وَقَطُـوْعٍ هُـوَ المُحِـبُّ الـوَصُـوْلُ
لَسْـتُ أَرْضَـىٰ بِـأَنْ تَجُـوْدَ بِـوَصْـلٍ … وَامْتِنَـانِـي عَلَيْـكَ نَـزْرٌ قَلِيـلُ
إِنَّ لُـؤْمـاً أَنْ يَطْلُـبَ العَـاشِـقُ الـوَصْـ … ـلَ وَلَـمْ تَشْبَـقِ العُيُـونَ السُّيُـوْلُ
فِـي جَمِيْـلٍ ..... قَبِيْـحٌ … عِنْـدَ مِثْلِـي وَفِـي القَبِيْـحِ جَمِيْـلُ
ثَـرْوَتِـي دُوْنَ هِمَّتِـي وَمَـرَامِـي … فَـوْقَ طَـوْقِـي وَسَـاعِـدِي مَغْلُـوْلُ
فَـإِلَـى مَ الـرِّضَـا بِمَـا أَنَـا فِيْـهِ … مُشْـرَعٌ مَيِّـتٌ وحَـيٌّ ذَلِيْـلُ
فِـي نُهُـوْضِـي لَهَـا وَتَـرْكِ اقْتِنَـاعِـي … مَطْلَـبٌ مُنْفِـسٌ وَكَسْـبٌ جَلِيْـلُ
وَانْتِجَـاعُ الـوَزِيْـرِ أَحْمَـدَ عِنْـدِي … أَحْمَـدُ الفِعْـلِ وَالـرُّكَـامُ مَخِيـلُ

(١) القصيدة في ذيل مرآة الزمان ١/ ٦٢ـ٦٣. عيون التواريخ ٢٠/ ١١٢ ـ ١١٣ وفيه أنها في مدح الإمام الناصر.

[٣٧٩]

عبدُ الجليل بنُ عثمانَ / ١٢٧ب/ ابنِ منصورٍ بنِ أبي الفوارسِ، أبو محمدٍ الإربليُّ.

وقد مرَّ شعر أخويه؛ عبد العزيز[١] وعبد الرحمن[٢] في مواضعهما.

وأبو محمد هذا حفظ القرآن العزيز بإربل، وشَدَا طرفًا من الفقه على مذهب الإمام الشافعيّ ـ رضي الله عنه ـ، وقال شعراً صالحًا.

لقيته وهو بحلب؛ شيخ ربعة من الرجال، وذكر لي أنه ولد بإربل سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة، وكان اجتماعي به في شهر شعبان سنة خمس وثلاثين وستمائة بحلب المحروسة.

وأنشدني كثيراً من أشعاره، وعنده مفاكهة، وحسن محاضرة وتودّد. أنشدني عبد الجليل بن عثمان لنفسه: [من الخفيف]

أمُدَامٌ في ثَغْرِه أمْ رُضَابُ ... عَتَّقَتْهُ تلْكَ الثَّنَايَا العِذَابُ

وَشَقِيقٌ سَطَا عَلَى وَجْنَتَيْهِ ... حِينَ خَالَ العِتَابُ أمْ عُنَّابُ

رَشَأٌ كُلَّمَا أتَى يَتَثَنَّى ... هَزَّهُ هِزَّةَ النَّزِيفِ الشَّبَابُ[٣]

إذْ أرَانِي عِنْدَ الوَدَاعِ بَنَانًا ... قَدْ نَمَى مِنْ دَمِي عَلَيْهِ الخِضَابُ[٤]

وَتَثَنَّى تِيهًا فَأُذْهِلَتِ الأبصَارُ منَّا وَحَارَتِ الألْبَابُ

/ ١٢٨أ/ وَأرَاقَ الدِّمَا بِأسْهُمِ جَفْنَيْهِ ... وَوَلَّى وَمَا عَلَيْهِ عِقَابُ

أرَبِي أنْ أفُوزَ مِنْهُ بِطِيبِ الوَصْلِ ... لَوْ تَنْقَضِي لِيَ الآرَابُ

لاَ أرُومُ السُّلُوَّ عَنْ ذَلِكَ الحُسْنِ ... وَلَوْ عَارَضَتْنِيَ الا.....

أيُّ صَبٍّ مِثْلِي لَهُ كُلَّ يَوْمٍ ... مِنْ تَبَارِيحِ هَجْرِهِ أوْصَابُ

---

(١) مرّت ترجمته في الجزء الثالث برقم ٣٢٢.

(٢) مرّت ترجمته في الجزء الثالث برقم ٣٠١.

(٣) النزيف: السكران.

(٤) نمى: إزداد سواداً.

كُلَّمَا قُلْتُ قَدْ تَقَضَّى عَذَابٌ ... مِنْ جَوَى حُبِّهِ علاهُ عَذَابُ
طَالَمٌ دَأْبُهُ التَّعَزُّزُ فِي الحُبِّ وَلِي فِي الهَوَى التَّذَلُّلُ دَابُ
فَلِمَاذَا أُعَلِّلُ القَلْبَ مِنْهُ ... بِأَمَانِي الوُعُودِ وَهْيَ سَرَابُ
يَا خَلِيلَيَّ فِي الجَوَانِحِ مِنْهُ ... زَفَرَاتٌ لَهَا لَظًى وَالتِهَابُ
أَتَمَنَّى إِذَا مَشَى فَوْقَ أَرْضٍ ... أَنَّ جَفْنِي أَرْضٌ لَهُ وَتُرَابُ
كَيْفَ أَدْنُو إِلَى الَّذِي مَنَعَتْنِي ... عَنْ لِقَاهُ أُسْدٌ لَهَا السُّمْرُ غَابُ
حَجَبُوهُ وَمَا دَرَوْا أَنَّ مِنْ أَسْيَافِ أَجْفَانِهِ عَلَيْهِ حِجَابُ
يَا رَبَابَ الغَمَامِ سَقِّ دِيَاراً ... سَكَنَتْهَا أُمَيْمَةٌ وَالرَّبَابُ
دِمَنٌ طَالَمَا سَقَاهَا سَحَابٌ ... مِنْ جُفُونِي إِذْ ضَنَّ عَنْهَا السَّحَابُ
وَغَدَا فِي رُبُوعِهَا كُلَّ يَوْمٍ ... لِلْغَوَادِي وَلِلدُّمُوعِ انْسِكَابُ
كَانَ مِنْ قَبْلُ يَحْدُثُ الدَّهْرَ ... وَشْكَ البَيْنِ فِيهَا السُّرُورُ وَالإِطْرَابُ
/ ١٢٨ب/ إِذْ لِشَمْسِ السُّرُورِ عِنْدِي مَقَرٌّ ... كُلَّ يَوْمٍ وَلِلْهُمُومِ اجْتِنَابُ
وَزَمَانِي مُسَاعِدٌ لِي وَأَتْرَابِي فِيهِ الكَوَاعِبُ الأَتْرَابُ
وَشَبَابِي غَضٌّ نَضِيرٌ وَأَعْطَافِي بِهِ حُلْوَةُ التَّثَنِّي رِطَابُ
فَمَضَتْ جِدَّةُ النَّضَارَةِ مِنِّي ... حِينَ وَلَّتْ وَحَانَ مِنْهَا الذَّهَابُ
وَأَنْثَنَى يَعْبَثُ التَّفَرُّقُ بِالأَحْبَابِ حَتَّى تَفَرَّقَ الأَحْبَابُ
لَا زَمَانُ الشَّبَابِ يَبْقَى عَلَى العَهْدِ مُقِيماً وَلَا الحِسَانُ الكِعَابُ
وَإِذَا جَارَتِ النَّوَائِبُ وَامْتَدَّ لِدَهْرِي إِلَيَّ ظُفْرٌ وَنَابُ
حَجَبَ الحَادِثَاتِ عَنِّي مَلِيكٌ ... مَا عَلَى جُودِ رَاحَتَيْهِ حِجَابُ

وقال من قصيدة أخرى؛ وأنشدنيها بحلب: [من الكامل]

أَغْرَاهُ نَحْوَ حِمَى الأَرَاكَةِ وَالأَضَا ... بَرْقٌ نَفَى عَنْهُ الكَرَى إِذْ أَوْمَضَا
وَسَمَا لِهَيْنَمَةِ النَّسِيمِ تَعَلُّلاً ... لِيَرُومَ بُرْءَ سَقَامِهِ فَتَمَرَّضَا
يَصْبُو إِلَى ذَاتِ اللَّمَى وَيَهِيجُهُ ... أَنَّى سَرَى ذِكْرُ الغَضَاةِ بِذِي الغَضَا
أَأُمَيْمَ لَوْلَا فَرْطُ حُبِّكِ لَمْ أَهِمْ ... ظُلْماً وَلَا أَلْمَا إِلَى سَفْحِ الأَضَا
وَلَمَا وَقَفْتُ بِسَفْحِ عَاقِلَ مُنْشِداً ... قَلْباً وَلَا مُسْتَعْطِفاً دَهْراً مَضَى
/ ١٢٩أ/ قَدْ كَانَ يُسْعِفُنِي وِصَالُكِ قَبْلَ أَنْ ... أُلْفِي سَوَادَ الفَوْدِ مِنِّي أَبْيَضَا

فَالْيَوْمَ طَيْفُكَ لَوْ أَلَمَّ لِبُخْلِهِ فَالصَّبُّ فِي سِنَةِ الكَرَى مَا عُرِّضَا
يَا سَعْدُ إِنَّ عُذُوبَةَ الوِرْدِ الَّذِي قَدْ كُنْتَ تَعْهَدُهُ اسْتَحَالَ وَعَرْمَضَا[1]
سِرْ بِي فَلِي فِي السِّرْبِ قَلْبٌ سَائِرٌ إِثْرَ الفَرِيقِ مُخَيِّمًا وَمُقَوِّضَا
وَتَوَقَّ غِزْلاَنَ النَّقَا فَثَمَّ لِي عُلَقٌ أَبَيْنَ لِمُقْلَتِي أَنْ تَغْمَضَا
وَحَذَارِ إِنْ يُمِّمْتَ سَفْحَ مُحَجَّرٍ فَهُنَاكَ أَسْيَافُ المَحَاجِرِ تُنْتَضَى
لله دَهْرٌ لا تَزَالُ خُطُوبُهُ تَرْمِي بِأَسْهُمِهَا اللَّبِيبَ فَتَغْرِضَا
يَسْطُو عَلَيَّ وَمَا جَنَيْتُ جِنَايَةً إِلاَّ العُلاَ وَيَسُومُنِي دُونَ الرِّضَا
قَدْ قُلْتُ لَمَّا مَدَّ نَحْوِيَ مِخْلَبًا مَهْلاً كَفَاكَ مِنَ النَّوَائِبِ مَا مَضَى
وَظَلَلْتُ أَذْكُرُ قَوْلَ مَنْ قَدْ سَاءَهُ الزَّمَنُ الخَؤُونُ وَنَالَ مِنْهُ فَأَجْرَضَا
عِنْدِي مِنَ الأَيَّامِ مَا لَوْ أَنَّهُ أَمْسَى بِشَارِبِ مُرْقِدٍ مَا غَمَّضَا[2]

وقوله من أخرى؛ وأنشدنيها بحلب: [من الخفيف]

مَا لِقَوْلِ العَذُولِ عِنْدِي قَبُولُ فِي هَوَى مَنْ عَذَابُهُ مَقْبُولُ
لاَ وَلاَ لِيَ إِلَى السُّلُوِّ سَبِيلُ عَنْ حَبِيبٍ رُضَابُهُ السَّلْسَبِيلُ
/ ١٢٩ب/ بَدْرُ تَمٍّ يَذُرُّ مِنْ غُصْنِ بَانٍ وَلَهُ فِي حَشَا الكَثِيبِ أُفُولُ
فَاتِرُ الطَّرْفِ بِاعْتِلاَلِ جُفُونٍ فَاتِرَاتٍ بِهَا يُدَاوَى العَلِيلُ
يُخْجِلُ البَانَ بِاعْتِدَالِ قَوَامٍ هُوَ عَمَّا يُرَادُ مِنْهُ عَذُولُ
زَارَنِي فِي الدُّجَى بِوَجْهٍ جَمِيلٍ أَبَدًا يُسْتَشَابُ مِنْهُ الجَمِيلُ
جَادَ حَتَّى ظَنَنْتُ مَا قَالَ حَقًّا وَانْثَنَى وَهْوَ فِي الكَرَى تَضْلِيلُ
لاَ يَغُرَّنْكَ وَعْدُهُ إِنَّمَا الوَعْدُ وَعِيدٌ وَنَيْلُهُ تَعْلِيلُ

[٣٨٠]

عبدُ السَّيِّدِ بنُ محمدٍ الجزريُّ.

كان والده يعرف بالجان؛ هو من الجزيرة العمريّة، وهو ابن أخت حمد الجزري الشاعر، وقفت علىٰ قطعة كبيرة من شعره؛ فاخترت منها ما يصلح لهذا الكتاب.

---

(١) العرمض: الطحلب.
(٢) المُرْقِدُ: دواء كالأفيون منوِّم.

وخُبِّرْتُ أنه حيّ يرزق؛ وهو القائل من قصيدة(١) أولها: [من الكامل]

يَا هَاجِراً طَرَدَ الكَرَىٰ عَنْ نَاظِرِيْ ... أَفَمَا لِطَيْفِكَ أَنْ يَكُوْنَ مُسَامِرِيْ

ومنها يقول:

/١٣٠/ مَا كَانَ أَطْيَبَ عَيْشَنَا فِيْمَا مَضَىٰ ... وَالدَّارُ تَجْمَعُنَا وَأَنْتَ مُعَاشِرِيْ

فَبِأَيِّ شَرْعٍ حَلَّ قَتْلِيْ فِي الهَوَىٰ ... يَا خَيْرَ مَنْ عُقِدَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرِيْ

وقال من أبيات: [من الكامل]

مَا بَيْنَ مُنْعَرَجِ اللِّوَىٰ وَالمُنْحَنَىٰ ... ظَبْيٌ أَصَابَ صَمِيْمَ قَلْبِيْ إِذْ رَنَا

قَمَرٌ أَقَامَ قِيَامَتِيْ بِقَوَامِهِ ... وَكَأَنَّمَا فِيْ لَحْظِهِ سَيْفُ الفَنَا

مُتَأَوِّدٌ كَالخَيْزُرَانَةِ أَهْيَفٌ ... يَا حَبَّذَا ذَاكَ القَوَامُ إِذَا انْثَنَىٰ

فِيْ خَدِّهِ وَرْدٌ وَفِيْ رَشَفَاتِهِ ... خَمْرٌ وَفِيْ حَرَكَاتِهِ قَدُّ القَنَا

[٣٨١]

عبدُ الرزاق بنُ رُزق الله بنِ أبي بكرِ بنِ خلفِ بنِ أبي الهيجاء، أبو محمدٍ الرَّسْعَنيُّ(٢).

كانت ولادته فيما قرأتها بخط يده، يوم الأحد بين الظهر والعصر الثالث والعشرين من رجب سنة تسع وثمانين وخمسمائة برأس عين(٣).

---

(١) في هامش الأصل: «ومعظمها مرذولة ساقطة».

(٢) ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٨/ ٤٠٩ رقم ٤٢٠ وفيه: «توفي سنة إحدى وستين وستمائة». تأريخ الإسلام (السنوات ٦٦١ ـ ٦٧٠) ص٧٢ ـ ٧٤ رقم ١٥ وفيه: «عبد الرزاق». المعين في طبقات المحدثين ٢١٠ رقم ٢٢٠٣. دول الإسلام ٢/ ١٦٧ وفيه: «عز الدين بن عبد الرزاق». عيون التواريخ ٢٠/ ٢٩٠ ـ ٢٩١. البداية والنهاية ١٣/ ٢٤١. السلوك ج١/ ق٢/ ٥٠٢. الإعلام بوفيات الأعلام ٢٧٦. غاية النهاية ١/ ٣٨٤. عقد الجمان ١/ ٣٦٧. النجوم الزاهرة ٧/ ٢١١. كشف الظنون ٤٥٢، ٧٤٣، ٩١٣، ١٧١٥. معجم المؤلفين ٥/ ٢١٧ ـ ٢١٨. معجم طبقات الحفاظ والمفسرين ١١٢ رقم ١١٨١. ذيل مرآة الزمان ١/ ٥٤٥، ٢/ ٢١٩ ـ ٢٢٠. تذكرة الحفاظ ١٤٥٢ ـ ١٤٥٥. العبر ٥/ ٢٦٤. ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٢٧٤ ـ ٢٧٦ رقم ٣٨٦. طبقات القراء ١/ ٣٨٤. طبقات الحفاظ ٥٠٥. طبقات المفسرين للسيوطي ١٩. طبقات المفسرين للداودي ١/ ٢٩٣ ـ ٢٩٥. شذرات الذهب ٥/ ٣٠٥.

(٣) رأس عين: وهي رأس عين الخابور، مدينة كبيرة من مدن الجزيرة، بين حرّان ودنيسر. انظر: معجم البلدان/ مادة (رأس).

حفظ القرآن العزيز علىٰ الشيخ مبارك بن إسماعيل الحرّاني، وقرأه بالروايات المنقولة عن العشرة ـ رضي الله عنه ـ ببغداد علىٰ أبي البقاء عبد الله بن الحسين / ١٣٠ب/ النحوي، وسمع الحديث الكثير علىٰ الإمام أبي محمد عبد الله بن أحمد المقدسي، وأخذ الفقه علىٰ المذهب الأحمدي ـ عنه أيضاً ـ وقرأ عليه كثيراً من كتبه الفقهيّة وغيرها.

قدم الموصل في شوال سنة ثلاث وعشرين وستمائة، ونزل بدار الحديث المهاجريّة بباب سكّة أبي نجح التي أنشأها أبو القاسم علي بن مهاجر بن علي الموصلي؛ وهو يسمع بها أحاديث رسول الله ﷺ يفيد الناس، وصنف عدّة مصنفات منها: كتاب «القمر المنير في علم التفسير»، وكتاب «أسنىٰ المواهب في أحاديث المذاهب»، وكتاب «المنتصر في شرح المختصر» في الفقه، شرح به مختصر الحرقي، وكتاب «عقود العروض»، وكتاب «المشرع الصافي من المين في مصرع الإمام الشهيد أبي عبد الله الحسين ـ عليه السلام ـ».

وهو فقيه محدّث شاعر فاضل، ذو قريحة في المنظوم والمنثور، أجازني جميع رواياته ومصنفاته ومقولاته.

وأنشدني لنفسه بالموصل سنة ثلاثين وستمائة: [من الخفيف]

/١٣١أ/ إنَّمَا هَذه الحَيَاةُ مَتَاعٌ   فَلْيَجُزْهَا بِالزُّهْدِ مَنْ فِيهِ عَقْلُ(١)

فُطِرَ العَارِفُ اللَّبِيبُ مُعَنَّىٰ الفِكْرِ فِيهَا فَلَمْ يَغُرَّنْهُ عَقْلُ(٢)

كَمْ قَتِيلٍ لَهَا بِسَيْفِ غُرُوْرٍ   لاَ قِصَاصٌ فِيهِ وَلاَ فِيهِ عَقْلُ(٣)

هِيَ أُحْبُولَةٌ وَلَذَّاتُهَا الحُبُّ إذَا رُمْتَهُ أَصَابَكَ عَقْلُ

من عَقَلَ البعيرَ، وهو أن يشدَّ وظيفَه إلىٰ ذراعه.

فَهَبِ العُمْرَ كُلَّهُ فِي سُرُوْرٍ   وَنَعِيمٍ أَلَيْسَ عُقْبَاهُ عَقْلُ(٤)

---

(١) عقل: الحجا.

(٢) عقل: معقل وهو الحصن والملجأ.

(٣) عقل: الدم، الدية.

(٤) عقل: صبر.

وأنشدني لنفسه من فاتحة كتاب إلىٰ صاحب له اسمه يحيىٰ بن سلامة:

[من الخفيف]

قُلْتُ للْقَائلِيْنَ جَهْلاً بحُفْظِي ... حُرْمَةُ الوُدِّ وَالإخَاء سَلاَمَهْ
كَيْفَ أَنْسَىٰ يَحْيَىٰ وَأَسْلُو هَوَاهُ ... وَهْوَ لِي إنْ أَلَمَّ خَطْبٌ سَلاَمَهْ
وَلَوْ أَنِّي أُعْطِيْتُ مَا أَتَمَنَّىٰ ... لَتمَنَّيْتُ أَنْ أَرَىٰ ابْنَ سَلاَمَهْ

وأنشدني أيضًا لنفسه ابتداء كتاب كتبه إلىٰ نجم الدين الفتح المغربي:

[من الطويل]

تَرَىٰ مَنْزِلِي مِنْ قَلْبِه لاَ عَدِمْتُهُ ... عَلَىٰ بُعْدِه أَوْ قُرْبِه مَنْ ثَوَىٰ بِه
/ ١٣١ب/ رَجَوْتُ بِوُدِّيْ مِنْهُ أَضْعَافَ وُدِّه ... وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الهَجْرَ بَعْضُ ثَوَابِه
وَمِنْ عَجَبٍ أَنِّي أَضِلُّ عَنِ المُنَىٰ ... وَأَنْتَ لَنَا نَجْمٌ وَفَتْحٌ لِبَابِه
وَظَنِّي أَنَّ الحُبَّ مَا زَالَ بِالنَّوَىٰ ... وَإِنْ حَالَ قِشْرُ الهَجْرِ دُوْنَ لُبَابِه

وأنشدني لنفسه ما كتبه إلىٰ ولده أبي الفضائل محمد . . . حمراء: [من الوافر]

كَتَبْتُ بِمَا يُشَابِهُ دَمْعَ عَيْنِي ... عَلَيْكَ إِلَيْكَ يَا نَظَرِيْ وَسَمْعِي
لَعَلَّكَ أَنْ تَرِقَّ لِسُوْءِ حَالِي ... إِذَا نَظَرَتْ عُيُونُكَ شِبْهَ دَمْعِي

وأنشدني لنفسه ما كتبه إلىٰ صاحب له: [من الخفيف]

إنَّ شَوْقِي إِلَيْكَ يَا نَاصِحَ الدِّيْنِ عَلَىٰ القُرْبِ وَالبِعَادِ يَزِيْدُ
مَا عَلَىٰ فَرْطِ مَا لَدَيَّ مِنَ الوَجْدِ وَإِنْ قَلَّ فِي هَوَاكَ مَزِيْدُ
إِنَّ يَوْمًا أَرَاكَ فِيْهِ سَلِيْمًا ... وَلَوَ اَنِّي أَمُوْتُ فِيْهِ سَعِيْدُ
وَعَزِيْزٌ عَلَيَّ أَنْ يَذْهَبَ العُمْرُ وَمَنْ أَشْتَهِيْهِ مِنِّي بَعِيْدُ

وأنشدني لنفسه، وقد فارق محمداً وأخوته: [من الكامل]

/ ١٣٢أ/ قِفْ بِالدِّيَارِ إِذَا مَرَرْتَ مُسَلِّمًا ... وَٱبْكِ الأَحِبَّةَ حَسْرَةً وَتَنَدُّمَا
وَٱسْتَخْبِرِ الأَطْلاَلَ أَيْنَ تَرَحَّلُوا ... فَعَسَىٰ تُخَبِّرُ عَنْهُمُ وَلَعَلَّمَا
لاَ يُوْحِشَنَّكَ سُوْءُ مَنْظَرِهَا فَقَدْ ... كَانَتْ وَكَانَ بِهَا السُّرُورُ مُخَيِّمَا
أَيَّامُنَا مَا كَانَ أَطْيَبَ عَيْشَنَا ... الخَالِي بِمَنْ نَهْوَىٰ بِهَا وَأَلَذَّ مَا
قُلْ: يَا مَنَازِلُ أَيْنَ أَهْلُكِ، أَيْنَ مَنْ ... كُنْتَ السَّمَاءَ لَهُمْ وَكَانُوا أَنْجُمَا؟

أَيْنَ الَّذي لاَ الشَّمْسُ تُشْبِهُ وَجْهَهُ ... حُسْناً وَلاَ البَدْرُ المُنِيرُ إذَا سَمَا؟
سَارَتْ بِهِمْ هُوجُ المَطِيِّ فَهَيَّجَتْ ... شَوْقِي وَخَلَّفَتِ الفُؤَادَ مُتَيَّمَا
لَمْ أَدْرِ أَنَّ البَيْنَ مَوتٌ أَوَّلٌ ... حَتَّى وَقَفْتُ مُوَدِّعاً وَمُسَلِّمَا
وَرَجَعْتُ أَنْظُرُ بَعْدَهُمْ آثَارَهُمْ ... فَإِذَا بِهَا تَبْكِي جَوًى وَتَأَلُّمَا
أَمُحَمَّدٌ لاَ حَمْدَ للدُّنْيَا مَتَى ... لَمْ أَلْتَزِمْكَ مُقَبِّلاً مِنْكَ الفَمَا
أَبُنَيَّ مَا طَمِعَ الزَّمَانُ بِأَنْ يَرَى ... عِنْدِيْ لِخَطْبِ المُعْضِلاَتِ تَبَرُّمَا!
كَلاَّ وَلَمْ أَجْزَعْ لِوَقْعِ نِبَالِهِ ... حَتَّى يُرِيْنِي مِنْ فِرَاقِكَ أَسْهُمَا
أَفْنَتْ مَدَامِعَهُ حَوَادِثُ دَهْرِهِ ... فَبَكَى وَقَدْ نَفِدَتْ مَدَامِعُهُ دَمَا
فِي كُلِّ يَوْمٍ قَدْ أَقَامَ زَمَانُهُ ... بِفِرَاقِ مَنْ يَهْوَى لَدَيْهِ مَأْتَمَا

وأنشدني لنفسه في المعنى: [من الطويل]

/ ١٣٢ب/ وَقَائِلَةٍ مَالِي أَرَاكَ مُسَهَّدَا ... وَجِسْمُكَ لِلأَسْقَامِ أَصْبَحَ مَوْرِدَا
فَقُلْتُ وَمَاذَا تُنْكِرِيْنَ مِنَ الَّذِي ... تَرَيْنَ وَقَدْ فَارَقْتُ حَتَّى مُحَمَّدَا
فَكُلُّ جَوًى دُوْنَ الَّذِيْ بِيْ مِنَ الجَوَى ... عَلَيْهِ وَإِنْ أَظْهَرْتُ عَنْهُ تَجَلُّدَا
يَرُوْمُوْنَ إِطْفَاءَ الَّذِيْ بِيَ عُذَّلِيْ ... أَلاَ إِنَّهُ بِالعَذْلِ زَادَ تَوَقُّدَا
إِذَا خَطَرَتْ لِي سَلْوَةٌ عَنْهُ صَدَّنِي ... غَرَامٌ بِقَلْبِيْ قَدْ أَقَامَ وَأَقْعَدَا
أَحِنُّ إِلَى مَنْ جَاءَ يُخْبِرُ أَنَّهُ ... رَآهُ وَأَرْعَاهَا عَلَيَّ لَهُ يَدَا
لَئِنْ كَانَتِ الأَشْوَاقُ تَجْرِيْ لِغَايَةٍ ... فَشَوْقِي إِلَيْهِ لَيْسَ يَجْرِيْ إِلَى مَدَى
وَإِنَّ سُرُوْرِيْ طَالِقٌ بَعْدَ بُعْدِهِ ... سِوَى مَا أُمَنِّي القَلْبَ مِنْ قُرْبِهِ غَدَا
إِلَى أَنْ أَرَى فَوْقَ الجَمَالِ جَمَالَهُ ... وَأَسْمَعَ حَادِيْ البَيْنِ بِالْوَصْلِ قَدْ حَدَا

وأنشدني لنفسه؛ يرثي شيخه الموفق عبد الله بن أحمد المقدسي: [من الطويل]

أَلاَ مَا لِوَجْهِ المَكْرُمَاتِ مُلَفَّعُ ... وَمَا لِعُيُوْنِ الدِّيْنِ تَدْمَى وَتَدْمَعُ
وَمَا لِمَغَانِيْ الفِقْهِ أَقْوَتْ فَأَصْبَحَتْ ... مُعَطَّلَةً أَرْكَانُهَا تَتَضَعْضَعُ
وَمَا بَالُ نَجْمِ العِلْمِ لَيْسَ بِنَاجِمٍ ... وَمَا بَالُ شَمْسِ الشَّرْعِ لاَ تَتَشَعْشَعُ
وَمَا لِصَبَا نَجْدٍ صَبَتْ عَنْ مَهَبِّهَا ... وَمَا بَالُ نَشْرِ المِسْكِ لاَ يَتَضَوَّعُ
/ ١٣٣أ/ وَمَا لِلْوَرَى سَكْرَى وَلَمْ يَشْرَبُوا طِلاً ... وَمَا لِغُيُوْمِ الهَمِّ لاَ تَتَقَشَّعُ
وَيَا قَوْمُ مَا لِلشَّمْسِ أَظْلَمَ ضَوْؤُهَا ... وَمَا لِجَبِيْنِ البَدْرِ أَيْضاً مُبَرْقَعُ

أَحَقّاً خَبَا نُورٌ مِنَ اللهِ يَسْطَعُ ... وَغُيِّبَ طَوْدُ الحِلْمِ وَالعِلْمُ أَدْرَعُ
وَقَامَ عَلَى الشَّيْخِ المُوَفَّقِ نَادِبٌ ... مِنَ الدِّينِ يَبْكِي فَضْلَهُ وَيُرَجِّعُ
لَقَدْ مَاتَتِ الآمَالُ مِنْ أَجْلِ مَوْتِهِ ... فَكَادَتْ رَحَى الأَفْلاكِ إذ . . . . .
وَنَاحَتْ عَلَيْهِ الكَائِنَاتُ بِأَسْرِهَا ... وَمَا كُلُّ ذِي سَمْعٍ لِذَلِكَ يَسْمَعُ
وَعَيْنِي أَطَاعَتْنِي بِسَفْحِ دُمُوعِهَا ... عَلَيْهِ وَقَلْبِي بِالصَّبَابَةِ أَطْوَعُ
وَلَمْ أَبْكِهِ إِلاَّ ذَكَرْتُ مُصِيرَهُ ... فَيُضْحِكُنِي مَا كَانَ مِنْ قَبْلُ يَدْمَعُ
أَلاَ يَا لَقَوْمِي كَيْفَ سَارَتْ رِجَالُهُ ... بِهِ وَهْوَ بَحْرٌ زَاخِرُ المَوْجِ مُتْرَعُ
وَكَيْفَ اسْتَطَاعُوا أَنْ يَرَوْهُ وَنُورُهُ ... كَبَرْقٍ إذَا مَا شَامَهُ الطَّرْفُ يَلْمَعُ
عَجِبْتُ لَهُ جِنْسُ الفَضَائِلِ نَوْعُهُ ... فَمَا جِنْسُهُ العَالِي وَمَا يَتَنَوَّعُ
وَكُلُّ المَعَالِي بَعْضُهُ وَهْيَ دُونَهُ ... فَمَا بَعْضُهُ البَاقِي الَّذِي هُوَ أَرْفَعُ
فَلَوْ طَالَتِ الأَعْمَارُ بِالفَضْلِ لَمْ يَكُنْ ... لِمَوْتٍ عَلَى مِثْلِ المُوَفَّقِ مَطْمَعُ
وَلَوْ أَنَّهُ بِالمَشْرَفِيَّةِ يُتَّقَى ... حَمَتْهُ سُيُوفٌ دُونَهُ تَتَقَعْقَعُ
وَلكِنَّهُ حُكْمٌ مِنَ اللهِ يَسْتَوِي ... لَدَيْهِ ذَلِيلٌ أَوْ عَزِيزٌ مُمَنَّعُ
/ ١٣٣ب/ أَيَا قَبْرَهُ هَلْ أَنْتَ دَارُ مَنِ الَّذِي ... حَوَيْتَ وَمَنْ فِي قَعْرِ لَحْدِكَ مُودَعُ
فَكَعْبَةُ أَهْلِ العِلْمِ فِيكَ وَإِنَّهُمْ ... عَلَى فَقْدِهَا أَكْبَادُهُمْ تَتَصَدَّعُ
فَأَنْتَ لَنَا بَيْتٌ نَحُجُّكَ قُرْبَةً ... إِلَى اللهِ إلاَّ أَنَّنَا لاَ نُوَدِّعُ
وَإِنْ لَمْ تُبَلِّغْنَا إِلَيْكَ رَوَاحِلٌ ... أَتَتْكَ قَوَافِينَا تَخُبُّ وَتُوضِعُ
وَإِنِّي عَلَى مَا فِي ثَرَاكَ مُوَلَّهٌ ... وَإِنِّي إِلَى مَنْ حَلَّ فِيكَ مُوَلَّعُ
وَهَا كَبِدِي الحَرَّى عَلَيْكَ قَرِيحَةٌ ... وَهَا جَسَدِي مَا فِيهِ لِلسُّقْمِ مَوْضِعُ
وَلاَ غَرْوَ إِنْ جَفَّتْ دُمُوعِي فَإِنَّهَا ... بِنَارِ الجَوَى فِي كُلِّ وَقْتٍ تُلَذَّعُ
وَقَدْ تَدْمَعُ العَيْنَانِ وَالقَلْبُ ضَاحِكٌ ... وَقَدْ يَضْحَكُ الإِنْسَانُ وَالقَلْبُ يَدْمَعُ

ومنها يقول:

وَبَعْدُ فَلاَ زَالَتْ سَحَائِبُ رَحْمَةٍ ... مِنَ اللهِ فِي لَحْدِ المُوَفَّقِ تَهْمَعُ

وأنشدني قوله مُوصيًا نفسه: [من مجزوء الخفيف]

نَفْسِيَ النُّصْحَ تَنْعَمِي ... وَابْتَغِي اللهَ تَغْنَمِي

وَاسْلُكِي مَنْهَجَ الرَّشَادِ تَفُوزِي وَتَسْلَمِي
وَاحْفَظِي اللهَ تُحْفَظِي وَاتَّقِي اللهَ تَعْلَمِي
/١٣٤أ/ وَاعْمَلِي بِالَّذِي عَلِمْتِ تُزَكِّي وَتُكْرَمِي
وَاقْصِدِي الحَقَّ فِي الجِدَالِ تَسُودِي وَتَفْهَمِي
وَاهْجُرِي مَرْبَعَ الهَوَىٰ وَاحْذَرِي مَرْبَعًا حُمِي
وَاتْرُكِي الكِبْرَ تَكْبُرِي وَارْحَمِي الكُبْرَ تُرْحَمِي(١)
وَاغْفِرِي إِنْ بُدِئْتِ يَوْمًا بِذَنْبٍ تَعْظُمِي

وأنشدني لنفسه، من أبيات: [من الطويل]

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مَا المَمَاتُ أَلَذُّهُ ... وَمَا خَيْرُ هَذَا الدَّهْرِ إِلَّا عَقَارِبُهْ
وَمَا هُوَ إِلَّا حَيَّةٌ لَانَ مَسُّهَا ... وَسُمَّتْ بِأَنْوَاعِ العَذَابِ مَضَارِبُهْ
وَمَا زَادَتِ الأَيَّامُ مَعْرِفَتِي بِهَا ... وَلَا كَسَّبَتْنِي غَيْرَ مَا أَنَا كَاسِبُهْ
لَقَدْ حَنَّكَتْنِي النَّائِبَاتُ وَمَنْ يَكُنْ ... كَذَلِكَ لَمْ تَعْظُمْ لَدَيْهِ نَوَائِبُهْ
فَكُنْ يَا زَمَانِي كَيْفَ شِئْتَ فَإِنَّنِي ... حَمُولٌ إِذَا مَا الخَطْبُ حَطَّتْ رَكَائِبُهْ
غَفَرْتُ لَكَ الزَّلَّاتِ إِلَّا مَذَلَّتِي ... فَلَا كَانَ حُرٌّ لَانَ بِالذُّلِّ جَانِبُهْ
وَمَنْ لَمْ يَذُدْ عَنْ مَوْرِدِ الذُّلِّ نَفْسَهُ ... فَذَاكَ الَّذِي كُلُّ العُيُوبِ مَعَائِبُهْ
وَمَنْ يُسْلَبِ الدُّنْيَا وَلَمْ يَكْسِبِ العُلَا ... فَمَا أَخْسَرَ الإِكْسَابَ إِلَّا مَكَاسِبُهْ
وَمَا قِيمَةُ الإِنْسَانِ إِلَّا فَعَالُهُ ... عَلَتْ أَوْ دَنَتْ أَحْسَابُهُ وَمَنَاصِبُهْ

/ ١٣٤ب/ وأنشدني لنفسه من أبيات أوّلها: [من البسيط]

بِمَا بِعَيْنَيْكِ مِنْ سِحْرٍ وَمِنْ كَحَلِ ... وَمَا بِرِيقِكِ مِنْ خَمْرٍ وَمِنْ عَسَلِ
وَمَا بِفِيكِ مِنَ الدُّرِّ النَّظِيمِ وَمِنْ ... حُسْنِ الحَدِيثِ الَّذِي مَاشَيْنَ بِالخَطَلِ
وَمَا بِخَدَّيْكِ مِنْ وَرْدٍ غَنِيتِ بِهِ ... فَلَمْ تَزِدْهُ احْمِرَارًا حُمْرَةُ الخَجَلِ
وَمَا بِوَجْهِكِ مِنْ حُسْنٍ إِذَا بَزَغَتْ ... أَنْوَارُهُ أَخَذَ الإِشْرَاقُ فِي الطَّفَلِ
صِلِي مُحِبًّا صَلِي مِنْكُمْ بِنَارِ جَوًى ... تَزِيدُ وَقْدًا عَلَىٰ الإِصْبَاحِ وَالأُصُلِ
هَبِي لِيَ النَّوْمَ عَلَّ الطَّيْفَ يَطْرُقُنِي ... لَيْلًا فَأَقْطِفُ وَرْدَ الخَدِّ بِالقُبَلِ

---

(١) الكِبَر: كبر السن.

يَـا وَيْلَتَـا مِـنْ تَجَنِّيهَـا وَخُلْفَتِهَـا ... إنِّـي لأَمْـرِ هَـوَاهَـا غَيْـرُ مُمْتَثِـلِ
تَجْنِـي عَلَـيَّ وَتَـرْمِينِـي بِمَـا اكْتَسَبَـتْ ... ظُلْمـاً وَأسْـأَلُهَـا صَفْحـاً عَـنِ الـزَّلَـلِ
وَأفْعَـلُ الشَّـيْءَ كَـيْ تَـرْضَـى فَيُغْضِبُهَـا ... يَـا لَيـتَ أنِّـي لَـمْ أفْعَـلْ وَلَـمْ أقُـلِ
تَمِيـلُ عَنِّـي كُـلَّ المَيْـلِ ذَاهِبَـةً ... مَـعَ الـدَّلاَلِ وَعَنْهَـا القَلْـبُ لَـمْ يَمِـلِ
أبْكِـي إذَا وَصَلَتْنِـي خَـوْفَ فُـرْقَتِهَـا ... كَـأنَّنِـي فِـي هَجِيـرِ الهَجْـرِ لَـمْ أزَلِ
تَـرْضَـى فَيَمْنَعُنِـي مِـنْ أنْ أُسَـرَّ بِـهِ ... عِلْمِـي بِمَـا عِنْـدَهَـا مِـنْ سُـرْعَـةِ المَلَـلِ
إنْ كَـانَ مَجْنُـونُ لَيْلَـى قَـدْ مَضَـى مَثَـلاً ... فَهَـا أنَـا اليَـوْمَ أقْصَـى غَـايَـةِ المَثَـلِ
قَمِيـصُ يُـوسُـفَ إنْ قَـدَّتْـهُ مِـنْ دُبُـرٍ ... يَـدُ الغَـرَامِ فَقَلْبِـي قُـدَّ مِـنْ قُبُـلِ
/١٣٥أ/ يَـا مَـنْ دَنَـتْ فَـرَمَـتْ قَلْبِي لَـوَاحِظُهَـا ... لَمَّـا رَنَـتْ بِسِهَـامِ العِشْـقِ وَالغَـزَلِ
أذْبَـتُ رُوحِـي فَسَـالَـتْ أدْمُعِـي .... وَأيُّ رُوحٍ بِنَـارِ الـوَجْـدِ لَـمْ تَسِـلِ
يَـزُولُ رَضْـوَى عَلَـى مَـرِّ السِّنِيـنَ وَتَبْلَـى أعْظُمِـي وَرَسِيـسُ الحُـبِّ لَـمْ يَـزُلِ
كُـلٌّ تَنَقَّـلَ عَـنْ أحْبَـابِـهِ مَلَـلاً ... مِنْهُـمْ وَفَـرْطُ الَّـذِي بِـي غَيْـرُ مُنْتَقِـلِ
حُـرِمْـتُ مِنْكِ المُنَـى إنْ كَـانَ فِـي خَلَـدِي ... يَـوْمـاً سُلُـوُّكِ أوْ أصْغَيْـتُ لِلْعَـذَلِ
وَكَيْـفَ يَسْلُـوكِ أوْ يُصْغِـي إلَـى عَـذَلٍ ... قَلْـبٌ سَـدَدْتِ عَلَيْـهِ أوْجُـهَ الحِيَـلِ
سَمْعِـي لَـدَيْـكِ وَعَيْنِـي غَيْـرُ نَـاظِـرَةٍ ... إلاَّ إلَيْـكِ وَكُـلٌّ مِنْـكِ فِـي شُغُـلِ
إنْ كَـانَ ظَنُّـكِ أوْ قَـوْلُ الـوُشَـاةِ سَـلاً ... حَقّـاً فَـلاَ نِلْـتُ أوْطَـارِي وَلاَ أمَلِـي
يَـا لَلْـرِجَـالِ تَحَـامُـوا قَـوْسَ حَـاجِبِهَـا ... إنْ فَـوَّقَـتْ عَنْـهُ نَبْـلَ الأعْيُـنِ النُّجُـلِ
حَـذَارِ مِـنْ مُقْلَتَيْهَـا إنَّ سِحْـرَهُمَـا ... فِـي القَلْـبِ أمْضَـى مِـنَ العَسَّـالَـةِ الذُّبُـلِ
غُضُّـوا نَـوَاظِـرَكُـمْ عَـنْ خَـالِ وَجْنَتِهَـا ... فَقَـدْ جَنَـى لِـيَ جُـرْحـاً غَيْـرَ مُنْدَمِـلِ
قُـومُـوا انْظُـرُوا مَـا أبَـاحَـتْ لِـيْ مَحَـاسِنُهَـا ... مِـنَ النُّحُـولِ وَغَـالَتْنِـي مِـنَ الغِيَـلِ
وَعَلِّلُـونِـي إذَا مَـا خِفْتُـمُ تَلَفِـي ... بِـذِكْـرِهَـا إنَّـهُ يَشْفِـي مِـنَ العِلَـلِ
مَـا ذَاقَ بُـؤْسِـي وَلاَ ذَاقَ النَّعِيـمَ سِـوَى ... فَتًـى بِخَمْـرِ الغَـوَانِـي وَالهَـوَى ثَمِـلِ
مَـا كَـانَ ظَنِّـي أنَّ الأسْـدَ يَـأسِـرُهَـا ... رِيـمٌ مِـنَ الـرُّومِ بَيْـنَ الحِـلِّ وَالحُلَـلِ(١)
/١٣٥ب/ وَلاَ حَسِبْـتُ بِـأنَّ العِشْـقَ يَشْغَلُنِـي ... عَـنِ العُلُـومِ وَيُلْهِينِـي عَـنِ العَمَـلِ

---

(١) الحل: السحر الحلال. الحُلل: جمع حُلّة وهو السلاح.

أَصْبَحْتُ أَرْوِي أَحَادِيْثَ الغَرَامِ وَمَا تَجْنِي النُّفُوسُ بِإِسْنَادِي عَنِ المُقَلِ

وأنشدني لنفسه أيضًا: [من الكامل]

أَنَا يَا لَذِيْذَ الاتِّصَالِ قَلْبِي بِنَارِ الشَّوْقِ صَالِي

لَمَّا تَمَلَّكْتَ القِيَادَ قَطَعْتَ أَسْبَابَ الوِصَالِ

قَسَمًا بِمَا كُحِلَتْ بِهِ عَيْنَاكَ مِنْ سِحْرٍ حَلَالِ

مَا لَذَّ لِي بَعْدَ النَّوَى طَعْمُ الحَيَاةِ وَلَا حَلَالِي

يَا مَنْ تَفَرَّدَ بِالجَمَالِ فَوَجْهُهُ بِالحُسْنِ حَالِي

كَمْ ذَا التَّجَنِّي وَالصُّدُوْدُ أَمَا تَرِقُّ لِسُوْءِ حَالِي

أَيِسَ العَذُوْلُ وَقَدْ رَأَى وَلَعِي بِهِ مِمَّا رَجَا لِي

فَأَنَا النَّذِيْرُ إِلَيْكُمُ مِمَّا جَرَى لِي يَا رِجَالِي

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من المديد]

أَمَا وَتَوْرِيْدِ خَدَّيْهَا وَمَا كُحِلَتْ بِهِ لَوَاحِظُهَا مِنْ سِحْرِ هَارُوْتْ

وَمَا رَوَتْ لِيَ عَيْنَاهَا وَقَدْ غَشِيَتْ أَجْفَانَهَا سِنَةٌ مِنْ عِلْمِ مَارُوْتْ

لَوْ أَنَّ وَصْلَكِ يُشْرَى كُنْتُ أَبْذُلُ يَاقُوْتِي وَعَيْنِي لَهُ عَيْنِي وَيَاقُوْتِي

/١٣٦أ/ وأنشدني لنفسه؛ وقد سمع الخبر بتسليم البيت المُقدَّس إلى الفرنج ـ خذلهم الله تعالى ـ: [من الطويل]

تَعَالَوا نُقِيْمُ الحُزْنَ فِي مَجْمَعِ الأُنْسِ وَنَصْبَغُ أَثْوَابَ المُصِيْبَةِ بِالنِّقْسِ

وَنَعْمَلُ لِلإِسْلَامِ أَعْظَمَ مَأْتَمٍ كَمَا أَنَّ عُبَّادَ الطَّوَاغِيْتِ فِي عُرْسِ

وَنَبْكِي دَمًا بَعْدَ الدُّمُوْعِ وَإِنَّهُ قَلِيْلٌ عَلَى مَا قَدْ أُصِبْنَا مِنَ القُدْسِ

أَيُؤْخَذُ وَالإِسْلَامُ فِيْهِ بَقِيَّةٌ فَوَاعَجَبًا أَيْنَ النُّخَاةُ مِنَ الحُمْسِ

عَذِيْرُكَ مِنْ ضَرْبِ النَّوَاقِيْسِ مَوْضِعُ الأَذَانِ وَتَبْدِيْلِ الأَئِمَّةِ بِالقَسِّ

مَنَامًا أَرَى أَمْ يَقْظَةً مَا سَمِعْتُهُ أَحَقًّا عِبَادَ اللهِ أَمْ خَانَنِي حِسِّي

لَئِنْ تَمَّ هَذَا الأَمْرُ لَا تَمَّ إِنَّهُ لأَشْهَى إِلَى نَفْسِي حُلُوْلِي فِي رَمْسِي

لئَــلاَّ أرىٰ دَاعــيْ الضَّــلاَل مُصَــوِّتــاً ... عَلَىٰ المَسْجِد الأقْصَىٰ يُؤَذِّنُ بـالنَّقْس (١)
لَعَمْــرُكَ هَــذَا الــرُّزْءُ لاَ هُلْــكُ هَــالِــكٍ ... وَلاَ سَلْــبُ مَــالٍ لاَ وَلاَ عَــدَمُ النَّفْــسِ

وأنشدني أيضًا قوله: [من الكامل]

أتُــرَىٰ لِمَــن أسَــرَ الفــرَاقُ عتَــاقُ ... أمْ هــلْ لشَمْــس وِصَــالنَــا إشْــرَاقُ
أمْ هَــلْ تَعُــودُ الــدَّار تَجْمَــعُ بيْنَنَــا ... فَتَــرَىٰ حَــدَائــقَ وَصْلنَــا الأحْــدَاقُ
/ ١٣٦ب/ لَوْلاَكُمُ يَا سَادَتِي لَمْ تَضْطَرِمْ ... فــيْ مُهْجَتِــيْ نَــارٌ لَهَــا إحْــرَاقُ
أنَــا بَعْــدَ بُعْــدكُــمُ سَلِيْــمٌ لَيْــسَ لــيْ ... إلاَّ جَمِيْــلُ وِصَــالكُــمْ دِرْيَــاقُ
وَتَهتُّكِــيْ فِيْكُــمْ لَقَــدْ صَنَــعَ الهَــوَىٰ ... بِــيْ مَــا تَــذُوْبُ لِسَطْــرِهِ الأوْرَاقُ
مَــا لِيْــمَ قَلْبِــيْ فِيْكُــمُ إلاَّ وَقَــالَ هُــمُ المُــرَادُ تَكَــدَّرُوا أوْ رَاقُــوا
مَــا دَارَ لــيْ ذِكْــرُ السُّلُــوِّ بِخَــاطِــرٍ ... هَيْهَــاتَ ذَاكَ مِــنَ المُحِــبِّ نِفَــاقُ
سُــوْقُ المَحَبَّــةِ لَيْــسَ فِيْــهِ لِعَــاقِــلٍ ... يَبْغِــيْ سُلُــوَّ العَــاشِقِيْــنَ نَفَــاقُ
مَــا اسْتَنْكَــحَ العُشَّــاقُ مِــنْ عُــذَرِ الهَــوَىٰ ... إلاَّ وَقِيْــلَ لَهَــا النُّفُــوسُ صَــدَاقُ
شَــرْطُ الــوَلِــيِّ عَلَيْهِــمُ فِــيْ عَقْــدِهَــا ... أنْ لاَ يَكُــوْنَ لَهَــا الــزَّمَــانُ طَــلاَقُ

[٣٨٢]

عبدُ الوَلِيِّ بنُ قراتكينَ بنِ عبدِ الله، أبو محمدٍ الحكيمُ الفاضلُ البغداديُّ.

كان والده مولىٰ المستضيء بأمر الله ـ رضي الله عنه ـ اشتغل بعلوم الحكمة علىٰ أبي الفتح يحيىٰ بن حبش السَّهروَردي، وأخذ علم ..... عن فخر الدين محمد بن عبد السلام، وصنف في الطبِّ كتبًا كثيرة منها؛ كتاب «شرح القانون لابن سينا»، / ١٣٧أ/ وكتاب «الرد علىٰ الفخر الرازي»، فيما أخذه علىٰ ابن سينا، و«أرجوزة في التشريح في الطبّ»، و«أرجوزة في المعالجة من القرن إلىٰ القدم»، و«أرجوزة في الباه»، وكتاب «الباه»، و«نظم تذكرة الكحالين» أرجوزة، وكتاب «الحاكم في الطبِّ».

نـزل سنجـار، واتصـل بمليكهـا عمـاد الـديـن زنكـي بـن مـودود بـن زنكـي بـن آق

---

(١) النقس: الناقوس.

سنقر، وبعده لولده قطب الدين محمد، وبعده لولده الملك العزيز شاهنشاه. فلما أخذت سنجار من بني أتابك، وصارت في يد الملك الأشرف شاه أرمن، رحل إلىٰ آمد وانقطع إلىٰ خدمة صاحبها الملك الصالح أبي الفتح محمود بن محمد، وبعده لولده الملك المسعود مودود، ولم يزل بها مقيمًا إلىٰ أن مات سنة تسع وعشرين وستمائة عن ثمانين سنة.

وأنشأ بسنجار مدرسة جعلها وقفًا علىٰ المشتغلين بعلم الطب، وأخرج فيها القناة المشتهرة المعروفة به إلىٰ الآن، وكان إلىٰ حين وفاته مكبًّا علىٰ التصنيف، والناس يختلفون إليه للإفادة.

وله أشعار في المقطعات؛ أنشدني ولده /١٣٧ب/ مُحمّد، قال: أنشدني والدي لنفسه: [من المتقارب]

وَقَائِلَةٍ قَدْ أَتَاكَ المَشِيْبُ فَمَا آنَ لِلْدَرْسِ مِنْ آخِرِ
فَقُلْتُ عَلِقْتُ بِبَعْضِ العُلُوْمِ فَقَدْ غُصْتُ فِي بَحْرِهِ الزَّاخِرِ

وأنشدني أيضًا، قال: أنشدني والدي لنفسه: [من الطويل]

وَوَاعَدْتِنِي عِنْدَ الفِرَاقِ يَزُوْرُنِي خَيَالُكِ إِذْ بَانَ الكَرَىٰ لِجُفُوْنِي
وَقَدْ حَالَ ذَاكَ الحَالُ حَتَّىٰ كَأَنَّنِي خَيَالُ خَيَالٍ فِي ضَمِيْرِ أَمِيْنِ

وأنشدني، قال: أنشدني والدي لنفسه في الخضاب: [من الطويل]

وَلَمَّا رَأَتْنِي قَدْ خَضَبْتُ تَبَسَّمَتْ وَقَالَتْ مَضَىٰ طِيْبُ الزَّمَانِ وَرَوْنَقُهْ
فَوَاعَجَبًا عِنْدَ الشَّبَابِ هَجَرْتُهُ أَيَطْمَعُ فِي هَجْرِي وَقَدْ شَابَ مَفْرِقُهْ

وأنشدني، قال: أنشدني والدي لنفسه: [من الكامل]

فِي تَلِّيَعْفُرَ لِلْغَرِيْبِ مَقَاتِلُ وَالضُّرُّ بَيْنَ أُنَاسِهَا مَبْثُوْثُ
وَقْتُ الهَجِيْرَةِ لِلْذُّبَابِ مَبَاضِعٌ وَمَعَ الدَّيَاجِي البَقُّ وَالبَرْغُوْثُ

ذكر من اسمه عثمان

[٣٨٣]

/١٣٨أ/ عثمانُ بنُ خمرتاشَ بنِ عبدِ الله، أبو عمرَ التُركيُّ الهيتيُّ[١].

كان شاعراً مقتدراً، في أيّ نهج سلكه، يرحل إلىٰ الملوك، ويسترفدهم بشعره، وكان ظريفًا، خليع العذار، حافظًا لكثير من النوادر والأشعار، ويدّعي علم المنطق والطبّ والنجوم.

وقيل عنه: إنّه كان متسامحًا بالأمور الدينيّة، مُخلاً بالصلوات الخمس، متعلقًا علىٰ الفساد، وشرب المسكر ـ تجاوز الله عنّا وعنه ـ بمنّه وفضله ـ.

روىٰ شعره غير واحد من أهل الأدب.

أنشدني أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن الحسين بن المريدي؛ قال: أنشدني عثمان بن خمرتاش لنفسه[٢]: [من الكامل]

إنِّـي لأَعْجَـبُ مـنْ ضَـرَاعَـةِ سَـائِـلٍ ... فـي جُـوْدِ مُقْتَـدرٍ عَلَـىٰ الإِحْسَـانِ

كَيْـفَ اسْتَمَـالَهُمَـا خُـدَاعُ رَذِيْلَـةٍ ... وَكِـلاَهُمَـا عَمَّـا قَلِيْـلٍ فَـانِـي

وأنشدني؛ قال: أنشدني أيضًا لنفسه: [من الكامل]

لاَ تَغْفَلَـنْ عَـنْ حقْـد مَـنْ أَحْـرَجْتَـهُ ... إِمَّـا بِـإِصْـلاَحٍ أَوْ اسْتِئْصَـالِ

/١٣٨ب/ إيَّـاكَ تَحْقِـرُهُ فكَـمْ مِـنْ سُـوْقَـةٍ ... نَفَـذَتْ سِهَـامُهُـمُ مِـنَ الإِقْبَـالِ

وَلَـرُبَّ أَمْـرٍ لاَ يُطَـاقُ دِرَاكُـهُ ... وَصَلَـتْ إِلَيْـهِ حِيْلَـةُ المُحْتَـالِ

وأنشدني أيضًا؛ قال: أنشدني لنفسه: [من الطويل]

لَهِجْـتُ بِعِلْـمِ الطِّـبِّ وَالشِّعْـرِ آمِـلاً ... نَـوَالَ ذَوِيْ الإِبْـرَامِ فِـي الـدَّهْـرِ والنَّقْـضِ

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٩/ ٤٨١ ـ ٤٨٣ وفيه: «توفي سنة تسع عشرة وستمائة». ذيل تأريخ بغداد لابن النجار ٢/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤. فوات الوفيات ٢/ ٦٢ ـ ٦٣.

(٢) البيتان في الوافي بالوفيات ١٩/ ٤٨٣. فوات الوفيات ٢/ ٦٣.

وَبَالَغْتُ فِي التَّدْقِيقِ مِنْ مَعْنَيَيْهِمَا فَمَا رَغِبُوا فِي حُفْظِ نَفْسِي وَلاَ عِرْضِي

وأنشدني أبو المظفر يوسف بن الحسين بن يوسف بن العتايقي الشيباني؛ يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من رمضان سنة تسع وثلاثين وستمائة، بمدينة السلام، بجانبها الشرقي؛ قال: أنشدني عثمان بن خمارتاش الهيتي لنفسه من قصيدة:

[من المديد]

لَمْ أَدْرِ وَاللَّيْلَةُ الغَرَّاءُ تَجْمَعُنَا وَنَفْحَةُ الرَّوْضَةِ الغَنَّاءِ تَأْتِينَا

أَنَغْمَةُ العُودِ أَمْ أَذْيَالُ عُصْبَتِنَا أَرَقُّ أَمْ خَمْرُنَا أَمْ خَتْلُ سَاقِينَا

وأنشدني؛ قال: أنشدني لنفسه: [من الكامل]

ذِكْرُ الصِّبَا أَصْبَاكَ أَمْ خُلاَّنُهُ وَهَوَى الحِمَى أَبْكَاكَ أَمْ جِيرَانُهُ

/١٣٩أ/ مَهْلاً فَمَا عِطْرُ الشَّبِيبَةِ عَابِراً أَبَداً عَلَيْكَ وَلاَ الحِمَى وَزَمَانُهُ

كَانَتْ لَعَمْرُكَ تِلْكَ لَمْعَةُ بَارِقٍ فِي جُنْحِ لَيْلٍ وَالقَضَا لَمَعَانُهُ

غَلِطَ الزَّمَانُ بِجَمْعِ شَمْلِكَ مَرَّةً أَتَرُومُهُ إِذْ قُطِّعَتْ أَقْرَانُهُ

أَوَمَا عَلِمْتَ بِأَنَّ دَهْرَكَ صَفْوُهُ كَدَرٌ وَعِنْدَ كَمَالِهِ نُقْصَانُهُ

هَبْ أَنَّ عَيْنَكَ عَايَنَتْ رَمْلَ الحِمَى وَبَدَا لَهَا طَلْحُ الغُوَيْرِ وَبَانُهُ

مَا كُنْتَ يَوْمَئِذٍ بِقَلْبِكَ صَانِعاً فِي مَنْزِلٍ قَدْ خَانَهُ سُكَّانُهُ

قَسَماً لَئِنْ رَجَعَ الزَّمَانُ بِحَاجِرٍ يَوْماً وَعَادَ مِنَ الصِّبَا رَيْعَانُهُ

وَوَشَتْ بِنَشْرِ رِيَاضِهِ رِيحُ الصَّبَا وَصَفَتْ بِشَرْقِيِّ النَّقَا غُدْرَانُهُ

فَارَقْتُ نَجْداً وَالشَّبَابَ فَهَلْ أُرَى فَرِحاً بِعَيْشٍ غَضَّةٍ أَفْنَانُهُ

أَوْ رَاجِياً لِلزَّمَانِ لَهْوِي رَجْعَةً مِنْ بَعْدِ مَا وَلَّى وَفَاتَ أَوَانُهُ

وأنشدني، قال: أنشدني من شعره: [من الكامل]

إِنْ حَانَ مِنْ وَفْدِ الحِجَازِ قُفُولُ وَنَحَا بِهِ أَرْضَ العِرَاقِ دَلِيلُ

فَسَلُوهُ هَلْ نَشْرُ الحِمَى مِنْ بَعْدِنَا عِطْرٌ وَهَلْ ذَاكَ النَّسِيمُ عَلِيلُ

وَهَلِ المَغَانِي بِالرِّيَاضِ أَنِيقَةٌ أَمْ رَسْمُهَا بَعْدَ الفِرَاقِ مُحِيلُ

/١٣٩ب/ فَلَقَدْ صَحِبْتُ بِهَا الأَحِبَّةَ وَالصِّبَا زَمَناً وَظِلُّ العَيْشِ فِيهِ ظَلِيلُ

وَبَلَغْتُ حَظّاً فِي جَهَالاَتِ الهَوَى لَوْ كَانَ لِلدَّهْرِ الخَؤُونِ خَلِيلُ

يَا جيْرَةَ الخيْف الَّذيْنَ عَرفْتُهُمْ ... يَوْمَ المُحَصَّب وَالحَجيْجُ نُزُوْل
وَأكفُّنَا تُلْقي الجمَارَ وَبيْننَا ... لَحْظٌ لأسْرَار القُلُوْب رَسُوْل
مَا كَانَ يَوْمَ النَّفْر أرْغَدَ عَيْشَنَا ... وَدَمُ الهَدَايَا في منًى مَطْلُوْل
لمَّا تَمَكَّنَ منْ فُؤَادي حُبُّكُمْ ... بَخُلَ الزمَانُ بكُمْ وَآنَ رَحيْلُ
خَلَّفْتُمُوني بَعْدَ يوْم فرَاقكُمْ ... شَبَحاً تُمَيِّلُني الصَّبَا فَأميْلُ
هَلْ إنْ وَرَدْتُ المَأزمَيْنَ نَرَاكُمُ ... يَوْماً فَيَشْفى باللِّقَاء غَليْلُ
وَتُمَاطُ سُجْفُ قبَابنَا برُبى قبَا ... وَيَضُمُّنَا تَحْتَ الأثيْل مَقيْلُ
إنْ لاحَ بَرْقٌ منْ تهَامَةَ هَاجَ لي ... طَرَباً وَأنَّى يَطْرَبُ المَقْتُوْلُ؟
وَأظَلُّ إنْ هَتَفَ الحَمَامُ كَأنَّني ... ثَمِلٌ تُرَنِّحُ معْطَفَيْه شَمُوْلُ
هَلاَّ بَعَثْتُمْ لي خَبيْراً في الصَّبَا ... إنِّي لأفْهَمُ مَا النَّسيْمُ يَقُوْلُ[1]

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه: [من الكامل]

لي بالبَقيْع وَبالغَريِّ وكَربُلاَ ... وَالجَانب الغَرْبيِّ منْ بَغْدَاد
وَبكَرْخ سَامَرَّا وطُوس أئمَّةٌ ... حُبِّي لَهُمْ ذُخْري ليَوْم مَعَادي

/١٤٠أ/ وأنشدني أبو فراس بن شبل بن أبي فراس الهيتي، قال: أنشدني عثمان لنفسه[2]: [من الكامل]

المَالُ أفْضَلُ مَا ادَّخَرْتَ فَلاَ تكُنْ ... في مرْيَة مَا عشْتَ في تَفْضيْله
مَا صنَّفَ النَّاسُ العُلُومَ بأسْرهَا ... إلاَّ لحيْلَتهمْ عَلَى تَحْصيْله

وأنشدني أبو الفتح محمد بن بدل التبريزي، قال: أنشدني ابن خمرتاش لنفسه[3]: [من مجزوء الكامل]

لا تَخْضَعَنَّ وَلَوْ بَدتْ ... زُرْقُ الأسنَّة منْكَ حُمْرَا
لاُبُدَّ منْ ورْد الحمَا ... م فَمُتْ شَريْفَ النَّفْس حُرّا

---

(١) الخبير: العارف بالخبر.
(٢) البيتان في الوافي ١٩/ ٤٨٢. ذيل ابن النجار ٢/ ٢٠٤. فوات الوفيات ٢/ ٦٢.
(٣) البيتان في الوافي ١٩/ ٤٨٣. فوات الوفيات ٢/ ٦٣.

وأنشدني الياس بن توما بن عيسىٰ البوازيجي، قال: أنشدني عثمان من شعره:

[من الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا اسْمُ المَرءِ عُنْوَانُ دِيْنِهِ وَلاَ مُعْرِبٌ عَنْ سَعْدِهِ وَشَقَائِهِ
فكَمْ مِنْ عَلِيٍّ لاَ يَرَىٰ حُبَّ حَيْدَرٍ وَكَمْ طَلْحَةٍ قَدْ شَاعَ فَضْلُ وِلاَئِهِ

وقال أيضًا: [من المتقارب]

إذَا أدْبَرَ الأَمْرُ لَمْ يُغْنِ فِيْهِ حَصَافَةُ رَأْيٍ وَلُطْفُ اجْتِهَادِ
فَسِيَّانَ نَاتِفُ نَبْتِ العِذَارِ وَخَاضِبُ لِمَّتِهِ بِالسَّوَادِ

/١٤٠ب/ وقال أيضًا[1]: [من الطويل]

تَوَخَّ مُدَاجَاةَ العَدوِّ تَوَقُّعًا لِفُرْصَةِ إمْكَانٍ يُسَوِّغُهَا الحَزْمُ
وَحَاوِلْ بِسَهْمِ الكَيْدِ حَبَّةَ قَلْبِهِ وَلاَ تَلْتَفِتْ إلاَّ وَقَدْ نَفَذَ السَّهْمُ

وقال أيضًا[2]: [من الطويل]

إذَا رُمْتَ تَهْذِيْبَ الرَّسَائِلِ فَاعْتَمِدْ عَلَىٰ حُسْنِ خَطٍّ فِيْ سُهُوْلَةِ مَنْطِقِ
فَأَسْمَحُ مَسْطُورٍ سَمَاعًا وَمَنْظَرًا غَرَائِبُ أَلْفَاظٍ بِخَطٍّ مُعَلَّقِ

وقال أيضًا: [من الخفيف]

أيُّهَا السَّائِرُوْنَ شَرْقًا وَغَرْبًا يَخْلِطُوْنَ السُّهُوْلَ بِالأَوْعَارِ
هَلْ سِوَىٰ بَاتِكِيْنَ بِالبَصْرَةِ الغَرَّاءِ يُرْجَىٰ نَدًى وَفِيْ الأَقْطَارِ
مَاجِدٌ جَادَ وَالغَمَامُ ضَنِيْنٌ وَوَفَىٰ فِيْ زَمَانِنَا الغَدَّارِ

وقال أيضًا: [من الكامل]

ذُوْ المَالِ مَحْبُوْبُ اللِّقَاءِ مُبَجَّلٌ بَيْنَ الوَرَىٰ فِيْ أرْضِهِ وَسَمَائِهِ
وَإذَا الفَتَىٰ صَفِرَتْ يَدَاهُ مِنَ اللُّهَا دَرَسَتْ مَعَالِمُ مَجْدِهِ وَبَهَائِهِ

وقال أيضًا[3]: [من السريع]

---

(١) البيتان في الوافي ١٩/ ٤٨٣.
(٢) البيتان في الوافي ١٩/ ٤٨٣.
(٣) البيتان في الوافي ١٩/ ٤٨٢. ذيل ابن النجار ٢/ ٢٠٤. فوات الوفيات ٢/ ٦٢.

شَيْئَـــانِ لَـــمْ يَبْلُغْهُمَـــا [واصـــفٌ] فيْمَـــا مَضَـــىٰ بِـــالنَّظْـــمِ وَالنَّثْـــرِ
/١٤١أ/ مَـدْحُ أبْنَـةِ العُنْقُـوْدِ فـيْ كَـأسِهَـا وَذَمُّ أفْعَـــالِ بَنِـــيْ الـــدَّهْـــرِ

وقال أيضًا: [من المتقارب]

أخُـــوْ العَيْـــشِ يكْتُـــمُ مَهْمَـــا ٱسْتَطَـــاعَ مَـــآرِبَـــهُ حَـــذَرَ العَـــائِـــبِ
وَعِشْـــقُ الغُـــلَامِ إِذَا مَـــا الْتَحَـــىٰ بَعِيْـــدٌ عَـــنِ الظَّـــنِّ فِـــيْ الغَـــالِـــبِ

وقال أيضًا(1): [من الوافر]

وَلِـــيْ قَلْـــبٌ لشِقْـــوَتِـــهِ أَلُـــوفٌ يُنَغِّـــصُ عيشَتِـــيْ طُـــوْلَ اللَّيَـــالِـــيْ
وَلَـــوْ أنِّـــيْ ٱلفْـــتُ الهَجْـــرَ يَـــوْمًـــا بَكَيْـــتُ عَلَيْـــهِ فِـــيْ زَمَـــنِ الـــوِصَـــالِ

وقال أيضًا: [من مجزوء الخفيف]

إِنَّمَـــا العَيْـــشُ قَهْـــوَةٌ وَغُـــلَامٌ مُـــرَاهِـــقُ
فَـــإِذَا مَـــا عَـــدِمْـــتَ هَـــذَيْـــنِ فَـــالْكُـــلُّ طَـــالِـــقُ

وقوله يهجو: [من البسيط]

قَـالُـوا هَجَـاكَ ٱبـنُ مَيْمُـوْنٍ فَقُلْتُ لَهُـمْ لَا تَـدْخُلُـوا بَيْنَنَـا بِـالهَـمِّ يَـا حَسَـدَهْ
كَـمْ سَجْـدَةٍ سَجَـدَ المَـأْبـوْنُ بَيْـنَ يَـدِيْ وَلَـمْ يَقُـلْ سَمِـعَ اللهُ لِمَـنْ حَمِـدَهْ

[٣٨٤]

عثمانُ بنُ محمد بن عثمانَ /١٤١ب/ بنِ عليٍّ بنِ محمدِ بنِ عثمانَ، أبو عمرٍو الشَّروابيُّ.

كان مولده بأصبهان، في شهر ذي الحجّة سنة ثمان وستين وخمسمائة.

كان فقيهًا شافعي المذهب؛ قرأ علىٰ الإمام فخر الدين أبي الفضل محمد بن عمر الرازي، وهو من جملة تلاميذه، وأخذ عنه العلوم الدينيّة.

ترك مدينة إربل في شهر ربيع الأول سنة ثلاثين وستمائة؛ مُستجديًا سلطانها الملك المعظم مظفر الدين ـ رضي الله عنه ـ فخاب أمله، وأخفق سعيه، ولم يحظ منه

(١) البيتان في الوافي ١٩/ ٤٨٢.

برزق، ثم خرج منها سريعًا ولم ألقه.

وله شعر؛ أنشدني أبو عبد الله محمد بن عبد السيّد بن أحمد البغدادي الإربلي؛ قال: أنشدني أبو عمرو الشروابي لنفسه من قصيدة أوّلها: [من الطويل]

تَـذَكَّـرْتُ أَيَّـامـًا مَضَـتْ بِـرُبَـى نَجْـدِ فَكَـادَ فُـؤَادِي أَنْ يَطِيـرَ مِـنَ الـوَجْـدِ
رَأَى صَـاحِبِـي مِـدْرَارَ دَمْعِـي فَصَـاحَ بِـيْ تَـرَفَّـقْ فَكَـانَ الـدَّمْـعُ مِـنْ أَضْعَـفِ الجُنْـدِ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه: [من البسيط]

إِذَا تَنَفَّـسَ عَـنْ وَادِيْـكَ رَيْحَـانُ تَـأَرَّجَـتْ مِـنْ قَمِيْـصِ الصُّبْـحِ أَرْدَانُ
وَإِنْ تَغَنَّـتْ عَلَـى أَيْـكٍ حَمَـامَتُـهُ يُعَـاوِدُ القَلْـبَ مِـنْ ذِكْـرَاكِ أَحْـزَانُ

[٣٨٥]

عثمانُ بنُ عمرَ بن أبي بكر بنِ يونسَ، أبو عمرَ الفقيهُ المالكيُّ الأديبُ النحويُّ العَروضيُّ(٢).

(١) ابن الحاجب النحوي.

في هامش الأصل: «وفاته في يوم الخميس السادس والعشرين من شوال سنة ست وأربعين وستمائة....».

ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٩/ ٤٨٩ ـ ٤٩٦ رقم ٥٠٤. تاريخ الإسلام (السنوات ٦٤١ ـ ٦٥٠) ص٣١٩ ـ ٣٢١ رقم ٤٢٩. ذيل الروضتين ص١٨٢. وفيات الأعيان ٣/ ٢٤٨ ـ ٢٥٠ قم ٤١٣. تأريخ أبي الفداء ٣/ ١٧٨. تتمة ابن الوردي ٢/ ١٧٩. الطالع السعيد ص٣٥٢ ـ ٣٥٧ رقم ٢٧٧. مرآة الجنان ٤/ ١١٤. سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٦٤ ـ ٢٦٦ رقم ١٧٥. عيون التواريخ ٢٠/ ٢٤ ـ ٢٥. البداية والنهاية ١٣/ ١٧٦. الديباج المذهب ٢/ ٨٦ ـ ٨٩. غاية النهاية ١/ ٥٠٨ ـ ٥٠٩. الدليل الشافي ٢/ ٤٤٠ رقم ١٥٢١. شذرات الذهب ٥/ ٢٣٤. النجوم الزاهرة ٦/ ٣٦٠. البلغة للفيروزآبادي ص١٤٠ رقم ٢٢٠. شجرة النور الزكية ١/ ١٦٧ ـ ١٦٨. الدارس ٢/ ٣ ـ ٥. إشارة التعيين ص٢٠٤ ـ ٢٠٥ رقم ١٢١. حسن المحاضرة ١/ ٢١٠. بغية الوعاة ٢/ ١٣٤ ـ ١٣٥ رقم ١٦٣٢. مفرّج الكروب ٥/ ٣٠٢. نهاية الأرب ٢٩/ ٣٣٠ ـ ٣٣١. المختصر في أخبار البشر ٣/ ١٧٨. المعين في طبقات المحدثين ٢٠٤ رقم ٢١٥٢. الإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٤٧. الإعلام بوفيات الأعلام ٢٧٠. معرفة القراء الكبار ٢/ ٦٤٨ ـ ٦٤٩ رقم ٦١٧. العبر ٥/ ١٨٩ ـ ١٩٠. المنهل الصافي ٧/ ٤٢١ ـ ٤٢٤ رقم ١٥٢٧. الوفيات لابن قنفذ ٣١٩ ـ ٣٢٠ رقم ٦٤٧. ذيل التقييد للفاسي ٢/ ١٧١ رقم ١٣٧٣. تأريخ الخلفاء ٤٧٦. بدائع الزهور ج١ق١/ ٢٢٧. آثار الأدهار ١/ ١٨٣. تأريخ ابن أسباط ١/ ٣٤٢. الفتح المبين في طبقات الأصوليين ٢/ ٦٥ ـ ٦٦. تاريخ آداب اللغة العربية ٣/ ٥٣. معجم المؤلفين ٦/ ٢٦٥. الخطط التوفيقية ٨/ ٦٢. شجرة النور الزكية ١/ ١٦٧ ـ ١٦٨ رقم ٥٢٥. =

أصله من دَوين، بلد ضمن نواحي تفليس[١]، ومولده بإسنا ـ من قرىٰ صعيد مصر الأعلىٰ[٢] ـ يقرب مَن سنة سبعين وخمسمائة.

وكان والده يعرف بحاجب الأمير عزّ الدين مُوسك بن جكّو بن مُوسك، أمير مشهور من أهل دوين، وكان واليًا بإسنا في أيام الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي ـ رضي الله عنه ـ.

وكان إمامًا فاضلاً أديبًا فقيهًا مالكي المذهب مصنفًا شاعراً، نزل مصر، وقرأ القرآن العزيز بالروايَات السبع علىٰ أبي الجود غياث بن فارس بن مكيّ اللخمي بالقاهرة، وسمع علىٰ أبي القاسم فيروز بن أبي القاسم الشاطبي، كتاب التبيين في القراءات، وحضر مجالسه في إقراء النحو من الإيضاح والمفصل، وقرأ أيضًا علىٰ ابن البناء كثيراً من العربية، وقرأ أصولَ الفقه علىٰ أبي المَنصور / ١٤٢ب/ ظافر بمصر، وسمع الحديث علىٰ أبي القاسم هبة الله بن البوصيري، حتىٰ لم يكد يفوته شيء من مسموعاته، وأبي الثناء حماد بن هبة الله الجراني وغيرهم.

وانتقل إلى دمشق سنة سبع عشرة وستمائة، ودرس بها الفقه المالكي بالمدرسة المالكية التي أَنشأها نور الدين أبو القاسم محمود بن زنكي بن آقسنقر ـ رضي الله عنه ـ والنحو، والأصول، والفقه، وضروب الأدب.

وصنّف كتبًا منها «إملاء شرح المفصل»، و«مقدمة مختصرة»، وإملاء عليها كالشرح، و«قصيدة في العَروض علىٰ قافية اللام في البسيط»، تزيد على المَائة قليلاً؛

= الأعلام ٤/ ٣٧٤. دائرة المعارف الإسلامية ١/ ١٢٦. مفتاح السعادة ١/ ١١٧. كشف الظنون ١٣٧٠. إيضاح المكنون ١/ ٣٥١. هدية العارفين ١/ ٦٥٤. اكتفاء القنوع بما هو مطبوع لفنديك ٣٠٥. معجم المطبوعات العربية والمعربة لسركيس ٧١.

طبع من مؤلفاته: الكافية ـ عدة طبعات. شرحه على الكافية ـ استانبول ١٣١١هـ. الشافية ـ عدة مرات. الإيضاح في شرح المفعّل ـ ١٩٨٢. القصيدة الموشحة بالأسماء المؤنثة ـ عدة مرات. منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل ـ عدة مرات. مختصر المنتهى ـ عدة مرات. أمالي ابن الحاجب ١ ـ ٢ ـ بيروت ١٩٨٩.

(١) انظر: معجم البلدان/ مادة (دوين) و(تفليس).

(٢) انظر: معجم البلدان/ مادة (إسْنَا).

وقال: لم أسبق إلى مثلها، وكتاب في أصول الفقه سمّاه «بمنتهى الأمل والوصول في علم الأصول» سفر واحد، وكتاب في مذهب الإمام مالك ـ رضي الله عنه ـ ولي منه إجازة كتبها لي بخطّ يده.

أنبأني لنفسه، ونقلته من خطّه[1]: [من البسيط]

قَدْ كَانَ ظَنِّيَ أَنَّ الشَّيْبَ يُرْشِدُنِي ... إِذَا أَتَى فَإِذَا غَيِّي بِهِ كَثُرَا

يَا وَاسِعَ الرَّحْمَةِ اغْفِرْ وَاعْفُ عَنْ زَلَلِي ... قَدْ عَمَّ عَفْوُكَ مَنْ يَأْتِيكَ مُتَّجِرَا

/١٤٣أ/ إِنْ خَصَّ عَفْوُ إِلَهِي الْمُحْسِنِينَ فَمَنْ ... يَرْجُو الْمُسِيءُ وَيَدْعُوهُ إِذَا عَثَرَا

وقال أيضًا[2]: [من البسيط]

إِنْ غِبْتُمُ صُورَةً عَنْ نَاظِرَيَّ فَمَا ... زِلْتُمْ حُضُوراً عَلَى التَّحْقِيقِ فِي خَلَدِي

مِثْلَ الْحَقَائِقِ فِي الأَذْهَانِ حَاضِرَةٌ ... وَإِنْ تُرِدْ صُورَةً مِنْ خَارِجٍ تَجِدِ

وقال في المعنى[3]: [من الخفيف]

إِنْ تَغِيبُوا عَنِ الْعُيُونِ فَأَنْتُمْ ... فِي قُلُوبٍ حُضُورُكُمْ مُسْتَمِرُّ

مِثْلَمَا قَامَتِ الْحَقَائِقُ فِي الذِّهْنِ ... وَفِي خَارِجٍ لَهَا مُسْتَقَرُّ

وله وقد قال يومًا: وقد بحث الجماعة في قداح المَيْسِر؛ فقال بعضهم: لو كانت منظومةً لكان حَسَنًا؛ فقال بديهةً[4]: [من الخفيف]

هِيَ فَذٌّ وَتَوْأَمٌ وَرَقِيبٌ ... ثُمَّ حِلْسٌ وَنَافِسٌ ثُمَّ مُسْبِلْ

وَمُعَلَّى وَالْوَغْدُ ثُمَّ سَفِيحٌ ... وَمَنِيحٌ هَذِي الثَّلاثَةُ تُهْمَلْ

وَلِكُلٍّ مِمَّا سِوَاهَا نَصِيبٌ ... مِثْلُهُ أَنْ يُعَدَّ أَوَّلَ أَوَّلْ

[٣٨٦]

عثمانُ بنُ إبراهيمَ بن عليٍّ /١٤٣ب/ بن أحمدَ بنِ محمدِ بنِ سالمِ بن مالكٍ، أبو عَمرٍو الرصاصيُّ الإربليُّ.

---

(١) الأبيات في الوافي ١٩/ ٤٩١. الطالع السعيد ص٣٥٦.

(٢) البيتان في الوافي ١٩/ ٤٩١. الطالع السعيد ص٣٥٦.

(٣) البيتان في الوافي ١٩/ ٤٩١. الطالع السعيد ص٣٥٦.

(٤) الأبيات في الوافي ١٩/ ٤٩١. وفيات الأعيان ٣/ ٢٤٩.

نسبُهُ إلىٰ عمل الرصاص؛ هكذا نسب نفسه؛ ثم ادّعىٰ أنَّه من أبناء شرف الدولة أبي المكارم مسلِم بن قرواش العقيلي، ويعرف بإربل ابن كشكسة.

وهو إربلي المولد والمنشأ، معدود في شعرائها، يمدح ويهجو، ونظم أرجوزة هجا بها أصحاب الديوان والمقدمين بإربل، مزّق فيها أعراضهم، وشاعت عنه، وانتشر ذكرها، فخرج بسببها هاربًا خائفًا نحو بلَاد الجزيرة، فأقام بُرهة من الزمان ينتقل من مدينة إلىٰ أخرىٰ، ثم عاد إلىٰ إربل وبقيَ بها ينقش سكك الدنانير في دار الضرب لمالكها الملك المعظم مظفر الدين أبي سعيد كوكبوري بن علي بن بكتكين ـ رضي الله عنه ـ إلىٰ حين وفاة مظفر الدين.

ثم خبرت أنه توفي في يوم الأربعاء خامس عشر المحرم سنة اثنتين وثلاثين وستمائة.

أنشدني لنفسه؛ يذمّ إربل وأهلها، ويمدح الصاحب شرف الدين أبا البركات المستوفي ـ: [من الوافر]

تَعَـــزَّ فَـــإنَّـــهُ بَـــرْقٌ جَهَـــامُ وَمَـــا لسَحَـــابِـــه أبـــداً سجَـــام

/ ١٤٤أ/ وَلاَ تَسْتَسْـــقِ عَـــارضَـــهُ بنَـــوْء فَـــإنَّ سقَـــاءَ عَـــارِضِـــه سمَـــامُ

وَجَـــرِّدْ سَيْـــفَ عَـــزْمِـــكَ مِـــنْ جَفيْـــرِ الإقَـــامَـــةِ وَارْتَحِـــلْ فَلَـــكَ الـــذِّمَـــامُ[1]

وَبَـــايِـــنْ رَبْـــعَ إرْبِـــلَ وَانْـــأ عَنْهَـــا فَلَيْـــسَ لعَـــاقِـــلٍ فِيْهَـــا مُقَـــامُ

وَكَيْـــفَ تَـــرَىٰ الثَّـــوَاءَ بـــأرْضِ قَـــوْمٍ بهَـــا الإبْـــرِيْـــزُ عَـــدْلٌ وَالـــرُّغَـــامُ

هَـــلاَ فَـــارْحَـــلْ قَلُـــوْصَـــكَ عَـــنْ أنَـــاسٍ هُـــمُ عَـــنْ كُـــلِّ مكْـــرُمَـــةٍ نيَـــامُ

إذَا نَـــارُ القِـــرَىٰ وُقِـــدَتْ لقَـــوْمٍ لنَـــارِ الكَـــيِّ عنْـــدَهُـــمُ ضِـــرَامُ

إذَا مَـــا قِيْـــلَ ضَيْـــفٌ جَـــاءَ يُلْفَـــىٰ كَـــأنَّ غشَـــاءَ أوْجُههـــمْ قَتَـــامُ

إذَا ذُكِـــرَ الفَخَـــارُ فَـــلاَ فَخَـــارٌ وَإنْ عُـــدَّ الكِـــرَامُ فَـــلاَ كِـــرَامُ

تَكَـــادُ بهِـــمْ تَغُـــوْرُ الأرْضُ لَـــوْلاَ ٱبْـــنُ مَـــوْهُـــوب لَـــهُ بهِـــمُ ٱهْتِمَـــامُ

وَزِيْـــرٌ إنْ تَبَـــاخَلَـــتِ الغَـــوَادِيْ فَـــوَابِـــلُ كَفِّـــهِ غَـــدَقٌ سِجَـــامُ

---

(١) الجفير: جعبة من خشب أو جلد.

مِنَ القَوْمِ الَّذِيْنَ زَكَوْا وَطَابُوا ... وَصَلَّوْا بَعْدَ فَرْضِهِمُ وَصَامُوا
حَيَاةُ مُسَالِمِيْهِ وَلِلأَعَادِي ... وَإِنْ مَلأَ الفَضَا مَوْتٌ زُؤَامُ
تَشَاغَلَ بِالمَعَالِيْ عَنْ سِوَاهَا ... إِذَا مَا أَشْغَلَ النَّاسَ الحُطَامُ
يُرَامُ مَنَالُ كَيْوَانَ المُعَلَّى ... وَمَسْلَكُ نَهْجِهِ مَا لا يُرَامُ
وُفُودُ عُفَاتِهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ ... لَهُ بِمَقِيْلِ عَرْصَتِهِ إِزْدِحَامُ
/ ١٤٤ب/ أَنَامِلُهُ إِذَا سَلَّتْ يَرَاعًا ... تَحَامَلَ عِنْدَ سِلَّتِهِ الحُسَامُ

وأنشدني أيضًا، لنفسه في المعنى: [من السريع]

يَا رُؤَسَاءَ النَّاسِ مِنْ إِرْبِلِ ... مَا أَغْرَبَ الخَيْرَ بِنَادِيْكُمُ
حُرٌ أَمَّ مَنْ جَاءَكُمُ سَائِلاً ... وَأَخْيَبَةَ المَسْعَى لِرَاجِيْكُمُ
لَوْ جُمِعَتْ حُسَّابُ كُلِّ الوَرَى ... أَعْيَاهُمُ عَدُّ مَسَاوِيْكُمُ
لا نَيْلُكُمْ يُرْجَى وَلاَ جَارُكُمْ ... يُحْمَى وَلاَ يُخْشَى مُعَادِيْكُمُ
مِنْكُمْ أَنَا لَكِنْ طِبَاعِيْ أَبَتْ ... أَنِّي عَلَى اللُّؤْمِ أُدَاجِيْكُمُ
..... عُذْرِيْ فَإِنِّيْ إِمْرُؤٌ ... مَا قُلْتُ إِلاَّ بَعْضَ مَا فِيْكُمُ

وأنشدني لنفسه أيضًا: [من الوافر]

يُوَاصِلُ مَانِحًا فَيَصِيْرُ مِنِّي ... بِمَنْزِلَةِ المِزَاجِ مِنَ الشَّرَابِ
وَيَقْطَعُ عَاتِبًا حَبْلِيْ إِلَى أَنْ ... إِخَالَ وِصَالَهُ طَيْفًا سَرَى بِي
بَدِيْعٌ لَوْ بَدَا لِلْشَمْسِ يَوْمًا ... بِغُرَّتِهِ تَوَارَتْ بِالحِجَابِ
سَقَانِيْ الكَأْسَ يَوْمَ السَّبْتِ صِرْفًا ... بِسَكْرَتِهِ ....

وأنشدني أيضًا قوله: [من الطويل]

رُبُوعٌ أَرَاهَا بِالكَثِيْبِ طَوَامِسَا ... تَأَبَّدْنَ أَحْقَابًا وَكَانَتْ أَوَانِسَا
/ ١٤٥أ/ مَحَتْهَا الغَوَادِيْ وَالرِّيَاحُ فَغَيَّرَتْ ... مَعَالِمَهَا حَتَّى غَدَوْنَ دَوَارِسَا
وَعَهْدِيْ بِالآرَامِ يَلْعَبْنَ فِيْ الضُّحَى ... بِأَرْجَائِهَا يَخْطُرْنَ دَلاً مَوَائِسَا
ظِبًا مِنْ بَنَاتِ العَامِرِيِّيْنَ إِنْ رَنَتْ ... تَظَلُّ لَهَا أُسْدُ العَرِيْنِ فَرَائِسَا
تَخِذْنَ بِأَثْنَاءِ الضُّلُوْعِ مَرَاتِعًا ... وَفِيْ وَسْطِ حَبَّاتِ القُلُوْبِ كَنَائِسَا

[٣٨٧]

عثمانُ بنُ نصر الله بن مُحَمَّد بنِ أبي هنديٍّ بن أُبي النَّجْم بنِ رافعِ بنِ جامعِ بَنِ جعفرٍ البزَّارُ، أَبُو عمروَ بنِ أبي الفتحِ الموصليّ.

كانت ولادته في شهر الله رجب سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة بالموصل، وتوفّي بها يوم الخميس تاسع ربيع الأول سنة ثلاثين وستمائة.

وهو من بيت مشهور في الموصل باليَسار والثروة، واستظهر القرآن الكريم، وكان تاجراً، يسافر من البلاد العراقية إلىٰ الديار المصرية. فكُفَّ بصره، وترك التجارة، ولازم بيته، وواظب علىٰ الصلاة وقراءة القرآن حتىٰ صار يختم بين ليلته ويومه ختمه ويدرسها.

وكان قد سمع الحديث بالإسكندرية علىٰ الحافظ أبي ظاهر أحمد بن محمد /١٤٥ب/ ابن أحمد الأصفهاني السلفي. وكان له طبع في النظم من غير أن يقرأ أدبًا ونحواً. وشعره مدوّن أجازني جميع رواياته وأقاويله.

أنبأني لنفسه في غلام اسمه إيلبا: [من الرمل]

نَظَرَتْ عَيْنَايَ بَدْراً طَالعًا ... مُشْرِقًا مَا بَيْنَ أَزْرَارِ القَبَا
بقَوَامٍ يُخْجِلُ الغُصْنَ إذَا ... هَزَّهُ مَرُّ نُسَيْمَاتِ الصَّبَا
وَعِذَارٍ حَلَّ مِنْ أُبتَتِهِ ... يُفْتَنُ العُجْمَ بِهِ وَالعَرَبَا
قُلْتُ مَنْ هَذَا الَّذِيْ قَدْ خَصَّهُ ... اللهُ بِالْحُسْنِ فَقَالُوا إيْلَبَا
أُتُرَىٰ يُنْعِمُ بِالوَصْلِ فَقَدْ ... هَدَّ عُمْرِيْ وَفُؤَادِي سَلَبَا
وَالْهَوَىٰ أَوْقَعَنِي فِيْ أَسْرِهِ ... مَا احْتِيَالِيْ إِنْ تَجَنَّىٰ أَوْ أَبَىٰ

وأنبأني أيضًا لنفسه، وأوائل هذه الأبيات أحرف محاسن: [من المتقارب]

مَتَىٰ يَسْمَحُ الدَّهْرُ لِي بِالوِصَالِ ... وَنُرْجِعُ لَذَّاتِ نَكْدِ اللَّيَالِيْ
حَدَا بِالأَحِبَّةِ حَادِيْ الفِرَاقِ ... وَشَطَّ المَزَارُ فَكَيْفَ احْتِيَالِي
إذَا جَنَّ لَيْلِيْ بِذِكْرِ اسْمِهِ ... أُعَلِّلُ قَلْبِيْ بطَيْفِ الخَيَالِ
سَأَلْتُ إلَهًا قَضَىٰ بِالفِرَاقِ يَمُنُّ عَلَيْنَا بِطِيْبِ الوِصَالِ

/١٤٦أ/ نَعُوْدُ إِلَىٰ طِيْبِ أَوْطَانِنَا … بِرَغْمِ العَدُوِّ عَلَىٰ كُلِّ حَالِ

[٣٨٨]

عثمانُ بنُ سعيد بن عبد الرحمٰن بن أحمدَ بن تُولُوَا، أبُو عمرٍو السُلَمِيُّ، وقيل القرشيُّ التَوْزَريُّ(١)

وتَوْزَر من قطر أفريقية(٢)، وكان من أهل الشعر والعربية، فاضلاً متميّزاً.

أنشدني أبو محمد عبد الله بن أحمد بن يوسف التجاني اللخمي؛ قال: أنشدني أبو عمرو عثمان بن سعيد لنفسه في غلام قد جرَّ رمحًا في يده: [من الكامل]

أَغْنَاكَ قَدُّكَ أَنْ تَجُرَّ مُثَقَّفًا … وَحَمَاكَ لَحْظُكَ أَنْ تُقَلَّدَ مُرْهَفَا

فَعَلامَ تَحْمِلُ وِزْرَ نَفْسِكَ حَامِلاً … أَوْزَارَ هَاتِيْكَ الحُرُوْبِ تكَلُّفَا

وأنشدني؛ قال: أنشدني لنفسه، وقد احترقت خزانة الملك الأشرف، ولم يسلم بها غير مصحف كان بها: [من الطويل]

وَلَمَّا قَدَحْتَ الزَّنْدَ زَنْدَ عَزِيْمَةٍ … مُعَوَّدَةٍ نَصْرَ الفَضَائِلِ وَالتُّقَى

أَطَارَ شَرَاراً بَعْضُهُ مَا رَأَيْتَهُ … غَدَا لِسِوَىٰ آيَاتِ رَبِّكَ مُحْرِقَا

/١٤٦ب/ وأنشدني من سمعه ينشد لنفسه: [من الكامل]

شَكْوَىٰ الزَّمَانِ إِلَىٰ سِوَاكَ مُحَالُ … يَا مَنْ عَلَيْهِ مَتَىٰ افْتَقَرْتُ أُحَالُ

تَأْبَىٰ الفَضَائِلُ قَصْدَ غَيْرِكَ لِلْغِنَىٰ … أَبِغَيْرِ جُوْدِكَ تُضْرَبُ الأَمْثَالُ

وَاللهِ لَوْلا أَنْ غَدَوْتُ كَمَا تَرَىٰ … مَا حَطَّ مِن قَدْرِيْ لَدَيْكَ سُؤَالُ

وَلأَلْزَمَنَّ رِيَاضَةً تُرْضِيْكُمُ … مِنْ حُسْنِهَا التَّفْصِيْلُ وَالإِجْمَالُ

---

(١) ترجمته في: فوات الوفيات ٢/ ٦٤ ـ ٦٥ وفيهك «ولد بتنيس سنة خمس وستمائة، وتوفي سنة خمس وثمانين وستمائة». شذرات الذهب ٥/ ٣٩٢. النجوم الزاهرة ٧/ ٣٦٩. العبر ٥/ ٣٥٤. ذيل مرآة الزمان ٤/ ٢٨٦. المنهل الصافي ٧/ ٤١٦ ـ ٤١٧ رقم ١٥٢٤ وفيه: «ولد بتنيس سنة خمس وستمائة، وسمع بدمشق من القاضي أبي نصر بن الشيرازي وغيره، وكان أحد الشعراء في عصره، وعليه تخرج الحكيم شمس الدين محمد بن دانيال وبه تأدب، وله معه حكايات، كان يُسخر به ويُهزأ، ويضحك منه الناس، توفي سنة خمس وثمانين وستمائة». الدليل الشافي ١/ ٤٢٩ رقم ١٥١٨.

(٢) انظر: معجم البلدان/ مادة (توزر).

ذكر من اسمه علي

[٣٨٩]

عليُّ بنُ مُحَمَّد بن عليٍّ بن رُستمَ، أبو الحسنِ الدمشقيُّ الخُراسانيُّ، المعروفُ بابنِ السَاعاتيِّ(١).

شاعر حشو ابراده، مُحسن في إصداره وإيراده؛ فرد زمانه في صناعة القريض، بحر خاطره متدفق يفيض، ذو قول أبهج من أنيق الرياض، وأخلب للقلوب من غمزات الحدق المراض.

فللَّه دَرُّهُ! ما أعذب كلامَه، وأحسن نظامَه، وأحلىٰ قطوفَه ومجانيه، وأرق ألفاظه وأدق معانَيه!، يكاد ماء الحسن يقطر من أطرافه، ويرىٰ بالجوهر النفيس في ترصيفه /١٤٧أ/ وائتلافه. مدح الملوك من بني أيوب مع رؤسائهم ووزرائهم وأمراء تلك الديار.

وديوان شعره موجود، يدخل في مجلدتين، أحسن فيه ما شاء؛ يدلّ علىٰ فضله وغزارة علمه وتمكّنه من الأدب، ولطافة مزاجه، وجزالة عباراته، وملح استعاراته.

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٢/ ٧ ـ ٢٩ رقم ١. وفيه: «ولد بدمشق سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة». وفيات الأعيان ٣/ ٣٩٥ ـ ٣٩٦ رقم ٤٧٨ وفيه: «علي بن رستم». العبر ٥/ ١١. شذرات الذهب ٥/ ١٣. مرآة الزمان ج٨ق١/ ٣٧٥. عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٢/ ١٨٤. روضات الجنات ٨٩. أعيان الشيعة ٤١/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥. وفيات الأعيان ٣/ ٣٩٥ ـ ٣٩٦. أنوار الربيع ١/ ٢٧٠. الطليعة ٢/ ٤٣ ـ ٤٥. الغصون اليانعة ص١١٨ ـ ١٣٠. البدر السافر ١٩ب وفيه: «علي بن عمر بن رستم». تأريخ الإسلام (السنوات ٦٠١ ـ ٦١٠) ص١٥٤ رقم ١٩٧. مرآة الجنان ٤/ ٥. تأريخ ابن الفرات ج٥/ ق١/ ٧١. التكملة لوفيات النقلة ٢/ ١٤٢ ـ ١٤٣ رقم ١٠٣٣. بدائع البدائة لابن ظافر ٧٦و ١٠٢، ١٥١، ١٥٣، ٢٦٢ ـ ٢٦٤، ٢٨٠. سير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٧١ ـ ٤٧٢ رقم ٢٣٦. العسجد المسبوك ٢/ ٢٣٢. غاية النهاية ١/ ٥٠٨ (في ترجمة: عثمان بن علي بن عثمان الخثعمي رقم ٢١٠١). كشف الظنون ٧٦٩. ديوان الإسلام ٣/ ١٣٢ ـ ١٣٣ رقم ١٢٢٥. هدية العارفين ١/ ٧٠٤. معجم المؤلفين ٧/ ٩٢

مقدمة ديوانه، بقلم محققه أنيس مقدسي.

له «ديوان شعر» بمجلدين طبع بتحقيق أنيس المقدسي.

وكان مع ذلك شابًا سَرِيًّا جميلاً لطيفًا، مليح الصورة، مطبوع الشمائل، ولد في سنة أربع وأربعين وخمسمائة، وتوفي في شهر رمضان سنة أربع وستمائة بالقاهرة، بالديار المصرية ـ رحمه الله تعالىٰ ـ.

أنشدني أبو منصور بن يوسف بن أبي منصور العصافيري الموصلي؛ قال: أنشدني ابن الساعاتي لنفسه مبدأ قصيدة[1]: [من الطويل]

أَلَمَّتْ سُلَيْمَىٰ وَالنسِيْمُ عَلِيلُ ... فَخُيِّلَ لِيْ أَنَّ الشَّمَالَ شَمُوْلُ

كَأَنَّ الخُزَامَىٰ صَفَّقَتْ مِنْهُ قَرْقَفًا ... فَلِلسُّكْرِ أَعْنَاقُ المَطِيِّ تَمِيلُ

شَدِيْدٌ إِلَىٰ بَابِ البَرِيْدِ حَنِيْنُهُ ... وَلَيْسَ إِلَىٰ بَابِ البَرِيْدِ سَبِيْلُ

مَنَازِلُ أَمَّا مَاؤُهَا فَمُصَفَّقٌ ... زُلاَلٌ وَأَمَّا ظِلُّهَا فَظَلِيْلُ[2]

نَحِلْتُ ومَا قَوْلِيْ نَحِلْتُ تَعَجُّبًا ... هَلِ الحُبُّ إِلاَّ لَوْعَةٌ وَنُحُوْلُ

/١٤٧ب/ وأنشدني؛ قال: أنشدني لنفسه في السعيد بن سناء الملك، وقد وقع عن بغل له، وكان يُسمّىٰ البغل الجمل[3]: [من البسيط]

قَالُوا السَّعِيْدُ تَعَاطَىٰ بَغْلُهُ نَزَقًا ... فَزَلَّ عَنْهُ وَأَهْلُ ذَاكَ لِلْزَلَلِ

فَقُلْ لَهُ لاَ أَقَالَ اللهُ عَثْرَتَهُ ... وَلاَ سَقَتْهُ بَنَانُ العَارِضِ الهَطِلِ

أَبْغَضْتَ بِالطَّبْعِ أُمَّ المُؤْمِنِيْنَ وَلَمْ ... تُحِبَّ أَبَاهَا وَهَذِيْ وَقْعَةُ الجَمَلِ

وقال أيضًا[4]: [من الوافر]

أَتَهْوِيْمًا وَلَيْلُ الهَمِّ دَاجِيْ ... فَهَاتِ مِنَ السُّلاَفِ سَنَى السِّرَاجِ

وَأَطْلِعْ بِالسُّقَاةِ بُدُوْرَ تَمٍّ ... تُدِيْرُ الشَّمْسَ فِيْ صُبْحِ الزُّجَاجِ

وَنَصْلَيْهَا رِمَاحًا مِنْ شُمُوعٍ ... لَوَامِعَ تَحْتَ رَايَاتِ الدَّيَاجِيْ

وَلَوْ رَكِبَتْ لِتَقْتَنِصَ الأَمَانِيْ ... بَنَانَ يَدٍ تَسَالَمَ فِيْ الهِيَاجِ

تُجِيْدُ الضَّرْبَ لَكِنْ فِيْ مُقَامٍ ... دُخَانُ كِبَابِهِ رَهَجُ العَجَاجِ

---

(١) القصيدة في ديوانه ١/ ٥٠ ـ ٥٤، قوامها ٨١ بيتًا.
(٢) المصفّق: المصفّى.
(٣) الأبيات في ديوانه ٢/ ٤٠٣.
(٤) القصيدة في ديوانه ٢/ ١٠٠، قوامها ١٨ بيتًا.

بَكَى الرَّاوُوقُ مَرْجَاناً نَثِيراً وَنَظَّمَ لُؤْلُؤاً ضَحِكُ المِزَاجِ
فَقَدْ نَسَجَ الحَيَا جِسْراً وَحَلَّى بِدُرِّ النُّورِ أَجْسَادَ الفِجَاجِ
وَأَرْشَفَهَا ثُغُوراً مِنْ أَقَاحٍ صَوَامِتَ وَهْيَ مُفصِحَةُ النِّتَاجِ
/ ١٤٨أ/ كَأَنَّ الأَرْضَ وَجْهٌ مِن حَبِيبٍ تَبَلَّجَ عَنْ سُرُوْرٍ وَابْتِهَاجِ
وَأَغْيَدَ فَاتِنِ الحَرَكَاتِ يَسْطُو بِأَدْمُعِ فَاتِرِ اللَّحَظَاتِ سَاجِي
يَتِيهُ بِوَجْنَةٍ كَالْوَرْدِ حُسْناً يُحِيطُ بِهِ عِذَارٌ كَالسِّيَاجِ
كَمَا نَمْنَمْتَ خَطّاً ذَا خَفَاءٍ عَلَى سَطْحَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ وَعَاجِ
وجسمٍ حَشْمُ داءِ الوجدِ فيه إذا ما الهمُّ جَلَّ عن العِلاَجِ
فَغُصْنُ البَانِ مِنْهُ فِي اهْتِزَازٍ وَدِعْصُ الرَّمْلِ مِنْهُ فِي ارْتِجَاجِ
وَنقْطَةُ خَالِهِ وَالصُّدْغُ نُورٌ يَرُوْقُكَ بِانْفِرَادٍ وَازْدِوَاجِ
كَأَنَّ اللَّيْلَ قَبَّلَ خَدَّ صُبْحٍ فَأَثَّرَ ذَاكَ حُسْنَ الإِمْتِزَاجِ

وقال من قصيدة[1]: [من الكامل]

عُجْ بِالحِمَى وَمُهَفْهَفَاتٍ غُصُوْنِهِ وَحَذَارِ مِنْ غِيدِ الكَثِيبِ وَعِيْنِهِ
مِنْ كُلِّ وَسْنَانٍ كَأَنَّ لِحَاظَهُ نَصَلَتْ ذَوَابِلَ قَوْمِهِ مِنْ دُوْنِهِ
كَيْفَ الخَلاَصُ لِمَنْ هَوَاهُ هَوَانُهُ فِي حُبِّهِ وَمُنَاهُ رَيْبُ مَنُوْنِهِ
مَا كِدْتُ تَغْلِبُنِي جُيُوشُ جَمَالِهِ لَوْلاَ العِذَارُ يَمُدُّهَا بِكَمِيْنِهِ
كَالسَّيْفِ يُعْرَفُ حَدُّهُ مِنْ هَزِّهِ خشناً ويُعْرَفُ صَفْحُهُ مِنْ لِيْنِهِ
أَهْدَى إِلَى الأَغْصَانِ لِيْنَ قَوَامِهِ وَأَعَارَ جِسْمَ الصَّبِّ سُقْمَ جُفُوْنِهِ
/ ١٤٨ب/ تَتَقَابَلُ الأَضْدَادُ عِنْدَ مُحِبِّهِ فِي حُسْنِهِ فَتَبِيْنُ عَنْ مَكْنُوْنِهِ
فَسَقَامُ مُقْلَتِهِ لِصِحَّةِ لَفْظِهِ وَظَلاَمُ طُرَّتِهِ لِصُبْحِ جَبِيْنِهِ

وكتب إلى صديق له يلقب بالنجم ـ صدر كتاب[2] ـ: [من الطويل]

وَأَبْيَضَ مِنْ نَجْلِ الكِرَامِ كَأَنَّمَا خَلاَئِقُهُ فِي لُطْفِهِنَّ ابْنَةُ الكَرْمِ
تَجَلَّى ظَلاَمُ الدَّهْرِ عَنِّي بِوَجْهِهِ وَأَقْلَعَ صَرْفُ النَّائِبَاتِ عَنِ الظُّلْمِ

---

(١) الأبيات في ديوانه ٢/ ١٥٨.
(٢) الأبيات من قطعة في ديوانه ٢/ ١٤٧، قوامها ٤ أبيات.

وَإِنِّي لأَسْتَجْدِي العُلاَ مِنْ جَنَابِهِ ... وَمَا خَابَ مُسْتَجْدِيْ المَعَالِيْ مِنَ النَّجْمِ

وكتب إلىٰ تاج الدين أبي اليمن زيد بن الحسن الكندي؛ وقد أبَلَّ من مرض[١]: [من الطويل]

لِيَهْنِ الوَرَىٰ بُرْءُ العُلاَ وَالفَضَائِلِ ... هَنَاءَ الثَّرَىٰ بِالمُدْجِنَاتِ الهَوَاطِلِ

لَقَدْ شَرَحَتْ صَدْرَ الوَرَىٰ قَسَمَاتُهُ ... وَرَدَّتْ وُضُوحًا فِي وُجُوهِ الأَصَائِلِ

وَأَصْبَحَ قُسٌّ مَاثِلاً فِي إِيَادِهُ ... وَأُنْشِرَ بَعْدَ اليَأْسِ سَحْبَانُ وَائِلِ

سَقَتْ أَنْمُلُ السُّحْبِ البِلاَدَ لأَجْلِهِ ... وَأُتْئِمَ بَعْدَ العُقْمِ حَمْلُ الخَمَائِلِ

لَهُ حَلَّ فِيْ الآفَاقِ حَبْوَتَهُ الحَيَا ... فَحَلَّتْ أَيَادِيْ مُزْنِهِ كُلَّ عَاطِلِ

/ ١٤٩أ/ وَهَزَّ قُدودَ البَانِ نَاشِيَةُ الصَّبَا ... كَمَا هَزَّ عِطْفَ الشَّرْبِ قَهْوَةُ بَابِلِ

وقال بديهًا[٢]: [من الطويل]

وَصَاحِبِ أُنْسٍ تَعْشَقُ الفَضْلَ نَفْسُهُ ... وَحَسْبُكَ ذُوْ نَفْسٍ تَيَمَّمَهَا الفَضْلُ

أَخُو فِطْنَةٍ لَمْ يَمْزَحِ العَيْشُ وُدَّهُ ... وَلاَ هَزَّ مِنْ عِطْفَىٰ رَصَانَتِهِ الجَهْلُ

وقال أيضًا بديهة[٣]: [من الكامل]

يَا صَاحِبِيْ وَالأُفْقُ قَدْ لَبِسَ الدُّجَىٰ ... وَكَوَاكِبُ الظَّلْمَاءِ لَمْ تَتَقَوَّضِ

حَيْثُ المَجَرَّةُ فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا ... مَاءٌ جَوَانِبُهُ تُشَابُ بِعَرْمَضِ[٤]

أَوَ مَا تَرَىٰ لَوْنَ السَّمَاءِ كَأَنَّهُ ... تُرْسٌ يُنَاطُ مِنَ الهِلاَلِ بِمَقْبَضِ

وَكَأَنَّ كُلَّ شِهَابِ رَجْمٍ ثَاقِبٍ ... سَهْمٌ أَصَابَ وَرَبُّهُ لَمْ يَنْبِضِ

أَو إِبْرَةٌ نَفَذَتْ رِدَاءً أَزْرَقًا ... وَالنُّوْرُ يَتْبَعُهُ كَخَيْطٍ أَبْيَضِ

وقال في صبي أصفر اللون من غير علة، وقد سئل ذلك[٥]: [من الخفيف]

وَبِرُوْحِي مَنْ وَجْهُهُ شَفَقِيُّ اللَّوْنِ ... كَالشَّمْسِ رُوِّعَتْ بِالفِرَاقِ

---

(١) الأبيات من قصيدة في ديوانه ٢/ ١٤٨، قوامها ١٦ بيتًا.
(٢) البيان في ديوانه ٢/ ١٤٩ من قطعة قوامها ٣ أبيات.
(٣) القطعة في ديوانه ٢/ ١٥٢.
(٤) العرمض: الطحلب.
(٥) الأبيات في ديوانه ٢/ ١٥٢.

لا لــــدا لكنَّــــهُ عَـــمَّ وَجْــــداً ... لَـــمْ يَـــدَعْ غَيْـــرَ هَــائـــم مُشْتَــاق
رَاقَ مـــاءُ الجَمَـــال فـــي وَجْنَتَيْـــه ... فَهْـــوَ مـــرآةُ أوْجُـــه العُشَّـــاق

/ ١٤٩ب/ وقال في شجر المشمش[(١)]: [من الطويل]
أَلَسْـــتَ بـــرَاءٍ كُـــلَّ يَـــانعَـــة غَـــدَتْ ... جَنَـــىٰ كُـــلِّ غُصْـــن يَـــانـــع مُتَـــأوِّد
إِذَا قَـــابَلَـــتْ شَمْـــسَ الأَصَـــائِـــل خلْتَهَـــا ... كَـــوَاكِـــبَ تِبْـــرٍ فـــي سَمَـــاءِ زَبَـــرْجَـــد

وقال بديهًا في البدر على الماء[(٢)]: [من البسيط]
أمَـــا تَـــرَىٰ البَـــدْرَ يَجلُـــوهُ الغَـــديـــرُ غَـــدَتْ ... تَحُفُّـــهُ قُضُـــبٌ بـــالنُّـــوْر فـــي لَثَـــم
كَخُـــوْذَة فَـــوْقَ درْعٍ حَـــوْلَهَـــا أَسَـــلٌ ... سُمْـــرٌ أَسنَّتُهَـــا مَخْضُـــوبَـــةٌ بـــدَم

وقال أيضًا[(٣)]: [من الكامل]
وَلَقَـــدْ نَـــزَلْـــتُ بـــرَوْضَـــة حَـــزَنيَّـــة ... رَتَعَـــتْ نَـــوَاظِـــرُنَـــا بهَـــا وَالأَنْفُـــسُ
فَظَلِلْـــتُ أعْجَـــبُ حَيْـــثُ يَحلـــفُ صَـــاحبـــي ... والمسْـــكُ مـــنْ نَفَحَـــاتهَـــا يَتَنَفَّـــسُ
مَـــا الجَـــوُّ إلاَّ عَنْبَـــرٌ وَالـــدَّوْحُ إلاَّ جَـــوْهَـــرٌ وَالـــرَّوْضُ إلاَّ سُنْـــدُسُ
سَفَـــرَتْ شَقَـــائقُهَـــا فَهَـــمَّ الأُقْحُـــوانُ بلَثْمهَـــا فَـــرَنَـــا إلَيْـــه النَّـــرْجـــسُ
فكَـــأنَّ ذَا خَـــدٌّ وَذَا ثَغْـــرٌ يُحَـــا ... ولُـــهُ وَذَا أبَـــداً عُيُـــونٌ تَحْـــرُسُ

وله وقد حضر قبل خروجه من دمشق مع جماعة من الأصدقاء بالنيرب[(٤)] / ١٥٠أ/ علىٰ شراب وعندهم سقاة كالشموس؛ وجاء مطر كثير ورعد وبرق؛ فسألوه أن يسم ذلك اليوم بشيء؛ فقال بديهًا[(٥)]: [من الكامل]
لله يـــومُ النَّيِّـــرَبَيْـــن وَوَجْهُـــهُ ... طَلْـــقٌ وَثَغْـــرُ اللَّهْـــو ثَغْـــرٌ أشْنَـــبُ
وَكَـــأنَّمَـــا فَنَـــنُ الأَرَاكَـــة منْبَـــرٌ ... وَهـــزَارُهَـــا فَـــوْقَ الـــذَّوَائـــب يَخْطُـــبُ
وَالـــرَّعْـــدُ يَشْـــدُو وَالحَيَـــا يَسقَـــي وَغُصْـــنُ البَـــان يَـــرْقُـــصُ وَالخَمَـــائـــلُ تَشْـــرَبُ

---

(١) البيتان في ديوانه ٢/ ١٥٧.
(٢) البيتان في الوافي ٢٢/ ١٠، ديوانه ٢/ ٦.
(٣) القطعة في ديوانه ٢/ ١٦٤.
(٤) النيرب: قرية بدمشق مشهورة، على نصف فرسخ في وسط البساتين، من أنزه المواضع، يقال أن فيها مصلى الخضر. انظر: معجم البلدان/ مادة (نيرب).
(٥) القطعة في ديوانه ٢/ ١٩٨.

وَكَأَنَّمَا السَّاقِي يَطُوفُ بِكَأْسِهِ ... بَدْرُ الدُّجَىٰ وَالكَفُّ مِنْهُ كَوْكَبُ
بِكْرٌ بِهَا نُقَعَ الغَلِيلُ وَمُعْجَبٌ ... نَقَعُ الغَلِيلِ بِجَذْوَةٍ تَتَلَهَّبُ
يَفْتَضُّهَا مَاءُ الغَمَامِ وَيَا لَهُ ... عَجَبًا غَدَاةَ الدَّجْنِ وَهْوَ لَهَا أَبُ
حَمْرَاءُ حَارَبْنَا الصُّرُوفَ بِصِرْفِهَا ... فَمِزَاجُهَا بِدَمِ الهُمُومِ مُخَضَّبُ
وَالْقَطْرُ نَبْلٌ وَالْغَدِيرُ سَوَابِغٌ ... مَوْضُونَةٌ وَالْبَرْقُ سَيْفٌ مُذْهَبُ

وكتب عند وصول البشير إلىٰ الأجل صفي الدين أبي الفتح نصر بن القابض؛ يهنئه ويشكره علىٰ حسن عنائه، وكان قد كثر الإرجاف علىٰ الملك الناصر / ١٥٠ب/ صلاح الدين يوسف بن أيوب ـ رضي الله عنه[1] ـ: [من الكامل]

سُرَّ الحَسُودُ بِمَا أَسَاءَ وَأَرْجَفَا ... واللهُ مِمَّا كُنْتَ خَائِفَهُ كَفَىٰ
بَعَثَ الشِّفَاءَ إِلَىٰ الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ ... مِنْ بَعْدِ مَا كَانُوا وَكَانَ عَلَىٰ شَفَا
وَافَىٰ البَشِيرُ فَكَانَ كُلُّ مُؤَمِّلٍ ... لُقْيَاهُ يَعْقُوبًا وَيُوسُفُ يُوسُفَا
أَهْدَىٰ السُّرُورَ إِلَىٰ القُلُوبِ كِتَابُهُ ... عَظُمَتْ بِهِ النُّعْمَىٰ وَكَانَ مُلَطَّفَا
نَبَأٌ هُوَ المَاءُ الزُّلَالُ أَتَىٰ عَلَىٰ ... ظَمَأٍ فَأَطْفَأَ لَوْعَةً وَتَلَهُّفَا
مَنْ كَابْنِ أَيُّوبَ وَمَنْ كَصَفِيِّهِ ... نَصْرًا إِذَا مَا النَّصْرُ أَعْوَزَ وَالصَّفَا
لَسَمَا سُمُوَّ الشَّمْسِ فِي صَدْرِ الضُّحَىٰ ... وَفَلَلْتَ بِالعَزْمِ الحُسَامَ المُرْهَفَا
وَكِلَاكُمَا مُحْيِي السَّمَاحِ وَقَدْ ثَوَىٰ ... وَمُثَبِّتٌ حِلْمَ الزَّمَانِ وَقَدْ هَفَا
أَعْطَىٰ وَمَنَّ عَلَىٰ المُسِيءِ بِعَفْوِهِ ... عَنْهُ فَأَنْشَرَ حَاتِمًا وَالأَحْنَفَا
فَفَدَىٰ صَلَاحَ الدِّينِ كُلُّ مُتَوَّجٍ ... كَالنَّجْمِ يَفْدِي الشَّمْسَ مِنْ أَنْ تَكْسِفَا
وَبَقِيتَ تَعْضُدُهُ وَتَحْمِي سِرْبَ دَوْلَتِهِ إِذَا خَطْبٌ أَغَذَّ وَأَوْجَفَا
فَلَقَدْ ذَوَىٰ رَوْضُ الثَّنَاءِ كَأَهْلِهِ ... فَأَعَدْتَهُ بِنَدَىٰ يَدَيْكَ مُفَوَّفَا
وَصَفَا مَعِينُ الرِّفْدِ فَهْوَ مُصَفَّقٌ ... وَحَلَفْتُ لَوْلَا رَاحَتَاكَ لَمَا صَفَا
/ ١٥١أ/ وَسِوَاكَ إِمَّا جَدَّ جَدَّ تَصَنُّعًا ... مِنْهُ وَإِمَّا جَادَ جَادَ تَكَلُّفَا
حُطْتَ البِلَادَ وَمَا سَلَلْتَ لِحِفْظِهَا ... سَيْفًا وَرُعْتَ وَمَا هَزَزْتَ مُثَقَّفَا
بِخَلَائِقٍ غَيْدٍ وَبَأْسٍ تَحْتَهَا ... خَشِنٍ كَمَا نَبَعَ الزُّلَالُ مِنَ الصَّفَا

(١) القصيدة في ديوانه ٢/ ١٥٠ ـ ١٥١، قوامها ٢٠ بيتًا.

هَمَمٌ جَمَعْنَ المَجْدَ ثُمَّ شَدَدْنَ مُنَّتَهُ وَكَانَ مُبَدَّداً مُسْتَضْعَفَا
وَسَلَكْنَ نَهْجاً وَاضِحاً هُوَ فِي العُلاَ جَدَدٌ يُؤَمُّ مَدَى الزَّمَانِ وَيُقْتَفَى
فَلَكَ الهَنَاءُ وَلِلْوَرَى بِكَ إِنَّهَا نُعْمَى شَفَتْ نِضْوَ العَلاَءِ المُدْنَفَا

وقال من قصيدة[1]: [من الطويل]

شَكَوْتُ هَوَىً فِي مِثْلِهِ تُسْمَعُ الشَّكْوَى فَمَا عَنَّ مَنْ أَشْكُو إِلَيْهِ وَلاَ أَلْوَى
صَبَابَةُ قَلْبٍ يُحْمَدُ المَوْتُ عِنْدَهَا وَإِنْ كَانَ مَذْمُوماً وَتُسْتَعْذَبُ البَلْوَى
وَإِنِّي لأَبَّاءٌ عَلَى كُلِّ عَاذِلٍ إِذَا مَا حَوَى رِقِّي هَضِيمُ الحَشَا أَحْوَى
وَمَا النَّاسُ فِي التَّمْثِيلِ إِلاَّ قَصِيدَةٌ هُمُ اللَّفْظُ مِنْ أَبْيَاتِهَا وَهُوَ الفَحْوَى
وَهُوبٌ إِذَا مَا النَّجْمُ أَخْلَفَ نَوْءَهُ وَقُورٌ إِذَا مَا طَاشَ مِنْ حَادِثٍ رَضْوَى
مَنَاقِبُهُ شُهْبُ اللَّيَالِي فَلاَ خَبَتْ وَمَنْزِلُهُ رَبْعُ المَعَانِي فَلاَ أَقْوَى

وقال من أبيات[2]: [من الكامل]

أُنْظُرْ إِلَى نَسْجِ الرَّبِيْعِ وَحَوْكِهِ وَالشَّمْسُ تَرْقُمُ وَالسَّحَائِبُ تَحْبُكُ
/١٥١ب/ وَالأَرْضُ تُجْلَى فِي مَعَارِضِ سُنْدُسٍ وَالنَّهْرُ رُدْنٌ بِالنَّسِيْمِ يُفَرَّكُ
حَيْثُ الوُجُوْهُ مِنَ البِقَاعِ سَوَافِرٌ وَالأُقْحُوَانُ بِهَا ثُغُورٌ تَضْحَكُ
فَعُقُوْلُنَا وَهِيَ المَرَاتِعُ تُجْتَلَى وَقُلُوبُنَا وَهِيَ العَرَائِسُ تُمْلَكُ
وَفَضَاءُ هَاتِيْكَ السَّمَاءِ مُعَنْبَرٌ وَنَسِيْمُ ذَاكَ الجَوِّ مِنْهُ مُمَسَّكُ
وَالطَّلُّ فِي جِيْدِ الغُصُوْنِ مُنَظَّمٌ وَعَلَى السُّهُوْلِ مُبَدَّدٌ لاَ يُسْلَكُ
كَمْ فُضَّ مِنْ بَطْحَائِهَا مِنْ فِضَّةٍ بَدَدٍ وَتِبْرٍ لَوْ يُصَاغُ وَيُسْبَكُ

ومنها:

عَجَباً تَخَافُ الفَقْرَ أَوْ تَرْجُو الغِنَى وَيَدَاكَ تَأْخُذُ مَا تَشَاءُ وَتَتْرُكُ
فَاهْجُرْ مُعَاتَبَةَ اللَّيَالِي وَاصِلاً دَمَ كَرْمَةٍ فِي عُرْسِ لَهْوٍ يُسْفَكُ
سَخَطُ الأَنَامِ عَلَى الزَّمَانِ وَصَرْفِهِ وَرِضَا الخَلاَئِقِ غَايَةٌ لاَ تُدْرَكُ
وَنِهَايَةُ الدُّنْيَا وَمَوْعِدُ أَهْلِهَا مُلْكٌ يَزُوْلُ وَسِتْرُ قَوْمٍ يُهْتَكُ

---

(١) الأبيات في ديوانه ٢/ ١٩٤ ـ ١٩٦ من قصيدة قوامها ٣٥ بيتًا.
(٢) القصيدة في ديوانه ٢/ ٢٠٦، قوامها ١٦ بيتًا.

كَمْ لَذَّةٍ فيهَا تُشَابُ بِذِلَّةٍ أُمْنِيَّةٌ هِيَ بِالمَنِيَّةِ تُنْهَكُ
تَحْلُو فَتُعْقَبُ غُصَّةً وَمَرَارَةً وَتُحَبُّ وَهْيَ بِنَا تَصُولُ وَتَفْتِكُ
فَأَعْجَبْ لِهَذَا الكَوْنِ مِنْ مُتَحَرِّكٍ يَلْقَى السُّكُوْنَ وَسَاكِنٍ يَتَحَرَّكُ

وقال يمدح الملك المظفّر / ١٥٢أ/ تقي الدين أبا الفتح عمر بن شهنشاه بن أيوب(١): [من الكامل]

وَافَى فَهَزَّ مِنَ القَوَامِ مُثَقَّفَا وَرَنَا فَسَلَّ مِنَ اللَّوَاحِظِ مُرْهَفَا
ثَمِلُ القَوَامِ كَأَنَّ رِقَّةَ جِسْمِهِ مَاءٌ صَفَا وَفُؤَادُهُ مِثْلُ الصَّفَا
يَحْبُو الغَزَالَ بِجِيْدِهِ وَبِلَحْظِهِ وَالغُصْنَ يَمْنَحُهُ القَوَامَ الأَهْيَفَا
يَا عِطْفَهُ كَيْفَ المَلَاذُ بِعَطْفِهِ هَلَّا تَعَلَّمَ مِنْكَ أَنْ يَتَعَطَّفَا
مُتَدَلِّلٌ خَلْفَ الحِمَامِ وَعِنْدَهُ وَعْدَ الوِصَالِ أَخَا الحَيَاةِ فَأَخْلَفَا
جُدْ بِالشِّفَاءِ لِعَاشِقٍ أَسْقَمْتَهُ يُمْسِي وَيُصْبِحُ مِنْ هَوَاكَ عَلَى شَفَا
وَدَعِ الصُّدُوْدَ فَمَا أُطِيقُ زِيَادَةً عِنْدِيْ مِنَ الوَجْدِ المُبَرِّحِ مَا كَفَا
يَا مَانِعِيْ طَرْفًا لِقَلْبِيْ خَاطِفًا وَمُقَبَّلًا خَصِراً وَخَصْراً مُخْطَفَا(٢)
مَا الخَالُ نُقْطَةُ قَدِّ صُدْغِكَ إِنَّمَا قَلْبِي مَحَبَّتُهُ حَبَاهُ تَلَهُّفَا
وَكَفَاكَ عُذْرُكَ إِنَّمَا صُدْغَاكَ قَدْ كَتَبَا عَلَى مِرآةِ وَجْهِكَ أَحْرُفَا
زَهْرٌ وَلِلزَّهْرِ الحَيَاةُ مِنَ الحَيَا تَجْنِيهِ مِنْ نَارِ الحَيَاءِ مُفَوَّفَا

ومنها في المدح:

مُتَأَيِّدٌ حِلْماً فَإِنْ عَرَضَتْ لَهُ فُرَصُ السَّمَاحِ فَمَا أَغَذَّ وَأَوْجَفَا
/ ١٥٢ب/ أَعْطَى عَلَى عُدْمٍ وَقَدْ ضَنَّ الحَيَا وَوَفَى عَلَى مَضَضٍ وَقَدْ غَاضَ الوَفَا
كَمْ مُنْيَةٍ أَهْدَى وَذِي زَيْغٍ هَدَى وَحُشَاشَةٍ أَحْيَا وَمَالٍ أَتْلَفَا
يُعْطِيْكَ عَفْواً أَوْ يُسَامِحُ مُذْنِبًا عَفْواً إِذَا غَضِبَ الكَرِيْمُ وَسَوَّفَا
جُوْدٌ وَحِلْمٌ لَا تُؤَبَّنُ بَعْدَهُ لَا بَلْ تُؤَنِّبُ حَاتِمًا وَالأَحْنَفَا
نِيْطَا بِعَزْمٍ لَا يُقَالُ لَهُ وَنَى خَوَراً وَرَأْيٍ لَا يُقَالُ لَهُ هَفَا

---

(١) القصيدة في ديوانه ٢/ ١٧٥ ـ ١٧٧، قوامها ٤٧ بيتًا.
(٢) خصراً: بارداً.

لَطُفَتْ كَمَا لَطُفَ الزُّلاَلُ خِلاَلُهُ ... وَصَفَتْ مَوَارِدُ رَاحَتَيْهِ كَمَا صَفَا
فِي السِّلْمِ مَاءٌ وَهْيَ نَارٌ فِي الوَغَىٰ ... مَوْتٌ إِذَا يَسْطُو حَيَاةٌ إِنْ عَفَا

وقال يمدح الملك الأفضل نور الدين أبا الحسن علي بن يوسف بن أيوب، حين قدم دمشق مالكًا لها في جمادى الأولىٰ سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة[1]:

[من الخفيف]

مَا عَلَىٰ الرَّكْبِ مِنْ تَلاَفِيْ تَلاَفِيْ ... بَيْنَ تِلْكَ الغُصُونِ وَالأَحْقَافِ
يَا خَلِيلَيَّ بِالحَمَىٰ ضَاعَ قَلْبِي ... بَيْنَ بِيْضِ الدُّمَىٰ وَسُودِ الأَثَافِي[2]
بِيَ مَاضِي الحُسَامِ وَاللَّحْظِ فِي العُشَّاقِ لُدْنُ القَنَاةِ وَالأَعْطَافِ
رَشَأٌ جَفْنُهُ سَقِيمٌ صَحِيحٌ ... هُوَ بِاللَّحْظِ مُسْقِمٌ وَهْوَ شَافِي
/ ١٥٣أ/ ثَقَّفَ الحُسْنُ قَدَّهُ مِثْلَمَا ثَقَّفَ قَدَّ القَنَاةِ حُسْنُ الثِّقَافِ
شَغَفَتْنِي شَمَائِلٌ مِنْهُ فِي البَانِ وَمَعْنًى مِنْ رِيقِهِ فِي السُّلاَفِ
يَا وُلاَةَ الهَوَىٰ قَدَرْتُمْ مَعَ الضَّعْفِ ... وَدِنْتُمْ بِقِلَّةِ الإِنْصَافِ
مَنْ لِخَدٍّ بِهِ مِنَ الدَّمْعِ خَدٌّ ... وَفُؤَادٍ صَبٍّ إِلَى الهِيْفِ هَافِي[3]
حَيْثُ ذُلُّ القُلُوبِ لِلْوَجْدِ فِي الأَطْلاَلِ ذُلُّ الخُصُورِ لِلأَرْدَافِ

ومنها:

وَلَيَالٍ شَفَتْ غَلِيلاً وَوَجْداً ... فَلَهَا فِي القُلُوبِ وَخْزُ الأَشَافِي[4]
مُشْرِقَاتٍ كَطَلْعَةِ المَلِكِ الأَفْضَلِ ... بَحْرِ العُفَاةِ وَالأَضْيَافِ

ومنها:

أَصْبَحَتْ جِلِّقٌ بِهِ جَنَّةَ الخُلْدِ ... وَبَاتَتْ فَسِيحَةَ الأَكْنَافِ
لاَ تَرَىٰ غَيْرَ عَيْنِ مَاءٍ بِهَا نَجْلاَءَ فِي وَجْهِ رَوْضَةٍ مِينَافِ
أَيُّ بَعْلٍ جَلاَ عَلَيْهِ عَرُوسَ المُدْنِ بَعْدَ النُّشُورِ يَوْمَ الزِّفَافِ

---

(١) القصيدة في ديوانه ٢/ ١٨٣ ـ ١٨٦، قوامها ٥٦ بيتًا.
(٢) الدمى: الحسان، الأثافي: أحجار المواقد.
(٣) هيف: جمع هيفاء. هافي: عطشان.
(٤) الأشافي: جمع إشفى وهو المثقب.

لَمْ يَزَلْ قبلَ ذَلِكَ الخَطْبِ خَطْبٌ وَاللَّيَالِي شَدِيْدَةُ الإِلْحَافِ
فِي رقيبَي صُدُوْدِهَا وَالتَّجَنِّي وَرِدَائِي جَمَالِهَا وَالعَفَافِ
أَيُّ بشْرَىٰ للخَيْلِ جَلَّتْ عَنِ الشُّكْرِ وَنُعْمَىٰ نداكُمُ الأحقافِ
/ ١٥٣ب/ حَمَلَتْ خَيْرَ مَنْ تَحَلَّتْ بِهِ يَوْمَ مصَاعٍ عَوَاطِلُ الأَسْيَافِ[١]
قَمَراً فِي نُجُومِ خَطِّيِّهِ الأَسْمَرِ جَادَتْ بِهِ سَمَاءُ الفَيَافِي
فَأَتَىٰ رَحْمَةً كَمَا أَقْبَلَتْ غُرُّ الغَوَادِيْ حَوَافِلَ الأَخْلَافِ[٢]
طَوْدُ حِلْمٍ عَنِ المُسِيءِ فَإِنْ شِيمَ نَدَاهُ فَمُزْنَةُ الأَلْطَافِ

وقال أيضًا من قصيدة[٣]: [من الطويل]

شَهِيْدَا غَرَامِي أَدْمُعِيْ وَسُجُوْمُهَا وَخَصْمَا وُلُوعِي بَابِلٌ وَنَسِيمُهَا
أَنِسْتُ بِوَجْدِيْ فِيْ ظِبَاءِ كِنَاسِهَا فَلَسْتُ عَلَىٰ إِلْفِ النِّفَارِ أَلُومُهَا
لَقَدْ نَحَلَتْ أَجْفَانُهَا وَخُصُوْرُهَا كَمَا نَحلَتْ أَجْسَامُنَا وَرُسُومُهَا
وَحَتَّامَ أَشْكُو الحُبَّ وَالْحُبُّ ظَالِمٌ إِلَىٰ سَلْوَةٍ أَعْيَا فُؤَادِيْ حَلِيْمُهَا
فَكَمْ حَلْبَةٍ لِلْغَيْثِ دَمْعِيْ جَوَادُهَا وَكَمْ وَقْعَةٍ لِلْجُوْدِ صَبْرِي هَزِيْمُهَا
وَلَوْلَا الهَوَىٰ مَا غَرَّ قَلْبِيْ غَرِيْرُهَا وَلَا رَامَ أَنْ يَسْطُو عَلَىٰ الأُسْدِ رِيمُهَا[٤]

[٣٩٠]

عليُّ بنُ مُحَمَّد بن يوسفَ بن يحيىٰ، المعروفُ بابنِ النَّبيه، أبو الحسن، المَصريُّ الربعيُّ[٥].

كان من مفاخر المصريين، ومحاسن الشعراء العصريين؛ شاعراً / ١٥٤أ/ ملء

(١) المصاع: القتال والمجالدة والنزال.
(٢) الأخلاف: جمع خلف، وهو الضرع.
(٣) الأبيات من قصيدةَ في ديوانه ٢/ ١٧٨ ـ ١٨٢، قوامها ٥٩ بيتًا قالها يمدح الملك المظفر تقي الدين، وأنفذها إليه من دمشق إلى مصر في شعبان ٥٨١هـ.
(٤) الغرير: ذو الحسن.
(٥) ترجمته في: النجوم الزاهرة ٦/ ٢٤٣. شذرات الذهب ٥/ ٨٥. فوات الوفيات ٢/ ١٤٣. حسن المحاضرة ١/ ٣٢٦. بدائع الزهور: أخبار سنة ٥٩٧هـ/ ص٦٢. وفيات الأعيان ٤/ ٤١٨. الأعلام ٥/ ١٥٢. له ديوان شعر حققه عمر محمد الأسعد، ط دار الفكر ـ بيروت ـ ١٩٦٩م.

جلبابه، أبرَّ بقوله علىٰ نظرائه وأضرابه، ذا عارضة في النظم شديدة، يتوصّل بلطيف ذهنه إلىٰ الأغراض البعيدة، حسن المعاني أنيقها، حلو الألفاظ رشيقها، شعره في نهاية الحلاوة، يلوح عليه رونق الملاحة والطراوة.

وكان يتولّىٰ بمصر ديوان الخراج والحساب، ومدح الملوك من بني أيوب، ووزراء تلك الدولة وأكابرها؛ ثم اتصل بخدمة الملك الأشرف مظفر الدين أبي الفتح موسىٰ بن محمد بن أيوب بن شاذي، فانتظم في سلك شعراء دولته، وسكن نصيبين، وبها مات في سنة تسع عشرة وستمائة؛ فقال الملك الأشرف عند موته، وكان معجبًا بمحاسن شعره، وما يأتي به من بديع الكلام: «مات ربّ القريض».

أنشدني أبو المجد أسعد بن إبراهيم الكاتب النشابي الإربلي؛ قال: أنشدني أبو الحسن علي بن محمد بن النبيه المصري لنفسه[1]؛ يمدح الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين أبا العباس أحمد ـ رضوان الله عليه[2] ـ [من البسيط]

بَاكِرْ صَبُوحَكَ أَهْنَا العَيْشِ بَاكِرُهُ ... فَقَدْ تَرَنَّمَ فَوْقَ الأَيْكِ طَائِرُهُ
/ ١٥٤ب/ وَاللَّيْلُ تَجْرِي الدَّرَارِي فِي مَجَرَّتِهِ ... كَالرَّوضِ تَطْفُو عَلَىٰ نَهْرٍ مَزَاهِرُهُ
وَكَوْكَبُ الصُّبْحِ نَجَّابٌ عَلَىٰ يَدِهِ ... مُخَلَّقٌ تَمْلأُ الدُّنْيَا بَشَائِرُهُ
فَانْهَضْ إِلَىٰ ذَوْبِ يَاقُوتٍ لَهُ حَبَبٌ ... تَنُوبُ عَنْ ثَغْرِ مَنْ تَهْوَىٰ جَوَاهِرُهُ
حَمْرَاءُ فِي وَجْنَةِ السَّاقِي لَهَا شَبَهٌ ... فَكَمْ جَنَاهُ مَعَ العُنْقُودِ عَاصِرُهُ؟
سَاقٍ تَلَوَّنَ مِنْ صُبْحٍ وَمِنْ غَسَقٍ ... فَأَبْيَضَّ خَدَّاهُ وَاسْوَدَّتْ غَدَائِرُهُ
بِيضٌ سَوَالِفُهُ، لُعْسٌ مَرَاشِفُهُ ... نُعْسٌ نَوَاظِرُهُ، خُرْسٌ أَسَاوِرُهُ
مُفَلَّجُ الثَّغْرِ، مَعْسُولُ اللَّمَا غَنِجٌ، ... مُؤَنَّثُ الخَصْرِ، عَبْلُ الرِّدْفِ وَافِرُهُ
كَأَنَّهُ بِسَوَادِ الصُّدْغِ مُكْتَحِلٌ ... أَوْ رُكِّبَتْ فَوْقَ صُدْغَيْهِ مَحَاجِرُهُ
نَبِيُّ حُسْنٍ أَضَلَّتْهُ ذَوَائِبُهُ ... وَقَامَ فِي فَتْرَةِ الأَجْفَانِ نَاظِرُهُ

---

(١) القصيدة في ديوانه ص٩١ ـ ٩٩ قوامها ٤١ بيتًا.
(٢) أبو العباس، أحمد الناصر لدين الله ابن المستضيء بن المستنجد، بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٥٧٥هـ، ولم يزل خليفة إلى أن توفي سنة ٦٢٢، وهو أطول خلفاء العباسيين مدة، إذ دامت خلافته ما يقرب من ٤٧ سنة.
ترجمته في: النجوم الزاهرة ٦/ ٢٦١.

فَلَوْ رَأَتْ مُقْلَتَا هَارُوْتَ آيَتَهُ الكُبْرَىٰ لآمَنَ بَعْدَ الكُفْرِ سَاحِرُهُ

قَامَتْ أَدِلَّةُ صُدْغَيْهِ لِعَاشِقِهِ ... عَلَىٰ عَذُوْلٍ أَتَىٰ فِيْهِ يُنَاظِرُهُ

خُذْ مِنْ حَبِيْبِكَ مَا أَعْطَاكَ مُغْتَنِماً ... وَأَنْتَ نَاهٍ لِهَذَا الدَّهْرِ آمِرُهُ

فَالعُمْرُ كَالْكَأْسِ تُسْتَحْلَىٰ أَوَائِلُهُ ... لَكِنَّهُ رُبَّمَا مُجَّتْ أَوَاخِرُهُ

وَاجْسُرْ عَلَىٰ فُرَصِ اللَّذَاتِ مُحْتَقِراً ... عَظِيْمَ ذَنْبِكَ إِنَّ اللهَ غَافِرُهُ

وَكَيْفَ يُخْذَلُ فِيْ يَوْمِ المَعَادِ فَتًى ... وَالنَّاصِرُ ابْنُ رَسُوْلِ اللهِ نَاصِرُهُ

/ ١٥٥أ/ إِمَامُ عَدْلٍ لِتَقْوَىٰ اللهِ بَاطِنُهُ ... وَلِلْجَلاَلَةِ وَالإِحْسَانِ ظَاهِرُهُ

تَجَسَّدَ الحَقُّ فِيْ أَثْنَاءِ بُرْدَتِهِ ... وَتُوِّجَتْ بِاسْمِهِ العَالِيْ مَنَابِرُهُ

لَهُ عَلَىٰ سِرِّ سِتْرِ الغَيْبِ مُسْتَرَقٌ ... فَمَا مَوَارِدُهُ إِلاَّ مَصَادِرُهُ

رَاعٍ بِطَرْفٍ حِمَىٰ الإِسْلاَمِ سَاهِرُهُ ... سَاطٍ بِسَيْفٍ أَبَادَ الكُفْرَ شَاهِرُهُ

فِيْ صَدْرِهِ البَحْرُ أَوْ فِيْ بَطْنِ رَاحَتِهِ ... كِلاَهُمَا يَغْمُرُ السُّؤَّالَ زَاخِرُهُ

يَقْضِيْ بِتَفْضِيْلِهِ سَادَاتُ عِتْرَتِهِ ... لَوْ كَانَ صَادِقُهُ حَيّاً وَبَاقِرُهُ

كُلُّ الصَّلاَةِ خِدَاجٌ لاَ تَمَامَ لَهَا ... إِذَا تَقَضَّتْ وَلَمْ يَذْكُرْهُ ذَاكِرُهُ

كُلُّ الكَلاَمِ قَصِيْرٌ عَنْ مَنَاقِبِهِ ... إِلاَّ إِذَا نَظَمَ القُرْآنَ شَاعِرُهُ

مُحَجَّبٌ فِيْ سُجُوْفِ العِزِّ لَوْ فُرِجَتْ ... عَنْ نُوْرِ وَجْهٍ يُبَاهِيْ الصُّبْحَ بَاهِرُهُ

رَأَيْتُ مُلْكاً كَبِيْراً فَوْقَ سُدَّتِهِ ... جِبْرِيْلُ دَاعِيْهِ أَوْ مِيْكَالُ زَائِرُهُ

طُوْراً أَضَاءَتْ لِمُوْسَىٰ نَارُ جِذْوَتِهِ ... حَتَّىٰ انْجَلَتْ لِمُنَاجَاةٍ بَصَائِرُهُ

نَضَاهُ سَيْفاً عَلَىٰ أَعْدَاءِ دَوْلَتِهِ ... مَا كُلُّ سَيْفٍ لَهُ تُثْنَىٰ خَنَاجِرُهُ

فَضْلُ اصْطِفَاءٍ أَتَىٰ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ ... يُغْنَىٰ بِهِ عَنْ أَخٍ بَرٍّ يُؤَازِرُهُ

تَهَنَّ نُعْمَىٰ أَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ وَدُمْ ... يَا أَيُّهَا الأَشْرَفُ المَيْمُوْنُ طَائِرُهُ

بِحَدِّ سَيْفِكَ آيَاتُ العَصَا نُسِخَتْ ... إِذَا تَفَرْعَنَ يَوْمَ الرَّوْعِ كَافِرُهُ

/ ١٥٥ب/ سَلِ الكُلَىٰ وَالطُّلَىٰ يَا مَنْ يُسَاجِلُهُ ... فَالرُّمْحُ نَاظِمُهُ وَالسَّيْفُ نَاثِرُهُ

تَنَجَّسَتْ بِدَمِ القَتْلَىٰ صَوَارِمُهُ ... وَطُهِّرَتْ بِيَدِ التَّقْوَىٰ مَآزِرُهُ

نَضُّ النَّوَالِ سَرِيْعُ البَطْشِ مُتَّئِدٌ ... كَالدَّهْرِ يُرْجَىٰ وَمَا تُخْشَىٰ بَوَادِرُهُ

إِذَا حَبَا أَغْنَتِ الأَيْدِيْ مَوَاهِبُهُ ... وَإِنْ سَطَا سَدَّتِ الدُّنْيَا عَسَاكِرُهُ

أَيْنَ المَفَرُّ لِمَنْ عَادَاهُ مِنْ يَدِهِ ... وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ أَتْبَاعٌ تُسَايِرُهُ ؟

إنْ يَصْعَدِ الجَوَّ نَاشَتْهُ خَوَاطِفُهُ ... أوْ يَهْبطِ الأرْضَ غَالَتْهُ كَوَاسِرُهُ
يَا جَامِعاً بِالعَطَايَا شَمْلَ عِتْرَتِهِ ... كَالقُطْبِ لَوْلاهُ مَا صَحَّتْ دَوَائِرُهُ
إنْ جَادَ شِعْرِي فَهَذَا الفَضْلُ عَلَّمَنِي ... مَنْ غَاصَ فِي البَحْرِ جَاءَتْهُ جَوَاهِرُهُ

وقال يمدح[(١)] الملك الأشرف، مظفر الدين، أبا الفتح، موسى بن محمد بن أيوب بن شاذي[(٢)]: [من البسيط]

اللهُ أكبَرُ لَيْسَ الحُسْنُ فِي العَرَبِ ... كَمْ تَحْتَ كُمَّةِ ذَا التُّرْكِيِّ مِنْ عَجَبِ!
صُبْحُ الجَبِينِ بِلَيْلِ الشَّعْرِ مُنْعَقِدٌ ... وَالخَدُّ يَجْمَعُ بَيْنَ المَاءِ وَاللَّهَبِ
تَنَفَّسَتْ عَنْ عَبِيرِ الرَّاحِ رِيقَتُهُ ... وَافْتَرَّ مَبْسِمُهُ الشَّهْدِيُّ عَنْ حَبَبِ
لا فِي العُذَيْبِ وَلا فِي بَارِقٍ غَزَلِي ... بَلْ فِي جَنَى فَمِهِ أوْ رِيقِهِ الشَّنِبِ[(٣)]
/١٥٦أ/ ثَغْرٌ إذَا مَا الدُّجَى وَلَّى تَنَفَّسَ عَنْ ... رِيحٍ مِنَ النَّدِّ أوْ ضَرْبٍ مِنَ الضَّرَبِ[(٤)]
كَأنَّهُ حِينَ يَرْمِي عَنْ حَنِيَّتِهِ ... بَدْرٌ رَمَى عَنْ هِلالِ الأُفْقِ بِالشُّهُبِ[(٥)]
يَا جَاذِبَ السَّهْمِ تَقْرِيباً لِوَجْنَتِهِ ... وَالهَائِمُ الصَّبُّ فِيهَا غَيْرُ مُقْتَرِبِ
ألَيْسَ مِنْ نَكَدِ الأيَّامِ يُحْرَمُهَا ... فَمِي وَيَلْثِمُهَا سَهْمٌ مِنَ الخَشَبِ؟
لَدْنُ المَعَاطِفِ قَاسِي القَلْبِ مُبْتَسِمٌ ... لا عَنْ رِضاً مُعْرِضٌ عَنِّي بِلا غَضَبِ
فَكَمْ لَهُ فِي اخْتِلاقِ الذَّنْبِ مِنْ سَبَبٍ ... وَلَيْسَ لِي فِي قِيَامِ العُذْرِ مِنْ سَبَبِ

---

(١) القصيدة كاملة في ديوانه ٢٣٤ ـ ٢٤٠.
(٢) ولد عام ٥٧٨هـ بالقاهرة، وقيل بقلعة الكرك قبل أخيه بليلة واحدة، ملّكه أبوه البلاد المشرقية، وقام بقيادة الجيش إلى مناطق كثيرة وله تأريخ طويل في المغازي والسياسة. وكانت أكثر إقامته في الرقة لكونها على الفرات. مات بدمشق في محرم ٦٣٥هـ وقام من بعده بدمشق أخوه الصالح عماد الدين اسماعيل صاحب بصرى.
ترجمته في: وفيات الأعيان ٤/ ٤١٦. مرآة الزمان ٨/ ٤٧٠. السلوك ١/ ١٧١، ١٩٣. الكامل لابن الأثير ٩/ ٣٧١. النجوم الزاهرة ٦/ ١٥٥.
(٣) العذيب: ماء بينه وبين القادسية أربعة أميال، وقيل هو واد لبني تميم من منازل خارج الكوفة، «معجم البلدان ٦/ ١٣١».
بارق: ماء بالعراق، وهو من أعمال الكوفة، «معجم البلدان ٢/ ٣٢».
(٤) الضَرَب: العسل.
(٥) الحنية: القوس.

تميلُ أعطافُه تيهًا بغرَّته ... كما تميلُ رماحُ الخطِّ بالعَذَب[1]
أشار نحويَ وجُنحُ الليل معتكرٌ ... بمعصمٍ بشُعاعِ الكأسِ مختضب
بكرٌ جلاها أبوها قبل ما جُليت ... في حُجرةِ الدَّنِّ أو في قشرةِ العنب
حمراءُ تفعلُ بالأحزان ما فعلت ... أسيافُ شاهْ أرمن في عسكر لَجِب
مَلْكٌ تفرَّق يومَ السِّلم ما جمعت ... في الحرب يُمناه بالهندية القُضُب
ثَبْتٌ تحفُّ جماهيرُ الجيوش به ... كأنَّ أفلاكها دارت على قُطُب
دمُ العدا وصليلُ المرهفات له ... أحلى وأطيبُ من كأسٍ على طرب
في غير موسى أحاديثُ الورى اختلفت ... هو الكريمُ بلا شكٍّ ولا ريب
الأشرفُ الواهبُ الآلاف مبتسمًا ... وذا[ك] يعجزُ عنه عيشه الصَّخب
/١٥٦ب/ صحَّت له كيمياءُ الحمد إذ سبكت ... يُمناه للبذل إكسيرًا من الذهب
لا تعجبنَّ لأموالٍ يفرِّقها ... بقاؤها للعطايا غايةُ العجب

الطاهرُ النسبِ ابنُ الطاهرِ النسبِ ابنُ الطاهرِ النسبِ ابنُ الطاهرِ النسب

نفسٌ لآبائها من فضلها شرفٌ ... كذا الثمارُ لها فضلٌ على الخشب
عليه نورٌ إلهيٌّ أشعَّتُه ... تُغنيه عن كثرةِ الحُجَّاب والحُجُب
مُتْ يا حسودُ انتظارًا إنَّ مولده ... قد كان في برجِ سعدٍ غيرِ منقلب
وقفٌ على جوِّ زهر الرأس عاشره ... وبيتُ أعدائه وقفٌ على الذَّنب[2]
يا كوكبًا أسعدَ الأيامَ طالعُه ... وهو الوبالُ لأهل الشِّرك والصُّلُب
لا خيَّب اللهُ في ذا العيد دعوةَ من ... رجاؤه من ندى كفَّيك لم يخب

وقال أيضًا يمدحه[3]: [من مجزوء الوافر]

تعالى اللهُ ما أحسنْ ... شقيقًا حُفَّ بالسَّوسن
خدودٌ لثمُها يُبري ... من الأسقام لو أمكن
فما تُجنى وحارسُها ... بقُفلِ الصُّدغِ قد زرفن[4]

---

(١) العَذَب: جمع عَذَبة، وهي عَذَبة الرمح: خرقة تشدّ على رأسه.
(٢) الزهر: ثلاث ليال من أول الشهر. والعاشر، والذهب: من مصطلحات التنجيم والطوالع.
(٣) القصيدة كاملة في ديوانه ٢٤١ ـ ٢٤٦.
(٤) الجنى: الاقتطاف.

=

غَـــزَالٌ ضَيِّـــقُ الأَجْفَـــا ... نِ يَسْبِـــي الـــرَّشَـــأَ الأَعْيَـــنْ
لَـــهُ قَلْـــبٌ وأَعْطَـــافٌ ... فَمَـــا أَقْسَـــى وَمَـــا أَلْيَـــنْ
/ ١٥٧أ/ وَلَـــمْ أَرَ قَبْـــلَ مَبْسِمِـــهِ ... صَغِيْـــرَ الجَـــوْهَـــرِ المُثْمَـــنْ
فُتِنْـــتُ بِحُسْـــنِ صُـــورَتِـــهِ ... وَمَـــنْ يَهْـــوَى الـــدُّمَـــى يُفْتَـــنْ
عَـــزِيـــزٌ يُـــوسُفِـــيُّ الحُسْـــنِ ... لَـــمْ يُشْـــرَ وَلَـــمْ يُسْجَـــنْ
قَـــدِ ابْيَضَّـــتْ بِـــهِ عَيْنِـــي ... وَلِلْمَهْجُـــورِ أَنْ يَحْـــزَنْ
أُبِـــثُّ هَـــوَاهُ مَـــنْ حُـــرَقِـــي ... لِنَجْـــمِ اللَّيْـــلِ لَمَّـــا جَـــنْ
وَمَـــا يَنْفَـــعُ كِتْمَـــانِـــي ... وَدَمْـــعُ العَيْـــنِ قَـــدْ أَعْلَـــنْ
وَكَـــمْ أَسْكَنْتُـــهُ قَلْبِـــي ... فَسَـــارَ وَأَحْـــرَقَ المَسْكَـــنْ
فَـــأَنْسِـــي بَعْـــدَ وَحْشَتِـــهِ ... بِنَظْـــمِ مَـــدِيْـــحِ شَـــاهِ أَرْمَـــنْ
كَـــرِيْـــمٌ بَـــاسِـــلٌ قَتْـــلاهُ فِـــي يَـــوْمِ الـــوَغَـــى تُـــدْفَـــنْ
عَلَـــى الأَمْـــوَالِ وَالأَعْـــدَاءِ كَـــمْ مَـــنْ غَـــارَةٍ قَـــدْ شَـــنْ
فَمَـــا يَنْفَـــعُ مَـــا يَلْقَـــاهُ دِرْعٌ لا وَلا جَـــوْشَـــنْ
رَصِيْـــنُ الجَـــأْشِ لَمَّـــا جَـــاشَ بَحْـــرُ خَمِيْسِـــهِ الأَرْعَـــنْ[1]
عِجَـــافٌ خَيْلُـــهُ وَالـــوَحْـــشُ يَـــوْمَ نَـــزَالِـــهِ تَسْمَـــنْ
لَـــهُ بِشْـــرٌ لِسَـــائِلِـــهِ ... كَفِيْـــلٌ بَـــالنَّـــدَى يُضْمَـــنْ
وَمَـــنٌّ لا يُكَـــدِّرُهُ ... عَلَيْنَـــا بَـــالأَذَى وَالمَـــنْ
/ ١٥٧ب/ فَـــذَاكَ المَـــالُ مَبْـــذُوْلٌ ... وَذَاكَ العِـــرْضُ مَـــا أَصْـــوَنْ
مَلَكْـــتَ الأَرْضَ يَـــا مُـــوسَـــى ... وَعِنْـــدَكَ قَـــدْرُهَـــا أَهْـــوَنْ
فَـــأَوْرِدْ خَيْلَـــكَ الـــدُّنْيَـــا ... فَكُـــلُّ مَـــدِينَـــةٍ مَـــدْيَـــنْ
مَـــلأْتَ الأَرْضَ إِحْسَـــانـــاً ... وَغَيْـــرُكَ يَمْـــلأُ المَخْـــزَنْ
لَـــهُ نُـــوْرٌ إِلَـــهِـــيٌّ ... لَـــرَوْنَـــقِ حُسْنِـــهِ زَيَّـــنْ
وَجُـــوْدٌ يَجْبُـــرُ العَـــافِـــي ... وَبَـــأْسٌ لِلْعِـــدَا أَوْهَـــنْ

= زرفن: يقال قد زرفن صدغيه أي جعلها كالزرفين ـ بالضم والكسر ـ والصواب بالكسر: حلقة الباب، وهو فارسي معرّب.

(١) الخميس: العسكر.

فَهَــذَا يَنْطِــقُ الأَلْكَــنْ وَهَــذَا يُخْــرِسُ الأَلْسَــنْ
صَــلاَةُ صَــلاَتِــهِ قَــامَــتْ وَحَــيَّ عَلَــى العِــدَا أَذَّنْ
فَلَــوْ عُلِّــمَ مَــدْحٌ مَــا تَعَــالَــى فِــي الَّــذِي دَوَّنْ
أَيَــا مَــوْلاَيَ زَالَ البَــأْسُ وَالبِــرُّ قَــدْ اسْتَمْكَــنْ
لَــكَ الحُسْنَــى وَرَبُّــكَ لاَ يُضَيِّــعُ أَجْــرَ مَــنْ أَحْسَــنْ

وقال أيضًا يمدحه[1]: [من الوافر]

أَمَــا وَبَيَــاضِ مَبْسِمِــكَ النَّقِــيِّ وَسُمْــرَةِ مِسْكِــهِ اللَّعَسِ الشَّهِــيِّ
وَرُمَّــانٍ مِــنَ الكَــافُــوْرِ تَعْلُــوْ عَلَيْــهِ طَبَــائِــعُ النَّــدِّ النَّــدِيِّ
/ ١٥٨أ/ وَقَــدٍ كَــالقَضِيْــبِ إِذَا تَثَنَّــى خَشِيْــتُ عَلَيْــهِ مِــنْ ثِقْــلِ الحُلِــيِّ
لَقَــدْ أَسْقَمْــتَ بِــالهِجْــرَانِ جِسْمِــيْ فَــأَعْطَشْنِــيْ وَصَــالُــكَ بَعْــدَ رِيِّ
إِلَــى كَــمْ أَكْتُــمُ البَلْــوَى وَدَمْعِــي يَبُــوْحُ بِمُضْمَــرِ السِّــرِّ الخَفِــيِّ
وَكَــمْ أَشْكُــوْ إِلَــى الــلاَّهِــيْ غَــرَامِــيْ فَــوَيْــلٌ لِلْشَجِــيِّ مِــنَ الخَلِــيِّ
مُمَنَّعَــةٌ لَهَــا جَفْــنٌ سَقِيْــمٌ شَــدِيْــدُ الأَخْــذِ لِلْقَلْــبِ البَــرِيِّ
تُغَــازِلُنِــي وَتَــزْوِيْ حَــاجِبَيْهَــا كَمَــا انْبَــرَتِ السِّهَــامُ مِــنَ القِسِــيِّ
وَتَخْتَــرِقُ الصُّفُــوْفَ بِــرُوْقِ فِيْهَــا وَهَــلْ يَخْفَــى شَــذَا المِسْــكِ الــذَّكِــيِّ؟
وِشَــاحَــاهَــا عَلَــى خَصْــرٍ عَــدِيْــمٍ وَمِئْــزَرُهَــا عَلَــى رِدْفٍ مَلِــيِّ
وَمِعْجَــرُهَــا عَلَــى لَيْــلٍ بَهِيْــمٍ وَبُــرْقُعُهَــا عَلَــى قَمَــرٍ سَنِــيِّ[2]
تَــرُدُّ شَبَــا القَنَــا عَــنْ وَجْنَتَيْهَــا كَمَنْــعِ الشَّــوْكِ لِلْــوَرْدِ الجَنِــيِّ
إِذَا مَــا رُمْــتُ أَقْطُفُــهُ بِعَيْنِــي يَقُــوْلُ حَــذَارِ مِــنْ مَــرعًــى وَبِــيِّ
لِسَــانُ السَّيْــفِ مِــنْ أَدْنَــى وُشَــاتِــي وَمِــنْ رُقَبَــايَ طَــرْفُ السَّمْهَــرِيِّ
كَــأَنَّ لِجَفْنِهَــا فِــي كُــلِّ قَلْــبٍ فِعَــالَ المَشْــرِفِــيِّ الأَشْــرَفِــيِّ
حُسَــامًــا جَــاءَ مُنْتَقِــلاً لَــهُ عَــنْ أَمِيــرِ المُــؤمِنِيْــنَ عَــنِ النَّبِــيِّ
سَيَسْمَــعُ عَنْهُمَــا مَــا قَــدْ عَلِمْنَــا بِــهِ عَــنْ ذِي الفَقَــارِ وَعَــنْ عَلِــيِّ

---

(١) القصيدة في ديوانه ص٢٦٨ ـ ٢٧٥، قوامها ٣٤ بيتًا.
(٢) المعجر: ثوب تشدّه المرأة على رأسها.

/ ١٥٨ب/ إِذَا يَدُهُ الكَرِيمَةُ صَافَحَتْهُ فَقُلْ فِي لاَمِعٍ أَوْ أَلْمَعِيِّ
يَقُولُ النَّاسُ أَيُّهُمَا حُسَامٌ إِذَا اسْتَبَقَا إِلَى هَامِ الكَمِيِّ
تَخَيَّرَهُ وَعَافَ سِوَاهُ حُرّاً بِأَخْذِ الجَيْدِ أَوْ رَدِّ الرَّدِيِّ
رَمَى أَعْدَاءَهُ مِنْهُمْ بِسَهْمٍ يُصِيبُ نِهَايَةَ الغَرَضِ القَصِيِّ
أَبَا الفَتْحِ افْتَخِرْ وَابْدَأْ بِنَفْسٍ لَهَا شَرَفٌ عَلَى الفَلَكِ العَلِيِّ
لَكَ الكَرَمُ الَّذِي فَضَحَ الغَوَادِيْ فَمَيِّزْ بَرْقُهَا خَجَلَ الدَّعِيِّ
يَخُصُّ بِمَائِهَا فِي الحِيْنِ أَرْضاً وَمَالُكَ لِلْفَقِيْرِ وَلِلْغَنِيِّ
لَكَ الجَيْشُ الَّذِي إِنْ جَاشَ أَرْضاً وَفِي الهَضَبَاتِ كَالسَّيْلِ الأَتِيِّ
وَكَيْفَ تَبِيْتُ طَوْداً مُشْمَخِرّاً وَأَنْتَ أَخَفُّ مِنْ أَسَدٍ طَوِيِّ
وَفِي تِلْكَ اليَدِ البَيْضَاءِ عَضْبٌ يُحَقِّقُ كُلَّ فِعْلٍ مُوْسَوِيِّ
إِذَا اشْتَجَرَ القَنَا التَقَفَاهُ حَطْماً كَمَا التَقَفَ الحِبَالَ مَعَ العِصِيِّ
قَهَرْتَ بِهِ الجَبَابِرَةَ اقْتِدَاراً وَأَنْصَفْتَ الضَّعِيْفَ مِنَ القَوِيِّ
فَإِنْ تَكُ كَالْجَحِيْمِ عَلَى عَدُوٍّ فَإِنَّكَ كَالجِنَانِ عَلَى الوَلِيِّ
بَقِيْتَ لِهَذِهِ الدُّنْيَا جَمَالاً سَعِيْدَ الجَدِّ فِي عُمُرٍ هَنِيِّ

وقال أيضًا يمدحه[1]: [من الطويل]

/ ١٥٩أ/ رَنَا وَانْثَنَى كَالسَّيْفِ وَالصَّعْدَةِ السَّمْرَا فَمَا أَكْثَرَ القَتْلَى وَمَا أَرْخَصَ الأَسْرَى
خُذُوا حِذْرَكُمْ مِنْ خَارِجِيِّ عِذَارِهِ فَقَدْ جَاءَ زَحْفاً فِي كَتِيبَتِهِ الخَضْرَا
غُلاَمٌ أَرَادَ اللهُ إِطْفَاءَ فِتْنَةٍ بِعَارِضِهِ فَاسْتُؤْنِفَتْ فِتْنَةٌ أُخْرَى
فَزَرْفَنَ بِالأَصْدَاغِ جَنَّةَ خَدِّهِ وَأَرْخَى عَلَيْهَا مِنْ ذَوَائِبِهِ سِتْرَا
أَغَنُّ يُنَاجِي شَعْرُهُ حَلْيَ خَصْرِهِ كَمَا يُعْتِبُ المَعْشُوقُ عَاشِقَهُ سِرَّا
أَخُوضُ غِمَارَ المَوْتِ مِنْ دُوْنِ ثَغْرِهِ كَذَاكَ يَغُوصُ البَحْرَ مَنْ طَلَبَ الدُّرَا
وَصَلْتُ بِدَاجِي شَعْرِهِ لَيْلَ وَصْلِهِ فَلَمْ أَرَ صُبْحاً غَيْرَ غُرَّتِهِ الغَرَّا
غَزَالٌ رَخِيْمُ الدَّلِّ فِي يَوْمِ سِلْمِهِ وَلَيْثٌ لَهُ فِي حَرْبِهِ البَطْشَةُ الكُبْرَى
دَرِيٌّ بِحَمْلِ الكَأْسِ فِي يَوْمِ لَذَّةٍ وَلَكِنْ بِحَمْلِ السَّيْفِ يَوْمَ الوَغَى أَدْرَى

(١) القصيدة كاملة في ديوانه ٢٨٧ ـ ٢٩٤.

أَهِيْمُ بِهِ فِي عَقْدِهِ وَنِجَادِهِ ... فَلاَ بُدَّ فِي السَّرَّاءِ مِنْهُ وَفِي الضَّرَّا
وَصَامِتَةَ الخَلْخَالِ أَنَّ وِشَاحُهَا ... فَهَذا قَدِ اسْتَغْنَىٰ وَذَا يَشْتَكِي الفَقْرَا
تَلأْلأَ دُرُّ العَقْدِ تِيْهًا بِجِيْدِهَا ... وَسَاكِنُ ذَاكَ البَحْرِ لاَ يُكَدِّرُ البَحْرَا
لَهَا مِعْصَمٌ لَوْلاَ السِّوَارُ يَصُدُّهُ ... إِذَا حَسَرَتْ أَكْمَامَهَا لَجَرَىٰ نَهْرَا
دَعَتْنِي إِلَىٰ السُّلْوَانِ عَنْهُ بِحُبِّهَا ... وَمَا كُنْتُ أَرْضَىٰ بَعْدَ إِيْمَانِيَ الكُفْرَا
بِأَيِّ اعْتِذَارِ التَقِيُّ حُسْنَ وَجْهِهِ ... لَحَى اللهُ رَبَّ الشِّعْرِ لَوْ نَظَمَ الشِّعْرَا[(١)]
/ ١٥٩ب/ أَلَمْ تَرَنِي بَيْنَ السَّمَاطَيْنِ مُنْشِدًا ... كَأَنِّي عَلَىٰ شَاهِ أَرْمَنَ أَنْثُرُ الدُّرَّا
مَلِيْكٌ كَرِيْمٌ بَاسِلٌ عَمَّ جُوْدُهُ ... فَمَنْ حَاتِمٌ وَابْنُ الوَلِيْدِ وَمَنْ كِسْرَىٰ
أَبِيٌّ سَخِيٌّ تَحْتَ سَطْوَتِهِ الغِنَىٰ ... فَخَفِّفْ وَتَيَقَّنْ أَنَّ مَعْ عُسْرِهِ اليُسْرَا
هُوَ البَحْرُ بَلْ أَسْتَغْفِرُ اللهَ إِنَّ فِي ... بَنَانِ يَدَيْهِ لِلنَّدَىٰ أَبْحُرًا عَشْرَا
إِذَا قَامَ يُسْمِيْهِ الخَطِيْبُ بِمِنْبَرٍ ... تَأَوَّدَ تِيْهًا وَاكْتَسَىٰ وَرَقًا خُضْرَا
لَحَا اللهُ حَرْبًا لَمْ تَكُنْ قِيْلَ جَيْشِهَا ... وَمَجْلِسَ عَدْلٍ لاَ تَكُوْنُ بِهِ صَدْرَا
أَطَلَّ عَلَىٰ أَخْلاَطَ يَوْمَ قُدُوْمِهِ ... بِلُجَّةِ جَيْشٍ تَمْلأُ السَّهْلَ وَالوَعْرَا
وَقَدْ بَرَزَتْ فِي شِكَّةٍ مِنْ سِلاَحِهَا ... فَلَوْ أُمِرَتْ أَخْلاَطُ مَا خَالَفَتْ أَمْرَا
تَلَقَّاهُ مِنْ بُعْدِ المَسَافَةِ أَهْلُهَا ... فَذَا رَافِعٌ كَفًّا وَذَا سَاجِدٌ شُكْرَا
فَشَكَكْتُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ حُشِرُوا ضُحًى ... أَمِ النَّاسُ يَسْتَسْقُوْنَ رَبَّهُمُ القَطْرَا
تَسِيرُ مُلُوْكُ الأَرْضِ تَحْتَ رِكَابِهِ ... وَأَعْنَاقُهُمْ مِنْ هَوْلِ هَيْبَتِهِ صَعْرَا
إِذَا انْفَرَجَتْ عَنْهُ بُرُوْقُ سُيُوْفِهِمْ ... رَأَيْتَ النُّجُوْمَ الزُّهْرَ قَدْ فَارَقَتْ بَدْرَا
فَلِلَّهِ يَوْمٌ عَمَّ تَفْلِيْسَ حَرْبُهُ ... وَسَارَتْ إِلَىٰ أَرْضِ العِرَاقِ بِهِ البُشْرَىٰ[(٢)]
تَهَنَّ أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ بِمِثْلِهِ ... نَصِيْرًا يَسُدُّ الثَّغْرَ أَوْ يَفْتَحُ الثَّغْرَا
حُسَامٌ إِذَا هَزَّتْهُ يُمْنَاكَ هَزَّةً ... تَرَوَّقَ مَاءً وَالتَظَىٰ حَدُّهُ جَمْرَا
/ ١٦٠أ/ طِرَازٌ عَلَىٰ كُمِّ الخِلاَفَةِ مُذْهَبٌ ... وَجَوْهَرَةٌ فِي تَاجِهَا تَكْسِفُ البَدْرَا

---

(١) في الديوان:

«بِأَي اعتذار ألتقى حسن وجهه ... إذا خدعتني عنه غانية عذرا
تقول وقد أزرى بها حسن وصفه ... لحى الله رب الشعر لو نظم الشعرا»

(٢) تفليس: بلد بأرمينية ملكها الكرج النصارى حينًا. «معجم البلدان ٢/ ٣٩٦».

أَبـا الفَتْـحِ شُكْـراً لاخْتِصَـاصِ صَنِيْعَـةٍ ... فَحَسْبُكَ فِيْ الدُّنْيَا جَلالاً وَفِيْ الأُخْرَىٰ

وقال أيضًا يمدحه(١): [من الكامل]

مَـالِـيْ وَلِلتَّشْبِيْـبِ بِـالأَوْطَـانِ ... لِـيْ شَـاغِـلٌ بِجَمَـالِـكَ الفَتَّـانِ
الـرِّيْـقُ وَالثَّغْـرُ العُـذَيْـبُ وَبَـارِقٌ ... وَقُبَـالُكَ مَـزْرُوْرٌ عَلَـىٰ نُعْمَـانَ
وَسِنَـانُ حُـوْرِيُّ الصِّفَـاتِ كَـأَنَّـهُ ... مَـلَّ الجِنَـانَ فَفَـرَّ مِـنْ رِضْـوَانَ
طَـافَـتْ عَلَـىٰ عِطْفَيْـهِ لَيْلَـةُ شَعْـرِهِ ... فَتَـرَنَّحَـا كَـالعَـاشِـقِ الـوَلْهَـانِ
فَـاخْضَـرَّ فَـوْقَ الـوَرْدِ كَـأْسُ عِـذَارِهِ ... فَعَجِبْـتُ لِلْجَنَّـاتِ فِـيْ النِّيْـرَانِ
جُنَّـتْ بِمَنْظَـرِهِ البَـدِيْـعِ عُيُـوْنُنَـا ... فَتَسَلْسَلَـتْ بِمَـدَامِـعِ الأَجْفَـانِ
غَـزَلِـي بِـهِ وَمَـدِيْـحُ مُـوْسَـىٰ رَوْضَـةٌ ... جمعـت فُنُـوْنَ الحُسْـنِ وَالإِحْسَـانِ
مَلِـكٌ بِـهِ أَخْضَـرَّ الـزَّمَـانُ كَـأَنَّمَـا ... أَيَّـامُ دَوْلَتِـهِ رَبِيْـعٌ ثَـانِـيْ
أَثْـرَىٰ ثَـرَاهُ بَعْـدَ مَحْـلٍ مَحَلِّـهِ ... بِـدَوَامِ سَـحِّ سَحَـابِـهِ الهَتَّـانِ
فَلِكُـلِّ غَـادِيَـةٍ رَحِيْـقٌ سَلْسَـلٌ ... وَلِكُـلِّ غُصْـنٍ هَـزَّةُ النَّشْـوَانِ
وَالنَّهْـرُ خَـدٌّ بِـالشُّعَـاعِ مُـوَرَّدٌ ... قَـدْ دَبَّ فِيْـهِ عِـذَارُ ظِـلِّ البَـانِ
وَالمَـاءُ فِـيْ سُـوْقِ الغُصُـوْنِ خَـلاخِـلٌ ... مِـنْ فِضَّـةٍ وَالـزَّهْـرُ كَـالتِّيْجَـانِ
/ ١٦٠ب/ وَكَأَنَّ طَائِرَهَا خَطِيْبٌ مُصْقَعٌ ... قَـدْ قَـامَ فَـوْقَ مَنَـابِـرِ الأَغْصَـانِ
يَشْـدُوْ وَأُنْشِـدُ فَـالمَـدَائِـحُ بَيْنَنَـا ... تُهْـدَىٰ إِلَـىٰ مُـوْسَـىٰ بِكُـلِّ لِسَـانِ
إِشْـرَبْ ثَـلاثـاً يَـا نَـدِيْـمُ وَسَقِّنِـيْ ... وَاطْـرَبْ لِعُجْمَـةِ نَغْمَـةٍ وَبَيَـانِ
كَـأْسـاً إِذَا صَـافَحْتُهَـا أَثْـرَتْ يَـدِيْ ... مِـنْ فِضَّـةٍ مُلِئَـتْ مِـنَ العِقْيَـانِ
حَمْـرَاءَ رَصَّعَهَـا الحَبَـابُ بِجَـوْهَـرٍ ... كَـالـزَّهْـرِ فِـيْ مَـرْجٍ مِـنَ المَـرْجَـانِ
وَاللهِ لَـوْ عَقَـلَ المَجُـوْسُ لَكَـأْسِهَـا ... جَعَلُـوْهُ بَيْـتَ عِبَـادَةِ النِّيْـرَانِ
سُكْـرُ المُـدَامِ وَشُكْـرُ مُـوْسَـىٰ مَـذْهَبِـيْ ... فَلَقَـدْ مَحَـوْتُ بِطَـاعَتِـيْ عِصْيَـانِـيْ
شُغْلِـيْ مَـدَائِحُـهُ وَغَيْـرِيْ لَـمْ يَـزَلْ ... كَـالبُـوْمِ يَنْـدُبُ دَارِسَ الجُـدْرَانِ
لِلْبِيْـدِ وَالكُـوْمِ الـرَّوَامِـسِ مَعْشَـرٌ ... عَـدَلَ السُّقَـاةُ بِشَـانِهِـمْ عَـنْ شَـانِـيْ
سِيَّمَـا إِذَا التَهَـبَ الهَجِيْـرُ وَحَـوَّمَـتْ ... فَـوْقَ السَّـرَابِ حُشَـاشَـةُ الظَّمْـآنِ

(١) القصيدة كاملة في ديوانه ص٢٧٦ ـ ٢٨٦.

وَالشَّمْسُ تُرْسِلُ فَضْلَ خَيطِ لُعَابِهَا يَمْتَاحُ مِنْ عَطَشٍ ثَرَىٰ الغُدْرَانِ
يَشْوِيْ الوُجُوْهَ سَمُوْمُهَا فَكَأَنَّمَا اعْتَاضُوا عَنِ الأَكْوَابِ بِالكِيْزَانِ
فَعَلَامَ أُلْقِيْ لِلْمَهَالِكِ مُهْجَتِيْ وَالأَشْرَفُ السُّلْطَانُ قَدْ أَغْنَانِيْ
طَرَدَ القَنِيْصَ بِكُلِّ ضَارٍ ضَامِرٍ مِنْ مِخْلَبَيْهِ مُقَرَّطُ الآذَانُ
وَبِكُلِّ مُرْدَفَةٍ مُغَلْغَلَةٍ لَهَا فِيْ كُلِّ عُضْوٍ مُقْلَةُ الغَضْبَانِ
/ ١٦١أ/ تُرْكِيَّةٍ سُبِيَتْ فَسَالَ بِخَدِّهَا مَا كَانَ مِنْ كُحْلٍ عَلَىٰ الأَجْفَانِ
قُلْنَا وَشِلْوُ قَمِيْصِهَا فِيْ صَدْرِهَا: هَذَا عِنَاقُ العَاشِقِ الوَلْهَانَ
لَوْ قَالَ: يَا مُوْسَىٰ أَجِرْنِيْ مِنْهُمَا لَنَجَا وَأَصْبَحَ فِيْ أَعَزِّ مَكَانَ
مُوْسَىٰ الَّذِيْ أَزْرَىٰ بِكِسْرَىٰ آنِفًا فِيْ أَسْرِ إِيْوَانٍ عَنِ الإِيْوَانَ
لَمَّا أَتَاهُ عَلَىٰ الجَزِيْرَةِ بَعْدَ مَا سَدَّتْ عَلَيْهِ الكُرْجُ كُلَّ مَكَانَ
بِجَحَافِلٍ زُمَرُ المَلَائِكِ فَوْقَهَا مَحْفُوْفَةً بِخَوَاطِفِ العُقْبَانَ
لَا يَهْتَدُوْنَ إِذَا أَدَلَّ عَجَاجُهُمْ إِلَّا بِشُعْلَةِ صَارِمٍ وَسِنَانٍ[1]
فَجَلَا عَنِ الإِسْلَامِ ظُلْمَةَ كُفْرِهِمْ وَأَعَادَهُ لِلْعِزِّ بَعْدَ هَوَانَ
طَهَّرْتَ أَرْمِيْنِيَّةً فَاسْتَبْدَلَتْ مِنْ دَقِّ نَاقُوْسٍ بِصَوْتِ أَذَانَ
نَفَذَتْ جُسُوْمَهُمُ الرِّمَاحُ كَأَنَّهُمْ يَتْلُوْنَ آيَاتٍ مِنَ القُرْآنِ[2]
يَا مَنْ يَرَىٰ أَيْدِيْ العُفَاةِ لِمَالِهِ أَكْفَىٰ الكُفَاةِ وَأَوْثَقَ الخُزَّانَ
يَا مَنْ يَرَىٰ أَنَّ الثَّنَاءَ ذَخِيْرَةٌ تَبْقَىٰ عَلَيْهِ وَكُلُّ شَيْءٍ فَانَ
أَغْلَيْتَ أَعْلَاقَ المَدَائِحِ بَعْدَ مَا كَانَتْ تُبَاعُ بِأَرْخَصِ الأَثْمَانَ
شَوَّالُ مِثْلُكَ مُطْعِمٌ فَلِأَجْلِ ذَا أَضْحَىٰ لَهُ فَضْلٌ عَلَىٰ شَعْبَانَ
فَتَهَنَّ يَا مَلِكَ المُلُوْكِ بِعِيْدِهِ فِيْ ظِلِّ مُلْكٍ دَائِمِ السُّلْطَانَ

/ ١٦١ب/ وقال أيضًا يمدحه[3]: [من مجزوء الكامل]

---

(١) أَدَلَّ الطريق: عرَّفه.
(٢) في الديوان:

«نفذت جسومهم الرماح كأنهم بعض الذي حملوا من الصلبان
يا من يصدق مادحيه كأنّهم يتلون آيات من القرآنَ»

(٣) القصيدة كاملة في ديوانه ص٢٦١ ـ ٢٦٧.

بعـــــذَارِكَ الفَتَّـــانِ أُعْـــذَرْ ... يَـــا وَجْنَـــةَ السَّيْـــفِ المُجَـــوْهَـــرْ
خَـــطٌّ عَلَـــى خَـــدٍّ يكَـــادُ لِـــرِقَّـــةٍ يَخْفَـــى وَيَظْهَـــرْ
فَشَقِيقُـــهُ يَنْشَـــقُّ عَـــنْ ... آس يَـــرُوقُ العَيْـــنَ أَخضَـــرْ
مَـــوْلايَ وَجْهُـــكَ جَنَّـــةٌ ... وَرُضَـــابُـــكَ المَعْسُـــولُ كَـــوْثَـــرْ
يَفْتَـــرُّ مِنْـــكَ ختَـــامُـــهُ ... عَـــنْ مُسْكِـــرٍ عَطِـــرٍ وَسُكَّـــرْ
مِـــنْ نَسْـــلِ يَـــافِـــثَ نَـــافِـــثٌ ... وَسْنَـــانُ يُسْهِـــرُنِـــي وَيَسْحَـــرْ
فَتَبَسُّـــمٌ بِـــبُـــزُمُـــرُّدٍ ... مِـــنْ عِقْـــدِ يَـــاقُـــوتٍ وَجَـــوْهَـــرْ
وَلَّـــى بِشَعْـــرٍ كَـــالـــدُّجَـــى ... وَبَـــدَا فَقُلْـــتُ: الصبـــحُ أَسْفَـــرْ
مـــا خَلْـــتُ قَبْـــلَ جَبِيْنِـــهِ الكَـــافُـــورُ يَنْبُـــتُ مِنْـــهُ عَنْبَـــرْ
يَـــا قَـــاصِـــصَ الطَّـــرْفِ القَصِيْـــ ... ـــصِ كَـــذَلِـــكَ الهِنْـــدِيُّ أَبْتَـــرْ
يَـــا غُصْـــنُ خَصْـــرُكَ لا يُطِيْـــ ... ـــقُ حَيَـــاصَـــةً عُقِـــدَتْ وَخنْجَـــرْ
يَـــا بَـــدْرُ كَـــمْ مِـــنْ تَـــائِـــهٍ ... فِـــي لَيْـــلِ هَجْـــرِكَ قَـــدْ تَحَيَّـــرْ
رِفْقـــاً بِصَـــبٍّ كُلَّمَـــا ... أَخْفَـــى بِلِيَّتَـــهُ تَشَهَّـــرْ
الجِسْـــمُ أَصْفَـــرُ نَـــاحِـــلٌ ... دَنِـــفٌ وَدَمْـــعُ العَيْـــنِ أَحْمَـــرْ
/ ١٦٢أ/ لَـــوْلا الـــدُّمُـــوعُ أَذَابَـــهُ ... نَفَـــسٌ تَصَعَّـــدَ بَـــلْ تَسَعَّـــرْ
مَـــنْ يَعْشَـــقِ الظَّبْـــيَ الغَـــرِيْـــ ... ـــرَ يَنَـــامُ عَـــاذِلُـــهُ وَيَسْهَـــرْ
غَـــزَلِـــي لَـــهُ وَمَـــدَائِحِـــي ... وَقْـــفٌ لِمَـــوْلانَـــا مُقَـــرَّرْ
الأَشْـــرَفِ الطَّلْـــقِ النَّـــدَى ... شَـــاه أَرْمَـــنِ مُـــوسَـــى المُظَفَّـــرْ
مَلِـــكٌ إِذَا وَالَيْتَـــهُ ... أَغْنَـــى وَإِنْ عَـــادَيْـــتَ أَفْقَـــرْ
يُـــرْدِي وَيُجْـــدِي كَـــالـــزَّمَـــا ... نِ فَلَـــمْ يَـــزَلْ يُشْكَـــى وَيُشْكَـــرْ
صَـــبٌّ بِحَـــدِّ السَّيْـــفِ أَحْـــ ... ـــمَـــرُ أَو بِقَـــدِّ الـــرُّمْـــحِ أَسْمَـــرْ
نَجِـــسُ الظُّبَـــى وَنِجَـــادُهُ ... مِـــنْ كُـــلِّ مَنْقَصَـــةٍ مُطَهَّـــرْ
فَكَـــأَنَّ صَـــارِمَـــهُ خَطِيْـــ ... ـــبٌ مِصْقَـــعٌ وَالهَـــامُ مِنْبَـــرْ
صَلَّـــى بِمِحْـــرَابِ الطُّلَـــى ... وَصَلِيلُـــهُ اللهُ أَكْبَـــرْ
بَيْـــنَ الـــرِّمَـــاحِ كَـــأَنَّـــهُ ... غِيْـــلٌ عَلَـــى أَسَـــدٍ غَضَنْفَـــرْ

وكَـأنَّـهُ بَيْـنَ المَـوَا ... كِـب وَالقَـوَاضِـب والسَّنَـوَّرْ[(١)]
جَبَـلٌ تَـلاطَـمَ حَـوْلَـهُ ... بَحْـرٌ مِـنَ المَـاذِيِّ أخْضَـرْ
فِـي قَلْبِـه بِـرٌّ وإنْ ... قَتَـلَ العَـدُوَّ وإنْ تَغَيَّـرْ
غَسَـلَ الفَـوَارِسَ بِـالـدِّمَـا ... ءِ وَفِـي بُطُـونِ الأرْضِ تُقْبَـرْ
/ ١٦٢ب/ قَـاسٍ إذَا سيـفُ عـدا ... هُ وَمَـارِجُ الهَيْجَـاءِ يَسْعَـرْ
سَحَّـتْ سَحَـابُ عَجَـاجِـه ... مِـنْ نَبْلِـه نَبْـلاً كَنَهْـوَرْ
يَـا أيُّهَـا المَلِـكُ الكَـرِيـ ... ـمُ صِفَـاتُ مَجْـدِكَ لَيسَ تُحْصَـرْ
يَـا نَـاسِيـاً لِصَنِيْعَـة ... وَهْـوَ المُـرَدَّدُ والمُكَـرَّرْ
يَـا مُـوْرِثـاً آبَـاءَهُ ... شَـرفـاً لِيَـوْمِ الحَشْـرِ يُـذْكَـرْ
لَـكَ سِيْـرَةٌ مَـعْ عَـدْلِهَـا ... بَـأسٌ فَمَـنْ كِسْـرَى وَقَيْصَـرْ
وَلَـكَ الجَمَـالُ مَـعَ الجَمِيْـ ... ـلِ فَمَنْظَـرٌ حَسَـنٌ وَمَخْبَـرْ
يَـا عَبْـدَ مَـوْلاَنَـا الإمَـا ... مِ جَـلالُ ظِـلِّ النَّعْـتِ أشْهَـرْ
أُوْتِيْـتَ فِـي الـدُّنْيَـا بِـه ... شَـرَفـاً وَفِـي أُخْـرَاكَ أكْثَـرْ
فَـإنْ اصْطَفَـاكَ لِنَفْسَـه ... فَلْيُسْعَـدَنَّ بِمَـنْ تَخَيَّـرْ
فَـافْخَـرْ عَلَـى الـدُّنْيَـا بِنَفْـ ... ـسِـكَ أوْ بِـه فَكَفَـاكَ مَفْخَـرْ
وَتَهَـنَّ صَـوْمـاً حُـزْتَ فِيْـ ... ـهِ ثَـوَابَ مَـنْ صَلَّـى وأفْطَـرْ
وَبَقِيْـتَ مَـا بَقِـيَ الثَّنَـا ... ءُ عَلَيْـكَ مَنْصُـوراً مُظَفَّـرْ

وقال أيضًا يمدحه، ويذكر وصول رسول الكرج إليه[(٢)]: [من الكامل]

/ ١٦٣أ/ صُنْ ناظراً مُتَرَقِّبًا لَكَ أنْ يُرَى ... فَلَقَـدْ كَفَـى مِـنْ دَمْعِـه مَـا قَـدْ جَـرَى
يَا مَنْ حَكَى فِي الحُسْنِ صُوْرَةَ يُوسُف ... آه لَـوْ أنَّـكَ مِثْـلُ يُـوسُـفَ تُشْتَـرَى
تَعْشُـو العُيُـوْنُ لِخَـدِّه فَيَـرُدُّهَـا ... وَيَقُـوْلُ: لَيْسَـتْ هَـذه نَـارُ القِـرَى
يَـا قَـاتَـلَ اللهُ الجَمَـالَ فَـإنَّـهُ ... مَـا زَالَ يَصْحَـبُ بَـاخِـلاً مُتَجَبِّـرَا
يَـا غُصْـنَ بَـانٍ فِـي نَقَـا رَمْـلٍ لَقَـدْ ... أبْـدَعْـتَ إذْ أثْمَـرْتَ بَـدْراً نَيِّـرَا

---

(١) السَّنَوَّر: السلاح.
(٢) القصيدة في ديوانه ص٢٤٧ ـ ٢٥٤ قوامها ٣٥ بيتًا.
الكرج: جيل من النصارى من الجبال المجاورة لتفليس. «معجم البلدان ٢/ ٣٩٧».

مَا ضَرَّ طَرْفَكَ لَوْ أكُوْنُ مَكَانَهُ ... فَقَدِ اشْتَبَهْنَا فِي السَّقَامِ كَمَا تَرَىٰ

أتُرَىٰ لأيَّامِي بِوَصْلِكَ عَوْدَةً ... وَلَوَ انَّهَا فِي بَعْضِ أحْلاَمِ الكَرَىٰ

زَمَنًا شَرِبْتُ زُلاَلَ وَصْلِكَ صَافِيًا ... وَجَنَيْتُ رَوْضَ رِضَاكَ أخْضَرَ مُثْمِرَا

مَلَّكْتُكَ فِيْهِ يَدِيْ فَحِيْنَ مَلَكْتَهَا ... لَمْ ألْقَ إلاَّ حَسْرَةً وَتَذَكُّرَا

لِيْ مُقْلَةٌ مُذْ غَابَ عَنْهَا بَدْرُهَا ... تَرْعَىٰ مَنَازِلَهُ عَسَاهَا أنْ تَرَىٰ

لَوْلاَ انْسِكَابُ دُمُوْعِهَا وَدِمَائِهَا ... مَا كُنْتُ بَيْنَ العَاشِقِيْنَ مُشَهَّرَا

فَكَأنَّمَا هِيَ كَفُّ مُوْسَىٰ كُلَّمَا ... نَثَرَ اللُّجَيْنَ أوِ النُّضَارَ الأحْمَرَا

أسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيْمَ فَإنَّنِيْ ... شَبَّهْتُ بِالنَّزْرِ القَلِيْلِ الأكْثَرَا

مَلِكٌ تَوَقَّدَ سَيْفُهُ وَجَرَىٰ دَمًا ... فَعَجِبْتُ لِلنِّيْرَانِ تَطْفَحُ أبْحُرَا

مِنْ مَعْشَرٍ فَخَرَتْ أوَائِلُهُمْ بِهِمْ ... كَفَخَارِ آدَمَ بِالنَّبِيِّ مُؤَخَّرَا

/١٦٣ب/ تَنْبُو المَسَامِعُ عَنْ مَدِيْحِ سِوَاهُمُ ... إذْ كَانَ أكْثَرُهُ حَدِيْثًا يُفْتَرَىٰ

بِيْضُ الأيَادِيْ حُمْرُ أطْرَافِ القَنَا ... سُوْدُ العَجَاجِ تَحُلُّ رَبْعًا أخْضَرَا

الأنْسُ تُهْدَى لِلْقِرَىٰ بِدُخَانِهِ ... وَالوَحْشُ تَشْبَعُ حَيْثُ يَعْقِدُ عِثْيَرَا(١)

فَإذَا حَبَا مَلأَ المَنَازِلَ نِعْمَةً ... وَإذَا سَطَا مَلأَ البَسِيْطَةَ عَسْكَرَا

مَنَعَ الغَوَادِيْ بِاشْتِبَاكِ رِمَاحِهِ ... عَنْ تُرْبِهِ وَسَقَاهُ غَيْثًا أحْمَرَا

فَلِذَاكَ أثْمَرَ أيْدِيًا وَجَمَاجِمًا ... وَقَنًا بِلَبَّاتِ الرِّجَالِ مُكَسَّرَا

يَقِظٌ حَفِيْظُ القَلْبِ إلاَّ أنَّهُ ... يَنْسَىٰ مَكَارِمَهُ إذَا مَا كَرَّرَا

مَعْسُوْلُ أطْرَافِ الحَدِيْثِ كَأنَّمَا ... يَسْقِيْ المَسَامِعَ مُسْكِرًا أوْ سُكَّرَا

إنِّي لأقْسِمُ لَوْ تَجَسَّدَ لَفْظُهُ ... أنِفَتْ نُحُوْرُ الغَانِيَاتِ الجَوْهَرَا

لَوْ كَانَ فِيْ الزَّمَنِ القَدِيْمِ مُخَاطِبًا ... لِلنَّاسِ لَمْ يَبْعَثْ رَسُوْلاً فِي الوَرَىٰ

وَدَلِيْلُهُ الكُرْجُ الَّذِيْنَ بِرَبِّهِمْ ... كَفَرُوا وَفَضْلُكَ بَيْنَهُمْ لَنْ يُكْفَرَا

حَجُّوا لِقَصْرِكَ مِثْلَ قُبَّةِ قُدْسِهِمْ ... وَرَأوْكَ فِيْهَا كَالمَسِيْحِ مُصَوَّرَا

فَهُنَالِكَ المَلِكُ العَظِيْمُ مُعَفَّرًا ... وَجْهًا تَخَالُ التُّرْبَ مِسْكًا أذْفَرَا

كَمْ نَاظِرٍ أرْشَدْتَ لَيْلَةَ صَوْمِنَا ... قَدْ كَانَ فِيْ جَوِّ السَّمَاءِ مُحَيَّرَا

---

(١) العثير: العجاج الساطع.

يَـا نَـاظِـرِيْ بِـنَ إلـى هِـلَالِ مَـانِـعٍ ... للـزَّادِ مُـوْسَـى البَـدْرِ مَبْـذُوْلِ القِـرَى
/ ١٦٤أ/ رَمَضَانُ ضَيْفٌ سَارَ حَوْلاً كَامِلاً ... حَتَّـى رَآكَ مُسَلِّمـاً مُسْتَبْشِـرَا
وَافَـاكَ مُبْتَهِجـاً بِبِـرِّكَ وَالتُّقَـى ... وَمَضَـى لِمَـا أَوْلَيْتَـهُ مُتَشَكِّـرَا
فَتَهَـنَّ عِيْـداً أَنْـتَ حَقّـاً عِيْـدُهُ ... يَـا خَيْـرَ مَـنْ صَلَّـى وَصَـامَ وَأَفْطَـرَا

وقال أيضًا يمدحه[1]: [من الوافر]

أَمَـانـاً أَيُّهَـا القَمَـرُ المُطِـلُّ ... فَفِـي جَفْنَيْـكَ أَسْيَـافٌ تُسَـلُّ
يَـزِيْـدُ جَمَـالُ وَجْهِـكَ كُـلَّ يَـوْمٍ ... وَلِـي جَسَـدٌ يَـذُوْبُ وَيَضْمَحِـلُّ
وَمَـا عَـرَفَ السَّقَـامُ طَرِيْـقَ جِسْمِـي ... وَلَكِـنْ دَلَّ مَـنْ أَهْـوَى يَـدُلُّ
يَمِيْـلُ بِطَـرْفِـهِ التُّـرْكِـيِّ عَنِّـي ... صَـدَقْتُـمْ إنَّ ضِيْـقَ العَيْـنِ بُخْـلُ
إِذَا نُشِـرَتْ ذَوَائِبُـهُ عَلَيْـهِ ... تَـرَى مَـاءً يَـرِفُّ عَلَيْـهِ ظِـلُّ
وَقَـدْ يَهْـدِيْ صَبَـاحُ الخَـدِّ قَـوْمـاً ... بِلَيْـلِ الشَّعْـرِ قَـدْ تَـاهُـوا وَضَلُّـوا
أَيَـا مَلِـكَ القُلُـوْبِ فَتَكْـتَ فِيْهَـا ... وَقَتْلُـكَ لِلـرَّعِيَّـةِ لَا يَحِـلُّ
قَلِيْـلُ الـوَصْـلِ يُقْنِعُهَـا فَـإِنْ لَـمْ ... يُصِبْهَـا وَابِـلٌ مِنْـهُ فَطَـلُّ
أَدِرْ كَـأْسَ المُـدَامِ عَلَـى النَّـدَامَـى ... فَفِـي خَـدَّيْـكَ لِـي رَاحٌ وَنُقْـلُ
فَنِيْـرَانِـي بِغَيْـرِكَ لَيْـسَ تُطْفَـا ... وَأَشْـوَاقِـي بِغَيْـرِكَ لَا تُسَـلُّ
بِمَنْظَـرِكَ البَـدِيْـعِ تَـدِلُّ تِيهـاً ... وَلِـي مَلِـكٌ بِـدَوْلَتِـهِ أُدِلُّ
/ ١٦٤ب/ أَبُـو الفَتْـحِ الكَرِيْـمُ الطَّلْـقُ مُـوْسَـى ... فَتًـى يُعْطِـي الكَثِيْـرَ وَيَسْتَقِـلُّ
بِـهِ اخْضَـرَّتْ فِجَـاجُ الأَرْضِ خِصْبـاً ... فَمَـا لِلْمَحْـلِ فِـي بَلَـدٍ مَحَـلُّ
أَغَـرُّ عَلَـى سَـرِيْـرِ المُلْـكِ مِنْـهُ ... سُلَيْمَـانٌ وَأَهْـلُ الأَرْضِ نَمْـلُ
وَيَمْـلأُ غَيْـرُهُ كِيساً فَكِيْسـاً ... وَمِـلءُ زَمَـانِـهِ كَـرَمٌ وَعَـدْلُ
وَقَـالُـوا: حِفْـظُ هَـذَا المَـالِ عَقْـلٌ ... فَقُلْـتُ: نَعَـمْ وَبَعْـضُ العَقْـلِ جَهْـلُ
فَلَيْـسَ تَـزُمُّـهُ إِلَّا مَطَـايَـا ... إِلَـى أَبْـوَابِـهِ تُنْضَـى وَسُبْـلُ
تملكـه البـلاد قنـاً وجـرداً ... وَبِتْـرٌ مَـنْ يَطَـاوِلُهَـا يَـذِلُّ
إِذَا انْبَثَّـتْ عَسَـاكِـرُهُ اتِّسَـاعـاً ... تَضَـايَـقَ دُونَهَـا حَـزْنٌ وَسَهْـلُ

---

(١) القصيدة كاملة في ديوانه ص٢٥٥ ـ ٢٦٠.

بَــوَارِقُهَـــا لعَيْـــنِ الشَّمْـــسِ دَاءٌ　وَعثْيَــرهَـــا لعيـــنِ الشَّمْـــسِ كُحْـــلُ
لمَـــوْلاَنَـــا الخَلِيْفَـــةِ فيْـــهِ رَأْيٌ　حَـــدِيْـــدٌ لاَ يُضَـــلُّ وَلاَ يُفَـــلُّ
تَـــأَمَّـــلَ فِـــي الكنَـــانَـــةِ مِنْـــهُ سَهْمـــًا　سَـــدِيْـــداً لاَ يَطِيْـــشُ وَلاَ يَـــزِلُّ
فَفَتَّـــاهُ وَأَرْسَلَـــهُ اخْتِصَـــاصـــًا　وَرَوَّاهُ الحَـــدِيْـــثَ وَذَاكَ فَضْـــلُ
فَـــزَادَتْ هَـــذِهِ النُّعْمَـــى وَدَامَـــتْ　عَلَيْـــهِ فَـــإِنَّـــهُ لِلْخَيْـــرِ أَهْـــلُ

وقال أيضًا يمدحه[1]: [من السريع]

مِـــنْ سِحْـــرِ عَيْنَيْـــكَ الأَمَـــانَ الأَمَـــانْ　قَتَلْـــتَ رَبَّ السَّيْـــفِ وَالطَّيْلَسَـــانْ
/١٦٥أ/ أَسْمَـــرُ كَـــالـــرِّيْـــحِ لَـــهُ مُقْلَـــةٌ　لَـــوْ لَـــمْ تَكُـــنْ كُحْـــلاً لَكَـــانَـــتْ سِنَـــانْ
أَهْيَـــفُ عَبْـــلُ الـــرِّدْفِ حُلْـــوُ اللَّمَـــا　مُـــرُّ الجَفَـــا قَـــاسٍ رَطِيْـــبُ البَنَـــانْ
سَـــاقَ سَهَـــا رِضْـــوَانُ عَـــنْ حِفْظِـــهِ　فَفَـــرَّ مِـــنْ جُمْلَـــةِ حُـــوْرِ الجِنَـــانْ
بَـــدْرٌ وَكَـــأْسُ الـــرَّاحِ شَمْـــسُ الضُّحَـــى　يَـــا قَـــوْمُ مَـــا أَسْعَـــدَ هَـــذَا القِـــرَانْ
تَـــوَقَّـــدَتْ جَمْـــرَةُ لأْلاَئِهـــا　كَـــأَنَّهَـــا بَهْـــرَامُ أَوْ بَهْـــرَمَـــانْ
بِخَـــدِّهِ أَوْ طَـــرْفِـــهِ أَوْ جَنَـــى　لَمَـــاهُ سُكْـــرِي لاَ بِبِنْـــتِ الـــدِّنَـــانْ
يَـــا لاَئِمِـــي دَعْنِـــي فَـــإِنِّـــي فَتًـــى　مَـــا تَـــرَكَ الحُـــبُّ بِقَلْبِـــي مَكَـــانْ
لاَ تَسْـــأَلِ العَـــاشِـــقَ عَـــنْ حَـــالِـــهِ　فَـــدَمْعُـــهُ عَـــنْ حَـــالِـــهِ تَـــرْجُمَـــانْ
لَـــوْلاَ دُمُـــوْعِـــي وَالضَّنَـــى لَـــمْ أَبُـــحْ　قَـــدْ يَنْطِـــقُ المَـــرْءُ بِغَيْـــرِ اللِّسَـــانْ
أَعَـــزَّنِـــي مُـــوْسَـــى وَلَـــوْلاَ هَـــوًى　مُعَـــذِّبِـــي مَـــا ذُقْـــتُ طَعْـــمَ الهَـــوَانْ
المَلِـــكُ الأَشْـــرَفُ شَـــاهُ أَرْمَـــن　مُظَفَّـــرُ الـــدِّيْـــنِ كَـــرِيْـــمُ الـــزَّمَـــانْ
وَاللهِ لَـــوْ قِيْـــسَ بِـــهِ حَـــاتِـــمٌ　لَقَـــلَّ مَـــا قَـــدْ قِيْـــلَ فِيْـــهِ وَهَـــانْ
ذَا يَمْـــلأُ الأَرْضَ بِـــإِحْسَـــانِـــهِ　وَذَاكَ يَمْتَـــنُّ بِمَلْـــيءِ الجِفَـــانْ
يَـــرْوِي العُـــلاَ عَـــنْ نَفْسِـــهِ عَـــنْ أَبٍ　عَـــالٍ فَمَـــا فِـــي نَصِّـــهِ عَـــنْ فُـــلاَنْ
قَـــدْ نَظَـــمَ اللهُ لَـــهُ نِسْبَـــةً　كَـــالـــدُّرِّ تَجْلُـــوْهُ نُحُـــوْرُ الحِسَـــانْ
/١٦٥ب/ طَلْـــقُ النَّـــدَى طَلْـــقُ المُحَيَّـــا　وَطَلْـــقُ السَّيْـــفِ طَلْـــقُ الأَمْـــرِ طَلْـــقُ اللِّسَـــانْ
لَـــهُ عَلَـــى وَقْـــعِ الظُّبَـــى هِـــزَّةٌ　إِذَا التَقَـــى الجَمْعَـــانِ يَـــوْمَ الـــرِّهَـــانْ

(١) القصيدة في ديوانه ص١٥٩ ـ ١٦٤، قوامها ٢٥ بيتًا.

صَلَّتْ وَصَلَّتْ فِيْ رُؤُوْسِ العِدَا ... كَأَنَّ فِيْ الآذَانِ مِنْهَا أَذَانْ[١]

مَوْلايَ جُدْ وَأَنْعِمْ وَصِلْ وَاقْتَدِرْ ... وَافْتِكْ فَمَا تَفْرَحُ أُمُّ الجَبَانْ

وَارْكَبْ جَوَادَ الدَّهْرِ وَاسْبِقْ إِلَى ... مَا تَشْتَهِيْهِ قَدْ مَلَكْتَ العِنَانْ

دُمْتُمْ بَنِيْ أَيُّوْبَ فِيْ نِعْمَةٍ ... تَجُوْزُ فِيْ التَّخْلِيْدِ حَدَّ الزَّمَانْ

وَاللهِ لا زِلْتُمْ مُلُوْكَ الوَرَى ... شَرْقًا وَغَرْبًا وَعَلَيَّ الضَّمَانْ

وقال يمدح القاضي أبا علي، عبد الرحيم بن علي البيساني[٢] من قصيدة[٣]:

[من الخفيف]

قُمْتُ لَيْلَ الصُّدُوْدِ إِلاَّ قَلِيْلا ... ثُمَّ رَتَّلْتُ ذِكْرَكُمْ تَرْتِيْلا

وَوَصَلْتُ السُّهَادَ قُبِّحَ وَصْلاً ... وَهَجَرْتُ الرُّقَادَ هَجْرًا طَوِيْلا

مَسْمَعٌ كَلَّ عَنْ سَمَاعِ عَذُوْلِيْ ... حِيْنَ أَلْقَى عَلَيْهِ قَوْلاً ثَقِيْلا

وَفُؤَادٌ قَدْ كَانَ بَيْنَ ضُلُوْعِيْ ... أَخَذَتْهُ الأَحْبَابُ أَخْذًا وَبِيْلا

قُلْ لِرَاقِي الجُفُوْنِ إِنَّ لِعَيْنِيْ ... فِيْ بِحَارِ الجُفُوْنِ سَحًّا طَوِيْلا

/ ١٦٦أ/ مَاسَ عُجْبًا كَأَنَّهُ مَا رَأَى غُصْـ ... ـنًا طَلِيحًا وَلا كَثِيْبًا مَهِيْلا

وَحَمَى عَنْ مُحِبِّهِ كَأْسَ ثَغْرٍ ... حِيْنَ أَمْسَى مِزَاجُهَا زَنْجَبِيْلا

بَانَ عَنِّيْ فَصِحْتُ فِيْ أَثَرِ العِيْـ ... ـسِ ارْحَمُوْنِيْ وَمَهِّلُوْهُمْ قَلِيْلا

أَنَا عَبْدٌ لِلْفَاضِلِ بْنِ عَلِيٍّ ... قَدْ تَبَتَّلْتُ لِلثَّنَا تَبْتِيْلا

لا تَسُمْهُ وَعْدًا بِغَيْرِ نَوَالٍ ... إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُوْلا

وَإِذَا كَانَ خَصْمُكَ الدَّهْرُ وَالحُكْـ ... ـمُ إِلَى اللهِ فَاتَّخِذْهُ وَكِيْلا

إِنَّ مَدْحِيْ لَهُ أَشَدُّ وِطَاءً ... وَقَرِيْضِيْ أَقْوَى وَأَقْوَمُ قِيْلا

---

(١) صَلَّت: الأولى من الصليل، والثانية من الصلاة.

(٢) القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي العسقلاني البيساني، ولد بعسقلان سنة ٥٢٩هـ، وتولى أبوه القضاء بمدينة بيسان فنسب إليها. كان وزير صلاح الدين وتمكن منه وبرز في الإنشاء، و له في النظم أشياء حسنة، استمرت مكانته عند العزيز بعد وفاة صلاح الدين، وعند ولده الملك المنصور بعده. ولما تيقن استيلاء العادل على القاهرة سنة ٥٩٦ خاف القاضي على نفسه من ابن شكر وزير العادل، لما كانت بينه وبينه وحشة وصادف موته ليلتئذ.

ترجمته في: النجوم الزاهرة ٦/ ١٥٧. مرآة الزمان ٨/ ٣٠٤.

(٣) القصيدة كاملة في ديوانه ص٣٩٧ ـ ٤٠٢، قواما ١٨ بيتًا.

جَلَّ عَنْ سَائِرِ الخَلائِقِ مَدْحاً ... فَاخْتَرَعْنَا فِي مَدْحِهِ التَّنْزِيلاَ

وقال من قصيدة(١): [من الرجز]

يَا طَيْفُ يَا أَكْرَمَ ضَيْفٍ قَدْ طَرَقْ ... لِمِثْلِهِ تُعْقَرُ أَجْفَانُ الحَدَقْ
تَرَاكَضَتْ خَيْلُ دُمُوعِي وَدَمِي ... فِي حَلْبَةِ الخَدِّ فَلِلْحُمْرِ السَّبَقْ
جُدْتَ فَلَوْلاَ أَنْ أَرَاكَ زَائِراً ... مَا عُتِقَتْ عَيْنَايَ مِنْ رِقِّ الأَرَقْ
هَلْ مِنْ سَبِيلٍ أَنْ أُرَوِّيَ عَطَشِي ... مِنْ بَرَدِ الثَّغْرِ الَّذِي قَدِ اتَّسَقْ
مُهَفْهَفٌ جَبِينُهُ وَشَعْرُهُ ... يَنْتَسِبَانِ لِلصَّبَاحِ وَالغَسَقْ
خُضْرَةُ خَدَّيْهِ رَبِيعُ نَاظِرِي ... كَالغُصْنِ فِي أَوَّلِ إِخْرَاجِ الوَرَقْ
/١٦٦ب/ حُلْوُ اللَّمَا يَمِيلُ مِنْ خَمْرِ الصِّبَا ... طُوبَى لِمَنْ قَبَّلَهُ أَوِ اعْتَنَقْ!
حَذَارِ مِنْ جَمْرَةِ خَدَّيْهِ فَقَدْ ... تَجَاسَرَ الخَالُ عَلَيْهَا فَاحْتَرَقْ
يَا أَيُّهَا العَاذِلُ مَا لِي سَلْوَةٌ ... عَنْهُ وَلاَ حُبِّي لَهُ كَيْفَ اتَّفَقْ ؟
دَعِ الفُؤَادَ عِنْدَ ذِكْرِ حُبِّهِ ... يَخْفِقُ فَالعُذْرُ لَهُ إِذَا خَفَقْ
مَا كُنْتَ يَا طِيبَ زَمَانِ وَصْلِنَا ... مِنْ دَوْلَةِ الصَّاحِبِ إِلاَّ مُسْتَرَقْ

وقال من أخرى(٢): [من الكامل]

خُذْ مِنْ حَدِيثِ شُؤُونِهِ وَشُجُونِهِ ... خَبَراً تُسَلْسِلُهُ رُوَاةُ جُفُونِهِ
لَوْلاَ فَصِيحَةُ قَلْبِهِ بِدُمُوعِهِ ... مَا زَالَ شَكُّ رَقِيبِهِ بِيَقِينِهِ
وَأَغَنَّ تُؤْيِسُنِي قَسَاوَةُ قَلْبِهِ ... مِنْهُ وَيُطْعِمُنِي تَعَطُّفُ لِينِهِ
مَا زَالَ يَسْقِي خَدَّهُ مَاءُ الحَيَا ... حَتَّى جَنَيْتُ الوَرْدَ مِنْ نَسْرِينِهِ
وَإِذَا وَصَلْتُ بِشَعْرِهِ قِصَرَ الدُّجَى ... هَجَمَ الصَّبَاحُ بِوَجْهِهِ وَجَبِينِهِ
خَفَرُ الدَّلاَلِ أَضَمَّهُ وَأَهَابُهُ ... لِوَقَارِهِ وَحَيَائِهِ وَسُكُونِهِ
قَالَتْ رَوَادِفُهُ وَلِينُ قَوَامِهِ ... إِيَّاكَ عَنْ كُثُبِ الحِمَى وَغُصُونِهِ

---

(١) القصيدة كاملة في ديوانه ص٤١٩ ـ ٤٢١. وفيه إنها في الصاحب الصفي بن شكر (عبد الله بن علي بن شكر)، وهو وزير الملك العادل، كان مهيبًا عالمًا مبالغًا في ظلم الرعية.
ترجمته في: النجوم الزاهرة ٦/ ١٧٦. وقد ذكره ص٢٦٣ من وفيات سنة ٦٢٣هـ، وفي ص ٢٨٠ أنه من وفيات سنة ٦٣٠.

(٢) القصيدة كاملة في ديوانه ص٢١٤ ـ ٢٢٠ قوامها ٢٢ بيتًا. وفيه إنها في مدح الملك الأشرف موسى.

سَاقٍ صَحِيفَةُ خَدِّهِ مَا سُوِّدَتْ ... عَبَثًا بِلَامِ عِذَارِهِ وَبِنُونِهِ
جَمَدَ الَّذِي بِيَمِينِهِ فِي خَدِّهِ ... وَجَرَى الَّذِي فِي خَدِّهِ بِيَمِينِهِ
/ ١٦٧أ/ طَابَ الصَّبُوحُ كَأَنَّمَا عَجَنَ الصَّبَا ... كَافُورَ مُزْنَتِهِ بِعَنْبَرِ طِينِهِ
وَتَفَضَّضَتْ أَزْهَارُهُ وَتَذَهَّبَتْ ... فَكَأَنَّهَا الطَّاوُوسُ فِي تَلْوِينِهِ
وَالطَّيْرُ تُنْشِدُ بِاخْتِلَافِ لُغَاتِهَا ... مُوسَى أَدَامَ اللهُ فِي تَمْكِينِهِ
مَلِكٌ بِأَسْرَارِ الغُيُوبِ مُكَاشَفٌ ... فَظُنُونُهُ تُغْنِيهِ عَنْ جِبْرِينِهِ(١)
مُوسَى الَّذِي أَغْنَتْ شَهَامَةُ عَزْمِهِ ... أَنْ يَسْتَمِدَّ النَّصْرَ مِنْ هَارُونِهِ

وقال أيضًا(٢): [من الطويل]

نَدِيمِي مَاسَ الآسُ فِي سُنْدُسِيِّهِ ... وَأَظْهَرَ مَا أَخْفَى لَنَا مِنْ حُلِيِّهِ
وَبَانَ بِجِيدِ الغُصْنِ وَالفَجْرُ طَالِعٌ ... مِنَ الطَّلِّ عِقْدٌ حَلَّ فِي جَوْهَرِيِّهِ
وَأَلْقَى الضُّحَى فِي فِضَّةِ النَّهْرِ تِبْرَهُ ... فَأَثْرَى الثَّرَى بِالنُّورِ مِنْ عَسْجَدِيِّهِ
هُوَ السَّيْفُ إِنْ أَصْدَاهُ ظِلُّ غُصُونِهِ ... فَأَلْقَى شُعَاعُ الشَّمْسِ صَقْلَ صَدِيِّهِ
وَسَاقٍ لَهُ وَجْهٌ وَكَأْسٌ تَقَارَبَا ... فَسَقَّاكَ شَمْسِيًّا عَلَى قَمَرِيِّهِ
سَقَى الرَّاحَ مِثْلَ الرَّاحِ مِنْ رِيقِ ثَغْرِهِ ... وَأَيْنَ حَبَابُ الخَمْرِ مِنْ لُؤْلُؤِيِّهِ ؟!
حَدَدْتُ لِمَا فِيهِ ثَمَانِينَ قُبْلَةً ... لِأَنِّي شَمَمْتُ الرَّاحَ مِنْ عَنْبَرِيِّهِ
إِذَا مَا جَنَتْ عَيْنَاهُ قَاصَصْتُ خَدَّهُ ... فَلَا بُرْءَ لِي إِلَّا بِلَثْمِ .....

وقال يمدح(٣): [من الخفيف]

/ ١٦٧ب/ وَيْحَ قَلْبِ المُحِبِّ مَاذَا يُقَاسِي ... كُلُّ قَلْبٍ عَلَيْهِ كَالصَّخْرِ قَاسِي
يَا جُفُونِي أَيْنَ الدُّمُوعُ فَقَدْ أَحْـ ... ـرَقَ قَلْبِي تَوَقُّدُ الأَنْفَاسِ
جَدَّ وَجْدِي بِحُبِّ لَاهٍ وَأَوْدَى ... بِفُؤَادِي تَذْكَارُهُ وَهْوَ نَاسِي
مِنْ بَنِي التُّرْكِ لَيِّنَ العِطْفِ قَاسِي الْـ ... ـقَلْبِ سَهْلَ الخِدَاعِ مُرَّ المِرَاسِ
ضَيِّقَ العَيْنِ وَهْيَ مِنْ صِفَةِ البُخْـ ... ـلِ فَإِنْ جَادَ كَانَ ضِدَّ القِيَاسِ

---

(١) جبرائيل.
(٢) أخل بها ديوانه.
(٣) القصيدة في ديوانه ص٤٠٣ ـ ٤٠٧، قوامها ١٦ بيتًا، وقد أخلّ الديوان بالبيتين الأخيرين. وفيه إنها في مدح الصاحب صفي الدين عبد الله بن علي بن شكر.

جَذَبَ القَوْسَ فَاكْتَسَتْ وَجْنَتَاهُ ... ثَوْبَ وَرْدٍ طِرَازُهُ مِنْ آسِ
وَرَمَى عَنْ قَوْسَيْنِ سَهْمَيْنِ هَذَا ... فِي فُؤَادِيْ وَذَاكَ فِي القُرْطَاسِ
فَهْوَ تَحْتَ السِّلَاحِ لَيْثُ عَرِيْنٍ ... وَهْوَ فَوْقَ الفِرَاشِ ظَبْيُ كِنَاسِ
يَا نَدِيْمِي بِاللهِ غَنِّ بِذِكْرَا ... هُ وَمَوِّهْ عَنْ رِيْقِهِ بِالكَاسِ
اقْتَطِفْ زَهْرَةَ الزَّمَانِ فَمَا جِلَّـ ... ـقُ إِلَّا لِلَّهْوِ وَالإِيْنَاسِ(١)
حَبَّذَا النَّيْرَبَانُ مِنْ نَهْرِ ثَوْرَى ... وَاخْضِرَارُ المُرُوْجِ مِنْ بَانَاسِ(٢)
وَالنَّسِيْمُ الَّذِيْ يَمُرُّ عَلَى الغُوْ ... طَةِ رَيَّانَ عَاطِرَ الأَنْفَاسِ
بَلْدَةٌ حَلَّهَا الوَزِيْرُ فَمَرْعَا ... هَا خَصِيْبٌ وَالنَّاسُ فِي أَعْرَاسِ
كُلِّ لِرَائِيْهِ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّـ ... ـاسِ هَذَا الوَزِيْرُ رَبُّ النَّاسِ
هَيْبَةٌ تَمْلأُ الصُّدُوْرَ وَشَخْصٌ ... تَمْتَلِي مِنْهُ أَعْيُنُ الجُلَّاسِ
/ ١٦٨أ/ دَبَّرَ الخَافِقَيْنِ لَا حَرِجَ الصَّدْ ... رِ وَلَا خَائِفًا مِنَ الإِلْبَاسِ
وَتَوَلَّى بِرَأْيِهِ رَايَةَ الكُفْرِ فَوَلَّتْ نَكْسًا مِنَ الأَنْكَاسِ

وقال أيضًا(٣): [من مجزوء الرجز]

لَمَاكَ وَالْخَدُّ النَّضِرْ ... مَاءُ الحَيَاةِ وَالخَضِرْ
أَخَذْتَنِي يَا تَارِكِي ... أَخْذَ عَزِيْزٍ مُقْتَدِرْ
أَحْلَلْتَ سُلْوَانِي عَلَى ... ضَامِنِ قَلْبٌ مُنْكَسِرْ
وَنِمْتَ عَنْ ذِي أَرَقٍ ... إِذَا غَفَا النَّجْمُ سَهِرْ
وَمَاءُ عَيْنَيَّ التَّقَى ... لَا بَرِحْتَ عَلَى قَدَرْ
مَا نُصِبَتْ أَشْرَاكُ أَلْـ ... ـحَاظِكَ إِلَّا لِلْحَذَرْ
قَلْبِي عَلَى التُّرْكِ ... بِهَذَا الهَاشِمِيِّ يَفْتَخِرْ
وَلِيُّ عَهْدِ البَدْرِ إِنْ ... غَابَ فَأَنِّي المُنْتَظَرْ

(١) جُلق: دمشق. وهي لفظة أعجمية. «معجم البلدان ٣/ ١٢٦».
(٢) النيربان: قرية مشهورة بدمشق على نصف فرسخ في وسط البساتين، وهو من أنزه المواضع. «انظر: معجم البلدان ٨/ ٣٥٥».
ثورا ـ بالفتح والقصر ـ: اسم نهر عظيم بدمشق. «معجم البلدان ٣/ ٢٦».
(٣) القصيدة في ديوانه ص٤٢٢ ـ ٤٢٤ وفيها اختلاف.

خَلَعْتُ إِذْ بَايَعْتُهُ عِذَارَ مَنْ لاَ يَعْتَذِرْ
فِي خَلْقِهِ وَخُلْقِهِ طَبْعُ الغَزَالِ وَالنَّمِرْ
تَرْعَاهُ أَحْدَاقُ القَنَا فَكَيْفَ مَا سَارَ تَسِرْ
إِنَّ طَرِيْقَ نَاظِرِيْ إِلَى مُحَيَّاهُ خَطِرْ

/ ١٦٨ب/ وقال أيضًا[1] : [من الطويل]

خَدَمْتُ بِدِيْوَانِ المَحَبَّةِ نَاظِراً عَلَى غِرَّةٍ يَا لَيْتَنِيْ فِيهِ عَامِلُ
وَحَاسَبَ فَرْطُ السُّقْمِ جِسْمِيْ فَلَمْ تَكُنْ بَوَاقِيْهِ إِلاَّ أَعْظُمٌ وَمَفَاصِلُ

وقال في صبيّ يهودي[2] : [من السريع]

مِنْ آلِ إِسْرَائِيْلَ عُلِّقْتُهُ أَسْلَمْتُ نَفْسِيْ لِلأَسَى فِيْهِ
أَنْزَلَتِ السَّلْوَى عَلَى قَلْبِهِ وَأُنْزِلَ المَنُّ عَلَى فِيْهِ

وقال في مُغَن[3] : [من المنسرح]

أَصْبَحْتُ فِيْ خِدْمَةِ الغَرَامِ وَلِيْ جَارٍ مِنَ العَيْشِ مُطْلَقٌ هَامِلْ
قَلْبِيَ بِبَاقِيْ هَوَاهُ مُنْكَسِرٌ وَحَمْلُ هَمِّيْ لأَجْلِهِ وَاصِلْ

وقال يمدح الإمام الخليفة الناصر لدين الله، أبا العباس أحمد ـ رضي الله عنه[4] ـ: [من الخفيف]

آنَسَتْ بِالعِرَاقِ بَرْقاً مُنِيْراً فَطَوَتْ غَيْهَباً وَخَاضَتْ هَجِيْراً
وَاسْتَطَابَتْ رَيّاً نَوَاسِمِ بَغْدَا دَ فَكَادَتْ لَوْلاَ البُرَى أَنْ تَطِيْرَا[5]
ذَكَرَتْ مِنْ مَسَارِحِ الكَرْخِ رَوْضاً لَمْ يَزَلْ نَاضِراً وَمَاءً نَمِيْرَا
/ ١٦٩أ/ بَلِّغِيْنَا دَارَ الخِلاَفَةِ يَا نَا قُ لِنَقْضِيْ بَعْدَ السُّجُوْدِ النُّذُوْرَا
عَتَبَاتٌ تُرَابُهَا يُنْبِتُ المَجْـ ـدَ وَجَوٌّ بِالجُوْدِ أَضْحَى مَطِيْرَا

---

(١) البيتان في ديوانه ص ٤٢٥ .
(٢) البيتان في ديوانه ص٣٨٩ .
(٣) من قصيدة في ديوانه ص٣٩٣ ـ ٣٩٦ قوامها ١٦ بيتًا . وفيه إنها في مدح القاضي الفاضل .
(٤) القصيدة كاملة في ديوانه ص١٠٠ ـ ١٠٣ قوامها ٢١ بيتًا .
(٥) البُرَى : جمع بُرَة، الحلقة توضع في أنف الناقة .

قَبِّلَتْهَا المُلُوكُ حَتَّى شَكَكْنَا ... أَحَصًى فِي رِحَابِهَا أَمْ ثُغُورَا
يَا إِمَامَ الهُدَى سَلَامًا سَلَامًا ... كَانَ فِيهِمْ مُقَسَّمًا مَنْثُورَا(١)
أَهْلَ بَيْتٍ قَدْ أَذْهَبَ اللهُ عَنْهُمْ ... كُلَّ رِجْسٍ وَطُهِّرُوا تَطْهِيرَا
أَنْتَ آلُ النَّبِيِّ خَابَتْ صَلَاةٌ ... لَمْ تَكُنْ فِيَّ خِلَالَهَا مَذْكُورَا
قَرَنَ اللهُ اسْمَهُ بِاسْمِكَ العَا ... لِي فَزَادَا جَلَالَةً وَطُهُورَا
فَهُوَ عِقْدٌ عَلَى صُدُورِ التَّحِيَّا ... تِ وَتَاجٌ حَلَّى بِهِ التَّكْبِيرَا
يَا مُعِينِي إِذَا دَجَتْ ظُلْمَةُ القَبْـ ... ـرِ وَخَاطَبْتُ مُنْكَرًا وَنَكِيرَا
يَا مُجِيرِي إِنْ خِفْتُ يَوْمًا عَبُوسًا ... مُكْفَهِرًّا مُسْتَصْعَبًا قَمْطَرِيرَا
يَا مُعِينِي وَالنَّارُ تُوقَدُ بِالنَّا ... سِ وَتَرْمِي شَرَارَهَا المُسْتَطِيرَا
بِوَلَائِي أَمِنْتُ مِنْ سَيِّئَاتِي ... يَوْمَ أَلْقَى كِتَابِيَ المَنْشُورَا
يَا دَلِيلِي عَلَى الصِّرَاطِ إِذَا مَا ... دَهِشَ الخَوْفُ نَاظِرِي فَيَحِيرَا
فِيكَ سِرٌّ لَوْلَاكَ مَا خَلَقَ اللهُ عَلَى النَّاسِ جَنَّةً وَحَرِيرَا
قَدْ هَدَانَا بِكَ السَّبِيلَ فَإِمَّا ... مُؤْمِنًا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورَا
/ ١٦٩ب/ فَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أَقْرَبَ النَّا ... سِ لِمَنْ جَاءَ شَاهِدًا وَنَذِيرَا

وقال يمدح الملك الأشرف موسى بن محمد بن أيوب بن شاذي(٢):

[من المنسرح]

يَا بَارِقًا أَذْكَرَ الحَشَا حَزَنَهْ ... مَنْزِلُنَا بِالعَقِيقِ مَنْ سَكَنَهْ
وَمَرْتَعُ اللَّهْوِ يَانِعٌ خَضِرٌ ... أَمْ غَيَّرَ الدَّهْرُ بَعْدَنَا دِمَنَهْ
يَا بَرْقُ هَذَا جِسْمِي يَذُوبُ ضَنًا ... وَمُهْجَتِي بِالعَقِيقِ مُرْتَهَنَهْ
يَا بَرْقُ أَشْكُو عَسَاكَ تُخْبِرُهُمْ ... وَكُلُّ مَنْ هَامَ يَشْتَكِي شَجَنَهْ
بَلِّغْ حَدِيثَ الحِمَى وَسَاكِنَهُ ... لِمُغْرَمٍ أَنْحَلَ الهَوَى بَدَنَهْ
أَسْمِعْهُ ذِكْرَ الحَبِيبِ مُقْتَرِبًا ... فَقَدْ أَصَمَّتْ عُذَّالُهُ أُذُنَهْ

---

(١) في الديوان:
«يا إمام الهدى سلامًا سلامًا ... زاد طيبًا فزدته تكريرا
نظم الله فيك فضل أناس ... كان فيهم مقسمًا منثورا»
(٢) القصيدة كاملة في ديوانه ص٢٠٤ ـ ٢٠٧ قوامها ١٧ بيتًا.

هُــمْ آنَسُــوهُ لكــنْ بــوَحْشَتهــمْ   وَنَفَّــروا عَــنْ جُفُــونِــه وَسَنَــهْ
أشْقَــىٰ المُحبيِّــنَ عَــادمٌ وَطَــراً   فكَيْــفَ إنْ كَــانَ عَــادمًــا وَطَنَــهْ ؟
لَــوْ بيْــعَ يَــوْمٌ منْهَــا وكَيْــفَ بِــه   كُنْــتُ بعُمْــرِي مُسْتَــرْخصًــا ثَمَنَــهْ
إلَيْــكَ يَــا عَــاذلــيْ فَلَسْــتُ أنَــا   أوَّلَ صَــبٍّ جَمَــالُهُــمْ فَتَنَــهْ
فَكَــمْ لنَفْســي عَلَــيَّ سَيِّئَــةً   وَكَــمْ لمُــوسَــىٰ عَلــيَّ مِــنْ حَسَنَــهْ
مُجَــازفٌ فــي عَطَــاءِ آملــه   مُحَــرَّرُ الــرَّأْي عنــدَ مَــنْ وَزَنَــهْ
/ ١٧٠أ/ لَلْجُــوْدِ وَالشُّكْــرِ خَــازنٌ أبــداً   وَلَــمْ يَصُــنْ مَــالَــهُ وَلاَ خَــزَنَــهْ
مُــؤَيَّــدُ الــرَّأْيِ، مَــنْ يُنَــافسُــهُ   تَحْــتَ حَضيْــضِ الخُمُــوْلِ قَــدْ دَفَنَــهْ
لَــوْ لَــمْ يُقَيِّــضْ للْجُــوْدِ رَاحَتَــهُ   لَــمْ تَعْتَــرِفْ فَــرْضَــهُ وَلاَ سُنَنَــهْ
لَــهُ بَنَــانٌ تُسْــدِيْ لَنَــا مِنَحًــا   وَمَــنْ يُعَــادِيْــهِ يَشْتَكــي مِحَنَــهْ

[٣٩١]

عليُّ بنُ أحمدَ بنِ عُثمانَ بنِ وهبِ بنِ عمرَ، أبو الحسنِ، المعروفُ بابنِ الجَمَّاسِ.

كان مولده بقرية من قرايا دُجيل؛ تسمىٰ حصاية، قدم هو وأبوه من العراق، وأقام بقرية من قُرىٰ إربل، تدعىٰ باكَلْبا[1]؛ وتزوّج بها ووُلد له.

وكان مدَّةً معلّم صبيان؛ ثم فتح الله عليه بالشعر، فمدح به السُّوقةَ والشاه ومُقدَّمي النواحي، واشتهر كلامه، واستجاده أهل الأدب، ثم سافر إلىٰ الشام طامعًا فيما عند الملك الأشرف شاه أرمن أبي الفتح موسىٰ بن أبي بكر محمد بن أيوب، فتوفي بحرّان في شهر رمضان من سنة تسع وستمائة، ودفن بها.

أنشدني الوزير الصاحب / ١٧٠ب/ أبو البركات المستوفي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ؛ قال: أنشدني أبو الحسن بن الجمَّاس لنفسه من قصيدة أوّلُها: [من الكامل]

صَــبٌّ عَــرَاهُ مِــنَ الصَّبَــابَــةِ مَــا عَــرَىٰ   وَسَــرَىٰ الخَيَــالُ بقَلْبِــه لمــا سَــرَىٰ
عَبِــثَ السَّقَــامُ بِجسْمِــهِ فَــأعَــادَهُ   نِضْــواً وَصَيَّــرَهُ الفِــرَاقُ كَمَــا تَــرَىٰ

---

(١) انظر: معجم البلدان/ مادة (باكلبا).

رَشَأٌ أَرَاكَ الفَرْعَ لَيْلاً مُظْلِماً وَأَرَاكَ نُورَ الشَّعْرِ صُبْحاً مُقْمِرَا
قَابَلْتُهُ فَرَأَيْتُ بَدْراً مُشْرِقاً تَحْتَ الظَّلَامِ يَغُضُّ طَرْفاً أَحْوَرَا
وَضَمَمْتُهُ فَوَجَدْتُ غُصْناً نَاضِراً وَلَثَمْتُهُ فَوَجَدْتُ رَاحاً مُسْكِرَا
فِي لَيْلَةٍ لَوْلَا حِذَارُ رَقِيبِهَا كَادَتْ لِطِيبِ نَعِيمِهَا أَنْ تَقْصُرَا

ومنها في المديح:

قَومٌ يُنَادِيْ فِي الظَّلَامِ نَذِيرُهُمْ يَا طَارِقَ البَيْدَا إِلَى [أُمِّ] القُرَىٰ
رَسَخُوا جِبَالاً وَاسْتَضَاؤُوا أَنْجُماً وَسْطَ . . . . . وَاسْتَفَاضُوا أَبْحُرَا
وَعُبَابُ سَيْلِ سُيوفِهِمْ يُغْنِي الوَغَىٰ وَعُبَابُ سَيْلِ أَكُفِّهِمْ يُغْنِي الوَرَىٰ

وأنشدني القاضي أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد الكفرعزي؛ قال: أنشدني أبو الحسن بن الجمّاس له: [من البسيط]

/ ١٧١أ/ أَمَّا الخَلِيطُ فَقَدْ زُمَّتْ نَوَاجِيهْ فَمَا لِدَمْعِكَ مَا تَهْمِي هَوَامِيهْ
هَذَا الكَثِيبُ الَّذِي كَانَ الفَرِيقُ بِهِ وَهَذِهِ سَاحَةُ الوَادِي وَشَاطِيهْ
يَا صَاحِبَيَّ قِفَا بِالرَّبْعِ نَقْضِ لَهُ حَقّاً فَلِلرَّبْعِ حَقٌّ لَا نُؤَدِّيهْ
أُفْدِيهِ مِنْ طَلَلٍ نَاجَيْتُهُ حُرَقاً لَوْ كَانَ يَعْقِلُ نَجْوَىٰ مَنْ يُنَاجِيهْ
لَقَدْ رَنَا لِبُكَائِي بَانُهُ وَغَدَا يَمِيسُ شَوْقاً وَنَاحَتْ لِي قُمَارِيهْ
وَلَمْ تَرِقَّ لِبَلْوَايَ جَآذِرُهُ وَلَا أَصَاخَتْ لِشَكْوَايَ جَوَازِيهْ
إِنِّي لَأُنْكِرُ هَذَا الرَّبْعَ حِينَ خَلَا مِنَ البُدُورِ الَّتِي عَايَنْتُهَا فِيهْ
مَا أَظْلَمَ الدَّارَ مُذْ غَابَتْ أَهِلَّتُهَا وَأَوْحَشَ الرَّبْعَ مُذْ بَانُوا أَهَالِيهْ
نَادَىٰ مُنَادِيهِمُ بِالبَيْنِ فَارْتَحَلُوا عَنِ الحِمَىٰ وَثَوَىٰ فِيهِ أَثَافِيهْ
أَقُولُ لِلْقَلْبِ لَمَّا إِنْ وَقَفْتُ بِهِ هَذَا الحِمَىٰ . . . . أَيْنَ حَامِيهْ؟
إِنْ كَانَ قَدْ نَحَلَتْ مِثْلِي مَعَالِمُهُ أَسَىٰ فَلَمْ لَا بَكَتْ مِثْلِي جَوَازِيهْ؟
وَبِالدِّيَارِ سَقِيمٌ لَا يُعَلِّلُهُ بِجَانِبِيهِ وَلَا الدَّالِي يُدَانِيهْ
إِذَا تَذَكَّرَ جِيرَانَ العُذَيْبِ رَقَتْ أَنْفَاسُهُ حِينَ لَا تَرْقَىٰ مَآقِيهْ
حَيَاتُهُ مَوْتُهُ وَجْداً وَصِحَّتُهُ سَقَامُهُ وَمَنَايَاهُ أَمَانِيهْ
وَمُتْلِفِي بِتَلَافِيهِ وَقَدْ قَنَعَتْ رُوحِي بِطِيبِ تَلَافِي فِي تَلَافِيهْ
/ ١٧١ب/ أَنَا الَّذِي عَرَفَ البَلْوَىٰ وَمَارَسَهَا بِالصَّبْرِ حَتَّىٰ حَلَتْ عِنْدِي مَجَانِيهْ

وأنشدني أبو العباس أحمد بن داود بن بلال الإربلي؛ قال: أنشدني ابن الجمّاس لنفسه في القاضي تاج الدين جعفر بن محمد الكفرعزي: [من البسيط]

لَيْسَ الزَّمَانُ عَلَىٰ حَالٍ بِمُنْفَرِدٍ ... فَاغْضُضْ عَلَىٰ كَمَدٍ إنْ كُنْتَ ذَا كَمَدِ

وَلاَ الضِّرَارُ وَإنْ طَالَ المِطَالُ بِهِ ... وَلاَ النَّعِيْمُ بِمَقْرُوْنٍ مَعَ الأَبَدِ

وَالعُسْرُ وَاليُسْرُ أَوْقَاتٌ مُقَرَّرَةٌ ... فَإنْ رَأَيْتَ رَخًا لاَبُدَّ مِنْ نَكَدِ

وَلَيْسَ مِنْ شِدَّةٍ إلاَّ لَهَا فَرَجٌ ... مَا بَيْنَ يَوْمِكَ مَحْتُوْمٌ وَبَيْنَ غَدِ

فَإنْ بُلِيْتَ بِهَا يَوْمًا فَكُنْ رَجُلاً ... وَاصْبِرْ فَإنَّ عَقِيْبَ الصَّبْرِ كَالشَّهَدِ

وَلاَ أَرَىٰ لَكَ فِيْ الدُّنْيَا أَخًا ثِقَةٍ ... إذَا تَبَيَّنَ نُصْحًا مِنْكَ قَالَ: قَدِ

وَمَنْ يُوَاسِيْكَ فِيْ بُؤْسٍ وَفِيْ رَغَدٍ ... وَأَيْنَ مَنْ يَسْتَوِيْ فِيْ البُؤْسِ وَالرَّغَدِ

وَالنَّاسُ أَكْثَرُهُمْ شَوْكٌ بِلاَ ثَمَرٍ ... وَإنْ يَكُنْ ثَمَرٌ فِيْ الشَّوْكِ لَمْ يَفِدِ

مَا لَيْسَ تُدْرِكُهُ بِالسَّيْفِ عِنْدَهُمُ ... فَكَيْفَ تَطْلُبُهُ بِالنَّفْثِ فِيْ العُقَدِ

لَقَدْ عَبِثْتُ بِأَبْنَاءِ الزَّمَانِ فَمَا ... وَجَدْتُ ذَا خُلُقٍ أَطْوِيْ عَلَيْهِ يَدِيْ

/١٧٢أ/ إلاَّ بَقِيَّةَ قَوْمٍ أَنْتَ مَجْدُهُمُ ... بِجَعْفَرٍ فَوْقَ كَيْوانٍ عَلَىٰ عَمَدِ

مَوْلاَيَ جَعْفَرَ تَاجَ الدِّيْنِ خُذْ بِيَدِيْ ... فَأَنْتَ لِيْ وَعَلَيْكَ الدَّهْرَ مُعْتَمَدِيْ

أُنْهِيْ إلَىٰ عِلْمِكَ المَحْرُوْسِ مَا أَخَذَتْ ... يَدُ المَشَقَّةِ مِنْ قَلْبِيْ وَلَمْ تُعِدِ

كَمْ مِنْ قَلاَئِدَ دُرٍّ قَدْ نَظَمْتُ عَلَى ... مَنْ لَيْسَ يَفْرُقُ بَيْنَ الدُّرِّ وَالبَرَدِ

حَتَّىٰ وَضَعْتُ تَقَاصِيْرِيْ عَلَىٰ رَجُلٍ ... يُضِيْعُ فِيْ بَلَدٍ وَاهًا لِذَا البَلَدِ

قَوْمٌ عَلَىٰ رَشَدٍ ظَنُّوا فَأَكْثَرُهُمْ ... نَدًىٰ لِفَظٍّ بِكَفٍّ مِنْهُ غَيْرِ نَدِيْ

وآخَرُونَ عَلَىٰ جَهْلٍ بِهِمْ مَنَعُوا ... فَضَاعَ مِنْهُمْ بَيْنَ الجَهْلِ وَالرَّشَدِ

يَا أَوْحَدَ النَّاسِ مَا قَلْبِيْ بِمُعْتَمِدٍ ... عَلَىٰ سِوَاكَ وَلاَ كَفِّيْ بِمُنْعَقِدِ

[٣٩٢]
عليُّ بنُ سالمِ بنِ مُحمَّدٍ، أبو العباسِ العُباديُّ الشنينيُّ الحديثيُّ[(١)].

من الحديثة ـ بلدة علىٰ طرف الفرات[(٢)] ـ كان من قرية من أعمالها تدعىٰ الخزانة.

وكان شاعراً كثير الشعر، منتجعًا بشعره، واسع النفس في عمله يحفظ صدراً جيداً من اللغة، صَفْراً من علم الأدب والعربية؛ كان يفد إلىٰ بغداد، ويمدح الملك المعظّم /١٧٢ب/ أبا الحسن علي بن أمير المؤمنين الناصر لدين الله أبي العباس أحمد ـ رضي الله عنهما ـ وغيره من رؤساء الحضرة والأمراء.

أدركتُ أيامه، وأنا جنيد مقيد ببغداد وهو بها؛ ولم يُقدّر لي الاجتماع به لمرض لحقني، فلما أبللت منه، سافر إلىٰ وطنه، وذلك في سنة اثنتين وعشرين وستمائة، وخبرت أنه توفي هنالك.

أنشدني أبو بكر محمد بن عبد الغني بن نقطة البغدادي؛ قال: أنشدني أبو الحسن لنفسه[(٣)]: [من البسيط]

هَمُّ الفَتَىٰ فِي طِلاَبِ المَجْدِ مُتَّصِلُ ... وَصَادِقُ العَزْمِ مَقْرُوْنٌ بِهِ الأَمَلُ
وَالمَرْءُ سَاعٍ فَإِمَّا بَالِغٌ أَمَلاً ... أَوْ قَاصِرٌ يَخْتَلِيْهِ دُونَهُ الأَجَلُ
فَانْهَضْ إِلَىٰ شَرَفِ العَلْيَا وَكُنْ رَجُلاً ... تَسْمُو بِهِ هِمَمٌ مِنْ دُوْنِهَا زُحَلُ
وَلاَ تَخَفْ مَا تَخَافُ اليَوْمَ مِنْ عَنَتٍ ... فِيْ مَأزِقٍ لجبٍ يَعْنُو لَهُ البَطَلُ
فَالعُمْرُ مُنْتَهَبٌ وَالغَمْرُ مُسْتَلَبٌ ... وَالعَيْشُ مُقْتَضَبٌ أَيَّامُهُ دُوَلُ
لاَ تَقْنَعَنْ بِالأَمَانِيْ وَالخُمُوْلِ فَمَا ... نَالَ المَعَالِيْ قَدِيْماً مَعْشَرٌ خَمُلُوا

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢١/ ١٢٦. وفيه: «توفي سنة ست وعشرين وستمائة».
(٢) وهي حديثة النورة. انظر: معجم البلدان/ مادة (الحديثة).
(٣) بعض أبياتها في الوافي ٢١/ ١٢٦.

وَلاَ حَوَىٰ السَّبْقَ فِي الغَايَاتِ مُنْسَدِرٌ ... مُوَاظِبٌ فِيْ المَلاَهِي عَاجِزٌ وَكَلُ[١]
وَلاَ تُقِمْ بِدِيَارِ الهُوْنِ مُقْتَنِعاً ... بِبُلْغَةٍ فَالمَعَالِي أَصْلُهَا النَّقَلُ
لَوْلاَ مُفَارَقَةَ الأَغْمَادِ مَا شُكِرَتْ ... بِيْضُ الصِّفَاحِ وَلاَ الخَطِّيَّةُ الذُّبُلُ
/ ١٧٣أ/ وَقَدْ بُلِيْتُ بِأَقْوَامٍ ذَوِيْ حُمُقٍ ... عَلَىٰ الغَبَا وَعَدَاوَاتِ النُّهَىٰ جُبِلُوا
عُمْيٌ عَنِ الحَقِّ مَفْتُوحٌ عُيُوْنُهُمُ ... إِلَىٰ مَعَايِبِ قَوْمٍ عَنْهُمُ شُغِلُوا
وَالحُرُّ مُمْتَحَنٌ ..... وَذُوْ النُّهَىٰ وَالتُّقَىٰ مُغْرًى بِهِ السَّفَلُ
عَدَاوَةٌ بَيْنَ أَهْلِ العِلْمِ قَاطِبَةً ... وَصِدُّهُمْ لَيْسَ فِيْ إِصْلاَحِهَا عَمَلُ

وقال يمدح بعض الأمراء، واسمه كُجِ قُنْدي: [من الكامل]

بَدْرٌ جَلاَ بِجَمَالِهِ الخَنْدِيْسَا ... وَجَلاَ عَلَيْنَا فِيْ الكُؤُوسِ شُمُوْسَا
ذَهَبِيَّةٌ عَقَدَ الحَبَابُ بِكَأْسِهَا ... تَاجاً تَخَالُ شُعَاعَهُ مَقْبُوْسَا
فَتْكَ اللِّحَاظِ تَجُوبُ فِيْ وَجَنَاتِهِ ... مَاءً وَنَارُ جِرَاحِهِ لاَ تُوْسَىٰ
مَا هَزَّ غُصْنَ قَوَامِهِ فِيْ مَجْلِسٍ ... إِلاَّ وَأَضْرَمَ فِيْ القُلُوْبِ وَطِيْسَا
لَبِسَ العُيُونَ مِنَ المَلاَحَةِ حُلَّةً ... وَأَذَابَ مِنْ وَجْدٍ عَلَيْهِ نُفُوْسَا
يَبْدُوْ فَيَسْجُدُ كُلُّ حُسْنٍ فِيْ الوَرَىٰ ... وَيَظَلُّ مِنْ فَرْطِ الحَيَاءِ حَبِيْسَا
حَازَ الصِّفَاتِ كَحَوْزِ كُجٍّ قُنْدِيْ العُلاَ ... حَتَّىٰ سَمَا كَيْوَانَ وَالنَّرْجِيْسَا
البَاذِلِ المَعْرُوْفَ قَبْلَ سُؤَالِهِ ... وَالتَّارِكِ البَطَلَ الكَمِيَّ فَرِيْسَا
تَتَقَاصَرُ الأَوْهَامُ دُوْنَ صِفَاتِهِ ... وَتَخَالُ عَقْلَ ذَكِيِّهَا مَأْلُوْسَا
/ ١٧٣ب/ مَا سَلَّ سَيْفَ العَزْمِ يَوْمَ كَرِيْهَةٍ ... إِلاَّ وَفَاقَتِ الجُسُوْمُ الرُّوْسَا
أَسَدٌ فَرَائِسُهُ الأُسُوْدُ إِذَا الوَغَىٰ ... زِيْنَتْ عَنِ النَّشَبِ النَّفِيْسِ الشُّوْسَا
يَصْطَادُ كُلَّ هِزَبْرِ غَابٍ أَهْيَسٍ ... يَصْطَادُ إِنْ عَزَّ الحَصِيْدُ الهِيَسَا[٢]
وَافَىٰ بِعَيْنِ اللَّيْثِ عَيْنَ كَرِيْهَةٍ ... شَثْنَ البَرَاثِنِ ضَيْغَماً دِعِّيْسَا
تَعْدُو السَّوَابِقُ حِيْنَ يَزْأَرُ جُفَّلاً ... عَنْهُ تَكَادُ مِنَ الجِرَاءِ تَكُوْسَا
أَشْبَهْتَ أَبِيْكَ فِيْ الخِلاَلِ وَطَالَمَا ... وَلَدَ النَّفِيْسُ مِنَ المُلُوكِ نَفِيْسَا

---

(١) وكل: عامر يكل أموره إلى غيره.
(٢) غاب: شجاع.

مَلِكٌ تَدِينُ لَهُ المُلُوكُ مَحَبَّةً ... قُرْباً وَبُعْداً سائِساً وَمَسُوسَا
أَرْبَى عَلَى هَرِمٍ وَمَعْنٍ وَحَاتِمٍ ... كَرَماً وَطَالَ عُلاً أَبَا قَابُوسَا
عَمَّ الخزانَةَ والقصرَ بجُودِهِ ... عَفْواً وَعَمَّ بَعْدلِهِ آلُوسَا
يَا شَمْسَ دِيْنِ اللهِ دُوْنَكَ حُرَّةً ... تَحْكِي بِحُسْنِ صِفَاتِهَا بَلقِيْسَا
تَأْتِي الكِرَامَ فَيَعْرِفُوْنَ مَحَلَّهَا ... عِلْماً وَتَأْبَى أَنْ تَزُوْرَ خَسِيْسَا
مِنْ شَاعِرٍ سَبَكَ الكَلامَ وَصَاغَهُ ... دُرّاً وَرَصَّعَ جَوْهَراً ولَبِيسَا
فَاسْلَمْ لَهُ وَلِكُلِّ جَالِبِ مِدْحَةٍ ... لا يَعْرِفُ الدَّعْوَى وَلاَ التَّلْبِيْسَا
مَا لاحَ وَضَّاحُ الصَّبَاحِ وَمَا دَجَا ... لَيْلٌ وَرَقَّعَتِ الحُدَاةُ العِيْسَا

وقال أيضًا يمدحه ويهنئه بعيد الفطر : [من الكامل]

/١٧٤أ/ كَتَمَ الغَرَامَ فَنَمَّ دَمْعُ شُجُوْنِهِ ... وَشَى إِلَى الوَاشِيْنَ عَنْ مَكْنُوْنِهِ
وَالدَّمْعُ أَعْدَلُ شَاهِدٍ أَبْدَى الهَوَى ... مِنْ وَامِقٍ وَأَذَاعَ سِرَّ جُفُوْنِهِ
فِيْ حُبِّ مُعْتَدِلِ القَوَامِ مُهَفْهَفٍ ... يُزْرِي بِنُوْرِ البَدْرِ نُوْرُ جَبِيْنِهِ
لَبِسَ العُيُونَ مِنَ المَلاحَةِ حُلَّةً ... مَا حَاطَهَا إِلاَّ بِدَمْعِ فُتُوْنِهِ
فَغَدَتْ قُلُوْبُ الخَلْقِ طَوْعَ شِمَالِهِ ... عِشْقاً لِصُوْرَتِهِ وَطَوْعَ يَمِيْنِهِ
جُمِعَتْ صِفَاتُ الحُسْنِ فِيْهِ بِأَسْرِهَا ... وَغَنِي بِأَدْنَى الحُسْنِ عَنْ تَحْسِيْنِهِ
لَوْ كَانَ يُعْدَى خُلْقُهُ مِنْ خَلْقِهِ ... أَعْدَى قَسَاوَةَ قَلْبِهِ مِنْ لِيْنِهِ
وَأَرَقَّ لِلصَّبِّ الكَئِيْبِ فُؤَادَهُ ... وَأَضَافَهُ المَضْنُوْنَ مِنْ مَاعُوْنِهِ
وَزَكَاةُ رَبِّ الحُسْنِ وَاجِبَةٌ عَلَى ... حُكْمِ الهَوَى عَطْفاً عَلَى تَمْكِيْنِهِ
لَوْلاهُ مَا بَاتَ الغَرَامُ مُلازِمِي ... وَالسُّقْمُ يُنْحِلُنِي لِسُقْمِ جُفُوْنِهِ
وَمَدِيْحُ شَمْسِ الدِّيْنِ كُجْ قُنْدِيَ غَدَا ... هَمِّي لأَقْضِيَ شُكْرَ بَعْضِ دُيُوْنِهِ
البَاذِلِ المَعْرُوْفَ قَبْلَ سُؤَالِهِ ... وَالقَاتِلِ الضِّرْغَامَ وَسْطَ عَرِيْنِهِ
وَالتَّارِكِ البَطَلَ المُدِلَّ بِبَأْسِهِ ... يَوْمَ الوَغَى يَكْبُوْ عَلَى عِرْنِيْنِهِ
مَا وَاجَهَ اللَّيْثَ الهِزَبْرَ بِمَعْرَكٍ ... إِلاَّ وَجَرَّعَهُ كُؤُوْسَ مَنُوْنِهِ
تَتَجَمَّلُ الدُّنْيَا بِكُلِّ مُتَوَّجٍ ... فِيْهَا بِفَضْلِ عَفَافِهِ وَبِدِيْنِهِ
/١٧٤ب/ وَيُطِيْعُ خَالِقَهُ وَمَالِكَ أَمْرِهِ ... وَأَبَاهُ فِيْ حَرَكَاتِهِ وَسُكُوْنِهِ
لا يَنْثَنِي يَوْمَ النِّزَالِ إِذَا اكْتَنَى ... فِيْ مَأْزِقٍ إِلاَّ بِرُوْحِ طَعِيْنِهِ

يَـا مَـاجِـداً فَـاقَ المُلُـوكَ بِحِلْمِـه وَبِعِلْمِـه إذْ حَـازَ عَشْـرَ سِنِيْنِـه
إنْ رُمْـتُ مَـدْحَـكَ فَـالصِّفَـاتُ مُعِيْنَـةٌ فِـيْ نَظْـمِ أَبْكَـارِ القَـرِيْـضِ وَعُـوْنِـه
فَـاسْعَـدْ بِعِيْـدِ الفِطْـرِ وَابْـقَ مُـؤَبَّـداً بِشُيُـوعِ نَصْـرٍ سَـارَ ذِكْـرُ مُبِيْنِـه
مَـا حَـرَّكَ الـدَّوْحَ النَّسِيْـمُ وَمَـا دَعَـا وُرْقُ الحَمَـامِ عَلَـىٰ فُـرُوْعِ غُصُـوْنِـه

وقال أيضًا يمدح: [من الخفيف]

أَسْفَـرَ الجَـدُّ فِـيْ بُـرُوْجِ السُّعُـوْدِ وَسَمَـا فِـيْ العَـلَاءِ عَـالِـي الصُّعُـوْدِ
وَبَـدَا المَجْـدُ فَـوْقَ كَيْـوَانَ قُـرْبـاً بُعْـدَ كَيْـوانَ عَـنْ مَحَـلِّ الصَّعِيْـدِ
شَـرَفٌ بَـاذِخٌ وَمَجْـدٌ أَثِيْـلٌ وَفَخَـارٌ مَـا فَـوْقَـهُ مِـنْ مَـزِيْـدِ
وَالمَعَـالِـيْ مَـا أُنتِجَـتْ بَـالعَـوَالِـيْ بَيْـنَ خَطْـفِ الظُّبَـىٰ وَخَفْـقِ البُنُـوْدِ
وَنَـوَالٍ مُـوَاصَـلٍ بِنَـوَالِ لِقَـرِيْـبٍ مِـنَ الـوَرَىٰ وَبَعِيْـدِ
كَنَـوَالِ المُلْـكِ المُنِيْـلِ فُـلَانِ الـدِّيْـنِ خِـدْنِ العُـلَا المَجِيـدِ المَجِيْـدِ
النَّجِـيِّ الـوَفِـيِّ للهِ بَـالعَهْـدِ وَلِلنَّـاصِـرِ الإِمَـامِ الـرَّشِيْـدِ
مَلِـكٌ هَمُّـهُ ابْتِـدَاعُ مَعَـالٍ لَـمْ تَنَلْهَـا أَيْـدِي المُلُـوْكِ الصِّيْـدِ
/١٧٥أ/ مَلِـكٌ وَصْفُـهُ يَجِـلُّ عَـنِ الـوَصْـفِ لِـذِيْ فِطْنَـةٍ كَـرَمْـلِ زَرُوْدِ
مَلِـكٌ صَـدْرُهُ تَضِيْـعُ بِـهِ الـدُّنْيَـا اتِّسَـاعـاً فِـيْ كُـلِّ خَطْـبٍ كَـؤُوْدِ
مِـنْ مُلُـوكِ التُّـرْكِ الَّـذِيْ يَعْقِـدُ المُلْـكَ لَهُـمْ صِغْـرَةٌ بُطُـونُ المُهُـوْدِ[1]
وَنَشَـا مُـذْ نَشَـا يَسُـوْسُ أُمُـوْرَ النَّـاسِ عَـدْلاً بِحُسْـنِ رَأْيٍ سَـدِيْـدِ
وَرَآهُ الإِمَـامُ نَـاصِـرُ دِيْـنِ اللهِ أَهْـلاً لِكُـلِّ فِعْـلٍ حَمِيْـدِ
يَقِظـاً عَـالِمـاً حَلِيْمـاً رَحِيْمـاً ذَا وَفَـاءٍ مُغْـرًى بِحِفْـظِ العُهُـوْدِ
فَحَبَـاهُ الفُـرَاتَ مُلْكـاً وَرِفْقـاً لِلـرعَـايَـا . . . . وَحِفْـظَ الجُنُـوْدِ
فَحَمَـاهَـا بِنَـائِـلٍ وَحُسَـامٍ وَبِعَـدْلٍ وَرَدِّ كُـلِّ شَـدِيْـدِ
وَغَـدَا ذِكْـرُهُ حَمِيْـداً بِمِصْـرٍ وَتَعَـدَّىٰ فِـيْ الخَلْـقِ أَرْضَ زَبِيْـدِ
يَـا مَلِيْكـيْ وَمَـنْ سَمَـا كُـلَّ مَلْـكٍ فِـيْ البَـرَايَـا بِنَشْـرِ عَـدْلٍ وَجُـوْدِ
هَكَـذَا هَكَـذَا نَـوَالُـكَ لِلْخَلْـقِ مُبَـاحٌ فِـيْ كُـلِّ يَـوْمٍ كَعِيْـدِ

(١) صغرة: أصغر الأولاد.

وأَمِيْــــرٍ وَافَـــاكَ فـــي طَلَـــبِ ... المَجْـدِ وَنُجْـحِ المَـرَامِ بِـالتَّــأْيِيْـدِ
فَـاقَ أَضْــرَابَـهُ سَمَـاحـاً وَبَـأْسـاً ... وَانْتَسَــابـاً إِلَــى جَنَــابٍ سَعِيْــدِ
نَـاظِمـاً نَفْسَـهُ بِسِلْـكِ مَعَـالِيْـكَ ... لِيَحْظَــى بِحَظِّــكَ المَسْعُــوْدِ
فَـاتَحَفْنَـهُ إِتْحَـافَ مُـوْسَـى شُعَيْبـاً ... دُرَّةً مِـــنْ نَفِيْـــسِ دُرٍّ فَـــرِيْـــدِ
/ ١٧٥ب/ سَـادَ آبَـاؤُهَـا جَمِيْـعَ . . . . وَأَجْــدَادُهَــا جَمِيْــعَ الجُــدُوْدِ
فـي ظِــلاَلِ الإِمَــامِ نَـاصِـرِ دِيْــنِ اللهِ وَالمُـرْتَجَـى لِيَــوْمِ الخُلُــوْدِ
فَــرِضَــاهُ رِضَــا الإِمَــامِ وَدُنْيَــاهُ بُلُــوْغُ المُنَــى وَكَبْــتُ الحَسُــوْدِ
فَـابْـقَ فـي نِعْمَـةٍ وَفـي عِـزِّ مُلْـكٍ ... وَاقْتِــدَارٍ وَسَعْــدِ جَـدٍّ جَـدِيْــدِ

وقال أيضًا: [من الطويل]

أُعِيْـذُكَ مِـنْ قَلْبِـيْ المُعَنَّـى وَوَجْـدِهِ ... وَجِسْمِـيْ عَلَـى طُـوْلِ البِعَـادِ وَجَهْـدِهِ
وَطَـرْفٍ مَتَـى مَـا شَـامَ لِلشَّـامِ بَـارِقـاً ... تَتَـابَـعَ عِقْـدُ الـدَّمْـعِ مِـنْ حَـلِّ عَقْـدِهِ
وَخِـلٍّ مَتَـى مَـا حَـانَ إِبَّـانُ وَصْلِـهِ ... تَعَـرَّضَ صَـرْفُ الحَـادِثَـاتِ لِصَـدِّهِ
أُطِيْـعُ الهَـوَى فِيْـهِ وَأَعْصِـيْ عَـوَاذِلِـيْ ... وَأَرْضَـى مِـنَ الطَّيْـفِ الطَّـرُوْقِ بِـوَعْـدِهِ
كَـأَنَّ مُـذَابَ الشَّهْـدِ رَشْـفُ رُضَـابِـهِ ... كَـأَنَّ جَنَـى الـوَرْدِ تَـوْرِيْــدَ خَـدِّهِ
تَـزَاحَـمَ فِيْـهِ الحُسْـنُ مِـنْ كُـلِّ خِلْقَـةٍ ... وَقَــدَّ قَضِيْــبَ الخَيْــزُرَانِ بِقَــدِّهِ
شَهِـيُّ اللَّمَـا عَـذْبُ المَبَـاسِـمِ أَحْـوَرٌ ... .
يَصِيْـدُ قُلُـوْبَ الخَلْـقِ سَهْـمُ لِحَـاظِـهِ ... وَيُصْمِـيْ عَلَـى قُـرْبٍ . . . . . وَبُعْـدِهِ
رَعَـى اللهُ أَيَّـامَ الـوِصَـالِ وَقُـرْبِـهِ ... وَعَيْشـاً فَقَـدْتُ النَّـوْمَ فـي حَـالِ فَقْـدِهِ
فَـلاَ وَجْـدَ [عِنْـدِيْ] دُوْنَ وَجْـدِيْ بِبَيْنِـهِ ... وَلاَ وَجْـدَ إِلاَّ بَعْـضُ وَجْـدِيْ بِـوَجْـدِهِ
/ ١٧٦أ/ عَلِقْـتُ بِـهِ طِفْـلاً وَلِيْـداً فَـإِنَّنِـيْ ... فَتًـى لَيْـسَ يَسْلُـوْهُ إِلَـى رَمْـسِ لَحْـدِهِ
وَكُـلُّ هَـوًى يُسْلَـى سِـوَى إِلْفَـةِ الصِّبَـا ... وَكُـــلُّ مُحِـــبٍّ حُبُّــهُ مِثْــلُ وُدِّهِ
خُلِقْـتُ وَفِيّـاً حَـافِظـاً كُـلَّ صُحْبَـةٍ ... مُقِيْمـاً مَـدَى الـدُّنْيَـا عَلَـى حِفْـظِ عَهْـدِهِ
كَحِفْـظِ أَبِـيْ الغَـارَاتِ كُـجْ قُنْـدِيْ العُـلاَ ... بِحَـدِّ الظُّبَـى وَالجُـوْدِ جَـزْلاً لِـوَفْـدِهِ
وَمَـنْ يَحْمِـلُ اللَّيْـثَ الهَصُـوْرَ لِبَـأْسِـهِ ... وَمَـنْ يُخْجِـلُ الغَيْـثَ السَّحُـوْحَ لِـرِفْـدِهِ
وَمَـنْ نَظَـرَ الأَقْـوَامُ فِيْـهِ شَمَـائِـلاً ... تَـدُلُّ بِعُظْـمِ القَـدْرِ مِـنْ وَقْـتِ مَهْـدِهِ
وَمَـنْ هَمُّـهُ كَسْـبُ المَحَـامِـدِ وَالعُـلاَ ... تُـرَاثـاً وَكَسْبـاً عَـنْ أَبِيْـهِ وَجَـدِّهِ

وَمَــنْ طَــالَ أَرْبَــابَ المَعَــاقِــلِ همَّــةً ... وَطَــالَ النُّجُــومَ الــزَّاهِــرَاتِ بِمَجْــدِه
إِذَا مَــا اكْتَنَــى فِــيْ مَــأْزِقٍ مُتَضَــايِــقٍ ... تَثَعْلَــبَ أَهْــلُ الحَــرْبِ مِــنْ عُظْــمِ شَــدِّه
وَإِنْ جَــالَ فَــالآجَــالُ طَــوْعُ مُــرَادِه ... وَإِنْ صَــالَ فَــالأَبطَــالُ صَــرْعَــى لَحَــدِّه
حَبَــا مُــذْ حَبَــأَ وَاحْتَــلَّ نَــاصِيَــةَ العُــلاَ ... وَأَنْطَــقَ جَــدْوَاهُ الأَنَــامَ بِحَمْــدِه
. . . . . . رَأَى مِنْــهُ الإِمَــامُ مُهَــذَّبــاً ... وَفِيّــاً مُحِبّــاً خَــالِصــاً عِنْــدَ نَقْــدِه
يَطُــوْلُ المُلُــوكَ نَــائِــلاً وَفَضَــائِــلاً ... وَحِلْمــاً وَفَهْمــاً يَسْتَضِــيءُ بِــوَقْــدِه
تَهَــنَّ بِسَعْــدِ العِيْــدِ وَابْــقَ مُــؤَيَّــداً ... بِنَصْــرِ يَــدِيْــنُ العَــالَمِيْــنَ بِجِــدِّه
مَــدَى الــدَّهْــرِ مَــا نَــاحَ الحَمَــامُ وَمَــا رَسَــا ... شَمَــامٌ وَمَــا سَــارَ الغَمَــامُ بِــرَعْــدِه(١)

/ ١٧٦ب/ وقال من قصيدة: [من البسيط]

ظَبْــيٌ مِــنَ الأُنْــسِ يَهْــوَانِــيْ وَأَهْــوَاهُ ... يَشُــوْقُنِــيْ مِنْــهُ رُؤْيَــاهُ وَرَيَّــاهُ
إِذَا بَــدَا سَجَــدَ الحُسْــنُ العَمِيْــمُ لَــهُ ... ودانَــهُ الخَلْــقُ مَــنْ رَاهُ وَمَــا رَاهُ
مُــوَرَّدُ الخَــدِّ لَــدْنُ القَــدِّ قَــدْ طُبِعَــتْ ... عَلَــى سَقَــامٍ فَتَــى عَــانَــاهُ عَيْنَــاهُ
مَــا سَــلَّ سَيْــفَ لِحَــاظٍ يَــوْمَ مَعْــرَكَــةٍ ... إِلاَّ وَجَــدَّلَ فِــيْ مَلْقَــاهُ مُلْقَــاهُ
وَلاَ بَــدَا لِلْــوَرَى يَخْتَــالُ فِــيْ حُلَــلٍ ... إِلاَّ وَأَصْمَــى بِمَغْــزَاه ومَعْــزاه
فَجَمَّــعَ الحُسْــنُ فِيْــهِ كُــلَّ مُفْتَــرَقٍ ... مِــنَ الصِّفَــاتِ فَــأَصْفَــاهُ وَاصفَــاهُ
يُقِــلُّ لَيْــلاً عَلَــى صُبْــحٍ عَلَــى غُصُــنٍ ... عَلَــى كَثِيْــبِ نَقــاً لَــوْ تَــاهَ وَاتَــاهُ
لَــوْ مَــرَّ يَــوْمــاً عَلَــى مَيْــتٍ لَــهُ سَنَــةٌ ... فِــيْ القَبْــرِ مُلْقًّــى وَحَيَّــاهُ لأَحْيَــاهُ
لاَمَ العَــوَاذِلُ لِــيْ فِيْــهِ وَلَــوْ عَلِمُــوا ... مَــاذَا أَزَانَ اللَّمَــا فِيْــهِ لَمَــا فَــاهُــوا
يَــزُوْرُنِــيْ وَهْــوَ مَــزْوَرٌّ عَلَــى عَجَــلٍ ... خَــوْفَ الــرَّقِيْــبِ وَأَغْشَــاهُ وَأَخْشَــاهُ
وَيَنْثَنِــيْ وَغَــرَامِــيْ فِيْــهِ مُسْتَعِــرٌ ... خَــوْفــاً عَلَيْــهِ لَمَــا أَهْــوَاهُ أَهْــوَاهُ
يَــأْتِــيْ إِلَــيَّ عَلَــى بُعْــدِ المَــزَارِ فَيَــا ... للهِ مَــا طِيْــبُ مَسْــرَاهُ وَأَسْــرَاهُ!
لَــوْ لاَحَ لِلْبَــدْرِ فِــيْ تَــمٍّ لأَخْجَلَــهُ ... أَوْ مَــرَّ بِــالصَّخْــرِ خَــدَّاهُ لَخَــدَّاهُ
يَفْتَــرُّ عَــنْ بَــرَدٍ عَــذْبٍ مَــرَاشِفُــهُ ... لَــوْ يَسْتَطِيْــعُ مُحَــلاَّهُ لَحَــلاَّهُ
/ ١٧٧أ/ أَهْــوَى هَــوَاهُ وَيَهْــوَى مَــا هَــوَيْتُ وَمَــنْ ... أُصْفِيْــهِ وُدِّيْ وَمَــنْ أَرْعَــاهُ أَرْعَــاهُ

---

(١) شمام: جبل.

[٣٩٣]
عليُّ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عليٍّ، أبُو الحسنِ النَّيْرِيزيُّ[١].

بكسر النون وتسكين الياء المعجمة باثنتين من تحتها، وبعدها راء مهملة ثم ياء معجمة باثنتين من تحتها، وبعدها زاي معجمة. قرية من أعمال شيراز[٢]؛ كان أبو الحسن يتولىٰ خطابتها.

وكان عالمًا فاضلاً فقيهًا محدِّثًا شاعراً؛ له خطب وأشعار، وتصنيف في كتاب الله تعالىٰ؛ روىٰ عن أبي المبارك عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الشيرازي الآدمي، كتب عنه أبو عبد الله محمد بن سعيد بن الدُّبيثي، وأبو الحسن محمد بن أحمد القطيعي ببغداد

وكانت ولادته في سنة ثمان عشرة وخمسمائة بتبريز، ونشأ بشيراز؛ وتوفي سنة اثنتين وستمائة.

أنشدني أبو عبد الله محمد بن سعيد الدُّبيثي؛ قال: أنشدني أبو الحسن لنفسه:

[من الطويل]

تَقَوَّسْتُ مِنْ سَهْمٍ رَمَانِيْ بِهِ السِّحْرُ ... وَصِرْتُ هِلالاً فِيْ فِرَاقِكَ يَا بَدْرُ

جَلا وَجْهُكَ الوَضَّاحُ لَيْلَةَ وَصْلِهِ ... وَسَوَّدَ لَيْلِيْ مِثْلَ طُرَّتِكَ الهَجْرُ

/ ١٧٧ب/ وأنشدني؛ قال: أنشدني أيضًا من شعره[٣]: [من الطويل]

أَلَمَّ بِنَا طَيْفٌ يَجِلُّ عَنِ الوَصْفِ ... وَفِيْ طَرْفِهِ خَمْرٌ وَخَمْرٌ عَلَىٰ الكَفِّ

فَأَسْكَرَ أَصْحَابِيْ بِخَمْرَةِ كَفِّهِ ... وَأَسْكَرَنِيْ وَاللهِ مِنْ خَمْرَةِ الطَّرْفِ

وقال أبو الحسن القطيعي؛ أنشدني علي بن محمد النيريزي: [من الرمل]

دَخَلَ البُسْتَانَ يَوْمًا يَلْعَبُ ... وَحَشَاهُ لِلْطَوَى يَلْتَهِبُ

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٢/ ٨٨. المشتبه ص٦٨. تبصير المنتبه ص٢٠٦. طبقات المفسرين للداودي ١/ ٤٣٢.

(٢) انظر: معجم البلدان/ مادة (نَيْرِيز).

(٣) البيتان في الوافي ٢٢/ ٨٨.

قَـالَ: لَمَّـا نِيْـلَ [مِـنْ] مَعْـرُوْشِـه حَـامِـضٌ وَاللهِ هَـذَا العِنَـبُ

[٣٩٤]

عليُّ بنُ مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن المختار بن عمرَ بن المسلم بن محمد بن مُحَمَّد بن عبد الله بن عليٍّ بن عبيد الله بن عليٍّ بن عبيدَ الله بنَ الحسين بنَ عليِّ بنِ الحسينِ بن عليِّ بنِ أبي طالبٍ، أبو الحسنِ الكوفيُّ(١).

النقيبُ بالكوفة. كان من أشراف عترته، وسادات أسرته، أدبًا ورئاسة، حاسبًا كاتبًا، مترسلاً شاعراً، حسنَ النظم، رقيق الشعر.

أنشدني أبو عبد الله الحسين بن علي بن يوسف النيلي؛ قال: أنشدني النقيب /١٧٨أ/ أبو الحسن علي بن محمد بن محمد لنفسه من قصيدة أوّلُها: [من الرجز]

عَـاتَبْتِنـي ظَـالِمَـةً يَـا عُتْـبُ مُـذْنِبَـةً وَقُلْـت مِنْـكَ الـذَّنْـبُ
وَجُـرْتِ فـي الحُكْـمِ وَلَمَّـا تُنْصِفـي إِذْ هُـوَ فِيْـكِ مُسْتَهَـامٌ صَـبُّ
سَلـي نُجُـوْمَ اللَّيْـلِ هَـلْ زَارَ الكَـرَىٰ طَـرْفـي تُخَبِّـرْكِ النُّجُـوْمُ الشُّهْـبُ
أَوْ لاَمَـسَ المَضْجَـعَ لـي بَعْـدُكُـمُ لَمَّـا اجْتَنَيْـتِ وَهَجَـرتِ جَنْـبُ
يَلُـومنـي العَـاذِلُ فِيكُـمْ ضَلَّـةً مِنْكُـمْ وَنِيْـرَانُ الهَـوَىٰ تَشُـبُّ
قَلْبُـكَ مُـرْهُ بِـالسُّلُـوِّ عَنْهُـمُ وَقُلْـتُ هَيْهَـاتَ فَـأَيْـنَ القَلْـبُ؟
لاَ وَالَّـذي حَجَّـتْ قُـرَيْـشٌ بَيْتَـهُ قَصْـداً وَمَـا ضَـمَّ الصَّفَـا والشِّعْـبُ
وَالمُسْتَجِيْـرِ قَبْـرُهُ بِطَيْبَـةَ أَكْـرَمُ مَـنْ أَمَّ ذُرَاهُ الـرَّكْـبُ
وَمُـرْ بِـأَكْنَـافِ الغَـرِيِّ إِنَّـهُ سِلْـمُ الهُـدَىٰ ..... حَـرْبُ
مَـا خَطَـرَ السُّلْـوَانُ لـي بِخَـاطِـرٍ أَنَّـىٰ وَقَلْبـي لِلغَـرَامِ نَهْـبُ
وَلاَ جَـرَىٰ رِيْـحُ الصَّبَـا بِـذِكْـرِكُـمْ إِلاَّ صَبَـوْتُ وَاسْتَطَـارَ اللُّـبُّ
مَـنْ لـي بِـأَنْ يَعْقُـبَ بَعْـدَ هَجْـرِكُـمْ وَصْـلٌ وَمِـنْ بَعْـدِ البِعَـادِ القُـرْبُ
أَوْ تُصْفِـرَ الـدَّارُ الشَّطُـوْنُ بِكُـمُ وَيَنْقَضـي يَـا عُتْـبُ ذَاكَ العَتْـبُ

---

(١) في هامش الأصل: «وذكر السيد شهاب الدين حسن بن علي الموصلي بمصر ان المذكور خاله، وأنه توفي سنة سبع وثلاثين وستمائة».

/١٧٨ب/ أُحبُّكُمْ قَلْبِي فَمَا جَزَيْتُمُ غَيْرَ القِلَى وَالبُغْضِ مَنْ يُحِبُّ

[٣٩٥]

عليُّ بنُ منصُورِ بنِ عليِّ بنِ عبدِ اللهِ بنِ رطلبن، أبو الحَسَنِ الصَّرَوِيُّ.

من الصَّرَوَات، قرية من أعمال الحلّة[١]؛ وكان واسطي المولد والمنشأ. نزل مدينة السلام، وتفقّه للشافعي بالمدرسة النظامية، وصار فيه فيها الخُبُز والمشاهرة.

وكان له معرفة بالأدب، وصناعة الشعر؛ وكان شاعراً فاضلاً، لقيته ببغداد سنة ثلاث وعشرين وستمائة، ووعدني أنْ يكتب شيئًا من شعره، فعاقت دون ذلك عوائق، وما عُدت رأيته.

ومن شعره يمدح القاضي تاج الدين أبا زكريا يحيىٰ بن القاسم التكريتي:

[من الكامل]

لِبَقَاءِ تَاجِ الدِّينِ يَحْيَىٰ ذِي الحِجَىٰ لِذَوِي السِّيَادَةِ مِنْ خِيَارِ المُرْتَجَىٰ
اَلصَّالِحِ بنِ القَاسِمِ بنِ مُفَرِّجٍ نَسَباً يَرُدُّ اللَّيْلَ صُبْحاً مَا دَجَا
مَنْ بَاتَ يَرْضَعُ ثَدْيَ كُلِّ فَضِيلَةٍ حَتَّىٰ اغْتَدَىٰ مُتَحَرِّياً مُتَحَرِّجَا
لِذَوِي التَّهَانِي التَّهْنِيَاتُ هِدَايَةٌ مَا دَامَ جَيْشُ الصُّبْحِ يَطْرُدُهُ الدُّجَىٰ
/١٧٩أ/ طِبٌّ إِذَا مَا الأَمْرُ أُبْهِمَ وَجْهُهُ أَبْدَىٰ لَهُ فِي الشَّرْعِ وَجْهاً أَبْلَجَا
وَإِذَا رَأَىٰ العُلَمَاءَ يُحْجَرُ بَيْنَهُمْ حَجْرٌ وَبَيْنَ الحَقِّ يَأْبَىٰ مُرْتَجَىٰ
رَأَتِ الَّذِي آبَاؤُهُ أَقْوَالُهُمْ وَنَجَا بِهِ مِنْ كُلِّ هَمٍّ مَا نَجَا
وَلِكُلِّ مَا الْفُوهُ أَفْضَلُهُمْ تُقَىً وَأَجَلُّهُمْ قَدْراً وَأَوْضَحُ مَنْهَجَا
وَجَدَ المُجَاهِدَ فِي الهِدَايَةِ مَدْخَلاً حَسَناً بِهِ وَمِنَ الضَّلَالَةِ مَخْرَجَا
رَدَّ الزَّمَانَ صَبِيحَ فَرْحَةَ مشرق وَلَطَالَمَا أَضْحَىٰ بِوَجْهٍ أَسْمَجَا
مَا قَامَ مُجْتَهِداً يُرِيدُ جِدَالَهُ إِلَّا انْثَنَىٰ عَمَّا اسْتَخَارَ مُعَرِّجَا
إِنْ سَابَقُوهُ إِلَىٰ ابْتِدَارِ فَضِيلَةٍ يَوْماً أَقَامُوا صَامِتِينَ وَأَدْلَجَا

---

(١) انظر: معجم البلدان/ مادة (الصَّروات).

أَوْ بَاهَلُوهُ تَقَاعَسُوا وَسَمَا بِهِمْ ... حُكْمٌ إِذَا مَا ضَاقَ أَمْرٌ فُرِّجَا
حَبْرٌ إِذَا اجْتَهَدُوا وَشَادُوا مَنْزِلاً ... فِي الأَرْضِ شَادَ عَلَى المَجَرَّةِ أَبْرُجَا
وَإِذَا تَضَايَقَتِ الأُمُورُ عَلَيْهِمُ ... جَعَلُوهُ مِنْ بَعْدِ الإِلَهِ المُلْتَجَا
مَا جَالَ فِي مَيْدَانِ حَرْبِ حُكُومَةٍ ... إِلاَّ وَحَلَّ حِزَامَ مَنْ قَدْ أَسْرَجَا
لاَ تَطَّبِيهِ كَمَا أَطَّبَى مَنْ قَبْلَهُ ... حَسَنٌ تَخَتَّمَ أَوْ تَلَبَّسَ دُمْلُجَا
أَيَرُومُ سَبْقَ أَقَبَّ أَجْرَدَ سَابِحٍ ... مَنْ كَانَ يَسْبِقُهُ المُعَبَّدُ أَعْرَجَا
هَيْهَاتَ يُدْرِكُ شَأْوَ مُنْتَعِلِ الشَّوَى ... فِي حَلْبَةٍ خَطْمُ القَوَائِمِ ذُو وَجَى(١)
/١٧٩ب/ ثَانٍ ثَنَى فِي كُلِّ أَرْضٍ مَصْنَعًا ... لِلْوَافِدِينَ وَكُلِّ شِعْبٍ دَوْلَجَا
حَتَّى حَبَانَا بِالجَمِيلِ وَخَصَّنَا ... بِضِيَاءِ دِينِ اللهِ مُعْتَمَدِ الرَّجَا
لاَ زَالَ فِي ظِلِّ الخِلاَفَةِ مَا حَدَا ... حَادٍ وَمَا اتَّخَذَ الظَّعَائِنُ هَوْدَجَا

أنشدني أبو طالب علي بن أنجب بن عثمان بن عبد الله البغدادي، بمدينة السلام سنة تسع وثلاثين وستمائة؛ قال: أنشدني أبو الحسن لنفسه، يمدح المستنصر بالله ـ رحمه الله ـ:

[من مجزوء الكامل]

هَبَّتْ إِلَيْكَ مَعَ الرَّوَاحِ ... كَهُبُوبِ أَنْفَاسِ الرِّيَاحِ
بَدَرَتْ فَأَشْرَقَ فِي الدُّجَى ... مِنْ وَجْهِهَا فَلَقُ الصَّبَاحِ
هَزَّتْ مَعَاطِفَ قَدِّهَا ... مِنْ عُجْبِهَا هَزَّ الرِّمَاحِ
فَبَدَا لَنَا مِنْ نَشْرِهَا ... نَفَحَاتُ كَافُورٍ رِيَاحِي
حَسْنَاءُ فِي حَرَكَاتِهَا ... بُرْءٌ لِمُخْتَلِفِ الجِرَاحِ
نَشَأَتْ عَلَى لُطْفِ الخَلاَعَةِ وَالدُّعَابَةِ وَالمُزَاحِ
وَأَلَذُّ مِنْ حَدَقِ الرِّيَاضِ عَلَى غَدِيرٍ فِي بَرَاحِ
خَطَرَتْ بِأَرْجَاءِ القَرَاحِ فَعَطَّرَتْ كُلَّ القَرَاحِ(٢)
/١٨٠أ/ وَسَرَتْ بِعَنْبَرِهَا النَّسِيمُ فَفَاحَ فِي كُلِّ النَّوَاحِي
عُمَّالُهُ لاَ تَرْتَضِي ... غَيْرَ المُحَلَّلِ وَالمُبَاحِ

---

(١) وجى: حفا.
(٢) القراح: الأرض التي لا ماء فيها ولا شجر.

تَهْوَىٰ الأَمِيرِيَّ الصَّحِيحَ وَلاَ تَمِيلُ إِلَىٰ الصَّلاَحِي
وَمَحَبَّةُ المُسْتَنْصَرِيِّ فَمَا عَلَيْهَا مِنْ جُنَاحِ
ظَهَرَتْ إِلَىٰ عَيْنِ الرَّقِيبِ وَهَوَّنَتْ قَوْلَ اللَّوَاحِي
وَأَتَتْ وَقَدْ عَلِمَتْ بِأَنِّي مِنْ هَوَاهَا غَيْرُ صَاحِي
عَلِقَتْ بِمَا ظَفِرَتْ يَدِي وَظَفِرْتُ مِنْهَا بِالنَّجَاحِ
قَدْ طَابَ فِي حُبِّي لَهَا هَتْكِي وَهَانَ بِهَا افْتِضَاحِي
عَلِقَ الفُؤَادُ بِهَا فَمَا لِهَوَىٰ فُؤَادِي مِنْ بَرَاحِ
وَهَوَىٰ تَمَكَّنَ فِي الفُؤَادِ فَمَا المَلاَمُ لَهُ بِمَاحِي
جُمِعَ الجَمَالُ لَهَا وَفُرِّقَ مِنْهُ فِي كُلِّ المِلاَحِ
جَمْعَ الخَلِيفَةِ كُلَّ مَا فِي العَالَمِيْنَ مِنَ السَّمَاحِ
مَلِكٌ يَحُثُّ عَلَىٰ المَكَارِمِ بِابْتِسَامٍ وَانْشِرَاحِ
وَيَجُدُّ فِي نَفْعِ الرَّعِيَّةِ فِي المَسَاءِ وَفِي الصَّبَاحِ
قَسَمًا بِهِمَّتِهِ الَّتِي أَمْضَىٰ مِنَ البِيْضِ الصِّفَاحِ
/ ١٨٠ب/ إِنَّ الإِمَامَ طِبَاعُهُ خُلِقَتْ مِنَ الكَرَمِ الصُّرَاحِ
أَعْدَىٰ الشِّحَاحَ نَوَالُهُ فَتَسَمَّحَتْ أَيْدِي الشِّحَاحِ
مَوْلًىٰ يُسَرُّ إِذَا رَأَىٰ أَنَّ الرَّعِيَّةَ فِي صَلاَحِ
وَتَلُوحُ بُشْرَاهُ إِذَا مَا قِيلَ حَيَّ عَلَىٰ الفَلاَحِ
وَإِذَا بَدَتْ عَزَمَاتُهُ فِي جَحْفَلٍ يَوْمَ الكِفَاحِ
أَغْنَىٰ الجُيُوشَ بِرَأْيِهِ فِي الحَرْبِ عَنْ حَمْلِ السِّلاَحِ
فَلْيَسْلَمَنَّ خَلِيفَةً فِي طِيبِ عَيْشٍ وَارْتِيَاحِ
فَسَلاَمَةُ المَنْصُورِ غَايَةُ الاخْتِيَارِ وَالاقْتِرَاحِ
لاَ زَالَ طَائِرُ نَصْرِهِ بِالسَّعْدِ مُتَّصِلَ الجَنَاحِ
تَجْرِي بِطَاعَتِهِ الأُمُورُ مَجَارِيَ القَدَرِ المُتَاحِ
مَا زَيَّنَ اللهُ الوَرَىٰ بِالأَوْجُهِ البِيْضِ الصِّبَاحِ

[٣٩٦]
عليُّ بنُ أحمدَ بنِ سعيد، أبو الحسنِ المقرىءُ، المعروفُ بابنِ الدَّبَّاسِ الواسطيُّ[١].

قدم بغداد في سنة ثلاث وستمائة؛ وروىٰ بها عن جماعة. وكان / ١٨١أ/ قد قرأ القرآن، وسمع الحديث من عبد الوهاب بن لخفان بن الصابوني، وأبي الكرم المبارك ابن الشَّهرزوري، وعلي بن محمويه اليزدي؛ وبهمذان من أبي زرعة والحافظ أبي العلاء؛ وبواسط من أبي الفتح المبارك بن أحمد بن زُريق الحداد، وابي بكر أحمد بن محمد بن عمر القطيعي؛ وقال: لمّا قدم هذا الشيخ كان إمامًا بمسجد الخليفة بسوق العجم مقابل سوق العميد؛ إلى أن توفي سنة سبع عشرة وستمائة.

وقال: أنشدني لنفسه: [من الكامل]

لَهْفِي عَلَىٰ عُمُرِيْ لَقَدْ أَفْنَيْتُهُ ... فِيْ كُلِّ مَا أَرْضَىٰ وَيُسْخِطُ مَالِكِيْ
وَيْلِي إذَا عَنَتِ الوُجُوهُ لِرَبِّهَا ... وَدُعِيتُ مَظْلُومًا بِوَجْهِ حَالِكِ
وَرَقِيبُ أَعْمَالِي يُنَادِيْ شَامِتًا ... يَا عَبْدَ سُوْءٍ أَنْتَ أَوَّلُ هَالِكِ
لَمْ يَبْقَ مِنْ بَعْدِ الغَوَايَةِ مَنْزِلٌ ... إلاَّ الجَحِيمُ وَسُوءُ صُحْبَةِ مَالِكِ

[٣٩٧]
عليُّ بنُ رشيد بنِ أحمدَ بنِ مُحَمَّد، أبُو الحسنِ الحَرْبويُّ المعدّلُ الحنبليُّ[٢].

قدم من حَرُبا[٣] إلىٰ مدينة السلام سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة، وتولىٰ وكالة

---

(١) ترجمته في: المختصر المحتاج إليه/ الورقة ٩٤. تأريخ ابن الدبيثي/ الورقة ٢١٤ ـ ٢١٥ (باريس ٥٩٢٢). تاريخ ابن النجار/ الورقة ١٥٨ (الظاهرية). المستفاد للدمياطي/ الورقة ٥٢. التكملة لوفيات النقلة ٢/ ٢٠٩ رقم ١١٦٠. معرفة القراء الكبار/ الورقة ١٨٦.

(٢) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢١/ ١٠٦. المختصر المحتاج إليه ٣/ ١٢٥ رقم ١٠٠٤. التكملة للمنذري ٢/ ١٦٣ رقم ١٠٧٤. الجامع المختصر لابن الساعي ٩/ ٢٨١ ـ ٢٨٢. ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ٢/ ٤٧ ـ ٤٨ رقم ٢٢٥. شذرات الذهب ٥/ ١٧. مجمع الآداب ٤/ ٤٦٦ رقم ٤٢٣٤. تاريخ الإسلام (السنوات ٦٠١ ـ ٦١٠) ص ١٨٢ رقم ٢٥٢.

(٣) حَرُبَى: هكذا ضبطها ياقوت، وهي بليدة في أعلى دُجَيل، بين بغداد وتكريت. انظر: معجم=

الخدمة / ١٨١ب/ الشريفة، وسمع الحديث من نصر بن نصر العكبري.

واشتغل بالفقه علىٰ القاضي أبي بن الفرّاء، وبعده علىٰ أحمد بن بكروس، وشهد عند القاضي أحمد بن علي الدامغاني في سنة إحدىٰ وسبعين وخمسمائة. وجمع كتابًا يشمل علىٰ الوكالة وشروطها، وتولّىٰ استيفاء الجزية بغير إشراف عليه.

ثم تقدّم فصار وكيلاً للخليفة؛ وتوفي يوم السبت ثامن عشر شوال سنة خمس وستمائة.

قال أبو الحسن القطيعي: أنشدني أبو الحسن لنفسه يمدح أمير المؤمنين ـ رضي الله عنه ـ [من الطويل]

إمَامٌ يَجِلُّ المَدْحُ عَنْ وَصْفِ مَجْدِه ... وَيَقْصُرُ بَاعُ الحلو عَنْ طُوْلِ حَدِّه
لَهُ طَالِعٌ بالسَّعْدِ لَيْسَ كَسَعْدِه ... نَظِيْرٌ وَلاَ جَدٌّ لشَّخْصٍ كَجَدِّه
تَرَاهُ كَغَيْثِ السُّحْبِ يَنْهَلُّ مُزْنُهَا ... بفَيْضٍ عَلَىٰ كُلِّ البَرَايَا بِرِفْدِه
وَلَوْ جُمِعَ الأَمْلاَكُ مِنْ لَدُنْ آدَمٍ ... إلَىٰ وَقتِنَا هَذَا لَدَانُوا بمَجْدِه
فَلاَ زَالَتِ الأَيَّامُ طَوْعَ قِيَادِه ... وَلاَ زَالَتِ الأَقْدَارُ تَجْرِيْ بِسَعْدِه

[٣٩٨]

عليُّ بنُ عليِّ بنِ رُوزْبَهانَ / ١٨٢أ/ بنِ الحسنِ بنِ باكير، أبُو المظفرِ الفارسيُّ الأصلِ، البغداديُّ المولِدِ والمنشأ[١].

روى عن أبي القاسم إسماعيل بن أحمد السمرقندي؛ كتب عنه أبو الحسن القطيعي؛ وقال: سألتُ ابن باكيرا، لمَ سميت بالفارسي؟ فقال: أنا وأبي ولدنا ببغداد وزرت الملك سليمان السلجوقي، حيثُ كان تحت ظلّ الخدمة لأمير المؤمنين. وإنَّما

= البلدان/ مادة (حربى).

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢١/ ٣٣٢ وفيه: «علي بن علي بن روزبهار بن باكير». المختصر المحتاج إليه ٣/ ١٣٠ ـ ١٣١ رقم ١٠٢٠. التكملة للمنذري ٢/ ٧٥ ـ ٧٦ رقم ٩٠٨ وفيه: «وفاته في السادس أو السابع من ذي الحجة سنة إحدى وستمائة». الجامع المختصر لابن الساعي ٩/ ١٦٠ ـ ١٦١. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٠١ ـ ٦١٠) ص٦٦ رقم ٣٩. تاريخ ابن الدبيثي/ الورقة ١٤٨ (كمبردج).

جدِّي رُوزَبهان فارسي.

وسألتُهُ عن ولادته؛ فقال: ولدت سنة خمس عشرة وخمسمائة، وكانت وفاته بطريق مكّة في سنة إحدى وستمائة؛ قال: وأنشدني أبو المظفر علي بن باكيرا:

[من الطويل]

قَنعْتُ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا لا أَوَدُّهُ ... وَأَلْزَمْتُ نَفْسِي خُطَّةَ الضَّيْمِ وَالضَّعْفِ

وَجَرَّعْتُهَا هِجْرَانَ كُلِّ لَذِيذَةٍ ... إِلَىٰ أَنْ غَدَتْ تَنْقَادُ طَوْعًا إِلَى الحَتْفِ

وَمَا ذَاكَ إِلاَّ أَنَّ حَظِّيْ مُذَمَّمٌ ... فَمَا لِي مِنَ الدُّنْيَا سِوَىٰ الهُوْنِ والعَسْفِ

فَبِالنَّرْدِ إِنْ جَاذَبْتُ دَسْتِي مُشَذَّرٌ ... وَإِنْ خِفْتُ بِالشِّطْرَنْجِ شَاهِي عَلَىٰ ضَعْفِ[1]

تُرَىٰ يَنْقَضِي هَذَا الشَّقَاءُ فَأَغْتَدِيْ ... إِلَىٰ رَاحَةٍ أَوْ تَسْتَمِرُّ إِلَىٰ الحَتْفِ

[٣٩٩]

عليُّ بنُ مُحَمَّد بن إبراهيمَ / ١٨٢ب/ بن أبي نصرِ بن المباركِ بنِ غنّاجٍ، أَبُوَ الحسنِ الواسطيُّ مولداً ومَنشأً.

وأصلهُ من خسر سأبور، وكان حافظًا للقرآن الكريم، وأخذ طرفًا من علم العربيّة، وله شعر صالح، وكان يتشيع، ويميل إلىٰ المرد الملاح، ويَشْغَفُ[2] بحبِّهم، ولم يُرَ منه ريبة، مع غفلةٍ كانت فيه وبَلَه.

أنشدني أبو الفضائل جعفر بن محمد الواسطي؛ قال: أنشدني علي ابن غناج لنفسه في غلام مغن يلقب اللطيف بن جعفر، سافر إلىٰ بغداد من واسط ولم يُودّعه، ثم جاءه بعد ذلك منه كتابٌ[3]: [من الطويل]

عَلاَمَ أُخَفِّي مَا أُلاَقِي مِنَ الوَجْدِ ... وَأَكْتُمُهُ وَالدَّمْعُ مِنْ مُقْلَتِي يُبْدِي

فَيَا سَاكِنِي الزَّوْرَاءِ رِفْقًا بِمُدْنَفٍ ... رَمَتْ شَمْلَهُ أَيْدِيْ التَّفَرُّقِ بِالبُعْدِ

سَبَىٰ قَلْبَهُ فِيكُمْ غَزَالٌ بِبَهْجَةٍ ... كَبَدْرِ الدُّجَىٰ يَسْمُو عَنِ الوَصْفِ وَالْحَدِّ

لَهُ مَبْسِمٌ كَالأُقْحُوَانِ وَرِيقُهُ ... أَلَذُّ مِنَ الخَمْرِ المُعَتَّقِ وَالشَّهْدِ

---

(١) مشذر: نشيط.

(٢) شعف وشغف: أحَب.

(٣) في تأريخ إربل ١/ ٣٨٩ خمسة أبيات منها.

سَرَىٰ طَيْفُهُ وَهْناً فَأَضْحَتْ بِنَشْرِهِ ... رِيَاضُ النَّقَا أَذْكَىٰ مِنَ البَانِ وَالرَّنْدِ
وَحَقِّ هَوَاهُ لا سَلَوْتُ وِدَادَهُ ... وَلا حُبَّهُ حَتَّىٰ أُوَسَّدَ فِي لَحْدِي
وَإِنْ كَانَ قَدْ أَبْدَىٰ المَلاَلَ وَحَالَ عَنْ ... عُهُودِ الهَوَىٰ إِنِّي مُقِيمٌ عَلَىٰ العَهْدِ
/ ١٨٣أ/ أَحِنُّ إِلَىٰ لُقْيَاهُ وَجْداً بِحُبِّهِ ... وَإِنْ كَانَ لا يُغْنِي حَنِيْنِي وَلاَ وَجْدِي
وَأُكْرِهُ دَاراً قَدْ خَلَتْ مِنْ جَمَالِهِ ... وَلَوْ خُلِيَتْ لِي بَعْدَهُ جَنَّةُ الخُلْدِ
فَيَا أَيُّهَا الرَّكْبُ العِرَاقِيُّ بَلِّغُوا ... سَلاَمِي حُيِيْتُمْ بِالتَّحِيَّةِ وَالرُّشْدِ
إِلَىٰ مُنْيَةِ القَلْبِ اللَّطِيْفِ ابْنِ جَعْفَرٍ ... وَقُولُوا لَهُ مِنْ لَوْعَةِ القَلْبِ مَا عِنْدِي
وَقُولُوا لَهُ: إِنِّي قَرَأْتُ كِتَابَهُ ... وَقَابَلْتُهُ بِالشُّكْرِ للهِ وَالحَمْدِ
وَقَبَّلْتُهُ أَلْفاً فَفَاضَتْ مَدَامِعِي ... فَأَنْشَدْتُ قَوْلَ الشَّاعِرِ الفَطِنِ الجَلْدِ:
(شَمَمْتُ بِنَجْدٍ شِيْحَةً حَاجِرِيَّةً ... فَأَمْطَرْتُهَا دَمْعِي وَأَفْرَشْتُهَا خَدِّيْ)

وأنشدني أيضًا، قال: أنشدني أبو الحسن لنفسه من قصيدة مبدؤها:

[من الطويل]

أَيَا سَاكِنِي دَارِ السَّلاَمِ سَلِمْتُمُ ... أَجِيْرُوا المُعَنَّىٰ مِنْ عُيُونِ الجَآذِرِ
وَرُدُّوا فُؤَاداً طَالَمَا ظَلَّ عِنْدَكُمْ ... أَسِيْرَ هَوىً مَا بَيْنَ وَافٍ وَغَادِرِ(١)

وأنشدني أبو منصور بن أبي عبد الله بن أبي منصور العامري؛ قال: أنشدني علي بن محمد بن غناج المقرىء الواسطي لنفسه: [من الطويل]

/ ١٨٣ب/ أَيَا سَاكِنِيْ دَارِ السَّلاَمِ سَلِمْتُمُ ... أَجِيْرُوا المُعَنَّىٰ مِنْ عُيُوْنِ الجَآذِرِ
وَرُدُّوا فُؤَاداً طَالَمَا ظَلَّ عِنْدَكُمْ ... أَسِيْرَ هَوىً مَا بَيْنَ وَافٍ وَغَادِرِ
وَمُنُّوا بِإِهْدَاءِ السَّلاَمِ تَكَرُّماً ... لِصَبٍّ عَلَىٰ هِجْرَانِكُمْ غَيْرِ صَابِرِ
سَبَىٰ قَلْبَهُ يَوْمَ النَّوَىٰ فِي رِحَالِكُمْ ... غَزَالٌ عَجِيْلٌ مِنْ قَبِيْلَةِ عَامِرِ(٢)
شَهِيُّ اللَّمَا عَذْبُ المُحَيَّا مُهَفْهَفُ القَوَامِ بِطَرْفٍ فَاتِرِ اللَّحْظِ سَاحِرِ
أَرَىٰ أَنَّ هُلْكِي فِي هَوَاهُ صِيَانَتِي ... وَلَوْ أَنَّهُ دُوْنَ البَرِيَّةِ هَاجِرِي
وَأَنَّ عَذَابِي فِي تَجَافِيهِ طَيِّبٌ ... أَيَا عَاذِلِي كُنْ فِي عِذَارَيْهِ عَاذِرِي

---

(١) البيتان في تأريخ إربل ١/ ٣٨٩.
(٢) عجيل: مسرع.

يَمِينـًا بِأَيَّـامِ السَّدِيرَةِ وَالهَوَىٰ ... وَطِيبِ لَيَالٍ بَاتَ فِيهَا مُسَامِرِي
لأَنِّي عَلَىٰ العَهْدِ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا ... وَمَا خَطَرَ السُّلْوَانُ يَوْمًا بِخَاطِرِي
وَأَنِّي عَلَىٰ مَا تَعْهَدُونَ مِنَ الوَفَا ... وَمَا رَاقَ شَيْءٌ مُذْ نَأَيْتُمْ لِنَاظِرِي
وَأَنِّي إِذَا مَا عَزَّ يَوْمًا لِقَاؤُكُمْ ... عَلَىٰ نَاظِرِي أَلْفَيْتُكُمْ فِي ضَمَائِرِي
وَأَنِّي إِذَا عَزَّ الحَيَا فِي بِلَادِكُمْ ... سَقَيْتُ رُبَىٰ العَاقُولِ فَيْضَ مَحَاجِرِي

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه: [من الخفيف]

هِيَ دَارُ الحِمَىٰ فَقِفْ يَا خَلِيلِي ... بِوُقُوفٍ فِي الرَّبْعِ يَشْفِي غَلِيلِي
/١٨٤أ/ وَأَنْشُدِ الرَّبْعَ سَاعَةً فِي المَغَانِي ... وَأَنِخْ فِي مَحَلَّةِ العَاقُولِ
فَبِهَا أَهْيَفٌ مَلِيحُ المَعَانِي ... قَدْ سَبَانِي بِغُنْجِ لَحْظٍ كَحِيلِ
مَا أُدَلْهِمَّ الظَّلَامُ إِلَّا غَنِيْنَا ... بِسَنَى وَجْهِهِ عَنِ القِنْدِيلِ
إِنْ تَثَنَّىٰ فِي الفَاضِلِيَّاتِ لَيْلًا ... صِحْتُ وَيْلَاهُ مِنْ عَنَائِي الطَّوِيلِ
أَوْ تَبَدَّىٰ تَحْتَ ..... صُبْحًا ... قُلْتُ: بَدْرُ الدُّجَىٰ بِلَا تَطْوِيلِ
يَا نَسِيمَ الصَّبَا بِحَقِّ اشْتِيَاقِي ... أَخْبِرِيهِ وَجْدِي بِهِ وَنُحُولِي
وَأَخْبِرِيهِ أَنِّي عَلَىٰ العَهْدِ بَاقٍ ... مَا تَبَدَّلْتُ فِي الهَوَىٰ بِبَدِيلِ

[٤٠٠]

عليُّ بنُ عبد الله بن عبد الرحمن بنِ زيد، المعروفُ بابنِ حريقٍ الكاتبُ، أبو الحَسَن البلَنسيُّ[(١)].

شاعر مُفْلقٌ، وأديب محقِّق، قيِّم بالشعر والأدب، عارف باللغة وأيام العرب، عالم بتفسير القرآن والقراءة، حافظ لجملة وافرة من الأخبار والحكايات.

---

(١) ترجمته في: تأريخ الإسلام (السنوات ٦٢١ ـ ٦٣٠) ص١١٩ ـ ١٢٠ رقم ١١٨، وفيه: «علي بن محمد بن أحمد بن حريق، أبو الحسن المخزومي البلنسي». إنباه الرواة ٢/ ٣١٠. صلة الصلة لابن الزبير ١٢٩. رايات المبرزين ٨٦. فوات الوفيات ٢/ ٧٠. الوافي بالوفيات ١٢/ ١٤٥. زاد المسافر ٢٢ ـ ٢٣. الذيل والتكملة على كتابي الموصول والصلة ٥/ ٢٧٥ ـ ٢٧٧ رقم ٥٥٣. سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦ رقم ١٧٣. المغرب في حلى المغرب ٢/ ٣١٨ ـ ٣٢٠. العسجد المسبوك ٢/ ٤١٥. نفح الطيب (في مواضع كثيرة). بغية الوعاة ٢/ ١٨٦. معجم المؤلفين ٧/ ١٧٩ ـ ١٨٠.

ولم يكن في زمانه أجودُ منه شعراً، ولا أحسن نظمًا ونثراً؛ مدح ملوك الأندلس، وأخذ صلاتهم، وانتشر ذكره / ١٨٤ب/ هنالك؛ وتولّىٰ التصرف في الأعمال الدّيوانية مع كتابة الإنشاء لبني عبد المؤمن، المستولين علىٰ الديار الأندلسية.

أنشدني أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أبي بكر الشاطبي الأنصاري؛ قال: أنشدني أبو الحسن علي بن محمد بن حريق لنفسه في غلام أعور؛ وأحسن فيما قال وأبدع في المعنىٰ: [من الخفيف]

لَـمْ يَعبْـكَ الَّـذيْ بعَيْنَيْـكَ عنْـديْ ... أنْـتَ أعْلَـىٰ مـنْ أنْ تُعَـأبَ وَأسْنَـىٰ
لَطَـفَ اللهُ رَدَّ سَهْمَيْـنِ سَهْمـاً ... رَأْفَـةً بـالعِبَـادِ وَازْدَدْتَ حُسْنـا

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه يهجو كاتبًا: [من الرجز]

وَكَـاتـبٍ ألْفَـاظُـهُ وكُتْبُـهُ ... بَغيْضَـةٌ إنْ خَـطَّ أوْ تكَلَّمَـا
تَـرَىٰ أُنَـاسًـا يَتَمَنُّـونَ العَمَـىٰ ... وَآخَـريْـنَ يَحْمَـدُوْنَ الصَّمَمَـا

وأنشدني أبو القاسم محمد بن محمد الشاطبي؛ قال: قرأت علىٰ أبي الحسين ابن حريق من شعره قوله[1]: [من الكامل]

يَـا وَيْـحَ مَـنْ بـالمَغْـرب الأقْصَـىٰ ثَـوَىٰ ... حَـذَرَ العِـدَا وَحَبِيْبُـهُ بـالمَشْـرِق
/ ١٨٥أ/ لوْلاَ الحذَارُ عَلَىٰ الوَرَىٰ لَمَلأتُ ... مَـا بَيْنِـيْ وَبيْنَـكَ مِـنْ زَفِيْـرٍ مُحْـرِق
وَسَكَبْـتُ دَمْعِـيْ ثُـمَّ قُلْـتُ لسَكْبِـه ... مَـنْ لَـمْ يَـذُبْ مِـنْ زَفْـرَتِـيْ فَلْيَغْـرَق
لكِـنْ خَشيْـتُ عقَـابَ ربِّـيْ أنْ أرَىٰ ... أحْـرَقْـتُ أوْ أغْـرَقْـتُ مَـنْ لَـمْ أخْلُـق

وأنشدني؛ قال: أنشدني أبو الحسن بن حريق، وكان قد خرج إلىٰ متنزه له مع من يُحبّه إلىٰ خارج؛ فجاء السيل ومنع محبوبه من العود إلىٰ البلد، فباتا جميعاً[2]:

[من مخلّع البسيط]

يَـا لَيْلَـةً جَـادَت الأمَـانـيْ ... فيْهَـا عَلَـىٰ رَغْـم أنْـف دَهْـري
تَسيْـلُ فِيْهَـا عَلَـيَّ نُعْمَـىٰ ... يَقْصُـرُ عَنْهَـا طَـوِيْـلُ شُكْـرِي

---

(١) القطعة في المغرب ٢/ ٣١٨. نفح الطيب ٢/ ٢٧٩.
(٢) الأبيات في المغرب ٢/ ٣١٩ من قطعة قوامها ٥ أبيات.

إِذْ بَـاتَ فِـيْ مَنْـزِلِـيْ حَبِيْـبِـيْ ... وَقَـامَ لِـيْ أَهْلُـهُ بِعُـذْرِيْ

وأنشدني إسماعيل بن عبد الله بن إسماعيل البياسي، بمحروسة حلب في سنة أربع وثلاثين وستمائة؛ قال: أنشدني أبو الحسن علي بن حريق البلنسي لنفسه ببيّاسة، وكان مشرفها[1]: [من الكامل]

/ ١٨٥ب/ يَا صَاحبَيَّ وَمَا البَخِيْلُ بِصَاحِبِيْ ... هَـٰذِيْ الدِّيَارُ فَأَيْنَ تِلْكَ الأَدْمُعُ

أَتَمُرُّ بِالعَرَصَاتِ لاَ تَبْكِيْ بِهَا ... وَهْيَ المَنَازِلُ مِنْهُمُ وَالأَرْبُعُ

هَيْهَاتَ لاَ رِيْحُ الصَّبَابَةِ بَعْدَهُمْ ... رَهْوٌ وَلاَ طَيْرُ التَّشَوُّقِ وُقَّعُ

حَلَفُوا عَلَىٰ قَلْبِيْ بِسِحْرِ جُفُوْنِهِمْ ... لاَ زَالَ يُتْعِبُهُ الهَوَىٰ وَيُصَدِّعُ

وَأَبَىٰ الهَوَىٰ إِلاَّ الحُلُوْلَ بِلَعْلَعٍ ... وَيْحَ المَطَايَا أَيْنَ مِنْهَا لَعْلَعُ

لَمْ أَدْرِ أَيْنَ ثَوَوا فَلَمْ أَسْأَلْ بِهِمْ ... رِيْحًا تَهُبُّ وَلاَ بَرِيقًا يَلْمَعُ

وَكَأَنَّهُمْ فِيْ كُلِّ مَدْرَجِ نَاسِمٍ ... فَعَلَيْهِ مِنْهُمْ رِقَّةٌ وَتَضَوُّعُ

وَإِذَا مَنَحْتُهُمُ السَّلاَمُ تَبَادَرَتْ ... تَبْلِيْغَهُ عَنِّيْ الرِّيَاحُ الأَرْبُعُ

[٤٠١]

عليُّ بنُ عبد الله [بن] وَرْيَاشُ بنُ المبارك بنِ يُوسُفَ بنِ مُوسَىٰ بنِ يزكوكَ، أبو الحسنِ الوَهْرَانيُّ الأنصَارِيُّ.

نزيلُ دمشقَ، الخطيبُ الصالحُ الفاضلُ.

كانت ولادته بوَهْرَان[2]، في رجب سنة سبع وثلاثين وخمسمائة، وتوفي ـ رحمه الله ـ يوم الأربعاء سادس عشري ذي القعدة سنة خمس عشرة / ١٨٦أ/ وستمائة، بداريا من أعمال دمشق ـ كان خطيبها ـ.

وكان قد أعطاه الله العلم الوافر، والعمل الصالح، له تصنيف وأشعار، كان يقولها، وفضله علىٰ كثير من أبناء زمانه؛ وكان تقيًا في نفسه ذا ورع وخير، سديد

(١) بعض أبياتها في تأريخ الإسلام ص١٢٠.

(٢) وهران: مدينة على البر الأعظم من المغرب، بينها وبين تلمسان سُرَى ليلة، وهي مدينة صغيرة على ضفة البحر. انظر: معجم البلدان/ مادة (وهران).

الطريقة، جميل الأمر.

خرج عن بلاد المغرب، ونزل الشام، وتولّىٰ خطابة داريا، وأوطنها، إلىٰ أن توفي بها؛ وصنف تفسيراً لكتاب الله تعالىٰ أجاد في تصنيفه وأحسن.

أنشدني نجيب الدين أبو الفتح نصر الله بن أبي العزّ بن أبي طالب الصفار الشيباني الدمشقي بها في أوائل سنة أربعين وستمائة؛ قال: أنشدني الشيخ الجليل الصالح أبو الحسن علي بن عبد الله وَرْياش بن المبارك الوهراني لنفسه في الوحدة: [من البسيط]

أَصْبَحْتُ وَالحَمْدُ لِلْرَحْمٰنِ مُنْفَرِداً ... عَنْ كُلِّ وَغْدٍ مِنَ الأَقْوَامِ شَتَّامِ
مَا لِي أَنِيسٌ سِوَىٰ أَنِّيْ امْرُؤٌ عَكَفَتْ ... نَفْسِي عَلَىٰ الكُتْبِ أَيَّامِيْ وَأَعْوَامِيْ
أُوْحِي إِلَيْهَا بِطَرْفِيْ وَهْيَ تُخْبِرُنِيْ ... عَنْ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ سَامٍ وَمِنْ حَامِ

وأنشدني؛ قال: أنشدني لنفسه: [من الوافر]

أَمَا فِيْ ذَا الزَّمَانِ أَخٌ شَفِيْقُ ... كَثِيْرٌ فَضْلُهُ غَمْرٌ طَلِيْقُ(١)
/ ١٨٦ب/ يَرُدُّ بِفَضْلِهِ الأَزَمَاتِ عَنِّيْ ... إِذَا طَرَقَتْ وَيَتَّسِعُ المَضِيْقُ
فَقَدْ كَثُرَتْ حَوَادِثُهُنَّ عِنْدِيْ ... وَلَا سِيَمَا إِذَا فَرَغَ الدَّقِيْقُ
تُهَدُّ لِخَطْبِهَا الشُّمُّ الرَّوَاسِيْ ... فَكَيْفَ يُطِيْقُهَا الشَّخْصُ الرَّقِيْقُ

وأنشدني؛ قال: أنشدني لنفسه في الحرّ: [من الطويل]

وَيَومٍ تَمُجُّ الشَّمْسُ فِيْهِ لُعَابَهَا ... يَكَادُ الحَصَىٰ مِنْ حَرِّهِ يَتَفَلَّقُ
يُنَضِّجُ أَفْرَاخَ القَطَا جَوْفَ قَيْضِهَا ... وَيَتْرُكُ الرُّبْدَ النَّقَانِقَ تَفْهَقُ(٢)
فَلَوْ حُطَّ شِلْوٌ فَوْقَ أَمْعَرَ شَاهِقٍ ... لَعَادَ حَنِيْذاً لَحْمُهُ يَتَمَزَّقُ(٣)

وأنشدني؛ قال: أنشدني لنفسه في حاله بدمشق:

عَلَيَّ ثيابٌ باليات لو أنّها ... تقومُ ولم تبلغ بقيمتها فلسين
وإنّي أراني عزّةً وجلالةً ... إذا سرْتُ فيها أسحب الذيل ذا القرنين
وما ذاك إلّا العلم يسمو بربّه ... فيستصغر الدنيا وما جمعت من عين

(١) غمر: كريم واسع الخلق.
(٢) القيض: قشرة الأرض. النقانق: ذكور النعام.
(٣) الأمعر: المكان القليل النبات.

وتبصرُ فيها من المال والعُلا ... مع البؤس والفقر الملمّ بها سيبين

وأنشدني؛ قال: أنشدني لنفسه في الشَّمعة: [من البسيط]

وَرَاهِبٍ بَاتَ طُولَ اللَّيْلِ مُنْتَحِبًا ... يَبْكِي وَفِي رَأْسِهِ طَرْطُوْرُ مِنْ ذَهَبِهْ

/ ١٨٧أ/ يَشْكُوْ إِلَىٰ اللهِ إِحْرَاقَ الجَحِيْمِ لَهُ ... يَا فُوْخَهُ وَٱحْتِكَامَ البَرْدِ فِي ذَنَبِهْ

وأنشدني؛ قال: أنشدني لنفسه في البرغش: [من البسيط]

للهِ لَيْلَتُنَا مَا كَانَ أَطْوَلَهَا ... ظَلَلْتُ أَقْمُصُ وَالبُرْغُوْثُ يَرْتَقِصُ

وَبَاتَ يَزْمُرُ حَوْلِي اللَّيْلَ بَرْغَشُهَا ... وَبِتُّ أَلْطِمُ وَجْهِي وَهْوَ يَمَّلِصُ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه من أبيات في الغُربة: [من البسيط]

هَبَّتْ لَهُ مِنْ ثَنِيَّاتِ العُيُونِ صَبَا ... فَحَنَّ وَجْداً لأَيَّامِ الصِّبَا وَصَبَا

وَذَابَ مِنْ ذِكْرِ وَهْرَانَ وَمَنْزِلَةٍ ... قَدْ شَبَّ فِيْهَا قَدِيْمًا عَظْمُهُ وَجِبَا

للهِ أَيَامُنَا وَالشَّمْلُ مُلْتَئِمٌ ... بِسَاحَتَيْهِ وَدَهْرٌ بِالسُّرُوْرِ حَبَا

إِذْ أَسْحَبُ الذَّيْلَ مِنْ عَارِ الحمَامِ إِلَىٰ ... طَوْدِ الشَّرَائِعِ أَسْعَىٰ والهوا خَبَبَا

لاَ أَعْرِفُ الهَمَّ أَنَّىٰ سَارَ مُتَّجِهًا ... وَلاَ أُوَافِقُ دَاعِي العُمْرِ إِنْ وَثَبَا

فَشَتَّتَ الدَّهْرُ شملَ مِنْ مَعَالِمِهَا ... كَصَاحِبِ السَّدِّ إِذْ يَسْعَىٰ بِهِ سَبَبَا

وَبُدِّلَتْ عِيْشَتِي بَعْدَ النَّعِيْمِ بِهَا ... كَمَا تُبَدَّلُ جَنَّاتٌ بِأَرْضِ سَبَا

وَقَدْ تَرَدَّيْتُ ثَوْبَ العِزِّ بَعْدَهُمُ ... وَبَعْدَ عِزٍّ وَثَوْبُ الذُّلِّ لِلْغُرَبَا

إِذَا رَأَيْتُ غَرِيْبًا سَحَّ أَدْمُعَهُ ... وَافَقْتُهُ فِي البُكَا إِذْ كُلُّنَا نُسَبَا

/ ١٨٧ب/ وَمَا تَوَادعَ قَوْمٌ يَوْمَ بَيْنِهِمُ ... إِلاَّ تَوَقَّدَ قَلْبِي وَالْحَشَا لَهَبَا

أُعَارِضُ الرَّكْبَ عَلِّي أَنْ أَرَىٰ رَجُلاً ... مِنْ آلِ وَهْرَانَ أَوْ أَلْقَىٰ بِهِ كُتُبَا

لاَ تَيْأَسَنَّ فَإِنَّ الدَّهْرَ ذُوْ عَجَبٍ ... وَرُبَّمَا أَعْتَبَ الدَّهْرُ الَّذِيْ عَتَبَا

قَدْ فَازَ يَعْقُوْبُ فِي الدُّنْيَا بِبُغْيَتِهِ ... مِنْ بَعْدِ مَا عَاشَ فِي أَحْزَانِهِ حِقَبَا

[٤٠٢]

عليُّ بنُ أبي منصورِ بنِ محمدٍ، أبو الحسنِ الموصليُّ.

حدثني الصاحبُ أبو البركات المستوفي ـ رضي الله عنه ـ قال: كان من صُنّاع الموصل الصفارين؛ عاميًا جاهلاً في غاية.

لقيته عند شيخنا أبي الحرم النحوي، وقد أنشده أبياتًا عينية، وارتكب فيها ألفاظًا ومعاني، لا يفهمهما من وقف عليها، ولا هو إذا سُئل عنها يعلم معناها!، إنما هي ألفاظ موزونة فقط؛ وكان شيخنا أبو الحرم قد بلغه أنه يقع في شعر أبي عبد الله النجراني؛ فتغيظ عليه ذلك اليوم تغيظًا شديداً، فلم نزل نسكنه عنه حتىٰ سكن.

كان يَرد إربل ويتوصل إلىٰ لقاء الوزير ولي الدين أبي الثناء محمود بن محمد بن نقدار الحرّاني، الذَي كان مقدّمًا بهاَ، ليمتدحه فيأبىٰ عليه /١٨٨أ/ ويجبهه بكلّ منكر، وهو لا يكترث لذلك، ولا يزال حتىٰ يأخذ من صلة السلطان مظفر الدين أبي سعيد كوكبُوري بن عليّ بن بكتكين؛ ومنه هكذا في كلّ سنة.

وقد سمعت منه كثيراً من شعره، إلاّ أني لم أر أن أقيد عنه شيئًا لجهله؛ هذا كلّه كلام الصاحب أبي البركات ـ رضي الله عنه ـ ثم أنشد له هذه الأبيات من قصيدة:

[من الطويل]

أدرْهَا كُؤوسًا يَا نَديمِيْ وَدَاره ... وَخُذْ وَاعْطه مِنْ قَبْلِ حَالِ داره
وَلاَ تَسْقنيْهَا فِيْ صغَارِ مُحَرِّمًا ... فإنِّي أَرَىٰ تَحْليْلَهَا فِيْ كبَاره
وَلاَ تَطْفِ نيْرَانًا لَهَا بميَاههَا ... اتّقِ اللهَ وَاحْذَرْهُ وَخَفْ حَرَّ نَاره
معتقةً مِن رحلِ آدم فِي الحيا ... وعذراء بكراً كالطلا في بكاره
لَهَا حَبَبٌ كَالدُّرِّ فِيْ الكَأْسِ لَمْ يَزَلْ ... عَلَىٰ رَأسهَا فِيْ نَظْمه وَنَثَاره
. . . . . دهقانهَا فِيْ يَميْنه ... تَرَىٰ لَهَبًا أَوْ شُعْلَةً فِيْ يَسَاره

[٤٠٣]

عليُّ بنُ أحمدَ بن عليِّ بن محمد، أبو الحسنِ بنِ أبي العباسِ العنبريُّ المنجمُ، المعروفُ بابنِ دوّاسِ القنا[(١)].

/١٨٨ب/ من أهل واسط، ومن بيت معروف بها، كان هو وأبوه وأخوه شعراء،

---

(١) سترد ترجمته مكررة في الجزء الخامس برقم ٤٦٥.
ترجمته في: التكملة للمنذري ٢/ ٣٣٢ رقم ١٣٩٧. تاريخ الحكماء للقفطي ٢٤. تاريخ ابن الدبيثي/ الورقة ٢١٦ (باريس ٥٩٢٢). =

وهم من بيت أدب وفضل.

وكان أبو الحسن يقول شعراً مقاربًا، ويمدح به الناس، وله يد جيدة في تقويم الكواكب، وكِتْبَة التقاويم؛ قرأ علم الأوائل، وانفرد بمعرفة علم النجوم وتسيرها، وأجاد في ذلك، واشتهر به، وعُرف بهذا النوع وإحكامه.

قدم بغداد مراراً، وقرأ بها على جماعة من أدبائها ومشايخها، وأخذ عنه من أهلها، واستوطنها إلىٰ أن قبر بها في شهر ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وستمائة؛ وكانت ولادته سنة أربع وأربعين وخمسمائة.

أنشدني الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن بن النجار البغدادي، بها في سنة تسع وثلاثين وستمائة؛ قال: أنشدنا أبو الحسن علي بن أحمد بن دوّاس القنا لنفسه في الإجازة ونقلته من خطه؛ وأنشدني عنه ابن الحمامي: [من البسيط]

إنِّي أُعَالِجُ أَقْوَامًا إذَا اخْتُبِرُوا ... كأَنَّ شاب جمال تحتها صورُ
مُقَدَّمِيْنَ فَلاَ أَصْلٌ وَلاَ حَسَبٌ ... وَلاَ نَسِيْمٌ وَلاَ ظِلٌّ وَلاَ ثَمَرُ
/ ١٨٩أ/ هُمُ الصُّدُوْرُ وَلكِنْ لاَ قُلُوْبَ لَهَا ... يَا لَيْتَ مُذْ نَظَرُوا مَا كَانَ لِي نَظَرُ
مِنْ كُلِّ صَدْرٍ مَتَىٰ لاَقَاهُ مَادِحُهُ ... كَانَتْ مَوَاهِبُهُ التَّقْطِيْبُ وَالضَّجَرُ

[٤٠٤]

عليُّ بنُ سعدٍ.

هكذا رأيته.

ناولني القاضي الإمام بهاء الدين أبو محمد الحسن بن إبراهيم الخشّاب ـ أيده الله تعالىٰ ـ مُجلّدة متضمنة أَشعار شعراء العصريين بخطوطهم، منهم جماعة امتدحُوا السلطان غياث الدين الملك الظاهر ـ صاحب حلب ـ فتصفحتها، فعثرت في أثنائها باسم هذا الشاعر علىٰ قصيدة من نظمه معنونة «المملوك علي بن سعد»، لا غير.

فسألت القاضي بهاء الدين ـ أيده الله تعالىٰ ـ عن شيء من أمر هذا الرجل؛ قال: لا أعرف من حاله شيئًا؛ والقصيدة في الملك الزاهر محيي الدين أبي سليمان داود بن يوسف بن أيوب بن شاذي ـ صاحب إلبيرة ـ: [من البسيط]

فَخْرُ المُلُوكِ مُجِيرُ الدِّيْنِ دَاوُدُ ... مَنْ ظَلَّ جَدْوَاهُ فَوْقَ الخَلْقِ مَمْدُوْدُ

/١٨٩ب/ مَنِ المُلُوكُ وَإِنْ جَلُّوا وَإِنْ عَظُمُوا ... عِنْدَ التَّنَاسُبِ مَحْسُوبٌ وَمَعْدُوْدُ

مَلْكٌ غَدَا فَضْلُهُ فِي الأَرْضِ مُنْتَشِراً ... وَمَجْدُهُ فَوْقَ أُفْقِ الأَرْضِ مَعْقُوْدُ

قِفْ حَيْثُ دَوْحَةُ ذَاكَ المُلْكِ زَاهِرَةٌ ... وَالسَّيْفُ ذُو شُطَبٍ وَالرُّمْحُ أُمْلُوْدُ

وَالعِزُّ أَقْعَسُ وَالآمَالُ بَاسِمَةٌ ... وَلِلْعُفَاةِ بِبَذْلِ الجُوْدِ تَبْدِيْدُ

فَثَمَّ أَبْلَجُ وَضَّاحُ الجَبِيْنِ إِلَى ... حَدِيْثِ نَائِلِهِ تَعْلُو الأَسَانِيْدُ

يَهُزُّ لِلْمَدْحِ أَعْطَافاً مُكَرَّمَةً ... لَمْ يَثْنِهَا عَنْ بِنَاءِ المَجْدِ تَفْنِيْدُ

مُتَيَّمٌ بِالمَعَالِي هَائِمٌ دَنِفٌ ... سَكْرَانُ مِنْ نَشَوَاتِ الفَضْلِ عِرْبِيْدُ

مَا بَالُ سَيْفِكَ لاَ تَنْبُو مَضَارِبُهُ ... تَرَاهُ فِي عَزْمِكَ الفَتَّاكِ مَقْدُوْدُ

وَخَيْلُكَ الجُرْدُ لاَ تَنْفَكُّ غَائِرَةً ... كَأَنَّهَا المَالُ مِنْ كَفَّيْكَ وَالجُوْدُ

وَطِيْبُ نَشْرِكَ لاَ يَنْفَكُّ ذَا أَرَجٍ ... كَأَنَّهُ المِسْكُ وَالجَادِيُّ وَالعُوْدُ

إِنَّ الإِمَارَةَ إِسْمٌ أَنْتَ مُثْبِتُهُ ... وَالمُلْكُ أَنْتَ لَهُ رُكْنٌ وَتَشْيِيْدُ

وَالفَضْلُ لَوْلاَكَ مَا قَامَتْ دَعَائِمُهُ ... وَلاَ اسْتَقَامَ لَهُ سَاقٌ وَلاَ جِيْدُ

للهِ أَنْتَ فَكَمْ قَدْ حُزْتَ مِنْ شِيَمٍ ... بِنَشْرِهَا يَسْتَلِذُّ الرَّكْبُ وَالبِيْدُ

فَضْلٌ وَعِلْمٌ وَإِفْضَالٌ وَمَعْرِفَةٌ ... وَهِمَّةٌ وَنَدَى كَفٍّ وَتَأْيِيْدُ

لاَ يَطَّبِيْهِ أَقَاوِيْلٌ مُزَخْرَفَةٌ ... وَلاَ يُرَنِّحُهُ الوَهْنَانَةُ الرُّوْدُ

/١٩٠أ/ وَلِلسَّرِيْرِ وَلِلدَّسْتِ المُطِلِّ بِهِ ... وَالتَّاجِ وَالسَّرْجِ تَعْظِيْمٌ وَتَمْجِيْدُ

وَمَا سَمِعْنَا بِمَلْكٍ قَبْلَهُ بَشَرٍ ... كَفَّاهُ بَحْرُ نَدًى وَالقَلْبُ جَلْمُوْدُ

يَهْتَزُّ تَحْتَ وَشِيْجِ الخَطِّ مِنْهُ فَتًى ... فِي الحَرْبِ وَالسِّلْمِ مَعْرُوفٌ وَمَشْهُوْدُ

طَلْقُ النَّقِيْبَةِ فِي النَّادِي لآمِلِهِ ... وَفِي الكَرِيْهَةِ مِقْدَامٌ وَصِنْدِيْدُ

حَوْضٌ وَرَوْضٌ لِجَانِيْهِ وَوَارِدِهِ ... فَالحَوْضُ وَالرَّوْضُ مَرْوُوْدٌ وَمَوْرُوْدُ

يَقُوْلُ لِلْوَفْدِ وَالطُّرَّاقِ نَائِلُهُ ... هَذَا الغَنِيُّ مَتَى مَا شِئْتُمُ عُوْدُوا

كَأَنَّمَا نَغَمَاتُ السَّائِلِيْنَ إِذَا ... طَافُوا بِأَبْوَابِهِ لَحْنٌ وَتَغْرِيْدُ

زَهَا بِهِ المُلْكُ وَانْقَادَتْ شَكَائِمُهُ ... إِلَيْهِ فَهُوَ إِلَى الأَمْلاَكِ مَحْسُوْدُ

أَفْتَى وَأَفْتَكُ فِي يَوْمَي نَدًى وَوَغًى ... لأَنْتَ ذَاكَ عَلَى الحَالَيْنِ مَحْمُوْدُ

نُثْنِي عَلَيْكَ وَتَأْتِيْنَا عَوَائِدُكَ الحُسْنَى فَأَنْتَ لَنَا قَصْدٌ وَمَقْصُوْدُ

قَـدْ أَسْعَـدَ اللهُ أَرْضـاً أَنْـتَ مَـالِكُهَـا ... وَعَصْـرُهَـا بِـكَ يَـا دَاوُدُ مَـوْدُوْدُ
رُبُـوْعُهَـا بِنَـدَىٰ كَفَّيْـكَ مُـرْتَبِـعٌ ... وَكُـلُّ يَـوْمٍ لأَهْلِيْهَـا بِهَـا عَيْـدُ
بَـاتَـتْ إِلَيْـكَ أَمَـانِيْنَـا وَأَنْفُسُنَـا ... كَثِيـرَةَ الشَّـوْقِ وَالمَهْـرِيَّـةُ القُـوْدُ
كَـالأَرْضِ تَشْتَـاقُ هَطَّـالَ السَّحَـابِ إِذَا ... مَـا صَـوَّحَ النَّبْـتُ يَـوْمـاً أَوْ ذَوَىٰ العُـوْدُ
لاَ زَالَ كَفُّـكَ لِلْقُصَّـادِ مُنْتَجَعَـاً ... تَبْيَـضُّ مِـنْ جُـوْدِهِ آمَـالُنَـا السُّـوْدُ

[٤٠٥]

/١٩٠ب/ عليُّ بنُ أحمدَ بنِ فشتالَ، أبو الحسنِ الكاتبُ.

الفاضلُ الأديبُ.

أخبرني شيخ الشيوخ؛ قال: أظنُّهُ من أهل الأندلس، رأيته بمُراكش. وكان متعطلاً عن العمل حاليًا بفضائله، وإن كان في العُطل.

وله رسائل حسنة، وألفاظ بديعة معتبرة؛ وكان يميل في رسائله وشعره، إلىٰ طريقة أهل المشرق، وحصل من عندي كثيراً من ترسل القاضي الفاضل، والعماد الكاتب وغيرهما - رحمهم الله -.

وكتب إلي بإحسان تجدد لي من السيد أبي يوسف يعقوب بن عبد المؤمن، وهو تمليك بستان بناحية أَغْمَات[1]، وتقدّم إلي بقضاء حوائج الغرباء والعُوَّد عنده:

[من الطويل]

رَأَيْـتُ بِعَيْنَـيْ الـيَـوْمَ فـيْ صُحُـفِ المُنَـىٰ ... لِمَجْـدِكَ مَـا تُعْطِـيْ مِـنَ الحَـظِّ فـيْ غَـدِ
فَصِـرْتُ أُمَنِّـي النَّفْـسَ تَجْـدِيْـدَ مَـا عَفَـىٰ ... مِـنَ العِـزِّ لِـيْ فِـيْ عِـزِّكَ المُتَجَـدِّدِ

---

(١) أغمات: ناحية في بلاد البربر من أرض المغرب، قريبة من مراكش، وليس ببلاد المغرب بلد أجمع لأصناف الخيرات، ولا أكثر ناحية ولا أخصب، منها تجمع فواكه الصرود والجروم.
انظر: معجم البلدان/ مادة (أغمات).

[٤٠٦]

عليُّ بنُ عبدِ الرحمنِ / ١٩١أ/ بنِ أحمدَ بنِ عليٍّ، أبو الحسنِ المراكشيُّ.

متفقه على مذهب مالك بن أنس ـ رضي الله عنه ـ نزيل بغداد. أنشدني وجيه الدين الإسكندري؛ قال: أنشدني أبو الحسن لنفسه ويعرف بالكرديِّ والغزّي أيضًا:

[من الطويل]

خَلَعْتُ عِذَارِيْ فِيْ الحَبِيْبِ تَطَرُّفًا ... عَلَىٰ أَنَّنِيْ مِنْ أَخْلَعِ النَّاسِ فِيْ الخَلْعِ
وَمَا [ذَاكَ] فِي التَّحْقِيْقِ مِنِّي تَطَبُّعًا ... بَلَىٰ هُوَ فِيْ أَصْلِ الجِبلَّةِ بِالطبعِ
فَمَنْ رَامَ مِنْ قَلْبِيْ سُلُوًّا فَإِنَّمَا ... يُكَلِّفُنِيْ بِالجَهْلِ مَا لَيْسَ فِيْ وُسْعِي
يَقُوْلُوْنَ لا تَهْوَاهُ هَلاَّ سَلَوْتَهُ ... وَهَذَا إِذَا حَقَّقْتَهُ فَاسِدُ الوَضْعِ
وَهَلْ شَاهَدَتْ عَيْنَايَ إِلاَّ جَمَالَهُ ... دَنَا أَوْ نَأَىٰ فِيْ حَالَةِ الفَرْقِ وَالجَمْعِ
فَمَحْبُوْبُ قَلْبِي مَا تَعَلَّلْتُ بِاسْمِهِ ... وَلاَ وَقْعَ لِلعُذَّالِ فِيْ القَلْبِ وَالسَّمْعِ
فَلَسْتُ مُطِيْعَ العَذْلِ .... لِقَتْلِيْ إِمَامَ العَدْلِ بِالسَّيْفِ وَالنَّطْعِ
فَإِنْ قِيْلَ مَجْنُوْنٌ وَقِيْلَ مُمَوِّهٌ ... وَأَكْثَرَتِ الأَقْوَالُ بِالظَّنِّ وَالقَطْعِ
فَعِرْضِيَ مَبْذُوْلٌ وَمَالِيْ مُبَذَّرٌ ... وَقَتْلِيْ وَخَتْلِيْ مُسْتَبَاحَانِ فِيْ شَرْعِي

[٤٠٧]

عليُّ بنُ يحيىٰ بنِ المباركِ بنِ عليِّ بنِ الحسينِ بنِ بندارَ، أَبُو المَحَاسنِ المخرّميُّ(١).

(١) ترجمته في: عيون التواريخ ١٣/ ١٧٥. الحوادث الجامعة ١١٧ ـ ١١٨. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٤١ ـ ٦٥٠) ص٣٢٣ ـ ٣٢٤ رقم ٤٣٤ وفيه: «أبو الحسن البغدادي، الفقيه، أحد الأذكياء الموصوفين، كان متوقّد القريحة، ومات شاباً، ورثاه أبو المعالي بن أبي الحديد، وقد ناب عن أخيه الرئيس أبي سعد المبارك في صدرية ديوان الزّمام، فلما عزل أخوه أقبل على علم القرآن والحديث والعبادة. وكان سلفياً أثرياً، رحمه الله».

أما رثاء ابن أبي الحديد له فقد أورده صاحب (المختار من تأريخ ابن الجزري) قائلاً: [من الطويل]

ومن يكد للأنام وهي مسيئة ... بقايا الرزايا واخترام المخرم
مضى ظاهراً كالنجم خف مسيره ... مناف سريعاً من نلته أنجمَ=

/ ١٩١ب/ [قال] [من الطويل]

وَيَـوْمٍ دَجُـوْجِـيٍّ لَـهُ الصَّقْـعُ غَيْهَـبٌ وَلَمْـعُ الظُّبَـى بَـرْقٌ وَسُمْـرُ القَنَـا شُهْـبُ

كَشَفْـتُ بِسَيْفِـيْ مَـا دَجَـا مِـنْ خُطُـوْبِـه وَإِنِّـي بِـذَاكَ اليَـوْمِ مُسْتَهْتَـرٌ صَـبُّ

وَمَـا زِلْـتُ كَشَّـافـاً لِكُـلِّ مُلِمَّـةٍ رَحَـى الحَـرْبِ إِنْ دَارَتْ فَـإِنِّـيْ لَهَـا قُطْـبُ

حَبِيْبـاً لَـدَى الأَقْـوَامِ لَيْثـاً لَـدَى الـوَغَـى وَيَعْظُـمُ شَـأنِـيْ كُلَّمَـا عَظُـمَ الخَطْـبُ

فَسَيْفِـيَ لاَ يَهْـوَى سِـوَى لِمَـمِ العِـدَا ويعظـم شـأنـي كلّمـا عظـم الخطـبُ

وأنشدني المجد النشابيّ عنه ببغداد: [من الطويل]

= فيـا راكبـاً تطـوي الفجـاج وقصـده زيـارة أجـداث الحسيـن المعظـم

تحمّـل عـن وجـدي وشـوقـي رسـالـة وعـرّج علـى تلـك الـديـار وسلّـم

وقـل كمـال للـذي بعـدك مـا حلـت حيـاتـي ولـم أدرك سكـونـاً لأعظمـي

ولا راق لـي شـمّ النسيـم وقـد سـرى ولا سـاغ بـرد المـاء بعـدك مـن فمـي

هـي الحسـرة الأولـى وأحسسـت أننـي أمـوت بهـا إذ لا سلـوّ لمغـرم

وقال صاحب (الحوادث الجامعة ١١٧): كان ينوب أخاه فخر الدين المبارك لابن المخرمي إلى أن عُزل ووُكّل بهما، فلما أُفرج عنهما تشاغل جمال الدين بالعلم وزيارة أصحابه وإخوانه، وألّف كتاباً مختصراً سمّاه «نتائج الأفكار» يشتمل على رياضة النفس ومدح العقل وذم الهوى، وكان يقول شعراً جيداً، وله أشعار كثيرة. ورثاه أخوه فخر الدين بقوله: [من الطويل]

لقـد شفّنـي وجـدي وضـاقـت مـذاهبـي وحـلّ عـزائـي بعـد مـوت المخـرمـي

أخـي وابـن أمـي والـذي كـان نـاظـري وسمعـي وروحـي بيـن لحمـي وأعظُمـي

رزَتْـك المنـايـا دوننـا ولـو أنصفـت لقـد كـان مـن قبـل التفـرق مـأتمـي

تـرحّلـت عـن دار الفنـاء مطهّـراً مـن الـذم فـابشـر بـالسـلامـة وأنعـم

فـإن حـال مـا بينـي وبينـك تـربـة مجـاورة السبـط الإمـام المكـرم

إليـك تـرانـي قـد حثـت مطيّتـي وحبّـك مـن قلبـي كمـا كنـت فـاعلـم

فـلا طلعـت شمـس إذا كنـت غـائبـاً ولا سـار بـدر فـي الـدُجـى بيـن أنجـم

ولا نسمـت ريـح الصبـا بعـد بُعـدكـم ولا راق لـي عَيـش ولا لـذّ مطعمـي

سـأبكيـك مـا دامـت حيـاتـي فـإن جـرى مـن الجمـع تقصيـر سـأتبعـه دمـي

وشكـري لمـا أوْلاك حيـاً وميتـاً مـن البـرّ مـا قـد كـلّ عـن نشـره فمـي

أبـو الطيـب الـوافـي الـذي فـاق فضلـه وأنعـامـه أربـى علـى كـلّ منعـم

البداية والنهاية ١٣/ ١٧٥ ـ ١٧٦ وفيه: «المحرمي». المختار من تأريخ ابن الجزري ٢١٤ ـ ٢١٥ وفيه: «المخزمي».

لعل بعد هذا العنوان سقط، إذ لم يرد شيء من ترجمة الشاعر أو مقدمة لشعره!!.

يَقُولُ فَتَى الفِتْيَانِ بِشْرُ بنُ خَازِمٍ مَقَالاً لَهُ فِي كُلِّ صَادِقَةٍ نُطْقُ
وَكَيلُ لَقِيْنَا العَيْنَ فِي العَيْنِ لِلْعِدَا فَطِرْنَا لِحَرْبٍ قَبْلَ أَنْ يُسْفِرَ الشَّرْقُ
فَأَطْلَعَتِ المُرَّانُ فِيْنَا كَوَاكِبَاً بِخُرْصَانِهَا وَالبِيْضُ ضَاءَ لَهَا بَرْقُ
وَأَبْدَى بَرِيْقُ السَّابِغَاتِ عَلَى الدِّمَا شُعَاعَاً كَمَا يُبْدِي لَنَا الشَّفَقَ الأُفْقُ
وَإِنَّا لَنُهْدِي بِالسُّيُوفِ إِلَى العِدَا فَمَا ضَلَّ هَادِيْنَا وَلَمْ تُبْهَمِ الطُّرْقُ
إِلَى أَنْ بَدَا خَيْطُ الصَّبَاحِ كَأَنَّهُ عَلَى حَالِكٍ مِنْ فَرْعِ غَيْهَبِهَا فَرْقُ
فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ فَتَتُّ ظَلَامَهُ بِرَتْقِ عُلاً مَا بَعْدَ رَتْقِي لَهَا خَرْقُ
وَكَمْ كُرْبَةٍ كَشَّفْتُهَا وَمُلِمَّةٍ لِعَزْمِي عَلَيْهَا حِيْنَ فَرَّجْتُهَا حَقُّ
بِوَجْهٍ حَيِيٍّ فِي النَّوَالِ وَإِنَّهُ وَقَاحٌ لَدَى يَوْمِ الوَغَى وَلِيَ السَّبْقُ
/١٩٢أ/ وَلِيْ صَارِمٌ مُغْرًى بِحَزِّ غَلَاصِمِ الأَعَادِيْ وَكُلٌّ بِالنَّوَالِ لَهَا عَبْقُ
وَمِنْ عَجَبٍ أَنِّي أَسَرْتُ بِنَائِلِي عُفَاةً لَهُمْ مِنْ أَسْرِ إِعْدَامِهِمْ عِتْقُ
أُكَذِّبُ ظَنِّي فِي الوَعِيْدِ وَعِنْدَهُ وُعُودٌ لَهَا فِي ظَنِّ إِنْجَازِهَا صِدْقُ
وَفَخْرِي بِإِنْعَامِ الخَلِيْفَةِ إِنَّهُ نَدًى عَاشَ فِيْهِ الخَلْقُ وَاتَّسَعَ الرِّزْقُ

وله: [من البسيط]

وَرُبَّ فِتْيَانِ صِدْقٍ طَابَ ذِكْرُهُمْ نَادَمْتُهُمْ وَنُجُومُ الأُفْقِ لَمْ تَغِبِ
وَشَمْسُنَا مِنْ سَمَاءِ الكَأْسِ وَاجِبَةٌ فِيْنَا وَسَوْرَتُهَا بِالسُّكْرِ لَمْ تَجِبِ
يَحْدُو بِهَا مُسْمِعٌ فِي شَدْوِهِ طَرَبٌ يُرَنِّحُ الشَّرْبَ مَغْنَى ذَلِكَ الطَّرَبِ
وَبَيْنَنَا مِنْ أَحَادِيْثٍ مُنَمَّقَةٍ نَظْمٌ مِنَ الشِّعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِنَ الخُطَبِ
حَتَّى دَعَا لِلْوَغَى دَاعٍ فَخِلْتُهُمُ نَاراً تَضَرَّمُ أَوْ جُنْداً مِنَ الغَضَبِ
وَعَادَتِ الرَّاحُ مُحْمَرَّ النَّجِيْعِ وَمَا الكَاسَاتُ غَيْرُ الرُّدَيْنِيَّاتِ وَالعُضُبِ
وَالضَّرْبُ بِالعُودِ ضَرْبُ العُودِ رَاسِلُهُ حُسَامُ قُرْبٍ لَهُ بُعْدٌ عَنِ القُرُبِ[1]
إِذَا سَقَوْا فَارِسَ الهَيْجَاءِ كَأْسَهُمُ فِي الحَرْبِ سَابَقَتِ اللَّبَّاتُ لِلَّبَبِ
لَهُمْ سَمَاءٌ مِنَ النَّقْعِ المُثَارِ بِهِ مِنَ الأَسِنَّةِ لَمْعُ الأَنْجُمِ الشُّهُبِ
إِذِ السُّيُوفُ بُرُوقٌ وَالصَّهِيلُ بِهَا رَعْدٌ وَوَقْعُ مَطَارِ النَّبْلِ كَالسُّحُبِ

---

(١) القُرُب: جمع قِراب وهو الغمد.

/ ١٩٢ب/ كَـأَنَّمَا خَلَقُـوا دُنْيًـا لِحَـرْبِهِـمُ ... فَـأَيْقَنُـوا أَنَّهَـا الـدُّنْيَـا بِـلاَ كَـذِب
خَطُّـوا عَلَـىٰ كُـلِّ دِرْعٍ نَقْـطَ خَطِّهِـمُ ... فِـي شَكْـلِ بَيْضِهِـمُ نَقْـلاً مِـنَ الكُتُـبِ
(بِيْضُ الصَّفَائِحِ لاَ سُوْدُ الصَّحَائِفِ فِي ... مُتُـوْنِهِـنَّ جَـلاَءُ الشَّـكِّ وَالـرِّيَـبِ)
قَـالُـوا وَقَـدْ سُئِلُـوا الأَنْسَـابَ بَيْنَهُـمُ ... جُـودُ الخَلِيْفَـةِ فِيْنَـا أَفْضَـلَ النَّسَـبِ

وله: [من المتقارب]

لأَنْعَـامِنَـا بِـالمُـدَىٰ إِلْفَـةٌ ... كَمَـا يَـأْلَـفُ النَّـاظِـرَانِ الشَّهَـرْ
تَسِيْـلُ المَـذَاكِـي عَلَـىٰ حَـدِّهَـا ... فَمَـا تَـرَاهُـنَّ إِلاَّ حُمُـرْ
تَـرَىٰ العُـرْفَ فِـي ذَبْحِهَـا لِلْضُيُـوْفِ وَفِـي تَـرْكِهَـا لِلْبَقَـاءِ البُكُـرْ
وَجُـرْدٌ أُعِـدَّتْ لِيَـوْمِ الجِـلاَدِ عَـوَارِيَ لِلْسَمْـعِ قُـبٌّ شُـزُرْ
صِيَـامٌ يَلُكْـنَ حَـدِيْـدَ اللِّجَـامِ ... وَأَسْيَـافُنَـا فِـي الـدِّمَـاءِ الغُـدُرْ
وَلاَ نَـأْلَـفُ البِيْـضَ بِيْـضُ الخُـدُوْرِ ... وَلاَ السُّمْـرَ إِلاَّ عَـوَالِـي السُّمُـرْ

[٤٠٨]

عليُّ بنُ يُوْسُفَ بنِ نصرِ بنِ فتيانَ، أبو الحسنِ البصريُّ.

تفقّه علىٰ مذهب الإمام الشافعي؛ ولديه فضل وأدب ويقول الأشعار / ١٩٣أ/ الحسان.

خرج عن البصرة، متوجهًا إلىٰ البلاد الشامية، ونزل دمشق، وقصد بها الملوك وغيرهم من الأمراء يمتدحهم بشعره، وهو مقيم بها.

أنشدني الشيخ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن يوسف الفُرّبالي اللخمي؛ قال: أنشدني أبو الحسن علي بن يوسف البصري لنفسه بدمشق ـ خارجها بسفح جبل قاسيون ـ في شهر شوال سنة ثلاث وثلاثين وستمائة: [من الطويل]

يَلُـوْمُـكَ فِـي الظَّبْـيِ الظَّلِيْـمِ ظَلُـوْمُ ... سَلِيْـمٌ مِـنَ البَلْـوَىٰ وَأَنْـتَ سَلِيْـمُ(١)
وَيَلْحَـاكَ قَـوْمٌ فِـي الغَـرَامِ بِـأَحْـوَرٍ ... كَـرِيْـمٍ وَمَـا يَلْحَـاكَ فِيْـهِ كَـرِيْـمُ
أَفِـي خَـدِّهِ أَمْ خَـالِـهِ أَمْ عِـذَارِهِ ... تُـلاَمُ وَفِـي كُـلِّ مَـلاَمُـكَ لُـوْمُ

(١) السليم: اللديغ.

غَـزَالٌ لَـهُ مِـنْ مُقْلَتَيْـهِ صَـوَارِمٌ ... لَهَـا مِـنْ قُلُـوبِ العَـاشِقِيـنَ كُلُـومُ
وَقَـالُـوا أَتَهْـوَىٰ أَعْـرجًـا يَحْمِـلُ العَصَـا ... وَذَلِـكَ شَيْـنٌ فِـي الحَبِيْـبِ ذَمِيْـمُ
فَقُلْـتُ لَهُـمْ قَـدْ كَـانَ مُـوْسَـىٰ بِكَفِّـهِ ... عَصًـا قَبْـلَ مَـنْ أَهْـوَاهُ وَهْـوَ كَلِيْـمُ
كَمَـا وَجْهُـهُ فِـي الحُسْـنِ فَـرْدٌ وَقَـدُّهُ ... كَـذَا سَـاقُـهُ فَـرْدٌ أَخُـوْهُ عَـدِيْـمُ

وأنشدني؛ قال: أنشدني لنفسه: [من المتقارب]

يَـزُوْرُكَ مَـنْ أَنْـتَ لَا تَعْشَـقُ ... وَطَيْـفُ حَبِيْبِـكَ لَا يَطْـرُقُ
/ ١٩٣ب/ فَيَـا مَـنْ بَـدَا فِتْنَـةً لِلْـوَرَىٰ ... إِذَا مَـا بَـدَا وَجْهُـهُ المُشْـرِقُ
تَـرَكْـتُ ازْدِيَـارِيَ خَـوْفَ العِـدَا ... فَطَيْفُـكَ بِـاللَّيْـلِ مَـا يَفْـرَقُ
إِذَا غَـابَ شَخْصُـكَ عَـنْ جِلِّـقِ ... فَبَعْـدَكَ لَا مُطِـرَتْ جِلِّـقُ

وأنشدني له أيضًا: [من البسيط]

أَهْـوَىٰ الغَـزَالَ الَّـذِيْ مَـازَالَ مَـرْتَعُـهُ ... وَادٍ تَضَـوَّعَ بِـالقَيْصُـوْمِ وَالشِّيْـحِ
إِنَّ الخَمَـائِـلَ أَمْسَـىٰ نَشْـرُهَـا أَرِجًـا ... مِـنْ طِيْـبِ رَيَّـاكَ لَا مِـنْ نَسْمَـةِ الـرِّيْـحِ
هَـلَّا كَفَفْـتَ سِهَـامًـا أَنْـتَ مُـرْسِلُهَـا ... فَـالْقَـوْمُ مَـا بَيْـنَ مَقْتُـوْلٍ وَمَجْـرُوْحِ
أَهْـوَاكَ حَتَّـىٰ إِذَا لَـمْ تُبْـقِ لِـي جَسَـدًا ... أَسْكَنْـتُ حُبَّـكَ مَـا أَبْقَيْـتَ مِـنْ رُوْحِـي
قَـدْ وَفَّـرَ اللهُ حَظِّـيْ فِـيْ هَـوَاكَ كَمَـا ... فِيْ الحُسْنِ حَظُّكَ أَضْحَىٰ غَيْرَ مَرْجُوْحِ
مَنَـائِـحُ اللهِ يُـؤْتِيْهَـا خَـلَائِقَـهُ ... وَالنَّـاسُ مَـا بَيْـنَ مَجْـرُوْحٍ وَمَمْنُـوْحِ

وأنشدني له أيضًا: [من الكامل]

إِمَّـا مَـرَرْتَ عَلَـىٰ النَّقَـا وَكِنَـاسِـهِ ... فَخُـذِ الأَمَـانَ مِـنَ الظِّبَـاءِ لِنَـاسِـهِ
فَلَـرُبَّ رَبِّ نُهًـى بِهَـا فَتَكَـتْ بِـهِ ... تِلْـكَ الجَـآذِرُ لَـمْ يَخِفْـنَ لِبَـاسَـهُ
مِـنْ كُـلِّ أَحْـوَرَ مَـا رَنَـا إِلَّا رَمَـىٰ ... قَتْـلًا فَقُـلْ دِفَـاعُـهُ نِبْـرَاسُـهُ
رَشَـأٌ تَشِيْـنُ الشَّمْـسَ غُـرَّةُ وَجْهِـهِ ... وَتَفُـوْقُ جُنْـحَ اللَّيْـلِ طُـرَّةُ رَأْسِـهِ

/ ١٩٤أ/ وأنشدني له أيضًا: [من السريع]

فَـدَيْـتُ مَـوْلًـى لَـمْ يَـزَلْ سَـابِقًـا ... فَضْـلًا دَنَـا مَمْلُـوكُـهُ أَوْقَصَـا
ذَا أَدَبٍ لَمَّـا أَتَـىٰ طِـرْسُـهُ ... أَطَـاعَنِـيْ مَـنْ كَـانَ قِـدْمًـا عَصَـىٰ
فَهَـا أَنَـا فِـيْ الشَّـامِ عِيْسَـىٰ الَّـذِيْ ... أُرْسِـلَ مِـنْ بَعْـدِ نَبِـيِّ العَصَـا

أَنْشُــرُ ذَا الــرَّمْــس بــأَلْفَــاظِــه وَأُبْـــرِىءُ الأَكْمَـــهَ وَالأَبْـــرَصَـــا
لاَ زَلْـــتَ فَخْـــرَ الـــدِّيْـــنِ فِـــيْ نِعْمَـــةَ تَنْمُـــوْ وَسَعْـــدٍ لاَ يُـــرَىٰ نَـــاقِصَـــا

[٤٠٩]

عليُّ بنُ خُميرٍ، أبو الحسنِ السّبتيُّ.

كان فقيهًا مالكيًا، شاعراً مُفْلقًا، أُصوليًا عالمًا، أديبًا لغويًا؛ توفي سنة أربع عشرة وستمائة.

أنشدني أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد بن علي بن عبد الواحد الأوسي السبتي بحلب المحروسة؛ قال: أنشدني الشيخ أبو الحسن علي بن خمير لنفسه:

[من الطويل]

إذا شئـت أن تبكـي فـريـداً مـن الهـوىٰ فَتَنْـــدَبَـــهُ بَعْـــدَ النَّبِـــيِّ المُكَـــرَّمِ
فَحَــامِــلُ علْــم عَــالِــمٌ مُتَــوَرِّعٌ حَــرِيْـصٌ عَلَـىٰ التَّحْـرِيْـضِ لِلْمُتَعَلِّـمِ
/ ١٩٤ب/ وَحَاكِمٌ عَدْلٌ بِالشَّرِيْعَةِ قَائِمٌ يَقُـــوْلُ بِحُكْـــمِ الله لاَ بِـــالتَّحَكُّـــمِ
وَصَـــاحِـــبُ مَـــالٍ فَـــاضِـــلٌ مُتَفَضِّـــلٌ يَجُـــوْدُ بِـــهِ حَقّـــاً عَلَـــىٰ كُـــلِّ مُعْـــدِمِ
وَسَـــاهِـــرُ لَيْـــلٍ شَـــافِـــعٌ مُتَشَفِّـــعٌ بِكُـــلِّ نَـــؤُومٍ شَـــابِـــعٍ مُتَبَشِّـــمِ
وَصَـــاحِـــبُ سَيْـــفٍ لِلْعَـــدُوِّ مُـــرَابِـــطٌ يُسَـــدُّ بِـــهِ فِـــيْ كُـــلِّ ثَغْـــرٍ مُثَلَّـــمِ
هُـــمُ خَمْسَـــةٌ يُبْكَـــوْنَ حَقّـــاً وَغَيْـــرُهُـــمْ إِلَـــىٰ حَيْـــثُ أَلْقَـــتْ حِمْلَهَـــا أُمُّ قَشْعَـــمِ

[٤١٠]

عليُّ بنُ محمدِ بنِ داودَ بنِ الناصرِ، أبو الحسنِ بنِ أبي جعفرٍ الحسني.

من أهل حلب، ومن شرفائها المميزين؛ وكان فاضلاً قارئًا للقرآن العزيز، وأخذ طرفًا من العربية، ونظر في الأدب، وصار له معرفة حسنة.

وقال شعراً متوسطًا، وكانت بينه وبين الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الجبار القيرواني الكاتب المعروف بابن الزيات، مكاتبة بالأشعار ومجاوبة.

أخبرني الصاحب مؤيد الدين أبو نصر إبراهيم بن يوسف بن القفطي ـ أسعده الله

تعالىٰ ـ قال: توفي أبو الحسن علي بن محمد بن الناصر في آخر شهر رمضان سنة / ١٩٥أ/ ست عشرة وستمائة بحلب.

أنشدني من شعره نجم الدين أبو محمد القاسم بن محمد بن سراج الحلبي ـ أسعده الله تعالىٰ ـ بحلب؛ قال: أنشدني الشريف أبو الحسين علي بن محمد بن داود بن الناصر لنفسه، يمدح الملك الظاهر ـ صاحب قلعة حلب ـ في سنة إحدىٰ عشرة وستمائة: [من الكامل]

سَائِلْ حُدَاةَ الرَّكْبِ أَنَّىٰ يَمَّمُوْا ... هَلْ أَنْجَدُوا بفُؤَاده أَوْ أَتْهَمُوا؟
وَأبلِغْ تَحيَّتَهُ الفَنِيْقَ وَقُلْ سَقَىٰ ... مَغْنَاكَ مِنْ وَطَفِ السَّحَابِ المُرْزِمُ
طَلَلٌ أَسَمْتُ بِرَوْضِه سَرْحَ الصِّبَا ... وَرَتَعْتُ فِيْه لَاهِيًا لَا أُسْأَمُ
أَيَّامَ لَا العُذَّالُ تَمْلِكُ سَلْوَتِي ... فِيْهَا وَلَا يَثْنِي هَوَايَ اللُّوَّمُ
مَا نَافِعِيْ أَنِّي أُكَتِّمُ حُبَّهَا ... خَوْفَ العَوَاذِلِ وَالضَّنَىٰ يَتَكَلَّمُ
وإِذَا الظَّلُوْمُ رَعَيْتَ عَهْدَ ودَادِه ... فِي الحُبِّ إِنَّكَ مِنْهُ فِيْهِ لَأَظْلَمُ
فَخَرَتْ بِه الهِيْفُ القُدُوْدُ كَمَا زَهَا ... الأَمْلَاكُ قَاطِبَةً بِأَنَّكَ مِنْهُمُ
وَلَأَنْتَ أَفْخَرُهُمْ إِذَا انْتَسَبُوا أَبًا ... وَأَجَلُّهُمْ نُعْمَىٰ إِذَا مَا أَنْعَمُوا
فَخْراً غِيَاثَ الدِّيْنِ يَا أَنْدَىٰ الوَرَىٰ ... كَفًّا وَأَشْجَعَهُمْ إِذَا مَا اسْتَلْمُوا
وَافَىٰ أَخِيْراً عَصْرَهُ وَأَتَىٰ بِمَا ... لَمْ يَأْتِهِ مِنْ عَصْرِه المُتَقَدِّمُ
مِنْ مِنَّةٍ مَشْهُوْرَةٍ وَصَنِيْعَةٍ ... مَأْثُوْرَةٍ وَيَدٍ تَعُوْلُ وَتُنْعِمُ
/ ١٩٥ب/ بِيَمِيْنِه هَيْفَاءُ يَرْهَبُ نَفْثُهَا ... الجَانِي فَتِلْكَ يَرَاعَةٌ أَمْ أَرْقَمُ؟
فِي السِّلْمِ يَقْطُرُ مِنْ أَنَامِلِه اللُّهَىٰ ... وَالحَرْبِ يَقْطُرُ مِنْ أَنَامِلِه الدَّمُ

ومنها:

جَاءَ الشِّتَاءُ فَلَيْسَ عِنْدِي دِرْهَمٌ ... وَبِمِثْلِ ذَلِكَ قَدْ يُصَابُ المُسْلِمُ
وَتَجَلْبَبَ النَّاسُ الخُزُوْزَ وَغَيْرَهَا ... وَكَأَنَّنِي بِفِنَاءِ مَكَّةَ مُحْرِمُ
لَا يُغْرِرِ الرَّائِي رِدَاءٌ مُوْنِقٌ ... كَلَّا وَلَا ثَوْبٌ قَشِيْبٌ مُعْلَمُ
فَمِنَ الغِيَاثِ قَدِيْمُهُ وَحَدِيْثُهُ ... وَهُوَ الَّذِي يُوْلِي الجَمِيْلَ وَيُنْعِمُ
فَتَهَنَّ بِالشَّهْرِ الأَصَمِّ مُمَتَّعًا ... بِالمُلْكِ مَا لَبَّىٰ بِمَكَّةَ مُحْرِمُ

وأنشدني الصاحب مؤيد الدين أبو نصر إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم؛ قال: أنشدني الشريف لنفسه: [من الكامل]

وَمُهَفْهَفٍ ثَمِلِ الشَّمَائِلِ زَارَنِي ... فَوَشَى عَلَيْهِ جَمَالُهُ وَالطِّيبُ
فَمَتَى أُسَرُّ بِوَصْلِ مَنْ أَحْبَبْتُهُ ... وَعَلَيْهِ مِنْهُ مَعَ الرَّقِيبِ رَقِيبُ

[٤١١]

عليُّ بنُ أحمدَ بنِ محمدٍ، أبو الحسنِ / ١٩٦أ/ الأشبيليُّ المعروفُ بالقُسطارِ(١).

من أهل الحديث والقرآن، وله نظم. أقام بدمشق مدّة يسمع الحديث على مشائخها.

أنشدني الشيخ تاج الدين أبو الحسن محمد بن أحمد القرطبي الدمشقي، بها سنة أربعين وستمائة؛ قال أنشدني القسطار لنفسه: [من الطويل]

سَقَانِي وَلَمْ يَشْرَبْ وَذَاكَ تَأَدُّبًا ... وَأَقْسَمَ أَنِّي قَبْلَهُ سَوْفَ أَشْرَبُ
فَمَا اسْطَعْتُ إِلَّا أَنْ أَبَرَّ يَمِيْنَهُ ... وَكُنْتُ لَعَمْرُ اللهِ فِي السُّوءِ أَرْغَبُ

وأنشدني؛ قال: أنشدني لنفسه، وقد سُئل عن شوقه للأهل كيف هو(٢)؟:

[من البسيط]

يَا سَائِلِي كَيْفَ شَوْقِي الأَهْلَ وَالوَطَنَا ... هَيَّجْتَ واللهِ لِي مَا كَانَ قَدْ سَكَنَا
كَيْفَ اشْتِيَاقُ غَرِيْبِ الدَّارِ مُنْقَطِعٍ ... عِشْرِيْنَ عَامًا يُقَاسِي غُرْبَةً وَضَنَى
شَوْقِي إِلَيْهِمْ شَدِيْدٌ لَا انْفِصَامَ لَهُ ... وَالقَلْبُ ذُو حُرَقٍ مُذْ فَارَقَ السَّكَنَا(٣)

وأنشدني أيضًا؛ قال: أنشدني لنفسه، وكان يومًا عند شيخه خزعل بن عسكر النحوي؛ وسأله أبو موسى عيسى بن سليمان الرعيني أن يجيزه، فوعده الشيخ بذلك فقال: [من الكامل]

---

(١) ترجمته في: مجمع الآداب ١/ ٥٣٥ نقلها عن القلائد.
(٢) الأبيات في مجمع الآداب ١/ ٥٣٥.
(٣) في المجمع وردت: «انقضاء له» بدل «لا انفصام له».

/ ١٩٦ب/ جَـرَت العَـوَائـدُ إذْ يُجَـازُ مُحَـدِّثٌ ... بحُضُـور آخَـرَ لَـمْ يُجَـزْ يَتَغَبَّـنُ
وَعَـوَائـدُ المَـوْلَـىٰ التَّقـيِّ بفَضْلـه ... جَبْـرُ القُلُـوبِ وَجَبْـرُ قَلْبـي هَيِّـنُ

وأنشدني؛ قال: أنشدني لنفسه، وقد ذهب بابنه كرهًا إلىٰ جدّته وهو يقول له: دعني عندك اليوم وغداً وابعثني إليهم؛ فقال: [من الكامل]

لَهْفـي عَلَـىٰ الـوَلَـدِ العَـزِيْـزِ وَقَـدْ غَـدَا ... كَـرْهـاً يفَـارِقُنـي إلَـىٰ بَيْـتِ العِـدَا
وَيَقُـولُ: يَـا مَـوْلاَيَ تُسْلمُنـي إلَـىٰ ... مَـنْ لَيْـسَ يَـرْحَمُنـي، وَيُـوْرِدُنـي الـرَّدَىٰ!
مَـوْلاَيَ دَعْنـي عنْـدَكُـمْ مُتَنَعِّمـاً ... يَـوْمـي وَيَنْتَقِمُـونَ منِّـي هُـمْ غَـدَا
مَـوْلاَيَ كَيْـفَ تُسَـرُّ وَابْنُـكَ مُـوْثَـقٌ ... فـي أَسْـرِ بَـاغيْـهِ عَلَيْـهِ تَمَـرَّدَا؟
فَـأَجَبْتُـهُ وَالـدَّمْـعُ مُنْهَمِـلٌ عَلَـىٰ ... خَـدٍّ نَحِيْـلٍ أَصْفَـرَ: نَفْسـي الفِـدَا
نَفْسـي فِـدَاؤُكَ مِـنْ أَذَى جُـرِّعْتَـهُ ... طِفْـلاً فَسَـاعَـدَكَ الإِلَـهُ وَأَسْعَـدَا

[٤١٢]

عليُّ بنُ عبد الرحيم بنِ عثمانَ بنِ الحسنِ بنِ عبلةَ بنِ الرفاعيِّ، أبو الحسنِ(٢).

/ ١٩٧أ/ كانت ولادته ـ بقرية من سواد واسط، تدعىٰ أم عبيدة ـ في سنة ثمانين وخمسمائة، وتوفي بها ظهر يوم الخميس الرابع عشر من جمادى الأولىٰ سنة ست وثلاثين وستمائة، وقبره بها يزار ـ رحمه الله تعالىٰ ـ.

كان شيخ وقته زهداً وحالاً؛ فقيهًا شافعي المذهب، واعظًا كبير البيت، عارفًا بتفسير القرآن والحديث النبوي، وله جماعة كثيرة من المريدين والأتباع، ينتمون إليه، ويقصدونه من كُلّ مكان، وأهل السواد يقبلون عليه ويعتقدون فيه اعتقاداً عظيمًا، وذِكْرُهُ مشهور في البلاد سيَّار في الأقطار.

أنشدني القاضي أبو العباس أحمد بن الحسن بن عبد الله بن سابور الهمامي، بالهرث من الأعمال الواسطية في شهر شعبان سنة تسع وثلاثين وستمائة، قال: أنشدني الشيخ الزاهد أبو الحسن علي بن عبد الرحيم بن الرفاعي لنفسه: [من الطويل]

---

(١) في هامش الأصل: «شيخ الحقيقة، وعلم الطريقة».
ترجمته في: مختصر أخبار الخلفاء لابن الساعي ص١١٨.

أَتَيْنَاكُمُ مُسْتَغْفِرِيْنَ لأَنَّنَا عَرَفْنَاكُمُ بِالصفحِ عَنْ كُلِّ مُعْتَدِي
وَطُفْنَا بِنَادِيكُمْ وَقُلْنَا تُرَابُهُ ذَرُورٌ بِهِ نَعْتَاضُ عَنْ كُلِّ إِثْمِدِ
بِحُرْمَةِ أَيَّامِ الوِصَالِ الَّتِي مَضَتْ وَمَا شَابَ صَافِيْهَا كَلامُ مُفَنِّدِ
/١٩٧ب/ أَقِيْلُوْنِيَ الذَّنْبَ الَّذِيْ قَدْ أَتَيْتُهُ وَلاَ تُشْمِتُوا بِيْ قَلْبَ وَاشٍ وَحُسَّدِ

وله عند قصده باب الشيخ منصور بن الرفاعي ـ رضي الله عنهما ـ: [من الكامل]

وَفَدَ الوُفُوْدُ إِلَىٰ جَنَابِكَ كُلُّهُمْ سَأَلُوا الشَّفَاعَةَ مِنْكَ فِي الزَّلَّاتِ
فَتَيَقَّنُوا أَنَّ الإِلَهَ بِفَضْلِهِ مَنَحَ القَبُوْلَ وَمَنَّ بِالطَّاعَاتِ
فَانْزِلْ فَدَيْتُكَ فِي ذُرَاهُ فَإِنَّهُ أَهْلُ العَطَاءِ وَمَعْدِنُ الخَيْرَاتِ
وَأَبْشِرْ وَجُدَّ بِقَصْدِهِ وَمَزَارِهِ وَانْعَمْ بِقُرْبِ مِنْهُ فِي الجَنَّاتِ

وله: [من الطويل]

وَلَوْ بَذَلَ الدَّلَّالُ وَصْلَكَ يَافِعًا لَقُمْتُ إِلَيْهِ رَاغِبًا وَمُبَادِرَا
وَقَبَّضْتُهُ رُوْحِيْ وَقَلْبِيْ وَقَالَبِيْ وَأَيْقَنْتُ أَنِّي لَسْتُ فِيْ ذَاكَ خَاسِرَا

وأنشدني صدر الدين أبو القاسم بن أحمد بن محمد بن عبد الرحيم بن عثمان الرفاعي؛ قال: سمعت الشيخ العالم ينشد هذه الأبيات لنفسه؛ قالها في مطرب كان بين يديه: [من البسيط]

هَذَا الجَمَالُ عَلِيٌّ فِيْ جَمَاعَتِهِ كَغُصْنِ بَدْرٍ تَجَلَّىٰ فِيْ مَلاَحَتِهِ
/١٩٨أ/ تَرْنُو إِلَيْهِ عُيُوْنُ النَّاسِ نَاظِرَةً شَوْقًا إِلَىٰ وَجْهِهِ مِنْ طِيبِ نَغْمَتِهِ
يَئِنُّ كُلُّ حَسُوْدٍ مِنْ تَحَسُّرِهِ عَلَىٰ زَمَانٍ مَضَىٰ مِنْ قُرْبِ دَكَّتِهِ

[٤١٣]

عليُّ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إبراهيمَ بنِ مُحَمَّدٍ المُدنتانيُّ[(١)].

ومدنتان قرية من قرى بعلبك.

أبو الحسن الكاتب المدعو بالتقيّ، كاتب الملك الأمجد؛ كان عنده أدب وفضل

(١) في هامش الأصل: «وفاته السادس والعشرين من جمادى الأولى سنة ثلاثين وستمائة».

شاعر؛ ومن مختار شعره قوله يمدح الملك المنصور محمد ـ صاحب حماة ـ وذلك في سنة سبع وتسعين وخمسمائة من قصيدة أوّلها: [من البسيط]

نَـوْمِـيْ لِهَجْـرِ ظِبَـاءِ الجَـزْعِ مَهْجُـورُ ... وَالغُمْـضُ يَـوْمَ حُضُـوْرِ البَيْـنِ مَحْظُـورُ
كَيْـفَ اصْطِبَارِيْ وَنَارُ الشَّوْقِ تُضْرَمُ فِي ... قَلْبِـي وَخَـدِّيْ بِمَـاءِ الـدَّمْـعِ مَمْطُـوْرُ
فَمَـنْ لِصَـبٍّ غَـرِيْـقٍ بِـالـدُّمُـوْعِ لَـهُ ... جِسْـمٌ حَشَـاهُ بِجَمْـرِ الـوَجْـدِ مَسْجُـوْرُ
يَشُـوْقُـهُ بَـارِقُ الجَـرْعَـاءِ مُنْبَسِطًـا ... لَـهُ عَلَـىٰ النَّـورِ مِـنْ رَوْضِ الحِمَـىٰ نُـوْرُ
كَـأَنَّـهُ حِيْـنَ يَبْـدُو مِـنْ غَمَـامَتِـهِ ... مُهَنَّـدٌ لَامِـعُ المَتْنَيْـنِ مَشْهُـوْرُ
مَـا البَـانُ مُـذْ بَـانَ سُكَّـانُ العَقِيـقِ بِمَـأْنُـوسٍ وَقَـدْ عَتَبَـتْ أَقْمَـارُهُ العِيْـرُ

/ ١٩٨ب/ ومنها في المدح:

أَيَّـامَ أُنْصَـرُ فِيْهَـا بِـالـوِصَـالِ كَمَـا ... الإِسْـلَامُ بِـالمَلِـكِ المَنْصُـوْرِ مَنْصُـوْرُ
سُلْطَـانُ حِلْـمٍ وَبَـأْسٍ دَنَـتْ أَعْبُـدُهُ ... وَقَـرْنُ هَيْجَـاهُ مَعْفُـوْرٌ ومعفـور
كَـم فِـي قُلُـوبِ العِـدَا كَلْـمٌ لِخِيفَتِـهِ ... لَكِنَّـهُ بِسِنَـانِ الـرُّمْـحِ مَسْبُـورُ
لَا غَـرْوَ أَنَّ فِـرَقَ الأَعْـدَا بِسَطْـوَتِـهِ ... وَهُـمْ فَـرِيْقَـانِ مَحْصُـوْدٌ وَمَحْصُـورُ
بَـدْرٌ كَـوَاعِبُـهُ الخُـرْصَـانُ رَاجِمَـةً ... إِذَا دَجَـا مِـنْ عَجَـاجِ الحَـرْبِ دَيْجُـوْرُ
مَلْـكٌ هُـوَ البَحْـرُ مُـرْجًـى مَـا سَجَـا فَـإِذَا ... مَـا هَـاجَ مَـوجُ ظُبَـاهُ فَهْـوَ مَحْـذُوْرُ
يُجْـرِيْ عَلَـىٰ النَّـاسِ مِـنْ إِنْعَـامِـهِ نِعَمًـا ... تَتْـرَىٰ وَتَجْـرِيْ بِمَـا تَهْـوَىٰ المَقَـادِيْـرُ
وَفُـوْدُهُ نَحْـوَهُ أَنْضَـتْ مَـرَاكِبَهَـا ... حَتَّـىٰ شَكَـاهَـا إِلَيْـهِ السَّـرْجُ وَالكُـوْرُ
مُـؤَزَّرٌ بِبُـرُودِ الحَمْـدِ مُشْتَمِـلٌ ... مُتَـوَّجٌ بِـوَقَـارِ المُلْـكِ مَحْبُـوْرُ

[٤١٤]
عليُّ بنُ سعيدِ بنِ حمامةَ، أبو الحسن الصِّنْهَاجِي التلكانيُّ(١).

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢١/ ١٣٦. وفيه: «توفي سنة أربع وستمائة». التكملة للمنذري ٢/ ١٣٢ رقم ١٠١٤. تأريخ ابن الفرات ٥/ ١/ ٧١. كشف الظنون ١٩٦٦ وهو فيه: «علي بن شعيب» خطأ. وعلق مصححه على «حمامته» بأنها تحريف «جماعة»، خطأ أيضاً. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٠١ ـ ٦١٠) ص١٥٤ رقم ١٩٥. الأعلام ٤/ ٢٩١.

من أهل المغرب؛ كان شيخًا فيه فضل وأدب، وله معرفة بعلم العروض والقوافي، وعناية بتأليف الأشعار، وجمعها وترتيبها، ويلزم نفسه / ١٩٩أ/ ذلك.

نزل حماة، وانقطع إلىٰ سلطانها الملك المظفر تقيّ الدين أبي المناقب عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شاذي ـ رحمه الله ـ.

وجمع باسمه كتابًا سمّاه «نفائس الأعلاق في مآثر العشاق»[1] وعمله مبوّبًا، عشرين بابًا، أودع فيه من بدائع الحكايات، ونوادر الأشعار.

وظفرت له بكتاب آخر، لقبه بـ «زناد المقتبس في ملح أهل الأندلس»، . . . . . الأشعار التي ضمنها الكتاب علىٰ حروف المعجم، ولم يأت فيه بغريب من الشعر.

وكان شاعراً مكثراً من النظم، وعمل الموشحات، قادراً علىٰ إنشائه وارتجاله، يصنع منه ما شاء في ساعة واحدة بغير فكرةٍ ولا رويّة.

وفد إلىٰ البلاد الشامية، في أيام الملك العادل نور الدين أبي القاسم محمود بن زنكي بن آقسنقر ـ رحمه الله ـ فامتدحه بقصائد شتىٰ، ومدح بعده الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ـ رحمه الله ـ بعدة قصائد.

وبلغني أنَّه أدرك أوائل المائة السابعة ـ والله أعلم ـ كذا أخبرني بذلك الوزير الصاحب القاضي الأكرم أبو الحسن علي / ١٩٩ب/ بن يوسف بن إبراهيم القفطي ـ أسعده الله ـ بحلب.

أنشدني أبو الحسن علي بن فيّاض بن علي المغربي الحلبي؛ قال: أنشدني أبو الحسن علي بن سعيد بن حمامة الصنهاجي التلكاني لنفسه ـ وقد رأىٰ فاختة علىٰ شجرة نارنج وهي تغرّد: [من الطويل]

وَلابِسَةٍ ثَوْبًا مِنَ الرِّيْشِ أَدْكَنًا ... تَرُوْقُكَ مَرْأًى فِي الغُصُوْنِ وَمَسْكَنَا
بَنَتْ فِي أَعَالِي الدَّوْحِ وَكْراً مُحَصَّنًا ... تَفَيَّأُ أَوْرَاقًا لَدَانًا وَأَغْصُنَا
أَرَتْنَا بِأَفْنَانِ الأَرَاكَةِ قَيْصَرا ... وَقَدْ حَلَّ أَعْلَىٰ قُبَّةِ المُلْكِ والسَّنَا

(١) في شستربيتي برقم ٣٧٤١.

وَأَنْسَكَ الحَانَا وسَجْعَ مخارق إذَا مَسَّ أوْتَاراً وَغَرَّدَ مُعْلنَا
بَكَتْ طَرَبًا لمَّا بَكَيْتُ صبَابَةً وَكَمْ بيْنَ مَسْرُورٍ وَمَنْ يَشْتكِي الضَّنَا

ومن شعره أيضًا أوّل قصيدة: [من البسيط]

غَنَّى الحَمَامُ عَلَى أغْصَانه طَرَبا فَلَمْ يَدَعْ مُهْجَةً إلاَّ التَظَتْ لَهَبَا
هَاجَتْ لِيَ الشَّوْقَ فِيْ الأَغْصَان صَارخَةً لاَ تَعْرفُ الوَجْدَ وَالأَشْوَاقَ وَالوَصَبَا
مَا إنْ رَأَيْتُ جَهُولاً قَبْلَ رُؤْيَتهَا أصْبَى الحَليْمَ إلَى أنْ بَاتَ مُكْتَئِبَا
تَبْكِيْ وَمَا فَارَقَتْ إلْفًا وَلاَ وَطَنًا فَكَيْفَ مَنْ فَارَقَ الأُلاَّفَ مُغْتَرِبَا
/ ٢٠٠أ/ يَا قَاتَلَ الله صَدَّاحَ الحَمَام إلَى كَمْ يَأْلَفُ النَّوْحَ فِيْ أغْصَانه طَرَبَا
هَاجَ الصَّبَابَةَ مِنْ أعْنَان كَاظِمَةٍ حَتَّى اسْتَهَلَّتْ عَلَيْنَا بِاللِّوَى سُحُبَا

ومن شعره أيضًا في كتابه المسمّى بـ «نفائس الأعلاق»: [من الكامل]

بَاتَا بِأَنْعَمِ عيْشَةٍ حَتَّى بَدَا صُبْحٌ تَأَلَّقَ كَالأَغَرِّ الأَشْقَرِ
فَتَلاَزَمَا عِنْدَ الصَّبَاحِ صَبَابَةً (أخْذَ الغَرِيْمِ بِفَضْلِ ذَيْلِ المُعْسِرِ)

[٤١٥]

عليُّ بنُ المعمّرِ بنِ أبي القاسمِ، أبو الحسنِ الواسطيُّ.

كان قارئًا حسنًا، محدّثًا شاعراً؛ قرأ القرآن بواسط، وسمع الحديث الكثير؛ وعنده دراية بالنحو واللغة.

قدم بغداد واستوطنها، إلى أن توفيّ بها يوم السّبت ثاني شهر رمضان سنة تسع وستمائة، ودفن غربيها، عند قبر معروف الزاهد ـ رضي الله عنه ـ.

أنشدني الصاحب الوزير أبو البركات المستوفي ـ رحمه الله ـ قال: أنشدني أبو الحسن لنفسه، في شيخه ابن الجوزي، وقد أصابت / ٢٠٠ب/ النار بعض جوارحه:

[من المنسرح]

مَا مَسَّتِ النَّارُ منْكَ جَارحَةً ذَاتَ خصَالٍ يهِي مُعَدِّدُهَا
إلاَّ لقَوْلِ الإلَهِ مَا أحَدٌ مِنَ البَرَايَا إلاَّ سَيُورَدُهَا
فَعَجَّلَتْ كَيْ يكُوْنَ فِيْ النَّشأَةِ الأُخْرَى سَلِيمًا ممَّا يُنَكِّدُهَا

وأنشدني؛ قال: أنشدني أيضًا لنفسه: [من السريع]

يَـا أَحْسَـنَ العَـالَـمِ وَجْهـًا وَيَـا مَـنْ هُـوَ فِيْنَـا فِتْنَـةُ الكُـلِّ
إِنْ كَـانَ يُـرْضِيْـكَ دَمـِي فِـي الهَـوَىٰ فَـأَنْـتَ مِـنْ قَتْلـِي فِـي حِـلِّ
سَلَبْتَنـِي عَقْلـِي وَقَـدْ لَـذَّ لِـي أَنِّـي أَهْـوَاكَ بِـلَا عَقْـلِ
لأَنَّ مَجْنُـوْنَـكَ يَـا مُتْلِفِـي يَسْلَـمُ مِـنْ لَـوْمٍ وَمِـنْ عَـذْلِ

وأنشدني؛ قال: أنشدني لنفسه: [من السريع]

عَيْنَـاكَ لِـي أَفَـلُّ مِـنْ صَـارِمٍ أَرْهَفَـهُ القَيْـنُ عَلَـىٰ عَمْـدِهِ
لأَنَّهَـا تَقْطَـعُ فِـي غِمْـدِهَـا وَالسَّيْـفُ لَا يَقْطَـعُ فِـي غِمْـدِهِ

وقال أيضًا: [من البسيط]

يَـا نَهْـرَ عِيْسَـىٰ إِلَـىٰ عِيْسَـىٰ نُسِبْتَ وَمَا نُسِبْـتَ إِلَّا بِتَحْقِيْـقٍ وَإِيْضَـاحِ
فَـإِنَّمَـا بِـكَ إِحْيَـاءُ القُلُـوْبِ كَمَـا عِيْسَـىٰ المَسِيْـحُ بِـهِ إِحْيَـاءُ أَرْوَاحِ

[٤١٦]

عَلِيُّ بنُ شَمَّاسِ بنِ هِبَةِ اللهِ / ٢٠١أ/ بنِ إبراهيمَ بنِ شماس[(١)].

وقد تقدّم شعر ولده[(٢)].

أبو الحسن بن أبي الفضل الإربلي، المولد والمنشأ، الوزير.

كتب في ديوان الإنشاء بإربل للملك المعظم مظفر الدين كوكبوري بن علي بن بكتكين؛ ثم استوزره بعد قبضه علىٰ وزيره ولي الدين أبي الثناء محمود بن محمّد بن مُقداد بن فارس الحرّاني[(٣)]. وتمكن لديه، وحكم في دولته، ونال عنده مرتبة رفيعة، لم ينلها أحد قبله ولا بعده.

---

(١) ورد ذكره في: تأريخ إربل ١/ ٨٥.
(٢) ترجم المؤلف لولده (محمد بن علي بن شماس) في الجزء السابع برقم ٧٦٤. كما ترجم لابن أخيه (إسحاق بن معالي بن شماس) في الجزء الأول برقم ١٣٧.
(٣) في تأريخ إربل: «محمود بن مقلد بن فارس الحراني».

ثم جرت له نَبْوَةٌ فسجنه بقلعة هرور من أعمال إربل؛ ومات بها محبوسًا يوم الاثنين خامس عشر من ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وستمائة؛ وكانت ولادته في ثامن عشر ذي الحجة سنة أربع وأربعين وخمسمائة ـ رحمه الله تعالىٰ ـ.

وكان من محاسن زمانه، وظرفاء الدّهر وأعيانه؛ لطيفًا جليلاً عاقلاً حصيفًا؛ يرجع إلىٰ فضل وذكاء وكفاية ودهاء بصيراً بالأمور السلطانية، ذا رأي ثاقب، وحزم شديد، تاركًا لَلتكلف؛ يكره الحشمة والرئاسة، ويتبسط مع الأصدقاء والأصحاب، ويظهر البشر والبشاشة بينهم، ويتعصب للغرباء / ٢٠١ب/ وأهل الأدب والشعر.

أنشدني الصاحب الوزير أبي البركات المستوفي؛ قال: أنشدني أبو الحسن علي بن شماس الوزير لنفسه في محبوس: [من الكامل]

لاَ يُشْمِتِ الحُسّادَ حَبْسُكَ إنَّهُ ... شَرَفٌ يَتِيهِ بمِثْلِهِ الأَشْرَافُ
ثَكَلَتْهُمُ أُمُّ العَلاَءِ أَمَا دَرَوا ... مَأْوَىٰ نَفِيْسِ الجَوْهَرِ الأَصْدَافُ
لَو كَانَ يُنْصِفُكَ الزَّمَانُ كَفَاكَ مَا ... يَجْنِي وَلَكِنْ فَاتَكَ الإنْصَافُ

وأنشدني؛ قال: أنشدني أيضًا لنفسه: [من الكامل]

يَا مَنْ يُسَامِرُنِي بعُجْمَةِ لَفْظِه ... فَإخَالُ سُحْبَانًا بهَا مُتَكَلِّمَا
فَأظَلُّ مُكْتَئِبًا بنُطْقِ صَامِتَ ... يَا قَاتَلَ اللهُ الفَصِيْحَ الأَعْجَمَا

وأنشدني؛ قال: أنشدني لنفسه: [من الكامل]

هَلْ نَاصِرٌ قَدْ عَزَّت الأَعْوَانُ ... أمْ رَاحِمٌ قَدْ لَجَّ بِيْ العُدْوَانُ
أمْ حَامِلٌ ضَيْمِي وَتِلْكَ بَوَارِقُ الطَّمَعِ الكَذُوْب سَحَابُهَا لَمَعَانُ

وأنشدني؛ قال: أنشدني لنفسه من قطعة: [وكتب بها إلى الأمير عزّ الدين محمد .. بدر ... الكردي يعاتبه من الحبس، وكان ... أولها: [من الطويل]

متى ينقضي .... وجروحُ
.... أضر بها النوى ... وتوقى دموع جفنهنَّ قريح ...
.... تنوحُ][1]
وَتَجْمَعُنَا دَارٌ نَعِمْنَا بظِلِّهَا ... وَنَغْدُو عَلَىٰ جِيْرَانِنَا وَنَرُوْحُ

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل. ومعها كلام وشعر مطموس لم نهتد لقراءته.

وَنَهْجُرُ أَوْطَانَ البِلَى وَمَنَازِلاً غَبُوقِي أَحْزَانٌ بِهَا وَصَبُوحُ
/٢٠٢أ/ وَنَعْدَمُ أَثْقَالَ القُيُودِ وَتَذْهَبُ الجُرُوحُ بِأَقْدَامٍ لَنَا وَقُرُوحُ
وَنَأْمَنُ رَوْعَاتِ الحُبُوسِ وَيَنْجَلِي شُحُوبٌ عَلَى حُرِّ الوُجُوهِ يَلُوحُ
وَيُنْشَرُ مَطْوِيُّ الأَحَادِيثِ بَيْنَنَا وَنُلْقِي عَصَا أَحْزَانِنَا وَنُرِيحُ
وَيَعْتَذِرُ الجَافِي إِلَيْنَا وَيُصْبِحُ السَّقِيمُ مِنَ الأَحْوَالِ وَهْوَ صَحِيحُ
إِلَى اللهِ يَشْكُو قَسْوَةَ الدَّهْرِ عَاجِزٌ ذَلِيلٌ عَلَى فَرْشِ الهَوَانِ طَرِيحُ
قَرَارَةُ أَحْدَاثِ اللَّيَالِي وَمُلْتَقَى جُيُوشِ الرَّزَايَا سَانِحٌ وَبَرِيحُ
وَمُجْتَمَعُ الأَحْزَانِ فَلُّ مَصَائِبٍ صَرِيعٌ بِسَيْفِ النَّائِبَاتِ جَرِيحُ
سِهَامُ المَنَايَا تَنْتَحِيهِ نِصَالُهَا وَمَسْلَكُ أَقْوَالِ الوُشَاةِ فَسِيحُ
يَضِجُّ ضَجِيجَ النِّيبِ نُهِّبَ سَقَامُهَا وَأَعْوَزَهَا وِرْدٌ وَعَزَّ نَصُوحُ
وَأَصْبَحَ إِلْبًا لا يُرَجَّى وَنَفْعُهُ إِذَا سِيمَ حَمْلَ المَكْرُمَاتِ طَلِيحُ
أَلا مُبْلِغٌ عَنِّي ابْنَ بَدْرٍ رِسَالَةً لَهَا نَفَحَاتٌ بِالعِتَابِ تَفُوحُ
إِذَا تُلِيَتْ آيَاتُهَا فِي مَحَافِلٍ تَيَمَّمَهُ اللَّوْمُ المُمَضُّ صَرِيحُ
أَصَاخَ إِلَى قَوْلِ الوُشَاةِ وَبَيْنَهَا وَصَدَّقَ أَحَادِيثَ مَهَامُهُ فِيحُ
إِلَى خَالِقِ الخَلْقِ المَصِيرُ وَيَقْبَلُ الصَّحِيحَ إِذَا ضَمَّ الجَمِيعَ ضَرِيحُ

[وقال يصف طبيبًا: [من السريع]

يَا مَنْ غَدَا بُقْرَاطُ مَعْ عِلْمِهِ عَبْدًا لَهُ فِي صَنْعَةِ الطِّبِّ
وَمَنْ بِهِ رَاحَتْ نُفُوسُ الوَرَى فِي دَعَةٍ آمِنَةَ السِّرْبِ
ومن إذا شاهده .... الكرب][١]

[٤١٧]

/٢٠٢ب/ عليُّ بنُ ظافر بنِ الحُسينِ، أبو الحسنِ بنُ أبي المنصورِ الأزديُّ[٢].

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل، وفي هامش الورقتين ٢٠١ب، ٢٠٢أ، كلام وشعر مطموس لم نهتد لقراءته.

(٢) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢١/١٥٨ ـ ١٦٥ وفيه: «ولد سنة سبع وستين وخمسمائة». معجم=

من أهل الديار المصرية.

كان والده فقيهًا مالكيًا، إمامًا في الفقه والأصول؛ له حلقة يختلف إليه جماعة من المستفيدين، يقرأون عليه العلم.

وكان ابنه هذا رجلاً نبيهًا جليلاً، ذا فضائل وافرة، وبلاغة متظاهرة، ومكان جيد من صناعتي النظم والنثر؛ وله اليد الطُولىٰ في فن الأدب، مع أخذه بحظٍّ من مذهب مالك، وقيامه معلم الأصول والإطلاع علىٰ أخبار النّاس وأيامهم، وأمثال العرب وأشعارهم.

وصنّف عدّة كتب، تعربُ عن فضله، وتنبىء عن فهمه؛ منها «كتاب الشجعان»، وكتاب «أساس السياسة»، وكتاب «الدول المنقطعة»، وكتاب «بدائع البداثة».

وترقت به الحال، إلى أن استوزره الملك الأشرف أبو الفتح موسىٰ بن أبي بكر بن أيوب، علىٰ حرّان وأعمالها؛ فبقي يتولاها مدّة يظهر علىٰ أهلها الحماقة الزائدة / ٢٠٣أ/ عن الحدِّ والصلف؛ واستطال عليهم بالسفه والكلام الشنيع، ولم تحمد سيرته عندهم، فأبلغ الملك الأشرف ما كان يعامل به الناس، صرفه عن الولاية، فانتقل إلىٰ مصر، فتوفّي بها في سنة ثلاث عشرة وستمائة.

وكان تيَّاهًا معجبًا بنفسه علىٰ من يخاطبه، شرس الأخلاق، تعتريه علّة سوداوية؛ وقفت علىٰ قطع وافرة من أشعاره، رواها عنه نجيب الدين بن شقيشقة.

أنشدني نجيب الدين أبو الفتح نصر الله بن أبي العزّ بن أبي طالب الصفار الشيباني الدمشقي بها في المحرم سنة أربعين وستمائة؛ قال: أنشدني أبو الحسن علي بن أبي المنصور ظافر بن الحسين الأزدي المصري الكاتب لنفسه يذم الدنيا، ويذكر أغراضًا له:

[من المنسرح]

مَقَتُّ هَذَا الزَّمَانَ بَعْدَ مِقَهْ ... قَدْ يَبْغَضُ المَرْءُ بَعْضَ مَا عَشِقَهْ

= الأدباء ٤/١٧٧٧ ـ ١٧٧٨ ط الغرب. فوات الوفيات ٢/١٠٦ ـ ١١٢. عقود الجمان للزركشي ٢٠٩. مقدمات كتبه المنشورة وهي: أخبار الدول المنقطعة، بدائع البداثة، غرائب التشبيهات على عجائب التشبيهات.

تَبًّا لِهَذِي الدُّنْيَا فَمَا رُؤِيَتْ ... إلاّ بِحَبْلِ الجُهَّالِ مُعْتَلِقَهْ
عَقِيرَةً حَوْلَهَا الكِلاَبُ فَقَدْ ... وَافَقَ شَنٌّ مِنْ أَهْلِهَا طَبَقَهْ
أَيْنَ رِجَالُ الدُّنْيَا وَسَاسَتُهَا ... ذَلِكَ جِيلٌ أَفْنَاهُ مَنْ خَلَقَهْ
قَدْ سَبَقُونِي مَوْتًا فَلاَ بُدَّ لِلْمَسْبُوقِ أَنْ يَلْحَقَ الَّذِي سَبَقَهْ
/ ٢٠٣ب/ وَخَلَّفُونِي بِالكُرْهِ فِي خَلَفٍ ... أَجْرَعُ مِنْ سُوءِ فِعْلِهِمْ رَنَقَهْ
زَعْنَفَةٌ تَسْكُنُ الحَوَانِيتَ مَا ... زَالَتْ إِلَيْهَا لِلكَسْبِ مُنْطَلِقَهْ
وَبَاعَةٌ تَجْمَعُ الحَرَامَ وَمَا ... مِنْ غَيْرِ أَدْيَانِهَا لَهَا نَفَقَهْ
حَتَّى إِذَا مَا لِمَنْصِبٍ وَلِيَتْ ... أَضْحَتْ بِسُحْتِ البِرْطِيلِ مُرْتَفِقَهْ
لَوْ رَاهَنُونِي فِي أَنَّهُمْ بَقَرٌ ... يَوْمًا لأَضْحَتْ رِهَانُهُمْ عَلِقَهْ
أَوْ حَلَّ مَا بَيْنَهُمْ هَبَنَّقَةٌ ... لَكَانَ أَغْنَى حِجَاهُمُ حُمُقَهْ
مَا فِي كِتَابِ الأَوْرَاقِ أَجْمَعِهِ ... مِثْلُ أَحَادِيثِهِمْ وَلاَ الوَرَقَهْ
وَزَادَهُ المُلْكَ مَا التِّجَارَةُ مِنْ ... آلاتِهَا يَا طَغَامُ يَا فَسَقَهْ
أَيْنَ السِّيَاسَاتُ لِلمَمَالِكِ مِنْ ... سَمُّورَةٍ تُشْتَرَى وَمِنْ وَشَقَهْ
صُونُوا السُّوءَ بِالأَمْرِ كَمْ رَفَعَتْ ... وَلاَ تَكُونُوا لَهَا مِنَ العَقَقَهْ
فَرُبَّ . . . . . الكَفِّ فَاتِلِهِ حَبْلاً ... بِمَا أُبْرِمَتْهُ مُخْتَنِقَهْ
كَمْ ذَنَبٍ صَارَ مِنْ جَهَالَتِهِ ... رَأْسًا فَفَكُّوا مِنْ رَأْسِهِ عُنُقَهْ
وَكَمْ وَضِيعٍ عَلاَ فَحُطَّ وَقَدْ ... أَضْحَتْ قُلُوبُ الوَرَى بِهِ حَنِقَهْ
لَوْلاَ تَعَالِيهِ فِي سَفَالَتِهِ ... مَا حَرَمُوهُ الحُنُوَّ وَالشَّفَقَهْ
يَا لَيْتَ ضَبَّ الفَلاَةِ يَسْلَمُ مِنْ ... مُحْتَرِشٍ وَهُوَ سَاكِنٌ نَفَقَهْ
/ ٢١٢أ/ أَنْتَ كَالنَّجْمِ بَيْنَهُمْ وَهُمُ كَاللَّيْلِ يَعْلُو رُكَامُهُ غَسَقَهْ
يَخْشَوْنَنِي كَالحَمِيرِ عَايَنَتِ اللَّيْثَ فَظَلَّتْ مَرْهُوبَةً فَرِقَهْ
فَهُمْ يَظُنُّونَ [أَنَّ] الأَرْضَ مَائِدَةً ... مِنْ رُعْبِهِمْ وَالسَّمَاءَ مُنْطَبِقَهْ
كَذَاكَ مَنْ يَمْتَطِي المَنَاصِبَ لاَ ... مِنْ أَهْلِهَا لَمْ تَزَلْ بِهِ قَلَقَهْ
وَمَنْ رَقَى شَاهِقًا وَلَمْ يَعْتَدِ المَشْيَ فَلاَ يَأْمَنْ بِهِ زَلَقَهْ
كَمْ مُقْرِفٍ رَامَ رَائِعًا فَكَبَا ... وَانْشَقَّ بُهْرًا وَلَمْ يَنَلْ طَلَقَهْ
مَا شَاءَ يَهْوَى خَلْقًا وَلاَ خُلُقًا ... إِلاَّ كَمَا شَابَهَ الرَّصَاصُ رِقَه

فَلِـي لِسَـانٌ بِـالعِلْـمِ مُنْطَلِـقٌ إِلَـى يَـدٍ بِـالعَطَـاءِ مُنْـدَفِقَـهْ
وَلِـي كَـلاَمٌ كَـالـدُّرِّ لَـوْ ظَفِـرَ الـدُّرُّ بِـهِ وَقَّـتَ غَفْلَـةَ سَـرَقَـهْ
مَعْنَـى القَنَـا خُـذْ وَخَـلِّ صُـورَتَـهُ فَكَـمْ أَتَتْنَـا مِـنْ دودةٍ سـرقـه
كَـمْ ذَا تُـرانـي أَجِـدُّ مُنْتَحِيـاً رَتْـقَ أُمُـورٍ تَجِـيءُ مُنْفَتِقَـهْ
رَقَّعْتُهَـا مِثْلَمَـا يُـرَقَّـعُ بِـالـدِّيْبَـاجِ خَـرْقُ العَبَـاءَةِ الخَلَقَـهْ
فِـي فُقَـرَاءٍ مِـنْ كُـلِّ تَجْـرِبَـةٍ وَقَفْـتُ عَقْلِـي عَلَيْهِـمُ صَـدَقَـهْ
وَبَـاذِلُ الـوُدِّ مِثْـلُ . . . . . وَمُمْحِـضُ الحُـبِّ مِثْـلُ مَـنْ مَـذَقَـهْ
/ ٢١٢ب/ أَخْفَـى وَفَضْلِـي فِـي الأَرْضِ مُشْتَهِـرٌ هَـلْ يَجْهَـلُ المِسْـكَ نَـاشِـقٌ عَبَقَـهْ
خَـلِّ بِـلاَداً عَلِيمُهَـا مِثْـلُ ذِي الجَهْـلِ وَمَـوْثُـوقُهَـا كَغَيْـرِ ثِقَـهْ
لِلْحُـرِّ فِـي الأَرْضِ أَيُّ مُـرْتَبَـعٍ إِنْ شَـوْكُ دَوْحٍ عَنْـهُ حَمَـى وَرَقَـهْ
وَإِنَّ فِـي صَـوْلَـةِ الصَّـوَاعِـقِ تَكْـدُّ سَقِيـا السَّحَـائِـبِ الغَـدِقَـهْ
وَدَنْ بِيَـأْسٍ مِـنْ رِفْـدِ مُـرْتَـزِقٍ مِثْلِـكَ عَبْـدٍ وَارْجُ الَّـذِي رَزَقَـهْ
وَاقْـدَمْ عَلَـى الهَـوْنِ غَيْـرَ مُـرْتَـدِعٍ فَـإِنَّ مَـنْ رَامَ مَطْلَبـاً لَحِقَـهْ
وَلاَ يَـرُوعَنْـكَ قَـوْلُهُـمْ بَطَـلٌ حَيَّـةُ وَادٍ فَـأَصْلُـهُ عَلَقَـهْ
وَمَـا تـوقـى الشجـاع نـاقصـه خمـرة قَـدْ كَـانَ يَحْمِـلُ الـدَّرَقَـهْ
أَنْ لاَ يَـرَاكَـنَّ خَـالِقُهَـا مِـنْ خَلْـفِ أَهْـدَابِ جَفْنِهَـا الحَـدَقَـهْ
وَقَـلَّ مَـا تَنْفَـعُ امْـرَءاً عُـدَدُ الحَـرْبِ إِذَا صَـرْفُ دَهْـرِهِ طَـرَقَـهْ
لَـمْ تَنْفَـعِ القَـارَةَ الـرِّقَـاءُ وَقَـدْ كَـادَهُـمُ دَهْـرُهُـمْ وَلاَ الحُـرَقَـهْ
وَلاَ تَحَـامَـى المُطَيِّبِيْـنَ لأَجْـلِ الحِلْـفِ صَـرْفُ الـرَّدَى وَلاَ اللَّعَقَـهْ
أَوْدَى بِسَعْـدٍ مِـنْ خَلْـفِ شِكَّتِـهِ مَـنْ وَلَـدَتْـهُ لِحَتْفِـهِ العَـرَقَـهْ
وَلاَ حَمَـاهُ سَـرْدُ الحَـدِيْـدِ وَلاَ بَـأْسٌ إِذَا اللَّيْـثُ رَاءَهُ فَـرَقَـهْ

وأنشدني؛ قال: أنشدني لنفسه في الحكمة: [من مجزوء الكامل]

/ ٢١٣أ/ إِسْتَنْطِـقِ الإِنْسَـانَ يُظْهِـرُ نُطْقُـهُ خَـافِـي شُـؤُونِـهْ
فَـالنَّـاسُ فَخَّـارٌ وَيَبْـدُو حَـالُـهُ لَـكَ مِـنْ طَنِينِـهْ

وقال بالإسناد: [من الكامل]

إِسْتَقْـرِ أَحْـوَالَ الفَتَـى إِنْ شِئْـتَ مِـنْ قُـرَنَـائِـهِ

فَالنَّاسُ مِنْ مَاءٍ وَلَوْنُ المَاءِ لَوْنُ إِنَائِهِ

وأنشدني: قال: أنشدني لنفسه: [من المنسرح]

إِذَا مَكَانٌ لَمْ يَنْبُ جَانِبُهُ عَنْكَ فَلاَ تَطْلُبْ بِهِ بَدَلاَ
فَذَاكَ بَغْيٌ وَالبَغْيُ مَهْلَكَةٌ وَالمَرْءُ رَهْنٌ بِكُلِّ مَا فَعَلاَ

وأنشدني؛ قال: أنشدني لنفسه في غلام بديع الجمال، لابسٍ حلْقتين في أذنيه فيهما جوهرتان: [من الطويل]

وَبِي شَادِنٌ حَالِي المَسَامِعِ مُذْ بَدَا يَمِيسُ هَفَتْ حُبًّا لَهُ مِنِّيَ النَّفْسُ
حَكَتْ حَلْقَتَاهُ ضِمْنَ جَوْهَرَتَيْهِمَا هِلاَلَيْنِ فِي نَجْمَيْنِ بَيْنَهُمَا شَمْسُ

وأنشدني؛ قال: أنشدني لنفسه في البطيخ: [من الكامل]

وَافَى بِبِطِّيخٍ حَكَى فِي رِيحِهِ وَمَذَاقِهِ شَهْداً خَلِيطَ مُدَامِ
/ ٢١٣ب/ فَرَأَيْتُهُ لَمَّا انْتَضَى سِكِّينَهُ وَغَدَا يُشَقِّقُهُ لَنَا فِي الجَامِ
كَالشَّمْسِ قَطَّعَتِ البُدُورَ أَهِلَّةً بِضِيَاءِ بَرْقٍ فِي سَوَادِ ظَلاَمِ

وأنشدني؛ قال: أنشدني في صغير السنّ: [من مجزوء الرجز]

بِي شَادِنٌ صَوَّرَهُ لِفِتْنَتِي مَنْ صَوَّرَهْ
يَوَدُّ مَنْ رَآهُ خَوْفَ عِشْقِهِ لَوْ لَمْ يَرَهْ
وَلَمْ يُصَغِّرْ قَدْرَهُ السِّنُّ الَّذِي قَدْ صَغَّرَهْ
بَلْ جَاءَ كَالغُصَيْنِ تَحْتَ صَفْحَةٍ كَالزُّهَرَهْ
يَبْيَضُّ ذَاكَ الوَجْهُ إِذْ تَسْوَدُّ تِلْكَ الشَّعَرَهْ
ذُو نَاظِرٍ هَارُوتُ لَوْ قَابَلَهُ لَسَحَرَهْ
وَمَبْسِمٌ يُبْصِرُهُ البَرْقُ فَيُغْشِي بَصَرَهْ
تَرَاهُ كَاللُّؤْلُؤِ فِي فَمٍ كَلَمْحِ الجَوْهَرَهْ
سُبْحَانَ مَنْ نَظَّمَ زُهْرَ الشُّهْبِ وَسْطَ الزُّهَرَهْ

وله في الحكمة بالإسناد: [من مخلّع البسيط]

لاَ تَغْتَرِرْ بِالعَدُوِّ يَوْمَا إِنْ لاَنَ مِنْهُ عَلَيْكَ قَلْبُ
عَوَائِدُ الطَّبْعِ غَالِبَاتٌ كَمْ آلَمَ الشَّوْكُ وَهْوَ رَطْبُ

/ ٢١٤أ/ وأنشدني؛ قال: أنشدني من شعره، وكتبه إلىٰ صديق له بالموصل وهو الأمير الأجل مجد الدين إسماعيل بن مجاهد الدين العماديّ يستهديه سمكًا:

[من الطويل]

يَـا أيُّهَـا المَجْـدُ الَّـذِي المَجْـدُ شِيْمَـةٌ ... لَـهُ زَانَ منهَـا إذْ سِـوَاهُ يَشِيْنُهَـا
وَمَـنْ خُلْقُـهُ مِثْـلُ الـرِّيَاضِ تَجَـاوَبَـتْ ... حَمَـائمُهَـا جَهْـراً وَمَـادَتْ غُصُـوْنُهَـا
يَقُـوْلُـوْنَ لِـيْ أسْمَـاكُ دِجْلَـةَ شَكْلُهَـا ... بَـدِيْـعٌ إذَا لاَحَـتْ لِمَـنْ يَسْتَبِيْنُهَـا
يُعِيـنُ الَّـذِيْ يَبْغِـيْ لَهَـا الأَكْـلَ طِيْبُهَـا ... وَيُسْعِـدُهُ فِـي سُـرْعَـةِ الهَضْـمِ لِيْنُهَـا
مُلُـوْكٌ فَمَـا الأَسْمَـاكُ إلاَّ عَبِيْـدُهَـا ... لِـذَا لَبِسَـتْ أثْـوَابَ تِبْـرٍ مُتُـوْنُهَـا
إذَا مَـا جَـلاَمِيْـدُ الصُّخُـوْرِ غَـدَتْ لَهُـمْ ... حُصُـوْنَـاً فَـأمْـوَاجُ البِحَـارِ حُصُـوْنُهَـا
فَكَـالعَسْجَـدِ المَحْضِ النُّضَـارِ ظُهُـوْرُهَـا ... وَكَـالفِضَـةِ البَحْـتِ الخَـلاَصِ بُطُـوْنُهَـا
وَإنْ أزْرَقُ اليَـاقُـوْتِ ذَابَ فَنَهْـرُهَـا ... وَإنْ لَـمْ تَـذُبْ أحْجَـارُهُ فَعُيُـوْنُهَـا
لَبِسْـنَ دروعـاً . . . . . دروعَ ... وَفِـيْ مِثْـلِ الـدُّرُوْعِ مُتُـوْنُهَـا
فَيَـا عَجَبَـاً مِنْهَـا تَمُـوْتُ . . . . كَـلٌ لاَ يَـزَالُ يَصُـوْنُهَـا
وَلَيْـسَ لَنَـا طَـاهٍ مُجِيْـدٌ تَطِيْـبُ مِـنْ ... صَنَـائِعِـهِ أنْـوَاعُهَـا وَفُنُـوْنُهَـا
/ ٢١٤ب/ فَدُوْنَكَ فَاصْنَعْ مَا تَشَاءُ فَأنْتَ مَنْ ... يُـذِلُّ نَفِيْسَـاتِ النَّـدَىٰ وَيُهِيْنُهَـا
وَدُمْ لِلعُـلاَ تُـوْفَـىٰ لَـدَيْـكَ وُعُـوْدُهَـا ... إذَا جُحِـدَتْ يَـوْمَـاً وَتُقْضَـىٰ دُيُـوْنُهَـا

وأنشدني؛ قال: أنشدني لنفسه في الحكمة: [من الطويل]

إذَا احْتَـاجَ قَـوْمٌ لِلْحَكِيْـمِ فَـإنَّهُـمْ ... لِـذِيْ الجَهْـلِ مِمَّـنْ شَـأنُـهُ الحُكْـمُ أحْـوَجُ
فَـلاَ يَـرْتَجِـيْ النَّـاسُ انْتِظَـامَ أُمُـورِهِـمْ ... مَتَـىٰ لَـمْ يَكُـنْ فِيْهِـمْ رَكِيْـنٌ وَأهْـوَجُ
وَهَـلْ يَنْفَـعُ الـرَّامِـيْ اسْتِقَـامَـةُ سَهْمِـهِ ... إذَا لَـمْ يُـؤَيِّـدْهُ مِـنَ القَـوْسِ أعْـوَجُ

وأنشدني؛ قال: أنشدني لنفسه: [من البسيط]

إنْ تَـرْضَ بِـالـدُّوْنِ مِمَّـنْ تَـرْتَجِيْـهِ تَفُـزْ ... مِنْـهُ بِكُـلِّ زَهِيْـدِ القَـدْرِ مَنْحُـوْسِ
وَمَـنْ أبَـتْ نَفْسُـهُ نَـزْرَ الْجَـدَا أنَفَـاً ... يَنَـلْ نَفَـائِـسَ مَـذْخُـوْرٍ وَمَلْبُـوْسِ
رِضَـا الحَمَـائِـمِ بِـالأَحْـوَاقِ أخَّـرَهَـا ... عَـنْ أنْ تُشَـارِكَ فِـيْ وَشْـيِ الطَّـوَاوِيْـسِ

وقال أيضًا: [من السريع]

إعْـوجَّ إنْ كُنْـتَ تُـريْـدُ الغنَـىٰ تَظْفَـرْ وإلاَّ عَضَّـكَ الاحْتيَـاجْ
فَـالفَـخُّ لَـمْ يَصْطَـدْ ولَـم يَقْتَـضِ لَـولا الَّـذي فيْـه مِـنَ الإعْـوجَـاجْ

[٤١٨]

/٢٠٤أ/ عليُّ بنُ أحمدَ بن عليِّ بن عبد المنعم بن هَبَل، أبو الحسنِ بنِ أبي العباسِ الحكيمُ، البغدَاديُّ المولدَ والمَنشأ[١].

الفاضل المشهور المعروف بالخلاَطي، وليس خلاطيًا علىٰ الحقيقة، إلاّ أنه رحل إلىٰ خِلاَط[٢]، وأقام بها دهراً طويلاً، فنسب إليها.

وكان تلميذ أوحد زمانه أبي البركات هبة الله بن ملكا الحكيم البلدي، وعليه قرأ علم الطبّ /٢٠٤ب/ وأتقنه، واقتبس من فوائده، وتقدّم حينئذ وبرع في فنِّ الطب والمداواة، وفاق أهل زمانه بالحذق والصناعة.

ثم قدم ماردين، ووزر لصاحبها قطب الدين إيل غازي بن البى بن تمرتاش بن أرتق الأرتقي[٣]، وصنّف في الطب كتاباً حسناً سماهُ

(١) ترجمته في: الكامل لابن الأثير ١٢/ ٣٠٢. أخبار الحكماء للقفطي ص٢٣٥. تأريخ مختصر الدول ص٢٤٠ وفيه وفاته ٦١٩هـ. شذرات الذهب ٥/ ٤٢. نكت الهميان ص٢٠٥ ـ ٢٠٦. التكملة للمنذري ٢/ ٢٦٦ رقم ١٢٧٩. تأريخ دنيسر ص١٨١. ذيل تاريخ بغداد لابن النجار ٣/ ١١٧ ـ ١١٩ رقم ٦٠٨. العبر ٥/ ٣٦. تذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٩٥. تأريخ إربل ١/ ٣١٦. المشتبه ٢/ ٥٣٩. البداية والنهاية ١٣/ ٦٦ ـ ٦٧. العسجد المسبوك ٢/ ٣٤٣. إنباه الرواة ٢/ ٢٣١. عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٢/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥. سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٣. تكملة إكمال الإكمال لابن الصابوني ١٥٧. المختصر المحتاج إليه ٣/ ١٧٣ رقم ٩٨٣. النجوم الزاهرة ٦/ ٢٠٩. ديوان الإسلام ٤/ ٣٢٧ رقم ٢١٥٤. تاريخ الإسلام (السنوات ٦٠١ ـ ٦١٠) ص٣٧٧ رقم ٥٢٧. الإعلام بوفيات الأعلام ٢٥١. الإشارة إلى وفيات الأعيان ٣١٩. الدارس في تاريخ المدارس ٢/ ١٣٠. كشف الظنون ١٦٢٢. هدية العارفين ١/ ٧٠٤. معجم المؤلفين ٧/ ٢١. الأعلام ٤/ ٢٥٦.
ترجم المؤلف لولده (أحمد بن علي بن أحمد) في الجزء الأول برقم ٧٤، كما ترجم لحفيده (يوسف بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي) في الجزء العاشر برقم ٩٦٢.

(٢) في الأصل: «أخلاط» والصواب خِلاط: وهي بلدة عامرة مشهورة في قصبة أرمينا الوسطى. انظر: معجم البلدان/ مادة (خلاط).

(٣) إيل غازي: الملك السعيد، صاحب ماردين، كان موصوفًا بالعدل والشجاعة، توفي سنة ثمانين =

«المختار»[١]، وكان قد سمع شيئًا من الحديث علىٰ أبي القاسم إسماعيل السمرقندي[٢]، وقرىء عليه بالموصل، وأضرَّ في آخر عمره.

وكانت وفاته بالموصل، ثالث عشر المُحرّم سنة عشر وستمائة، ودفن ظاهر البلد ـ غربيّه ـ بمقبرة المعافىٰ بن عمران الزاهد ـ رضي الله عنهما؛ وكانت ولادته ببغداد بباب الأزَج، بدرب ثمل في الثالث والعشرين من ذي القعدة سنة ست أو خمس عشرة وخمسمائة.

هكذا ذكر لما سُئل عن مولده، وكان مع ذلك كثير الصدقة، حسن الأخلاق، واسع النفس، له أشعار.

أنشدني أبو العباس أحمد بن سيف بن محمد الموصلي؛ قال: أنشدني الحكيم أبو الحسن لنفسه: [من الطويل]

وَمَنْ لَمْ يَخَفْ ذَمًّا فَلَا تَرْجُ أَنَّهُ ... يَعِفُّ عَنِ العَوْرَاءِ وَهْوَ قَدِيْرُ

/٢٠٥أ/ وَمَنْ لَمْ تَكُنْ آبَاؤُهُ وَجُدُوْدُهُ ... كِرَامًا وَإِنْ يَبْخَلْ فَذَاكَ جَدِيْرُ

وممّا وجد له أيضًا؛ قوله يتشوق فيه إلىٰ أهله بالعراق، ونُقّل من خطّه:

[من الطويل]

أَيَا أَثَلَاتُ بِالعِرَاقِ أَلِفْتُهَا ... عَلَيْكِ سَلَامٌ لَا يَزَالُ يَفُوْحُ

لَقَدْ كُنْتُ جَلْدًا عِنْدَ قُرْبِي بِقُرْبِهَا ... فَقَدْ عَادَ مَكْتُومُ الفُؤَادِ يَبُوْحُ

فَمَا أَحْسَنَ الأَيَّامَ فِيْ ظِلِّ أُنْسِهَا ... قُبَيْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ حِيْنَ تَلُوحُ

وَقَدْ غَرَّدَ القُمْرِيُّ فِيْ غَسَقِ الدُّجَىٰ ... وَدَاعِيْ حَمَامٍ فِيْ الغُصُوْنِ يَنُوحُ

ذَكَرْتُ لَيَالٍ بِالصَّرَاةِ وَطِيْبَهَا ... نَطِيْرُ لَهَا شَوْقًا وَنَحْنُ جُمُوْحُ

= وخمسمائة.

ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٠/ ٢٦ وفيه قائمة بمصادر ترجمته.

(١) كتاب المختار في الطب، طبع بدائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن سنة ١٣٦٢ ـ ١٣٦٤هـ.

(٢) إسماعيل بن أحمد بن أبي الأشعث الحافظ، أبو القاسم السمرقندي: ولد بدمشق سنة أربع وخمسين وأربعمائة، توفي سنة ست وثلاثين وخمسمائة.

ترجمته في: الوافي بالوفيات ٩/ ٨٨ وفيه قائمة بمصادر ترجمته.

وقال أيضًا: [من الطويل]

أَيَا دَوْحَةً هَامَ الفُؤَادُ بِذِكْرِهَا ... عَلَيْكَ سَلَامُ اللهِ يَا دَوْحَةَ الأُنْسِ

رَمَتْنِي النَوَىٰ بِالبُعْدِ منك وَقَوْلها ... وَقَدْ كُنْتُ جَاراً لَاصِقاً لَكَ بِالأَمْسِ

فَيَا لَيْتَ أَنِّي بَعْدَ بُعْدِ أَحِبَّتِي ... نُقِلْتُ كَرِيمًا رَاضِيَ النَّفْسِ بِالرَّمْسِ

وَإِلاَّ فَلَيْتَ الدَّهْرَ يُمْكِنُ منهُمُ ... بِقَبْضِ حِبَالِ الوَصْلِ بِالأَنْمُلِ الخَمْسِ

إِذَا جَالَ طَرْفِي بِالعِرَاقِ وَجَوِّهِ ... كَأَنِّي نَظَرْتُ الأُفْقَ مِنْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ

[٤١٩]

/٢٠٥ب/ عليُّ بنُ مُحَمَّدِ بنِ يوسفَ بنِ مسعودٍ، أبو الحسن القرطبيُّ القيسيُّ القبذاقيُّ، المعروفُ بابنِ خَروفٍ[1].

خرج عن الأندلس، وقدم بلاد الشام، ونزل حلب، واستوطنها في أيام الملك الظاهر غياث الدين غازي بن يوسف بن أيوب، وانقطع إليه وامتدحه بعدة قصائد؛ ومات في أيامه في سنة أربع وستمائة.

وكان من المطبوعين في الشعر، وظرّاف الناس في وقته؛ وكان من المطبوعين ذا فصاحة ودماثة، قيّمًا بعلم العربية والأدب، حسن الشعر، يتخالع فيه، وله مكاتبات ورسائل ويد باسطة في عمل الموشح والأزجال الأندلسية. وكان من أقدر الناس في صنعتها.

وكان صديقًا لابن لهيب الشاعر، وبينهما انبساط يقتضي الاسترسال، معه [في]

---

(١) ترجمته في: وفيات الأعيان ٣/ ٢٢ وفيه وفاته سنة ٦١٠هـ. البداية والنهاية ١٣/ ٥٣. الغصون اليانعة ١٣٨. معجم الأدباء ٥/ ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ رقم ١٣٦. بغية الوعاة ٢/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤ رقم ١٧٩٣ وفيه اسمه: «علي بن محمد بن علي بن محمد نظام الدين...». التكملة لابن الأبار ٦٧٦. نفح الطيب ١/ ٩٠٠، وردد وفاته بين سنتي ٦٠٢ و٦٠٥. فوات الوفيات ٢/ ١٦٠ رقم ٣١١. مسالك الأبصار ـ خ ـ ١١/ الورقة ٤٨.

المداعبة؛ ومما كتبه إليه وقد استدعاه ابن لهيب، فكتب إليه أبو الحسن الجواب[١]:

[من المجتث]

أبْنُ اللَّهيْب دَعَانيْ ... دُعَاءَ غَيْرِ النَّبِيْه
/ ٢٠٧أ/ إنْ صِرتَ يوماً إليه ... فوالدي في أبيه

وأنشدني أبو الحسن علي بن عبد الجبار القيرواني؛ قال: أنشدني أبو الحسن ابن خروف لنفسه من صدر كتاب كتبه إلى القاضي أبي المحاسن يوسف بن رافع بن شدّاد الموصلي ـ قاضي حلب ـ يطلب منه فروة[٢]: [من الوافر]

بَهَاءَ الدِّيْنِ وَالدُّنْيَا ... وَنُوْرَ المَجْدِ وَالْحَسَبِ
طَلَبْتُ مَخَافَةَ الأَنْوَاء ... مِنْ حُسْنَاكَ جِلْدَ أَبِي
فَفَضْلُكَ عَالِمٌ أَنِّي ... خَرُوْفٌ بَارِعُ الأَدَبِ
حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطُرَهُ ... وَفِي حَلَبٍ صَفَا حَلَبِي

وأنشدني الحكيم أبو الفرج عبد القاهر بن عفيف بن عبد القاهر بن سكرة الحلبي الإسرائيلي بحلب؛ قال: أنشدني ابن خروف لنفسه في المهذب بن الدخوار الدمشقي:

[من البسيط]

/ ٢٠٧ب/ إنَّ الأُعَيْرِجَ حَازَ الطِّبَ أَجْمَعَهُ ... أَسْتَغْفِرُ اللهَ إلاَّ العِلْمَ وَالعَمَلاَ
وَلَيْسَ يَجْهَلُ شَيْئاً مِنْ غَوامضه ... إلاَّ الجَوَاهِرَ وَالأَعْرَاضَ والعِلَلاَ
فِيْ حِيْلَةِ البُرْءِ قَلَّتْ عِنْدَهُ حِيَلٌ ... . وَيَدْرِي لِلْرَدَى حِيَلاَ
الرُّوْحُ تَسْكُنُ جُثْمَانَ العَلِيْلِ عَلَى ... عِلاَّتِهِ فَإِذَا مَا طَبَّهُ رَحَلاَ

وقال يصف النيل: [من البسيط]

مَا أَعْجَبَ النِّيْلَ مَا أَحْلَى شَمَائِلَهُ ... فِيْ ضِفَّتَيْهِ مِنَ الأَشْجَارِ أَرْوَاحُ
مِنْ جَنَّةِ الخُلْدِ فَيَّاضٌ عَلَى تُرَعٍ ... يَهُبُّ فِيْهَا هُبُوبَ الرَّوحِ أَرْيَاحُ
لَيْسَتْ زِيَادَتُهُ مَاءً كَمَا زَعَمُوا ... وَإِنَّمَا هِيَ أَرْزَاقٌ وَأَرْوَاحُ

وأنشدني الحكيم أبو الفرج عبد القاهر بن سُكرة؛ قال أنشدني ابن خروف

---

(١) البيتان في الفوات ٢/ ١٦١.
(٢) الأبيات في نفح الطيب ٥/ ١٤. الفوات ٢/ ١٦١.

لنفسه: [من مجزوء البسيط]

أَنْـــتَ بِطِـــبِّ الـــوَرَىٰ عَلِيـــمٌ ... لكنـــه إِنْ . . . . طبــــا

وقال في رجل مغربي يقال له ابن السُّميل: [من الوافر]

أَيَـا نَجْـلَ السُّميـلِ سُمِلْـتَ حَتَّـىٰ ... غَـدَوْتَ مِـنَ المُمَـزَّقَـةِ الـرِّثَـاثِ
عجَـانُـكَ مِـنْ سِبَـاعِ الطَّيْـرِ أَوْدَىٰ ... بِـهِ قَـوْمٌ وَأَنْـتَ مِـنَ البُغَـاثِ
/ ٢٠٦أ/ تُنَـاكُ وَأَنْـتَ أَقْـرَعُ ذُوْ قُـرُوْنٍ ... فَـأَشْبَهْـتَ الجَـرادَةَ فِـي ثَـلاثِ

أي هو أقرع وله قرون ويناك.

وقال وكان أمينًا ببيمارستان دمشق، وكان له بواب اسمه السِّيْد: [من السريع]

مَـوْلاَيَ مَـوْلاَيَ أَجِـرْنِـيْ فَقَـدْ ... أَمْسَيْـتُ فِـيْ دَارِ الأَسَـىٰ وَالحُتُـوفْ
وَكَيْـفَ لِـي صَبْـرٌ عَلَـىٰ مَنْـزِلٍ ... بَـوَّابُـهُ السِّيْـدُ وَجَـدِّيْ خَـرُوْفْ

السِّيْدُ: الذئب.

وله يصف سنديًا، والسندي لاعب الخفّ الذي يلعب بالسيوف وغيرها:

[من الكامل]

وَمُنَـوَّعِ الحَـرَكَـاتِ يَلْعَـبُ بِـالنُّهَـىٰ ... لَبِسَ المَحَـاسِـنَ عِنْـدَ خَلْـعِ لِبَـاسِـهِ
مُتَـأَوِّدٍ كَـالْغُصْـنِ فَـوْقَ كَثِيبِـهِ ... مُتَـلاَعِـبٍ كَـالظَّبْـيِ عِنْـدَ كِنَـاسِـهِ
بِـالعَقْـلِ يَلْعَـبُ مُقْبِـلاً أَوْ مُـدْبِـراً ... كَـالـدَّهْـرِ يَلْعَـبُ كَيْـفَ شَـاءَ بِنَـاسِـهِ
وَيَضُـمُّ لِلْقَـدَمَيْـنِ عَنْـهُ رَأْسَـهُ ... كَـالسَّيْـفِ ضُـمَّ ذُبَـابُـهُ لِـرِيَـاسِـهِ

وقال في زربطانة: [من البسيط]

لافظَـــةٌ مِــنْ جَـوْفِهَـا دُرَراً ... تُعَطِّـلُ الـرَّوْضَ مِـنْ شَـادٍ وَصَـدَّاحِ
/ ٢٠٦ب/ مِثْلُ اليَرَاعِ ولكِنْ مَا لَهَا عُقَدٌ ... إِذَا تُسَـدَّدُ بِـالأَفْـوَاهِ وَالـرَّاحِ
أَبصَـرْتُ رَامِيَـةً فِـيْ شَكْـلِ طَـاعِنَـةٍ ... فَتَنْتَمِـي لِقِسِـيٍّ أَوْ لأَرْمَـاحِ
نَفَخْـتُ فِيْهَـا وَقَـدْ سَـوَّيْتُهَـا جَسَـداً ... رُوحَـاً فَتَقْبِـضُ أَرْوَحَـاً لأَرْوَاحِ
يَـا مُشْـرِقَـاً تُشْـرِقُ الـدُّنْيَـا بِسُـؤْدُدِهِ ... هَبْهَـا فَتَـاةً وَخُـذْ آيَـاتِ امـدَاحِ

وله يستهدي خمراً: [من مخلّع البسيط]

يَا مَنْ يَهُزُّ المَدِيْحُ مِنْهُ ... عِطْفًا حَكَى المَائِسَ المَرُوْحَا
خُذْ جَسَداً لَيْسَ فِيْهِ رُوْحٌ ... وَانْفُخْ مِنَ الرَّاحِ فِيْهِ رُوْحَا

وله في كأس: [من مجزوء الرمل]

أَنَا جِسْمٌ لِلْحُمَيَّا ... وَالحُمَيَّا لِي رُوْحُ
بَيْنَ أَهْلِ الظَرْفِ أَغْدُو ... كُلَّ وَقْتٍ وَأَرُوْحُ

وله في الحكيم الأعرج المهذب بن علي الكحال المعروف بالدخوار الدمشقي:

[من الوافر]

تُجَرِّرُ يَا أُعَيْرِجُ ذَيْلَ كِبْرٍ ... وَتَعْلَمُ لُؤْمَ وَغْدٍ أَنْتَ نَجْلُهْ
وَتَمْشِي مِشْيَةَ الخُيَلاءِ زَهْواً ... أَمَامَ السَّامَرِيِّ وَأَنْتَ عِجْلُهْ

السامريّ: رجل كان بدمشق، وكان شريكًا للأعيرج.

/ ٢٠٨أ/ [من الكامل]

لَكَ يَا مُهَذَّبُ فِي الجُسُومِ مَلاَحِمٌ ... حَسَدَ الحُسَامُ كِفَاحَهَا وَاللَّهْذَمُ
يَعْمَى أَخُوكَ وَأَنْتَ تَقْتُلُ دَائِمًا ... (لأَخُوكَ ثُمَّ أَرَقُّ مِنْكَ وَأَرْحَمُ)[١]

[٤٢٠]

عَلِيُّ بنُ عمّار بن عليٍّ بن جميلِ بن صالحِ بنِ عثمانَ بنِ عليٍّ بنِ محمدِ بنِ عمرَ، أبو الحسن الكَرْخينيُّ[٢]

وكَرْخينى قلعة حصينة بينها وبين إربل مسافة يومين[٣]؛ وأبو الحسن كان خطيبها، وفتح له مكتبًا يعلم صبيانها الخطّ، وتوفي بها يوم الجمعة غرّة شهر رمضان

---

(١) ما بين القوسين للمتنبي، انظر: ديوانه ٥٧٠.

(٢) ترجمته في: تأريخ إربل ١/٤٥٣ ـ ٤٥٤، وفيه نسبة: «علي بن عمار بن علي بن جميل بن صالح بن عثمان بن علي بن محمد بن محمد بن عمير بن عمرو بن عثمان بن عبد الرحمن بن عوف الزُّهري القرشي».

(٣) انظر: معجم البلدان/ مادة (كَرْخينى).

سنة إحدىٰ وستمائة، وبلغ سنًا عالية حتىٰ قارب المائة؛ وكان من حُفاظ القرآن العظيم، وأهل الخير، له أشعار ضعيفة.

أنشدني ولده عبد المؤمن؛ قال: أنشدني والدي له في الملك المعظم مظفر الدين كوكبُوري بن علي بن بكتكين ـ رضي الله عنه ـ ويعرِّض بذكر رجل، يلقب الشجاع، وكان عاملاً بكرخين: [من الوافر]

أَلاَ يَـــا أَيُّهَـــا المَلِـــكُ المُطَـــاعُ ... وَمَـــنْ ذَلَّـــتْ لِهَيْبَتِـــهِ السِّبَـــاعُ

بِكَـــرْخَـــانِينَـــا أَسَـــدٌ ضَـــرِيٌّ ... أَخُـــو بَـــأْسٍ يُقَـــالُ لَـــهُ الشُّجَـــاعُ

/ ٢٠٨ب/ يُنَاصِحُكُـمْ مُنَاصَحَـةً بِصِـدْقٍ ... وَأَوْفَـــرُ هِمَّـــةٍ لاَ تُسْتَطَـــاعُ

تَكَـــادُ القَلْعَـــةُ العَلْيَـــاءُ تَسْمُـــو ... بِـــهِ لَـــوْ قَبْلَهَـــا سَمَـــتِ القِـــلاَعُ

كَـــأَنَّ تَجَـــاوُبَ الأَجْـــرَاسِ فِيْهَـــا ... مَثَـــانِـــي العُـــوْدِ حَـــرَّكَـــهُ السَّمَـــاعُ

فَـــدُمْ لاَ زَالَ مُلْكُـــكَ فِـــيْ دَوَامٍ ... عَلَـــىٰ الأَيَّـــامِ لَيْـــسَ لَـــهُ انْقِطَـــاعُ[1]

وأنشدني؛ قال: أنشدني والدي لنفسه[2]: [من المنسرح]

زَارَ وَجَيْـــشُ الظَّـــلاَمِ مَفْلُـــوْلُ ... وَسَيْـــفُ نَجْـــمِ الصَّبَـــاحِ مَسْلُـــوْلُ

مُهَفْهَـــفٌ صِيْـــغَ مِـــنْ مَحَـــاسِنِـــهِ ... فَهْـــوَ بِمَـــاءِ النُّفُـــوْسِ مَجْبُـــوْلُ

قَـــدْ كَتَـــبَ الحُسْـــنُ فَـــوْقَ عَـــارِضِـــهِ ... كُـــلُّ مُحِـــبٍّ بِـــالْهَجْـــرِ مَقْتُـــوْلُ

سَـــرَىٰ بِـــأَنْفَـــاسِ مُقْلَتَـــيْ قَمَـــرٌ ... مَنْقُـــوْطُ خَـــطِّ العِـــذَارِ مَشْكُـــوْلُ

ومنها يقول[3]: [من المنسرح]

يَـــا أَيُّهَـــا المَجْـــدُ أَنْـــتَ مِـــنْ كَـــرَمٍ ... يُـــرجَـــىٰ إِذَا زَادَتِ الأَقَـــاوِيْـــلُ

عَـــرِّفْ بِفَضْلِـــيْ مَـــنْ لَيْـــسَ يَفْهَمُـــهُ ... عِلْمـــاً فَـــإِنَّ الغَـــرِيْـــبَ مَجْهُـــوْلُ

وَانْعَـــمْ وَجُـــدْ وَاْغْنَـــمِ الثَّنَـــا ثَمِنـــاً ... إِنَّ الـــوَرَىٰ فَـــاضِـــلٌ وَمَفْضُـــوْلُ

---

(١) القطعة في تأريخ إربل ١/ ٤٥٣.
(٢) القطعة في تأريخ إربل ١/ ٤٥٤.
(٣) القطعة في تأريخ إربل ١/ ٤٥٤.

[٤٢١]

عليُّ بنُ مُلاعب بن علويٍّ /٢٠٩أ/ ، أبو الحسنِ الموصليُّ المولِد والمنشأَ، الإِرِبليُّ الدار[1] .

كان حافظًا للقرآن الكريم، قرأه بالموصل علىٰ أبي بكر يحيىٰ بن سعدون بن تمّام القرطبي المقرىء.

سكن مدينة إربل إلىٰ أن توفي بها في شهر الله رجب سنة أربع وستمائة، فكان يكتب بها الشروط، وختم عليه القرآن أكثر من أربعمائة شخص؛ وكان من أهل الفضل والصلاح، عاقلاً متدينًا؛ يقول الشعر.

أنشدني ولده أحمد؛ قال: أنشدني والدي لنفسه: [من الكامل]

يَا رَاكِبًا يَفْلِي الفَلاَ بِمَنَاسِمٍ ... تَدْمَىٰ كَطَرْفِي أَوْ كَقَلْبِي الخَافِقِ
عَرِّجْ عَلَىٰ وَادِي العَقِيقِ فَأَهْلُهُ ... عَقُّوا وَضَلُّوا بِالخَيَالِ الطَارِقِ
وَاقْرَ السَّلاَمَ عَلَيْهِمُ مِنْ مَعْشَرٍ ... عَلِقُوا مِنَ الدُّنْيَا بِقَطْعِ عَلاَئِقِ
غَارُوا بِطَرْفِهِمُ الغَرِيرِ مَعَ النَّوَىٰ ... نَوْمَ الغَرِيرِ عَلَىٰ مُحِبٍّ شَائِقِ
وَبِحَاجِرٍ حَجَرُوا العُقُولَ وَحَرَّمُوا ... مُذْ حَرَّمُوا وَصْلِي بِكُلِّ طَرَائِقِي
بَانُوا فَمَا بَانُ الأَرَاكِ بِمَائِسٍ ... أَبَدًا وَلاَ مَاءُ العُذَيْبِ بِرَائِقِ
مَا ضَرَّ لَوْ رَقُّوا لِرِقِّ هَوَاهُمُ ... بِالقُرْبِ بَعْدَ تَبَاعُدٍ وَتَفَارُقِ

وأنشدني؛ قال: أنشدني أبي يمدح القاضي عون الدين /٢٠٩ب/ أبا العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن منعة بن مالك الإربلي[2]: [من الرمل]

عَلِّلاَنِي بِالأَمَانِي فَلَعَلِّي ... وَاعْذُرَانِي وَاعْذِلاَ مَنْ رَامَ قَتْلِي
وَارْحَمَا مَنْ ظَلَّ يَحْسُو دَمْعَهُ ... كُلَّمَا غَنَّىٰ حَمَامٌ فَوْقَ أَثْلِ
يَرْتَجِي طَيْفَ خَيَالٍ طَارِقٍ ... وَمَتَىٰ يَطْرُقُ فِي غَيْرِ مَحَلِّ
آهِ إِنْ عَاوَدَ جَفْنِي وَسَنٌ ... وَسَرَىٰ طَيْفٌ وَهَيْهَاتَ وَمَنْ لِي

---

(١) ترجمته في: تأريخ إربل ١/١٥٧ ـ ١٥٨ وفيه: «علي بن مُلاعب بن علوي بن هاشم الشاهد».
(٢) القصيدة كاملة في تأريخ إربل ١/١٥٨.

خَفِّفُوا عَنْ كَاهِلِي ثِقَلَ الهَوَىٰ   مِثْلُكُمْ مَنْ فِي الهَوَىٰ يَرْحَمُ مِثْلِي
أَوَ مَا يَكْفِي عَزَاءً أَنَّنِي   نَازِحُ الأَوْطَانِ عَنْ جَارٍ وَأَهْلِ
قَدْ عَدِمْتُ القُرْبَ وَالوَصْلَ مَعاً   وعطا شمل مِنْ قَاضٍ أَجَلٍّ
هُوَ عَوْنُ الدِّينِ مَوْلَىٰ مَا لَهُ   فِي جَمِيعِ النَّاسِ مِنْ شِبْهٍ وَشَكْلِ
طَوْدُ عِلْمٍ مَا لَهُ مِنْ مُرْتَقَى   بَحْرُ جُودٍ فَيْضُهُ فِي كُلِّ سُبْلِ
أَيُّهَا المَوْلَىٰ الَّذِي إِنْعَامُهُ   وَنَدَاهُ كَالحَيَا فِي كُلِّ مَحْلِ
لَا تُطِلْ مَطْلَ مُحِبٍّ صَادِقٍ   فَعَذَابُ الدَّهْرِ فِي فَقْرٍ وَمَطْلِ
وَأَبْقَ لِلْعَلْيَاءِ مَا لَاحَ سَنَى   بَارِقٍ أَوْ جَعْجَعَ الحَادِي بِإِبْلِ

وأنشدني ؛ قال : أنشدني والدي لنفسه(١) :

/ ٢١١أ/ رِفْقاً بِهَا يَا أَيُّهَا السَّائِقُ   قَدْ سميت لا عَاقَهَا عَائِقُ
وَقِفْ عَلَىٰ الوَادِي وَرِدْ مَاءَهُ   فَإِنَّهُ مِنْ أَدْمُعِي دَافِقُ
وَنَادِ بِالنَّادِي الَّذِي دُونَهُ   هَلْ يُجْمَعُ المَعْشُوقُ وَالعَاشِقُ ؟

وكتب إلىٰ القاضي تاج الدين جعفر بن محمد الكفر عزيّ : [من الكامل]

يَا حَاكِمَ الحُكَّامِ حَالِي فِي الوَرَىٰ   حَالُ البَعِيرِ الجَائِعِ الظَّمْآنِ
يَجْتَرُّ مِنْ خَمَصٍ وَيَحْسَبُ أَنَّهُ   بَطِنٌ وَتِلْكَ مَظِنَّةُ الشَّبْعَانِ

وكتب إليه بعض أصدقائه ، في يوم مطير هذين البيتين ؛ وهما لبعض الشعراء :

[من الكامل]

إِنْ كَانَ هَذَا الغَيْثُ جَاءَ لِرَحْمَةٍ   نُشِرَتْ بِهِ فِي شَمْأَلٍ وَجَنُوبِ
فَلَقَدْ جَنَىٰ يَا صَاحِبَيَّ جُنَاتُهُ   مَنْعَ المُحِبِّ زِيَارَةَ المَحْبُوبِ

فأجابه أبو الحسن علىٰ الوزن والقافية : [من الكامل]

يَا أَيُّهَا الحَبْرُ اللَّبِيبُ وَصَاحِبَ الفَضْلِ الغَرِي وَمَنْ أَتَىٰ بِعَجِيبِ
لَمْ يَجْنِ هَتَّانُ السَّحَابِ وَمَا أَتَىٰ   بِإِسَاءَةٍ يَا مُمْرِضِي وَطَبِيبِي
/ ٢١١ب/ لكنَّه حَبَسَ الرَّقِيبَ وَلَمْ يَكُنْ   مَنَعَ المُحِبَّ زِيَارَةَ المَحْبُوبِ

(١) ورد هذا السطر في آخر الورقة ، وما بعده جاءت هذه الورقة ، والذي أراه أن هناك ورقة سقطت أو وضعت في غير محلها!! .

فَـانْعَـمْ وزُرْ فَـالْغَيْـثُ جَـاءَ لِـرَحْمَـةٍ ... مَـا جَـاءَ لِلْهِجْـرَانِ وَالتَّعْـذِيْـبِ

/ ٢١٠أ/ وله إلى القاضي بهاء الدين بن شدّاد[1] ـ قاضي حلب ـ يشكو إليه بوّابه: [من السريع]

زُرْتُ بَهَـاءَ الـدِّيْـنِ فـي مَنْـزِلٍ ... قَـدْ أُصْبِـحَ المَجْـدُ لَـهُ مَـالِكَـا
كَـأَنَّـهُ فِـي حُسْنِـهِ جَنَّـةٌ ... لَـوْ لَـمْ يكُـنْ رِضْـوَانُهَـا مَـالِكَـا

وله بيت مفرد في وصف عذار: [من الطويل]

وَكَـانَ غَـرِيْـبَ الحُسْـنِ قَبْـلَ عِـذَارِهِ ... فَلَمَّـا بَـدَا صَـارَ الغَـرِيْـبَ المُصَنَّفَـا

وقال في الملك الظاهر غياث الدين: [من البسيط]

يَـا ظَـاهِـراً ظَهَـرَتْ فـي الـدَّهْـرِ سِيْـرَتُـهُ ... كَـالـزَّهْـرِ لِلْـرَوْضِ أَوْ كَـالـزُّهْـرِ فـي الأُفُـقِ
لَـمْ تَبْـدُ حَـالِـي مِثْـلَ اللَّيْـلِ حَـالِكَـةً ... إلاَّ لِتَطْلُـعَ فِيْهَـا أَنْجُـمُ الـوَرَقِ

وقال أيضًا: [من البسيط]

غَـازَلْـتُ بِـالـرَّمْلَـةِ العَفْـرَاءِ مُلْتَفِتـاً ... غُـزَيِّـلاً بِصِفَـاتِ الحُسْـنِ مَنْعُـوْتَـا
حَلَّتْـهُ وَجْنَتُـهُ فِيْهَـا وَمُقْلَتُـهُ ... حُسْنـاً لِيُـوْسُـفَ أَوْ سِحْـراً لِهَـارُوْتَـا
فَعَـادَ جَيْـشُ أُصَيْحَـابٍ لَـهُ فلـي ... بِظَنِّـهِ النَّهَـرُ المُنْسَـابُ طَـالُـوْتَـا
وَبِـالكَثِيْـبِ لِحَـذَّافٍ لَـهُ نُصِبَـتْ ... صَفـاً كَمَـا نَصَـبَ الكُفَّـارُ طَـاغُـوْتَـا
أَصَـابَهَـا بِشَبِيْـهِ القَلْـبِ مِنْـهُ كَمَـا ... أَصَـابَ دَاوُدَ بِـالأَحْجَـارِ جَـالُـوْتَـا

/ ٢١٠ب/ وله في البليغ المنبوز بالأسحل: [من البسيط]

---

(١) بهاء الدين، أبو العز الأسدي الحلبي الشاعفي، ولد سنة ٥٣٩هـ، ودرس بالموصل على يد يحيى بن سعدون القرطبي، وسمع من حفدة العطاردي، وبرع في الفقه وبرز، وسمع ببغداد وأعاد بالنظامية، ثم عاد إلى الموصل ودرّس فيها، واتصل بصلاح الدين وحظي عنده فولاه قضاء العسكر وقضاء القدس، وصنّف له كتابًا في الجهاد، وبعد وفاته اتصل بولده الظاهر صاحب حلب فولاّه قضاءها ونظر أوقافها، وأجزل له العطاء، فبنى بتلك الأموال مدرسة ودار حديث بحلب، وقصده الطلبة وعظم شأن الفقهاء في زمانه، وممن سمع عليه المؤرخ أبو شامة، وكان ذا علم وصلاح ودبر أمور الحكم بحلب وأثنى عليه المؤرخون. صنف عدة كتب أشهرها «سيرة صلاح الدين» وهي مطبوعة متداولة. توفي ابن شداد بحلب سنة ٦٣٢هـ.
الترجمة عن تأريخ إربل ٢/ ٣٧٦ بقلم محققه د. سامي الصقار عن: وفيات الأعيان ٦/ ٨١ ـ ٩٨. ذيل الروضتين ١٦٣. تذكرة الذهبي ٤/ ١٤٥٩. تاريخ ابن كثير ١٣/ ١٤٣. شذرات الذهب ٥/ ١٥٨.

شعرُ البَليغ ولَو أصبَحتُ ذا أدَب ... لكُنتُ أنثُرُ ما فيه عَلى فيه
بُيُوتُهُ كبُيُوتِ الخَانِ قَدْ نُظمَتْ ... ومَا لَهُ كَنَفٌ إلاّ قَوافيه

وقال: [من الوافر]

وَأسْمَرَ مَا لَهُ في الحُسْنِ ثَاني ... ولاَ يَثْني المَحَاسِنَ عَنْهُ ثَاني
فَوَبْهَتُهُ تَرُدُّ الحُزْنَ عُرْسًا ... بلَحْنٍ لاَ المَثَالِثُ والمَثَاني
يكَادُ المَيْتُ يُنْشَرُ إنْ تَغَنَّى ... أمَامَ النَّعْشِ بالسَّبعِ المَثَاني

وقال أيضًا: [من الوافر]

أتَيْتُ لِوَعْدِ مَوْلاَنَا ... وَلي في وَعْده أمَلُ
وَأعْلَمُ أنَّهُ شَمْسٌ ... وَيَعْلَمُ أنَّني حَمَلُ

وله في ابن عثمان المصري: [من الوافر]

رَأيْتُكَ يَا ابنَ عُثْمَان ... وَعَينُكَ قَدْ غَدَتْ عَيْنَا
فَقُلْتُ اللهُ يَأْجُرُهُ ... وَيَتْرُكُ عَيْنَهُ عَيْنَا

[٤٢٢]

/٢١١ب/ عليُّ بنُ محمود بن عليِّ بنِ علوانَ بنِ خليفةَ بنِ علوانَ، أبو الحسنِ الأنصاريُّ البُزاعيُّ.

من بُزَاعا، قرية بباب حلب(١).

قال أنشدني علي بن محمود بن علي البزاعي لنفسه، يمدح الملك الأشرف موسى بن محمد بن أيوب؛ من قصيدة أوّلها: [من الطويل]

هُوَ الرَّبعُ لاَ غُمّتْ عَلَيكَ مَلاَعِبُهْ ... وَلاَ بَرِحَتْ عَنْ مُقْلَتَيكَ رَبَارِبُهْ
فهِنَّ نَسَمَاتُ الرِّيحِ مِنْ نَحْوِ أرْضِهِ ... تَرَحَّبُ صَبٌّ صَادَفَتْهُ حَبَائِبُهْ

ومنها:

وَفِي الكِلَّةِ الدُّرِيَّةِ اللَّوْنِ شَادِنٌ ... تَشَابَهَ مِنْهُ لِيتُهُ وَتَرَائِبُهْ

(١) انظر: معجم البلدان/ مادة (بزاعة).

وَلَـمْ أَنْسَـهُ عِنْـدَ الـرَّحِيْـلِ وَبَيْنَنَـا رَقِيْـبٌ نُـدَاجِيْـهِ وَضِـدٌّ نُـرَاقِبُـهْ
وَكُـلُّ لَبِيْـبٍ يَكْتُـمُ الـوَجْـدَ قَلْبُـهُ وَيَفْضَحُـهُ مِـنْ حَيْـرَةَ البَيْـنِ قَـالَبُـهْ
/ ٢١٤أ/ وَلَيـلٍ تَـرَدَّىٰ بِـالغَمَـامِ وَوُشِّحَـتْ مَشَـارِقُـهُ مِـنْ دُجْنَـةٍ وَمَغَـارِبُـهْ
يُجَـرِّدُ نُـوْرُ البَـرْقِ فِيْـهِ حُسَـامَـهُ فَتَنْضَـاعُ مِـنْ خَـوْفِ الحُسَـامِ كَـوَاكِبُـهْ

ومن مديحها قوله:

كَـأَنَّ نَـدَىٰ شَـاهِ أَرْمَـنِ الأَشْـرَفِ ٱبْتَـدَا بِـوَابِلِـهِ أَوْ بَـاكَـرَتْنَـا مَـوَاهِبُـهْ
فَتًـى ضَمَّنَـا مَـعْ غِلْظَـةِ الـدَّهْـرِ لُطْفُـهُ وَلاَنَ لَنَـا مَـعْ شِـدةِ الـدَّهْـرِ جَـانِبُـهْ
وَبَـوَّأَنَـا مِـنْ رَوْضِـهِ مَـا صَفَـتْ لَنَـا مَشَـارِبُـهُ عِنْـدَ الظَّمَـا وَمَسَـارِبُـهْ

ومنها أيضًا:

وَهَـلْ مِـنْ يَـدٍ بَيْضَـاءَ فِـيْ الـدَّهْـرِ لَـمْ تَكُـنْ لِمُـوْسَـىٰ إِذَا مَـا الـدَّهْـرُ عَمَّـتْ غَيَـاهِبُـهْ

[٤٢٣]

/ ٢١٤ب/ عليُّ بنُ الحسن بن عنتر بن ثابت، / ٢١٥أ/ أبو الحسنِ الحِليُّ، المَعْرُوفُ بِشُمَيْمٍ(١).

من الحلَّة المزيدية.

(١) سمي شُميمًا لأنه بقي مدة لا يأكل إلاّ الطيّن، قصداً لتنشيف الرطوبة وحدَّة الحفظ، فإذا وضعه عند قضاء الحاجة لم يجد له ريحًا، فيقول لمن ينبسط إليه: شُمَّه فإنه لا رائحة له، فكثرَ ذلك منه فَلُقِّب به شُميمًا.

ترجمته في: التكملة للمنذري ٢/ ٦٥، رقم ٨٨٣. وفيات الأعيان ٣/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠ رقم ٤٥٥. البداية والنهاية ١٣/ ٤١، ٤٢٩. الغصون اليانعة ص٥ ـ ١٢. معجم الأدباء ٤/ ١٦٨٩ ـ ١٦٩٧. بغية الوعاة ٢/ ١٥٦ ـ ١٥٧. تأريخ دنيسر ص١٤٩. ذيل الروضتين ص٥٢. البدر السافر الورقة ١٣. الجامع المختصر ص١٥٧ ـ ١٦٠. إنباه الرواة ٢/ ٢٤٣. العبر للذهبي ٥/ ٢. شذرات الذهب ٥/ ٤. ذيل تأريخ بغداد ١٧/ ٣١١. سير أعلام النبلاء ٢١/ ٤١١ ـ ٤١٢ رقم ٢٠٨. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٠١ ـ ٦١٠) ص٦١ ـ ٦٥ رقم ٣٦. الإشارة إلى وفيات الأعيان ٣١٤. الإعلام بوفيات الأعلام ٢٤٨. الفلاكة والمفلوكون للدلجي ٩٥ ـ ٩٦ رقم ٦٧. العسجد المسبوك ٢/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦. كشف الظنون ١٩٧، ٦٩٢، ١٥٦٣، ١٧٨٨، ١٧٩١. إيضاح المكنون ٢/ ١٩٢، ٣٢٥، ٤٠٨، ٤٤٧، ٤٤٩، ٥٦٠، ٥٦٥. هدية العارفين ١/ ٧٠٣. معجم المؤلفين ٧/ ٦٧ ـ ٦٨. النجوم الزاهرة ٦/ ١٨٨.

كتب عنه جواد أحمد علوش بحثًا بعنوان «شميم الحلي، من عقلاء المجانين»، نشر في مجلة الأستاذ ـ كلية التربية ـ جامعة بغداد ع٩/ ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م ص ٢٢٥ ـ ٣٣٦.

أديب شاعر، غزير الشعر في فنون، تامُّ العلم باللغة، واسع الحفظ، استظهر شيئًا كثيراً من الأشعار، وأيام العرب؛ وكان من جملة محفوظاته؛ إصلاح المنطق، يهذّه هذامن خاطره، وغير ذلك.

أخذ علم العربية، عن أبي محمد بن الخشاب النحوي، وأبي نزار الحسن بن صافي البغدادي، الملقب ملك النحاة.

وكان صاحب رسائل وخطب ومنظوم ومنثور، وتصنيفات جمَّة، فمن مصنفاته؛ كتاب «الحماسة» من شعره، وكتاب «بداءة الفكر في بدائع النظم والنثر» من قبله أيضًا، وكتاب «أنيس الجليس في محاسن التجنيس» من إنشائه وشعره، وكتاب «النكت المفحمات في شرح المقامات»، وكتاب «التغميض في التحميض»، وكتاب «الإغراب في بطلان الاعراب»، وكتاب «مجتنىٰ ريحانة الهمّ في اشتقاق المدح والذم»، وكتاب «مُعايَاة العقل ومعاناة النقل»، وكتاب / ٢١٥ب/ «أَرْيُ المشتار في القريض المختار»، وكتاب «صياح المنىٰ في إيضاح الكُنىٰ»، وإلىٰ غير ذلك من التواليف.

وكان مع فضله وحفظه؛ فاسد العقل والدين، مهوّسًا تاركًا للصلوات الخمس، ضعيف العقيدة، ذا خفة وطيش، يطعن في العلماء، ويقدح في الأدباء؛ وكان دأبه الإزراء علىٰ الشعراء المتقدمين، ويجهل الأوائل، وينبزهم بالكلاب، ويصف نفسه ولا يرىٰ فوقه أحداً، وتبدر منه ألفاظ رديئة في حقِّ أهل العلم.

وكان قد طاف قطعة من البلاد، ثم قطن الموصل، وانتابه الناس لاستماع كلامه، ولم يزل بها ساكنًا، إلىٰ أن توفي في العشر الآخرة من ربيع الآخر سنة إحدىٰ وستمائة؛ ودفن بمقبرة المعافىٰ بن عمران.

أنشدني أبو عبد الله محمد بن أبي السعادات الموصلي؛ قال: أنشدني أبو الحسن شميم لنفسه، يصف الخمر وعتقها[1]: [من مجزوء الكامل]

إمْـزُجْ بِمَسْبُـوكِ اللجَيْـنِ ... ذَهَبًا حَكَتْـهُ دُمُـوعُ عَيْنِـي

لَمَّـا نَعَـىٰ نَـاعِـي الفِـرَاقِ ... بِبَيْـنِ مَـنْ أَهْـوَىٰ وَبَيْنِـي

(١) الأبيات من ١ ـ ١٠ في معجم الأدباء ٤/ ١٦٩٠.

/٢١٦أ/ كَانَتْ وَلَمْ يُقْدَرْ لِشَيءٍ قَبْلَهَا إِيْجَادُ كَوْنِ
أَحَالَهَا التَّحْرِيْمُ لَمَّا شُبِّهَتْ بِدَمِ الحُسَيْنِ
خَفَقَتْ لَنَا شَمْسَانِ مِنْ لأْلائِهَا فِيْ الخَافِقَيْنِ
وَبَدَتْ لَنَا مِنْ كَأْسِهَا مِنْ لَوْنِهَا فِيْ حُلَّتَيْنِ
فَاعْجَبْ هَدَاكَ اللهُ مِنْ كَوْنِ اتِّفَاقِ الضَّرَّتَيْنِ
فِيْ لَيْلَةٍ بَدَأَ السُّرُوْرُ بِهَا يُطَالِبُنِيْ بِدَيْنِ
وَمَضَى طَلِيْقَ الرَّاحِ مَنْ قَدْ كَانَ مَغْلُولَ اليَدَيْنِ
هِيَ زِيْنَةُ الأَحْيَاءِ فِيْ الدُّنْيَا وَزِيْنَةُ كُلِّ زَيْنِ
لَمْ تَبْدُ مِنْ أَيْنٍ وَهَلْ جِسْمٌ يُرَى مِنْ غَيْرِ أَيْنِ

وأستغفر الله العظيم من كتبه!

وأنشدني أبو حامد بن أحمد بن أبي الحسن الموصلي؛ قال: أنشدني أبو الحسن شميم لنفسه: [من المنسرح]

أَهْلَكْتَ عَاداً وَبَعْدَهَا إِرَمَا وَكَانَ مَا أَهْلَكُوا لَهُمْ أُمَمَا
تَنْهَى عَنِ القَذْعِ بِاللِّسَانِ وَلاَ يَنْهَاكَ عَذْلٌ أَنْ تُهْلِكَ الأُمَمَا
كَانَتْ مَعَاصِيْهِمُ الَّتِيْ كُتِبَتْ أَخْفَى مِنْ أَنْ تُجْرِي بِهَا قَلَمَا

/٢١٦ب/ وأنشدني أبو الربيع سُليمان بن المُظفر بن موسى المُؤدِّب الإربلي؛ قال:

أنشدني شميم لنفسه: [من الخفيف]

قَدْ أَتَى العِيْدُ يَقْتَضِيْكَ رُسُوْمَا أَنْتَ أَعْلَى قَدراً بِأَنْ تُقْتَضَاهَا
يَا كَرِيْمَاً جَلَّتْ مَعَانِيْ مَعَالِيْهِ الَّتِيْ فَاقَتِ الوَرَى أَنْ تُضَاهَى

وأنشدني أبو الفتح مسعود بن سعيد الموصلي؛ قال: أنشدني شميم لنفسه من كتاب الحماسة الذي صنعه في باب النسيب: [من الكامل]

لاَ تَسْرَحَنَّ الطَّرفَ فِيْ بَقَرِ الفَلاَ فَمَصَارِعُ الآجَالِ فِيْ الآجَالِ
كَمْ نَظْرَةٍ أَرْدَتْ وَمَا أَخَذَتْ يَدُ المُصْمِيْ لِمَن قَتَلَتْ أَداة قِتَالِ
سَنَحَتْ وَمَا سَمَحَتْ بِتَسْلِيْمٍ وَأَغْلاَلُ التَّحِيَّةِ فِعْلَةُ المُخْتَالِ

أَظْلَلْتُ قَلْبي عِنْدَهُنَّ وَرُحْتُ أنشده بذات الضَّال ضَلَّ ضَلالي
أَلْوِيْ بِأَلْوِيَةِ العَقِيقِ عَلَى الطُّلُولِ مُسَائلاً مَنْ ذَا يُجِيبُ سُؤَالِي؟
تَرِبَتْ يَدِي فِي مَقْصَدِي مَنْ لَا يَدِيْ قَوَدِي وَأَوْلَى لِي بِهَا أَوْلَى لِي
يَا قَاتَلَ اللهُ الدُّمَى كَمْ مِنْ دَمٍ أَجْرَيْنَ حِلًّا كَانَ غَيْرَ حَلَالِ
أَسْلَيْنَ ذُلَّ اليُتْمِ فِي الأَشْبَالِ وَفَتَكْنَ بِالآسَادِ فِي الأَغْيَالِ
/ ٢١٧أ/ وَنَفَرْنَ حِينَ نَكِرْنَ إِقْبَالِيْ وَلَو أَنِّي نَفَرْتُ لَكَانَ مِنْ إِقْبَالِي
لكن . . . . . ذمام الحُبِّ أَنْ أُولِي الوَفَاءَ قَطِيعَةً مَنْ قَالِي

وأنشد محمد بن سليمان الموصلي المجلد؛ قال: أنشدني شميم الحلي لنفسه:

[من مجزوء الرمل]

كان طرفي قبل أن ينظر ميًّا فارقنا
غائضا الدمع فلما حلَّها فار يقينا

وأنشدني؛ قال: أنشدني من شعره: [من مجزوء الكامل]

وَمُشَرِّعٍ أَفْتَى مُعَاقَرَةَ السُّلَافِ البَابِلِي
قُلْتُ أتيت هذا حرام قَالَ: هَذَا البَابُ لِي

وأنشدني في الخطيب الإمام أبو عبد الرحمن محمد بن جاسم بن أحمد بن عبد الواحد ابن هاشم الأسدي الحلبي، بمحروسة حلب، بمسجدها الجامع، في شهر جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وستمائة؛ قال: أنشدني علي بن الحسن الحليّ المعروف شميم لنفسه: [من الطويل]

/ ٢١٧ب/ سَقَى مَنْزِلاً حَازَ الهَوَى لَوْ ثَوَيْتُهُ بِحَرَّانَ رَبْعِيُّ الرَّبَابِ غَزِيرُهُ
وَأَيَّامَ لَهْوٍ يَطَّبِينِي نَعِيمُهَا وَرَائِقَ عَيْشٍ بَانَ عَنِّي غَرِيرُهُ

وأنشدني؛ قال: أنشدني لنفسه: [من المتقارب]

رَعَى اللهُ مُرْتَبَعًا فِي الفُؤَادِ تَرَامَتْ بِهِ عَزَمَاتُ النَّوَى
وَكَانَ لَهُ مِنْ صُرُوفِ الزَّمَانِ نِعْمَ المُجَاوِرُ أَنَّى ثَوَى

وأنشدني أيضًا؛ قال: أنشدني شميم قوله: [من الكامل]

لَوْ حَلَّ نَأْيُكَ لِي مَقِيلَ هَوًى أَوْ دَارَ شَحْطُ الدَّارِ فِي خَلَدِي

لَمَنَعْتُ عَيْنِي أَنْ تَذُوْقَ كَرًى ... حَتَّى تُرَى يَا جَنَّةَ الخُلْدِ
وَنَوَاكَ أَوَّلُ حَادِثٍ أَومَى ... مَا الْقَتِ الأَحْزَانُ مِنْ جَلَدِي

وأنشدني بالاسناد: [من الكامل]

إِنْ عَزَّبَتْ حَلَبُ الشَّامِ وَعَزَّبَتْ ... سَكَنِي المُقِيْمَ بِهَا عَنِ الأَبْصَارِ
فَلَنِعْمَ عَوْنِي دَمْعُ عَيْنِي إِنْ تَفَانَتْ أُسْرَتِي ... وَتَخَاذَلَتْ أَنْصَارِي

قال: وأنشدني لنفسه: [من المجتث]

لَوْ أَنَّ تَحْمِلُ كُتْبِي ... إِلَيْكَ رِيْحُ شَمَالِ
لَاسْتَكْتَمَتْهَا يَمِيْنِي ... مَا اسْتَكْتَبَتْهَا شِمَالِي

/ ٢١٨أ/ قال؛ وأنشدني من شعره: [من مخلّع البسيط]

فِي كُلِّ يَوْمٍ بِجَفْنِ عَيْنِي ... دَمْعٌ غَرِيْبٌ عَلَى غَرِيْبِ
حَتَّى كَأَنَّ الغَرَامَ دُوْنَ الأَنَامِ ... يَا صَاحِبِي غُرِيْ بِي

قال وأنشدني له في الفصول الموكبيّة: [من الكامل]

إِنَّ السَّحَابَ حَدَاهُ شُوْقٌ أَنْ يُوَافِي وَجْهَكَا
وَأَحَبَّ أَنْ يَلْقَى لَهُ ... مَثَلاً يُزَارُ فَأَمَّكَا
وَمُحَاكِيًا فِي الجُوْدِ مَنْ ... فِي الجُوْدِ كَفُّكَ مَا حَكَى
هَيْهَاتَ قَصَّرَ أَنْ يَنَالَ وَإِنْ أَطَالَ مَحَلَّكَا
وَرَأَى بِعَيْنِ العَجْزِ مَا ... أَبْكَاهُ فَانْتَابَ البُكَا
وَشَكَا إِلَى مَنْ لَا يَصِيْخُ ... إِلَى مَقَالَةِ مَنْ شَكَا[1]
مَلَكَ العِدَا وَلَهُ النَّدَى ... دُوْنَ الأَنَامِ تَمَلُّكَا
فَاسْلَمْ وَدُمْ فَالدَّهْرُ فِيْمَا تَنْتَحِيْهِ طَوْعُكَا
وَالأَمْرُ بَعْدَ اللهِ يَا ... خَيْرَ البَرِيَّةِ أَمْرُكَا

وأنشدني أبو الثناء محمود بن محمد / ٢١٨ب/ ابن الأنجب الإربلي؛ قال: أنشدني شميم لنفسه: [من السريع]

---

(١) يصيخ: يصغي.

إنَّ نَبَاتَ الشَّعْرِ لأُبْدَّ أنْ ... يَمْتَصَّ مَاءَ الوَرْدِ مِنْ وَجْنَتَيْكْ
وَيَسْتَرِدَّ القُبْحُ مَا شَفَّ مِنْ ... شِعَارِ حُسْنٍ مُسْتَعَارٍ لَدَيْكْ
وَيَطْلُبَ الثَّأْرَ دَمٌ طَلَّهُ ... سَيْفُ نَضَاهُ السِّحْرُ مِنْ مُقْلَتَيْكْ
وَيَنْثَنِي مَنْ كَانَ يُبْكِيهِ مِنْكَ الصَّدُّ وَالإعْرَاضُ يَبْكِي عَلَيْكْ
فَارْجِعْ إِلَى الإنْصَافِ فِي دَوْلَةٍ ... أَصْغَى زِمَامُ الأَمْرِ فِيهَا لَدَيْكْ

وقال أيضًا : [من مجزوء الرجز]

ثَغْرُ الرَّبِيعِ ضَاحِكٌ ... لِضِحْكِ ثَغْرِ زَهْرِهِ
يَحْكِي نُورَ نُورِهِ ... نُورَ نُجُومِ زُهْرِهِ
فَأَيُّ عُذْرٍ لِفَتًى ... ضَيَّعَ نَفْعَ عُمْرِهِ
بِرَفْعِ دَالِ زَيْدِهِ ... وَنَصْبِ رَاءِ عَمْرِهِ

وله في وصف ساحر[1] : [من مجزوء الكامل]

قُلْ لِي فَدَتْكَ النَّفْسُ قُلْ لِي ... مَاذَا تُرِيدُ إذاً بِقَتْلِي
أَأَدَرْتَ خَمْراً فِي كُؤُوسِكَ ... هَذِهِ أَمْ سُمَّ صِلِّ

/ ٢١٩أ/ وقال أيضًا[2] : [من الكامل]

قَالُوا نَرَاكَ بِكُلِّ فَنٍّ عَالِماً ... فَعَلَامَ حَظُّكَ مِنْ ذُبَابٍ خَسِيسُ ؟
فَأَجَبْتُهُمْ لَا تَعْجَبُوا وَتَفَهَّمُوا ... كَمْ ذَادَ نُهْزَةَ لَيْثٍ خِيسٍ خِيسُ

وقال أيضًا[3] : [من الوافر]

أَقِيلِي عَثْرَةَ الشَّاكِي أَقِيلِي ... فَسُؤْلِي فِي سَمَاعِ ثَارَ سُولِي
وَإِنْ لَمْ تَأْذَنِي بِفَكَاكِ أَسْرِي ... فَدُلِّينِي عَلَى صَبْرٍ جَمِيلِ

وقال أيضًا[4] : [من مجزوء الرمل]

لَيْتَ مَنْ طَوَّلَ بِالشَّأْمِ ثَوَاهُ وَثَوَى بِهِ

---

(١) البيتان في معجم الأدباء ٤/ ١٦٩١ وفيه أنها في وصف ساقٍ .
(٢) البيتان في معجم الأدباء ٤/ ١٦٩٣ .
(٣) البيتان في معجم الأدباء ٤/ ١٦٩٤ .
(٤) القطعة في معجم الأدباء ٤/ ١٦٩١ . بغية الوعاة ٢/ ١٥٧ . ذيل تأريخ بغداد ١٧/ ٣١٣ .

جَعَــلَ العَــوْدَ عَلَــىٰ الــزَّوْ ... رَاءِ مِــنْ بَعْــضِ ثَــوَابِــهْ
أَتُــرَىٰ يُــوطِئُنِــيْ الــدَّهْــ ... ــرُ ثَــرَىٰ مِسْــكٍ تُــرَابِــهْ
وَأَرَانِــيْ نــورُ عَيْنِــي ... مَــوْطِئــاً لِــيْ وَتُــرَىٰ بِــهْ

[٤٢٤]

عليُّ بنُ ناصرِ بنِ مكيٍّ بنِ اللّيثِ، أبو الحسنِ المدائنيُّ الشيبانيُّ(١).

كان فقيهًا شاعراً مترسلاً، زاهداً في الصلاة؛ قليل الرغبة في الصِّلات؛ ذا أدب وعلم، أتقن طرفًا من/ ٢١٩ب/ الحكمة.

وكان سوداويَّ المِزاج، به وسواس كان يعتريه؛ سافر إلىٰ مكّة، ودخل الديار المصريّة، وبلاد الموصل وغيرها من البلاد.

أنشدني أبو الثناء محمود بن محمد بن الأنجب؛ قال: أنشدني علي بن ناصر لنفسه بإربل سنة خمس وتسعين وخمسمائة؛ وبلغني أنَّه بقي إلىٰ بعد سنة عشر وستمائة: [من الطويل]

أَعِــدْ نَظَــراً يَــا طَــرْفُ إِنَّــكَ حَــالِــمُ ... وَخَــلِّ الهَــوَىٰ يَــا قَلْــبُ إِنَّــكَ هَــائِــمُ
فَمَــا الــرَّكْــبُ إِلَّا غَيْــرُ مَــنْ أَنَــا نَــاشِــدُ ... وَمَــا الصَّحْــبُ إِلَّا غَيْــرُ مَــنْ أَنَــا لَائِــمُ
أَضَعْــتُ غَــدَاةَ البَيْــنِ رُشْــدِيْ وَأُنْكِــرَتْ ... مَعَــارِفُ عِنْــدِيْ لِلنُّهَــىٰ وَمَعَــالِــمُ
وَقَــالَ أُصَيْحَــابِــيْ ذَرِ الهَــمَّ وَالمُنَــىٰ ... فَلَــنْ يَكْــرُثَ الفِتْيَــانَ مَــا أَنْــتَ رَاغِــمُ
وَكُــنْ رَاضِيــاً بِــالــدَّهْــرِ فِيمَــا قَضَــىٰ بِــهِ ... فَــإِنَّ نَصِيــبَ الــدَّهْــرِ مَــا هُــوَ قَــائِــمُ
فَيَــا نَــاشِــدَ الأَظْعَــانِ إِنْ جُــزْتَ بِــالحِمَــىٰ ... وَعُجْــتَ بِحَــزْوَىٰ وَالعُيُــونُ نَــوَائِــمُ
وَشَــارَفْــتَ رَنْــدَ الأَبْــرَقَيْــنِ وَأَبْــرَقَــتْ ... عَلَيْــكَ بِــأَطْــرَافِ القِبَــابِ اللَّهَــاذِمُ
فَحَيِّــي بِهَــا مِــنْ حَــيِّ شَيْبَــانَ مَعْشَــراً ... تُحَيِّــكَ مِــنْ أَبْيَــاتِهِــنَّ المَكَــارِمُ

وقال أيضًا(٢): [من الطويل]

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٢/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨.
(٢) الأبيات الستة الأولى في الوافي ٢٢/ ٢٦٨.

أَعَهْـدَ الهَـوَىٰ إنِّـيْ لِـذكْـرَاكَ وَاصِـلُ وَطِيْـبَ الكَـرَىٰ إنِّـي لِمَسْـرَاكَ رَاقِـبُ

/ ٢٢٠أ/ وَعَهْـدَ التَّـدَانـي هَـلْ إلَـى أَرْبُـعِ الحِمَـىٰ مَعَـادٌ وَهَـلْ تُقْضَـىٰ بِهِـنَّ المَـآرِبُ

فَمُنْـذُ سَـرَىٰ الـرَّكْـبُ العِـرَاقِـيُّ لَـمْ تَـزَلْ تُسَـامِـرُ قَلْبِـيْ بـالبُكَـاءِ النَّـوَاعِـبُ

وَمُـذْ حَبَـسَ الحَـادِيْ المَطِـيَّ عَلَـىٰ النَّقَـا وَحَنَّـتْ إلَـىٰ الـوَجْـدِ القِلاَصُ النَّجَـائِـبُ

أَرَاقَ دَمِـــي لِلْبَيْـــنِ دَمْـــعٌ أَرَاقَـــهُ غَـدَاةَ التَقَيْنَـا لِلْـوَدَاعِ الحَبَـائِـبُ

وَأَصْمَـىٰ فُـؤَادِيْ سَهْـمُ لَحْـظٍ رَمَـتْ بِـهِ وَقَـدْ وَدَّعَتْنِـي بِـالسَّـلاَمِ الحَـوَاجِـبُ

بِنَفْسِـيْ فَتَـاةٌ أَيْقَـظَ الصُّبْـحُ طَـرْفَهَـا وَقَـدْ ذَعَـرَتْهَـا بِـالـرُّغَـاءِ الـرَّكَـائِـبُ

رَنَـتْ فَـرَنَـا الـرِّيْـمُ الحِجَـازِيُّ كُلُّـهُ وَهَبَّـتْ لِـرَيَّـاهَـا الصَّبَـا وَالجَنَـائِـبُ

وَمَـاسَـتْ فَمَـاسَ البَـانُ زَهْـواً وَغَـرَّدَتْ بِشَجْـوٍ فَغَنَّـاهَـا الحَمَـامُ المُجَـاوِبُ

وَسَـائَلَـتِ الأَتْـرَابَ وَلْهَـىٰ وَرَدَّدَتْ تَنَفُّسَهَـا حَتَّـىٰ اهْتَـزَزْنَ التَّـرَائِـبُ

وَقَـالَـتْ وَقَـدْ هَـاجَ الهَـوَىٰ مَـا تُجِنُّـهُ وَقَـدْ رَمَقَتْهَـا بِـالمَـلاَمِ العَـوَاتِـبُ

أَذَاكَ الفَتَـىٰ المُـرِّيّ هَـل غـض شملـه واعفسـه شـطّ المَـزَارِ الثَّـوَائِـبُ

فَقُلْـنَ لَهَـا بَـلْ قَـوَّضَ البَيْـنُ دَمْعَـهُ وَسِـرْنَ بِـهِ تَلْـوَ الـرِّكَـابِ الحَقَـائِـبُ

وَأَقْفَـرَ مِنْـهُ الـوَادِيَـانِ وَأَوْحَشَـتْ لِمَسْـرَاهُ مِـنْ بَطْـنِ العَقِيْـقِ الجَـوَانِـبُ

فَـأَقْطَـرَ مِنْهَـا الطَّـرْفُ دَمْعـاً كَـأَنَّـهُ لآلِـيءُ فَضَّتْهَـا الأَكُـفُّ الخَـوَاضِـبُ

/ ٢٢٠ب/ وَكَلَّلَ مِنْهَا المُقْلَتَيْنِ فَحَدَّقَتْ كَمَـا أَحْـدَقَـتْ بِـالفَـرْقَـدَيْـنِ الكَـوَاكِـبُ

فَـرْطُ التَّـأَسُّـفِ وَالأَسَـىٰ . . . . . وَوَرَّدَ خَـدَّيْهَـا الحَيَـاءُ المُغَـالِـبُ

[٤٢٥]

عليُّ بنُ إدريسَ بن مقلّد بنِ شبلِ بنِ حريزٍ، أبو الحسنِ الحمصي، الكاتبُ بحَماة.

من الشعراء المكثرين في زماننا، طويل الباع في النظم، رزقه الله قريحة صافية، ومنحه من علم اللغة حصة وافية.

وهو شاعر مسهب، يتأتىٰ له الكلام من كُلّ مذهب، يمدح الملوك والكبار، بمطولات القصائد والأشعار.

ثم إنّه إذا مدح أحداً نشر فيه ألف بيت، وربما بلغ نظمه خمسين ألف بيت، علىٰ

ما أنشدني أبو عبد الله محمد بن حيدر بن الدبندار الشاعر الواسطي ؛ قال : أنشدني علي بن أدريس الكاتب لنفسه يمدح فلك الدين أبا القاسم عبد الرحمن بن هبة الله بن علي بن الميري المصريّ : [من الطويل]

عَلَى دَارِ سَلْمَى إذْ مَرَرْتَ مُسَلِّمًا ... وَقَدْ أَقْفَرَتْ مِنْهَا جَرَتْ أَدْمُعِي دَمَا
/ ٢٢١أ/ وَكُنْتُ أَرَاهَا جَنَّةً بِاجْتِمَاعِنَا ... فَعُدْتُ أَرَاهَا لِلفِرَاقِ جَهَنَّمَا
وَإنْ جَمَعَتْ بَيْنَ الصُّدُودِ وَبَيْنَهَا ... فَكَمْ جَعَلَتْ فِكْراً بِذَيْنِ مُقَسَّمَا
وَمَا هِيَ إلاَّ ظَبْيَةٌ بِجُفُونِهَا ... تُعَفِّرُ لا بِالصَّارِمِ العَضْبِ ضَيْغَمَا
وَإنْ ظَلَمَتْ بِاللَّحْظِ سَاحِرَ بَابِلٍ ... فَمِنْ خَدِّهَا الوَرْدُ الجَنِيُّ تَظَلَّمَا
وَإنْ عَلَّمَتْهُ النَّفْثَ فَتْرَةُ جَفْنِهَا ... فَمِنْ سُقْمِهِ جِسْمِي السَّقَامَ تَعَلَّمَا
وَمَا حَرَّمَتْ إلاَّ وِصَالاً مُحَلَّلاً ... وَلاَ حَلَّلَتْ إلاَّ صُدُوداً مُحَرَّمَا
وَبِي أَلَمٌ يَا لَيْتَهُ لاَ أَلَمَّ بِي ... وَلَمْ يَشْفِنِي مِنْهُ سِوَى رَشْفَةِ اللَّمَا
وَقَوْلِي لَهَا إذْ هَزَّهَا ثَمَلُ الصِّبَا ... كَمَا هَزَّ غُصْنَ البَانِ رَوْحٌ تَنَسَّمَا
رَعَى اللهُ يَوْمَ الرَّقْمَتَيْنِ لِكَوْنِهِ ... عَلَيْنَا بِنِعَمِ المُتَنَعِّمِ أَنْعَمَا
وَلَيْلَةَ وَادِي النَّخْلَتَيْنِ وَعَيْتُهَا ... يُذَكِّرُنِي غِزْلاَنَ وَجْرَةَ وَالحِمَى
وَقَدْ أَرْشَفَتْنِي قَهْوَةً مِنْ رُضَابِهَا ... وَقَدْ جَعَلَتْ مِنْهَا لَهَا كَأْسَهَا فَمَا
فَقَالَتْ بِبَعْضِ العَيْشِ لَوْ رُحْتَ قَانِعًا ... حَلُمْتَ عَلَى دَهْرٍ عَلَيْكَ تَحَلَّمَا
فَأَنْشَدْتُهَا البَيْتَ الَّذِي شَاعَ ذِكْرُهُ ... وَعَنْهُ لَدَيْهَا مَا أَمَلْتُ التَرَنُّمَا
قَنِعْتُ بِبَعْضِ العَيْشِ إنْ عَزَّ كُلُّهُ ... وَمَنْ لَمْ يَجِدْ مَاءً طَهُوراً تَيَمَّمَا
وَوَسَّدَهَا مِنِّي التَّضَاجُعُ سَاعِداً ... وَوَسَّدَنِي مِنْهَا كَمَا اخْتَرْتُ مِعْصَمَا
/ ٢٢١ب/ وَبِتْنَا وَأَسْتَارُ العَفَافِ أَنْسَدَالُهَا ... عَلَى مَرْيَمٍ مِنْهَا وَمِنِّي ابْنِ مَرْيَمَا
إلَى أَنْ بَدَا ضَوْءُ الصَّبَاحِ فَخِلْتُهُ ... سَنَى فَلَكِ الدِّينِ الوَزِيرِ مُخَيِّمَا
فَتًى أَمِنَتْ عَيْنِي بِرُؤْيَةِ شَخْصِهِ ... إلَى أَنْ تَوَافَى حِينُهَا خِيفَةَ العَمَى
وَكَانَ مَقَالِي لِلَّذِي قَالَ قَدْ حَوَى ... بِهِ الأَشْرَفُ السُّلْطَانُ لِلْمُلْكِ مَغْنَمَا
فَمُوسَى كَمُوسَى وَهُوَ هَارُونُ مُلْكِهِ ... وَمِنْهُ إلَيَّ مَا يُسَلِّمُ سُلَّمَا
وَلاَ عَجَبٌ إنْ شَدَّ بِالرَّأْيِ أَزْرَهُ ... كَمَا شَدَّ أَزْرَ الحَمْدِ جُودُ يَدٍ هَمَى
وَبِالقَلَمِ السَّاطِي . . . . عَلَى القَنَا ... وَبِالخَذْمِ كَمْ أَلْقَى إلَى الفَلِّ مِخْذَمَا

كَمَا قَدْ أَبَادَ السَّابِرِيَّ تَمَزُّقًا وَإِنْ كَانَ يَسْمُو عَنْ مَقَالِيْ لَهُ كَمَا
فَإِيَّاكَ أَنْ تَذْكُرْ لَدَى خَطِّ نَفْسِهِ حُسَامًا وَأَنْ تُدْنِي إِلَى الوَصْفِ لَهْذَمَا
فَكَمْ سَمْهَرِيٍّ صَارَ مِنْهُ مُحَطَّمًا وَكَمْ مَشْرَفِيٍّ عَادَ مِنْهُ مُثَلَّمَا
وَلَمْ تُغْنِ إِلاَّ كُتْبُهُ عَنْ كَتَائِبٍ وَأَشْقَرُهَا بِالكَرِّ يَتْبَعُ أَدْهَمَا
وَمَا فَضَّهَا مَنْ لا رَأَى مِنْ سُطُورِهَا لَدَيْهِ خَمِيسًا لِلْبَلاَغِ عَرَمْرَمَا
فَقُلْ لِلَّذِي يَرْجُو نَدَى يَدِ جَائِدٍ عَلَى البَحْرِ فِيمَا جَادَ لِلْمُجْتَدِيْ ظَمَا
إِلَى غَيْرِ جُودِ ابنِ المسيري ....
هُوَ الصَّاحِبُ الصَّدْرُ الَّذِي غَايَةُ النَّدَى يُصَاحِبُ مَنْ يُسْدِيْ إِلَيْهِ تَكَرُّمَا
/ ٢٢٢أ/ تُخَالُ عَطَايَاهُ لِقَاصِدِهِ بِهَا جِبَالاً أَتَتْ فِي أَبْحُرِ البِشْرِ عُوَّمَا
لَهُمْ أعربت أغراب مَعْنَى مَدَائِحٍ وَكُنَّا نَرَاهُ قَبْلَ ذَلِكَ مُعْجَمَا
مُسَدَّدَةٌ آراؤُهُ فَلَكِيَّةٌ مَسِيرَتُهُ بالحزم تحزم أحرُما
لَقَدْ حَنَّكَتْهُ حِكْمَةٌ وَتَجَارِبٌ فَخُذْ عَنْ عُلاَهُ أَحْلَمَ الفَضْلِ مُحْكَمَا
أَيَا سَيِّدَ السَّادَاتِ كُنْ لِي مُسَاعِداً عَلَى زَمَنٍ لَمْ يُخْطِنِي بِغِنًى رَمَى
إِلَى كَمْ أَشُقُّ القَفْرَ بِالفَقْرِ مُنْجِداً وَفِيمَ اقْتَضَتْ مِنِّي المَتَاعِبُ مُتْهِمَا
وَعَنْ كَعْبَةِ المَعْرُوفِ كَمْ أَنَا عَائِدٌ كَمَا جِئْتُهَا مِمَّا أُؤَمِّلُ مُحْرِمَا
وَأَنْتَ لَهَا الرُّكْنُ الَّذِي عَرَفَاتُهُ لِمَعْرُوفِهَا مَا أَنْكَرَ الحَمْدَ مُرتما
وَزَمْزَمُ جَدْوَاهَا وَمَنْسَكُ فَضْلِهَا وَلَمَّا تَزَالاَ مِنْكَ نُسْكًا تَرَمْرَمَا
وَفِي كُلِّ عَامٍ بِالأَمَانِي يَعُلُّنِي رَجَائِي بِمَا يُدْنِي عَسَى وَلَعَلَّمَا
وَلَيسَ قِيَامِي فِي سِوَى لُجَّةِ النَّدَى لأَعْذَبِ وِرْدٍ كَيْفَ أَقْضِي مِنَ الظَّمَا؟!
وَذَا السَّهْمُ إِنْ لَمْ يُصْمِ لِي غَرَضًا بِهِ غَدَوْتُ عَلَى فَقْدِ الحَيَاةِ مُصَمِّمَا
وَمَا ثَمَّ إِلاَّ عَزْمَةٌ فَلَكِيَّةٌ تشكل لِيْ حَظًّا بِفَقْرٍ تَهَدَّمَا
فَإِنْ لَمَحَتْنِي مِنْ عُلاَهَا عِنَايَةٌ تَسَرْبَلْتُ سِرْبَالَ السَّعَادَةِ مُعْلَمَا
وَعَادَ إِلَى أَهْلِي النَّذِيرُ قَائِدِي وَلَسْتُ بِقَوَّالٍ أَعُودُ مُدَرْهَمَا
/ ٢٢٢ب/ وَدُمْ فِي سَمَاوَاتِ المَعَالِيْ مُحَكَّمًا مَنَاقِبُكَ اللاَّتِي لَهُ صِرْنَ أَنْجُمَا

وأنشدني القاضي الإمام أبو القاسم عمر بن أحمد الحلبيّ؛ قال: أنشدني أبو

الحسن علي بن أدريس بن مقلد بن شبل بن حريز الحمصي، لنفسه من أبيات:

[من الخفيف]

أيُّ طَيْفٍ تُطيفُهُ الأحْلاَمُ ... بكَئيبٍ جُفُونُهُ لاَ تَنَامُ

أوْ تَرَىٰ عَدْلَ حَاكِم البَيْنِ فِيْ شَرْعِ الكَآبَاتِ وَالغَرَامُ الغَرَامُ

يَا لَقَوْمِي تَجَنَّبُوا الخَيْفَ إذْ مَا ... فِيهِ أمْنٌ لِمُسْتَهَامٍ يُسَامُ

وَتَعَدُّوا رِمَالَ رَامَةَ إذْ فِيهِ تَصِيدُ الضَّرَاغِمَ الآرَامُ

بِجُفُونٍ ..... الـذم لِلْعَضْبِ فَمَا عِنْدَهَا لِلْقَلْبِ ذِمَامُ

وأنشدني؛ قال لي: واقترح علي الملك المنصور ـ صاحب حماة ـ أن يجيز بيتًا هو:

[من الكامل]

يَغْدُو عَلَيَّ بِرِيقِهِ وَبِكَأْسِهِ ... فَيُعِلُّنِي بِالكَأْسِ بَعْدَ الكَاسِ

وَالرَّوْضُ قَدْ أَهْدَىٰ إلَىٰ نُوَّارِهِ ... رُوحَ النَّسِيْمِ بِأَعْطَرِ الأَنْفَاسِ

وَمُهَفْهَفٍ مِنْ خَدِّهِ وَعِذَارِهِ ... يَجْلُو جَنِيَّ الوَرْدِ تَحْتَ الآسِ

/٢٢٣أ/ يَغْدُو عَلَيَّ بِرِيقِهِ وَبِكَأْسِهِ ... فَيُعِلُّنِي بِالكَأْسِ بَعْدَ الكَاسِ

فَيَرُوحُ لِي سُكْرَانَ مِنْهُ وَلَمْ يَكُنْ ... لِلْرَّاحِ إلاَّ سَكْرَةٌ لِلْحَاسِي

رَشَأٌ يُعِيْرُ البَدْرَ ضَوْءَ جَبِيْنِهِ ... وَالغُصْنَ لِيْنَ قَوَامِهِ المَيَّاسِ

وَإذَا أرَادَ مَسِيرَهُ نَادَيْتُهُ ... (مَا فِي وُقُوفِكَ سَاعَةً مِنْ بَاسِ)

وأنشدني؛ قال: أنشدني لنفسه، وقد اقترح عليه: [من الكامل]

وَلَرُبَّ قَائِلَةٍ: سُيُوْلُ الجُوْدِ لَمْ ... رَكَدَتْ وَكَانَتْ جَمَّةَ التَّيَّارِ

فَأَجَبْتُهَا لاَ تُنْكِرِي هَذَا فَقَدْ ... جَمُدَ النَّدَىٰ لِبُرُوْدَةِ الأَشْعَارِ

نصف البيت الأخير لابن حكّينا البغدادي[١].

وأنشدني؛ قال أنشدني لنفسه: [من الوافر]

يَرِقُّ لِيَ العَوَاذِلُ وَهِيَ تَجْفُو ... وَأُنْكِرُ حُبَّهَا وَالسُّقْمُ عُرْفُ

بَدَتْ كَهِلاَلِ دَجْنٍ وَالثُّرَيَّا ... مُنَظَّمَةٌ لَهَا قُرْطٌ وَشَنْفُ

(١) في الأصل: «جكينا» وما أثبتناه من خريدة القصر ـ قسم العراق ٢/ ٢٣٠.

تُهَدّد بالنّوىٰ ....

فَلاَ وَأبِيكَ لَمْ يَكُ غَيْرُ لَمْحٍ وَأسْتَارُ الدُّجَىٰ كَالصَّدِّ وُجُفُ

وَقَالُوا فِي الضَّعَائِنِ أُمُّ خِشْفٍ سَرَتْ وَلِخِدْرِهَا الخرصَانُ سجْفُ

/ ٢٢٣ب/ وَفَوْقَ عُقُودِهَا قَمَرٌ مُنِيرٌ وَتَحْتَ ثِيَابِهَا خُوطٌ وَحَقْفُ

فَقُلْتُ لِصَاحِبِي ظَعَنَتْ سُلَيْمَى فَدَمْعِي بَعْدَ مَسْرَاهَا مُسِفُّ

وأنشدني؛ قال: أنشدني وقد أهدي إلى الملك الأفضل سروة من شمع في كأس رخام: [من البسيط]

وَدَوْحَةٍ مَا سَقَاهَا شَأْنُ غَادِيَةٍ تَمِيسُ فِي كَأسِهَا كَالشَّادنِ الثَمِلِ

كَأنَّ أصْفَرَهَا لَوْنِي وَأحْمَرَهَا دَمْعِي وَأبْيَضَهَا وَجْهُ المَلِيكَ عَلِي

وأنشدني؛ قال: أنشدني لنفسه في قويق، وقد مَلّ وهو وابن نظيف واقفان عليه:

[من الكامل]

وَلَقَدْ وَقَفْتُ عَلَىٰ قُوَيْقٍ عِنْدَمَا وَافَاهُ سَيْلٌ لَيْسَ بِالمَمْنُوعِ

لَوْ لَمْ يُكَدِّرْهُ لَقُلْتُ مَوَاهِبُ أبْنِ نظِيفَ لِلْعَافِي بِغَيْرِ شَفِيعِ

وَكَذَاكَ لَوْلاَ بَرْدُهُ لَحَسِبْتُهُ لَمَّا تَوَلَّى الظَّعْنُ فَيْضَ دُمُوعِي

وقال في صديق ودَّعه: [من الكامل]

يَا أيُّهَا الغَادِي إلَيْكَ نَصِيحَةً مِنْ قَبْلِ تَوْدِيعٍ وَحَثٍّ مَسِيرِ

أخْشَىٰ يُفَرِّقُ عِيسَكُمْ يَوْمَ النَّوَىٰ دَمْعِي وَيُلْهِبُهُ شَرَارُ زَفِيرِي

فَخُذُوا أمَانَاً مِنْ جُفُونِ دَمْعُهَا هُتُنٌ وَقَلْبٍ عَنْكَ غَيْرِ صَبُورِ

/ ٢٢٤أ/ وأنشدني؛ قال: أنشدني لنفسه أيضًا، في الفلك بن المسيري يمدحه:

[من الخفيف]

فَلَكَ الدِّيْنِ مَا إلَىٰ غَيْرِ مَعْرُوفِكَ سَيْرِي بِالنَّاجِيَاتِ البُدْنِ

أنْتَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ لَفْظاً وَمَعْنَى لِسُمُوٍّ تُسَمَّىٰ الفَخَارَ وَتكْنِي

لَمْ يُجِزْنِي سِوَاكَ مَالاً وَجَاهاً وَيُعْنِي وَمِنْ زَمَانِي يُجِرْنِي

إنْ لَوَتْ لَيْتَ مَكْرُمَاتِكَ عَنِّي غَفْلَةٌ فَهْوَ آخرُ العَهْدِ مِنِّي

حَاشَا اللهِ أنْ يُخَيِّبَ فِيمَنْ هُوَ رُوْحُ الوُجُودِ لِلْقَصْدِ ظَنِّي

أَوْ يَـرَانِـي الحَسُـوْدُ مِمَّـا أُرَجِّيْـهِ لِقَـرْعِ الفَـاقَـاتِ أَقْـرَعُ سِنِّـيْ

وَمَسِيْـرِيْ إِلَـىٰ نَـدَىٰ ابْـنِ المَسِيْـرِيِّ بِقَلْـبٍ لأَنْعُـمٍ مُطْمَئِـنِّ

بَـلْ مَعَـادِيْ يَكُـوْنُ عَنْـهُ بِمَـا عَـادَ نِظَـامُ الثَّنَـاءِ عَـنْ جُـوْدِ مَعْـنِ

دَامَ فِـيْ نِعْمَـةٍ لِعَلْيَـاهُ يُغْنِـيْ الحَمْـدُ إِذْ لِلْعُفَـاةِ بِـالمَـالِ يُغْنِـيْ

[٤٢٦]

عليُّ بنُ إسماعيلَ بنِ الحسنِ بنِ الطويرِ، أبو الحسنِ المصريُّ.

أدرك دولة المصريين، وخدم .... بن شاور، واستوزره بهاء الدين قراقوش، وعاش عمراً طويلاً / ٢٢٤ب/ مائة وسبع سنين؛ وتوفي في أواخر صفر سنة سبع عشرة وستمائة.

وكان رجلاً جليلاً من كبراء أهل مصر في الرئاسة، وأحد الشهود المُعدّلين بها، وكان مُعتنيًا بالتواريخ والسير والأشعار؛ شاعراً فاضلاً.

أنشدني أبو المآثر عبد الصمد بن عبد الله المصري؛ قال: أنشدني أبو الحسن له: [من الطويل]

لَئِـنْ كُنْـتُ قَبْـلَ اليَـوْمِ أَسْـأَلُ خَـالِقِـي يُمَتِّعُنِـيْ بِـالمَـالِ وَالجَـاهِ وَالأَهْـلِ

فَـإِنِّـيَ لأَنْ أَسْـأَلُـهُ يُبْقِيْـكَ دَائِمـاً وَيُـوزِعُنِيْ شُكْـرَيْكَ أَصْبَحْتُ فِي شُغْلِ

عَسَـىٰ اللهُ أَنْ يَجْـزِيْـكَ مَـا أَنْـتَ أَهْلُـهُ وَيُبْقِيْـكَ مَـاضِـي العَـزْمِ وَالقَـوْلِ وَالفِعْـلِ

وأنشدني؛ قال: أنشدني أبو الحسن لنفسه: [من الطويل]

أُكَـرِّرُ تَسْلِيْمِـيْ عَلَيْـهِ بِـأَنَّنِـيْ أُشَـاهِـدُهُ بِـالقَلْـبِ وَهْـوَ بَعِيْـدُ

وَلَيْـسَ عَلَـىٰ حُبِّـيْ لَـهُ وَمَـوَدَّتِـيْ وَشُكْـرِيْ وَإِنْ رُمْـتُ المَـزِيْـدَ مَـزِيْـدُ

[٤٢٧]

عليُّ بنُ عليِّ بن سالمٍ، أبو الحسنِ بنُ أبي البركاتِ البغداديُّ، المنعوتُ بالمُفيدَ(١).

من أهل الكرخ، ويعرف بابن الشيخ؛ قرأ شيئًا من النحو علىٰ أبي الفرج / ٢٢٥أ/ محمد بن الحسين الجفني البغدادي.

وكان شاعراً صاحب بديهة حاضرة في النظم، سريع الخاطر فيما يقوله من القريض؛ وديوان شعره مجموع، وله مدائح في الناصر لدين الله ـ رضي الله عنه ـ أجادَ فيها.

وكانت ولادته بكرخ بغداد سنة تسع وخمسين، ومات يوم الثلاثاء سابع رجب سنة سبع عشرة وستمائة.

أنشدني أبو الحسن علي بن المبارك بن هرثمة البغدادي الكرخي؛ قال: أنشدني ابن الشيخ لنفسه؛ يمدح جمال الدين بن الحصين: [من مجزوء الرمل]

بَانَ مَنْ أَهْوَاهُ عَنِّي	فَتَجَافَى النُّومُ عَيْنِي
قَمَرٌ أَيْسَرُ مَا فِيهِ	صُدُودٌ وَتَجَنِّي
ذِكْرُهُ يَدْخُلُ قَلْبِيْ	قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ أُذْنِي
أَنَا أَفْدِيْ مِنْهُ غُصْنًا	فِيْ كَثِيْبٍ مُتَثَنِّي
عُدْتُ يَوْمَ البَيْنِ عَنْهُ	نَادِمًا أَقْرَعُ سِنِّي
كَمْ أُنَادِيْهِ فَأَدْعُوهُ	فَلَا يَسْمَعُ مِنِّي
مَا تَخَيَّلْتُ بِأَنَّ	الخِدْنَ لَا يَرْعَىٰ لِخِدْنِ
سَيِّدِيْ مَا كَانَ ظَنِّي	فِيكَ أَنْ تُخْلِفَ ظَنِّي
/ ٢٢٥ب/ كُلُّ شَيءٍ مَا سِوَىٰ وَصْلِكَ	لِيْ صَفْقَةُ غَبْنِ

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢١/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣. وفيه عن ابن النجار: «ولد سنة سبع وخمسين وخمسمائة». المختصر المحتاج إليه ٣/ ١٣٢ رقم ١٠٢٣. المستفاد من ذيل تأريخ بغداد لابن النجار ص٣٤٣ رقم ١٤٨ وفيه: «دفن في مشهد الحسين بن علي». التكملة للمنذري ٣/ ١٨ رقم ١٧٥١.

يا غريب الحسن والجالب منه كل فن

ما ذكرنا البدر إلا … وبه إياك نعني

أو ذكرنا الغصن إلا … وكنت من أحسن غصن

متلفي فيك تلافيك … وإعراضك عني

أترى ذلك يرضيك … فإن كان فزدني

كم تأنيت لأمر … عز مع طول التأني

وكم استعجلت شيئاً … جاء من غير تعني

أتمنى ليلة السفح … وما يجدي التمني

نح معي يا طائر البان وإن شئت فغن

كلنا صاحب وجد … وصبابات وحزن

صاح ماذي الغادة الشعواء في منزل أمن

رشأ يفتك بالأسد … بلا ضرب وطعن

ما رمى إلا أصاب القلب من قبل المجن

/٢٢٦أ/ فهو في السخط جحيم … والرضا جنة عدن

كجمال الدين مولى … معرب السؤدد مني

ماجد في راحتيه … ما يروم المتمني

يهدم المال ولكن … لقصور المجد يبني

فهو عزي وغياثي … من أذى الدهر وحصني

قد جرت في بحر جدواه بريح النجح سفني

وأنشدنا محمد بن سعيد الواسطي؛ قال: أنشدني أبو الحسن الكرخي لنفسه:

[من الكامل]

ما هذه الدنيا لطالب رفدها … وعطائها إلا شقاً وعناء

يبني بها داراً ويعلم أنه … يمضي ويسكن داره الأعداء

ولو ارعوى لم يبن فيها منزلاً … ونهاه عن عمل الفناء فناء

كمثال دود القز ينفع [غيره] … ولنفسه بفعاله الضراء

وانظر إلى المعنى بعين بصيرة … فاللفظ للمعنى الجليل وعاء

مَا الفَرْقُ فِيْ صُورِ الرِّجَالِ وَإِنَّمَا بِالفَضْلِ قَدْ تَتَمَيَّزُ الأَشْيَاءُ
وَإِذَا العِبَارَةُ لَمْ تَكُنْ مِنْ نِيَّةٍ للهِ مِنْ ذِي القَصْدِ فَهْيَ هَبَاءُ
/ ٢٢٦ب/ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِيْ نَفْسِهِ بِمُعَظَّمٍ لَمَّا يُعَظِّمْ قَدْرَهُ العُظَمَاءُ
وَالحُرُّ يُشْبِهُهُ كُلَّ حُرٍّ مِثْلَهُ وَكَذَا السَّفِيْهُ نَظِيْرُهُ السُّفَهَاءُ

وقال في مدح السواد: [من المنسرح]

إِنِّي لأَسْتَحْسِنُ السَّوَادَ إِذَا فَكَّرْتُ فِيْهِ بِقَلْبِ مُعْتَبِرِ
لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي السَّوَادِ مَنْقَبَةٌ مَا طُرِّزَتْ مِنْهُ وَجْنَةُ القَمَرِ
وَلَمْ يَكُنْ فِيْ أَعَزِّ مَنْزِلَةٍ وَخَيْرِ مَثْوًى فِي القَلْبِ وَالبَصَرِ
وَلَمْ يَكُنْ فِي الوَرَى شِعَارَ بَنِي العَبَّاسِ آلِ النَّبِيِّ مِنْ مُضَرِ
خَلائِفِ اللهِ فِي بَرِيَّتِهِ أَثْنَى عَلَيْهِمْ فِيْ مُحْكَمِ السُّوَرِ

وقال أيضًا[1]: [من المنسرح]

قَصَّرَ نَوْمِي طَوِيْلُ تَسْهِيْدِي لِذَاتِ قَدٍّ كَالغُصْنِ أُمْلُودِ
بَيْضَاءَ كَالدُّرَّةِ النَّقِيَّةِ زَيَّنَتْ بِحُسْنِ الغَدَائِرِ السُّوْدِ
أَبْدَتْ لَنَا سَاعَةَ الوَدَاعِ وَقَدْ زَمُّوا المَطَايَا لِسَاحَةِ البِيْدِ

وأنشدني الحافظ الإمام أبو عبد الله بن النجار؛ قال: أنشدني أبو الحسن علي بن علي لنفسه: [من الوافر]

/ ٢٢٧أ/ وَمُعْتَدِلِ القَوَامِ إِذَا تَثَنَّى تَثَنَّى الغُصْنُ وانْهَالَ الكَثِيْبُ
يُجَرِّدُ مِنْ لَوَاحِظِهِ حُسَامًا لَهُ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ نَصِيْبُ
وَيُرْسِلُ أَسْهُمًا مِنْ مُقْلَتَيْهِ مَوَاقِعُهَا مِنَ المُهَجِ القُلُوْبُ
سَقَامُ جُفُوْنِهِ مِفْتَاحُ سُقْمِي وَذَلِكَ مُمْرِضٌ وَهُوَ الطَّبِيْبُ
كَأَنَّ الحُسْنَ يَعْشَقُ وَجْنَتَيْهِ فَلَيْسَ يَغِيْبُ عَنْهُ وَلا يَغِيْبُ

---

(١) الأبيات في الوافي ٢١/ ٣٣٣.

[٤٢٨]
عليُّ بنُ الحسنِ بنِ شداد، أبو الحسنِ المصريُّ.

كان شاعراً مُتفقهًا، متأدِّبًا، حسن الشعر.

أنشدني القاضي عبد الصمد بن عبد الله المصري؛ قال: أنشدني علي بن الحسن لنفسه: [من الخفيف]

يَـا بَعيْـدَ المَـزَارِ وُدُّكَ دَانِـيْ ... لَيْـسَ يَنْـأَىٰ وَإِنْ نَـأَتْ بِـكَ دَارُ
وَاقْتِـرَابُ القُلُـوبِ مَطْلُـوبُ أَهْـلِ الفَهْـمِ لاَ أَنْ تَـزَاحَـمَ الأَبْشَـارُ
رُبَّ دَانٍ بِـالجِسْـمِ نَـاءٍ عَـنِ القَلْـبِ وَنَـاءٍ لَـهُ الفُـؤَادُ قَـرَارُ

وأنشدني؛ قال أنشدني لنفسه: [من البسيط]

يَـرُدُّنـي الشَّـوْقُ إِمَّـا كُنْـتُ نَحْـوكُـمُ ... فَلَسْـتُ أَعْـرِفُ أَرْضـاً غَيْـرَ أَرْضِكُـمُ
/٢٢٧ب/ نَسِيتُ كُلَّ طَرِيقٍ كُنْتُ أَعْرِفُهَا ... إِلاَّ طَـرِيقـاً يُـؤَدِّيْنـيْ لِـرَبْعِكُـمُ

[٤٢٩]
عليُّ بنُ الحسنِ بنِ عليِّ بنِ الحسنِ بنِ عليِّ بنِ ثابتِ بنِ مُزاحمِ بنِ عيَّاشَ بنِ وديعةَ، أبو الحسنِ الرَّبَعيُّ النيليُّ[١].

هو من قرية من قُرىٰ النيل، تسمىٰ أرديخلي.

كان مولده بها سنة خمس وخمسين وخمسمائة، وخرج عنها إلىٰ الموصل، وأقام بها يؤدِّب الصبيان، إلىٰ أن مات لثلاث ليال بقين من المحرم سنة عشرين وستمائة؛ ودُفن بباب العراق، ظاهر البلد، بمقبرة عنار.

وكان ذا معرفة بالنحو والحساب؛ شاعراً شيعيًا، أشعاره كثيرة في أهل البيت ـ صلوات الله عليهم وسلامه ـ.

---

(١) ترجم المؤلف لولده (محمد بن علي بن الحسن) في الجزء السابع برقم ٧٦٦.

أنشدني ولده أبو عبد الله محمد؛ قال: أنشدني والدي لنفسه يتشوّق أهله:

[من البسيط]

هَلْ لـي إِيَابٌ إِلَىٰ أَرْضي وَأَوْطَاني ... وَجيرَة ذِكْرُهُمْ رَوْحي وَرَيْحَاني
أرضٌ هَوَيتُ هَوَاهَا إِذْ بِهَا نَجَمَتْ ... قِدماً مَنَابتُ أَعْرَاقي وَأَغْصَاني
وَجيرَةٌ جَارُهُمْ لاَ جَوْرَ يكْلمُهُ ... وَهُمْ لَهُ مثْلُ أَنْصَارٍ وأَعْوَان
إِذَا تَعَوَّضْتُ عَنْهُمْ لَمْ أَجِدْ عِوَضاً ... كَلاَّ وَلَمْ يَرَ إِنْسَانِيٌّ لإِنْسَانَ
/٢٢٨أ/ وَصَاحِبٍ كُنْتُ أَرْجُوهُ وَآمُلُهُ ... عَوْناً لِدَفْعِ مُلِمَّاتٍ وَأَضْغَانَ
جَازَيْتُهُ بِجَمِيلِ الفعْلِ مُجْتَهِداً ... فِي حِفْظِهِ وَبِضِدِّ الفِعْلِ جَازَانِيَ
كَمْ نَالَ بِالنَّيْلِ بَعْدَ الصَّدِّ مِنْ غَرَضٍ ... وَكَمْ عَلَيَّ قَسَىٰ كَلْبٌ بِقَوْسَانِ
وَلَسْتُ أَجْزَعُ مِنْ ضِدٍّ وَلِي سَنَدٌ ... عَلَيْهِ بَعْدَ إِلَهِ العَرْشِ تُكْلاَنِيَ
إِمَامُ حَقٍّ أَقَامَ الدِّينَ مُجْتَهِداً ... بِالسَّيْفِ أَفْنَىٰ طُغَاةَ الإِنْسِ وَالجَانِ

وأنشدني أيضًا؛ قال: أنشدني والدي لنفسه من جملة أبيات قالها في غرض له:

[من الطويل]

سَقَىٰ مَنْزِلاً بِالنَّيْلِ لِي فِيهِ مَنْزِلُ ... سَكُوبُ الحَيَا مُثْعَنْجِرٌ مُتَهَلِّلُ
وَأَيَّامِ . . . . . بِالسُّرُورِ قَطَعْتُهَا ... وَقَلْبٍ مُقِيمٍ بِالجَمِيلِ مُوَكَّلُ

ومنها:

أَجَاوِدُ أَقْيَالٌ كِرَامٌ أَعِزَّةٌ ... عَوَارِفُهُمْ تَزْدَادُ وَالعَامُ مُمْحِلُ
تُرَىٰ تَقْدِرُ الأَقْدَارُ تَجْمَعُ بَيْنَنَا ... وَتُنْصِفُنَا الأَيَّامُ وَالدَّهْرُ يَعْدلُ
وَنَلْبَسُ مَلْبُوسَ المَوَاهِبِ وَالتُّقَىٰ ... وَنَسَجْتُهَا فِي الصَّالِحَاتِ وَنَرْفُلُ
نُدِيرُ دُرُوسَ العِلْمِ فِينَا وَلَمْ نَزَلْ ... نَعُلُّ مَعَانِيهَا الحِسَانَ وَنَنْهَلُ
وَإِنَّا وَإِنْ شَطَّتْ بِنَا غُرْبَةُ النَّوَىٰ ... . فِي النَّاسِ مَجْدٌ يُؤَثَّلُ
/٢٢٨ب/ سَمَوْنَا فَأَنْجَانَا السُّمُوُّ وَقَدْ سَمَا ... أَبُو جَرْضٍ أَنْجَاهُ حُرٌّ مُحَجَّلُ
وَهَيْهَاتَ يَنْجُو فَاسِقٌ حَالَ بَيْنَهُ ... وَبَيْنَ نَجَاةٍ جَحْفَلٌ فِيهِ جَحْفَلُ
بِأَيْدِيهِمُ سُودٌ . . . . . كَأَنَّهَا ... إِذَا لُمِسَتْ كَادَتْ لَهَا النَّفْسُ تَجْفُلُ
وَأَعْلَوْهُ لَكِنْ ظَهْرَ حُرٍّ تَخَالُهُ ... كَرَاكِبِهِ عَيْنَاهُ عَيْنَاهُ تَغْزِلُ
وَحَافِرُهُ [يَا] لَلْرِجَالِ مُقَبَّبٌ ... كَحَافِرِهِ صُلْبُ المَسَامِيرِ مُنْعَلُ

ونقـــلاتُـــهُ نقـــلاتُـــهُ بَيْـــدَ أنَّـــهُ إذَا مَـــا مَشَـــىٰ بَيْـــنَ الحَميْـــر يحمّـــل
شَـــديْـــدٌ سَـــرِيْـــعُ الخَطْـــوِ سِيَّـــانَ عِنْـــدَهُ إِذَا بَـــاشَـــرَ المَسْـــرَىٰ مُخِـــفٌّ وَمُثْقَـــلُ

[٤٣٠]

عليُّ بنُ إسماعيلَ بن إبراهيمَ بن جُبارةَ بنِ مختارِ بن يوسفَ بن إِبراهيمَ بنِ الحسنِ الكِنْديُّ التِّجِيبيُّ الأشعثيُّ الهذليُّ المَحليُّ[١].

منسوب إِلىٰ المَحلّة؛ وهو بلد بالديار المصرية[٢].

سكن مصر، وكان نحويًا أديبًا فاضلاً، معبّراً، يرجع إِليه في علم النحو والعربية، وتصدّر لإِفادة علم هذا الشأن، يقرأ عليه.

وله مع ذلك يد في الفقه والأصول، وطبع في صناعة الشعر، ومعرفة باللغة؛ وخبرت أنه كان / ٢٢٩أ/ شيخًا حسنًا، جميل الهيأة لطيفًا، طيب المعاشرة، خدم في الأعمال الديوانية، بمصر مدة طويلة وتنقل فيها، ثم كفّ بصره بأخَرَةٍ، فانقطع إِلىٰ منزله يشغل في العلوم الأدبية كثيراً من الناس.

كانت ولادته في سنة أربع وخمسين وخمسمائة بمدينة سخا من الأعمال الغربية.

أنشدني أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الواحد الأوسي السبي ـ أدام الله سعادته ـ قال: أنشدني أبو الحسن علي بن إسماعيل بن جبارة السخاوي المصري لنفسه بالقاهرة، بمسجد الأزهر في سنة إِحدى وثلاثين وستمائة:

[من الرمل]

هَتَفَـــتْ وَرْقَـــاءُ فِـــي غُصْـــنٍ تُغَنِّـــيْ ذَاتُ شَجْـــوٍ أخَـــذَتْ فِـــيْ كُـــلِّ فَـــنِّ

---

(١) في هامش الأصل: «نقلت من معجم محمد بن عبد العظيم المنذري؛ أنه توفي ليلة الأربعاء الخامس من ذي الحجة سنة إحدى وثلاثين وستمائة بالقاهرة، ودُفن من الغد بسفح المقطم». وفي التكملة للمنذري (المطبوعة) ٣/ ٣٩٨: «سنة اثنتين وثلاثين».
ترجمته في: نكت الهميان ص٢٠٨ ـ ٢٠٩. تاريخ الإسلام/ الورقة ١٢١. بغية الوعاة ٢/ ١٤٩. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٣١ ـ ٦٤٠) ص١٠٥ رقم ١٠٦. سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٧٨.

(٢) انظر: معجم البلدان/ مادة (المحلة).

صَاحَ بِي عِنْدَ ذُهُولِي شَجْوُهَا ... يَا مُعَنَّى بِالحِمَى إِيَّاكَ عَنِّي
إِنْ تُرِدْ عِلْمَ الهَوَى عَنْ صِحَّةٍ ... خُذْ أَحَادِيثَ الحِمَى عَنِّي وَمِنِّي
يَا حَمَامَ الأَيْكِ مِنْ أَخْبَارِهِمْ ... إِنْ تَحَدَّثْتَ بِهَا يَوْمًا فَزِدْنِي
كَرِّرِ الأَخْبَارَ يَا رَاوِيَهَا ... وَمَتَى مَا عَنَّ شَوْقِي فَأَعِنِّي
يَا فُؤَادًا ظَلَّ فِي وَادِي الغَضَا ... عِنْدَهُ خَلَّفْتُهُ لَمْ يَتَّبِعْنِي
/ ٢٢٩ب/ قَالُوا لِلْجِسْمِ وَقَدْ فَارَقَهُ ... هَا هُنَا إِلْفِي فَوَدِّعْنِي وَدَعْنِي
أَضْرَمَ الشَّوْقُ بِقَلْبِي جَمْرَةً ... عَجَبًا لَمْ يُطْفِهَا طُوفَانُ جَفْنِي
أَتَمَنَّاهُمْ عَلَى بُعْدِ المَدَى ... قَلَّمَا يُجْدِي عَلَى الصَّبِّ التَّمَنِّي
وَأُرَجِّي عَوْدَةً بَعْدَ النَّوَى ... وَاللَّيَالِي أَخْلَفَتْ لِي حُسْنَ ظَنِّي
يَا أَخِلَّائِي مِنَ الخَيْفِ لَقَدْ ... كَانَ لِي فِي قُرْبِكُمْ جَنَّاتُ عَدْنِ

وقال أيضًا: [من الخفيف]

قَدْ جَعَلْتَ البُدُورَ مِنْكَ حَيَارَى ... حَسَدًا وَالنُّجُومَ مِنْكَ غَيَارَى
بِأَبِي مَنْ دَفَعْتُ قَلْبِي إِلَيْهَا ... بِاخْتِيَارِي فَلَمْ تَدَعْ لِي اخْتِيَارَا
الأَمَانَ الأَمَانَ مِنْهَا وَمِنْ نَارِ هَوَاهَا أَوِ الفِرَارَ الفِرَارَا
وَبِقَلْبِي مَنْ كَانَ عَهْدِي بِقَلْبِي ... مُضْغَةً ثُمَّ قَدْ أَحَالُوهُ دَارَا
جِيرَةٌ أَحْسَنُوا إِلَيْنَا وَإِنْ جَارُوا عَلَيْنَا وَإِنْ أَسَاؤُوا الجِوَارَا
حَمَلُوا الرَّاحَ فِي المَبَاسِمِ لَكِنْ ... هُمْ صُحَاةٌ مِنْهَا وَنَحْنُ سُكَارَى
كَمْ أَتَيْنَا لَهَا وَرُحْنَا زَمَانًا ... وَجِئْنَا بِهَا ..... مِرَارَا
وَبَلَغْنَا بِهَا الأَمَانِيَّ طِوَالًا ... وَقَطَعْنَا بِهَا اللَّيَالِيَ قِصَارَا
مَا جَعَلْتُ العِنَاقَ مِنِّي دِثَارًا ... أَوْ جَعَلْتُ الشُّعُورَ مِنْهَا شِعَارَا
/ ٢٣٠أ/ بِدِيَارِي عَشِقْتُ لَمْ أَنْدُبِ الرَّ ... بْعَ ذُهُولًا وَلَا سَأَلْتُ الدِّيَارَا
كَلَفِي قَطُّ لَمْ يُسَافِرْ وَلَا سَارَ غَرَامِي ... خَلْفَ الَّذِي عَنْهُ سَارَا
ثُمَّ شَابَ العِذَارُ مِنِّي وَيَكْفِيكَ شَيْبُ العِذَارِ عِنْدَ العَذَارَى
فَأَعَرْتُ الشَّبَابَ غَيْرِي وَمَا زَالَ شَبَابُ الإِنْسَانِ ثَوْبًا مُعَارَا
طَلَعَ الشَّيْبُ فِي عِذَارِي نُجُومًا ... وَرَأَيْتُ النُّجُومَ مِنْهُ نَهَارَا

وقوله: [من مجزوء الكامل]

جَـاءَتْ بحُسْـنٍ مُطْمَئِـنٍّ ... جَـاءَتْـكَ مِنْـهُ بكُـلِّ فَـنِّ
يَـا حُسْنَهَـا مِمَّـا يُـرَوِّعُ بِـالعِـذَارِ المُـرْجَحِـنِّ
فَـرَّتْ مِـنَ الفِـرْدَوْسِ إمَّـا مِـنْ مَـلاَلٍ أوْ تَجَنِّـي
يَشْتَـاقُهَـا مِثْلِـي كَمَـا ... تَشْتَـاقُهَـا جَنَّـاتُ عَـدْنِ
لِحَـلا صُـورَةُ كُحْلِهَـا ... فِـيْ جَفْنِهَـا سَيْـفٌ بجَفْـنِ
لَمْيَـاءُ مَبْسِمُهَـا كَصُبْـحٍ قَـدْ أُحِيْـطَ بِيَـوْمِ دَجْـنِ
أنْفَـاسُهَـا كَنَسِيْـمِ نَـدٍّ خَـاضَ فِيْـهِ نَسِيْـمُ دَنِّ
يَـا عَـاذِلِـي فِيْـهِ أعِنِّـي ... أوْ إلَيْـكَ إلَيْـكَ عَنِّـي
دَخَـلَ الغَـرَامُ بغَيْـرِ أمْـرِيْ لِلْحَشَـا وَبِغَيْـرِ إذْنِـي
/ ٢٣٠ب/ تَـدْعُـوْ مَـلاَحَتُهَـا الغَـرَامَ فَيَسْتَجِيْـبُ بِـلاَ تَـأَنِّـي
وَيُـرِيْـكَ كُـلَّ إسَـاءَةٍ ... وَجْـهٌ يَجِـيْءُ بكُـلِّ حُسْـنِ

وقوله: [من مجزوء الخفيف]

قُلْـتُ يَـوْمـاً لِمَـنْ عَلَـىٰ ... حُسْنِـهِ الخَلْـقُ مُجْمِعَـهْ
يَـا غَـزَالاً بحُسْنِـهِ ... مَلَـكَ القَلْـبَ أجْمَعَـهْ
كُنْـتُ سَلَّفْتُـكَ الـوِدَادَ لِتَـرْعَـاهُ فِـي دَعَـهْ
قَـالَ لِـي مِثْلُـهُ رَدَدْتُ مِـنَ الضِّيْـقِ وَالسَّعَـهْ
قُلْـتُ: زِدْنِـي مِـنَ الـوِصَـالِ وَخُـذْ مُهْجَتِـي مَعَـهْ
قَـالَ: هَـذَا مُحَـرَّمٌ ... سَلَـفٌ جَـرَّ مَنْفَعَـهْ

وقال: [من الخفيف]

زَارَ عَنْهَـا الخَيَـالُ وَهْـيَ نَحِيْلَـهْ ... فَـاغْتَنَمْنَـا مِنْهَـا الـوِصَـالَ لِحِيْلَـهْ
جَعَلَـتْ مُقْلَتِـي مَنَـامِـيْ سَبِيْـلاً ... لِتَـلاَفِـيْ وِصَـالِهَـا وَوَسِيْلَـهْ
تَتَنَـاءَىٰ يَقْظَـىٰ وَتَـدْنُـو مَنَـامـاً ... فَـاعْجَبُـوا مِـنْ ضَنِيْنَـةٍ وَمُنِيْلَـهْ
هِـيَ مَنْصُـورَةٌ بحُسْـنٍ وَدَلٍّ ... وَهُمَـا فِـي الـوَرَىٰ أعَـزُّ قَبِيْلَـهْ
تَتَثَنَّـىٰ غُصْنـاً وَتَـرْنُـو غَـزَالاً ... حِيْـنَ تَـدْنُـو بَـدْراً وَتَـذْكُـو خَمِيْلَـهْ

/ ٢٣١أ/ وأنشدني أبو عبد الله محمد بن عبد القاهر بن هبة الله بن النصيبي

بحلب؛ قال: أنشدني ابن جبارة لنفسه: [من المجتث]

لاَ تَعْجَلَنْ بِمَلاَمِي ... دَهَاكَ مِنِّي اعْتِذَارِي

فَلَيْسَ عَارِيْ بِأَنِّي ... أَغْدُو وَجِسْمِي عَارِيْ

فَضْلِي إِزَارِيْ فَمَنْ ذَا ... عَلَيَّ مَنْ بَعْدُ زَارِي

عَلِيٌّ اسْمِي وَلَكِنْ ... ذُوْ الفَقْرِ لاَ ذُوْ الفَقَارِ

وأنشدني؛ قال: أنشدني لنفسه: [من المتقارب]

وَلَمَّا تَنَادَوْا لِوَشْكِ النَّوَىٰ ... وَجَاءَ الفِرَاقُ بِمَا أَحْذَرُ

كَتَبْتُ بِدَمْعِي عَلَىٰ وَجْنَتِي ... سُطُوراً بِنَارِ الجَوَىٰ تُخْبِرُ

وَأَعْجَلَهَا سَيْرُهَا أَنْ تَجِفَّ ... فَأَثَّرَ فِيهَا دَمْعِيَ الأَحْمَرُ

وأنشدني؛ قال: أنشدني من شعره: [من البسيط]

وَصَاحِبٍ فِيْ رَضَاعِ الكَأْسِ نَادَمَنِيْ ... وَنَدَّ مِنِّيْ بِلاَ جُرْمٍ فَنَدَّمَنِيْ

وَقَالَ لِلْقَلْبِ لَمَّا غَابَ عَنْ بَصَرِيْ: ... يَا أَيُّهَا القَلْبُ بَعْدَ البُعْدِ كُنْ دِمَنِي

وأنشدني؛ قال: أنشدني لنفسه: [من الطويل]

/ ٢٣١ب/ إذا ما شَكَا المَمْلُوْكُ قُلْتُ لَهُ: اصْطَبِرْ ... وَقَدْ مَلَّنِي صَبْرِيْ وَلَمْ يُحْتَمَلْ كَلِّي

وَكَيْفَ اصْطِبَارِيْ لِلْخُطُوْبِ وَكُلِّهَا؟ ... وَقَلْبِيْ بِلاَ خِلٍّ وَبَقْلِي بِلاَ خَلِّ

وأنشدني؛ قال: أنشدني من قصيدة أولها: [من الكامل]

آيَاتُ حُبِّي فِيْكَ لاَ تُتَأَوَّلُ ... سَقَمِيْ النَّبِيُّ بِهَا وَدَمْعِيْ المُرْسَلُ

حُكْمُ الغَرَامِ بِأَنَّ دَمْعِي مَايَنِي ... أَبَداً يَجُوْدُ وَأَنَّ صَبْرِي يَبْخَلُ

جُنَّ الفُؤَادُ بِمَا أَجَنَّ صَبَابَةً ... فَعَلاَمَ دَمْعِيْ فِيْ الخُدُوْدِ مُسَلْسَلُ

يَا مُرْسِلاً مِنْ خَطِّهِ مُسْتَرْسِلاً ... سَهْماً بِمَا يُوْحِيْ إِلَيْهِ يَفْعَلُ

لاَ تُرْسِلَنَّ إِلَيَّ سَهْماً بَعْدَهُ ... أَمْسِكْ سِهَاماً قَدْ أَصَبْنَ المَقتلَ

وأنشدني؛ قال: أنشدني لنفسه: [من البسيط]

لَهْفِيْ عَلَىٰ أُسْرَةٍ مَا سَرَّنِيْ بِهِمُ ... عَيْشٌ وَأَنَّهُمُ مِشْنَ بَيْنَنَا فُقِدُوا

كَانُوا المَرَاجِيْحَ وَالأَحْلاَمُ طَائِشَةٌ ... وَكَالمَصَابِيْحِ فِيْ الظَّلْمَاءِ تَتَّقِدُ

وَآخِرَ الأَمْرِ قَالُوا قَدْ قَضَىٰ عُمَرٌ ... خَرِسَتْ نَاعِيَةً أَوْ خَانَكَ الرَّشَدُ

لَقَدْ أَتَيت بها شَنْعَاءَ . . . . . لا يَسْتَقِلُّ بها قَلْبٌ وَلا كَبِدُ
قَد خلف . . . . . فكَانَ خَطَ علَى بُعده الكمد

/ ٢٣٢أ/ وأنشدني ؛ قال : أنشدني عليّ بن جبارة لنفسه : [من الرمل]

قَلِّدُوْنِي مِنْ هَوَىٰ نَجد نجَادَا وَدَعُونِي أَمْتَطِي الوَجْدَ جَوَادَا
وَاتْرُكُوا العَذْل صفاءً إِنَّنِي بسُيُوفِ الشَّوْق أُفْنِيهِمْ جِلاَدَا
وَأَفْتَدُوْنِي مِنْ يَدِي أَسْرِ النَّوَىٰ بِاصْطِبَارٍ وَأَفِيْدُوْنِي فُؤَادَا
وَاحْبِسُوا الرَّكْبَ فَإِنْ هُمْ وَقَفُوا بَلِّغُوا منهُمْ مُرَادِيْ مَا أَرَادَا
وَٱسْتَعِيْرُوا لِي إِذَا مَا طَافَ بِي طَيْفُهُمْ مِنْ أَعْيُنِ العَيْنِ رُقَادَا
وَأَعِيْدُوا لِيْ حَدِيْثِي بِالحِمَىٰ فَمَعَادِيْ فِيْهِ إِذْ يَبْدُو مُعَادَا
سَرَتُ خَلْفَ العِيْسِ أُنْسًا أَبْتَغِيْ فَرَأَوا شَخْصِي فَرَدُّوني فُرَادَا
أَتُرَىٰ خَافُوا مِنَ الوَاشِي وَمَنْ حُرْقَةِ القَلْبِ انْتِقَاداً وَاتِّقَادَا
أَظْلَمَ الجَوُّ لعَيْنِي بَعْدَهُمْ وَكَذَا يَلْبَسُ ذُو الحُزْنِ الحِدَادَا
لَمْ تَذُقْ عَيْنِي كَرًىٰ بَعْدَ النَّوَىٰ إِنْ شَكَكْتُمْ فَاسْأَلُوا عَنِّي الوِسَادَا
كَمْ مَنَعْتُمْ أَنْ يُعَاذَ المُبْتَلَىٰ بِهَوَاكُمْ وَأَبَحْتُمْ أَن يُعَادَىٰ
وَبِقَلْبِي ظَبْيَةٌ إِنْسِيَّةٌ جَعَلَتْ عَيْنِي لِذَا الحُبِّ رَشَادَا
رُمْتُ أَنْ أَصْطَادهَا فَانْعَكَسَتْ قِصَّتِي فِيْهَا فحَارتني ٱصْطِيَادَا
/ ٢٣٢ب/ أَبصَرَتْ شَيْبِي فَوَلَّتْ وَلَكَمْ فِي شَبَابِي قَدْ أَتَتْنَا تَتَهَادَىٰ
فَسَقَى المَعْهَدَ مِنْ عَهْدِ الصِّبَا كُلُّ غَيْثٍ قَدْ تَمَالا وَتَمَادَىٰ
مِنْ يَدِ الصَّاحِبِ مَنْ رَاحَتُهُ بِالنَّدَىٰ أَحْيَتْ جَمَاداً فِي جُمَادَىٰ
لا تُسَمُّوْهُ جُمَادَى إِنَّهُ قَدْ كَسَاهُ الجُوْدُ وَٱسْمُوْهُ جَوَادَا
يَهَبُ الدُّنْيَا بِلا مَنٍّ بِهَا وَيَرَىٰ ذَاكَ لِرَاجِيْهِ اقْتِصَادَا
فَاحَ عَرْفُ العُرْفِ مِنْ رَاحَتِهِ فَمَلا الدُّنْيَا يَفَاعًا وَوِهَادَا
نَادِهِ إِنْ حَلَّ خَطْبٌ إِذْ بَدَا وَجْهُ جَدْبٍ إِنَّهُ نِعْمَ المُنَادَىٰ
وَأَطِلْ سُؤْلَكَ وَاسْأَلْهُ الغِنَىٰ إِنَّمَا تَسْأَلُ مِنْ بَحْرٍ ثِمَادَا

وأنشدني ؛ قال : أنشدني لنفسه : [من الوافر]

أَيَا حُلْوَ المَجَانَةِ وَالمَجَانِي جَفَوْتَ فَنَوْمُ عَيْنِي قَدْ جَفَانِي

وَآمَلُ مِنْ جَفَائِكَ لِيْ أَمَانًا ... فَأَرْجِعُ مِنْ أَمَانِيْ بِالأَمَانِيْ
أَسَالَ الوَجْدُ فِيْكَ دُمُوْعَ عَيْنِيْ ... مُطِيْعَاتٍ وَسُلْوَانِيْ عَصَانِيْ
وَكَمْ قَدْ رُمْتُ سُلْوَانًا وَلَكِنْ ... قَوَامُكَ فِيْ تَثَنِّيْهِ ثَنَانِيْ
وَكَمْ أَمَرَ اصْطِبَارِيْ عَنْكَ قَلْبِيْ ... فَقَالَ لَهُ: هَوَاهُ قَدْ نَهَانِيْ

وأنشدني؛ قال: أنشدني قوله: [من الخفيف]

/ ٢٣٣أ/ هَاتِ كَأْسِيْ وَلاَ تَخَفْ مِنْ مَكَاسِيْ ... لاَ تَكُنْ لِيْ بَيْنَ الأُنَاسِ بِنَاسِيْ
إِنْ هَمَى الهَمُّ مِنْ سَحَابٍ أَكَنَّتْ ... أَوْ دَجَا لَيْلُهُ غَدَتْ نِبْرَاسِيْ
قَسْتُهَا بِالخُدُوْدِ حَمْرَاءَ حَتَّى ... جَاءَ دُرُّ الحَبَابِ رَدَّ قِيَاسِيْ
حَبَّذَا ذَلِكَ الحَبَابُ كَدُرٍّ ... فَوْقَ تِبْرٍ مُفَرَّغَ الأَكْيَاسِ
نَفَضَتْ نَفْسَهَا وَقَدْ بَخُلَ الشَّرْبُ عَلَيْهَا وَهُمْ مِنَ الأَكْيَاسِ
فَسَقَوْهَا وَقَدْ سُقُوْهَا فَكَانَتْ ... سَلْسَبِيْلاً مِسْكِيَّةَ الأَنْفَاسِ
وَلَدَتْ فِيْهِمُ المَسَرَّةَ بِكْرًا ... مَنْ رَأَى البِكْرَ وَهْيَ ذَاتُ نِفَاسِ
تَتَجَلَّى شَمْسًا وَتُجْلَى عَرُوْسًا ... بَيْنَ غُصْنِ النَّقَا وَظَبْيِ الكِنَاسِ
ذَابَ حِسِّيْ مِنْ حُبِّ مَنْ لَسْتُ أَنْسَاهُ بِذِكْرٍ لَهُ وَهُوَ لِيْ مُتَنَاسِيْ
لاَ أُسَمِّيْهِ خَوْفَ زَجْرٍ يُقَالُ ... حِيْنَ أَسْمَاهُ أَهْلُهُ بِأَيَاسِ

وأنشدني أيضًا؛ قال: أنشدني لنفسه: [من الكامل]

شَوْقِيْ تَمَادَى فَلَوْلاَ أَنَّنِيْ ... عَلَّلْتُ قَلْبِيْ بِاللِّقَاءِ لَذَابَا
مَا شَابَ قَلْبِيْ بِالمَوَدَّةِ سَلْوَةً ... لَكِنَّ فَرْقِيْ بِالتَّفَرُّقِ شَابَا
قَدْ طَالَ عَهْدُ البَيْنِ فِيْمَا بَيْنَنَا ... إِلاَّ تَزُرْ فَابْعَثْ إِلَيَّ كِتَابَا

وأنشدني؛ قال: أنشدني من شعره: [من البسيط]

/ ٢٣٣ب/ مَا لِيْ وَلِلْشَّوْقِ أُبْدِيْهِ وَيُخْفِيْنِيْ ... وَلِلصَّبَابَةِ أُرْوِيْهَا فَتُضْمِيْنِيْ
أَرُوْمُ آتِيْكُمُ مَعْ بُعْدِ دَارِكُمُ ... عَنِ العِيَانِ فَيَأْبَى البَيْنُ يُدْنِيْنِيْ
لَعَلَّ نَسْمَةَ رِيْحٍ مِنْ خَيَالِكُمُ ... تَهُبُّ قَصْدًا تُحَيِّيْنِيْ فَتُحْيِيْنِيْ

وأنشدني؛ قال: أنشدني قوله: [من الطويل]

وَكَمْ آمِرٍ بِالصَّبْرِ قَلْبِيْ رَدَدْتُهُ ... وَقُلْتُ لَهُ مَا لِيْ إِلَيْهِ سَبِيْلُ

ثَنِيَّةُ قَلْبِي أَسْكَنُوهَا بُثَيْنَةً ... وَمَا الصَّبْرُ عَنْهَا يَا جَمِيلُ جَمِيلُ
ضَمِنْتُ الهَوىٰ مِنْهَا بِرُوحِي فَحُسْنُهَا ... وَكِيلُ وَوَجْدِي بِالوَفَاءِ كَفِيلُ

وأنشدني؛ قال: أنشدني لنفسه: [من الرمل]

يَا هِلَالاً فِي فُؤَادِي أَشْرَقَا ... لَيْسَ لِي مُذْ غَابَ عَنْ عَيْنِي بَقَا
سَلَبَ الصَّبْرَ وَأَعْطَانِي الأَسَىٰ ... وَسَبَىٰ النَّومَ وَأَهْدَىٰ الأَرَقَا
تَخِذَ الحَاجِبَ قَوْساً وَانْتَضَىٰ ... لَحْظَهُ سَهْماً وَقَلْبِي رَشَقَا
لَمْ يُبْقِ الوَجْدُ عِنْدِي وَالجَوَىٰ ... رَمَقاً فِي مُهْجَتِي مُذْ رَمَقَا
فَسَلُوهُ حِينَ وَلَّىٰ مُعْرِضاً ... مَلَقاً مِنْهُ لِمَنْ أَضْحَىٰ لَقَىٰ
هَٰذِهِ نَجْدٌ وَهَٰذَاكَ الحِمَىٰ ... فَسَلُوهُ أَيْنَ غِزْلَانُ النَّقَا
آه وَجْداً إِنْ أَجَابَتْ دَارُهُمْ ... بُعْدَ المَرْمَىٰ وَعَزَّ المُلْتَقَىٰ
/٢٣٤أ/ جِيرَةٌ كَانُوا فَجَارُوا إِذْ نَأَوْا ... وَأَعَاضُوا عَنْ سُلُوِّي قَلَقَا
أَنْعَمُوا بِالطَّيْفِ نُعْمَىٰ خَلَّصَتْ ... مُهْجَتِي بِالقَسْرِ فِي أَسْرِ الشَّقَا
حَيِّ طَيْفاً طَافَ بِي مِنْ حَيِّهِمْ ... حِينَ حَيَّانِي أَزَالَ الحُرَقَا
بَاتَ يُسْلِينِي وَدَمْعِي مُسْبَلٌ ... فَرَقاً حَتَّىٰ رَقَاهُ فَرَقَا
مَا رَقَا دَمْعِي حُنُوّاً إِنَّمَا ... خَافَ لَمَّا فَاضَ مِنْهُ الغَرَقَا
أَيُّهَا الوَرْقَاءُ أَمْلَيْتِ الدُّجَىٰ ... مِنْ غِنَاءٍ وَمَلَأْتِ الوَرَقَا
خَفِّضِي لَحْنَكِ لَا تُزْهِي بِهِ ... لَيْسَ مَنْ نَمَّقَ لَفْظاً شِقَىٰ
أَنَا أَمْلَيْتُ مَدِيحاً لَوْ بَدَا ... فِي دُجَىٰ اللَّيْلِ أَزَالَ الغَسَقَا
ذَاكَ مَدْحِي فِي أَبِي بَكْرٍ وَمَنْ ... جُودُهُ فِي الأَرْضِ أَضْحَىٰ غَدَقَا

وأنشدني؛ قال: أنشدني لنفسه في طول الليل: [من الطويل]

تَطَاوَلَ هَذَا اللَّيْلُ حَتَّىٰ ظَنَنْتُهُ ... يَدُومُ وَأَنَّ الصُّبْحَ لَا يُتَوَقَّعُ
تَرَىٰ اللَّيْلَ قَدْ صَفَّ النُّجُومَ عَسَاكِراً ... لَدَيْهِ وَضَوْءُ الصُّبْحِ مِنْ ذَاكَ يَفْزَعُ

وقال أيضًا: [من البسيط]

يَكْفِيكَ أَنَّ فُؤَادِي فِي تَلَافِيهِ ... بِكُلِّ سُورَةِ وَجْدٍ قَدْ تُلَافِيكَا
وَأَنَّ قَلْبِي مَتَىٰ مَا رَامَ تَسْلِيَةً ... عَنِ الغَرَامِ ثَنَىٰ عَزْمِي تَثَنِّيكَا

/ ٢٣٤ب/ فَأَنْتَ لِيْ جَنَّةٌ أَرْجُو النَّعِيْمَ بهَا ... لَوْلاَ تَجَنِّيْكَ لَمْ أَبْرَحْ أُنَاجِيْكَا
يَا كَعْبَةَ الحُسْنِ نَادِ القَلْبَ مُحْتَجِبًا ... فَإِنَّهُ فِي إحرامي يُلَبِّيْكَا
كَمْ لَيْلَةٍ غبْتَ عَنْ عَيْنِي فَمَا حَفِلَتْ ... بِالبَدْرِ فِي الأُفْقِ لَمَّا بَاتَ يَحْكِيْكَا
وَمِلْتُ لِلْغُصْنِ لمَّا أَنْ حَكَاكَ هَوًى ... فَلَمْ أَجِدْ فِيْهِ شَيْئًا مِنْ مَعَانِيْكَا
أَهْوَىٰ لأَجْلِ ثَنَايَاكَ العذَابِ مِن ... لَثْمِ الأَقَاحِ وَمَا فِيْهَا لِمَا فِيْكَا
تَعَلُّلاً لِفُؤَادٍ لَمْ تَعَدْهُ سِوَىٰ ... هَجْرٍ فَيُعْتَاضُ عَنْ وَصْلٍ تَمَنِّيْكَا
إِنْ كُنْت أَنْكَرْتَ مَا بِيْ مِنْ جَوًى وَهَوًى ... فَانْظُرْ لِشَاهِدِ حَالِي فَهْوَ يُنْبِيْكَا
وَحَسْبُ حُبِّكَ أَنَّ القَلْبَ فِيْ وَلَهٍ ... ومَا تَعَدَّاكَ تُسْوِلْيْهِ تَعَدِّيْكَا
زِدْ يَا غَرَامِيَ وإِنْ زَادَ الحَبِيْبُ قِلًى ... فَإِنَّ أَدْنَىٰ وَصَالٍ مِنْهُ يُرْضِيْكَا

وقوله: [من الخفيف]

غَرَّدَتْ فِي الأَرَاكِ وَهْنًا حَمَامَهْ ... فَأَتَاحَتْ لِلْمُسْتَهَامِ حمَامَهْ
هِيَ تَبْكِيْ تَطَرُّبًا وَهْوَ يَبْكِيْ ... بِجُفُونٍ قَرِيْحَةٍ مُسْتَهَامَهْ
مُغْرَمٌ مَا انْتَشَىٰ بِكَأْسِ سُلُوٍّ ... فَيُعَنِّيْهِ عَاذِلٌ بِمَلاَمَهْ
ذُوْ فُؤَادٍ لِلْوَجْدِ يَسْكُنُ نَجْدًا ... وَهْوَ يَهْوَىٰ مِنَ الهُيَامِ تِهَامَهْ
سَلَبَتْهُ ظِبَاءُ وَجْرَةَ قَلْبًا ... مَا ارْتَضَىٰ بَعْدَهُنَّ دَارَ مُقَامَهْ

/ ٢٣٥أ/ ومنها:

بِوُجُوهٍ مِثْلِ الصَّبَاحِ صِبَاحٍ ... وَثُغُورٍ نَقِيَّةٍ بَسَّامَهْ
نَقَلَ المِسْكُ عَبْقَةً عَنْ شَذَاهَا ... ورَوَىٰ البَدْرُ عَنْ سَنَاهَا تَمَامَهْ
لاَ تَلُمْهَا إِنْ عَرْبَدَ اللَّحْظُ مِنْهَا ... ثَمِلَتْ بِالرُّضَابِ وَهْيَ مُدَامَهْ
وَغَزَالٍ خَطَّ الجَمَالُ بِخَدَّيْهِ عَلَىٰ ... الوَرْدِ لِلْوَسَامَةِ شَامَهْ
طَرَّزَ الحُسْنُ وَجْهَهُ بِعِذَارٍ ... مَا تَعَدَّىٰ فَمَنْ تُرَىٰ رَسَّامَهْ
.... طَرْفُهُ المَلاَحَةُ حَتَّىٰ ... كَسَرَتْ جَفْنَهُ وَسَلَّتْ حُسَامَهْ
إِنْ سَأَلْنَاهُ الوصلَ صَالَ لَيْثًا، أو سَأَلْنَاهُ اللثم ردَّ لِثَامَهْ
أَوْ طَلَبْنَا مِنْهُ دُيُونَ هَوَاهُ ... أَثْبَتَ التِّيْهُ عِنْدَنَا إِعْدَامَهْ

وقال: [من مجزوء الرجز]

يَا لَلْغَرَامِ قَدْ سَبَى ... بِاللَّحْظِ قَلْبِي . . . .
مُهَفْهَفٌ هَزَّ الصِّبَا ... مِنْهُ الْقَوَامَ لاَ الصَّبَا
وَشَادِنٌ بِطَرْفِهِ ... يَصِيرُ لَيْثًا أَغْلَبَا
غَضُّ الشَّبَابِ لَحْظُهُ ... فِي مُهْجَتِي مَاضِي الشَّبَا
/ ٢٣٥ب/ وَاهِ مَنَاطُ خَصْرِهِ ... يَضْعُفُ عَنْ عَقْدِ الْقَبَا
طَلْعَتُهُ مِنْ صُدْغِهِ ... بَدْرٌ يَحُلُّ الْعَقْرَبَا
وَمَا بَدَا إِلاَّ اخْتَفَى ... ضَوْءُ الصَّبَاحِ أَوْ خَبَا
النَّارُ فِي قَلْبِي فَلِمْ ... خَدَّاهُ قَدْ تَلَهَّبَا
وَقَاتِلِي بِمُقْلَةٍ ... يَمْلِكُ قَلْبِي سَلَبَا
أَأَسْهُمُ الْحَاظُهُ ... تُصْمِي الْقُلُوبَ أَمْ ظُبَا
سَأَلْتُهُ فِي قُبْلَةٍ ... فَلَمْ يُجِبْنِي وَأَبَى
حُلْوُ الرِّضَا لَكِنَّهُ ... مُرٌّ إِذَا تَغَضَّبَا
يَا لَيْتَنِي مُرْتَشِفٌ ... ذَاكَ اللَّمَا وَالشَّنَبَا
أَفْدِيهِ مَا أَحْلاَهُ مَا ... أَحْسَنَهُ مَا أَعْذَبَا
عَذْبٌ وَلَكِنْ لَمْ يَزَلْ ... مُحِبُّهُ مُعَذَّبَا

وأنشدني أبو المعالي محمد بن المظفر الإربلي المصري؛ قال: أنشدني علي بن جبارة لنفسه: [من البسيط]

/ ٢٣٦أ/ مَنْ ذَا يُبَشِّرُ جَفْنًا فِي سُرَى السَّهَرِ ... بِطَيِّ ثَوْبِ الدُّجَى فِي سَاحَةِ السَّحَرِ
وَمَنْ يُعِينُ عُيُونًا لَمْ يَؤُبْ غَسَقٌ ... إِلاَّ وَبَاتَ الْكَرَى مِنْهَا عَلَى سَفَرِ
وَمَنْ يُجِيرُ جُنُوبًا كُلَّمَا اضْطَجَعَتْ ... كَانَتْ عَلَى الْفَرْشِ بَيْنَ الشَّوْكِ وَالإِبَرِ
يَا أَهْلَ حَاجِرَ مَا أَقْسَى قُلُوبَكُمُ ... مِنْ حَاجِرٍ أَنْتُمُ حَقًّا أَمِ الْحَجَرِ ؟!
حَجَبْتُمُ عَنْ عِيَانِي بَدْرَ أَرْضِكُمُ ... فَبَاتَ يَرْعَى أَخَاهُ فِي السَّمَا بَدْرِي

وقال أيضًا: [من الخفيف]

فِي الْغَرَامِ الْعُذْرِيِّ قَدْ بَانَ عُذْرِي ... لَمْ يُفِدْنِي فِي الْحَيِّ أَخْذِي حِذْرِي
خَبَّرَ الْعَاذِلُونَ عَنِّي بِأَنِّي ... فِي الْهَوَى قَدْ سَكِرْتُ مِنْ غَيْرِ خَمْرِ
رَوِّنِي مِنْ حَدِيثِهِمْ حِينَ تَرْوِي ... أَوْ فَدَعْنِي مِنْ قَوْلِ زَيْدٍ وَعَمْرِو

هَاتِ زِدْنِي يَا سَعْدُ عَنْهُمْ حَدِيثًا ... وَأَعِدْهُ وَخُذْ بَقِيَّةَ عُمْرِي
لَمْ أَجِدْ فِي الغَرَامِ كَتْمًا لأَنِّي ... قَدْ تَسَاوَىٰ فِي الحُبِّ سِرِّي وَجَهْرِي
لاَ وَبِيْضٍ عَلَىٰ الرِّكَابِ وَسُمْرٍ ... قَدْ حَمَوْهَا عَنِّي بِبِيْضٍ وَسُمْرِ
لَمْ أَجِدْ هَوْدَجًا كِنَاسًا لِظَبْيٍ ... وَنِقَابًا . . . . . وَأُفْقًا لِبَدْرِ
أَسْدَلَتْ شَعْرَهَا فَحَارُوا بِلَيْلٍ ... وَبَدَا وَجْهُهَا فَسَارُوا بِفَجْرِ
وَانْثَنَىٰ قَدُّهَا فَقَالُوا كَغُصْنٍ ... وَرَنَا طَرْفُهَا فَهَامُوا بِسِحْرِ

/ ٢٣٦ب/ وقال أيضًا: [من الخفيف]

لِيَ فِي ذِمَّةِ الوِصَالِ دُيُونُ ... إِنْ أَرَادَ الوَفَاءَ فَهْيَ تَهُونُ
أَتَقَاضَاهُ وَالغَرِيْمُ مَطُولٌ ... وَأُدَارِيهِ وَالزَّمَانُ خَؤُونُ
قِيلَ لِي: قَدْ جَفَاكَ قُلْتُ مُجِيبًا: ... أَنَا أَهْوَاهُ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ
كُلُّ هَجْرٍ مِنْ غَيْرِهِ فَهْوَ قُبْحٌ ... وَهْوَ مِنْهُ حَاءٌ وَسِيْنٌ وَنُونُ
يَا عَذُولِيْ مَاتَ الهَوَىٰ فِي فُؤَادِي ... فَهْوَ مَا بَيْنَ أَضْلُعِي مَدْفُونُ
فِي هَوَاهُ أَهْوَىٰ أَغَنَّ غَرِيْرًا ... زَاحَمَتْنِي عَلَىٰ هَوَاهُ العُيُونُ

[٤٣١]

عليُّ بنُ بُكمشَ بنِ عبدِ الله، أبو الحسنِ التركيُّ العَزيُّ البغداديُّ[(١)].

ينسب إِلىٰ عزّ الملك، من ولد نظام الملك الوزير أبي الحسن بن علي بن إِسحق الطوسي.

وكان والده جنديًا، خدم بعد قتل مولاه بواسط مع . . . . . وتزوج بوالدته، ثم قدم بغداد، وأقام بها، وخدم مجد الدين بن الصاحب إِلىٰ أن مات.

---

(١) ترجمته في: التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٢٤٨ رقم ٢٢٥٣ وفيه: «علي بن بكمش بن يزال البغدادي النحوي المعروف بالفخر التركي، توفي فجأة في العَشْر الأُخر من شعبان سنة ٦٢٦هـ». مجمع الآداب ٣/ ٧٢ رقم ٢٢١٦. تأريخ الإِسلام (السنوات ٦٢١ ـ ٦٣٠) ص٢٥٥ رقم ٣٥٥. تكملة ابن الصابوني ٥٧ ـ ٥٩. تأريخ ابن النجار ٣/ ٢٢٢ ـ ٢٢٤ رقم ٧٠٤. طبقات النحاة لابن قاضي شهبة/ الورقة ٢٠٦. بغية الوعاة ٢/ ١٥١ ـ ١٥٢ وفيه: «مزان» بدل «يزال». تكملة إِكمال الإِكمال لابن الصابوني ٥٧ ـ ٥٩.

وأبو الحسن قرأ النحو والعربية علىٰ ابي بكر المبارك بن المبارك الواسطي، ثم علىٰ عميد الرؤساء أبي منصور / ٢٣٧أ/ هبة الله بن حامد الحلي اللغوي وغيرهما؛ وحفظ القرآن العظيم في مُدّة قريبة، في خمسة وخمسين يومًا علىٰ عبد الوهاب الوقاباتي، ولازم أبا بكر محمد بن موسىٰ الحازمي، وخدمه كثيراً إلىٰ أن مات.

ثم صحب جماعة من شيوخ بغداد كأبي القاسم يحيىٰ بن أسعد بن بوش، وعبد المنعم بن كليب الحرّاني، وابن سكينة عبد الوهاب بن علي بن علي البغدادي وغيرهم؛ ثم توجّه إلىٰ الشام فصحب أبا اليمن زيد بن الحسن بن زيد الكندي، وأخذ أكثر ما عنده، ولم يكن في أصحاب أبي اليمن أعرف منه بعلم العربية.

وكان أديبًا فاضلاً زاهداً ورعًا ذكيًا؛ توفي بدمشق سنة ست وعشرين وستمائة؛ وكانت ولادته يوم الجمعة في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين وخمسمائة.

أنشدني الصاحب الوزير أبو البركات المستوفي؛ قال: أنشدني أبو الحسن لنفسه في خادم خصيٍّ أبيضَ يُدعىٰ مختاراً: [من الكامل]

مُخْتَارُ مُخْتَارُ النُّفُوْسِ وَفِتْنَةٌ ... لِلنَّاظِرِيْنَ وَمِحْنَةُ العُشَّاقِ
وَمُنَىٰ القُلُوْبِ وَغَايَةُ المَطْلُوْبِ فِيْ ... شَرْعِ الهَوَىٰ وَمَطِيَّةُ الفُسَّاقِ

وقال: وأنشدني / ٢٣٧ب/ الشيخ نجيب الدين أبو الفتح نصر الله بن أبي العزّ بن أبي طالب الشيباني، بدمشق سنة أربعين وستمائة؛ قال: أنشدني أبو الحسن لنفسه:

[من الطويل]

وَقَائِلَةٍ بَغْدَاذُ مَنْشَأُكَ الَّذِيْ ... نَشَأْتَ بِهِ طِفْلاً عَلَيْكَ التَّمَائِمُ
فَمَا بَالُهَا تَشْكُوْ جَفَاءَكَ مُعْرِضًا ... أَمَا آنَ أَنْ تُثْنَىٰ إِلَيْهَا العَزَائِمُ
فقلتُ [أجَلْ] إِنِّي الفَرِيْدُ وَإِنَّهَا ... أَوَانُ مَغَاضِ الدَّمْعِ وَالوَقْتُ غَائِمُ
وقد جَرَتِ العَادَاتُ فِيْ الدُّرِّ أَنَّهُ ... إِذَا فَارَقَ الأَصْدَافَ لاَقَاهُ نَاظِمُ

وله وقد أوحش بينه وبين السلطان ثم أصلح بينهما، وأنشدنيه نجيب الدين عنه:

[من السريع]

يَا مَلِكًا صَيَّرَنِي كَسْرُهُ ... جَبْرِيْ كَسِيْراً لاَزِمَ الكَسْرِ
عَبْدُكَ قَدْ أَصْبَحَ فِيْ حَالَةٍ ... تُشْبِهُ ضَرْبَ الكَسْرِ بِالكَسْرِ

[وأنشدني له: [من مخلّع البسيط]

مَـــرَّ بنَـــا لابسـًــا سـِـوَاراً ... مـِـنْ فَــوْقِ جسْـمٍ كَلَــوْنِ عَــاجِ
تُشْـــرِقُ أنْـــوَارُهُ عَلَيْنَـــا ... كَـأنَّـهُ البَـدْرُ فِـي الـدَّيَـاجِـي][1]

[٤٣٢]

عليُّ بنُ المُؤمَّلِ بنِ عليِّ بنِ أبي الحسنِ الباجريُّ.

وباجرة قرية مشهورة من قرايا بغداد عند بعقوبا.

وصل من العراق إلىٰ إربل، بعد التسعين والخمسمائة للتصرف في أيام الملك /٢٣٨أ/ المعظم مظفر الدين كوكبُوري بن علي بن بكتكين ـ رضي الله عنه ـ فتولّىٰ بها ولاية، مدّة من الزّمان، ثم رحل عنها ـ بعد أنْ حُبس ـ إلىٰ بغداد، وهو مقيم بها؛ ويدّعي قول الشعر، وشعره غثّ بارد اللفظ.

أنشدني أبو الثناء محمود بن محمد بن الأنجب الإربلي؛ قال: أنشدني أبو الحسن لنفسه، يمدح جلال الدين علي بن شماس . . . . ، بمدينة إربل من قصيدة:

[من المتقارب]

وَسَـانحَـةٍ مُـذْ قَصَـدْتُ الـوَزِيْـرَ ... تُغَـرِّدُ فـي الـدَّوْحِ إذْ تَصْـدَحُ
تحُـثُّ رِكَـابِـيْ إلَـىٰ بَـابِـهِ الَّـذيْ ... بـالْمُنَـىٰ أبَـداً يُفْتَـحُ
وَكَـانَـتْ تَضِـنُّ بغَيْـرِ الْبُـرُوْجِ ... مُـذْ بِنْـتَ عَنْـهُ بِـهِ تَبْـرَحُ
فَـإنْ سَخَـتْ وَيَقِيْنِـيْ بِنَيْـلِ ... مُنَـايَ الَّـذيْ مثْلُـهُ يَنْجَـحُ
وَأوْجَبَـتِ الهَجْـرَ للبَـاخِـلِ الَّـذيْ ... قَـطُّ بـالـوَصْـلِ لا يَسْمَـحُ
وَأفْهَـمُ مَعْنَـىٰ تَغَـارِيْـدِهَـا ... بـأنَّ مَـرِيْضِـيَ قَـدْ يَصْلُـحُ
وَلَمَّـا أنَخْـتُ بِبَـابِ الجَـلالِ ... رَأيْـتُ مِـنَ البِشْـرِ مَـا يُفْـرِحُ
وَبَـاتَـتْ مَخَـايِـلُ مِثْلِـيْ بِـهِ ... وَلاحَـتْ أسَـارِيْـرُهُ اللُّـوَّحُ
وَعُـذْتُ إلَـىٰ مَنْهَـلٍ سَلْسَـلٍ ... يَمِيْـرُ الـوُفُـوْدَ وَلا يُمْتَـحُ

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

/٢٣٨ب/ وقال وقد حضر في بيت ضيّق، كان لصديق له؛ فأنشد بديهًا لنفسه:

[من المتقارب]

لَئِنْ ضَاقَ فِي رَبْعِه مَرْبَعٌ ... لِتَخْصِيصِه لَا لِضِيقِ المَكَانِ
فَفِي صَدْرِه مَا يَعُمُّ الفَضَاءَ ... قَدْراً وَيَفْضُلُ عَرْضَ الجِنَانِ

[٤٣٣]

عليُّ بنُ الأكملِ بنِ النجارِ، أبُو الحسنِ الصُوفيُّ.

من أهل بغداد، أحد الصوفية بالرباط الشريف المجاور لعون ومعين في مشرعة الكرخ؛ رجل خير حسن الطريقة، متكلم بلسان أهل الحقيقة.

ومن شعره في المستنصر بالله ـ رضي الله عنه ـ [من الكامل]

يَا نُعْمُ هَلْ لِي بِالأُنَيْعِمِ وَقْفَةٌ؟ ... أَحْظَى لَدَى سَمُرَاتِهَا بِالأَسْمَرِ
إِذْ ذَاكَ تُنْصِفُنِي ظَلُومُ وَتَتَّقِي ... ظُلْمِي وَتَلْقَانِي بِوَجْهٍ مُسْفِرِ
بِبَيَاضِ وَجْهٍ وَاسْوِدَادِ غَدَائِرٍ ... وَحَوَاجِبٍ خُضْرٍ وَخَدٍّ أَحْمَرِ
فَالآنَ مُذْ لَبِسَ العِذَارُ بَيَاضَهُ ... مَا كُنْتُ فِي خَلْعِ العِذَارِ بِمُعْذَرِ

/٢٣٩أ/ ومنها:

أَصْبَحْتَ يَا رُوحَ الزَّمَانِ مُحَكَّمًا ... خُذْ مَا تَشَاءُ مِنَ الأَمَانِي وَأَبْشِرِ
بُشْرَى لِكُلِّ الخَلْقِ حَتَّى صَفْحَةُ ... الدِّينَارِ مُبْتَهِجٌ وَعُودُ المِنْبَرِ
لَا أَتَّقِي نُوَبَ الزَّمَانِ وَعُدَّتِي ... فَضْلُ الإِلَهِ وَنِعْمَةُ المُسْتَنْصِرِ

[٤٣٤]

عليُّ بن يُوسُف بن أيوب بن شاذي بن مروان بن يعقوب، الملك الأفضل، أبو الحسن[١].

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٢/ ٣٤٢ ـ ٣٤٧. الكامل لابن الأثير ٩/ ٣٥٦ ومواضع أخرى من الجزء التاسع، انظر الفهرس. مرآة الزمان ٨/ ٦٣٧. التكملة لوفيات النقلة ٣/ ١٤٠ رقم ٢٠٢٠. زبدة الحلب ٣/ ١٩٦. ذيل الروضتين ١٤٥. وفيات الأعيان ٣/ ٤١٩. المغرب ـ قسم القاهرة ص١٩٩. مفرّج الكروب ٤/ ١٥٥. دول الإسلام ٢/ ٩٦. العبر ٥/ ٩١. تأريخ ابن الوردي ٢/ ١٤٦ ـ ١٤٧. أمراء دمشق ٥٨. مرآة الجنان ٤/ ٥٢. البداية والنهاية ١٣/ ١٠٨. عقود الجمان للزركشي ٢٣٤ب. العقد=

أحد أولاد الملك الناصر صلاح الدين أبي المظفر ـ رضي الله عنه ـ ملك بعد أبيه ديار مصر والشام وغيرها من البلاد؛ فانتزع ذلك جميعه منه عمّه الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن محمد بن أيوب ـ رضي الله عنه ـ، ولم يبقَ للملك الأفضل غير سميساط، فسكنها إلىٰ أن مات بها في يوم الجمعة بعد أن صلىٰ صلاة الجمعة، وأدركته الوفاة فجأة، فأوصىٰ وذلك في الخامس والعشرين من صفر سنة اثنتين وعشرين وستمائة.

وكانت ولادته بمصر يوم عيد الفطر سنة خمس وستين وخمسمائة، وأخباره ببلاد الشام مشهورة، وجرت بينهما حروب ووقائع يطول /٢٣٩ب/ ذكرها.

وكان يُقَرِّب العُلماء ويكرمهم، ويقبل علىٰ أولي الفضل ويستفيد من محاسنهم كثير الاحترام لأهل العلم والدين، ويقول الأشعار الحسنة؛ وسمع الحافظ أبا طاهر السلفي بالإسكندرية وجماعة سواه.

حدثني أبو الفضل عمر بن علي بن هُبيرة من لفظه؛ قال: حدثني الأمير بدر الدولة لؤلؤ بن عبد الله الملكي الأفضلي؛ قال: جلس الملك الأفضل يومًا في مجلس من مجالس أُنسه، وحضر معه جماعة من ندمائه وأصحابه؛ وكان من جملتهم إنسان يُلَقّب الهمام أمير آخر، وكان رُبّما استثقل، ولم يطلبني الملك الأفضل لهذا المجلس؛ قال: فكتبتُ إليه بديهة بهذه الأبيات: [من المتقارب]

أيَا مَالكًا عَدْلُهُ قَدْ أَنَافَ ... عَلَىٰ عَدْلِ كِسْرَىٰ الَّذِيْ يُدْرَسُ
وَمَنْ جُوْدُهُ عَمَّ كُلَّ الأَنَام ... فَذِكْرَاهُ فِي الدَّهرِ لا تَدْرُسُ
أفِيْ شَرعِ عَدْلِكَ أَنَّ الهُمَامَ ... إلَىٰ الكَأْسِ يُدْعَىٰ وَيُسْتَحْلَسُ
وَيَحْظَىٰ بِبَهْجَةِ ذَاكَ الرِّوَاءِ ... ولؤلؤ يَضِيْقُ بِهِ المَجْلِسُ

= الثمين ٦/ ٢٧٥. ثمرات الأوراق ص٢٢. السلوك ١/ ١١٦. النجوم الزاهرة ٦/ ٢٦٢. شفاء القلوب ص٢٥٦. شذرات الذهب ٥/ ١٠١. ترويح القلوب ٤٧/ رقم ٤٧. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٢١ ـ ٦٣٠) ص١٢٣ رقم ١٢٢. المختصر لأبي الفداء ٣/ ١٤٢. التأريخ المنصوري لابن نظيف الحموي ١١١. تأريخ مختصر الدول لابن العبري ٢٣٧. تأريخ الزمان له ٢٦٨ ـ ٢٦٩. الدرّ المطلوب ٢٧٥ ـ ٢٧٦. نهاية الأرب ٢٩/ ١٣٧. سير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٩٤ ـ ٢٩٦ رقم ١٥٣. الإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٢٦. تأريخ ابن أسباط/ تحقيق التدمري ١/ ٢٨٥. أمراء دمشق في الإسلام ٥٨.

تَغَيَّرَ رَأْيُكَ ذَاكَ الجَمِيلُ ... وَمَا الذَّنْبُ إِلاَّ الوَلاَ الأَنْفَسُ
/ ٢٤٠أ/ وَمَا القَصْدُ فِيْ الشُّرْبِ لَكِنَّمَا ... تَنَافَسُ فِيْ قُرْبِكَ الأَنْفُسُ
وَبَعْدُ فَلاَ زِلْتَ فِيْ نِعْمَةٍ ... مُجَدَّدَةٍ أَبَداً تُحْرَسُ

قال: فأجابني على الوزن والقافية بديهًا: [من المتقارب]

أَتَتْنِي أَبِيَاتُكَ المُشْبِهَاتُ ... لِلدُّرِّ فِيْ النَّظْمِ بَلْ أَنْفَسُ
تَعَرَّضْتَ فِيْهَا بِعَتْبٍ غَدَتْ ... تَأَلَّمُ مِنْ ذِكْرِهِ الأَنْفُسُ
وَكَيْفَ وَوُدُّكَ أَضْحَى لَدَيَّ ... أَجَلَّ العُلُومِ الَّتِيْ تُدْرَسُ
وَإِنْ دُرِسَتْ عِنْدَ غَيْرِيْ العُهُودُ ... فَعَهْدُكَ عِنْدِيَ لاَ يُدْرَسُ
وَلاَ يَحْضُرُ الأُنْسُ إِلاَّ إِذَا ... حَضَرْتَ فَأَنْتَ لَنَا المُؤْنِسُ

وأنشدني المولىٰ الملك الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن الملك المفضل قطب الدين أبي محمد موسىٰ بن الملك الناصر صلاح الدين أبي المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان بحلب المحروسة، بمنزله المعمور في شهر ذي القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة / ٢٤٠ب/ قال أنشدنا عمي الملك الأفضل نور الدين أبو الحسن علي بن يوسف ـ رحمه الله تعالىٰ ـ لنفسه: [من البسيط]

يَظُنُّ دَهْرِيَ أَنَّ القُلَّ أَقْعَدَنِي ... عَنْ أَنْ أَرُوْحَ بِصَدْرِ الرُّمْحِ مُكْتَسِبَا
وَالفَقْرُ لَيْسَ بِعَارٍ فِيْ الزَّمَانِ لِمَنْ ... لَمْ يُبْقِ جُوْدُ أَيَادِيْهِ لَهُ نَشَبَا
وَلَّىٰ شَبَابِي وَلَمْ أَظْفَرْ بِنَيْلِ مُنًى ... وَلاَ تَقَضَّيْتُ مِنْ أَسْبَابِهِ سَبَبَا
وَهَبْ زَمَانِيَ أَرْضَانِيْ وَأَعْتَبَنِيْ ... فَهَلْ يُعِيْدُ لِيَ العُمْرَ الَّذِيْ وَهَبَا
أَبَعْدَ خَمْسِيْنَ مِنْ عُمْرِيْ وَأَرْبَعَةٍ ... يَلَذُّ لِيْ أَبَداً عَيْشٌ وَإِنْ عَذُبَا

وأنشدني أيضًا؛ قال: أنشدني عمي لنفسه: [من الطويل]

وَشَيَّبَ رَأْسِيْ قَبْلَ إِبَّانِ شَيْبِهِ ... قِرَاعُ اللَّيَالِيْ لاَ قِرَاعُ الكَتَائِبِ
وَلَيْسَ شُجَاعُ النَّفْسِ ذَا الجَأْشِ فِيْ الوَغَىٰ ... وَلَكِنَّهُ مَنْ لَمْ يُرَعْ لِلنَّوَائِبِ
تَظُنُّ خُطُوبُ الدَّهْرِ أَنِّيَ جَازِعٌ ... لِمَا أَحْدَقَتْ بِي مِنْ خُطُوبِ المَصَائِبِ
وَتَتْبَعُ سَهْمًا بَعْدَ سَهْمٍ أصابني ... لتنكيه جلّ الخطب إنْ طَل غالبي
وَسَطَّرَتِ الأَيَّامُ صَبْرِيْ تَعَجُّبًا ... تَسَطُّرَ إلا أمهاتِ العَجَائِبِ

وأنشدني؛ قال: أنشدني عمّي لنفسه: [من السريع]

فِي حَلْبَةِ الصَّبْرِ جَوَادِي كَبَا ... وَسَيْفُ عَزْمِي عَنْ سُلُوِّي نَبَا

/ ٢٤١أ/ وكُلَّمَا خَاطَبْتُ قَلْبِي بِأَنْ ... يُسْعِدَنِي بِالصَّبْرِ فِيكُمْ أَبَى

لَهِيبُ وَجْدِي مُذْ خَبَتْ نَارُكُمْ ... عَنْ نَاظِرِيْ فِي خَاطِرِيْ مَا خَبَا

سَبَيْتُهُ مِنَ العَدُوِّ عَنْوَةً ... يَا عَجَبًا كَيْفَ لِقَلْبِي سَبَى

بَدْرٌ إذَا أَشْرَقَ فِي قَبَائِهِ ... لَيْسَ لَهُ غَيْرُ فُؤَادِي مَغْرِبَا

لَمَّا رَأَى سَيْفَ عَلِيٍّ مُنْتَضَى ... مِنْ جَفْنِهِ صَيَّرَ قَلْبِي مَرْحَبَا

وكتب إلى عمّه الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب: [من الطويل]

أَسُلْطَانَنَا إنْ كُنْتَ لِي خَيْرَ صَاحِبٍ ... وَخَيْرَ مَلِيكٍ إنَّنِي خَيْرُ مَصْحُوبِ

وَهَا أَنَا قَدْ شَيَّدْتُ مَجْداً لِيُوسُفٍ ... كَمَا أَنْتَ قَدْ شَيَّدْتَ مَجْداً لأَيُّوبِ

وقوله، وقد نشأت سحابة من الغرب لها برق ورعد: [من الطويل]

وَنَاشِئَةٍ مِنْ جَانِبِ الغَرْبِ أَقْبَلَتْ ... فَخِلْتُ بِأَنَّ اللَّيْلَ جَاءَ مِنَ الغَرْبِ

إذَا ضَحِكَتْ بِالبَرْقِ جَادَتْ بِأَدْمُعٍ ... مِنَ الوَدْقِ فَانْهَلَّتْ تَدَفَّقُ بِالسَّكْبِ

تَبَايَنَ حَالَيْهَا عَجِيبٌ وَلَنْ تَرَى ... بِأَقْرَبَ مِنْ ضِحْكٍ بُكَاءً مِنَ السُّحْبِ

وقوله: [من المتقارب]

/ ٢٤١ب/ أَقُوْلُ لَهُ وَهْوَ يَبْكِي الشَّبَابَ ... بِدَمْعٍ يُوَاصِلُهُ بِالنَّحِيْبِ

أَتَبْكِي بِدَمْعٍ لِفَقْدِ الشَّبَابِ ... سَيَبْكِي دَماً عِنْدَ فَقْدِ المَشِيْبِ

وله في الشيب: [من الرجز]

وَشَعْرَةٍ لَمَّا بَدَتْ فِي عَارِضِي ... شَائِنَةً لِلْحُسْنِ مِنْهُ شَائِبَهْ

قَلَعْتُهَا وَقُلْتُ لاَ كُنْتِ اغْرُبِي ... فَجَاوَبَتْنِي وَهْيَ عَنِّي ذَاهِبَهْ

أَمِنْتَ إذْ قَلَعْتَنِي سَوْفَ تَرَى ... مَنِ الَّذِي يَقْلَعُ مِنَّا صَاحِبَهْ

وقال لما بلغه أنَّ غياث الدين كيخسرو بن قليج أرسلان استشهد بطعنة أصابته في المصاف: [من الطويل]

وَشَمْسُ غِيَاثِ الدِّيْنِ بَعْدَ ضِيَائِهَا ... وَإِشْرَاقِهَا فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبِ

أَنَارَ لَدَيْهَا كَوْكَبُ الرُّمْحِ فَاخْتَفَتْ ... وَلَمْ نَرَ شَمْساً قَطُّ تُخْفَى بِكَوْكَبِ

وقال يرثي : [من الخفيف]

إكْتِئَابِي قَدْ كَانَ مِنْهُ وَقَدْ صَارَ عَلَيْهِ لِمَّا ثَوَىٰ فِي التُّرَابِ
يَا أَخَا الوَجْدِ خُذْ حَدِيثِي وَاعْجَبْ لاكتِئَابِي أَنَا لَهُ فِي اكْتِئَابِ

وقوله : [من الطويل]

/ ٢٤٢أ/ وَسَاقٍ سَقَانِي قَهْوَةً فَحَسِبْتُهَا لِلَذَّتِهَا مِنْ رِيقِهِ البَارِدِ العَذْبِ
سَنَاهُ اعْتَزَىٰ لِلشَّمْسِ وَالطَّرْفُ لِلظُّبَىٰ كَذَا القَدُّ وَالأَغْصَانُ وَالرِّدْفُ لِلْكُثْبِ

وقال : [من الكامل]

مَا خِلْتُ أَنَّ ظُهُورَ مَبْسِمِهِ عَنْ لُؤْلُؤٍ مُتَنَضِّدٍ رَطْبِ
مِنْ بَعْدِ عِلْمِي أَنَّ مَسْكَنَهُ مِلْحٌ بِأَنَّ الدُّرَّ فِي العَذْبِ

وقال فيمن شرب خمراً فاحمرَّ خدّاه : [من الوافر]

وَمِنْ عَجَبِ المَلاحَةِ بِاتِّفَاقٍ جَرَىٰ مِنَّا وَلَمْ يَكُ ذَاكَ عَمْدَا
سَقَيْنَاهُ شَرَابًا خَنْدَرِيسًا فَأَنْبَتَ مِنْهُ فِي الخَدَّيْنِ وَرْدَا

وله : [من الخفيف]

كُلَّمَا رُمْتُ أَنْ يُبَرِّدَ نَارِي طَيْفُهُ فِي الكَرَىٰ وَيُطْفِي لَهِيبِي
زَادَ فِي لَوْعَتِي وَفَرْطِ غَرَامِي حَيْثُ أَنِّي فَارَقْتُهُ عَنْ قَرِيبِ

وكتب إلىٰ الملك العزيز ـ رحمهما الله تعالىٰ : [من المجتث]

لَمَّا رَأَوْكَ الأَعَادِي إِلَىٰ صُدُودِكَ تَصْبُو
وَأَنَّنِي مِنْكَ مَقْصًى تَقَوَّلُوا مَا أَحَبُّوا
/ ٢٤٢ب/ وَأَسْعَرُوا نَارَ إِفْكٍ وَأَضْرَمُوا وَأَشَبُّوا
إِنْ كَانَ لِلذَّنْبِ ذَنْبٌ فَهَكَذَا لِيَ ذَنْبُ

وله يرثي بعض العلماء : [من مجزوء الكامل]

عجبًا لِمَنْ دَرَسَ الفَضَائِلَ وَالبَلاغَةَ كَيْفَ يَدْرُسْ
ضُمِّنْتَ كُلَّ فَصَاحَةٍ يَا قَبْرَهُ وَغَدَوْتَ أَخْرَسْ

وقال أيضًا : [من الطويل]

أَبِيْتُ بِلَيْلٍ لَيْسَ لِي فِيْهِ رَاحِمٌ ... سِوَىٰ أَنْجُمِ الجَوِّ الَّتِي لَيْسَ تَغْرُبُ
وَغَيْرِي يَرَىٰ التَعْذِيْبَ مُرّاً مَذَاقُهُ ... وَفِي مَذْهَبِي التَّعْذِيْبُ فِي الحُبِّ يَعْذُبُ

وله في الخضاب: [من الوافر]

عَمَدْتَ إِلَىٰ الخِضَابِ إِذاً لِتَنْسَىٰ ... زَمَاناً كُنْتَ فِيْهِ بِلاَ خِضَابِ
وَأَيَّامُ الصِّبَا عِنْدِيْ مُحَالٌ ... بِأَنْ تُنْسَىٰ بِأَيَّامِ التَّصَابِيْ

وقال يهجو بعض أصحابه، وقد تاب عن شُرب الخمر ثم عاد إلىٰ شربه(١): [من الوافر]

وَقَالُوا: تَابَ عَنْ شُرْبِ الحُمَيَّا! ... فَقُلْتُ لَهُمْ كَذَبْتُمْ مَا يَتُوْبُ
/ ٢٤٣أ/ وَكَيْفَ يَتُوْبُ عَنْ فِعْلٍ دَنِيٍّ ... فَتًى قَدْ جُمِّعَتْ فِيْهِ العُيُوْبُ

وقوله في النزيه بن الضياء القزويني يداعبه: [من الكامل]

قُلْ لِلنَزِيْهِ وَأَنْتَ صَادِقُهُ ... لَمْ تَخْلُ مِنْ صِدْقٍ وَمِنْ كَذِبِ
حُمِّلْتَ مِنْ عَارٍ خُزِيْتَ بِهِ ... مَا حُمِّلَتْ حَمَّالَةُ الحَطَبِ
أَزْرَيْتَ بِالعُلَمَاءِ كُلِّهِمُ ... فَلأَنْتَ شَرٌّ مِنْ أَبِي لَهَبِ

وقال: [من الوافر]

أَقُوْلُ لِلاَئِمِي لَمَّا لَحَانِيْ ... دَعِ الهَذَيَانَ قَدْ صَدَّعْتَ رَاسِيْ
سَمَاعُ اللَّوْمِ أَعْجَزَ كُلَّ لاَحٍ ... كَذَاكَ المَوْتُ أَعْجَزَ كُلَّ آسِيْ

وقال: [من الوافر]

لَئِنْ أَخْطَا الكِرَامَ الحَظُّ يَوْماً ... وَخَصَّ بِهِ اللِّئَامَ بِلاَ احْتِجَاجِ
فَإِنَّ الدُّرَّ يَعْدُلُ عَنْ زُلاَلٍ ... وَعَنْ عَذْبٍ وَيَسْكُنُ فِي أُجَاجِ
بِنَرْجِسِ مُقْلَةٍ وَبِوَرْدِ خَدٍّ ... وَآسٍ مِنْ حَوَاجِبِهِ الزِّجَاجِ
وَخَمْرَةِ رِيْقِهِ وَأَقَاحِ ثَغْرٍ ... وَبَدْرٍ لاَحَ مِنْ تَحْتِ الدَّيَاجِي
أَدَارَ عِذَارَهُ حَرَساً عَلَيْهِ ... أَبُسْتَانٌ يَكُوْنُ بِلاَ سِيَاجِ؟!

وقوله: [من الخفيف]

---

(١) البيتان في الوافي ٢٢/ ٣٤٧.

/٢٤٣ب/ رُبَّ لَيْلٍ قَطَعْتُهُ بتناجي ... فيْهِ مَا عنْدَنَا منَ الإرْتيَاحِ
أَنَا أَشْكُو هَجْرَ الصَّبَاحِ إِلَيْهِ ... وَهْوَ يَشْكُو إِلَيَّ هَجْرَ الصَّبَاحِ

وله يصف فرسًا: [من الطويل]

وَطِرْفٍ يُجَارِيْ الطَّرْفَ فِيْ حَلْبَةِ المَدَىٰ ... فَيُعْجِزُ عَنْ إِدْرَاكِهِ إِنْ جَرَىٰ اللَّمْحَا
يَفُوْتُ الهَوَا عَدْواً وَيَسْبِقُ آصِفاً ... إِذَا جَرَيَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُحْضِرَ الصَّرْحَا

وقال: [من البسيط]

قَدْ كُنْتُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَبْدُو بِعَارِضِهِ ... شَعْرٌ يُسَمِّجُهُ عِنْدِيْ وَيَقْبُحُهُ
إِخَالُ أَنَّ نَبَاتَ الشَّعْرِ يُفْسِدُهُ ... وَمَا عَلِمْتُ بِأَنَّ الشَّعْرَ يُصْلِحُهُ

وقال يمدح إخوته: [من الطويل]

بَنِي يُوْسُفٍ أَنْتُمْ غُيُوْثُ سَمَاحَةٍ ... وَأَنْتُمْ لَدَىٰ الحَرْبِ العَوَانِ أُسُوْدُ
وَمَا أُضْرِمَتْ نَارُ القِرَىٰ بِبُيُوْتِكُمْ ... فَكَانَ لَهَا طُوْلَ الزَّمَانِ خُمُوْدُ

وقال يهجو النزيه الضياء القزويني: [من الكامل]

وَيَقُوْلُ إِبْلِيْسُ اللَّعِيْنُ إِذَا رَأَىٰ ... وَجْهَ النَّزِيْهِ: فَدَيْتُ مَنْ أَنَا عَبْدُهُ
أَسْعَىٰ لأُفْسِدَ مَنْ نَأَىٰ عَنْ دَارِهِ ... وَلَقِيْتُ إِفْسَادَ الَّذِيْ هُوَ عَبْدُهُ

وله يرثي: [من الرمل]

/٢٤٤أ/ أَوْ يُرِدْ رَجْلاً يُجَارِيْكَ بِهَا ... فِي العُلاَ لَمْ يَرَ رَجْلاً ذَاهِبَهْ

وقوله: [من الطويل]

وَقَالُوا أَتَبْكِيْ مِنْ مَشِيْبٍ رَأَيْتَهُ ... بِفَوْدِكَ مِثْلِ البَرْقِ يَلْمَعُ فِي الدُّجِنْ
فَقُلْتُ لَهَا لاَ تَعْجَبِيْ تِلْكَ عَادَةٌ ... مَدَىٰ الدَّهْرِ ضُوْءُ البَرْقِ يَلْمَعُ بِالمُزْنِ

وقال: [من المتقارب]

إِذَا المَرْءُ أَكْثَرَ فِيْمَا ادَّعَاهُ ... فَمِنْ وَاجِبِ الأَمْرِ أَنْ يُمْتَحَنْ
فَيُظْهِرُ بِالفِعْلِ بُرْهَانَهُ ... فَيُكْرَمُ إِذْ ذَاكَ أَوْ يُمْتَهَنْ

وقال: [من البسيط]

بَالِغْ إِذَا رُمْتَ بُنْيَانًا تُخَلِّفُهُ ... فِيْمَا تُوَطِّدُ مِنْ أُسٍّ وَأَرْكَانِ

شَيِّدْ مَبَانِيْكَ تُذْكَرْ حِيْنَ لَاتَ بَقَا تَبْقَى المَبَانِيْ وَلَكِنْ يُهْدَمُ البَانِي

وقوله: [من المجتث]

أَسْتَغْفِرُ اللهَ رَبِّي مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَجُرْمِ
وَمِنْ قَبِيْحِ فِعَالِ وَقَتْلِ نَفْسٍ وَظُلْمِ

وقال في غلام اسمُه إبراهيم: [من الكامل]

عَجَبًا لإِبْرَاهِيمَ يَسْكُنُ قَاطِنًا قَلْبِيْ وَلَمْ يَبْرُدْ لَهِيْبُ ضَرَامِهِ
/ ٢٤٤ب/ وَلِخَدِّهِ المُحْمَرِّ كَيْفَ تَوَرَّدَتْ وَجَنَاتُهُ وَالطَّرْفُ خَلْفَ سَقَامِهِ

أنشدني القاضي الإمام أبو القاسم عمر بن أبي الحسن بن أبي جرادة الحلبي الحنفي ـ أيده الله تعالىٰ ـ قال: أنشدني الخطير أبو نصر فتوح بن نوح بن عيسىٰ؛ قال: أنشدني الإمام عماد الدين ابو عبد الله محمد بن محمد الكاتب الأصفهاني؛ قال: أنشدني الملك الأفضل علي بن يوسف بن أيوب لنفسه، في العشرين من شوال سنة تسعين وخمسمائة؛ وكتبها إلىٰ أخيه الملك العزيز عماد الدين عثمان يستعطفه بعد أن ودّعه واجتمع معه ساعة واحدة: [من الوافر]

نَظَرْتُكَ نَظْرَةً مِنْ بَعْدِ تِسْعٍ تَقَضَّتْ بِالتَّفَرُّقِ مِنْ سِنِيْنِ
وَغَضَّ الدَّهْرُ عَنْهَا طَرْفَ غَدْرٍ مَسَافَةَ قُرْبِ طَرْفٍ مِنْ جَبِيْنِ
وَعَادَ إِلَىٰ سَجِيَّتِهِ فَأَجْرَىٰ بِفُرْقَتِنَا العُيُونَ مِنَ العُيُونِ
فَرِيْحُ الدَّهْرِ لَمْ يَسْمَحْ بِوَصْلٍ يَعُوْدُ بِهِ الهُجُوْعُ إِلَىٰ الجُفُوْنِ
/ ٢٤٥أ/ فَوَاقًا ثُمَّ يُعْقِبُهُ بِبَيْنٍ يُعِيْدُ إِلَىٰ الحَشَا عَدَمَ السُّكُوْنِ
وَلَا يُبْدِي جُيُوْشَ القُرْبِ حَتَّىٰ يُرَتِّبَ جَيْشَ بُعْدٍ فِي الكَمِيْنِ
وَلَا يُدْنِي مَحَلِّي مِنْكَ إِلَّا إِذَا دَارَتْ رَحَىٰ الحَرْبِ الزَّبُوْنِ
فَلَيْتَ الدَّهْرَ يَسْمَحُ لِي بِأُخْرَىٰ وَلَوْ أَمْضَىٰ بِهَا حُكْمَ المَنُوْنِ

وأنشدني الملك الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن موسىٰ بن يوسف بن أيوب بن شاذي، بحلب المحروسة؛ قال: سمعتُ عمّي ينشد لنفسه: [من الطويل]

أَتَانِيْ كِتَابٌ مِنْكُمُ فَلَثَمْتُهُ وَأَمْطَرْتُهُ دَمْعِيْ وَأَفْرَشْتُهُ خَدِّيْ
وَقَالُوا: تَرَفَّقْ بِالبُكَاءِ سَفَاهَةً وَإِنَّ البُكَىٰ بَعْدَ التَّفَرُّقِ لَا يُجْدِيْ

وَسِـــرُّكُـــمُ أَخْفَيْتُـــهُ فِـــيْ جَـــوَانِحِـــيْ فَنَمَّـــتْ بِـــهِ عَيْنَـــايَ وَالـــذَّنْـــبُ لِلْمُبْـــدِيْ
فَهَـلْ مُنْجِـدٌ لِـيْ فِـيْ البُكَـاءِ عَلَـىٰ الَّـذِيْ تَنَـاءَتْ بِهِـمْ أَيْـدِيْ التَّنَـائِـي إِلَـىٰ نَجْـدِ
صَـدَرْنَـا عَـنِ الـوَصْـلِ الَّـذِيْ كَـانَ بَيْنَنَـا بِبَيْـــنٍ فَهَـــلْ دَهْـــرٌ يُبَشِّـــرُ بِـــالـــوِرْدِ
إِذَا فَـــاهَ نُطْقِـــيْ كَـــانَ مَبْـــدَاهُ ذِكْـــرُكُـــمْ كَمَـــا فِـــيْ كِتَـــابِ اللهِ يُبْـــدَأُ بِـــالْحَمْـــدِ
قَصَدْتُمْ جُفُوْنِي مُذْ نَزَلْتُم عَلَىٰ الحِمَىٰ لأَنَّ الحِمَـــىٰ مَـــا زَالَ دَاعِيَـــةَ القَصْـــدِ
/ ٢٤٥ب/ وَفَارَقْتُ قَلْبِيْ مُذْ مَلَكْتُمْ قِيَادَهُ وَمَـا هُـوَ لِلْمَـوْلَـىٰ حَـرَامٌ عَلَـىٰ العَبْـدِ
وَأُقْسِـــمُ لاَ أَلْتَـــذُّ بِـــالعَيْـــشِ بَعْـــدَكُـــمْ وَلَـــو أَنَّنِـــيْ أَصْبَحْـــتُ فِـــيْ جَنَّـــةِ الخُلْـــدِ
وَمَـا كُنْـتُ أَدْرِيْ نَعْمَـةَ الـوَصْـلِ دُوْنَ أَنْ بَـــدَا هَجْـــرُكُـــمْ وَالضِّـــدُّ يُظْهِـــرُ لِلضِّـــدِّ
عَقَـدْتُ عَلَـىٰ قَلْبِـيْ الـوَفَـاءَ بِعَهْـدِكُـمْ فَمَـاتَ وَلَـمْ تُحْلَـلْ عُـرَىٰ ذَلِـكَ العَقْـدِ

[٤٣٥]

عليُّ بنُ المُفضَّلِ بنِ عليٍّ، أبو الحسنِ المقدسيُّ[(١)].

من أهل الإسكندرية؛ الفقيه المالكي المفتي الحافظ المُصنّف، صاحب التصانيف في الفقه والحديث.

سمع بالحجاز وديار مصر والشام، وتغرّب وكتب الكثير، وخرّج الفوائد الصحاح. وكان من الحفاظ الأثبات الثقات، الأمناء الفضلاء المعتبرين العلماء الفهماء؛ وكان إمامًا في الحديث وحفظه، ومعرفة علومه.

وكان فقيهًا فاضلاً مدرسًا علىٰ مذهب الإمام مالك ـ رضي الله عنه ـ مع أدب وافر، وشعر حسن كان ينظمه.

---

(١) في هامش الأصل: «ابن أبي المكارم».
ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٢/ ٢١٧. التكملة لوفيات النقلة ٢/ ٣٠٦ رقم ١٣٥٤. سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٦٦ ـ ٦٩ رقم ٤٩، وفيه: «توفي في مستهل شعبان سنة إحدى عشرة وستمئة ودفن بسفح المقطم». وفيات الأعيان ٣/ ٢٩٠ ـ ٢٩٢. البدر السافر ٣٣ب. تذكرة الحفاظ ص١٣٩٠ ـ ١٣٩٢. دول الإسلام ٢/ ٨٦. العبر ٥/ ٣٨. تأريخ الإسلام (السنوات ٦١١ ـ ٦٢٠). التاج المكلل ٨٢. مرآة الجنان ٤/ ٢١. البداية والنهاية ١٣/ ٦٨. النجوم الزاهرة ٦/ ٢١٢. حسن المحاضرة ١/ ٣٥٤. طبقات الحفاظ ص٤٨٩. نيل الإبتهاج ص٢٠٠ (بهامش الديباج). شذرات الذهب ٥/ ٤٧.

رأيتُ له أبياتًا وازن بها أبيات الحافظ أبي طاهر السلفي / ٢٤٦أ/ وأبيات الأديب أبي المُظفر الأبيوردي، وأبيات الشيخ أبي العلاء المعري، وكلهنّ علىٰ حرف الغين المعجمة.

قال السلفي: أنشدني الرئيس أبو المكارم الأبهري؛ قال: أنشدني أبو العلاء لنفسه بمعرة النعمان قطعة ليس لأحد مثلها وهي: [من الطويل]

رَغِبْتَ إِلَىٰ الدُّنْيَا زَمَانًا فَلَمْ تَجُدْ ... بِغَيْرِ عَنَاءٍ وَالحَيَاةُ بَلاَغُ

وهي أربعة أبيات.

قال السلفيّ: فذكرت قول الرئيس أبي المكارم للرئيس أبي المظفر الأبيوردي، فأنشدني بعد يوم لنفسه علىٰ وزنه ورويِّه: [من الطويل]

أَلاَ هَلْ إِلَىٰ أَرْضٍ بِهَا أُمُّ سَالِمٍ ... وُصُولٌ لِطَاوِيْ شُقَّةٍ وَبَلاَغِ

وهي خمسة أبيات.

قال السلفي: فقلت أنا تبركًا بقولهما بعد سماعي من الرئيسين القطعتين:

[من الطويل]

تُرَىٰ هَلْ إِلَىٰ وَصْلِ الَّذِيْ قَدْ أَعَلَّنِيْ ... هَوَاهُ وُصُولٌ يُرْتَجَىٰ وَبَلاَغُ

وهما بيتان؛ فقال الحافظ أبو الحسن ناسجًا علىٰ منوالهم هذه الأبيات:

[أ] يَا ذَا الَّذِيْ أَشْكُو اشْتِغَالِيْ بِحُبِّهِ ... وَلَكِنْ بِهِ عَمَّا شَكَوْتُ فَرَاغُ

/ ٢٤٦ب/ لَئِنْ سَاغَ هِجْرَانِيْ لَدَيْكَ فَلَيْسَ لِيْ ... مَدَىٰ الدَّهْرِ فِيْ السُّلْوَنِ عَنْكَ مَسَاغُ

وَلاَ ذَنْبَ لِيْ إِلاَّ أَكَاذِيْبُ تُفْتَرَىٰ ... أَمَانِيُّهَا مِنْ حَاسِدٍ وَتُصَاغُ

وَإِنِّيْ لأَرْضَىٰ أَنْ أَفُوْزَ بِنَظْرَةٍ ... تُعَلِّلُ نَفْسِيْ وَالحَيَاةُ بَلاَغُ

وأخبرني أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المنذري المصري، إجازة منه إلىٰ مصر؛ قال: أنشدني أبو الحسن علي بن المفضّل المقدسي لنفسه:

[من الطويل]

لِكُلِّ امْرِىءٍ مَا فِيْهِ رَاحَةُ قَلْبِهِ ... فَيَأْنَسُ إِنْسَانٌ بِصُحْبَةِ إِنْسَانِ

وَمَا رَاحَتِيْ إِلاَّ حَدِيْثُ مُحَمَّدٍ ... وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِيْنَ بِإِحْسَانِ

وأنبأني أيضًا[١]؛ قال: أنشدني لنفسه: [من الطويل]

أَيَا نَفْسُ بِالمَأْثُورِ عَنْ خَيْرِ مُرْسَلٍ ... وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ تَمَسَّكِي
عَسَاكِ إِذَا بَالَغْتِ فِي نَشْرِ دِينِهِ ... بِمَا طَابَ مِنْ نَشْرٍ لَهُ أَنْ يَمَسَّكِ
وَخَافِي غَداً يَوْمَ الحِسَابِ جَهَنَّمَاً ... إِذَا نَفَحَتْ نِيرَانُهَا أَنْ تَمَسَّكِ

وأنبأني عنه أيضًا: [من الطويل]

وَلَمْيَاءَ تُحْيِي مَنْ تُحَيِّي بِرِيقِهَا ... كَأَنَّ مِزَاجَ الرَّاحِ بِالمِسْكِ فِي فِيْهَا
/٢٤٧أ/ وَمَا ذُقْتُ فَاهَا غَيْرَ أَنِّي رَوَيْتُهُ ... عَنِ الثِّقَةِ المِسْوَاكِ وَهْوَ مُوَافِيْهَا

[٤٣٦]

عليُّ بنُ مُحَمَّدِ بنِ يحيىٰ بنِ طلحةَ بنِ حمزةَ، أبو الحسنِ المنحل الواسطيُّ.

أحد عدول بلده.

قدم بغداد واستوطنها، وشهد عند القاضي أبي المناقب محمود بن أحمد الزنجاني، فقبل شهادته، ورتب مشرفًا علىٰ سبيل المخزن المعمور، وحمل الكسوة والصدقات إلىٰ الحرمين الشريفين.

ومن شعره يمدح المستنصر بالله ـ رضي الله عنه ـ؛ وسألته عن ولادته، فذكر أنه ولدفي سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بقرية عبد الله من الأعمال الواسطية، وعنده دعاوى في نفسه، ويظن أنَّه يأتي بأشياء لم يأت بها غيره من شعراء أهل وقته، ويتعاطى النظم والنثر، وليس عنده مما يزعم شيء.

فمن شعره يمدح المستنصر بالله، عند تحرّك العساكر المنصورة لقتال التتار الملاعين ـ خذلهم الله تعالىٰ ـ: [من الطويل]

عَلَىٰ مَجْدِكُمْ مِمَّا يُخَافُ سُرَادِقُ ... بِجَانِبِهِ صَرْفُ الرَّدَىٰ وَالبَوَائِقُ
فَمَا لِلْفَضَاءِ الجَمِّ نَهْجٌ نَؤُمُّهُ ... إِلَيْكُمْ وَلَوْ عَمَّ البَرِيَّةَ طَارِقُ

---

(١) القطعة في وفيات الأعيان ٣/ ٢٩١. سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٦٩.

/ ٢٤٧ب/ حَمَيْتُمْ ذِمَارَ المُلْكِ بَأْساً وَرَهْبَةً ... فَسَاوَىٰ القُرَىٰ فِي أَمْنِهِنَّ البَلاَلِقُ
وَثَقَّفْتُمُ زَيْغَ الخُطُوبِ بَسَالَةً ... فَنَكَّبَ عَنْ سُبْلِ الضَّلاَلَةِ مَارِقُ
صَنَائِعُكُمْ تُرْضِي الإِلَهَ وَإِنْ غَدَا ... بِهَا وَفْرُكُمْ مِنْ سُخْطِهِ وَهْوَ تَائِقُ
يَعُوذُ بِهِنَّ الحُرُّ عَمْداً وَكَمْ غَدَا ... رَقِيقٌ بِهِ مِنْ رِقِّهِ وَهْوَ عَاتِقُ
إِذَا مَا جَزَىٰ الحُسْنَىٰ بِعَشْرٍ فَعَشْرُهَا ... يُوَفِّي بِهِ رَيْبَ الزَّمَانِ الخَلاَئِقُ
فَكُونُوا عَلَىٰ أَمْنٍ مِنَ البُؤْسِ وَادِعٍ ... وَلَوْ مُلِئَتْ مُدْنٌ بِهِ وَرَسَائِقُ
أَبَىٰ اللهُ إِلاَّ حِفْظَ مَنْ هُوَ حَافِظٌ ... لَهُ حَيْثُ لا يلميه عَيْشٌ مُفَانِقُ[1]
إِمَامٌ إِذَا مَا أَسْكَتَ العَجْزُ عَنْ مَدَىٰ ... مَآثِرِهِ المُدَّاحَ فَالذِّكْرُ نَاطِقُ
يَبِيتُ مُوَالِيهِ عَلَىٰ الأَمْنِ وَادِعاً ... إِذَا رَاعَتِ النَّاسَ الخُطُوبُ الطَّوَارِقُ
مَنَاقِبُهُ بَيْنَ البَرِيَّةِ نَشْرُهَا ... يُشَابِهُهُ مَفْتُوقَ الشَّذا وَيُطَابِقُ
أَبَا جَعْفَرٍ كَمْ فِي يَمِينِكَ جَعْفَرٌ ... لِصَادِقِكُمْ فِيهَا لِعَادٍ صَوَاعِقُ

ومنها:

أَحَلَّكُمُ المَجْدُ المُمَنَّعُ رُتْبَةً ... تَوَاضَعَ عَنْهَا النَّيِّرَانِ الشَّوَارِقُ
وَكَمْ قَدْ تَسَامَىٰ نَحْوَهَا ذُو تَطَاوُلٍ ... فَعَاقَتْهُ عَنْ نَيْلِ الأَمَانِيِّ العَوَائِقُ
فَمَا النَّاسُ إِلاَّ خَاضِعٌ لِجَلاَلِكُمْ ... عَلَىٰ رَغْمٍ .... أَوْ حَاسِدٌ أَوْ مُنَافِقُ
/ ٢٤٨أ/ بَقِيتُمْ إِلَىٰ أَنْ يُحْدِثَ اللهُ فِي الوَرَىٰ ... شَبِيهاً لَكُمْ مَا ذَرَّ فِي الأُفْقِ شَارِقُ
فَأَنْتُمْ طَرِيقٌ لِلْمَكَارِمِ مَهْيَعٌ ... وَأَنْتُمْ إِذَا عُدَّ الأَنَامُ الطَّرَائِقُ

وأنشدني أبو الحسن علي بن محمد النحلي لنفسه، ما كتبه إلىٰ صديق له علىٰ سبيل المداعبة والانبساط، وسلك فيها مسلك الهزْل والمجون ببغداد: [من الطويل]

إِذَا رَنَّحَتْ رِيحُ الصَّبَابَةِ ذَا وَجْدِ ... لِذِكْرِ زَمَانٍ سَالِفٍ بِرُبَىٰ نَجْدِ
وَبَاتَ كَمَا بَاتَ السَّلِيمُ بِهِزَّةٍ ... تُرَاعُ إِلَىٰ ذَاتِ الدَّمَالِجِ وَالعِقْدِ
يُؤَرِّقُهُ ذِكْرَىٰ زَمَانٍ تَصَرَّمَتْ ... قِصَارُ لَيَالِيهِ عَلَىٰ العَلَمِ الفَرْدِ
فَمَا شَأْنُهُ شَأْنِي إِذَا ذُكِرَ الحِمَىٰ ... وَلاَ وَجْدُهُ مُذْ شَطَّتِ الدَّارُ بِي وَجْدِي
وَكَيْفَ وَلِي قَلْبٌ يَرُوحُ وَيَغْتَدِي ... مِنَ الكَمَدِ المُضْنِي المُذِيبِ عَلَىٰ مَرْدِ

(١) مفانق: ناعم.

إذَا سُمْتُهُ السُّلْوَانَ أَصْبَحْتُ مُسْرِعًا ... وَيَسْعَىٰ إِلَىٰ اسْمِ المَوَدَّةِ فِي قَدِّ
وَلِي مُقْلَةٌ لَمْ تَجْفُهَا سِنَةُ الكَرَىٰ ... وَلا عَرَفَتْ مُذْ بِنْتُمُ أَلَمَ السُّهْدِ
تَنَاءَتْ بِيَ الأَيَّامُ عَنْكُمْ تَطَوُّلاً ... فَيَا مِنَّةً أَلِفْتُ بينكم عِنْدِي
فَلَمْ يُصْبِنِي شَوْقٌ وَلَمْ يُصْبِنِي جَوًى ... وَلَمْ تَنْأَ أَفْرَاحِي وَلَمْ يَقْتَرِبْ وَجْدِي
/ ٢٤٨ب/ وَلَا أَضْحَتِ الذِّكْرَىٰ لِأَيَّامِ عَالِجٍ ... تُصَاعِدُ أَنْفَاسِي مُسَعَّرَةَ الوَقْدِ
جَزَىٰ اللهُ أَيَّامَ الفِرَاقِ بِمِثْلِهَا ... مَتَىٰ سَئِمَتْ تَشْتِيتَ شَمْلِي عَلَىٰ هِنْدِ
أَلَا لَا رَعَىٰ الرَّحْمَٰنُ مِنَّا مُحَافِظًا ... يُرَاعِي ذِمَامًا لِلْخَلِيلِ عَلَىٰ البُعْدِ
وَلَا كَانَ مِنَّا ذُو هَوًى وَمَوَدَّةٍ ... يُقِيمَانِ إِنْ شَطَّ المَزَارُ عَلَىٰ العَهْدِ
كذلك سُلي الورد سُلي التقاطه ... وَيَحْمِي حِمَاهُ النَّحْلُ عَنْ مُجْتَنَىٰ الشَّهْدِ
وَهَا أَنَا أَقْضِي مُدَّةَ العُمْرِ مُذْ نَأَتْ ... نَوَالَ بِشُكْرِ اللهِ فِي ذَاكَ وَالحَمْدِ

[٤٣٧]

عليُّ بنُ منصور بن عليِّ بن عبيد الله، أبو الحسنِ الخطيبيُّ اللغويُّ، المعروفُ بابنِ سَبَلْتُوهَ البَغْدَاديُّ(١).

أخبرني أنَّ عبيد الله جدّه الأقصىٰ ـ الذي امتدحه أبو إسحاق الغزي ـ وهو أبو إسماعيل عبيد الله بن علي بن عبيد الله الخشبي القاضي.

وأبو الحسن قرأ اللغة والأدب علىٰ الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الرحيم بن العصار اللغوي البغدادي؛ وأخذ علم النحو والعربية عن أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري النحوي وغيرهما.

وكان / ٢٤٩أ/ أعرف أهل زمانه باللغة، وأيام العرب واشعارها، وافر الحظ؛ كذلك سألته عن مولده؛ فقال: ولدت في سنة سبع وأربعين وخمسمائة.

وكان مع سعة حفظه وفضله، ضجوراً منوعًا يأبىٰ التصدّي للأقراء، ويكره

---

(١) ترجمته في: معجم الأدباء ٥/ ١٩٧٣، وفيه: «علي بن منصور بن عبيد الله الخطيبي المعروف بالأجل اللغوي. . ». الوافي بالوفيات ٢٢/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦. إنباه الرواة ٢/ ٣٢١. طبقات الإسنوي ٢/ ٣٦٩. بغية الوعاة ٢/ ٢٠٧.

التعليم فلم يستفد أحد منه بطائل.

ترددت إليه غير مرة، واقتضيته شيئًا من شعره، فكان يعدني ويمطلني ويتعلّل بأسباب وأحوال، فحين كثر ترددي إليه، سئمت من مطله؛ ثم مرض في أثناء تلك الأيام؛ ومات ليلة الإثنين سابع عشر ذي القعدة سنة اثنتين وعشرين وستمائة ببغداد، ودفن بجانبها الشرقي بمقبرة الوردية ـ رحمه الله تعالىٰ ـ.

أنشدني أبو الحسن علي بن المفرج بن المبارك بن المعوّج الواسطي؛ قال: أنشدني أبو الحسن اللغوي لنفسه أبياتًا كلّفه عملها الوزير جلال الدين أبو المظفر عبد الله بن يونس لتُكتب على أيوان في دار الخليفة الناصر لدين الله ـ رضي الله عنه ـ:

[من البسيط]

دارٌ تَظَلُّ لَهَا الآمَالُ عَاكِفَةً ... وَيَسْتَجِيرُ بِهَا مِنْ جُرْمِهِ الجَانِي

تَشُبُّ نِيْرَانُ بَانِيْهَا إذَا خَمُدَتْ ... نَارُ القِرَىٰ لِمَضِيْفٍ أَوْ لِضَيْفَانِ

/٢٤٩ب/ فَلَوْ تَرَاءَتْ لِخَيرِ المُوقِدِيْنَ رَأَىٰ ... إنْسَانُ عَيْنَيْهِ فِيْهَا غَيْرَ إنْسَانِ

وأنشدني؛ قال: أنشدني لنفسه: [من المنسرح]

مُولَايَ يَا مَنْ ذِهَابُ رَاحَتِهِ ... هَامِيَةٌ لِلْعُفَاةِ بِالذَّهَبِ[1]

قَدْ أَعْوَزَتْنَا حَمْرَاءُ صَافِيَةٌ ... تُنْمَىٰ إذَا مَا انْتَمَتْ إِلَىٰ العِنَبِ

فَابْعَثْ بِهَا وَاغْتَنِمْ ثَنَائِي يَكُنْ ... بَيْنَ عَطَايَاكَ أَقْرَبُ النَّسَبِ

وأنشدني؛ قال: أنشدني من شعره: [من السريع]

يَا مَلِكًا أَصْبَحَ أَعْدَاؤُهُ ... بِالغَيْظِ هَلْكَىٰ مِنْهُ بِالغَيْظِ

بَقِيْتَ مَا اسْتُحْسِنَ لَفْظٌ وَمَا ... خَالَفَ لَفْظُ البَيْضِ لِلْبَيْظِ[2]

قَدْ جَاءَتِ الغَلَّةُ فِي وَقْتِهَا ... كَالمَاءِ لِلْعَطْشَانِ فِي القَيْظِ

وَكُلَّمَا أُبْطِأَ إطْلَاقُهَا ... عَنِّي تَمَيَّزْتُ مِنَ الغَيْظِ

وأنشدني؛ قال: أنشدني أيضًا قوله: [من الخفيف]

---

(١) الذهاب: المطر الغزير.

(٢) البيظ: النمل.

لـــيْ حَبِيْـــبٌ كَـــالظَّبْـــيِ غـــرٌّ وَلكِـــنْ   بعَـــذَابِـــيْ فِـــيْ الحُـــبِّ مَـــا أَغْـــرَاهُ
وَإِذَا كَـــرَّرَ الـــذُّنُـــوبَ فَيَكْفِيْـــه   اعْتِـــذَاراً عَمَّـــا جَنَـــى أَنْ أَرَاهُ

وأنشدني ؛ قال : أنشدني لنفسه في غُلام اسمهُ القطب : [من مجزوء الكامل]

/ ٢٥٠أ/ إِنْ كَـــانَ يُـــوسُـــفُ حُسْنُـــهُ   شَغَـــفَ النِّسَـــاءَ وَمَـــا أَســـا
فَـــالقُطْـــبُ قَـــدْ شَغَـــفَ الـــرِّجَـــا   لَ بِحُسْنِـــهِ وسَبَـــى النِّســـا

وأنشدني ؛ قال : أنشدني قوله : [من مجزوء الرمل]

يَـــا مَلِيْـــحَ القَـــدِّ يَـــا مَـــنْ   وَجْهُـــهُ مَـــا البَـــدْرُ مِثْلَـــهْ
أَعْطِنِـــيْ مِنْـــكَ وَصَـــدِّقْ   وَاغْتَنِـــمْ أَجْـــرِيَ قُبْلَـــهْ

وقال أيضًا : [من مخلّع البسيط]

لَـــوْ لَـــمْ أَخَـــفْ مِـــنْ نِفَـــارِ قَـــوْمٍ   يُنَـــافِسُـــونِـــيْ عَلَـــى نَقِيْـــرِ
لَكَـــانَ رَأْيِـــيْ أَنْ لاَ تَـــرَانِـــيْ   فِـــيْ يَـــوْمِـــكَ البَـــارِدِ المَطِيْـــرِ
وَلَـــوْ تَمَكَّنْـــتُ مِـــنْ أُمُـــورِيْ   خَفِيْـــتُ عَـــنْ خَـــاطِـــرِ الخَطِيْـــرِ
وَلَـــمْ أُوَجِّـــهْ بِـــهِ فَـــوَجْهِـــيْ   فِـــيْ الأَرْضِ مِـــنْ بَيْتِـــهِ السَّتِيْـــرِ
وَلاَ تَـــأَوَّلْ عَلَـــيَّ وَابْعَـــثْ   إِلَـــيَّ رُكْنِيَّـــةَ الأَمِيْـــرِ
فَقَـــطُّ مَـــا اعْتَـــادَ حُـــرُّ وَجْهِـــيْ   يَعُـــوْدُ مِـــنْ بَـــابِـــهِ حَـــرِيْـــرِيْ

وأنشدني أبو الحسن علي بن الحسن بن علي البخاري الفقيه الحنفي ؛ قال : أنشدني علي بن منصور اللغوي / ٢٥٠ب/ لنفسه مبدأ قصيدة أوّلها[1] : [من الطويل]

فُـــؤَادِيْ مَعَنًّـــى بِـــالعُيُـــونِ الفَـــوَاتِـــرِ   وَصَبْـــوَةُ بَـــادٍ مُغْـــرَمٍ بِـــالحَـــوَاضِـــرِ
سَمِيْـــرَانِ ذَادَا عَـــنْ جُفُـــوْنِ مُتَيَّـــمٍ   كَـــرًى مُنْـــذُ بَـــاتَـــا عِنْـــدَهُ شَـــرَّ سَـــامِـــرِ

وأنشدني ؛ قال : أنشدني لنفسه[2] : [من البسيط]

لِمَـــنْ غَـــزَالٌ بِـــأَعْلَـــى رَامَـــةَ سَنَحَـــا   فَعَـــاوَدَ القَلْـــبَ سُكْـــرٌ مِنْـــهُ كَـــانَ صَحَـــا
مُقَسَّـــمٌ بَيْـــنَ أَضْـــدَادٍ فَطُـــرَّتُـــهُ   جِنْحٌ وَغُـــرَّتُـــهُ فِـــيْ الجِنْحِ ضَـــوْءُ ضُحَـــى[3]

---

(١) البيتان في معجم الأدباء ٥/ ١٩٧٣ . الوافي ٢٢/ ٢٣٦ .
(٢) البيتان في معجم الأدباء ٥/ ١٩٧٣ . الوافي ٢٢/ ٢٣٦ .
(٣) الجنح : الطائفة من الليل.

[٤٣٨]

عليُّ بنُ الشّهابِ الضريرُ الواسطيُّ القانونيُّ.

كان يَشْعُر ويعاشر الأصدقاء، مطبوعًا في الجدّ والهزل والخلاعة.

أنشدني أبو القاسم بن أبي النجيب بن أبي زيد التبريزي؛ قال: أنشدني علي بن الشهاب الضرير لنفسه: [من الكامل]

قَمَرٌ تَظَلَّمَ خَصْرُهُ مِنْ رِدْفِهِ ... وَبَلِيَّتِي مِنْ رِدْفِهِ أَوْ خَصْرِهِ
مَا البَدْرُ وَالشَّمْسُ المُنِيرَةُ عِنْدَهُ ... إِلاَّ كَمِثْلِ صُبَابَةٍ فِي بَحْرِهِ
وَكَذَاكَ لَيْسَ الغُصْنُ يُشْبِهُ قَدَّهُ ... أَنَّى وَمَا لِلْغُصْنِ هَزَّةُ سُكْرِهِ
/ ٢٥١أ/ أَالامُ إِنْ قَبَّلْتُ وَرْداً طَالِعاً ... فِي خَدِّهِ أَوْ رَشْفَ بَارِد ثَغْرِهِ
وَيْلاهُ لَمْ أُدْهَى بِلَحْظٍ فَاتِرٍ ... هَارُوتُ يَعْجِزُ عَنْ مَوَاقِعِ سَحْرِهِ
فَالصُّبْحُ يَبْدُو مِنْ ضِيَاءِ جَبِيْنِهِ ... وَاللَّيْلُ يَكْمُنُ تَحْتَ فَاحِمِ شَعْرِهِ
إِنْ خَانَنِي فَأَنَا الوَفِيُّ بِعَهْدِهِ ... أَوْ كَانَ يَهْجُرُنِي صَبَرْتُ لِهَجْرِهِ
مَنْ لِي بِهِ رَاضٍ وَلَمْ يَكُ سَاخِطاً ... مِنْ لِي بِهِ أَوْ مَنْ يَقُومُ بِعُذْرِهِ

[٤٣٩]

عليُّ بنُ عُمرَ بن عبد العزيز بنِ هبّة الله بن الحسن بن أحمدَ بنِ حمدونٍ، أبو الحَسنِ السّنجَاريُّ، المَعرَوفُ بابنِ الخطَيب.

وهو أخو إسماعيل بن عمر الذي تقدّم شعره[1]، وعلى الأكثر كانت الخطابة بسنجار فيهم؛ وكان فقيهًا حنفيًا فاضلاً، ذا معرفة بالأصول والخلاف.

أنشدني الخطيب أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن الحسين الإربليّ المعروف بابن الكُريدي؛ قال: أنشدني أبو الحسن علي بن عمر لنفسه؛ وأنا سالته أن يصنعه وهو قول القائل: [من الوافر]

(١) تقدّمت ترجمته في الجزء الأول برقم ١٧٠.

طُــــــوْلُ العَهْــــــدِ مُنْسِـــــيْ ....

/ ٢٥١ب/ تَقُــولُ وَقَــدْ وَقَفْنَــا لادِّكَــارٍ لِمَــاضِــيْ عَيشِنَــا مِــنْ غَيْــرِ لَبْــسِ

أَتَنْسَـــانَـــا وَمِثْلُـــكَ غَيْـــرُ نَـــاسٍ وَمُـــذْ فَـــارَقْتَنِـــيْ فَـــارَقْـــتُ أُنْسِـــي

فَقُلْـــتُ لَهَـــا أَطَلْـــتِ العَهْـــدَ حَتَّـــى نَسِيْـــتُ وَإِنَّ طُـــوْلَ العَهْـــدِ مُنْسِـــيْ

وأنشدني؛ قال: أنشدني لنفسه: [من البسيط]

أَحْبَبْـتُ ذَاتِـي فَـوْقَ الـوَصْـفِ مُـذْ نَفَـرَ الـدُّنَـاةُ مِنْهَـا وَعَـابُـوْهَـا بِمَـا وَصَفُـوا

وَلَـوْ أَحَبُّـوا صِفَـاتِـيْ كُنْـتُ أَبْغَضُهَـا لأَنَّ خَيْـرَ السَّجَـايَـا ضِـدُّ مَـا أَلِفُـوْا

[٤٤٠]

عليُّ بنُ مُحَمَّد بن أبي منصور بن أبي الغنائم، ويُعرفُ بصاحب الخاتم بن أبيَ غَالب واسمُهُ مَحمدُ بنُ أَحمدَ بن محمد بنَ الحسنَ بنَ عليٍّ بن الحسن بن عيسى ويُعرفُ بالروميِّ ـ بنَ محمدَ الأزرق بنَ عيسى بنَ محمد بنَ عليٍّ العريضيِّ بنَ جعفرَ بن محمد بن عليٍّ بنِ الحسينَ بنِ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ ـ عليهم السلام[(١)] ـ.

قال الدبيثي: كان شاعراً مكثراً، وله المدائح الكثيرة في أهل البيت ـ عليهم السلام ـ وغيرهم؛ وشعره كثير مدوّن، قد سمع منه جماعة وكتبوا عنه وكان ينتجع بالشعر.

بلغني أنه توفي /٢٥٢أ/ بالحلة المزيدية، في سنة ثمان وستمائة ونحوها ـ والله أعلم ـ. هذا آخر ما ذكره الدبيثي في تاريخه، ولم يورد له شيئًا من شعره.

قلت: كان شاعراً مبرزاً يصنع شعراً معجزاً ذا اقتدار شديد، وباع في معرفة اللغة

---

(١) ترجمته في: تأريخ ابن الدبيثي/ ٩ الورقة ١٥٩ (كمبردج). تاريخ ابن الفرات/م٩ الورقة ٤٦. تأريخ ابن النجار/ الورقة ٢٤ (باريس) وفيه أصعد ابن النجار نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وقال: كذا رأيت نسبه بخط يده. التكملة للمنذري ٢/ ٢٣٧ رقم ١٢٢٢.
كتب عنه د. مصطفى جواد في مجلة البلاغ الكاظمية، السنة الأولى، العدد الثاني ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م، ص١٤ ـ ١٥.

مديد، وفضل غزير، وشعر كثير، التزم في كلامه لزومًا غريبًا، سلك فيه أسلوبًا عجيبًا، أعجز به المتقدمين، وبذَّ فيه المتأخرين؛ له القصائد المبدعات المخترعات المطبوعات المصنوعات التي لقبها بالبواهر.

صنع كل قصيدة علىٰ حرف من حروف المعجم، وذلك أنَّه ابتدأ فيها بحرف الألف، والتزم أن يضمن في كُلّ لفظة منها حرف الألف ثم حرف الباء ثم التاء.. هكذا متواليًا علىٰ اتساق الحروف وانتظامها إلىٰ حرف الياء.

ومن شعره يمدح الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ: [من الطويل]

إذَا أنْتَ وَالَيْتَ الإمَامَ المُبَرَّعَا ... عَلياً أميرَ المُؤمنينَ السَّمَيْدَعَا

سَكَنْتَ فَرَادِيسَ الجنَانِ مُخَلَّداً ... وَحُزتَ مَحَلاً سَامياً مُتَرَفِّعَا

إمَامُ هُوَ النَّهْجُ القَويْمُ إلَىٰ الهُدَىٰ ... أخُو سُؤْدُدٍ لَمْ يَحْوِه سَعْيُ مَنْ سَعَىٰ

/ ٢٥٢ب/ فَطُوبَىٰ لِمَنْ وَالَىٰ وَصِيَّ مُحَمَّدٍ ... إمَامَ هُدًى حَازَ الفَضَائِلَ أجْمَعَا

إمَامٌ تَقِيٌّ لِلرَّشَادِ مُحَالِفٌ ... تَسَرْبَلَ جِلْبَابَ الهُدَىٰ وَتَلَفَّعَا

رَوَىٰ النَّاسُ أنَّ الطُّهْرَ أحْمَدَ قَالَ فِي ... حَدِيثٍ وَكَمْ قَالَ النَّبِيُّ وَأسْمَعَا

سَيَفْتَرِقُ الإسْلاَمُ سَبْعِينَ فِرْقَةً ... نَعَمْ وَثَلاَثاً هَكَذَا قَالَ مُسْمِعَا

وَكُلٌّ سَيَصْلَىٰ النَّارَ بَاللهِ فِي غَدٍ ... سِوَىٰ فِرْقَةٍ تَحْوِيْ النَّعِيمَ المُوَسَّعَا

فَإنْ شئْتَ تَدْرِي أيُّمَا فِرْقَةٍ نَجَتْ ... فَأنْصِفْ وَلاَ تُنْكِرْ مَقَالَ مُشفعا

وَقَعْتَ وَسَلْ أهلَ الحَدِيْثِ تَجِدْهُمُ ... جَمِيعَاً رَوَوا أنَّ النَّبِيَّ المُشَرِّعَا

يَقُولُ مِرَاراً: أهْلُ بَيْتِي شَبِيهُهُمْ ... سَفِيْنَةُ نُوحٍ مَنْ بِهَا حَلَّ مَوْضِعَا

نَجَا وَكَذَا مَنْ حَادَ عَنْهَا فَقَدْ غَوَىٰ ... وَذَاقَ الهَلاَكَ أنْظُرْ تَرَ القَوْلَ مُقْنِعَا

وقال أيضًا: [من المقتضب]

كَمْ تُسَائِلُ الدِّمَنَا ... بَاكِيًا تَذُوبُ ضَنَىٰ

تَنْدُبُ الطُّلُولَ وَمَنْ ... حَلَّهُنَّ وَالسَّكَنَا

دَعْ سُؤَالَهُنَّ فَمَا ... فِي سُؤَالِهِنَّ غَيْرُ عَنَا

فَالبُكَىٰ لَيْسَ يَرُدُّ الحَبِيْبَ إنْ ظَعَنَا

وَيْكَ ذَاكَ عَصْرُ هَوًى فَاتَ فَاتْرُكِ الحَزَنَا
/٢٥٣أ/ تِلْكَ عِيشَةٌ سَلَفَتْ كُلُّ لَذَّةٍ لِفَنَا
فَالَهُ عَنْ تَذَكُّرِهَا وَاسْأَلَنْ ذَلِكَ الزَّمَنَا
كَمْ بَنَيْتَ مُدَّرِعًا بِالغَرَامِ مُرْتَهَنَا
هَا تَرَى المَشِيبَ بَدَا صُبْحُهُ وَزَادَ سَنَى
فَاتَّقِ الإِلَهَ وَلُذْ بِالوَلاءِ لِلأُمَنَا
عِتْرَةَ النَّبِيِّ وَمَنْ يَرْبُحُهُمْ جُنَنَا
صَفْوَةً نَفُوزُ بِهِمْ إِذْ هُمُ الهُدَاةُ لَنَا

وأنشدني له أيضًا في مدح علي ـ عليه السلام ـ أبو الحسين يحيى بن محمود بن عيسى بن محمد بن جعفر الخلعي البغداديّ، بإربل سنة ثلاث وثلاثين وستمائة؛ قال: أنشدني ابن صاحب الخاتم لنفسه مبدأ قصيدة أوّلها: [من البسيط]

بَانُوا فَفَارَقَ جَفْنِي لَذَّةَ الوَسَنِ وَبِتُّ مُدَّرِعًا بِالْهَمِّ وَالحَزَنِ
أُخْفِي الغَرَامَ فَتُبْدِيهِ الدُّمُوعُ إِذَا جَرَتْ عَلَى الخَدِّ كَالمُثْعَنْجِرِ الهَتِنِ
/٢٥٣ب/ بَانُوا فَمَا خِلْتُ أَنَّ الدَّهْرَ مُذْ بَرِحُوا عَنِّي يُفَارِقُنِي مِمَّنْ يُفَارِقُنِي
فَلَيْتَهُمْ إِذْ نَأَوْا رَدُّوا الفُؤَادَ عَسَى يُنْبِي بِحَالِهِمُ حَقًّا وَيُعْلِمُنِي
أَهُمْ عَلَى العَهْدِ أَمْ خَانُوهُ عَنْ كَثَبٍ وَهَلْ سَلَوا فَنَسُوا شَوْقًا يُؤَرِّقُنِي
أَمَّا أَنَا فَرَسِيسُ الشَّوْقِ يُمْرِضُنِي وَالوَهْمُ وَالوَجْدُ وَالْبَلْبَالُ يُمْرِضُنِي
وَلِي دُمُوعٌ يَخُدُّ الخَدَّ سَاكِبُهَا كَأَنَّ وَاكِفَهَا مُغْدَوْدِقُ المُزُنِ
يَا قَلْبُ دَعْ ذِكْرَكَ الأَحْبَابَ إِذْ بَعُدُوا بَانُوا وَخَانُوا وَمَنْ لِلْعَهْدِ لَمْ يَخُنِ
وَخَلِّ ذِكْرَ الصِّبَا وَاسْلُ الهَوَى فَإِلَى مَتَى تُعَانِي رَسِيسَ الشَّوْقِ وَالحَزَنَ
وَوَالِ آلَ رَسُولِ اللهِ تَنْجُ بِهِمْ فَهُمْ أُولُو الذِّكْرِ وَالآيَاتِ وَالسُّنَنِ
آتَاهُمُ اللهُ عِلْمًا بَاهِرًا وَتُقَى وَإِنْ سَلَكْتَ فَسَائِلْ عَنْ أَبِي الحَسَنِ
وَاسْمَعْ حَدِيثًا رَوَيْنَا مِنْ مَنَاقِبِهِ فِيهِ اعْتِبَارٌ لِرَبِّ الفِكْرَةِ الفَطِنِ
رَوَى السَّدِيدُ فَتَى الحَدَّادِ يُورِدُهُ عَنِ ابْنِ نَافِعٍ حَبْرٍ مِنْ ذَوِي الفِطَنِ
يَرْوِي عَنِ ابْنِ طِحَالٍ عَنْ مَشَايِخِهِ فَاسْأَلْ بِمَا قَدْ رَوَى إِنْ كُنْتَ تُتْهِمُنِي
قَالُوا: أَتَى رَجُلانِ البَاقِرَ بْنَ عَلِي قَالا لَهُ: أَنْتَ أَهْلُ العِلْمِ وَاللَّسَنِ

أَلَسْتَ قُلْتَ بِأَنَّ الصِّنْوَ حَيْدَرَةٌ لَمْ يَرْضَ أَفْعَالَهُمْ سِرّاً بِلاَ عَلَنِ

[٤٤١]

عليُّ بنُ يحيىٰ بن الحسن /٢٥٤أ/ بن الحسين بن عليٍّ بن مُحَمَّد ـ وهو البَطريقُ[١] بن نصر بن حمدون بنَ ثَابت بنَ مالكَ بن ليث بن عامر بن غَنم بنَ فَهر بن دُلجَةَ بَن بشرٍ بنَ معاوِيَةَ بَن بدَر بنَ ثعلبَةَ بنَ حبالَ بنَ نصرَ بنَ سواء بنَ سعدَ بنَ مالك بنَ ثعلَبَةَ بَن دودانَ بن أَسدَ بن خزَيمةَ بنَ مُدركةَ بنَ الياسَ بنَ مضر بنَ نزار بن معَدٍّ بنَ عدنانَ، أبو الحَسن بنُ أبي زكريَا، الحِلِّيُّ الأَصل، الواسطيُّ المَنشأ[٢].

كان والده من فقهاء الشيعة وعلمائهم، عارفًا بمذاهبهم، وسيرد ذكره في حرف الياء من هذا الكتاب[٣]؛ وابنه هذا كان يترفع بنفسه من أن يمدح أحداً مجتديًا، ويذهب مذهب الكتاب، ويترامى إلىٰ النثر أكثر من النظم؛ ويدّعي علم الرياضي، ومعرفة النجوم، وكان من الشيعة المغالين في المذهب.

أنشدني الحسن بن علي الإربلي؛ قال: أنشدني أبو الحسن لنفسه من قصيدة:

[من البسيط]

أَفْدِيْهِ مِنْ بَدْرِ تَمٍّ لِلْوَرَىٰ فِتَنَا أَصْبَحْتُ أَعْبُدُ مِنْهُ فِيْ الْوَرَىٰ وَثَنَا

وَكُلَّمَا ازْدَدْتُ جَهْلاً فِيْ مَحَبَّتِهِ يَزِيْدُهُ اللهُ فِيْ عُدْوَانِهِ فِطَنَا

---

(١) محمد البطريق بن نصر بن حمدون بن ثابت الأسدي، مات سنة ٦٤١هـ، الكاتب الشاعر الشيعي، كان فاضلاً ذكيًا جيد النظم والنثر.
ترجمته في: البداية والنهاية ١٣/ ١٦٤.

(٢) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٢/ ٣٠٩ ـ ٣١١، وفيه: «علي بن يحيى بن بطريق، نجم الدين، أبو الحسن الحلّي الكاتب، كتب بالديار المصرية أيام الدولة الكاملية، ثم اختلت حاله، فعاد إلى العراق، ومات ببغداد سنة اثنتين وأربعين وستمائة، وكان فاضلاً أصوليًا». البداية والنهاية ١٣/ ١٦٤. المختار من تأريخ ابن الجزري ١٨٨. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٤١ ـ ٦٥٠) ص٨٩ رقم ٣٨. فوات الوفيات ٢/ ١٨٧ ـ ١٨٨. عقود الجمان للزركشي ٢٣٤أ.

(٣) ترجم له المؤلف بعنوان: (يحيى بن الحسن بن الحسين) في الجزء التاسع برقم ٩١٤.

وَكُلَّمَا سَرَّهُ حُزْنِي وَأَعْجَبَهُ ... سُرِرْتُ فَأَعْجَبْ لِمَسْرُورٍ إِذَا حَزِنَا
/ ٢٥٤ب/ وَإِنْ أَسَاءَ صَنِيعًا بِتُّ مُبْتَهِجًا ... بِمَا لَكَ حَسَنٌ لَا يَصْنَعُ الحَسَنَا
فَإِنْ سَمِعْتُمْ بِمَقْتُولٍ بَكَى فَرَحًا ... بِحُبِّ قَاتِلِهِ حُزْنًا فَذَاكَ أَنَا
يَا صَاحِبَيَّ وَمَا الشَّكْوَى بِنَافِعَةٍ ... لِمَنْ غَدَا قَلْبُهُ فِي الحُبِّ مُرْتَهَنَا
تَسَمَّعَا سِرَّ أَشْجَانِي وَلَا عَجَبٌ ... فِي الحُبِّ إِنْ صَارَ سِرُّ المُبْتَلَى عَلَنَا
كَتَمْتُ مَا بِي حَتَّى كَادَ يُتْلِفُنِي ... كِتْمَانُهُ وَيُبِيدُ الرُّوحَ وَالبَدَنَا
عَسَى يَرِقُّ كَمَا رَاقَتْ سَوَالِفُهُ ... حِبٌّ جَفَا قَسْوَةً أَيَّامَ لِنْتُ ضَنَى
فَوَالَّذِي فَلَقَ الإِصْبَاحَ مُقْتَدِراً ... مِنْ نُورِ غُرَّتِهِ حَتَّى أَضَاءَ لَنَا
وَاشْتَقَّ لِلَّيْلِ مِنْ مِسْكِيِّ طُرَّتِهِ ... لَوْنًا وَصَيَّرَهُ سُبْحَانَهُ سَكَنَا
وَصَيَّرَ الشَّمْسَ تِمْثَالاً لِطَلْعَتِهِ ... حَتَّى يَرَى حُسْنَهُ طَرْفٌ نَأَى وَدَنَا
مَا عِشْتُ لَا أَنْثَنِي عَنْهُ لِلَائِمَةٍ ... وَاللَّوْمُ عِنْدِي لِنَاءٍ عَنْ هَوَاهُ ثَنَى
حَتَّى يَقُولُوا مُحِبٌّ نَالَ بُغْيَتَهُ ... أَوْ عَاشِقٌ صَادِقٌ فِي لَحْدِهِ دُفِنَا

وأنشدني الأمير أبو الحسن علي بن علي بن شماس؛ قال: أنشدني أبو الحسن بن البطريق لنفسه يمدح الملك الظاهر غياث الدين غازي بن يوسف /٢٥٥أ/ ـ صاحب حلب ـ أول قصيدة: [من البسيط]

الشَّامُ دَارِيَ وَالأَشْجَانُ بَغْدَادُ ... فِي سِرِّ وَجْدِيَ فِي الأَحْيَانِ إِعْلَانُ
وَكُلُّ يَوْمٍ يُوَافِي مُؤْذِنٌ بِنَوًى ... كَأَنَّمَا هَذِهِ الأَيَّامُ غِرْبَانُ
يَا صَاحِبَيَّ قِفَا ثُمَّ اسْمَعَا خَبَراً ... مِنْ مُسْتَهَامٍ لَهُ عِنْدَ الحِمَى شَانُ
يَهُزُّهُ الشَّوْقُ وَالتَّذْكَارُ يُطْرِبُهُ ... كَأَنَّهُ مِنْ مُدَامِ الوَجْدِ نَشْوَانُ
كَانَتْ لَهُ مِنْ جَلَابِيبِ الصِّبَا عُدَدٌ ... وَمِنْ قُلُوبِ الحِسَانِ البِيضِ أَعْوَانُ
إِذَا دَعَا اللَّهْوَ نَادَتْهُ عَلَى عَجَلٍ ... لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ أَتْرَابٌ وَأَقْرَانُ!
نَارُ القِرَى عِنْدَهُ بِشْرٌ وَمِنْ كَرَمٍ ... حَدِيثُهُ وَبَنُو الآدَابِ ضِيفَانُ
لَا يُسْرَجُ الهَمُّ فِي أَرْجَاءِ مَنْزِلِهِ ... كَأَنَّ مَنْزِلَهُ فِي الحُسْنِ بُسْتَانُ
مُكَمَّلُ الوَصْفِ كَالفِرْدَوْسِ مِنْ دَهَرٍ ... بِكُلِّ شَيْءٍ شَهِيٍّ وَهْوَ رِضْوَانُ
رَاقَتْ خَلَائِقُهُ لِلَائِذِينَ بِهِ ... كَأَنَّهُ مِنْ سُلَافٍ وَهْوَ إِنْسَانُ
لِبَاسُهُ ثَوْبُ زَهْوٍ لَيْسَ يَخْلَعُهُ ... وَمِنْ لِبَاسِ الخَنَا وَاللُّؤْمِ عُرْيَانُ

يَهْوَىٰ الهَوَىٰ وَالتَّصَابِي دِيْنُهُ وَلَهُ ... إِلَىٰ الحِسَّانِ عَلَىٰ الحَالَيْنِ إِحْسَانُ
كَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِالمِسْكِ طِيْنَتُهُ ... فَمَا يَعِنُّ لَهُ مَا عَاشَ سُلْوَانُ
يَظُنُّ مِنْ حُسْنِ ظَنٍّ فِي تَوَرُّدِهِ ... أَنَّ الضَّلَالَ جَفَا وَالْكُفْرَ هِجْرَانُ
/ ٢٥٥ب/ حَتَّىٰ رَمَىٰ الدَّهْرُ شَمْلاً كَانَ يَأْلَفُهُ ... بِالبَيْنِ وَالبَيْنُ لِلْعُشَّاقِ نِيْرَانُ
فَبَاتَ يَجْرَعُ مِنْ كَأْسِ النَّوَىٰ غُصَصًا ... كَأَنَّما لَذْعُهَا فِي القَلْبِ خِرْصَانُ
والدهر يَخْصِمُهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ... وَكُلُّ إِخْوَانِهِ جَافٍ وَخَوَّانُ
جُرْحُ الزَّمَانِ لَهُ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ ... كَأَنَّهُ لِسُيُوفِ الضَّيْمِ أَجْفَانُ
وَشَرُّ مَا فَعَلَ الدَّهْرُ الخَؤُونُ بِهِ ... خُمُولُهُ وَغِيَاثُ الدِّيْنِ سُلْطَانُ

[٤٤٢]

عليُّ بنُ أحمدَ بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد زينُ الدينِ، أبو الحسنِ الكاتبُ المَوصليُّ الشيبَانيُّ[١].

كتب الإنشاء بالموصل لأتابك نور الدين أبي الحارث أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي ـ رضي الله عنه ـ وبعده لولده الملك القاهر عزّ الدين مسعود ـ رحمه الله تعالىٰ ـ.

قرأ العربية والأدب علىٰ الشيخ أبي الحرم مكي بن ريان الماكسي، وسمع الحديث علىٰ الخطيب أبي الفضل عبد الله بن أحمد الطوسي.

وكان حافظًا لكتاب الله تعالىٰ، ولم يكن في وقته مثله في البلاغة والكتابة وسرعة الترسل / ٢٥٦أ/ وحسن الخط.

وكان عاقلاً رزينًا وجيهًا مقبولاً، وكان ينشىء الكتاب من خاطره بديهة، من غير أن يخلد فيه إلى التروّي والانفراد، غير محتفل بكلامه، ويكره أن يذاع عنه شيء من إنشائه لقلّة اهتمامه به.

كانت ولادته بُعيد الستين والخمسمائة، ومات يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة

(١) في هامش الأصل: «زين الدين». وهو من أسرة «آل الأثير» المشهورة في الموصل.

بقيت من رمضان بالموصل سنة ثلاث وعشرين وستمائة.

ومن شعره في أتابك نور الدين أرسلان شاه بن مسعود، وكان علىٰ ناحية كفر زمار من أعمال الموصل، سنة وفاة سنجرشاه غازي بن مودود ـ صاحب الجزيرة ـ وهي سنة خمس وستمائة، وكان السفير في إيصالها الملك الرحيم بدر الدين أبو الفضائل ـ أنفذ الله أمره ـ وهو مشدود إليه في الفتوة، وقد اتفق في تلك السنة برد شديد، وهي منقولة من خط يده:

[من المتقارب]

أَيَــا مَلِــكَ الأَرْضِ يَــا ذَا النَّــوَالِ ... وَمَــنْ صَــوْبُ رَاحَتِــهِ صَــائِــبُ
وَمَــنْ ظِلُّــهُ لِلْــوَرَى شَــامِــلٌ ... وَمَــنْ عَــزْمُــهُ فِــي الْــوَغَــىٰ ثَــاقِــبُ
وَمَــنْ جُــودُهُ أَبَــداً سَــائِــرٌ ... وَمَــنْ جَــدُّهُ لِلْعُــلاَ غَــالِــبُ
/ ٢٥٦ب/ وَمَــنْ بَــابُــهُ كَعْبَــةٌ لِلْعُفَــاةِ ... يَطُــوفُ بِــأَرْكَــانِهَــا الــرَّاغِــبُ
وَمَــنْ هُــوَ فِــي كُــلِّ أَوْقَــاتِــهِ ... وَهُــوبٌ إِذَا مَنَــعَ الــوَاهِــبُ
وَمَــنْ لاَ يُــرَىٰ فِــي جَمِيــعِ الأَنَــامِ ... مِــنْ فَضْلِــهِ أَبَــداً خَــائِــبُ
وَمَــنْ هُــوَ رمَــاحٌ لِلْمَكْــرُمَــاتِ ... وَيَهْتَــزُّ إِنْ أَمَّــهُ طَــالِــبُ
وَمَــنْ يَكْشِــفُ الضُّــرَّ مِــنْ مُشْتَكِيْــهِ ... إِذَا حَــزَبَ المُشْتَكِــي حَــازِبُ
جَــوَادٌ إِذَا مَــا الأَكُــفُّ انْقَبَضْــنَ ... وَأَخْلَــفَ نَــوْءُ النَّــدَىٰ السَّــاكِــبُ
وَبَحْــرٌ عَلَــىٰ كَــرَّةِ الــوَارِدِيْــنَ ... لَهُــمْ لَيْــسَ يَنْقُصُــهُ شَــارِبُ
أَمَــوْلاَيَ أَشْكُــو إِلَيْــكَ الــزَّمَــانَ ... فَقَــدْ مَسَّنِــي بَــرْدُهُ النَّــاصِــبُ
زَمَــانِــيَ مِــنْ قُــرِّهِ قَــارِسٌ ... وَمِــنْ رِيْــحِ بَلَّتِــهِ حَــاصِــبُ
وَجَــاءَ بِثَلْــجٍ غَــدَا مَفْــرِقُ الثَّــرَىٰ ... وَهْــوَ مِــنْ لَــوْنِــهِ شَــائِــبُ
أَظَــلُّ نَهَــارِيَ ذَا رَعْــدَةٍ ... كَمَــنْ مَسَّــهُ نَــافِــضٌ صَــالِــبُ
فَحِسِّــي بِجَــامِــدِهِ جَــامِــدٌ ... وَجِسْمِــي لِــذَائِبِــهِ ذَائِــبُ
وَدِجْلَــةُ يَجْــرِي هَــوَاهَــا الشَّــرِيْــفُ ... إِلَــيَّ فَلَــوْنِــي لَــهُ شَــاحِــبُ
وَشَمْــسُ النَّهَــارِ لِنَسْــجِ الضَّــرِيْــبِ ... لَــمْ يَبْــدُ مِــنْ وَجْهِهَــا حَــاجِــبُ
وَلَــمْ أَكُ ذَا سَفَــرٍ فِــي الشِّتَــاءِ ... وَلَكِــنْ أَتَــىٰ أَمْــرُكَ الــوَاجِــبُ
/ ٢٥٧أ/ وَلَمَّــا عَجَــزْتُ احْتِمَــالاً لِمَــا ... أُعَــانِيْــهِ وَانْقَطَــعَ الغَــارِبُ
لَجَــأْتُ إِلَــىٰ مَــنْ يُجِيْــبُ النِّــدَاءَ ... إِذَا مَــا اسْتَغَــاثَ بِــهِ الصَّــاحِــبُ

فَجُدْ لِي يَا مَنْ عَطَايَاهُ لاَ ... يَقُومُ بِأَيْسَرِهَا حَاسِبُ
يَفِرُّ وَيُقْبِلُ .... الزَّمْهَرِيرِ ... فَإِنِّي إِلَى مِثْلِهِ رَاغِبُ
وَإِلاَّ أَحِلْنِي عَلَى مَنْ لَهُ ... عَلَيَّ يَدٌ شُكْرُهَا وَاجِبُ
..... فَتَاكَ وَنِعْمَ الفَتَى ... الكَرِيمُ لِشُكْرِ الوَرَى كَاسِبُ
بِهِ الدَّوْلَةُ اكْتَسَبَتْ رَوْنَقًا ... وَعَادَ بِهِ نُورُهَا الغَائِبُ
وَعَمَّ بِإِحْسَانِهِ فَالْقُلُوبُ ... لَهُ نَحْوَ طَاعَتِهِ جَاذِبُ
لَقَدْ شِمْتَ مِنْهُ الحُسَامَ الَّذِي ... شَبَاهُ لِهَامِ العِدَا ضَارِبُ
وَقَدَّمْتَ مِنْهُ فَتًى كَامِلاً ... سَجَايَاهُ لَيْسَ لَهَا عَائِبُ
حِجَاهُ يَبُذُّ عُقُولَ الكُهُولِ ... وَيَسْبِقُهَا فَمُهُ الثَّاقِبُ
وَكُنْتَ عَلَى الرَّأْيِ فِيمَا دَخَلْتَ ... فَيَا حَبَّذَا رَأْيُكَ الصَّائِبُ
حَبَانِي بِدَهْمَاءَ تَسْمُو الجِيَادَ ... إِذَا مَا امْتَطَى ظَهْرَهَا الرَّاكِبُ
وَأَخْجَلَنِي فَرْطُ إِحْسَانِهِ ... فَشُكْرِي لَهُ أَبَداً رَاتِبُ
وَلَكِنَّهُ فِي فَعَالِ الجَمِيلِ ... عَلَى نَهْجِ مَالِكِهِ ذَاهِبُ
/٢٥٧ب/ فَإِنْ جُدْتُمَا لِيَ سَرِيعًا بِهَا ... وَإِلاَّ فَقَدْ هَلَكَ الكَاتِبُ
فَبَيْنَكُمَا لاَ يَخِيبُ الرَّجَاءُ ... وَلاَ يُحْرَمُ الأَمَلَ الرَّاغِبُ
فَلاَ زِلْتُمَا مَا أَهَلَّ الهِلاَلُ ... وَمَا فَاهَ فِي مَجْمَعٍ خَاطِبُ

وأنشدني أبو إسحق إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمّد الموصلي؛ قال: أنشدني عمي لنفسه هذه الأبيات، قالها ارتجالاً في داره التي بناها متجدِّدةً، وأمر أن تكتب فيها: [من البسيط]

يَا دَارُ قَابَلَكِ الإِقْبَالُ مُتَّصِلاً ... بِالسَّعْدِ وَاليُمْنِ وَالتَّأْيِيدِ وَالظَفَرِ
وَوَاجَهَتْكِ وُجُوهُ العِزِّ مُسْفِرَةً ... فِي نِعْمَةٍ وَسُرُورٍ مُونِقِ الزَّهَرِ
وَلاَ عَدَا الخَيْرُ مَغْنَاكِ الأَنِيسَ وَلاَ ... زَالَتْ رُبُوعُكِ فِي أَمْنٍ مِنَ الغِيَرِ
وَدَامَ رَبْعُكِ مَعْمُوراً بِسَاكِنِهِ ... فِي ظِلِّ عَيْشٍ رَغِيدٍ نَاعِمٍ نَضِرِ
مَا غَرَّدَتْ فِي ذُرَى الأَغْصَانِ سَاجِعَةٌ ... وَمَا اسْتَمَرَّ طُلُوعُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ

ومن كلامه المنثور، فأنني رأيت منه رسالتين، ولم يدون له شيء لقلّة اهتمامه، فالتقطت شيئًا يسيراً.

/ ٢٥٨أ/ حدثني المولىٰ الأمير الكبير العالم ركن الدين أبو شجاع أحمد بن قرطابا ـ أدام الله علوه ـ قال: لمّا كنت بالموصل مقيمًا؛ كتبت إلىٰ الأجل شمس الدين أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلي الكَاتب، وكان بيننا صحبة متأكدة، وهو يومئذ يتولىٰ الكتابة الإنشائية في أيام الملك القاهر عز الدين مسعود بن أرسلان شاه ـ رحمه الله تعالىٰ ـ ألتمسُ منه مَا تيسر من ترسله.

وكان ـ رحمه الله ـ لا يثبت شيئًا من كلامه ولا يدونه، لاحتقاره عنده، وقلّة مبالاته به؛ فكتب إلي رقعة يعتذر فيها بقلّة اكتراثه بهذا الشأن، من ذلك قوله من فصل:

«أدام الله علىٰ الأولياء فيض نعمه، وأمدّهم بسيب جوده وكرمه، ومتعهم بالإنعام من يده وقلمه، ووفقهم لما يصرف فيه من خدمه».

/ ٢٥٨ب/ ومنها:

«وليس كلام المملوك مما يُدوّنُ ويسطر، ولا مما يُعدّ ويذكر، لارتجاله من غير رويّة، لسرعة المهام السلطانية، فصار ذلك عادةً معروفة، وسنّة مألوفة، فمتىٰ أبطأ ولو بقدر فَوَاق، أسرع إليه اللوم والازهاق، وإذا وجد المولىٰ الدُرّ فلا حاجة إلىٰ الصدَف. وكلامَ الفاضل ـ رحمه الله ـ يَشهد بفضله كل من عرف، وبَه ختم هذا العلم فلا يرىٰ له خلف».

قال: ثم سيّر إلي مجلدة من رسائل القاضي الفاضل ـ رحمه الله ـ.

وله من كتاب، كتبه إلىٰ بدر الدين لؤلؤ، وهو يومئذ يحاصر قلعة الشوش؛ وكان قد ترك الخدمة البدرية، وانقطعَ في منزله، يستأذن فيه إلىٰ الحج، ويعرض فيها بنوع من النعت وهو ومنه:

«وهو ذاك المملوك الصادق أن ذكر أوسى، والمخلص في في الولاء إن أحسن إليه أو أسا، وحاشا مولانا من الإساءة وطبعه الإحسان، ولكن عَادة المماليك في الخطأ والنسيان، طمعًا في الحلم الذي لَيس له فيه ثان، وهكذا الناس مرزوق ومحروم».

/ ٢٥٩أ/ وله جواب رقعة وردت إليه من بعض أصدقائه:

«وقف علىٰ هذه المشرفة الكريمة، بعد أن قبلها ألفًا لا عشراً، ونثر عليها ثناءً لا تبراً، وقابل ما ضمنته من الإنعام بالدعاء، وما حوته من الإيعار بالاحتذاء، وأما ما ذكره في معنىٰ الكَتابة، فأي كتابة تُرضيه، وأي عَبارة تُزف إلىٰ ناديه، وهل البلاغة إلاَّ معنى من معانيه».

[٤٤٣]

عليُّ بنُ ايْبكَ بنِ عبدِ الله، أبو الحسن التُركيُّ الأسديُّ.

كان والده يعرف بالجاولي الكبير، وكان مولىٰ أسد الدين ابي الحارث شيركوه بن شاذي ـ صاحب حمص ـ.

وأبو الحسن كان مولده مصر وبها كان منشأه؛ وكان أثيراً مقدمًا في خدمة الملك العادل سيف الدين بن أبي بكر محمد بن أيوب بن شاذي ـ رضي الله عنه ـ وبعده خدم لولده الملك الكامل ناصر الدين بن أبي المعالي محمد.

ثم فارق خدمته، وخدم مع الملك المنصور ابي المعالي محمد بن عمر بن شاهنشاه ـ صاحب حماة ـ ثم سافر في النجدة / ٢٥٩ب/ إلىٰ دمياط، فاجتمع بالملك المُعظّم شرف الدين عيسىٰ بن العادل، فاستماله بعد امتحانه ومُنَادمته له؛ فوعده الرحلة إليه، فلما عاد كل منهما إلىٰ دمشق، خرج من حماة مهاجراً إلىٰ الملك المُعظّم مستخفيًا منَ الملك المنصور بعد ن قَدّم حريمه أمامه، وخرج في جملة مَماليكه وحاشيته. وبلغ الملك المنصور خروجه فسيَّر وراءه جيشًا عظيمًا في مقدمته البراطسة، وراموا ردّه فما استطاعوا، وأعادهم إلىٰ حماة منكسرين.

وقدم دمشق واتصل بمليكها الملك المعظم، ونال عنده المنزلة الرفيعة، والمقام الأسنىٰ، ولم يزل في خدمته إلىٰ أن توفي سنة تسع عشرة وستمائة.

وكان ذا شجاعة وفروسية، مقدامً شهمًا فصيحًا شاعراً جواد البنان، جريء الجَنان، مليح الخطّ، جيد المنظوم، حسن المنثور، عارفًا بدقائق الأمور، حسن المحاضرة، لذيذ المحاورة.

أنشدني الحسن بن محمد بن علي بن الحسين الحسيني العُبيدلي؛ قال: أنشدني الأمير أبو الحسن لنفسه: [من الكامل]

أَمَلَكْـتَ رِقِّـي أَمْ عَلَيْـكَ ضَمَـانِـي ... دَعْ شَـأْنَ مَـنْ سَلَـبَ الـرُّقَـادَ وَشَـانِـي
أَوَ مَـا عَلِمْـتَ بِـأَنَّنِـي لِعَـوَاذِلِـي ... فِـي حُبِّـهِ إِذْ عَنَّفُـونِـي شَـانِـي
/ ٢٦٠أ/ أَنَـا فِـيَّ بِحَـارِ دَلَالِـهِ وَمَـلَالِـهِ ... ظَهَـرَتْ عَلَـيَّ مِـنَ الغَـرَامِ شَوَانِـي
وَلَقَـدْ رَجَـوْتُ بِـأَنْ يُبَـرِّدَ وَصْلُـهُ ... نَـاراً بِقَلْبِـيْ مِـنْ جَـوًى فَشَـوَانِـي
رَشَـأٌ تَلَفَّـتَ عَـنْ وِصَـالِـيْ مُعْـرِضـاً ... تِيْهـاً وَعَـادَ عَلَـىٰ تَـلَافِـيَ جَـانِـي
شَيْئَـانِ فِيْـهِ تَجَمَّعَـا وَتَبَـايَنَـا ... جَسَـدٌ كَمَـاءٍ ضُـمَّ مَعْـدِنَ جَـانِ
قَسَمـاً بِفَـاءِ فُتُـوْرِ مُقْلَتِـهِ الَّتِـيْ ... سَلَبَـتْ لَـذِيْـذَ الغُمْـضِ مُنْـذُ جَفَـانِـيَ
وَبِعَيْـنِ عَقْـرَبِ صُـدْغِـهِ وَعِـذَارِهِ ... إِذْ خُـطَّ لَا مَـا فَـوْقَ أَحْمَـرَ قَـانِ
وَبِخَـالِ خَـدٍّ خَـدَّ قَلْبِـيَ حُسْنُـهُ ... وَبِثَـاءِ ثَغْـرٍ أَشْنَـبٍ كَجُمَـانَ
وَبِجِيْـدِ جِيْـدِ جِدَانِـهِ هُـوَ جِيْـدُهُ ... لَا جِيْـدَ عُفْـرٍ جَـوَارِيَ الغِـزْلَانَ
لَـمْ أَحْـذِفِ السُّلْـوَانَ كُنْـهَ خَـوَاطِـرِي ... وَلَئِـنْ خَتَـتْ لَقِيْـتُ جَـوْرَ زَمَـانِـيَ

وأنشدني؛ قال: أنشدني أبو الحسن لنفسه: [من الطويل]

خَلِيْلَـيَّ مَـا شَـانُ الـوُشَـاةِ وَشَـانِـيْ ... وَقَـدْ أَقْرَحَـتْ سُحْـبُ المَـدَامِـعِ شَـانِـي
أَلَـمْ تَـرَيَـانِـي مِـنْ ضَنًـى وَصَبَـابَـةٍ ... إِذَا رُمْتُمَـا مَـرْآيَ لَـمْ تَـرَيَـانِـي
خُـذَا بِـدَمِـي رِيْمـاً بِسَهْمَـيْ لَـوَاحِـظٍ ... رَنَـتْ عَـنْ قِسِـيِّ الحَـاجِبَيْـنِ رَمَـانِـي
لَـهُ قَـامَـةٌ كَـالـرُّمْـحِ فِـيْ يَـدِ نَـابِـلٍ ... لَهَـا طَـرْفُـهُ الـوَسْنَـانُ حَـدُّ سِنَـانِ
عَـلَا نَـارَ خَـدَّيْـهِ دُخَـانُ عِـذَارِهِ ... وَلَسْـتَ تَـرَىٰ نَـاراً بِغَيْـرِ دُخَـانِ
/ ٢٦٠ب/ لَقَـدْ فَتَكَـتْ فِـيْ النَّـاسِ شَـامَـةُ خَـدِّهِ ... بِكُـلِّ شَـآمِـيٍّ وَكُـلِّ يَمَـانِـي
جَفَـا إِذْ جَفَـا جَفْنَـيَّ نَـوْمِـي وَقَلْبِـيَ الهُـدُوُّ وَصَبْـرِيَ كَـالسُّلُـوِّ عَصَـانِـي
وَمُعْتَـدِلٍ جَـارَ عَلَـىٰ الجَـوْرِ كُلَّمَـا ... تَثَنَّـىٰ وَرُمْـتُ الصَّبْـرَ عَنْـهُ ثَنَـانِـي

ومنها قوله:

فَلِلَّـهِ وَصْـلٌ لَـذَّ طِيْبـاً كَـأَنَّـهُ ... خَيَـالٌ سَـرَىٰ أَوْ خَـاطِـرَاتُ أَمَـانِـي
وَلَيْلَـةِ وَصْـلٍ بَـاتَ مُظْلِمُهَـا ضُحًـى ... بِقُـرْبِ حَبِيْـبٍ بِـالـوِصَـالِ حَبَـانِـي
ضَمَمْـتُ وَقَـدْ عَـانَقْتُـهُ الغُصْـنَ يَـانِعـاً ... وَقَبَّلْـتُ وَرْدَ الآسِ وَرْدَ جِنَـانِ
وَبِتْنَـا عَلَـىٰ رُغْـمِ الحَسُـودِ يَضُمُّنَـا ... عَفَـافٌ وَشَـوْقٌ لَيْـسَ يَفْتَـرِقَـانِ
أُقَبِّـلُ مِنْـهُ الثَّغْـرَ أَبْيَـضَ نَـاصِعـاً ... وَأُجْـرِيْ عَلَـىٰ خَـدَّيَّ أَحْمَـرَ قَـانِـي

وَلَمْ يَكُ إِلاَّ خِيفَةً مِنْ فِرَاقِهِ فَإِنَّ اللَّيَالِيْ جَمَّةُ الحَدَثَانِ

وقال وقد حضر مجلس الملك المعظم شرف الدين عيسىٰ بن صاحب دمشق؛ وغنّىٰ المغني:

أَصْلُ تَلاَفِيْ مِنْ تَلاَفِيكُمُ

وأشار الملك المعظم إلىٰ أبي الحسن أن يعمل / ٢٦١أ/ علىٰ وزنه ورويّه؛ فقال ارتجالاً: [من السريع]

أَصْلُ بَلاَئِيْ مِنْ تَنَائِيكُمُ وَكُلُّ وَجْدِي مِنْ تَجَافِيكُمُ
فَعَلِّمُونِي كَيْفَ أَسْلُو الهَوَىٰ أَمْ كَيْفَ أَدْرِيْ إِذْ أُدَارِيكُمُ
ضَاعَ فُؤَادِيْ بَيْنَ أَظْعَانِكُمْ لَمَّا حَدَا لِلْعِيْسِ حَادِيكُمُ
وَعُدْتُ لاَ أَعْرِفُ طَعْمَ الكَرَىٰ لِلْنَّاسِ أُدْعَىٰ وَأُرَاعِيكُمُ
يَا سَادَتِي عُودُوا عَلَىٰ مُذْنِفٍ فِيْ طُوْلِ ذَا اللَّيْلِ يُنَادِيكُمُ
هَجَرْتُمُوهُ بَعْدَ وَصْلٍ فَكَانَ العُرْسُ مِنْكُمْ وَالعَزَا فِيْكُمْ
وَلَمْ يَكُنْ هَجْرُكُمُ هَكَذَا إِلاَّ بِأَقْوَالِ أَدَانِيكُمُ
فَالآنَ قَدْ عُدْتُ بِكُمْ مُنْشِداً أَصْلُ تَلاَفِيْ فِي تَلاَفِيكُم
وَأَيْنَمَا كُنْتُمْ فَلِيْ عِنْدَكُمْ قَلْبٌ طَرِيْحٌ بَيْنَ أَيْدِيكُم
فَعَذِّبُوهُ وَأَنْعِمُوهُ فَقَدْ أَصْبَحَ يَهْوَاكُم وَيَأْوِيكُم

[٤٤٤]

عليُّ بنُ مُحَمَّدِ بنِ محمودِ بنِ . . . .، أبو الحسنِ الكوفيُّ المخزوميُّ.

ويعرف بالكوفة بابن حبانة، المقيم برأس عين صاحب الديوان؛ بها خدم الملك / ٢٦١ب/ الأشرف موسىٰ بن الملك العادل أبي بكر.

وهو شاعر ذو أخلاق دمثة، وغريزة في النظم منبعثة، لذيذ المحاضرة، طيب المعاشرة؛ وقدم ماردين رسولاً، فأخذه وحبسه، فبقي بالحبس مدّة، وتوفي مُعتقلاً في أواخر سنة تسع وثلاثين وستمائة.

ومن شعره وقد أضافه أبو الحسن علي بن عدلان الموصلي النحوي، وأوقد بين يديه شمعة فداعبه علي بن محمد بن محمود، فأطفأها علي بن عدلان، ثم أشعلها علي بن محمد من غير حضوره؛ فلما رآها ابن عدلان قال علىٰ طريق الانبساط لعليّ بن محمد ولأبي بكر بن أبي النجم الجزري الشاعر: ما تستاهلان أن يوقد عليكما إلا مشعل فارتجل علي بن محمد، وأنشد بديهة: [من البسيط]

دَاعَبْتُ وَهْنًا فَتَىٰ عَدْلَانَ مُعْتَمِداً ... إِيْقَادَ شَمْعَتِهِ لمَّا دَجَا الغَسَقُ
فَاصْفَرَّ ثُمَّ انْثَنَىٰ بِالغَيْظِ مُشْتَعِلاً ... وَأَقْبَلَ الدَّمْعُ مِنْ عَيْنَيْهِ يَسْتَبِقُ
نَحَلْتُهُ شَمْعَةً أُخْرَىٰ فَأَقْسَمَ لَوْ ... لَمْ أُبلِّغها كِدْتُ بِالأَنْفَاسِ أَحْتَرِقُ

وله وقد وصل إلىٰ الملك الرحيم بدر الدين عضد الإسلام أبي الفضائل / ٢٦٢أ/ غرس أمير المؤمنين ـ خلد الله ملكه ـ خلعةٌ صفراءُ من السلطان الملك الأشرف وذكر إنها كانت قبل ذلك علىٰ السلطان الملك الكامل ناصر الدين أبي المعالي محمد، وذلك عقيب فتح دمياط، واتفق بالقرب من ذلك وفاة الملك الصالح أبي الفتح محمود ابن محمد ـ صاحب آمد ـ فقال بديهة: [من الطويل]

أَطَاعَكَ مَا تَحْتَ المَجَرَّةِ صَاغِراً ... وَدَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَهَانَتْ صِعَابُهَا
ووَافَتْكَ أَثْوَابُ الجِهَادِ غُبَارُهَا ... شِفَاءٌ وَذُخْرٌ فِي المَعَادِ ثَوَابُهَا
حيًا أَشْرَفِيًّا كَامِلِيًّا وَفَتْ بِهِ ... مَوَدَّاتُ صِدْقٍ لا يُخَافُ انْقِضَابُهَا
كَسَتْ أَوْجُهَ الحُسَّادِ صُفْرَةَ لَوْنِهَا ... وَأَبْعَدَهُمْ بِالسُّحْقِ عَنْكَ اقْتِرَابُهَا
لَوَىٰ فَتْحُ دِمْيَاطَ الأَعَادِيْ فَبَعْضُهَا ... قَضَىٰ نَحْبَهُ وَالبَعْضُ ذَلَّتْ رِقَابُهَا

وله من أبيات يهجو بها آبن صباح الشاعر: [من البسيط]

وَالأَخْرَقُ آبْنُ صَبَاحٍ إِنْ تَعَرَّضَ لِي ... فَإِنَّمَا قَاتَلَاهُ العِيُّ وَالحُمُقُ
مِثْلَ الفَرَاشَةِ تُلْقِيْهَا جَهَالَتُهَا ... إِلَىٰ السِّرَاجِ لِتُطْفِيَهُ فَتَحْتَرِقُ

وأنشدني أبو محمد عبد الرزاق / ٢٦٢ب/ ابن رزق الله الرسعنيّ المحدث؛ قال: أنشدني أبو الحسن الكوفي لنفسه، في إنسان كان له يقطينة مزوّقة فسُرقت منه، وكان يلقب بالرضيّ: [من الخفيف]

صُفِعَتْ قَرْعَةُ الرَّضِيِّ فَأَضْحَىٰ ... ذَا غَرَامٍ لِفَقْدِهَا وَحَنِيْنِ

وَمُشِقٌّ فَقْدُ الشَّقِيقِ فَقُومُوا لِنُعَزِّي اليَقْطِينَ بِاليَقْطِينِ

وأنشدني؛ قال: أنشدني في إنسان يُعرف بابن كرَوَّس، كان يخدم مع أمير يقال له سنجر، فبعثه ليقبض دخله من الغلات، فأنفق ذلك على مغنية تعرف بسنبلة:

[من مجزوء الرجز]

إنَّ فَتًى كَرَوَّس حَبَّ الفَتَاةَ بَلْبَلَهْ
وَيَدَّعِي الفَهْمَ وَمَا لَدَيْهِ فَهْمٌ بَلْ بَلَهْ
بَاعَ غِلَالَ سنْجرٍ جميعَهَا بسنْبُلَهْ

وأنشدني غازي بن محمود الإربلي؛ قال: أنشدني أبو الحسن علي بن محمد الكوفي /٢٦٣أ/ لنفسه من أبيات: [من البسيط]

رَقَّ النَّسِيمُ وَوَجْهُ الصُّبْحِ مُسْتَتِرُ فَسَقِّنِي وَالدُّجَى قَدْ كَادَ يَنْحَسِرُ
وَالجَوُّ أَرْقَطُ وَالأَفْلَاكُ مُسْفِرَةٌ وَالبَدْرُ فِي الأَسْرِ لِلإِشْرَاقِ يَنْتَظِرُ
كَأَنَّهُ دَيْدَبَانُ الجَيْشِ وَالشُّهُبُ الفُرْسَانُ مُنْجَدِلٌ هَذَا وَمُنْعَفِرُ
أَوْ رَوْضَةٌ غَضَّةُ الأَزْهَارِ قَابَلَهَا زَهْرُ الرُّبَى فَكِلَاهَا أَنْجُمٌ زُهُرُ
فَاتْرعْ قَنَانِيكَ وَالكَاسَاتِ وَأَمْلِ وَخُذْ عُمْراً فَإِنِّي أَخْشَى يَنْفَدَ العُمُرُ
أَمَا تَرَى الدَّوْحَ قَدْ غَنَّتْ بَلَابِلُهُ كَأَنَّمَا كُلُّ غُصْنٍ فَوْقَهُ وَتَرُ

ومنها يقول:

فَسَقِّنِي مِنْ يَدَيْ شَادٍ مُعَتَّقَةً تَكَادُ مِنْ رِيقِهِ فِي الكَأْسِ تَنْعَصِرُ
مُقَرْطَقٌ يَبْتَدِي بَدْراً عَلَى غُصُنٍ وَيَنْثَنِي سَمْهَرِيّاً فَوْقَهُ قَمَرُ
إِذَا انْثَنَى فَقَنَاهُ القَدِّ مُشْرَعَةٌ وَإِنْ دَنَا فَحُسَامُ اللَّحْظِ مُشْتَهِرُ
يَسْعَى إِلَيَّ بِكَاسَاتٍ إِذَا لُثِمَتْ وَثَغْرُهُ هَانَ أَلَّا يُلْثَمَ الحَجَرُ

وأنشدني؛ **قال:** أنشدني لنفسه: [من الكامل]

كَمْ لِي بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى مِنْ مَوْقِفٍ أُذْرِي المَدَامِعَ فِيهِ كَالمُتَأَسِّفِ
وَأَهُزُّ أَعْطَافَ الغَرَامِ تَثَنِّيَاً فَكَأَنَّنِي ثَمِلٌ بِخَمْرَةِ قَرْقَفِ
/٢٦٣ب/ وَيَهُزُّنِي طَرَبٌ إِلَى غِيدِ القَنَا مِنْ كُلِّ عَسَّالِ القَوَامِ مُهَفْهَفُ

حدثني القاضي أبو القاسم عمر بن أحمد بن أبي جرادة بحلب ـ أيده الله ـ قال

أبو الحسن علي بن محمد بن محمود البغدادي الشاعر؛ نزيل رأس عين، شاعر مجيد فاضل حسن المذاكرة.

أخبرني أنه قدم حلب مراراً، واجتمعت به بسنجار في سنة أربع وعشرين وستمائة، وكان في أوتل مرّة قريبًا من الملك الأشرف، وكان ينفذه في رسائل، ولما اجتمعت به كانت أحواله قد تناقضت عنده؛ فمما أنشدني لنفسه، وذكر أنه أقترح عليه أن يعمل في وصف الحماحم بالموصل، فسألهم في أي وزن يريدون. وكان في وليمة؛ فقالوا: في الوزن الذي يغني به المغني؛ فقال: فغنىٰ المغني أبياتًا منه:

باكر صبوحك يا نديمي ....
وَمُهَفْهَف فِي وَجْهِه جَيْشَان مِنْ زَنْجٍ وَرُوْمِ

فقال: [من مجزوء الكامل]

بَاكِرْ صَبُوْحَكَ يَا نَدِيْمِي وَرُمِ الحَيَاةَ بكَفِّ رِيْمِ
فِي مَجْلِس خَضِل النَّبَا تِ يَرِقُّ مِنْ مَاءِ النَّعِيْمِ
/ ٢٦٤أ/ حَلَبُ الكُرُوْم غذَاءُ ذَاكَ النَّبْتِ لَا حَلَبُ الغُيُومِ
وَحَمَاحِمٌ كَأَسِنَّة فِي كُلِّ مُعْتَدِل قَوِيْمِ
طَعَنَتْ قُلُوْبَ وُشَاتِنَا فَتَخَضَّبَتْ بِدَمِ الهُمُوْمِ
أَوْ أَنْجُمٌ بَزَغَتْ لتُحْرِقَ كُلَّ شَيْطَانٍ رَجِيْمِ
أَوْ مِثْلُ أَعْرَافِ الدّيُوْكِ لَدَىٰ مُبَارَزَةِ الخُصُوْمِ
أَوْ كَالشَّقِيْقِ تَحَرَّشَتْ بِفُرُوْعِهِ أَيْدِي النَّسِيْمِ
أَوْ ثَاكِلٌ صَبَغَتْ بَنَانًا مِنْ دَمِ الخَدِّ اللَّطِيْمِ
وَسُقَاتُنَا كَأَهِلَّة حَمَلَتْ شُمُوْسًا فِي نُجُومِ
مِنْ كُلِّ ذِي دَلٍّ رَخِيْمٍ غَيْرِ ذِي قَلْبٍ رَحِيْمِ
طَفْلٌ يَجُوْرُ عَلَىٰ النَّدَامَىٰ جَوْرَ مُحْتَنِكٍ عَلِيْمِ[1]
فَرَآهُمُ صَرْعَىٰ الكُؤُوْسِ بِكَفِّ لُقْمَانَ الحَكِيْمِ
فِيهِ نَضِلُّ وَنَهْتَدِي بِالفَرْعِ وَالوَجْهِ الوَسِيْمِ

---

(١) طفل: رخص ناعم.

والله يَهْديْ مَنْ يَشَاءُ إلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيْمٍ

قال: وأنشدني لنفسه في المروحة: [من الطويل]

/ ٢٦٤ب/ وَذَات جَنَاح خَافِق وَهْيَ تَنْتَمِيْ ... إلَىٰ حَسَبٍ زَاكِيْ الفُرُوْعِ أُصِيْلِ
تَطِيْرُ فَلاَ تَنْأَىٰ وَتُطْلَبُ قُرْبُهَا ... لِبَرْدِ غَلِيْلٍ أَوْ لِبُرْءِ عَلِيْلِ
لَهَا يَقْظَةٌ عِنْدَ المَقِيْلِ وَهَبَّةٌ ... وَرَقْدَتُهَا فِيْ بُكْرَةٍ وَأُصِيْلِ

قال: وأنشدني لنفسه في القلم: [من البسيط]

وَذَابِلِ العِطْفِ مَهْزُوْلٍ يُرَىٰ أَبَداً ... مَيْتاً وَلَكِنَّهُ يَحْيَىٰ إذَا ذُبِحَا
شُرْبَاهُ مَاءٌ قَرَاحٌ سَلْسَلٌ وَدَمٌ ... طَوْراً وَيُنْتِجُ فِيْ الوَقْتِ الَّذِيْ نُكِحَا

قال: وأنشدني لنفسه يصف قلمًا من قصيدة: [من الطويل]

وَفِي الكَفِّ ظَامٍ شُرْبُهُ مِنْ سِجَالِهَا ... وَمِنْ عَجَبٍ ظَامٍ غَزِيْرُ المَشَارِبِ
نَحِيفٌ وَلَكِنْ طَالَمَا دَقَّ فِيْ الوَغَىٰ ... صُدُوْرَ العَوَالِيْ فِيْ صُدُوْرِ الكَتَائِبِ
عَلَتْهُ القَنَا فِيْ غَابِهَا وَتَعَصَّبَتْ ... وَطَالَتْ وَتَاهَتْ وَازْدَهَتْ بِالعَصَائِبِ
فَجَامَلَهَا حَتَّىٰ رَمَاهَا بِحَاطِمٍ ... فَقَصَّدَهَا حَتَّىٰ رَمَاهَا بِحَاطِبِ
فَآوِنَةً يَسْقِيْ العُفَاةَ بِعَارِضٍ ... وَآوِنَةً يَرْمِيْ الطُّغَاةَ بِحَاصِبِ

[٤٤٥]

عليُّ بنُ يوسفَ بن أحمدَ / ٢٦٥أ/ بن مُحمّد بنِ عبد الله بن الحسين بن أحمدَ بنِ جعفرٍ، أبو الفضائلِ الواسطيُّ، المَعروفُ بابنِ الآمديّ(١).

كان يتولىٰ قضاء واسط وأعمالها ونواحيها في عهد الإمام الناصر لدين الله أبي العباس أحمد ـ رضي الله عنه ـ.

وكان فقيهًا شافعيًا عارفًا بالعربية، وفنون الشعر، وأحكام القضاء، وكان نعم

(١) ترجمته في: الكامل لابن الأثير ١٢/ ١٢٣. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٠١ ـ ٦١٠) ص٢٠٣ رقم ٤٠٧. التكملة للمنذري ٢/ ٢٢١ رقم ١١٨٥. طبقات الإسنوي ٢/ ٥٤٩ ـ ٥٥٠. وفيات الأعيان ٣/ ٣٩٧ ـ ٣٩٩ رقم ٤٧٩.

الرجل دينًا وعقلاً وعلمًا وفضلاً؛ وتوفي في شهر ربيع الأول سنة ثمان وستمائة.

ساقَ أبو عبد الله الدبيثي ذكره في مذيله؛ وقال: من بيت معروف بواسط بالصلاح والرواية للحديث والعدالة، قدم بغداد وأقام بها مُدّة متفقهًا علىٰ مذهب الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ علىٰ الشيخ أبي طالب بن [المبارك بن المبارك صاحب][1] ابن الخل، ثم بعده علىٰ أبي القاسم يعيش بن صدقة الفراتي، وأعاد له درسه بالمدرسة الثقتية بباب الأزَج.

وكان حسن الكلام في المناظرة، سمع الحديث بواسط من أبي الحسن علي بن المبارك بن الحسن بن الخلال، وببغداد من شيخه أبي طالب بن الخل وأبي القاسم الفراتي.

وتولّىٰ القضاء بواسط في أواخر صفر / ٢٦٥ب/ سنة أربع وستمائة، وصار إليها في ربيع الأول من السنة المذكورة، وأضيف إليه إنهاء الأشراف بالأعمال الواسطية؛ وكان له شعر ومعرفة بالحساب، ولم يزل علىٰ ولايته إلىٰ أن توفي ليلة الاثنين ثالث شهر ربيع الأوّل سنة ثمان وستمائة؛ ودفن من ذلك اليوم عند أبيه وأهله ظاهر البلد؛ وكان مولده في الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة تسع وخمسين وخمسمائة. هذا آخر كلام أبي عبد الله الدبيثي.

ومن الشعر الذي ينسب إليه، وهو مشتهر يغني به القوالون والمغنون، وسار علىٰ ألسنة العالم هذه القصيدة الغزلة الهائية[2]: [من الكامل]

آهـًا لـه ذِكْـرَ الحِمَـىٰ فتَـأوَّهَـا ... وَدَعَـا بـه دَاعـي الهَـوَىٰ فَتَـوَلَّهَـا

هَـاجَـتْ بَـلاَبِلَـهُ البَـلاَبِـلُ فـانْثَنَـتْ ... أشْجَـانُـهُ تَنْهَـىٰ عَـنِ الحِلْـمِ النُّهَـىٰ

فَبَكَـىٰ أسًـى وَشَكَـىٰ جَـوًى وَتَنَبَّـهَ الـ ... ـوَجْـدُ القَـدِيْـمُ وَلَـمْ يَـزَلْ مُتَنَبِّهَـا

قَـالُـوا: وَهَـىٰ جَلَـداً وَلَـو عَلِـقَ الهَـوَىٰ ... بِيَلَمْلَـمٍ يَـومـًا تَـأوَّهَ أوْ وَهَـىٰ[3]

---

(١) ما بين المعقوفتين من وفيات الأعيان.

(٢) القصيدة في الوفيات ٣/ ٣٩٧ ـ ٣٩٨.

(٣) يَلَمْلَم: موضع على ليلتين من مكة، وهو ميقات أهل اليمن، وفيه مسجد لمعاذ بن جبل. معجم البلدان/ مادة (يلملم).

يَـا عُتْـبُ لا عَتْـبٌ عَلَيْـك فَسَـامحـيْ وَصِلـيْ فَقَـدْ بَلَـغَ السَّقَـامُ المُنْتَهَـىٰ

عَـذَلَ العَـذُوْلُ عَلَـىٰ هَـوَاكَ فمَـا ارْعَـوَىٰ وَنَهَـاهُ فيْـك الـلاَّئمُـونَ وَمَـا انْتَهَـىٰ

قَـالُـوا اْشْتَهَـاك وَقَـدْ رَآك مَليْحَـةً عَجَبـًا وَأيُّ مَليْحَـةٍ لاَ تُشْتَهَـىٰ

/ ٢٦٦أ/ عَلَّمْت بأنَّ الجَزْعَ مَيْلَ غُصُوْنه لَمّـا خَطَـرْت عَلَيْـه فـيْ حُلَـلِ البَهَـا

وَمَنحْـت غُنْـجَ اللَّحْـظ غـزْلاَنَ النَّقَـا فبَـدا أحسَـنَ مَـا تُـرَىٰ عَيْـنُ المَهَـا

لَـوْلاَ دَلاَلُـك لَـمْ أبـتْ مُتَقَسِّـمَ الأفْكَـار مَسْلُـوْبَ الـرُّقَـاد مُـدَلَّهَـا

أنَـا أعْشَـقُ العُشَّـاق فيْـك فَلَيْـسَ لـيْ شَبَـهٌ وَلاَ لَـك فـيْ المَـلاَحَـة مُشْبهَـا

لاَ تُكْـرِهُـوْهُ عَلَـىٰ السُّلُـوِّ فَطَـائعًـا حَمَـلَ الغَـرَامَ فَكَيْـفَ يَسْلُـو مُكْـرَهَـا

وحدثني أبو الفرج محمد بن بدر بن الحسن بن السمين البصري؛ قال: حضر عند القاضي أبي الفضائل بن الآمدي، امرأةٌ وزوجها يحتكمان؛ فطلبت المرأة الطلاق، فخيّره علىٰ طلاقها بما اقتضاه الحكم الشرعي؛ فامتنع الرجل من الطلاق وأبىٰ، فأمر القاضي بحبسه، فذهبوا به ليجسوه، فحين وصل بعض طريق الحبس، سأل الرجل العود إلىٰ القاضي، فعاد إليه، وحضر بين يديه؛ فقال له القاضي: ما بك ؟ فقال: يا قاضي المسلمين كيف يحسنُ بكَ أن تأمر بحبسي وتكرهني [على] الطلاق ؟ ألست القائل؟ : [من الكامل]

/ ٢٦٦ب/ لاَتُكْرِهُوْهُ عَلَىٰ السُّلُوِّ فَطَائعًا حَمَـلَ الغَـرَامَ فَكَيْـفَ يَسْلُـو مُكْـرَهَـا

فقال له القاضي: نعم أنا قلت ذلك؛ فأمر له بعشرين ديناراً من ساعته، وأصلح بينه وبين زوجته، وصرفهما وهما راضيان.

ومن شعره يُلغز: [من الطويل]

كَلفْـتُ بظَبْـيٍ غَـرَّهُ حيْـنَ أغْـرَاهُ سَـوَادٌ تَبـدَّا فـيْ بَيَـاض مُحَيَّـاهُ

غَـزَالٌ كَبَـدْرِ التَّـمِّ لَيْلَـةَ تَمِّـه رَمَـىٰ مَقْتَلـيْ عَمْـداً وَلَـمْ يُخْـط مَـرْمَـاهُ

هـلاَلٌ عَلَـىٰ غُصْـن يَميْـسُ وَيَنْثَنـيْ كَمَـا اهْتَـزَّ بَـانٌ حيْـنَ يَهْتَـزُّ عطفَـاهُ

وَمَـنْ أيْـنَ للغُصْـن الـرَّطيْـب قَـوَامُـهُ وَمـنْ أيْـنَ للبَـدْر المُنيْـر ثَنَـايَـاهُ

يُبَيِّـحُ دَمـيْ عَمْـداً وَأكْـرَهُ أنَّنـيْ أُبَـوحُ بـه بَـلْ أسْتَلَـذُّ بـذكْـرَاهُ

فَـأوْضَـحُ مَـا أخْفَيْـتُ غَيْـرُ مُصَـرِّحٍ يَبيْـنُ لأَهْـلِ الفَضْـلِ لاَ شَـكَّ مَعْنَـاهُ

فَـرُبْـعُ ٱسْمِـهِ مَـال . . . . . وَلِجَـذْرِه   وَمِثْـلاهُ نِصْـفُ الجَـذْرِ فَـاثْبِتْـهُ وَاقْـرَاهُ
وَثَـانِيْـهِ رُبْـعُ الإِسْـمِ مَـعْ نِصْـفِ ثُمْنِـهِ   مُضَـافٌ إِلَـىٰ مَـا نَحْـنُ مِـنْ قَبْـلُ قُلْنَـاهُ
تَجِـدْهُ رُبَـاعِيًّـا يُسَـاوِي لِجَـذْرِهِ   وَثَـالِثُـهُ حَـرْفٌ يُمَـاثِـلُ مَبْـدَاهُ
وَرَابِعُـهُ وَهْـوَ الأَخِيْـرُ لاسْمِـهِ   إِذَا ٱنْـزَاحَ مِنْـهُ خُمْسُـهُ فَهْـوَ ثُمْنَـاهُ

[٤٤٦]

عليُّ بنُ أبي غالب / ٢٦٧أ/ بن أحمدَ بن عمرو بنِ المفرجِ بن عطاء الله الربعيُّ، أبو الحسينِ السَّلَّاميُّ الموصَليُّ، المعروفُ بابنِ شَيخِ السَّلَّاميّة.

هي قرية تحت الموصل بأربعة فراسخ بجانبها الشرقي[1]؛ وسلف أبي الحسن كانوا رؤساءها ومشايخها؛ وهم بيت مشهور بالرئاسة.

وسافر أبو الحسن إلىٰ بُخارىٰ وسمرقند والشام والعراق وديار مصر؛ وكان جليلاً رئيسًا متمولاً ذا يَسَار ونعمةَ واسعة، فيه أريحية ومروءة، وله نظم ونثر.

ورأيت من إنشائه مقامة هجا بها قاضي إِربل وتنتَّره فيها تنتيراً قبيحًا؛ وكانت وفاته بالسلامية سنة تسع عشرة وستمائة.

أنشدني معتوق بن المُفرّج بن عمرو السلامي؛ قال: أنشدني ابن عمِّي لنفسه:

[من الطويل]

سَـرَىٰ طَيْفُهَـا خِلْسًـا وَقَـدْ غَـوَّرَ النَّسْـرُ   وَقَـدْ غَـابَـتِ الجَـوْزَاءُ وَٱبْتَسَـمَ الفَجْـرُ
فَحيَّـا مُحبًّـا بَـاتَ مِـنْ لَـوْعَـةِ الهَـوَىٰ   يُقَلْقِلُـهُ ذِكْـرٌ وَيُقْلِقُـهُ فِكْـرُ
وَأَنَّـىٰ اهْتَـدَىٰ وَاللَّيْـلُ مُلْـقٍ جِـرَانَـهُ   وَقَـدْ حَـالَ فِيْمَـا بَيْنَنَـا المَهْمَـهُ القَفْـرُ
يُـزَوِّرُ لِـي أَنَّ الحَبِيْـبَ يَـزُورُنِـي   وَهَيْهَـاتَ إِنَّ الـوَصْـلَ مِـنْ طَيْفِهَـا هَجْـرُ
أَتَسْمَـحُ لِـي بِـالـوَصْـلِ وَالـرَّمْـلُ دُوْنَهَـا   أَلا إِنَّ هَـذَا العُـرْفَ مِـنْ وَصْلِهَـا نُكْـرُ
/ ٢٦٧ب/ تَصُـدُّ وَتَجْفُـو وَالـدِّيَـارُ قَـرِيْبَـةٌ   وَتَـدْنُـو وَدُوْنِـي البَحْـرُ وَاللُّجَـجُ الخُضْـرُ
مُهَفْهَفَـةٌ كَـالغُصْـنِ هَبَّـتْ بِـهِ الصَّبَـا   سُحَيْـراً وَكَـالسَّكْـرَانِ مَـالَ بِـهِ الخَمْـرُ

---

(١) انظر: معجم البلدان/ مادة (السلامية).

يَجُولُ وِشَاحَاهَا ومَا جَالَ حِجْلُهَا ... وَتَشْكُو إِلَيْنَا النُّطْقَ مَا ضَمَّتِ الأُزْرُ
لَهَا الدُّرُّ ثَغْرٌ وَهْوَ عِقْدٌ لِنَحْرِهَا ... فَوَاعَجَبًا مِنْ ثَغْرِهَا قُلِّدَ النَّحْرُ
إِذَا سَرَبَتْ فِي السِّرْبِ وَالسِّرْبُ كَالدُّمَىٰ ... فَهُنَّ نُجُومٌ وَهِيَ مَا بَيْنَهُمْ بَدْرُ
تُجَرِّعُنِي السُّمَّ الزُّعَافَ تَدَلُّلاً ... وَتَعْجَبُ مِنْ صَبْرِي وَقَدْ نَفِدَ الصَّبْرُ
تَعَلَّقْتُهَا بِكْرَ الصَّبَابَةِ وَالصِّبَا ... وَقَدْ شَابَ رَأْسِي وَالغَرَامُ بِهَا بِكْرُ
فَيَا عَاذِلِيَّ فِي الوَجْدِ لَوْ كُنْتَ شَاهِداً ... عَذَرْتَ فَتًى فِي الحُبِّ لَيْسَ لَهُ عُذْرُ
وَلَوْ عَايَنَتْ عَيْنَاكَ تِمْثَالَ دُمْيَةٍ ... سَجَدْتَ وَإِنْ كَانَ السُّجُودُ لَهَا الكُفْرُ
فَدَعْنِي وَوَجْدِي وَالغَرَامَ وَإِنَّمَا ... تُعَاتِبُ جُلْمُوداً وَهَلْ يَسْمَعُ الصَّخْرُ
خُلِقْتُ قَذَىٰ عَيْنِ الحَسُودِ لِحُبِّهَا ... وَإِنِّي لَفِي حَلْقِ العَدُوِّ شَجًا مُرُّ

ومنها:

وَكَمْ مَهْمَهٍ فِي جُنْحِ لَيْلٍ قَطَعْتُهُ ... إِلَيْهَا وَلَمْ يُكْتَبْ عَلَيَّ بِهِ وِزْرُ
بِنَاجِيَةٍ كَالنَّجْمِ عِنْدَ انْقِضَاضِهِ ... إِذَا وَخَدَتْ فَالمِيلُ فِي خَطْوِهَا فِتْرُ
وَمِثْلِيَ لا يَعْبَثْ بِسُوءٍ إِذَا خَلاَ ... وَلاَ تَطَّبِيهِ الكَاعِبُ الرُّودُ يَا نَصْرُ
/ ٢٦٨أ/ أَنَا ابْنُ السُّرَاةِ الغُرِّ مِنْ فَرْعِ خِنْدِفٍ ... بِجَدِّي أَبِي العَبَّاسِ يَفْتَخِرُ الفَخْرُ
هُوَ الطَّاعِمُ المِطْعَانُ فِي حَوْمَةِ الوَغَىٰ ... إِذَا اغْبَرَّتِ الآفَاقُ وَاحْتَبَسَ القَطْرُ
بِنَا يُعْرَفُ المَعْرُوفُ وَالبَأْسُ وَالنَّدَىٰ ... وَيُعْزَىٰ إِلَيْنَا الجُودُ وَالحَمْدُ وَالشُّكْرُ
إِذَا نَابَ دَهْرٌ فَادْعُ يُوسُفَ إِنَّهُ ... إِذَا نَابَ دَهْرٌ خَافَ مِنْ بَأْسِهِ الدَّهْرُ
وَإِنْ جَادَ أَرْوَىٰ غُلَّةَ الفَقْرِ سَيْبُهُ ... وَإِنْ صَالَ فَهْوَ اللَّيْثُ وَالغَيْثُ وَالبَحْرُ
يَعُمُّ الأَقَاصِي وَالأَدَانِي نَوَالُهُ ... وَيَسْرِي إِلَىٰ الآفَاقِ نَائِلُهُ الغَمْرُ
فَتًى ذِكْرُهُ فِي الشَّرْقِ وَالغَرْبِ سَائِرٌ ... كَمَا سَارَتِ الشَّمْسُ المُنِيرَةُ وَالبَدْرُ
وَأَقْلاَمُهُ تُغْنِي عَنِ البِيضِ وَالقَنَا ... وَيَكْفِي لِقَاءَ الجَيْشِ مِنْ خَطِّهِ سَطْرُ
وَنَهَّابُ أَعْمَارِ الأَعَادِي مُحَمَّدٌ ... وَوَهَّابُ مَا أَبْقَاهُ مِنْ تَالِدٍ عَمْرُو
وَهَازِمُ أَزْمَاتِ الزَّمَانِ بِجُودِهِ ... إِذَا صَرَّتِ الخَضْرَاءُ وَامْتَنَعَ الدَّرُّ
وَإِنْ أَمَّهُ ذُو حَاجَةٍ وَهْوَ مُدْقِعٌ ... نَأَىٰ فَقْرُهُ بِالجُودِ وَارْتَحَلَ العُسْرُ
فَمَنْ شَاءَ فَلْيَفْخَرْ بِعِزٍّ وَرِفْعَةٍ ... فَنَحْنُ الَّذِي ذَلَّتْ لَنَا الأَنْجُمُ الزُّهْرُ
أَيَطْمَعُ فِي إِدْرَاكِ شَأْوِي مُقَصِّرٌ ... جَهُولٌ لَهُ فِي جَهْلِهِ وَالخَنَا ذِكْرُ

لَـهُ عَـنْ سَبِيْـلِ المَكْـرُمَـاتِ زَوَاجِـرٌ ... مِـنَ اللُّـؤْمِ لا حَمْـدٌ لَـدَيْهَـا وَلاَ شُكْـرُ
وَهَيْهَـاتَ لَـمْ يَبْلُـغْ مَـدَايَ مُقَصِّـرٌ ... إِذَا قَـالَ شِعْـراً . . . . . فِـي شِعْرِه الشِّعرُ
/٢٦٨ب/ وَمَـا زَالَ شِعْـرِيْ فِـيْ البِـلَادِ مُسَـافِراً ... يَـرُوْحُ بِـهِ رَكْـبٌ وَيَغْـدُوْ بِـهِ سَفْـرُ
وَيُنْشِـدُهُ الـرَّاوُوْنَ شَـرْقـاً وَمَغْـرِبـاً ... وَيُنْشِـدُهُ بَـدْوٌ وَيَشْـدُوْ بِـهِ حَضْـرُ
أَغُـوْصُ عَلَـىٰ دُرِّ البَيَـانِ فَـأَجْتَنِـيْ ... وَأَنْظِمُـهُ شِعْـراً كَمَـا نُظِـمَ الـدُّرُّ
فكيـف يُنَـاصِـيْ النَّجْـمَ يَـا نَصْـرُ جَـاهِـلٌ ... تَسَـاوَىٰ لَـدَيْـهِ القِطْـرُ وَالتِّبْـرُ وَالصُّفْـرُ
سَـأَجْلُـوْ عَلَـى الـرَّاوِيْـنَ كُـلَّ قَصِيْـدَةٍ ... هِـيَ السِّحْـرُ لاَ بَـلْ إِنَّ أَلفَـاظَهَـا السِّحْـرُ
إِذَا أُنْشِـدَتْ أَضْحَـىٰ حَسُـوْدِيَ صَـاغِـراً ... لَـدَيْهَـا وَأَلْحَـاظُ العِـدَا دُوْنَهَـا خُـزْرُ

ونقلت من خطّه قوله وهو مما قاله . . . . . ، وحرره بالموصل عند عوده إليها في سنة إحدىٰ وثمانين وخمسمائة : [من الطويل]

إِذَا هَـبَّ مِـنْ أَرْضِ الحِجَـازِ نَسِيْـمُ ... أَبَـلَّ مِـنَ الـدَّاءِ العُضَـالِ سَقِيْـمُ
وَأَطْلَـقَ مَـأْسُـوْراً يَبِيْـتُ مِـنَ الجَـوَىٰ ... يُقَلْقِلُـهُ شَـوْقٌ أَلَـدُّ خَصِيْـمُ
وَبَـرَّدَ نَـاراً فِـيْ الحَشَـا مُسْتَكِنَّـةً ... لَهَـا بَيْـنَ قَلْبِـيْ وَالشَّغَـافِ جَحِيْـمُ
أَحِـنُّ إِلَـىٰ أَرْضِ الحِجَـازِ وَدُوْنَهَـا ... مَهَـامِـهُ دُهْـسٌ أَقْفَـرَتْ وَحُـزُوْمُ

ومنها :

فَهَيْهَـاتَ نَجْـدٌ أَيْـنَ نَجْـدٌ وَأَهْلُهَـا ... وَهَيْهَـاتَ يَشْفَـى بِـالـرُّقَـاةِ سَلِيْـمُ

[٤٤٧]

/٢٦٩أ/ عليُّ بنُ الحسين بن عليِّ بن القاسم بن المظفر بنِ عليٍّ الشهرزوريُّ، أبو الحَسن بنُ أَبي عليٍّ المَوصليُّ.

قاضي الموصِل.

من بيت الرئاسة والعلم؛ كان فصيحًا بارعًا دينًا خيراً سليم الجانب، مشهور[اً] بالديانة، وسلامة الجانب، كثير الخير والصلاح.

سمع عمّه أبا بكر محمد بن القاسم الشهرزوري قاضي الخافقين، والقاضي تاج الإسلام أبا عبد الله الحسن بن نصر بن خميس الجُهني الموصلي، والوزير أبا المظفر

يحيىٰ بن محمد بن هبيرة وغيرهم.

وكانت وفاته في رابع المحرم في سنة إحدىٰ وستمائة؛ وصُلّيَ عليه بظاهر باب الميدان، ودُفن بتربتهم من صحراء المعافىٰ بن عمران ـ رضي الله عنه ـ.

نقلتُ من خط يده وشعره يمدح أتابك نور الدين أبا الحارث ارسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي ـ رضي الله عنه ـ ويرثي والده أتابك عز الدين مسعوداً ـ رضي الله عنه ـ [من الكامل]

جَارَ الزَّمَانُ وَقَلَّ مِنْهُ نَاصِرِيْ ... فَمَنِ المُجِيْرُ مِنَ الزَّمَانِ الجَائِرِ

أَبَداً أَغَصُّ مِنَ الزَّمَانِ بِجَوْرِهِ ... أَفَمَا لأَوَّلِ جَوْرِهِ مِنْ آخِرِ

/ ٢٦٩ب/ هَيْهَاتَ لاَ بَرَدَ الغَلِيْلُ وَقَدْ ثَوَىٰ ... مَنْ كَانَ مِنْ عُدَدِي وَخَيْرِ ذَخَائِرِيْ

مَلِكٌ قَضَىٰ فَارْتَجَّتِ الدُّنْيَا لَهُ ... فَكَأَنَّمَا رَكِبَتْ جَنَاحَيْ طَائِرِ

أَضْحَىٰ وَحِيْداً فِيْ التُّرَابِ كَأَنَّهُ ... مَا سَارَ بَيْنَ مَوَاكِبٍ وَعَسَاكِرِ

إِنْ كَانَ عِزُّ الدِّيْنِ غَابَ فَمَا خَبَتْ ... أَنْوَارُ ذَا القَمَرِ المُنِيْرِ الزَّاهِرِ

أَوْ كَانَ ذَاكَ السَّيْفُ فُلَّ فَمَا نَبَا ... الحَدَّانِ مِنْ هَذَا الحُسَامِ البَاتِرِ

أَوْ كَانَ ذَاكَ البَحْرُ غَاضَ فَمَا رَقَا ... مَا فَاضَ مِنْ هَذَا الغَمَامِ المَاطِرِ

مَوْلاَيَ نُوْرَ الدِّيْنِ عِشْتَ مُسَلَّماً ... فِيْ ظِلِّ مَمْلَكَةٍ وَعِزٍّ قَاهِرِ

مَلِكٌ تَشَرَّفَتِ القُضَاةُ بِذِكْرِهِ ... وَثَنَاهُ بَيْنَ مَحَافِلٍ وَمَنَابِرِ

لَمْ يَخْلُ يَوْماً مِنْبَرٌ مِنْ خَاطِبٍ ... يُثْنِيْ عَلَيْهِ وَمَحْفِلٌ مِنْ ذَاكِرِ

فَالنَّاسُ كُلُّهُمُ بِطِيْبِ ثَنَائِهِ ... وَبِشُكْرِهِ مِنْ نَاظِمٍ أَوْ نَاثِرِ

فَهْوَ الَّذِيْ شَمَلَ الأَنَامَ بِعَدْلِهِ ... مَنْ بَيْنَ بَادٍ مِنْهُمُ أَوْ حَاضِرِ

مَا لِلْكَسِيْرِ إِذَا اسْتَغَاثَ بِجُوْدِهِ ... بَيْنَ البَرِيَّةِ غَيْرُهُ مِنْ جَابِرِ

فَاسْمَعْ مَقَالَةَ شَهْرَزُوْرِيٍّ غَدَا ... يُرْبِي عَلَى العُلَمَا بِفَضْلٍ بَاهِرِ

أَفْدِيْكَ نُوْرَ الدِّيْنِ لَيْسَ بِخَاطِرِ ... مَا عِشْتُ ذِكْرُ سِوَاكُمُ مِنْ خَاطِرِيْ

وَاْسْعَدْ بِمَقْدَمِكَ المُعَظَّمِ سَعْدُهُ ... . المَمَالِكَ كَابِراً عَنْ كَابِرِ

/ ٢٧٠أ/ وَاْفْعَلْ كَمَا فَعَلَ المُقَدَّسُ رُوْحُهُ ... فِيْ حَقِّ دَاعٍ حَامِدٍ أَوْ شَاكِرِ

وَاْنْعَمْ بِتَحْقِيْقِ الوُعُوْدِ وَكُنْ لَنَا ... عَوْناً عَلَىٰ نُوَبِ الزَّمَانِ الغَادِرِ

وَاْنْظُرْ لِنَجْلَيْ عَبْدِكَ الدَّاعِيْ الَّذِيْ ... يَدْعُو إِذَا رَقَدَتْ عُيُوْنُ السَّاهِرِ

يُثْنِي عَلَىٰ أَوْصَافِ مَجْدِكَ مُطْنِبًا ... مَا بَيْنَ دَانٍ وَارِدٍ أَوْ صَادِرِ
لاَ تَتْرُكَنِّي فِي بِلاَدِكَ ضَائِعًا ... وَٱنْظُرْ إِلَيَّ بِبَاطِنٍ أَوْ ظَاهِرِ
فَتَأَخُّرِي لِتَأَلُّمِي وَتَظَلُّمِي ... وَلِضِيقِ ذَاتِ يَدِي وَقِلَّةِ نَاصِرِي
قَدْ كَانَ وَالِدُكَ السَّعِيدُ مُعَظِّمًا ... قَدْرِي وَمُعْتَرِفًا بِفَضْلِيَ السَّائِرِ
فَاسْمَحْ وَجُدْ وَانْعِمْ فَصَبْرِي نَافِدٌ ... وَاللهُ قَدْ أَوْصَىٰ بِحَقِّ الصَّابِرِ
وَٱسْلَمْ وَدُمْ فِي نِعْمَةٍ وَسَلاَمَةٍ ... وَجَلاَلَةٍ سَامِي الأَوَامِرِ فَوْقَ كُلِّ أَوَامِرِ

[٤٤٨]

عليُّ بنُ مُحمَّد بن أحمدَ بن محمد بن أحمدَ بن يُوسفَ بن محمد بن إسمَاعيلَ بن محمَد بن سَهم ـ من ولد عمرو بنَ العاصَ ـ القَرشيُّ ثم السَهميُّ، أبو الحسنِ بنِ أبي عبدِ الله، شهرَ بابنِ البيّانيّ الغرناطيّ الأندلسيّ.

شاعر من الفضلاء.

أنشدني أبو الفتح محمد بن بدر التبريزي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ قال:

/ ٢٧٠ب/ أنشدني أبو الحسن بن البيّاني لنفسه بإربل، قدمها في العشر الأولىٰ من شعبان سنة ثلاثين وستمائة؛ مجتازاً إلىٰ دار السلام؛ يمدح مولانا وسيدنا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين أبا جعفر المنصور ـ رضي الله عنه ـ: [من الكامل]

حَرَمُ الخِلاَفَةِ قَصْدُ كُلِّ مُيَمِّمِ ... وَمَحَلُّ مَوْثُوقِ العَقِيدَةِ مُسْلِمِ
شَرُفَتْ قَوَاعِدُهُ فَبَانَ سِمَاكُنَا ... فِي جَوِّ قُبَّةِ سَمْكِهِ كَالدِّرْهَمِ
وَكَأَنَّمَا العَافِي المُلِمُّ بِبَابِهِ ... يَخْطُو إِلَيْهِ عَلَىٰ جَبِينِ المُرْزِمِ
دِمَنٌ سَمَتْ شَرَفًا مَسَاكِنُ أُفْقِهَا ... مِنْ آلِ أَحْمَدَ سِرِّ صَفْوَةِ آدَمِ
أَسْنَىٰ الخَلاَئِفِ وَالخَلاَئِقِ مَحْتِداً ... وَأَجَلُّهُمْ ذِكْراً لَدَى نُطْقِ الفَمِ
مُسْتَنْصِرٌ بِاللهِ فِي أَفْعَالِهِ ... مَاضِي العَزِيمَةِ فِي المُهِمِّ المُبْرَمِ
دَارُ السَّلاَمِ لِقَاصِدِيهَا قِبْلَةٌ ... كَالبَيْتِ مَنْ . . . . يُحَجُّ وَيُخْدَمِ
شَهِدَتْ بِبَهْجَتِهَا بِهِ أُمُّ القُرَىٰ ... أَوْ حَلَّهَا فَرِهَتْ بِأَشْرَفِ مَبْسِمِ
وَالبَيْتُ يَشْهَدُ بِالفَخَارِ لِقُطْرِهَا ... ثُمَّ المَقَامُ مَعَ الحَطِيمِ وَزَمْزَمِ

وكذا المشاعر لم يزل يتلو بها — آي المآثر كل أشعث محرم
فيكم بني العباس عصمة ديننا — في عصرنا دار الزمان الأقدم
/ ٢٧١أ/ أنتم خلائف ربنا في أرضه — طراً ومن يأبى فليس بمسلم
وبفضلكم نطق الكتاب لأنكم — آل النبي وفخركم لم يكلم
وإذا امرؤ جارت به سبل الهوى — عن قصدكم يدعى بأجهل مجرم
فإذا استتيب فتاب كان مؤمناً — وإذا أبى فمثابه سفك الدم
إمام أهل الأرض بلغت المنى — فمغرب في طوعكم كالمشئم
وبلاد أندلس أديلت دولة — لكم ببيعة مخلص لم تكتم
شب الوليد بها سروراً واكتست — شرخ الشباب الشيب للمتوسم
فثغورها افترت لطاعة أهلها — لله ثم لكم بصدق مسلم
تبدو. . . . خوارج قد أثقلت — منهم ظهوراً بالنفاق المؤلم
واستبشروا بكمال نعمة دينهم — ونعيم دنياهم وفيض الأنعم
ومليكهم سبع بن هود مالك — منهم أزمة طاعة لم . . . . .
ملك بكم ملكت يداه مناقلاً — بعدت عن الفتخ الشداد الحوم
فأزارها أسداً وكان شعاركم — خيلاً لها تحت العجاج الأقتم
وسما إليها بالسوابق شزباً — تردي بكل مدجج مستلئم
وأذاقها صدق الطعان فأذعنت — بالطوع دون مهند ومقوم
/ ٢٧١ب/ يطوي البلاد بجحفل خلق الملا عن نحره الطامي العباب الخضرم
خفقت بنود سعودكم فيه على — أعدائكم فاستسلموا للمغنم
ولقد غزا أرض الفرنج بعصبة — فطرت على دين النبي الأقوم
فإمامهم مستنصر ومليكهم — متوكل يا نصرهم لا تعدم
وإذا هم أموا العدا صدموهم — بالمشرفي وكل أسمر لهذم
وعليهم سرد الدلاص كأنه — سيل تلاطم في غدير مفعم
وطئت سنابك خيلهم هاماتهم — والسيف يرسم أسطراً لم تفهم
واستعجلت قصد الوشيج عليهم — حرقاً بها من قبل نار جهنم
وجرت مذانب من نجيع نحورهم — فتحجلت شهب السوابق بالدم

مَـلأُوا الفَـلاَةَ مُجَـدَّلِيْـنَ تَنُـوْشُهُـمْ ... عُصَـبُ الـوُحُـوش وكُـلُّ نَسْـرٍ قَشْعَـمِ
فَميَـاهُهَـا قَـدْ عَـافَهَـا مُتَطَهِّـراً ... وتُـرَابُهَـا مَـا حَـلَّ لِلْمُتَيَمِّـمِ
وَقَـد اسْتَقَـامَ الـدِّيْـنُ فـيْ أَقْطَـارِهَـا ... شَـرْقـاً وَغَـرْبـاً وَالعَـدُوُّ بمَـرْغـمِ
فَـالْحَمْـدُ لله المُفيْـضِ عَلَيْهِـمُ ... بـإِمَـامِ أَهْـلِ الحَـقِّ أَسْبَـغَ أَنْعُـمِ
فَشَبَـابُهُـمْ فـيْ غبْطَـةٍ ونَسـاؤُهُـمْ ... فـيْ حَـوْطَـةٍ وَشُيُـوْخُهُـمْ لَـمْ تَهْـرَمِ
نَـزَلُـوا المُنَـىٰ لمَّـا انْجَلَـتْ عَـنْ أرْضِهِـمْ ... ظُلَـمُ الجَهَـالَـةِ مِـنْ زَنيـمٍ مُجْـرِمِ
/ ٢٧٢أ/ وَاسْتَـوْضَحُـوا نُـوْرَ الهُـدَىٰ وتَيَمَّنُـوا ... بـالـدَّوْلَـةِ الغَـرَّاءِ فـي . . . . .
عَـمَّ البَسِيْطَـةَ عَـدْلُـهُ فيَكَـادُ أَنْ ... تَلْقَـى الـذِّئَـابَ مَـعَ الظِّبَـاءِ بمَجْثَـمِ
لاَ زَالَ سُحْـبُ نَـوَالهِـمْ تَهْمِـي عَلَـىٰ ... أَهْـلِ الـوِلاءِ بكُـلِّ نَـوْءٍ مُثْجَـمِ
وَسُيُـوْفُـهُ تُمْسِـي رِقَـابُ عُـدَاتـه ... أجفَـانَهَـا يَـوْمَ الـوَطِيْـسِ المُلْحَـمِ
وَرِمَـاحُـهُ فـيْ صَـدْرِ كُـلِّ مُعَـانـدٍ ... أَمْضَـىٰ وَأَنْفَـذُ مِـنْ قَضَـاءٍ مُبْـرَمِ
يَـا ابْـنَ الأئمَّـةِ مِـنْ قُـرَيْشٍ أَنْتُـمُ ... خَيْـرُ البَـرَايَـا وَالحِمَـىٰ لِمُتَمِّـمِ
قُطْـبُ الـدِّيَـانَـةِ وَالأَمَـانَـةِ فيْكُـمُ ... إرثٌ لكُـمْ مِـنْ أكْـرَمٍ عَـنْ أكْـرَمِ
صَلَّـىٰ عَلَـىٰ تلْـكَ العَنَـاصِـرِ رَبُّكُـمْ ... وَكَسَـاكُـمُ ثَـوْبَ الفَخَـارِ الأَعْظَـمِ
وَأَدَامكُـمْ لِلْمُسْلمِيْـنَ مُـوَطِّـدِيْ ... أَدْيَـانِهِـمْ بِمُثَقَّـفٍ وبمخْـذَمِ
وَحَبَـاكُـمُ العُمُـرَ الطَّـوِيْـلَ تَمَتُّعَـاً ... وأَمَـدَّكُـمْ نَصْـراً بكُـلِّ مُسَـوَّمِ
فَـالـدِّيْـنُ والإسْـلاَمُ لمَّـا اسْتَمْسَكَـا ... منْكُـمْ بعُـرْوَةِ عصْمَـةٍ لَـمْ تَفْصَـمِ
فَعَلَـىٰ مَـوَاقِفِكُـمْ أَتَـمُّ تَحِيَّـةٍ ... مَـا دَامَ بَيْـتُ الله قِبْلَـةَ مُسْلِـمِ

[٤٤٩]

عليُّ بنُ محمدِ بنِ حامدٍ، أبو الحسنِ البغداديُّ.

سافر عن مدينة السلام، ونزل آمد في أيام / ٢٧٢ب/ الملك الصالح أبي الفتح محمود بن محمد مليكها؛ فولاّه بها القضاء إلىٰ أن مات بها وهو قاضٍ لم يبلغ الأربعين؛ وكان قد أخذ من كُلّ علم طرفًا حسنًا.

أنشدني له أبو الفضل عمر بن علي بن هبيرة، حين خرج عن وطنه، وفارق أهله وبنتًا له صغيرة، وجلس علىٰ دجلة، وتذكر من فارقه، فأنشد لنفسه: [من السريع]

لَــوْ صُــبَّ مَــا أَلْقَــىٰ عَلَــىٰ صَخْــرَةٍ لَــذَابَــتِ الصَّخْــرَةُ مِــنْ وَجْــدِهَــا
أَوْ أُلْقِيَــتْ نِيْــرَانُ وَجْــدِيْ عَلَــىٰ دِجْلَــةَ لَــمْ يَقْــدِرْ عَلَــىٰ وِرْدِهَــا
أَوْ ذَاقَــتِ النَّــارُ غَــرَامِــيْ بِكُــمْ لَــمْ تَتَــوَارَ النَّــارُ فِــيْ وَقْــدِهَــا
لَــوْ لَــمْ تُــرَجِّ الــرُّوْحُ رَوْحَ اللِّقَــا لَكَــانَ رَوْحُ الــرُّوْحِ فِــيْ فَقْــدِهَــا

[٤٥٠]

عليُّ بنُ مُحمّد بن يُوسُفَ بن قليج بن تكينَ خان بن محمود خان ابنِ إيلَ خان، أبو الحسنِ المَوصليُّ المولد والمنشأ[١].

من وُلْد الأتراك الملقبُ بالمؤيد الجاندارَ.

كان جنديًا بالموصل، ومستحفظ قلعتها في عهد الملك نور الدين أبي الحارث أرسلان شاه بن مسعود بن زنكي وبعده / ٢٧٣أ/ لولده الملك القاهر عزّ الدين أبي الفتح مسعود.

وكان رجلاً عاقلاً من أهل الفضل والمعرفة بأخبار الناس وأيامهم، حسن الاقتصاص لها، وجمع كتابًا سمّاه «مساهر السامر ومُسامر الساهر» يحتوي علىٰ أشعار وحكايات.

وكان مولده يوم الاثنين ثاني عشر شعبان سنة ست وأربعين وخمسمائة بالموصل، وتوفي بها عشية السبت تاسع عشر شوال سنة ست عشرة وستمائة، ودفن ظاهر البلد، بمقبرة الباب الكاري بالشرف الأعلىٰ المطل علىٰ دجلة.

أنشدني أخوه أبو عبد الله محمد بن محمد؛ قال: أنشدني أخي لنفسه:

[من مجزوء الكامل]

يَــا أَيُّهَــا الغَــادِيْ عَلَــىٰ عَيْــرَانَــةٍ أُجُــدٍ أَمُــوْنْ
أَبْلِــغْ بَهَــاءَ الــدِّيْــنِ شَــوْقَ مُتَيَّــمٍ قَلِــقٍ حَــزِيْــنْ
وَأَخْبِــرْهُ أَنَّ فِــرَاقَــهُ عِنْــدِيْ أَشَــدُّ مِــنَ المَنُــوْنْ

(١) ترجم المؤلف لأخيه (محمد بن محمد بن يوسف. . .) في الجزء السابع برقم ٧٨٤.

وأنشدني؛ قال: أنشدني أخي لنفسه؛ وهي ذات وزنين وقافيتين: [من الكامل]

أَمُجَاوِرَ البَيْتِ العَتِيقِ وَتَارِكِي رَهْنَ الصَّبَابَهْ ... مَا إِخَالُكَ مُنْصِفَا

/ ٢٧٣ب/ إِمْنُنْ عَلَيَّ بِأَوْبَةٍ تُحْيِي الكَئِيبَ مِنَ الكَآبَهْ ... فَالعَدُوُّ قَدِ اشْتَفَى

[٤٥١]

عليُّ بنُ محمد بنِ سدير، أبو الحسنِ المَدَائنيُّ الطبيبُ.

كان له يد في علم الطبّ والمعالجة خيراً، وكان دمثًا مُداعبًا مطبوعًا، يتشيع مُفرطًا، ولي حسبة المدائن[١] سنة تسعين وخمسمائة. توفي بالمدائن فجأة في العشر الآخر من شهر رمضان سنة ست وستمائة.

ومن شعره؛ قوله: [من الطويل]

أَيَا مُنْقِذِيْ مِنْ مَعْشَرٍ زَادَ لُؤْمُهُمْ ... فَأَعْيَا دوَائِيْ وَاسْتَكَانَ لَهُ طِبِّيْ

إِذَا اعْتَلَّ مِنْهُمْ وَاحِدٌ فَهْوَ صِحَّتِيْ ... وَإِنْ ظَلَّ حَيًّا كِدْتُ أَقْضِيْ بِهِ نَحْبِيْ

أُدَاوِيْهِمُ إِلاَّ مِنَ اللُّؤْمِ إِنَّهُ ... لَيُعْيِيْ عِلاَجَ الحَاذِقِ الفَطِنِ الطَّبِّ

وقال أبو الحسن القطيعي؛ أنشدني علي بن سدير لنفسه ببغداد سنة تسعين:

[من الرمل]

هَاجَهُ السِّرْبُ الَّذِيْ عَنَّ لَنَا ... بَيْنَ جَرْعَاءِ اللِّوَىٰ وَالمُنْحَنَىٰ

وَرَمَتْهُ العِيْنُ مِنْ آرَامِهِ ... أَسْهُمًا مُتَّخِذَاتٍ أَعْيُنَا

/ ٢٧٤أ/ يَا دِيَارَ الحَيِّ مِنْ أَيْنَ لَنَا ... مِثْلُ أَيَّامِكِ مِنْ أَيْنَ لَنَا

أَتَمَنَّىٰ وَالأَمَانِيْ ضَلَّةٌ ... أَنْ أَرَىٰ ذَاكَ الكَثِيْبَ الأَيْمَنَا

وَلَقَدْ أَهْوَىٰ إِلَىٰ نَجْدٍ وَإِنْ ... لَمْ تَكُنْ نَجْدٌ لأَهْلِيْ وطَنَا

---

(١) المدائن: بليدة صغيرة في الجانب الغربي من دجلة، وهي نهر شير، وفي الجانب الشرقي منها الإيوان، وقبر سلمان الفارسي، وحذيفة بن اليمان، وبالمشهدين ناس مقيمون بهما. وهي اليوم ناحية تتبع إداريًا لمحافظة بغداد.
انظر: معجم البلدان/ مادة (المدائن).

[٤٥٢]

عليُّ بنُ روحِ بنِ أحمدَ بنِ الحسنِ بنِ عبدِ الكريمِ، أبو الحسنِ بنُ أبي طَالبٍ(١).

هكذا قرأت نسبه بخطه، النهرواني المعروف بابن الغُبَاري.

كان مولده سنة سبع وثلاثين وخمسمائة بالنهروان، ورد مدينة السلام، وسمع بها الحديث، وأخذ الفقه عن أبي النجيب السهروردي؛ وقرأ الأدب علىٰ أبي الحسن علي بن عبد الرحيم بن العَصَّار اللغوي، وروى الخطب النبهانية عن أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن نبهان الرقي الغنوي، وسمع المقامات الحريرية علىٰ أبي الفضل منوجهر محمد بن تركانشاه البغدادي.

وتولّىٰ القضاء بها، في عهد الإمام أمير المؤمنين الناصر لدين الله ـ رضي الله عنه ـ وعزل عن القضاء، وتوفي يوم الأربعاء منتصف رمضان سنة خمس عشرة وستمائة؛ وكان فقيهًا / ٢٧٤ب/ شافعي المذهب؛ فاضلاً دينًا صدوقًا ثقة.

له شعر، وكان يتكيء عند كبره علىٰ عصا، ومن شعره: [من مجزوء الرجز]

إنِّيْ إذَا هَلَّ رَجَبْ ... فِيْ تَعَبٍ وَفِيْ نَصَبْ
أَمْشِيْ عَلَىٰ ثَلاثَةٍ ... أَصَحُّ مَا فِيْهَا الخَشَبْ

من عادة بغداد إذا هلَّ رجب، يخرج الفقهاء والعلماء والصُوفية وغيرهم من ذوي العلم، ويبيتون في الرُصافة عند قبور الخلفاء ـ رضي الله عنهم ـ ويقرأون القرآن ويعقد مجلس الوعظ هنالك، وكذلك أيضًا في النصف من شعبان؛ فهذا معنىٰ قوله: «إذا هَلَّ رجب».

وقال أيضًا: [من الطويل]

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢١/ ١١٠ ـ ١١١ وفيه: «ابن الغُبَيري». المختصر المحتاج إليه ٣/ ١٢٥ رقم ١٠٠٥. التكملة للمنذري ٢/ ٤٤٣ رقم ١٦٢٥. الذيل على الروضتين ١١٠. المشتبه للذهبي ٤٧٥. طبقات السبكي ٨/ ٢٩٤ رقم ١١٩٦. طبقات الإسنوي ٢/ ٢٥١ رقم ٨٦٧. تبصير المنتبه لابن حجر ٣/ ١٠٢٦. تاج العروس/ مادة (نمير) ٣/ ٤٣٩.

وَقَـدْ كُنْـتُ أَشْكُـوكَ الحَـوَادِثَ بُـرْهَـةً ... وأَسْتَمْـرِضُ الأَيَّـامَ وَهْـيَ صِحَـاحُ
إِلَـىٰ أَنْ تَغَشَّتْنِـي وُقِيْـتَ حَـوَادِثٌ ... تُحَقِّـقُ أَنَّ السَّـالِفَـاتِ مَنَـائِـحُ

[٤٥٣]
عليُّ بنُ مسلمِ بنِ كاملٍ /٢٧٥أ/، أَبُو الحسنِ الموصليُّ، العدلُ.

كان قد قرأ شيئًا من العلم، وقال شعراً كثيراً، أدركت آخر أيامه، وهو شيخ مسنّ بالموصل، يكتب بها الشروط بالأجر، ولم آخذ عنه شيئًا.

رأيتُ من شعره قصيدة؛ أنشدنيها بعض المعارف، يمدح بها القاضي محيي الدين أبا محمد حامد بن محمد بن عبد الله الشهرزوري: [من الكامل]

عُـجْ بـالقَلُـوصِ علىٰ المحَـلِّ المَـاحِـلِ ... وَسَـلِ الطُّلُـولَ عَـنِ الخَلِيْـطِ الـرَّاحِـلِ
وَاسْتَـوْقِـفِ الأَطْـلاَلَ رَبَّـةَ وقْفَـةٍ ... جَـادَتْ عَلَـىٰ الصَّـبِّ الكَئِيْـبِ بِنَـائِـلِ
وَاسْكُـبْ دُمُـوْعَـكَ فِـيْ عِـرَاصٍ أَقْفَـرَتْ ... وَعَفَـتْ مَعَـالِمُهَـا كَجِسْمِـيْ النَّـاحِـلِ
وَاسْتَبْـدَلَـتْ مِـنْ كُـلِّ رِيْـمٍ آنِـسٍ ... حَـالٍ بِـآخَـرَ نَـافِـرٍ وَبِعَـاطِـلِ
مَـاذَا يُـؤَمِّـلُ مُجْتَـدٍ مِـنْ مَـانِـعٍ ... رِفْـداً وَيَـرْجُـوْ طَـالِـبٌ مِـنْ بَـاخِـلِ
يَـا عَـاذِلِـيْ لَـوْ كَـانَ عِنْـدَكَ بَعْـضُ مَـا ... يَلْقَـاهُ قَلْبِـيْ كُنْـتَ عَـاذِلَ عَـاذِلِـيْ
كُـفَّ المَـلاَمَ فَمَـا أُصِيْـخُ لِـلاَئِـمٍ ... مَـا ذَاقَ طَعْـمَ هَـوًى غَبِـيٍّ جَـاهِـلِ
مَـنْ مُنْصِـفٌ لِـيْ مِـنْ ظَلُـومٍ حَـاكِـمٍ ... أَوْ آخِـذٌ لِـيْ مِـنْ مَلِـيٍّ مَـاطِـلِ
غـرثٍ فَـيْ بَحْـرِ الغَـرَامِ بِمُهْجَتِـي ... أَبْغِـيْ رِضَـاهُ فَمَـا حَصَلْـتُ بِطَـائِـلِ
أَنَـا بَيْـنَ أَعْطَـافٍ تَمِيْـسُ وَأَعْيُـنٍ ... تَـرْنُـو قَتِيْـرَ بَـوَاتِـرٍ وَذَوَابِـلِ
وَأَهِيْـمُ مِـنْ وَجْـدِيْ عَلَيْـهِ فَمَـنْ رَأَىٰ ... يَـا قَـوْمُ مَقْتُـولاً يَهِيـمُ بِقَـاتِـلِ
/٢٧٥ب/ يَـرْمِـي القُلُـوبَ بِـأَسْهُـمٍ مِـنْ لَحْظِـهِ ... وَكَـأَنَّ مُقْلَتَـهُ كِنَـانَـةُ نَـابِـلِ
قَـدْ بَلْبَلَـتْ أَلْبَـابَنَـا أَلْحَـاظُـهُ ... فَكَـأَنَّ سِحْـرَ جُفُـوْنِـهِ مِـنْ بَـابِـلِ
وَكَـأَنَّ قَسْـوَةَ قَلْبِـهِ مِـنْ يَـذْبُـلٍ ... وَكَـأَنَّ حُسْـنَ قَـوَامِـهِ مِـنْ ذَابِـلِ
سُقْمِـيْ مِـنَ الطَّـرْفِ السَّقِيْـمِ وَأَدْمُعِـيْ ... سَـالَـتْ عَلَـىٰ ذَاكَ العِـذَارِ السَّـائِـلِ
أَخْفَقْـتُ حِيْـنَ نَصَبْـتُ أَشْـرَاكِـيْ لَـهُ ... فَـاعْتَـاقَ قَلْبِـيْ حِيْـنَ فَـاتَ حَبَـائِلِـيْ

فَعَلِمْتُ أَنَّ الدَّهْرَ يَبْغِي نَصْرَهُ ... فِيمَا أَرَادَ وَأَنَّ دَهْرِيَ خَاذِلِي

فَطَفِقْتُ أَسْأَلُ ذَا الوَرَىٰ عَنْ مَاجِدٍ ... جَمِّ العَطَا رَحْبِ الفَنَاءِ حُلَاحِلِ

أَشْكُو إِلَيْهِ جَوْرَ دَهْرٍ بَاسِلٍ ... أَنْحَىٰ عَلَيَّ بِكَلْكَلٍ وَبِكَاهِلِ

فَوَجَدْتُ مُحْيِي الدِّينِ أَسْخَاهُمْ يَداً ... تَنْدَى وَأَدْفَعَهُمْ لِخَطْبٍ نَازِلِ

سَمْحٌ إِذَا خَانُوا، حَكِيمٌ إِنْ هَفَوا، ... قَوَّالُ مَحْكَمَةٍ، زَعِيمُ مَحَافِلِ

فَذَكَرْتُ حِينَ رَأَيْتُ شَمْسَ عَطَائِهِ ... فِي لَيْلِ مَنْعِهِمُ مَقَالَ القَائِلِ

أَفَلَتْ نُجُومُ المَكْرُمَاتِ وَنَجْمُهُ ... لِلطَّالِبِينَ تَرَاهُ لَيْسَ بِآفِلِ

ومنها يقول في آخرها:

اللهَ أَسْأَلُ أَنْ يُدِيمَ بَقَاءَهُ ... فَتَدُومُ لِي نُعْمَى إِذَا أَبْقَاهُ لِي

تمَّ الجزء الخامس [1]

ويتلوه في السادس [2] إن شاء الله تعالىٰ من اسمه علي

(١) كذا في الأصل والصواب (الرابع). ولعل ذلك قد حصل من قبل الناسخ.

(٢) كذا في الأصل والصواب (الخامس). ولنفس السبب السابق.

فهرس تراجم الجزء الرابع

رقم الترجمة	صاحب الترجمة	الصفحة

تتمة حرف العين

تتمة ذكر من اسمه عبد العزيز

ذكر من اسمه عبد الغني

رقم الترجمة	صاحب الترجمة	الصفحة

ذكر من اسمه عبد القادر

ذكر من اسمه عبد القاهر

ذكر من اسمه عبد القوي

ذكر من اسمه عبد الكريم

رقم الترجمة	صاحب الترجمة	الصفحة

ذكر من اسمه عبد اللطيف

ذكر من اسمه عبد المجيد

ذكر من اسمه عبد المحسن

رقم الترجمة	صاحب الترجمة	الصفحة

ذكر من اسمه عبد الواحد

ذكر من اسمه عبد الرزاق

ذكر من اسمه عبد الباقي

ذكر من اسمه عبد الخالق

رقم الترجمة	صاحب الترجمة	الصفحة

ذكر مفاريد الأسماء في العبيد

ذكر من اسمه عثمان

ذكر من اسمه علي

رقم الترجمة	صاحب الترجمة	الصفحة

رقم الترجمة	صاحب الترجمة	الصفحة